مصير ألمانيا النازية بعد الحرب

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

مدير رقابة النشر

ان كل حل يقترح لتقرير مصير ألمانيا النازية لن يكون له فائدة عظيمة ما لم يستند الى خطة تضمن بقاء التعاون بين الأمم المتحدة . فالى انشاء مثل هذه الخطة وتدعيم مثل ذلك الاجراء يجب أن ينصرف التفكير وتتجه الجهود

لو أننا سألنا بطلا من الغزاة الفاتحين فى العصور الغابرة ، ماذا تصنع بعدوك بعد أن تقهره وتظفر به ، لما وجد هذا البطل صعوبة فى أن يرد على سؤالنا بعبارة مختصرة وجيزة ولكنها شافية وافية بالغرض . ليس من شك فى أن هذا البطل لن يأمر بتأليف لجنة أو بعقد مؤتمر ، ولن تكون هنالك اجتماعات بين الاقطاب ، فليس هنالك قطب سواه . ومن الجائز أنه يتنازل فيسأل وزيره : دبرني يا وزير ! فيرد الوزير : التدابير لله يا ملك ! لم يكن الفتح والنصر فى ذلك الزمن مشكلة معقدة كما هو اليوم . فالعدو المهزوم ينكل به شر تنكيل ، كما أصاب دارا على يد الاسكندر . وأما السبي الذى يسبى فى أثناء الحرب ، فيباع كالرقيق فى الاسواق ، أو يهدى الى الابطال الغزاة . وأما الاراضى فتضم الى ممتلكات الفاتح المنتصر ، وأما سكانها ، فيصبحون رعاياه وأتباعه بعد أن كانوا رعايا عدوه المهزوم . وربما زال بيت من البيوت المالكة زوالا تاما من الوجود وشرد أفراده فى جميع الانحاء . أو ربما هربوا الى أرض بعيدة ، ينتظرون الفرص ويتربصون بعدوهم الدوائر

كانت الحرب فى ذلك الزمن أيسر مما هى اليوم ، والنصر أهون خطبا مما هو اليوم . ولقد يعجب المرء من أن يكون النصر الباهر مشكلة تتطلب حلا ، ومعضلة تستدعى انعام النظر والامعان فى التفكير . ولكن لا شك فى أن هذه هى الحال فى زماننا هذا ، فقد أصبح الانتصار الساحق فى ميدان القتال مشكلة لا تقل خطرا عن الحرب ذاتها . ولذلك فان الحل الجديد لن يكون بينه وبين الحالة القديمة سوى مشابهة سطحية

فأما التنكيل بالعدو ، فلن يكون له أثر الا فى محاكمة المجرمين الذين يثبت التحقيق ادانتهم فى أمور خرجوا فيها خروجا شنيعا على القواعد التى تعارف عليها الناس ، والحرمات التى تقضى الاوضاع الدولية برعايتها . ولكن هذه المجازاة لن تحدث الا بعد محاكمة ، يسمح فيها لكل متهم بأن يدافع عن نفسه ، وأن يدرأ التهمة بشهادات الشهود . وبعد

الحرب العالمية الاولى كانت النية معقودة على التنكيل بالمجرمين ، وعلى رأسهم القيصر نفسه ، فلاذ القيصر بالهرب الى هولنده ، ثم انتشرت عاطفة الرحمة والتسامح ، وقرر المنتصرون أن يتركوا محاكمة المجرمين من الالمان الى السلطات الالمانية نفسها تفعل بهم ما تشاء.
ولسنا نعرف على وجه التحقيق الى أي مدى ستنتشر عاطفة الرحمة والتسامح بعد هذه الحرب ، ومع التسليم بأن فظائع هذه الحرب أعظم وأشنع مما حدث فى الحرب الماضية ، فاننا لا نعرف اذا كان هذا راجعا الى طبيعة الحرب والعدد الحربية المبتكرة أو الى ازدياد الجرائم التى ارتكبت فيها مخالفات خطيرة

على أن مشكلة التنكيل بالعدو ليست بذات شأن خطير ، وانما ذكرناها للمقارنة بين ما كان يحدث فى الازمنة القديمة وما يجرى فى زماننا هذا . كذلك الحال فى أمر الإسرى ، فانهم اليوم ينزلون منازل طيبة ، ويعاملون برفق ، ويتناولون الغذاء والكساء الذى يلزمهم ، ويعنى بهم الاطباء والممرضات اذا أصابهم سقم . ثم بعد أن تنتهى الحرب يردون الى أوطانهم وديارهم أحرارا

بقى أمر الديار وسكانها من رعايا العدو المهزوم ، ولا شك أن هذا الموضوع هو أجل خطرا وأعظم شأنا من أى اعتبار آخر ، وهنا أيضا نجد الاختلاف عظيما والبون شاسعا بين الحالة التى كانت تسود العالم القديم ، والتى تسود العالم الآن . فليس بين الدول المتحدة فرد واحد يرى أن تفرض على الشعب الالمانى حكومة أجنبية . من الجائز أن يفرض نوع من الاحتلال العسكرى الكلى أو الجزئى على ألمانيا ، ولكن هذا الاحتلال سيكون فى الغالب مؤقتا ، وهو على كل حال لن يتولى حكم الشعب الالمانى ، بل ستتولاه حكومة ألمانية صرفة . فقد مضى الزمن الذى كان فيه الفاتح المنتصر يضم الى ممتلكاته أقطار عدوه . وقد حاولت الحكومة النازية نفسها أن تمضى على السنة القديمة ، بأن ضمت أراضى تشيكوسلوفاكيا وجعلتها تحت « الحماية » الالمانية فى مارس ١٩٣٩ ، ولا شك فى انها قد تعرضت بهذا العمل الى سخط الشعوب المتمدنة ونقمتها . وبعثت فى النفوس الكراهية للحكومة النازية خاصة وللشعب الالمانى الذى يؤيدها بوجه عام

اذن ليس فى برنامج الدول المتحدة أن تتولى حكم البلاد الالمانية . وكل ما يسعى اليه أولو الرأى المسئولون من الحلفاء ، هو العثور على وسيلة يستطيعون بها أن يجعلوا ألمانيا عاجزة كل العجز الى زمن طويل عن أن تشن حربا أخرى . فهى تريد لالمانيا وللشعب الالمانى أن يحيا وأن ينعم بالعيش الرغد ، على شرط أن يظل عاجزا عن ارتكاب العدوان فى المستقبل

لقد كان هذا الهدف هو هدف الحلفاء أيضا بعد الحرب العالمية الاولى ، وقد فرضت على ألمانيا شروط فى ذلك الوقت تضمن - اذا هى نفذت - أن تظل ألمانيا عاجزة عن اثارة الحروب ، ولم تفشل تلك التدابير لانها تدابير قاصرة أو خاصة . بل فشلت لان الحلفاء تخاذلوا وتنافروا وسمحوا لالمانيا بأن تتدجج بالسلاح تحت سمعهم وأبصارهم

ويحق للمرء أن يقول اليوم قياسا على ما حدث من قبل ، أن خير ضمان يكفل ان تظل ألمانيا عاجزة عن اثارة الحروب ، هو بقاء التضامن والتحالف بين الامم المتحدة . وهذا من غير شك صحيح ، ولكن المسئولين عن مستقبل العالم لا يكتفون بمثل هذا الامل وان كان أملا قريب التحقيق ، ويرون من الضرورى اتخاذ اجراءات خاصة بالشعب الالمانى نفسه منذ الآن . ومن هنا نشأت اقتراحات كثيرة أدلى بها عدد من الرجال المسئولين ونريد هنا أن نعرض طائفة من هذه المقترحات التى كانت موضع بحث وجدل فى الايام الاخيرة

ان جميع هذه المقترحات تفترض أن ألمانيا ستضطر الى التسليم من غير قيد ولا شرط. فيستطيع الحلفاء أن يفرضوا عليها ما يشاءون من الشروط ، وأن يكرهوها على قبول أية خطة وأى اجراء يريدونه

ولا نريد هنا أن نشك فى مقدرة الحلفاء على حمل ألمانيا على التسليم من غير قيد ولا شرط . فان طلائع الاحوال تدل صراحة على أن ألمانيا لن تستطيع طويلا مقاومة هذه الضربات العنيفة من الشرق والغرب . ولكن من الجائز أن الهزيمة التامة لالمانيا تستلزم وقتا وجهودا وتضحيات أخرى ، ترى القيادة العليا للحلفاء توفيرها ، اذ لا يزال أمامها جهود جبارة لا بد أن تبذل فى محاربة اليابان . ولذلك ذهب بعض الكتاب الى أن قاعدة التسليم بلا قيد ولا شرط ، قد تعدل قليلا أو يعدل عنها تماما حقنا للدماء . وسيدعو هذا حتما الى تعديل كثير من المقترحات الخاصة بمعاملة ألمانيا المهزومة

ان الغرض الاول الذى يرمى اليه الحلفاء هو خلق ألمانيا جديدة تعيش فى أمن وسلام مع جميع الدول ، دون أن تلجأ الى استخدام القوة فى تحقيق أى غاية أو مأرب. ولتحقيق هذا الغرض قد اقترح القضاء على النظام النازى ، والقضاء على الروح العسكرية البروسية أو التيوتونية ، وهذا الاجراء يجىء بالطبع بعد نزع سلاح ألمانيا كله ، وتجريدها من كل عدة حربية مما يتصل بالحرب فى البحر أو البر أو الجو

ويكفى أن نتأمل الصعوبات التى تحول دون تنفيذ هذا الاجراء الاخير على الوجه الاكمل ، لكى يبدو لنا أن المشكلة ليست هينة ، فقياسا على ما حدث فى الحرب الماضية سيتمكن الحلفاء من تجريد ألمانيا من الاسلحة الضخمة ، ومن السفن والطائرات والدبابات والمدافع الكبيرة . ولكن تسريح جيوش عظيمة على أثر الهزيمة سيصحبه قليل من الفوضى .. فيتمكن ملايين الجند من أن يأخذوا معهم الى بلادهم عددا عظيما من البنادق والمدافع الصغيرة ، تستخدم عند سنوح الفرصة فى اثارة الشغب والاضطراب

أما القضاء على النظام النازى فهو كذلك ليس بالامر الهين .. كانت ألمانيا فى عهد القيصر أهون شأنا مما هى فى عهد الزعيم هتلر . فقد بث النظام النازى بهمة وجد ، حتى تغلغل فى نفوس الشعب ، وأصبح ضربا من الهوس ، المتحكم فى العقول ، المتسلط على الافئدة . فاذا أريد القضاء على النظام النازى ، فان هذا العمل لن يعدو القبض على

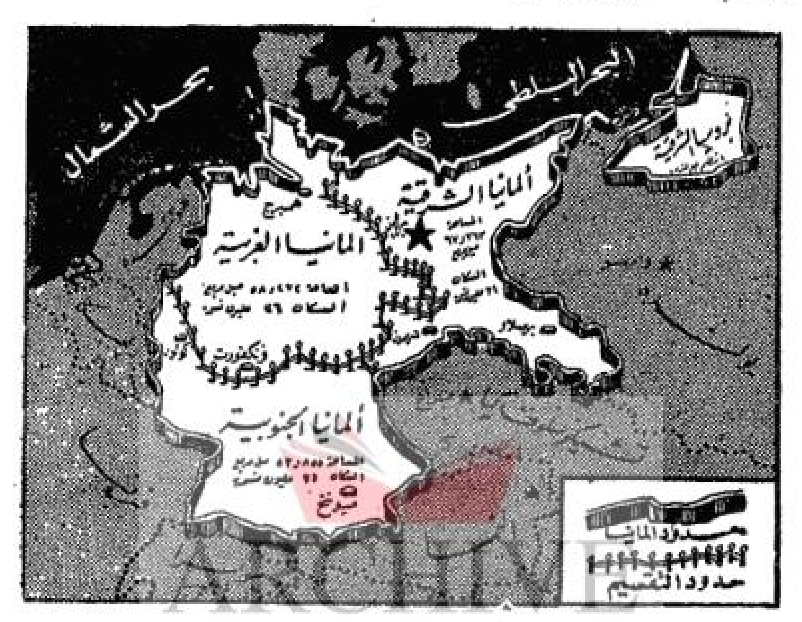
بعض القادة ، وعزل الآخرين وابعادهم عن الحكم ، واقامة نظام جديد مكانه ذى صفة ديمقراطية . ولن يكون هذا النظام محبوبا من جماهير الامة الالمانية ، لانه نظام فرضه العدو المنتصر ، وأقيم تحت ظل الاحتلال الأجنبى . وهكذا سيكون القضاء على النازى - على أحسن الفروض - عملا سطحيا لا يمس صميم الشعب ولا يصلح ما أفسدته الدعاية النازية

والقضاء على الروح العسكرية فى ألمانيا لا يقل صعوبة ، بل لعله أصعب ، من القضاء على النظام النازى . لان القضاء على « روح » أشق بكثير من القضاء على « نظام » . ويخطىء كثير من الناس اذ يتوهمون أن الروح العسكرية فى ألمانيا تستند فقط الى وجود طبقات من الزعماء تسمى « يتكر » . وهم عادة من أصحاب الضياع فى بروسيا - وعلى الاخص فى بروسيا الشرقية - وهم جماعة لا تزال تجرى فى قلوبهم روح فرسان القرون الوسطى الذين كانت حرفتهم الاغارة والنهب والسلب ، والتحكم فى سائر الطبقات . ولكن الخطر الحقيقى ليس فقط فى وجود هذه الجماعة ، بل فى خضوع الشعب الالمانى ، وحبه للنظام وللطاعة العمياء . وهو لا يكون سعيدا الا اذا كان بين يدى قادة يأمرونه ويسيرونه ، فينفذ ارادتهم بدقة واذعان . هذه الصفة جعلت الشعب الالمانى تحت رحمة قادته يوجهونه حيثما شاءوا . فالقضاء على الروح العسكرية يستتبع حتما اجراءين ، وهما كسر شوكة الطغمة الارستقراطية ، وتلقين الشعب الالمانى روح الاستقلال والتفكير لنفسه ، ونقد رؤسائه ، وكلا العملين اجراء شاق ليس من اليسير تحقيقه فى زمن وجيز

من أجل ذلك اتجه التفكير الى اجراءات أخرى ومقترحات ذات صبغة تنفيذية . منها الاقتراح الذى كان موضع أخذ ورد زمنا طويلا ، وهو تدمير جميع المصانع فى ألمانيا من أولها الى آخرها ، وتحويل البلاد الى قطر زراعى صرف ، ليس فيه مصنع واحد ، حتى ولا مصانع الجعة الشهيرة فى ميونخ ، التى قد تحول فيما بعد الى مصانع للمدافع أو الغازات السامة . عند ما عرض هذا الاقتراح للمرة الاولى صفق له كثير من الناس . واعلنوا ان هذه وسيلة ناجعة ، وان من الصعب على ألمانيا أن تخالف هذا الاجراء ، لان بناء المصانع بعد تدميرها سيلفت الانظار . وان ألمانيا من غير مصانع كالافعى من غير أنياب ولا سم ، وان من الواجب ألا يكون هنالك استثناء قط فى تنفيذ هذه الخطة . فقد أثبتت التجارب أن من الممكن تحويل المصانع من أعمال السلم الى أعمال الحرب فى وقت وجيز

وهكذا مضى أصحاب هذا الاقتراح فى تحبيذ اقتراحهم ، وأنصت اليهم فترة من الزمن طائفة من قادة الأمم المتحدة . ولكن هذه الفكرة البراقة لم تلبث أن فقدت بريقها ، ولم يلبث القادة أن نبذوها ، وذلك لانهم ذكروا أن الصناعات فى ألمانيا هى مورد الرزق لنصف أو لثلث الشعب على أقل تقدير . فاذا حرموا الرزق فلا بد للحلفاء أن يواجهوا احدى خطتين : اما القضاء على ثلث الشعب الالمانى ، أو امداده بالمؤن والاغذية التى تلزمه لكى يعيش . وليس لدى الحلفاء استعداد لمواجهة احدى الخطتين . ولذلك رأينا

هذا الاقتراح يتضاءل ويتدرج من القضاء على جميع الصناعات الى تجريم بعض الصناعات فقط ، ثم الى الاكتفاء بمراقبتها لمنعها من انتاج العدة الحربية . وهذا الاجراء الاخير هو ما يمليه العقل ، ولكنه يتطلب السهر والتفتيش بواسطة هيئة لا تغفل ولا تنام ، ومعنى هذا أن الامم المتحدة يجب أن تظل دائما متحدة



الخريطة التى رسمها المستر سمنر ولز

نتنقل الآن الى الاقتراح التالى ، الذى رسم من أجله مستر سمنر ولز ، هذه الخريطة الجميلة . ومؤلف الاقتراح كان من قبل وكيلا لوزارة الخارجية الامريكية ومن المطلعين على بواطن الامور وظواهرها . وقد رأى جنابه أن كل خطة ترسم لجعل ألمانيا دولة مسالمة ستبوء بالفشل ، ما دام الشعب الالمانى قويا ضخما كما هو الآن ، ويحتل جميع المساحة التى يحتلها الآن ، ويحتكم فى هذه الموارد المادية الموزعة فى الوطن الجرمانى العظيم . ولذلك كانت خطته ترمى الى تقسيم ألمانيا الكبيرة الى ثلاث دول صغيرة . ويشتمل اقتراح هذا السياسى الخطير على الاجزاء الآتية :

١ — تسليم بروسيا الشرقية لبولنده ، وكذلك الممر البولونى ودانزج . ومعنى هذا اقتطاع جزء من ألمانيا وتسليمه الى بولنده ، وفى هذا الاجراء تعويض لبولنده عن تعديل حدودها الشرقية لمصلحة روسيا من جهة ، وحل لمشكلة الممر البولونى وميناء دانزج من

جهة أخرى . وربما اشتمل هذا الاجراء على نقل عدد من الالمان من بروسيا الشرقية الى ألمانيا .. وليس فى نقل دانزج وبروسيا الشرقية الى بولنده أمر مستحدث ، فلقد سبق للبولنديين أن كانت أوطانهم تشتمل على هذا القطر بالرغم من جرمانيته . ومن الممكن أيضا أن يقال ـ تبريرا لهذا الاجراء ـ ان الفرسان الجرمان قد استولوا على بروسيا الشرقية بحد الحسام ، فليس من الظلم أن يجلوا عنها اليوم بحد الحسام

٢ ـ الجزء الثانى من اقتراح المستر ولز هو انشاء دولة شرق المانيا ، وهى موضحة فى الخريطة، وتشتمل على المدن الشهيرة برلين وبرسلاو ودرزدن: وسكانها واحد وعشرون مليونا من الانفس ، ومساحتها نحو ٦٧٫٧٨٣ ميلا مربعا

٣ ـ ثم دولة ألمانيا الغربية ، وسكانها ٢٦ مليونا من الانفس ، ومن مدنها الشهيرة فرانكفورت وهامبرج وهانوفر (العاصمة !) وهى تمتاز بأنها تطل على البحر البلطى والشمالى فى آن واحد . وأنها غنية بثروتها المعدنية

٤ ـ ثم ألمانيا الجنوبية ، ومساحتها ٥٢٫٨٥٥ ميلا مربعا ، وسكانها ٢١ مليونا من الانفس . وهى لا تطل على البحر ، ولكن المؤلف الفاضل قد جعل لها امتدادا غربيا يجعلها تشتمل على جزء عظيم من نهر الرين ، ومواننه الشهيرة مثل كولونيا ، وهذا يضمن لها الاتصال بالعالم الخارجي ، ومن أشهر مدنها مونيخ وشتوتجارت ، وكلاهما يصلح لان يكون عاصمة لالمانيا الجنوبية

وبالطبع سيتبع هذا الاجراء فصل النمسا عن ألمانيا بتاتا ، وبذلك يكون الاقتراح متضمنا تقسيم ألمانيا الى خمسة أقسام ، ولا شك أن من الممكن للامم المنتصرة اثناء احتلالها أن ترغم قادة ألمانيا على الاذعان لهذه الخطة وتقسيم ألمانيا على هذه الصورة . ولكن نجاحها الحقيقى انما يقاس بدوام هذا التقسيم واستمراره ، وهذا لا يتم الا اذا كان هنالك سلطة خارجية تحول دون انضمام هذه الدول بعضها الى بعض ، أو تحالفها تحالفا يجعلها فى حكم دولة موحدة السياسة والهدف والاغراض ، ولقد أمكن للحلفاء أن يفصلوا النمسا عن ألمانيا بعد الحرب الماضية ، وهى لم تكن فى يوم من الايام جزءا من الدولة الالمانية ، ولكنهم مع ذلك عجزوا عن منعها من الانضمام الى ألمانيا فى عام ١٩٣٨

وهكذا نرى الخطط المختلفة يدلى بها ذوو الرأى فى مختلف الاقطار ، وهى لا تخلو من حصافة وبراعة فى العرض والتحليل . ولكنها مهما اختلفت ترجع دائما الى حقيقة أساسية ، وهى أن كل حل يقترح لتقرير مصير ألمانيا النازية لن يكون له فائدة عظيمة ما لم يستند الى خطة تضمن بقاء التعاون بين الامم المتحدة . فالى انشاء مثل هذه الخطة وتدعيم مثل ذلك الاجراء يجب ان ينصرف التفكير ، وتتجه الجهود

محمد عوض محمد

مطالب المؤتمر النسوي سابقة لأوانها

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

نعم هي سابقة لأوانها

وربما لم يكن لها أوان في مستقبل قريب ولا بعيد

وبيان ذلك انها تتلخص في طلب التسوية بين الرجال والنساء في الاجور كلما اشتغلوا بصناعة واحدة ، وطلب التسوية بينهم في حقوق الانتخاب وحقوق النيابة ، وطلب التسوية بينهم على الاجمال في جميع الحقوق والتكاليف الاجتماعية ، ومنها الوظائف العامة

ومن الواضح أن الصناعات عندنا نحن الشرقيين لا تزال في نشأتها الاولى ، فليس لدينا صناعات كبرى ولا صناع متفوقون في شعابها المختلفة ، وبيننا وبين اليوم الذي تكثر فيه الأيدي العاملة في تلك الصناعات الكبرى مسافة من الزمن نرجو ألا تطول ، وليس من المنظور أن تلجأ المرأة الى مزاحمة الرجل على تلك الصناعات قبل أن توجد وتتشعب وتستقر على نظام معروف ، ومن اليوم الى أن تزدحم المصانع الكبرى بالمتنافسين عليها من الجنسين فرجة من الوقت تتسع للتريث والانتظار

أما حقوق الانتخاب وحقوق النيابة فهي مرهونة بتقدم الأمة في طريق الحياة النيابية والتقاليد الدستورية ، ونحن بعد في بداية هذه الحياة لم نفرغ من مرانة الرجال عليها فضلا عن مرانة النساء . وحسبنا أن الاحزاب عندنا لم تنقسم بعد على حسب المطالب الوطنية الداخلية ولا تزال منقسمة على حسب الموقف الذي وقفته أول الامر من السياسة الخارجية ، أو من علاقتنا ببريطانيا العظمى على التخصيص وعلاقتنا بالدول الاجنبية على التعميم

ومع ان المطالب الوطنية الداخلية عندنا لم تستول بعد على برامج أحزابنا نلاحظ حتى الساعة أن الثقة بالاحزاب لا تزال تابعة للثقة بالزعماء والمرشحين للنيابة . فيتفق في حي واحد متشابه السكان أن يفوز بالنيابة مرشحان أحدهما من المعتدلين والآخر من المتطرفين ، ولا يحصل هذا بيننا كما يحصل في البلدان الاوربية حيث يختلف المرشحان عن الحي الواحد لان بعضه سكن للعمال مثلا وبعضه الآخر سكن للتجار والملاك .

وانما تختلف الثقة بنوابنا على حسب الثقة بأشخاصهم ومعرفة الناس بماضيهم وحاضرهم ، ولا يعقل أن تكون هذه المرحلة من حياتنا النيابية صالحة لانتخاب النساء وهن لم يخرجن بعد من عالم الحجاب الى عالم السفور والمشاركة في الاعمال ، واذا كان قصارى حظ المرأة من تعديل الدستور وقانون الانتخاب أن تنتخب هي النواب من الرجال فهي لا تستقل بالتشريع بعد ذلك على أية حال ، وسيمضي زمن طويل قبل أن تستقل به في

المجالس النيابية ، لانها ستصل الى تلك المجالس قلة لا تكفى لاجازة قانون واحد بغير موافقة الرجال

أما المساواة فى جميع الحقوق والتكاليف الاجتماعية فهى خطوة تأتى - ان أتت - بعد خطوات طوال . اذ لا بد قبل تقرير هذه المساواة من التسوية بين الرجل والمرأة فى مسائل النفقة والولاية على الأسرة ، ومن التسوية بينهما فى الجندية والفرائض الوطنية التى من قبيلها . ولا معنى للتسوية بين الجنسين فى الحقوق والتكاليف الاجتماعية قبل التسوية بينهما فى التجنيد وكفالة الأسرة ، وقبل الغاء الفوارق التى تستفيد منها النساء الآن

فمطالب المؤتمر النسوى سابقة لاوانها ما بقيت حالة المجتمع الشرقى على ما هى عليه. ولكننا نعود فنقول انها ستبحث عن أوانها فى المستقبل القريب أو المستقبل البعيد فلا تهتدى اليه . لاننا لا نستبعد أن تؤل التجارب الاوربية التى تجرى فى العصر الحاضر الى تصحيح مركز الجنسين فى الحياة العامة ، فتعدل المرأة هناك عن الشواغل السياسية التى لا تلائمها وتنحصر جهودها الاجتماعية فى صناعات نسوية يتركها لها الرجال وتتوفر هى على اتقانها والتفرغ لها ، لانها أقرب الى طبيعتها

فاذا جاء اليوم الذى تنتقل فيه الأمم الشرقية الى الاطوار الاجتماعية والاقتصادية الغالبة على أمم أوربا فى عصرنا الحاضر كانت أمم أوربا نفسها قد تحولت مع تجارب الاصلاح الى حالة انفع للجنسين معا من حالة التزاحم على المجالس النيابية وعلى المصانع والاسواق ، وكان تقسيم العمل قد بلغ عندهم حد التمييز بين أعمال الرجال وأعمال النساء . فتنفرد المرأة بالاشراف على البيت وتربية الجيل المقبل واتقان الصناعات التى تجيدها وتستطيبها وتترك للرجل ما عدا ذلك من شواغل السياسة والصناعة ومرافق الحياة العامة على الاجمال

واذا تم ما ننتظره من هذا التحول فى الأمم الاوربية تكون المرأة الشرقية قد وصلت الى المسرح فى ساعة اختتام الرواية وانفضاض النظارة .. فتبحث عن أوان المطالب النسوية يومئذ ولات ساعة أوان

والذى يدعونا الى هذا الرجاء - أو هذا التوقع - أن المرأة لم تفد شيئا من دخولها المجالس النيابية ولا من ترشيحها النواب للدخول فيها ، وليس من المنظور أن تملك النساء كثرة كافية للاستقلال بالتشريع فى مجلس من مجالس العالم بأسره ، فقصاراها اذن أن تتوسل بالاقناع والمودة لتقرير الشرائع التى تريدها ، وهى قادرة على ذلك بغير انتخاب وبغير نيابة ، وبخاصة حين تتعلم وتشيع المعرفة بين أبناء الأمة كافة . وخير لها اذن أن تدخر الوقت الضائع فى الشواغل السياسية لتصرفه الى أعمال الاصلاح والخير التى هى أقدر عليها من الرجال

وليس بالعسير على المصلحين فى المستقبل القريب أن ينظموا العمل تنظيما معقولا يتيح للمرأة أن تكسب رزقها ، حيث تحتاج الى الكسب ، من صناعات بيتية لا تعوقها عن

واجباتها النسوية ، وأن تقصر هذه الصناعات عليها شيئا فشيئا حتى يأتى اليوم الذى يمتنع فيه على الرجال أن يشاركوها فى صناعة منها، وبلوغ هذه المرحلة من الاصلاح الاجتماعى مصلحة يسعى اليها الرجل كما تسعى اليها المرأة. وهى متى كانت ميسرة مطلوبة وصلت اليها الأمم دون أن تخرج المرأة من نطاق البيت الى ميدان السياسة ومعمعة الاحزاب

ان المطالبة بالحقوق نوبة من نوبات الزمن الحديث طغت على عقول الناس بعد ثورات القرن التاسع عشر التى طلبت بها الأمم حقوقها من العواهل المستبدين . فشاعت المطالبة حيث توجد الحقوق وحيث لا توجد ، وأصبحت المطالبة غرضا مقصودا لذاته وان لم يوجد الحق المطلوب . وكثيرا ما تمضى المطالبة فى طريق غير طريقها المفهوم ، ثم يتقاصر بها السعى دون الوصول . ويبدو لنا أن بعض المطالب النسوية فى الشرق وفى الغرب من هذا القبيل ، وانها تبتدىء بالمطالبة وتنتهى بالمطالبة ، لانها هى الغاية التى تدور على نفسها. وسنرى مصداق ذلك عما قريب

لكن الحقيقة التى لا خلاف عليها ان للنساء حقوقا مهضومة قد سلبت فيما مضى لانها حقوق ضعفاء لا لانها حقوق المرأة على التخصيص ، ومنها ما يرجع الى تعدد الزوجات وحرية المرأة فى اختيار الزوج وطلب الطلاق وحضانة الامهات للاطفال

وانما علينا أن نذكر — حينما نذكر هذه الحقيقة — ان المسألة هنا مسألة تنفيذ لا مسألة تشريع . فالشرائع التى تحرم مضارة الزوجات والأمهات موجودة فى البلاد الشرقية والاسلامية لا يمنع المرأة أن تستفيد منها الا سوء التنفيذ والتطبيق ، وان سوء التنفيذ والتطبيق لن يزول من المجتمع بتشريع جديد ، لان التشريع الجديد لن ينفذ على الوجه النافع ما دامت الآفة سارية حيث تسرى فى الاخلاق والعادات والتقاليد

علينا ان نذكر هذا وعلينا أن نذكر معه أن الآفة ان كانت من الاخلاق والعادات فالمرأة شريكة فيها تسىء الى الرجل كما يسىء اليها وتنغص حياته كما ينغص حياتها

ولا ضير فى هذه الحالة من اعادة الشريعة القديمة فى صورة محدودة تعين على تنفيذها وتضيق مجال الخلاف عليها ، ولكن الجهد الاكبر انما ينبغى ان ينصرف الى تثقيف العقول وتهذيب الاذواق واستحضار الواجبات دائما عند ذكر المطالب والحقوق . فما من طالب حق فى العصر الحديث الا وهو يريد أن يأخذ ولا يعطى وأن يدين المجتمع ولا يدان ، ولو أنه ذكر واجبه كما ذكر حقه لاستغنى عن نصف الطلب ان لم يستغن عن الطلب كله ، لان الحقوق لا تضيع حيث تؤدى الواجبات . وانما تضيع الحقوق والواجبات معا حين يذكر حق ولا يذكر واجب ، وحين نطلب من غيرنا ولا نطلب من أنفسنا ، وحبذا لو طلبت المرأة من نفسها كثيرا فى عصرنا هذا قبل ان تطلب القليل من غيرها . فهى هنا تملك ان تطلب وتملك ان تجاب

عباس محمود العقاد

قضية فلسطين هى قضية العرب

بقلم الأستاذ اميل زيدان

لا يسع المتأمل فى أخبار فلسطين هذه الايام الا الاقتناع بأن حالتها جد خطيرة قد تسفر بين عشية وضحاها عن جسام الحوادث

وقد صدق السير رونلد ستورز حاكم القدس الاسبق بقوله أخيرا : « ان فلسطين أشد بلدان الشرق الاوسط تعرضا للاضطراب وأكثرها توليدا للارتباك فى المستقبل »

ولقد تفاقمت مساعى اليهود فى أقطار العالم ولا سيما فى البلاد الانجلوسكسونية حيث لهم مكانة ممتازة وسطوة ونفوذ فى عالمى المال والصحافة على الخصوص . فكلما اقتربت الحرب من نهايتهـا المحتومة تحركت جحافل الدعاية اليهودية تستميل الناس بمختلف الاساليب الى العطف على القضية الصهيونية

ولا بد من الاعتراف بأن تلك الدعاية المحكمة قد نجحت نجاحا غير يسير ، كان من ثماره بعض التصريحات العجيبة التى ألقاها نفر من كبار الساسة فى أمريكا وانجلترا لمصلحة الصهيونية . ولعل أعجبها جميعا ذلك القرار الذى جاء انه طرح للبحث فى مؤتمر حزب العمال الأخير ومؤداه — الى جانب فتح أبواب الهجرة لفلسطين بدون قيد — أن يطلب الى مصر وشرق الاردن وسوريا النزول عن بعض أراضيها حتى تسع فلسطين لمهاجرى اليهود من أقطار العالم جميعا

فينبغى اذن اتخاذ خطوات عاجلة لمقابلة المساعى الصهيونية بمثلها وعرض وجهة النظر العربية على العالم . يجب أن تهب الشعوب العربية — ومصر فى المقدمة — للدفاع عن العرب الفلسطينيين كما هب اليهود فى جميع الاقطار للدفاع عن الصهيونية

فالآن وقت العمل ، والآن وقت المساومة المجدية . اما اذا تركت الامور الى ما بعد الحرب فقد تضيع الفرصة ، ولا تكون الاحوال مواتية

ولم يكتف الصهيونيون بالسعى السياسى وبث الدعاية، بل عمدوا الى التسلح على صورة واسعة . فليس بخاف أن لدى يهود فلسطين أسلحة وافرة معظمها من أحدث الانواع هربت اليهم من جهات مختلفة وما زالت تأتيهم بدون انقطاع

وقد أنشأوا هيئات ارهابية ذات أنظمة عسكرية شبيهة بالفاشستية ، ولا شك أن بينهم طائفة من المغامرين الفدائيين الذين لا يحجمون عن المجازفة بحياتهم عند الاقتضاء — كما دلت على ذلك الحوادث الاخيرة

قضية فلسطين هى قضية العالم العربى

ان مصير فلسطين يهم جميع البلاد العربية بل يرتبط بصميم كيانها . فالعناية بها ليست من قبيل العطف « الافلاطونى » أو المناصرة الكلامية

ان نظرة الى الخريطة تكفى للاقتناع بأن فلسطين بمنزلة مركز الدائرة للعالم العربى . فهى ـ فضلا عن مكانتها المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين على السواء ـ جسر المواصلات بين البلاد العربية والطريق الذى لا غنى عنه للجمع بين المصرى والعراقى والسورى واللبنانى وغيرهم من أبناء العربية

فلن تقوم للوحدة العربية قائمة ما لم تحتفظ فلسطين بصبغتها العربية ويؤمن أهلها العرب على مستقبلهم

ثم ان المطامع الصهيونية لا تقف عند حدود فلسطين بل ان برنامج الصهيونيين يشمل السيطرة ـ المالية والاقتصادية فى الاقل ـ على الجانب الاكبر من الشرق العربى ـ بعد أن يستقروا طبعا فى فلسطين وتصبح لهم فيها الاكثرية

وعرب فلسطين هم أقرب الجيران الى مصر . وقد خضعت بلادهم لمصر فترة غير قصيرة فى أيام محمد على الكبير ، وما زال الفلسطينيون يذكرون عهد ابرهيم باشا وعدله المشهور . وفى فلسطين آثار مصرية من مختلف العهود وجاليات وعائلات مصرية كبيرة

من وعد بلفور الى الكتاب الأبيض

ليس بين المشاكل العالمية مشكلة ظهر فيها وجه الحق مثل ظهوره فى مشكلة فلسطين ـ ولم تكن فلسطين قبل الحرب الماضية وحدة جغرافية أو سياسية ذات كيان مستقل ، بل كانت قسما من ولاية سورية العثمانية ، أو هى فى الواقع ـ كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية ـ الثلث الجنوبى لسوريا

وقد ظل الصهيونيون يبذلون المساعى ويعقدون المؤتمرات لانشاء وطن قومى يلم شتاتهم فلما كانت الحرب الماضية اتفقت مصلحة الانجليز ومصلحة الصهيونيين : اما مصلحة الانجليز فرغبتهم فى ايجاد نقطة ارتكاز فى الشرق الادنى وتأمين قناة السويس من الشرق، واما مصلحة الصهيونيين فالاعتماد على دولة قوية لتنفيذ أغراضهم . فكان وعد بلفور

على أن وعد بلفور لم يرم الى جعل فلسطين دولة يهودية وانما صرح بأن يكون لليهود فى فلسطين وطن قومى . وقد برت بريطانيا بما وعدت بل حققت أكثر مما وعدت

فان نسبة اليهود فى فلسطين كانت نحو ٦ أو ٧ فى المائة قبل الحرب الماضية فأصبحت الآن نحو ٣٣ فى المائة . وهذه الارقام وحدها كافية لبيان ما كسبه الصهيونيون

وقد تقلبت على القضية الفلسطينية بعد وعد بلفور أدوار كثيرة ليس يتسع المجال لسردها الى أن كانت الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ـ١٩٣٨) حيث عقد على أثرها مؤتمر

لندن الذى مثلت فيه فلسطين والدول العربية ، ولما لم يتفق المجتمعون على صيغة ترضى الجميع أصدرت الحكومة البريطانية كتابا أبيض بتاريخ ١٧ مايو ١٩٣٩ وافق عليه البرلمان وارتبطت به انجلترا وتعهدت بتنفيذه سواء أقبله العرب واليهود أم لم يقبلوه

ومضمون الكتاب الابيض :

١ ــ عدم تجاوز النسبة الحاضرة فى العدد بين العرب واليهود

٢ ــ منع بيع الاراضى لليهود الا فى مناطق معينة

٣ ــ وقف الهجرة اليهودية بعد مارس ١٩٤٤

٤ ــ اعادة النظر فى المسألة الفلسطينية بعد عشر سنوات بغية انشاء حكومة ذات استقلال ذاتى

والواقع أن سواد العرب فى فلسطين يرتضون الكتاب الابيض أساسا للتفاهم مع اشتراط النزاهة فى تنفيذه . اما الصهيونيون فلم يقبلوه ولن يرضيهم الا انشاء دولة يهودية يسيطرون على مصيرها ــ بل لقد قال أحدهم انهم يريدون أن تصبح فلسطين يهودية مثلما انجلترا انجليزية

الى أى حد نجح الصهيونيون ؟

فى فلسطين اليوم نحو ١٫٢٠٠٫٠٠٠ عربى (ولفظ «عربى» يطلق على المسلم والمسيحى على السواء ، اذ انهما متضامنان تمام التضامن) ونحو ٦٠٠٫٠٠٠ يهودى (وهو أكثر من الرقم الرسمى اذ لا شك أن عددا كبيرا من اليهود قد تسرب الى فلسطين بطرق غير شرعية)

فاما اليهود فخليط من جنسيات مختلفة ، وبرغم المساعى التى بذلتها الصهيونية لادماج الجميع فى قالب عبرانى واحد فما زالت ثمة فوارق جسيمة بين البولونيين منهم والروس واللتوانيين والرومانيين والالمان واليوغوسلاف الخ

بل انهم يؤلفون طبقات تتفاوت رقيا وفى أعلاها اليهود المنتمون الى بلاد انجلوسكسونية أو ألمانية . وهذه الطبقة العليا تنظر شزرا الى ما دونها . وأخشى ما يخشاه الصهيونيون حين تضع الحرب أوزارها أن يعود اليهود الوافدون من بلاد راقية الى مواطنهم التى نشأوا فيها وترعرعوا

وقد قامت الصهيونية كما لا يخفى بمساعدات مالية من يهود العالم أجمعين . ولا ينكر أنها بذلت نشاطا عجيبا وقامت فى بعض الاحوال بما يشبه المعجزات . على انه يحسن بنا الا نأخذ بالظاهر ، فلنحلل موقفهم من ناحيتى الزراعة والصناعة :

فاما الزراعة فلا يمارسها منهم الآن الا ٢٣ فى المائة . مع انهم زعموا ان غاية الصهيونية الاولى انما هى العودة الى الارض . أضف الى ذلك أن جانبا كبيرا من مشروعاتهم الزراعية ليس يجدى عمليا ، بل هو أشبه شىء بالمنشآت الخيرية التى لا تقوم الا على ما يأتيها من معونة خارجية

أما الصناعة فلا شك فى أن يهود فلسطين نجحوا أثناء الحرب الحاضرة ـ بمساعدة الحكومة الانجليزية ـ فى توسيع مصانعهم وانتاج أشياء كثيرة شحت فى الأسواق . وقد استفادوا فوائد جمة من هذه الناحية . غير أن من ينعم النظر فى هذا النمو السريع وفى الاحوال الاستثنائية التى تم فيها لا يسعه الا أن يبدى أشد التحفظ بشأن مصيره فى المستقبل حين ترفع المساعدة الحكومية وتفتح الأسواق للمصنوعات الاجنبية

حالة العرب الحاضرة

لقد سمع الناس كثيرا عن تقدم اليهود فى فلسطين ـ ولا عجب فاليهود أمهر من استخدم الدعاية وحذق أساليبها ـ ولم يسمعوا عن تقدم العرب الا نادرا ، فى حين أنهم قد ضربوا بسهم فى مختلف نواحى التقدم الاقتصادى والاجتماعى

ومن الانصاف أن نشير هنا الى أن تقدم العرب فى فلسطين لم يكن نتيجة للانتداب ولا للصهيونية ، بل يجوز القول انه تحقق على الرغم منهما . فالصهيونية قد حالت دون نمو العرب الطبيعى كما ان الانتداب قد منح اليهود أهم الامتيازات الاقتصادية . ولولا ذلك لتضاعف نشاط العرب ولآل اليهم استغلال الثروة الطبيعية فى تلك البلاد

ان تقدم العرب فى فلسطين قد تمشى جنبا الى جنب مع تقدم سائر الاقطار العربية فى العقود الاخيرة من السنين . وفيما يلى بعض البيانات نوردها على سبيل التمثيل لا الحصر

التربية والتعليم : ان عرب فلسطين من أكثر الشعوب ميلا الى نشر العلم والتعليم . ففى المدارس ما يزيد على ١٠٠٠٠٠ تلميذ وتلميذة من أبناء العرب . ويندر أن يوجد ولد أو بنت بين الخامسة والثانية عشرة لا يذهب الى المدرسة . وعندهم طبقة من طلبة الجامعات الشرقية والغربية . كما تخرج كثيرون فى أرقى المعاهد وتخصصوا فى مختلف العلوم والفنون

وقد أنشأوا من مالهم الخاص وبغير مساعدة خارجية عددا غير قليل من المدارس الثانوية والابتدائية والفنية . وذلك فضلا عن المدارس الحكومية التى يؤمها أبناء العرب

الصناعة : مع ان سواد العرب من المزارعين فانهم لم يهملوا الاشتغال بالصناعات . فهناك عدة مصانع ناجحة للسجاير ولعيدان الكبريت ، وأخرى للصابون وغيرها لزيت الزيتون والسمسم وللاثاث والزجاج والجلود والخزف والشكولاته والسجاد والاصباغ والحياكة الخ ..

الزراعة وتربية الماشية : معظم الزراعة فى أيدى العرب فانهم يتفوقون على اليهود فى زراعة الموالح والزيتون والخضروات ، فضلا عن زراعة الحبوب

وتدل الاحصاءات الاخيرة على أن لدى العرب من الماشية أضعاف أضعاف ما لدى اليهود . وكذلك الحال فى الجمال والخيل والبغال والحمير والدواجن

المصارف والجمعيات التعاونية : للعرب مصرفان كبيران رأس مال كل منهما عربى

صرف وما برحا فى نمو وازدياد . وفى فلسطين ما يزيد على ١٥٠ جمعية تعاونية ، مع أن الحركة التعاونية لم يمض عليها أكثر من عشر سنوات

النشر والتأليف : ان الاقبال على المطالعة شديد جدا فى فلسطين العربية ، وتصدر فيها عدة جرائد ومجلات وبها ما يقرب من ٣٠ مطبعة عربية . أما ما يوزع من صحف مصر ومجلاتها وكتبها فتزيد نسبته على مثلها فى سائر البلاد العربية

النهضة الاجتماعية : وفى فلسطين عدا ما ذكرنا نهضة اجتماعية مباركة تساهم فيها السيدات العربيات بنصيب مشكور ، كما أن هناك نهضة صحية تبدو فى المستشفيات الخصوصية العديدة وفى المستشفيات الخيرية التى تبرع بنفقاتها الطائلة كثيرون من المتبرعين

المشكلة اليهودية العالمية لا تحل فى فلسطين

قال هرزل مؤسس الصهيونية : « من السخف أن تنكر وجود مشكلة يهودية فانها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود . واذا لم توجد فى جهة حملها اليها مهاجروهم : اننا نهاجر الى الجهات التى لا نضطهد فيها ولكن ظهورنا فى تلك الجهات يحمل على اضطهادنا »

وقال برنار لازار وهو من أوثق الباحثين فى هذا الموضوع : « ان شعورا عاما كمناوأة اليهود ظهر فى كل زمان ومكان ، ليس أمرا عرضيا أو نزوعا طارئا بل لا بد أن تكون له أسباب عميقة وأصول بعيدة الغور »

حقا انها لظاهرة من أغرب ظواهر التاريخ وتفسيرها الحقيقى ان اليهود لم يشاءوا أو لم يستطيعوا الاندماج فى الشعوب التى حلوا بينها لانهم يعدون أنفسهم شعبا مختارا . فما برحت صفاتهم القومية تتميز وتتأكد رغم اختلاطهم بجميع شعوب العالم

فهذا التسامى هو علة الرزايا التى حلت بالشعب اليهودى ، فكلما حدث ضيق أو اضطراب فى جهة من الجهات تحولت اليهم الانظار وأصابتهم صنوف من الاضطهاد . على انهم لم يروا فى تاريخهم الطويل اضطهادا شاملا محكما كاضطهاد الالمان النازيين لهم

ولا شك فى أنه من واجب الساسة ايجاد حل للمشكلة اليهودية . وليس هذا مكان البحث فى الحلول الممكنة أو المقترحة . وانما يمكن القول بأن استعمار فلسطين لن يكون هو الحل الذى يرفع المظالم عن اليهود ، وليس من العدل فى شىء أن يطالب العرب وحدهم بحل مشكلة اليهود العالمية على حسابهم دون الشعوب طرا

واذا كان التاريخ يعيد نفسه فانه يخيل الينا انه ستهب بعد هذه الحرب ريح معاداة لليهود حتى بين الشعوب التى كانت تحسن معاملتهم ، فان الحرب الماضية ما كادت تضع أوزارها حتى اشتدت مناهضة اليهود فى القارة الاوربية كلها بل تعدتها الى أميركا

ولعلنا لا نكون بعيدين عن الصواب اذا قررنا أن على اليهود أنفسهم حل مشكلتهم وانه لا بد لهم من الاقلاع عن النزعة العنصرية التى لا تنسجم مع روح هذا العصر

حجج اليهود وحجج العرب

ليس أدل على براعة اليهود من أنهم استطاعوا استمالة نفر من كبار الساسة الى القضية الصهيونية فى حين انها لا تحتمل الامتحان المتزه عن الغرض . فان بطلانها واضح يكاد يثب الى ذهن المتأمل فيها ولو هنيهة وجيزة . وقد وصفها أحد كبار اليهود وهو المستر مورغنتو سفير أمريكا فى الاستانة فى الحرب الماضية ووالد وزير المالية الامريكية الحالى بقوله انها « أعظم تضليل ظهر فى التاريخ اليهودى »

أجل ان القضية الصهيونية باطلة من الناحية الجنسية ، ومن الناحية التاريخية ، ومن الناحية الاقتصادية . ولكن ليس يكفى أن يقتنع العرب بذلك بل يجب تنظيم دعايتهم على طراز عالى لبلوغ الهدف المنشود

وقد كانت حجة الصهيونيين الوحيدة هى أن فلسطين موطن اليهود الروحى ومطمع أبصارهم منذ القدم . ولكن هذه الحجة لا يعقل أن يترتب عليها تشريد أمة آمنة ليحل محلها مشردو اليهود من مختلف النواحى

الا انهم اليوم حين يدافعون عن قضيتهم يدخلون عناصر أخرى فى دعواهم :

فيقولون تارة ان البلاد العربية متأخرة تحتاج الى عنصر ممدن كاليهود

وتارة يدعون ان العرب لم يبدوا مثلما أبداه اليهود من العطف على قضية الحلفاء

ويقولون مرة ان فلسطين يمكنها ان تستوعب أكثر من خمسة ملايين نسمة ، فعلام التضييق على مهاجرى اليهود ؟

وأخرى يقولون ان اليهود قد نالهم من الاضطهاد ما يوجب تعويضهم ومساعدتهم على الاستقرار ، وقس على ذلك حججا لا تثبت أمام الفحص النزيه

فعلى العرب الى جانب تفنيد هذه الحجج الواهية اذاعة ما لديهم من الحقائق الراهنة وهى تكاد تكون مجهولة للعالم الغربى الذى لا يسمع فى الغالب الا نغمة واحدة من فريق واحد . من ذلك :

١ – ان فلسطين عربية ويجب أن تظل عربية ، وهى بلد مقدس لدى المسلم والمسيحى على السواء

٢ – ان مشكلة اليهود العالمية شىء ومشكلة فلسطين شىء آخر

٣ – ان نسبة اليهود فى فلسطين كانت قبل الحرب الماضية ٦ أو ٧ فى المائة فأصبحت ٣٣ فى المائة

٤ – ان مقاومة الصهيونية لا تتعارض مع عطف العرب على ما أصاب اليهود من محن

٥ – ان الحكومة البريطانية قد ارتبطت رسميا بالكتاب الابيض بعد تجارب طويلة دامية

٦ – ان الشعب العربى الفلسطينى شعب راق قد ضرب بسهم فى نواحى التقدم الاقتصادى والاجتماعى

٧ - انه لا قيام لوحدة عربية أو تحالف عربي ما لم تستقر الحال فى فلسطين وتحتفظ بصبغتها العربية

فلسطين والدول الكبرى

ثلاث دول سيكون لها الشأن الاكبر بعد الحرب فى العالم وفى الشرق الاوسط بصفة خاصة : بريطانيا وروسيا وأمريكا

أما أمريكا فمع انها شديدة الرغبة فى توطيد مركزها الاقتصادى فى الشرق الاوسط وفى أن تكون التجارة حرة لا امتياز فيها لدولة على أخرى - مع ذلك ومع اهتمامها العظيم بمشروعات الزيت فى البلاد العربية فلسنا نعتقد بأنها تذهب الى حد منازعة بريطانيا مكانتها الاولى فى هذه المناطق . بل الاغلب أن يتم التفاهم بين الدولتين الانجلوسكسونيتين على ما يضمن المصالح الامريكية ولا ينتقص من المكانة البريطانية

ولطالما كرر الساسة البريطانيون خطورة شأن الشرق الاوسط للامبراطورية البريطانية وقد أثبتت هذه الحرب تلك الخطورة وزادتها توكيدا حتى لقد قالت جريدة التيمس أخيرا : « ليس من عامل أشد خطورة لمصير بريطانيا كدولة عظمى من مكانتها فى الشرق الاوسط »

ولعل هذا القول يلخص موقف بريطانيا بعد الحرب واتجاه سياستها . فالرأى السائد أنه لا بقاء للامبراطورية البريطانية بدون الشرق الاوسط

فهل يمكن أن يتوطد مركز بريطانيا مع مجافاة العرب ؟ كلا . بل لقد أبدت رغبتها فى تشجيع كل حركة من شأنها التآلف بين العرب . وليس يخفى على رجالها طبعا أنه لن يتم تآلف العرب بدون فلسطين العربية . وما على الحكومة البريطانية الا أن تنفذ سياستها القائمة على الكتاب الابيض بدون تردد أو محاباة

على أن موقف روسيا ما يزال مجهولا . ويذهب بعض الكتاب السياسيين الى انها سوف تنزع بعد النصر الى سياسة التوسع خارج بلادها . فهل تتجه نحو البلاد العربية ؟ ليس يخفى ان فى روسيا ملايين من المسلمين وان بينها وبين العروبة والاسلام صلات وروابط من قديم الزمان ، على ان من سبق الحوادث التنبؤ بما تسفر عنه الايام من تفاهم أو تصادم بين بريطانيا وروسيا

***

لقد أتى تضامن البلاد العربية بزعامة مصر ومليكها المحبوب بنتائج حاسمة حين عرضت مشكلة لبنان ، ولا شك فى أن النجاح سيحالفها اذا ما وقفت فى مسألة فلسطين مثل ذلك الموقف

اميل زيدان

الحياة النيابية

بقلم الأستاذ احمد امين بك

كما أنه من العبث أن يشترى رب البيت أزهارا اذا لم يكن عنده خبز ، كذلك من العبث أن تنفق الأمة الاموال الطائلة على أنواع الزينة والترف وفلاحها لا يشرب ماء صافيا ولا يأكل أكلا كافيا

ها نحن فى مصر نبدأ حياة نيابية جديدة ببرلمان جديد، فمن الواجب أن نتحدث ونكثر الحديث عن هذه الحياة وواجبنا نحوها وآمالنا فيها وما ينتابها من عيوب وما يصادفها من عقبات ، وأهم ما يقوم به البرلمان أعمال ثلاثة

١ ـ مراقبة الحكومة فى أعمالها ، فالوزراء يقومون بأعمال الدولة ولكنهم قد يصيبون وقد يخطئون فواجب كل حزب وكل عضو فى البرلمان أن يتتبع أعمال الوزراء فى وزاراتهم ويدرس ما يعملون ويكون رأيا فى تصرفاتهم أأخطأوا أم أصابوا فان رأى خطأ استفسر عنه وبحثه مع أهل الاختصاص فان اقتنع بعد كل هذا بخطأ الحكومة رفع صوته فى البرلمان بنقدها ـ مثال ذلك أن عضوا بلغه سوء حال التموين فى بلد ، وحصول الظلم فى التوزيع فليبحث ذلك وليسافر الى حيث يقع الظلم وليتحقق مما قيل وليجمع الادلة والبراهين على هذا الظلم ثم ليتكلم فى صراحة وليستمع للرأى المعارض فان تبين الحق بجانبه وجب على الحكومة ان ترفع هذا الظلم والا صوت البرلمان ضدها وأسقطها

والفكرة الاساسية فى هذا أن البرلمان معناه حكم الشعب نفسه بنفسه فكل له نصيب فى الحكم هذا عن طريق العمل ، وهذا عن طريق المراقبة والاشراف ، فاذا شعر المنفذ أن وراءه قوة كبيرة تراقبه فتح عينيه وتحرى العدل وخشى الحساب العسير فسارت العدالة فى الامة سيرا حسنا والا تخلت الحكومة عن الحكم لمن يقوم بصالح الامة خيرا منها

٢ ـ والامر الثانى تشريع القوانين ، وذلك ان الامم فى تطور مستمر والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى حركة مستمرة فلا بد أن يتنبه البرلمان والحكومة لكل مايجرى حولها وتواجه كل ما يعرض من المسائل الهامة بتشريع جديد ـ إن حالة الامة كحالة السيارة يجب أن تصلحها اذا فسدت ، ونغيرها اذا تلفت ، ونأتى بنوع جديد منها اذا أدى أغراضا خيرا من النوع القديم ـ وكل أمة لها تشريع يناسبها ، فالتشريع فى البلاد الزراعية غيره فى البلاد الصناعية وفى البلاد الغنية غيره فى البلاد الفقيرة وفى البلاد التى

قطعت شوطا بعيدا فى المدنية غيره فى البلاد نصف المتمدنة وهكذا ، والمسئول عن التشريع الصالح فى البلاد الحكومة والبرلمان معا ، والمصدر دائما هو البرلمان وواجبه أن يتعرف ما يناسب الامة وما لا يناسب وما هى فى حاجة اليه من التشريع وكيف يكون ، وهذا عمل هام من أعمال البرلمان لان كل اصلاح فى الامة يرجع الى التشريع كيف يوضع وكيف يسار فيه حتى يحقق الغرض منه وهكذا ـ ان أردت مكافحة الامية أو معالجة الفقر أو اصلاح الزراعة أو ترقية التعليم أو القضاء وجب التشريع لكل ذلك ، وكلما قطعت الامة مرحلة من مراحلها ودخلت فى مرحلة جديدة وجب أن يسايرها التشريع المناسب ـ فقد كنا ننظر مثلا الى التعليم على أنه من واجب الآباء ان شاءوا علموا أبناءهم وان شاءوا أهملوا ثم ارتقت الافكار وأصبحنا نرى ان واجب الحكومة ان تزيل الامية بتاتا وان من لم يطع يعاقب فكان لا بد من تشريع جديد

٣ ـ الامر الثالث ـ الاشراف على ميزانية الدولة وذلك لان المال عصب الحياة ووسيلة الاصلاح فى كل ناحية من نواحيها ، فان أردت التعليم فبالمال ، وان أردت الجيش فبالمال ، وكذلك الشأن فى أمور الزراعة والاشغال والتجارة وما الى ذلك ، فمن غير المال الكافى تشل حركة الحكومة ويستحيل أى ضرب من ضروب الاصلاح ـ ومن أجل هذا كان من أهم أعمال البرلمان الاشراف على ميزانية الدولة فبهذا الاشراف يتحكم البرلمان فى كيف يجمع المال من الضرائب وغيرها وكيف ينفق

وكان للبرلمان هذا الحق لانه يمثل الامة والامة هى التى تدفع الاموال فيجب أن تسيطر على طرق انفاقها بواسطة ممثليها

والبرلمان الراقى الناجح هو الذى يستطيع بثقافته ودقته وسعة اطلاعه وخبرته ودراسته أن يعرف أى النواحى أحوج الى المال من غيرها ، ومقدار ما تحتاجه كل ناحية على حسب ما يصدر عنها من خير ، وكيف يفرق بين ضروريات الامة وكمالياتها فلا ينفق على الكماليات قبل الضروريات فان كان ولا بد فتجب مراعاة النسبة بين الضروريات والكماليات ، فكما انه من العبث ان يشترى رب البيت ازهارا اذا لم يكن عنده خبز كذلك من العبث ان تنفق الامة الاموال الطائلة على انواع الزينة والترف وفلاحها لا يشرب ماء صافيا ولا يأكل أكلا كافيا

هذه هى الاركان الثلاثة التى بنى عليها البرلمان وما عداها فثانوى لها وقليل الاهمية بالنسبة اليها . والبرلمان الحق هو الذى يرعى مسائله بحسب أهميتها ويعطيها من المجهود والعناية والدرس حسب استحقاقها

فى ضوء هذا نستطيع ان نتعرف أمراضا تعترى البرلمانات ، وعيوبا تشل حركتها ، وتصرفها عن أهم وظائفها ، ولنمثل لذلك ببعض الامثلة

١ ـ فمن أهم العيوب ان يتنحى البرلمان عن واجبه فى الرقابة ويشغل نفسه بتوافه

الامور كان ينقسم أعضاؤه الى قسمين : قسم يهتم بتأييد الحكومة مهما أخطأت ، وقسم يهتم بالعمل على اسقاطها مهما أصابت ، وبذلك يجعلون الامر أمر من يتولى الحكم بدل أن يكون الامر فى وضعه الصحيح وهو كيف توجه سياسة الحكم الى وجهتها الصالحة وبهذا تسخر كل قوى الحكومة وقوى المعارضة وقوى التأييد الى نزاع حول الحكم من يتولاه والوظائف ومن يشغلها وتضيع الدراسة الحقة والتوجيه الصالح والنقد البرىء ، وينقلب الامر الى مهاترات ومؤامرات وتهريجات ويوجه خصوم الحكومة كل جهودهم لخلق العقبات وتوجه الحكومة وانصارها كل جهودها لاحباط المؤامرات وتكون النتيجة صفرا دائما فلا الحكومة فرغت لدراسة شؤون الدولة وواجب الاصلاح ولا المعارضة فرغت للدرس النزيه لمعرفة فوائد المشروعات المعروضة ومضارها ، ويصبح الامر كمن يبنى كل يوم جديدا وغيره كل يوم ينقض ما بناه صاحبه فمحال أن يكون مع ذلك بناء

ويستتبع ذلك أن تصرف الاموال هباء فى سبيل خلق المؤامرات واحباطها وشراء الذمم بالرشا وما اليها واستخدام الابرياء كالطلبة والزج بهم فى أهواء الحكم بين تأييد وتفنيد وهكذا من مضار لا تحصى ومرجع ذلك كله الى الغفلة عن الغرض من البرلمان

٢ ـ جهل العضو البرلمانى بواجبه الذى أشرنا اليه وانه أمانة فى عنقه ودرس لما يعرض عليه وتفكير فى وجوه الاصلاح ينشدها ويتقدم بالتشريع لها وسماع صوت ضميره عند التصويت ـ وتحويل ذلك كله الى وجاهة يستغلها فى قضاء مآربه الشخصية وسلعة يبيعها لمن أراد حسب الثمن الذى يعرض لشرائها وتضييعه النهار والليل فى اللف على الوزارات ومقابلة رجال الدولة يرجوهم فى نقل موظف أو تعيينه أو ترقيته أو نحو ذلك من الشؤون الخاصة وينسى بذلك أول واجب عليه وهو انه يمثل الامة لا بلدته ولا مركزه ولا فلانا وفلانا

٣ ـ كذلك من أهم ما يفسد البرلمان لعب التيارات الخفية التى توحى باتجاهات خاصة للظروف والمناسبات والملابسات ومحاولة صياغتها فى شكل مصلحة عامة ظاهرة بريئة فالبرلمان الحق هو الذى يرعى مصلحة الامة وحدها ويدرس المسائل كما يدرس القاضى قضيته ـ كل شىء فيها على المكشوف ، المدعى يدعى دعواه والخصم يفندها والقاضى يقدر قول الخصمين التقدير القانونى العادل وينطق بحكمه بناء على ذلك فقط فان هو راعى تيارات خفية من وجاهة أحد المدعين أو أى اعتبار آخر غير ما ذكرنا كان قضاؤه فاسدا وبعث بذلك الفزع فى نفوس المتخاصمين ، فكذلك الشأن فى البرلمان ، ما لم يدرس مسائله على المكشوف ولم تلعب به التيارات الخفية وما لم يتجرد من كل اعتبار الا مصلحة الامة فبرلمان مزيف

احمد امين

اللغة العامية العراقية

بقلم الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

خالطت الناس فى رحلتى الاخيرة الى العراق أكثر مما فعلت فى المرتين السابقتين ، فزادنى ذلك معرفة بأحواله ، واطلاعا على شؤونه ، وفهما لروحه . ولست أزعم أنى أصبحت خبيرا بأموره ، ولا أنا أطمع أن أرشح يوما ما ، لمهمة من مهمات الاخصائيين فيه ، وكل ما أعنيه هو أن مسافة الزمن التى قضيتها هناك كانت أطول فاطلاعى كان بفضل ذلك أوسع

ولى ، كما يعرف القراء ــ أو كما لا يعرفون ــ عناية خاصة بدرس اللهجات العامية ، والاهتداء الى ما يتسنى الاهتداء اليه من أصولها العربية الفصيحة ، لانى أوثر أن استعمل اللفظ المأنوس الدائر على الألسنة ، دون الدارس والحوشى المهجور . وأبادر فاطمئن القراء فأقول انى لا أنوى فى هذا الفصل أن أصدع لهم رؤوسهم ببحث فى عامية العراق. فلست ، على كثرة عيوبى ، قليل الذوق ، أو لعل الاصح أن أقول انى حريص على الاقتصاد فى حسن الظن بالقراء

وسأكتفى فى هذا الفصل بما هو أشبه بأن يكون للتسلية ، وأجرى فى مجراها ، ويحسن قبل أن أدخل فى الموضوع أن أنبه الى وجوب التفريق بين الخاصة والعامة ، وبين المتعلمين وأشباههم أو الاميين ، فان المتعلمين على العموم يستعملون فى كلامهم لغة لا تفاوت بينها وبين لغة المتعلمين عندنا ، على الجملة . ولولا النبرة الخاصة ، لما أحس السامع فرقا ، أو شعر انه انتقل من القاهرة الى بغداد ، أو تنبه الى انه مصرى وجليسه عراقى

على أنه حتى المتعلمين تجرى ألسنتهم حين يرسلون النفس على السجية بألفاظ من العامية العراقية ، يغمض معناها على الغريب فى بداية الامر ، مثل « أكو » بمعنى يوجد ، و « ماكو » بمعنى لا يوجد . وهما بديلان من قولنا فى مصر « فيه » و « مافيش » . وقد أعيانى ان أهتدى الى أصل اللفظين ، على كثرة ما سألت واستفسرت . ويقول بعضهم ظنا لا تحقيقا ، انهما من فعل « كان » وليس يسعنى أن آخذ بهذا الرأى ، وان كنت لا أستبعده

وكلمة « فرد » مما تسمعه مائة مرة فى خمس دقائق . وهى عربية صحيحة وان كان الظن الشائع انها غير ذلك ، وأذكر أن ابن الأثير استعملها فى كتابه المثل السائر ، فتسمعهم يقولون : فرد رأى ، وفرد كتاب ، وفرد حفلة ، وفرد اقتراح ، وفرد خطبة ــ وفرد كل شىء كائنا ما كان ، معنويا كان أو ماديا

ومن الالفاظ الشائعة « زين » وهى عربية كما هو ظاهر ، ويستعملونها فى جواب السؤال ، أو بمعنى « حاضر » فى عاميتنا ، فتقول « زين » فى جواب السؤال عن صحتك مثلا ، أو عن حالك ، ويقول لك الخادم « زين » اذا طلبت منه شيئا ، أو كلفته أمرا .
وتقول « زين » أيضا اذا أردت أن تعرب عن الموافقة أو الارتياح أو الثناء ـ بايجاز

وعلى ذكر الصحة أقول انهم يسألون عن « اللون » فيقولون « ايش لونك ؟ » أو « كيف لونك ؟ » يعنون الصحة أو ما هو أعم أى جملة الحال

ومن الكلمات الكثيرة الاستعمال « خوش » بمعنى حسن ، أو جيد ، وأصلها على ماقيل لى اذا كانت الذاكرة لم تخنى ، من التركية ، فتقول : خوش حفلة ، أو خوش رجل أو خطبة أو أى شيء آخر . ويجب فى كل حال تقديمها على الموصوف ، خلافا للمألوف

ويستعملون لفظ « التخت » للسرير ، وهو شائع فى البلاد العربية ، كما يستعملون « القرشبة » بالمعنى عينه

وقد يستعملون « الجبة » أى القبة ـ بقلب القاف جيما ـ ويعنون بها البيت

ولهم ألفاظ غريبة مأخوذة من لغات أخرى مثل « القندرة » بضم القاف أى الحذاء ، وينطقونها فى غير العراق بالكاف المصرية . وأقول المصرية لان رسم الكاف ينطق فى العراق كالجيم المصرية المعطشة ، ومن هنا تراهم يرسمون « الجراج » « الكراج » و « يوجوسلافيا » « يوكوسلافيا » واظن أن هذا من التركية

و « الخاتون » ويعنون بها السيدة ، واللفظ يستعمل للتوقير ، أو للتهكم والسخرية بحسب المقام وما يفهم من مقتضى الحال

ومن الالفاظ التى تستعصى على الغريب « البوق » بمعنى السرقة و « البواق » بمعنى الحرامى أى اللص . و « يباوع » بمعنى ينظر ، ويزعمون أن العين أصلها همزة ، وان البؤبؤ معناه ناظر العين ، وتقول عاميتهم « بيبى عيونى » أى ناظر عينى أو حبتها

ومن غريب عاميتهم كذلك « الخاشوجة » بمعنى « الملعقة » التى يؤكل بها ، و «سكاملى» للكرسى ، و « هوايه » أى كثير ، فتقول أحبك هوايه أى كثيرا ، ويخيل الى انى لم أسمع هذا اللفظ الا فى رحلتى الاخيرة ، على انى قد أكون مخطئا

وقد استعاروا ألفاظا من الانجليزية ، فسموا الخادم والندل « بوى » ولا أذكر انى استطعت قط أن انادى خادما بهذا اللفظ ، واتخذوا كلمة « جلاس » للكوب ، فتسمعهم يقولون « جلاس ماى » أى كوب ماء ، وكلمة « جروب » بمعنى فرقة ، فيقول القائل منهم « جروب مال الحقوق » أى فرقة تابعة لكلية الحقوق ، و « مال » لفظ يستعملونه بمعنى التبعية ، أو للاشارة الى المصدر ، فيقولون مثلا « مال الشام » أى من واردات الشام ، أو مصنوعاتها أو منتجاتها . وهو استعمال ليس بالغريب على مصر وان كان قد ندر جدا

وهم يحركون الساكن وخاصة اذا كان اللفظ ثلاثيا ، فيقولون « النهر » بفتح الهاء ،

ويرون التحريك أخف من التسكين ، ولا عجب فان حركتهم دائمة وسكونهم قليل ، وهذه مزية لهم ، وعيب فيهم ، فى آن معا ، فليت حركتهم أقل وسكونهم أكثر !

ومما يجعل فهم العامية العراقية على الغريب أصعب انهم يقلبون الكاف شينا ، بل ثاء وشينا . فيقولون « لتشى » يريدون « لك » فى خطاب المرأة ، و« أحبتش » أى « أحبك » فاذا تكلموا بسرعة ، وكثرت الكافات فى ألفاظهم ، فالله فى عون السامع ! وما أكثر ماكنت أقول لهم حين يسك سمعي هذا اللفظ « ألا تتكلمون العربية ؟ » فيكفون عن هذا القلب والابدال ترفقا بى ، وتمكينا لى من الخوض معهم فى الحديث

على أنهم فى العادة ، أبطأ منا كلاما ، واكثر أناة ، وأقل ثرثرة ، على انك لا تعدم من يتدارك كلامه ويتقارب ، ويتتابع فى عجلة ، فلا تكاد تفهم لسرعته ولكثرة ما يقلب من الحروف ، ويستعمل من الالفاظ التى لم تألفها أذن الغريب

ومن مزاياهم الملحوظة التى لا يسع المصرى الا أن يفطن اليها بسرعة ان الحلف فى كلامهم نادر ، على خلاف عامتنا ، فقلما تسمع أحدا يحلف بالله العظيم ، أو النبى ، أو أحد من الاولياء ، على نحو ما يفعل المصريون أو العامة منهم

ومن غريب استعمالاتهم انهم يقولون عن المغنى أو المغنية ، أو المتحدث — فى الاذاعة خاصة — انه « يقرأ » ، أو انها تقرأ ، والمعنى مفهوم ، ولكن الغرابة فى اطلاق لفظ القراءة على الغناء

ولكل أمة عاميتها ، أو لهجاتها العامية ، وفى مصر من العامية لهجات شتى ، وقد حدثنى قاض انه كان يحتاج فى بعض الاقاليم الى من يترجم له أقوال الشهود أو المتهمين من أهل ذلك الاقليم ، لشدة التعويص فى كلامهم ، وفرط اختلاف النبر واللهجة ، والعدول بمخارج الحروف عن وجهها المألوف . فلا غرابة اذا وجد المصرى فى العراق بعض الصعوبة فى فهم العامية فى أول الأمر

ابرهيم عبد القادر المازنى

ثلاثة لا ينبغى للعاقل أن يستخف بهم ، العلماء والسلطان والاخوان . فمن استخف بالعلماء أفسد دينه ، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه ، ومن استخف بالاخوان أفسد مروءته « عبد الملك بن مروان »

أشواك .. في سبيل السلام

بقلم الأستاذ ابراهيم زين الدين

أخفقت عصبة الامم فى صيانة السلام الدولى اخفاقا مريرا ، كان من أولى نتائجه قيام هذه الحرب التى هددت بالزوال ما بقى قائما من النظم والمثل ، وزلزلتها زلزالا شديدا

وقد اصطبغت الحرب القائمة بصبغة خاصة هى أن النظم الدولية والمثل الانسانية كانت هى الاخرى ميادين عراك ومجالدة ، فكان لا بد اذن للديموقراطية من أن تفصح بجلاء عن مراميها وسبلها وموقفها من السلام العالمى المنشود ، وكان أن اجتمع روزفلت وتشرشل فى عرض المحيط ، وأصدرا فى ١٤ من اغسطس سنة ١٩٤١ ما سمياه وثيقة الاطلنطى

وما من ريب فى أن اعلان هذه الوثيقة كان فيه ظفر كبير للانسانية كلها ، وللشعوب والحكومات الصغيرة على وجه الخصوص ، أما الانسانية بصفة عامة فقد ظفرت منه باعلان الرغبة فى اقامة دعائم السلم الذى يتيح لجميع الامم وسائل العيش الدائم ويمكن الناس فى جميع انحاء المعمورة من أن يحيوا فى مأمن من الشقاء والخوف والفقر والجهل

وأما الشعوب والحكومات الصغيرة فقد ظفرت منه بقفل باب التوسع الجغرافى ، والتبدل الاقليمى القهرى ، وباعلان حقها فى اختيار شكل حكوماتها ، وباعادة الحرية للامم المغلوبة على أمرها . وأخيرا باعلان حرية الملاحة ، وحرية التجارة ، مع المساواة فى الفرص الاقتصادية

ومع أن هذا التصريح قد صدر من جانب انجلترا والولايات المتحدة وحدهما ، دون اشتراك روسيا ، فان هذه الدولة الاخيرة ، مع بقية دول الحلفاء قد أصدرت فى أول يناير سنة ١٩٤٢ تصريح لندن ، الذى اعلنت فيه عن مساهمة حكوماتها فى وضع منهاج مشترك للاغراض والمبادىء التى تضمنتها وثيقة الاطلنطى . وهكذا أصبحت هذه الوثيقة دولية وملزمة للدول الثمانى والعشرين التى وقعت على هذا التصريح

وقد ظهر فيما بعد مع الاسف الممض ، انه ما كادت تبدو بشائر السلام ، وتستعرض كل دولة شؤونها ومصالحها ، حتى بدا لبعضها أن مبادىء هذا الميثاق ترتطم بهذه المصالح فأخذت تبعا لذلك تبتدع تفاسير تتفق وهذه المصالح ، أو تحاول تدعيم مبادىء أخرى تجرى وفقا لاغراضها ، وهكذا بدأت الاشواك تنتثر فى طريق السلام العالمى لتعيقه — أو لتدميه — وما اشبه الليلة بالبارحة

وأهم هذه الاختلافات واكثرها خطرا ، هو الخلاف القائم حول : (تشكيل هيئة السلام المنتظرة) ، اما الولايات المتحدة ، وقد أظهرت دائما تحمسها لتوطيد مبادىء ميثاق

الاطلنطى ، فقد أعلنت بلسان سمنر ويلز فى ٢ يونيه ١٩٤٣ بأنه لا بد من الاعتراف عمليا بمبدأ تساوى جميع الدول فى السيادة للكبيرة منها والصغيرة . وجاء مجلس الشيوخ فأصدر فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٣ قرارا معدلا لاقتراح السناتور كونللى جاء فيه : « ان مجلس الشيوخ يقرر بضرورة انشاء هيئة دولية عامة فى أقرب وقت مستطاع تقوم على مبدأ السيادة المتكافئة لجميع الدول المحبة للسلام ، ويفتح باب الاشتراك والعضوية فيها لجميع الدول المستقلة صغيرها وكبيرها »

وكتب وليم هارد الكاتب الامريكى المعروف يقول : « ان السبيل الوحيد لانشاء سلم عالمى هو قيام هيئة عالية تمثل فيها الامم قاطبة على قاعدة المساواة التامة ، وأشار الى أن الولايات المتحدة متأثرة بمبدأى العدالة والمساواة قد سحبت جنودها من نيكاراجوا — وسانتو دومنجى — وهايتى — ونزلت عن حقها فى التدخل فى شؤون جزيرة كوبا »

وأما روسيا السوفياتية فقد أصدرت فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٤ بيانا فى واشنطن جاء فيه أن سياستها الخارجية تقوم على المبادىء الآتية :

أولا — انشاء علاقات سلمية مع جميع الدول بصرف النظر عن نظمها السياسية

ثانيا — التعاون الاقتصادى والسياسى على أساس المساواة فى السيادة واستقلال الدول المتعاهدة

ثالثا — التحالف ضد كل اعتداء

رابعا — رفض التوسع الاستعمارى

خامسا — عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الاخرى

سادسا — تقوية وحدة الشعوب المحبة للسلام فى نضالها ضد المعتدين الفاشست

ومن استقراء هذه المبادىء يتبين أن نظرية روسيا فى تأليف هيئة السلام تتفق مع نظرية الولايات المتحدة فى وجوب تمتع الدول المشتركة فيها بكامل حقوق السيادة بلا فرق بين كبيرها وصغيرها

نظرية التجمع

وتوجد بجانب هذه النظرية ، نظرية أخرى تقول بتجمع الدول الصغيرة تحت كنف دولة كبيرة تكون هى الدولة السائدة Supernation ، ومن مؤدى هذه النظرية الانتقاص من سيادة الدول الصغيرة بحيث لا تمثل فى هيئة السلام على قدم المساواة مع الدول السائدة

وأول من نادى بهذه النظرية هو المارشال سمطس ، فقد أشار بأن تضم دول أوربا الغربية الى انجلترا فى شكل تحالف تسوده بريطانيا . ولقيت هذه النظرية رواجا فى انجلترا نفسها ، ونادى بها علماؤها — من أمثال ويلز الكاتب المعروف ، وكول الاستاذ بجامعة اكسفورد ، ولاسكى الاستاذ بجامعة لندن — فقد قالوا ان عهود القوميات يجب أن تنقضى ، لانها كانت من الاسباب التى أثارت الحروب ، وانه يجب لحماية السلام أن تتولى

الامم الكبيرة السيادة على الامم الصغيرة لتختفى النزعات القومية ، وتقل أو تنمحى الخلافات الدولية

النسبة التمثيلية

ويقع وراء هذا الخلاف النظرى بين المبدأين خلاف آخر خفى وجوهرى ــ يتمثل فى رغبة الدول فى أن يكون لكل منها اكثر عدد من الاصوات فى هيئة السلام ، وقد بدأت روسيا فعدلت دستورها فى شهر فبراير سنة ١٩٤٤ تعديلا صار من مقتضاه الحق لكل جمهورية من الجمهوريات الست عشرة الداخلة فى الاتحاد السوفياتى ، حق انشاء علاقات خارجية مباشرة مع الدول الاجنبية ، وعقد المعاهدات معها

وقد أثار هذا التعديل دهشة فى دوائر الحلفاء ، وعلى الخصوص فى واشنطن ، حيث قالت دوائرها وصحفها أن روسيا أرادت بهذا التعديل أن يكون للاتحاد السوفياتى صوت يعادل فى قوته وعدده صوت الامم المتحدة عند تقرير الانظمة العالمية المستقبلة ، وفى جماعة السلام المنشودة

وترى بعض دوائر الولايات المتحدة هذا الرأى نفسه فيما يتعلق بالوحدة العربية ، ولكن الوضع يختلف اختلافا ظاهرا فان جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر الوحدة العربية ــ فيما عدا فلسطين ــ دول معترف باستقلالها ، ومن حقها وفقا لقواعد ميثاق الاطلنطى أن تمثل فى هيئة السلام تمثيلا مستقلا منفردا

شكل هيئة السلام

ويأتى بعد هذا الاختلاف ــ وتبعا له ــ اختلاف آخر حول الشكل الذى تتمثل فيه هيئة السلام . فهنالك نظرية تقول بتاليفها على هيئة بوليس دولى يشرف على أمور السلم وينظمها ويصونها . وهنالك نظرية أخرى تقول بانشاء هيئة البوليس الدولى كهيئة تابعة لهيئة السلام ، ولكن روسيا تقول ان فكرة قيام بوليس دولى ، انما هى فكرة غير عملية ، وغير قابلة للتنفيذ . ومن ثم فانها تثير كثيرا من المشاكل ، يكون من الخير تجنبها ، وهى ترى مع هذا أن تنشأ هيئة السلم من الدول المحبة للسلام ، بحيث تتضامن على قدم المساواة ، فى صون سلام العالم من كل اعتداء

الخلاف حول معاملة المانيا

ان المبادىء التى أعلنها ميثاق الاطلنطى لا تنص على وجهة نظر معينة فيما يختص بمعاملة المانيا بعد الحرب . وقد تعددت الآراء وتنوعت ما بين التشديد والتساهل الى أن خطب أخيرا فى يناير سنة ١٩٤٥ مستر ستافورد كريبس وزير انتاج الطائرات فى حكومة لندن فأشار بأن تعامل المانيا معاملة رفق لا معاملة انتقام

أما روسيا فلها رأى معروف فى هذا الموضوع لا يتفق مع وجهة نظر ستافورد كريبس ومن يرى رأيه ، فهى ترى أن النازيين قد أصابوا روسيا فى رجالها وفى مرافقها بضر عميق . وان على ألمانيا أن تدفع ثمن هذا الضر ، والا تمكن من السير فى مضمار حياتها العادية الا بعد أن تعوض الروسيين عما فقدوه تعويضا كاملا عادلا . وهى ترى أن تمثيل ألمانيا فى هيئة السلام ـ تبعا لرأى من يقول بذلك ـ انما هو تمكين لها من تعكير السلم مرة أخرى

ويقول الآخذون بنظرية الرفق ان الاخذ بنظرية العنف يؤدى بالشعب الالمانى الى الاستماتة فى نضاله وان فى هذا اطالة للحرب ، وتضخيما لآثارها . وانه ليس هنالك ما يبرر هذا اذا كان فى مقدور الشعب الالمانى أن يستسلم بعد أن يدرك انه سيعامل معاملة عادلة

هذه هى أوجه الخلاف الرئيسية . وهى كما رأينا خلافات تتصل بالجوهر ، وهنالك اختلافات أخرى كثيرة ، بعضها قديم ، وبعضها حديث . وسنشير فيما يلى الى أهمها :

الحدود البولندية

فى أوائل هذه الحرب غزت ألمانيا وروسيا بلاد بولندا تنفيذا لميثاق سنة ١٩٣٩ الذى عقد بين الدولتين . فلما تغير وجه السياسة وغزت ألمانيا روسيا ، عقدت هذه الاخيرة مع بولندا فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٤١ ميثاقا وقعه فى لندن الجنرال سيكورسكى عن بولندا ، والرفيق مايسكى عن روسيا ، وقد جاء فيه أن التعديلات الجغرافية التى تضمنها ميثاق سنة ١٩٣٩ الذى عقد بين روسيا وألمانيا قد فقدت قيمتها القانونية

ولكن حدث بعد هذا أن أذاع الالمان انهم عثروا على مقابر لجثث عشرة آلاف ضابط بولندى أعدمهم الروس ، فثار الخلاف من جديد بين الحكومتين وكانت أهم مظاهره مسألة الحدود بين البلدين

وفى اغسطس سنة ١٩٤٤ عرضت الولايات المتحدة وساطتها لحل هذا الخلاف ، ولكن روسيا رفضت هذه الوساطة

وفى ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٤ صدر بلاغ عن وزارة خارجية روسيا قالت فيه بمناسبة مرور الجيش الاحمر بأراضى بولندا « ان الحكومة السوفياتية لا تريد الاستيلاء على أى جزء من الاراضى البولندية ولا احداث أى تعديل فى النظام الاجتماعى البولندى . . »

ورغم هذا فقد تجددت الخلافات حول تعيين الحدود فأصر الروس على أن يعتبر خط كرزون المرسوم فى سنة ١٩١٩ حدا ثابتا ، ورفض البولنديون قبول هذا الحد ، فكان أن تدخلت روسيا فى شؤون بولندا ، واعترفت بقيام حكومة لوبلين الموالية لها ، منكرة الحكومة البولندية القائمة فى لندن ، والمعترف بها من الحلفاء

بترول ايران ورومانيا

عقب ان احتلت روسيا وبريطانيا بلاد ايران بحجة حماية مصالح الحلفاء ، أعلن روزفلت وتشرشل وستالين أثناء اجتماعهم فى طهران فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ انهم متفقون مع حكومة ايران فيما يختص بصون استقلالها وسيادتها ووحدة أراضيها

ومع هذا فقد تدخلت روسيا فى شؤون ايران الخاصة . وآخر مظاهر هذا التدخل انها وجهت الى حكومة ايران التى كان يرأسها السيد محمد سعيد انذارا تتهمها فيه بانها خالفت المعاهدة الروسية الايرانية المعقودة فى سنة ١٩٢١ والتى تعهدت ايران بمقتضاها بعدم منح امتيازات للاجانب فى شمال ايران . وان لروسيا تبعا لهذا أن تعيد الامور الى ما كانت عليه قبل هذه المعاهدة ، وان تعتبر شمال ايران منطقة نفوذ سوفياتية !

وقالت ايران ان روسيا قد خالفت تعهدات ستالين فى مؤتمر طهران لانها تدخلت عمليا فى شؤون ايران الداخلية بأن سمحت للجنود السوفياتية بدخول العاصمة وحماية المظاهرات التى قام بها حزب الشعب الذى يناصر الشيوعية

هذا الى أن روسيا أصرت على أن تستولى من ايران على امتيازات خاصة بالبترول ، وأصرت ايران من جهتها على رفض هذا الطلب ، وكان ان استقالت وزارة السيد محمد سعيد تحت ضغط المطالب الروسية وخلفتها وزارة أخرى ما تزال تعالج هذه الازمة

وفى الواقع ان هذا الخلاف انما تمتد جذوره الى أبعد من ان يكون نزاعا خاصا بين روسيا وايران لانه انما يتصل بطريق مباشر بمصالح انجلترا والولايات المتحدة . اما انجلترا فان لها امتيازات بترول فى ايران ، وهى تحرص من جهة أخرى على سلامة الحدود الايرانية لانها فى الطريق الى الهند والعراق

واما الولايات المتحدة فقد أنشأت فعلا فى ايران مصالح اقتصادية هامة . واننا لنذكر انها أوفدت الى ايران بعثة اقتصادية امريكية وان رئيس هذه البعثة قد استقال بحجة أنه لم يتمكن من أداء مهمته ، ولا بد أن هذا كان بسبب ضغط النفوذ الروسى على حكومة طهران ، وهكذا ينشب الخلاف سافرا بين الدول المتحدة فى مكان آخر مما يسمونه مناطق النفوذ ، أو المجال الحيوى

وينشب الخلاف بين روسيا وحليفتيها أيضا فى رومانيا ، فانه لما أجلا الالمان عن رومانيا ، واحتلتها الجنود الروسية ، نزع الروس عددا من آلات استخراج الزيت ونقلوها الى بلادهم بحجة انها منشآت أقامها الالمان ، وانها تستولى عليها تعويضا عما فقدوه من مثيلاتها ، وشك الأنجليز والامريكان أن يكون هذا الاستيلاء قد مس منشآتهم الخاصة فى بلويستى ، وطلبوا لهذا أن يسمح لخبراء منهم بفحص هذه المنشآت ، ولكن روسيا رفضت هذا الطلب

مؤتمر الطيران الدولى

عقد هذا المؤتمر فى العام الماضى ، ولم يصل الحلفاء فيه الى اتفاق عام . وكان أظهر مسائل الخلاف فيه ان الولايات المتحدة اقترحت فتح باب المنافسة الحرة فى حركة النقل الجوى الدولى ، وحرية نقل البضائع من دولة أجنبية الى دولة أخرى

وقد أدرك البريطانيون ان من شأن اقرار هذين الاقتراحين هو ان تتمكن الولايات المتحدة عن طريق انتاجها الهائل ، ودربة طياريها ، واستعداد مصانعها ، من أن تحتكر خطوط النقل الجوية فى العالم ، فعارضوا فيهما ، وقالوا فيما يتعلق بالاقتراح الاول بأنه يجب أن يوضع نظام محكم عادل للطيران المدنى عن طريق سلطة دولية . وقالوا عن الاقتراح الثانى ، انه يكسب الناقلات الامريكية فرصة غير عادلة لمزاحمة الخطوط الجوية البريطانية حتى فى داخل بريطانيا نفسها

ويبدو أن الولايات المتحدة مصرة على وجهة نظرها فى هاتين المسألتين فقد صرح أخيرا السناتور جيمس ميد عضو لجنة تحقيق الدفاع الوطنى فى مجلس الشيوخ بأنه يجب أن تحتفظ الولايات المتحدة بحق هبوط طائراتها فى جميع القواعد التى شيدتها فى البلاد الاجنبية ، وخاصة فى سلسلة القواعد التى تمتد من الدار البيضاء الى القاهرة

وقال أيضا ان السناتورين جيمس تونل وهارولد بورتون ، وهما عضوان فى لجنة تحقيق الدفاع الوطنى ، سيقومان قريبا برحلة تفتيشية فى افريقيا الشمالية وانهما سيكلفان بالبحث فى حقوق أمريكا ــ الحاضرة والمستقبلة ــ فى قواعد افريقيا الشمالية

وهكذا نرى أن المصالح الخاصة قد طفرت ، وبدأ التسابق حول مناطق النفوذ ، والفرص الاقتصادية ينشب بين دول الحلفاء أنفسهم . والى هذا كله فقد بقيت مسائل أخرى معلقة يضيق عنها نطاق هذا المقال : منها مسائل اليونان ، وايطاليا ، وفلسطين ، والنقد الدولى ، وبواغيز تركيا ، ومعاملة هنجاريا ، والذهب الذى اشترته روسيا من دول البلطيق واحتجزته الولايات المتحدة ، وموقف روسيا من اليابان ، وموقف انجلترا وامريكا من فرنسا ، وديون أمريكا الناشئة عن تنفيذ قانون الاعارة والتأجير ، والتعويضات المطلوبة من الدول المغلوبة وكيفية توزيعها ، من حيث الانصبة ومن حيث أولوية الاستيلاء الخ . .

سينتهى النزاع مع ألمانيا حتما ، ولكن يبقى بعد ذلك النزاع بين المنتصرين أنفسهم ــ وانه لكما قال روزفلت : صراع بين القلوب والارواح والعقول ، وانه لصراع هائل ترقب الانسانية كلها نتائجه فاما فازت بأمنيتها الخالدة واما قالت مع المعرى :

وما سمحت لنا الدنيا بشىء سوى تعليل نفس بالمحال
واعوزت الفضيلة كل حى فما هو غير دعوى وانتحال

ابراهيم زين الدين

روسيا تؤيد الملوك

عند ما نشب النزاع فى ايطاليا عقب سقوط موسولينى بين الملكيين والجمهوريين ، توقع الناس أن يجدوا السوفيت الى جانب المعارضة الجمهورية يناصرونها على النظام الملكى المتهافت . ولكن السوفيت وقفوا فى الامر على نقيض ما كان منتظرا ، فأنشأوا صلاتهم بحكومة الملك فيكتور ايمانويل ، وشدوا بذلك أزر الاحزاب الملكية فى ايطاليا

ولم يشارك الواقفون على حقيقة الامر جمهرة الناس دهشتهم من هذا الموقف الغريب. فهم يعلمون أن الدبلوماسية السوفيتية لم تقسم الدول ملكيات وجمهوريات، ولا ديكتاتوريات وديموقراطيات ، بل قسمتها الى مجموعتين اثنتين : مجموعة تسود فيها كلمة الجماهير ، ومجموعة تأخذ بالنظام البورجوازى . وسياسة الكرملين تجاه هذه وتلك سياسة تلمس المنافع واستهداف المصالح والاخذ بما يؤدى اليها من الوسائل والاسباب . فهى لا تعادى الملكية لانها ملكية ، ولا تناصر الجمهورية لانها جمهورية ، بل لا ترى بأسا فى أن تمد يدها الى الجهات البورجوازية اذا بدا لها أن الضرورة تقضى عليها بذلك تحقيقا لاغراضها

وليس هذا بالجديد على السياسة السوفيتية ، فالعلائق متصلة منذ قامت الدولة الشيوعية بين الكرملين وكثير من القصور المالكة . فقامت الصلات فى السنين الاولى من الحكم الفاشستى بين السوفيت وايطاليا . وكانت ايطاليا الفاشستية أول دولة اعترفت بالدولة السوفيتية فى سنة ١٩٢٤ ، وكوفئت على ذلك بمعاهدة تجارية منحتها كثيرا من المزايا السخية . وكان لولى عهد ايطاليا الامير امبرتو اليد الاولى فى اقامة هذه الصلات وتوثيقها، فقد رحل الى روسيا وأقام فيها متنكرا فترة ما ، ثم قدم للحكومة الايطالية تقارير أبانت لها ضرورة انشاء علاقات دبلوماسية مع روسيا السوفيتية . ومنذ ذلك الوقت والكرملين يرى فى دوائر البلاط الايطالى أصدقاء للاتحاد السوفيتى

بل ان الحكومة السوفيتية لم تقتصر على تأييد بعض الملوك، بل هيأت الجو لملوك آخرين. فرضا شاه بهلوى امبراطور ايران قام على تكأة من تكوين روسيا، فان سفيرها فى طهران هو الذى أمده حين كان ضابطا صغيرا بالمعدات الحربية وبالتأييد السياسى الذى مكنه من أن يتولى الحكم ممثلا للطبقة البورجوازية فى ايران

وكذلك كانت موسكو المؤيد القوى لملك افغانستان أمان الله . وعند ما زار موسكو قوبل بحفاوة بالغة باذخة ، من ذلك انه لما عزف النشيد الملكى فى اثناء دخوله دار الاوبرا

كانت الردهات ممتلئة بأعضاء الحزب الشيوعى وأفواج المدعوين والمدعوات ، فانحنوا جميعا وهم متجهون شاخصون الى الملك

وكان موقف روسيا من الحركة الكمالية فى تركيا الجديدة حركة تأييد ومناصرة . ووقفت الصحافة التركية الى جانبها منذ البداية ، ووالتها بالتأييد حتى بعد أن حل الحزب الشيوعى فى تركيا وحرم تأليفه ، وبعد ان أغرق عدد من الشيوعيين الاتراك فى البحر الاسود

وكذلك وقف السوفييت من ملوك أوربا مثل موقفهم من ملوك آسيا . فقد اعلنت الدوائر الرسمية السوفيتية فى سنتى ١٩٣٦ و١٩٣٧ اعلانا صريحا انها تود أن ترى عودة أسرة هبسبورج الى عرش النمسا . وكانت هذه الدوائر تعتقد ان هذه هى الامكانية الوحيدة التى تحول دون ضم النمسا الى ألمانيا واحالتها الى قطعة من الجهاز النازى الكبير ، وكانت تتوقع أن يقيم الامير أوتو فون هبسبورج ملكية برلمانية حرة تحول دون تفشى الفاشستية فى أوربا الوسطى . ذلك ان السوفيت يفضلون ملكا مواليا لهم على رئيس جمهورية يقف من سياستهم موقف الخصومة والمناوأة . وهم كذلك يؤثرون الملكية اذا رأوا النظام الجمهورى الذى يقوم مقامها من الضعف بحيث لا تجدى محالفته خيرا

وهكذا نجد السياسة الروسية لا تقف من الملوك موقفا عدائيا لمجرد أنهم ملوك ، بل تنظر اول ما تنظر الى ما تنشده من المصالح والاغراض ثم لا ترى بأسا وهى تسعى الى تحقيقها فى أن تطرق أبواب القصور المالكة . هذا من ناحية « الجوهر » فى سياسة السوفيت ، اما من ناحية « المظهر » فانا نجد الروس فى السنوات الاخيرة يبارون الدول العريقة فى الدبلوماسية فى الاخذ بمظاهرها وتقاليدها ، بل لقد صارت الهيئة الدبلوماسية الروسية اكثر هيئات العالم دقة ونظاما

ولكنها لم تبلغ هذه المرتبة الا بعد ان تعثرت كثيرا فى سنى الثورة الاولى . وقد كان تروتسكى وزيرا للخارجية فى ابان الثورة ، وكانت وزارته حينذاك تعانى نقصا شاملا فى الخبرة الدبلوماسية الفنية . فان الموظفين الذين ابقى عليهم ، بعد أن ألغيت هيئة التمثيل الخارجى فى العهد القيصرى القديم ، لم يكونوا سوى الخدم والسعاة !

وكانت الدبلوماسية الحمراء فى بداية عهدها تحتقر ما تواضعت عليه الدول وسفراؤها من مراسم وتقاليد

فلم يكن البلاشفة يعرفون شيئا عن « الاوسمة » ودرجاتها واسباب منحها وظروف تقليدها . فعند ما استولوا على مبنى وزارة الخارجية وجدوا فى مكاتبها وخزائنها عددا كبيرا من هذه الاوسمة الفخمة التى كان يمنحها القيصر رجال السلك السياسى الاجنبى . فاستولوا عليها ووضعوها فى صندوق خشبى قديم . ثم حدث ذات يوم أن ذهب القائم بأعمال المفوضية الاسبانية يستأذن وزير الخارجية الروسية فى العودة الى بلاده . فودعه الوزير بعد ان اثنى على جهوده وسجاياه بما هو مألوف فى هذا المناسبات ، ولكن الرجل

لم ينصرف وأخذ يتحدث فى هذا وذاك من الامور التافة .. وأخيراً اضطر الى أن يقول للوزير الروسى انه من التقاليد الجميلة فى هذه المناسبات ان تمنح الحكومات رجال السلك السياسى عند نقلهم أو اعتزالهم وساما ، ليكون تزكية له لدى حكومته ودليلا على حسن سفارته بين البلدين . وفهم الوزير الروسى ما يعنيه الرجل . فأمر باحضار الصندوق الخشبى الذى تكدست فيه الاوسمة القيصرية دون نظام وترتيب ، وفتحه أمام الوزير الاسبانى قائلا له : تخير لنفسك أى وسام يحلو لك .. وان شئت اكثر من وسام فلا بأس .. فهذه الاوسمة محفوظة عندنا لا ننتفع بها فى شىء ما !

وقد كان هذا الجهل ، أو هذا التجاهل ، للتقاليد الدبلوماسية حقيقا بأن يحمل العالم على اساءة الظن بالدبلوماسيين الروسيين وكفايتهم فى معترك السياسة الدولية . وكان عامة الناس يظنون ان رجال السلك السياسى الروسى هم من عمال الثورة البولشفية ذوى الملابس الخشنة ، والاخلاق الجافة ، والكلمات النابية الغليظة . ولكن الواقع ان هذا الاسلوب الثوري لم يكن الا غطاء اصطنعه هؤلاء الرجال الذين أصابوا قسطا عظيما من التعليم والثقافة ، وكانوا على حظ كبير من الاناقة والتهذيب . فالوزير الذى خلف تروتسكى فى وزارة الخارجية ، تشيتشرين ، كان من رجال السلك الدبلوماسى فى العهد القيصرى ، وكذلك كان أبوه وجده وأبو جده من الدبلوماسيين المعروفين . ويعد هذا الرجل المؤسس الحقيقى للدبلوماسية السوفيتية . وكان فى أول عهده بوزارة الخارجية يصطنع هذا الاسلوب الثورى الجاف ، فكان يقابل زواره فى ردهات الوزارة وممراتها وعلى درجات سلمها .. وكان يأتى الوزارة ماشيا على قدميه ، ملتفا بشال كبير حول عنقه وكتفيه ، وتحت ابطه حمل كبير من الاوراق والوثائق .. وكان يذهب بنفسه الى المحطة ليرى ما اذا كان موظفوه من الوزراء المفوضين والقناصل ومن اليهم ، قد سافروا فى المواعيد التى حددها لهم تماما ، أم تخلفوا فيوقع عليهم العقاب !

ولكن هذا كله لم يكن الا اسلوبا ثوريا متكلفا . فلما استقرت الثورة واستتب الامر لرجالها ، أخذت وزارة الخارجية تجرى على النسق الذى تجرى عليه مثيلاتها فى بلاد العالم . فكان أكثر رجالها ليسوا من أبناء العمال ، بل من أبناء الطبقة الارستوقراطية القديمة ، أو من أبناء الاسرات الغنية فى العهد القيصرى . وهم جميعا من اكثر اعضاء الحزب الشيوعى تشبعا بالروح الاوربى ، ومن اكثر الناس خبرة بأخلاق المجتمعات وتقاليدها . فمن هؤلاء « ديمترى فلورنسكى » رئيس البروتوكول الروسى ، الذى صار استاذا يدرب رجال السلك الدبلوماسى على ما ينبغى لعملهم من القواعد والتقاليد . وقد كان أبوه من أعداء الثورة ، فأعدمه البلاشفة ، ولكن هذا لم يمنع ابنه من أن يكون شيوعيا ومن أن يعاون الشيوعيين فى عملهم . وقد صار معروفا بالكلمة التى قالها حين سئل فى ذلك ، وهى : « ان المرء لا يمتنع عن ركوب الترام .. حتى ولو دهم هذا الترام أباه فقتله » ! وقد رسم هذا الرجل بذلة رسمية لرجال السلك السياسى ، ولكنه لم يجرؤ



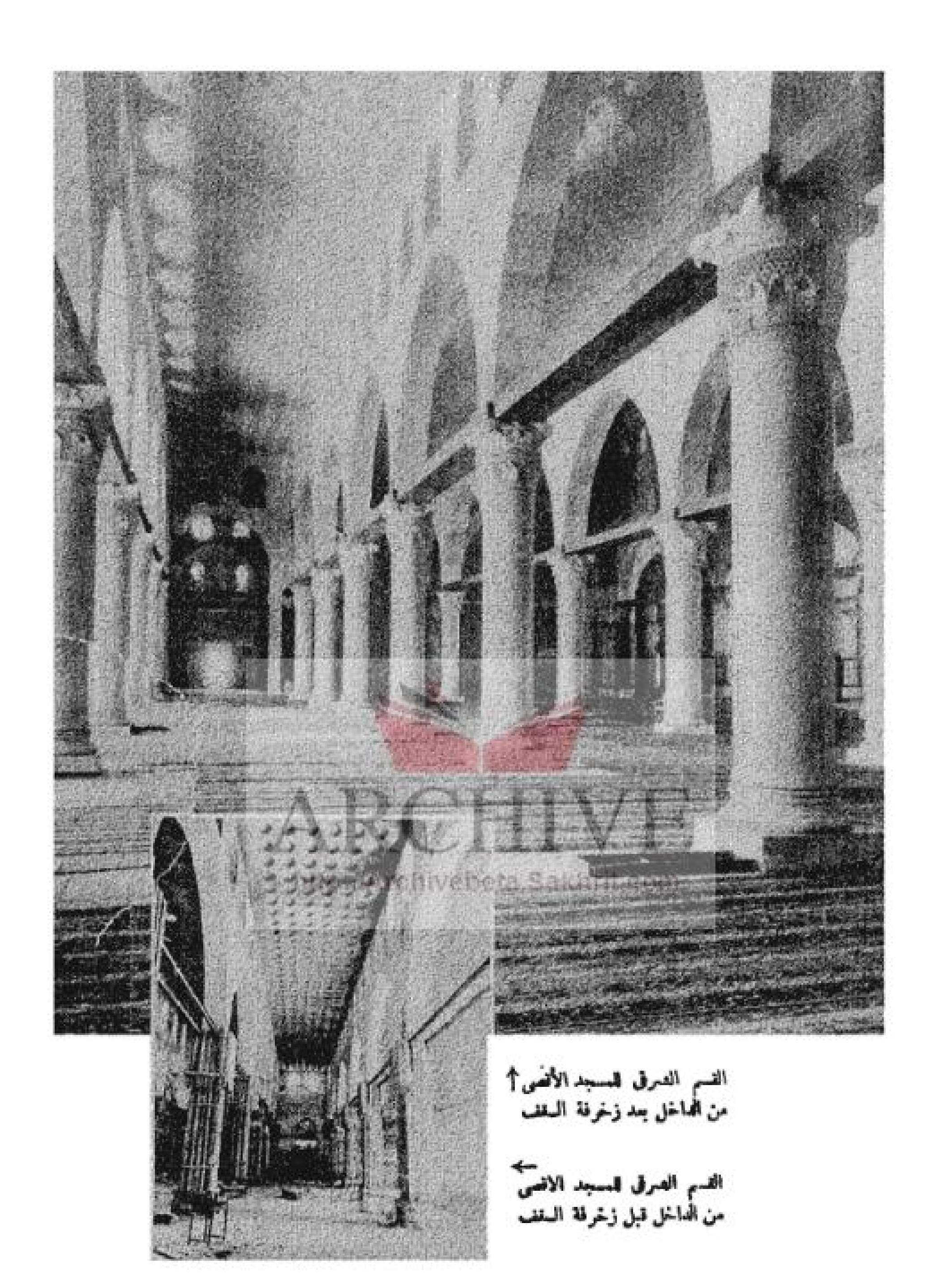
↑ الرواق الاوسط فى المسجد الأقصى بعد تجديده

← الرواق الأوسط فى المسجد الأقصى قبل تجديده

اصلاح المسجد الأقصى

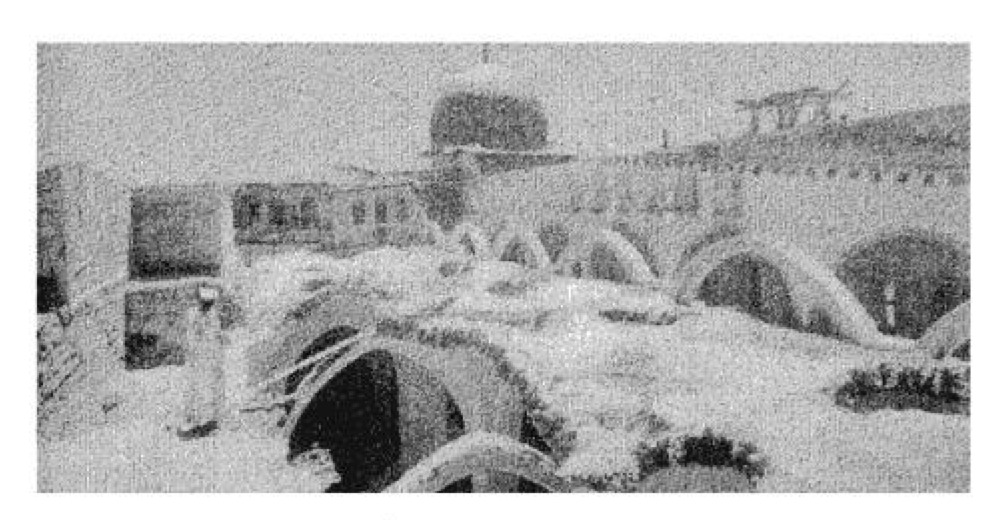
عند ما علم المجلس الاسلامى الأعلى بفلسطين أن خطراً جسيماً يهدد كيان المسجد الأقصى بادر بالاتصال بادارة حفظ الآثار العربية لمباركة الحالة ، فأوفدت الأستاذ عبد الفتاح حلمى مدير الادارة يصحبه الأستاذ محمد نافع وكيل الادارة السابق للاشراف على أعمال الاصلاح وقد أتما تجديد المسجد مراعيين فى زخرفته مطابقتها للطراز الفاطمى

ويرجع اهتمام مصر بالمسجد الأقصى المبارك الى زمن بعيد ، فقد كان محل عناية ملوكها وموضع رعايتهم فى مختلف العصور . وانه لمن دواعى الفخر أن يتجدد هذا الاهتمام فى عهد جلالة الملك الصالح فاروق الأول حفظه الله

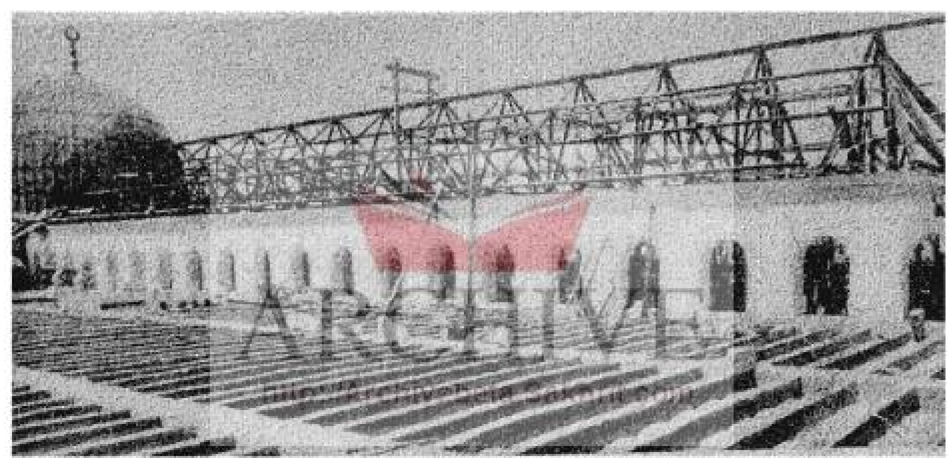


القسم الشرقي للمسجد الأقصى ↑
من الداخل بعد زخرفة السقف

←
القسم الشرقي للمسجد الأقصى
من الداخل قبل زخرفة السقف



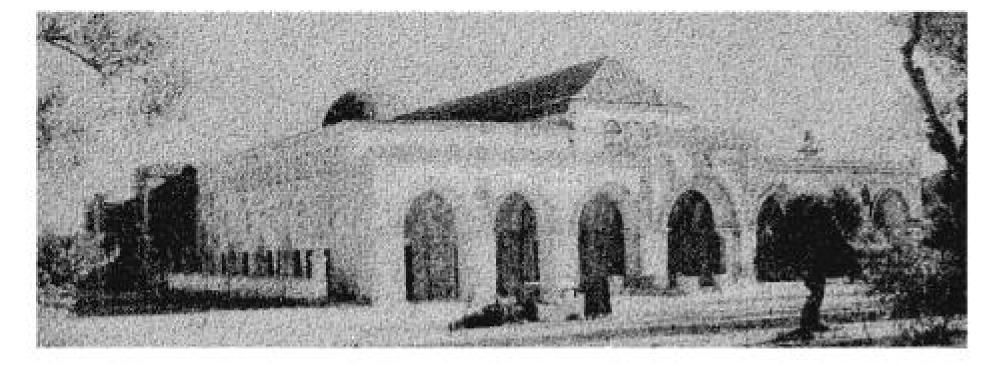
القسم الشرقي القديم من المسجد الاقصى أثناء عملية الهدم



القسم المسلح للقسم الشرقي في المسجد الاقصى
والجمالون الحديدي المغطي للرواق الاوسط



↓ منظر عام للمسجد الاقصى من الخارج



افلاس السياسة في قرن

بقلم الأستاذ سامي الجريديني

لقد أماطت هذه الحرب اللثام عن مبادىء كثيرة
وأنارت الطريق ووضحته في سبيل الاصلاح

ونعني بالقرن هذه الفترة من الزمن الواقعة بين ١٨٤٠ و١٩٤٠ فقد بدأت بتطبيق مبادىء سياسية واجتماعية واقتصادية أخذتها عن الثورات التي سبقت هذا الوقت والتي نادت بالحرية فظن الناس ان قد بدأ عصر للشعوب جديد وان العالم سائر من سيء الى حسن ومن حسن الى احسن

فما هو الطابع الذي امتاز به هذا القرن ؟

ولماذا لم يؤت ثماره اذا كانت ثماره ما اشتهاه العالم من سلام ومن بحبوحة في الحياة المادية والخلقية ؟

لا شك ان الحرية كانت الغرض الذي رمت اليه الثورات التي قامت في الولايات المتحدة وفي انجلترا وفي فرنسا ـ الثورات التي بدأت في حرب الاستقلال الاميركية وانتهت بثورة سنة ١٨٤٨ في فرنسا

ولقد ظن الذين قضوا على استبداد الملوك وعلى النظم الاقطاعية التي كانت تسيطر على العالم ان قد بدأ عصر جديد في العالم

وفي الواقع أنه كان عصراً جديداً وقد قام على الحرية وكانت هذه الحرية نوعين احدهما سياسي والآخر اقتصادي

اما الحرية السياسية فترجمها الذين أرادوا تطبيقها نظاما برلمانيا يستند على انتخاب حر ويقوم البرلمان على حزبية يستبق أعضاؤها أبواب السعي لفائدة المحكومين

وكانت الحرية الاقتصادية ميدانا للسعي وللنشاط المالي الفردي وتجنب الحكومة أمر التداخل فيه

فماذا كانت العاقبة ؟

أما في السياسة فلا شك ان العاقبة كانت حرية ولكنها اختلفت مظاهرها في شتى البلدان تبعا لاختلاف الممالك التي قامت فيها هذه الحرية . فالنظام البرلماني القائم في الولايات المتحدة وفي انجلترا وفي فرنسا كان واحدا على وجه التقريب من حيث انه ارتكز على انتخاب الشعب لوكلائه الذين يحكمون باسمه ولكن النتيجة لم تكن واحدة .

فبينما نراه فى الاقطار الانجلواميركية لا يزال ثابت الاركان اذا بنا نراه ينهار ويتداعى صريعا على رؤوس أهليه فى بقية انحاء أوربا

ذلك لان الحرية وحدها لا تكفى اذا لم تقترن بنظام يحد من شططها اما بواسطة الشعب المتعلم الذى يقيم نفسه رقيبا على وكلائه أو بواسطة أداة مستقرة عاشرت أيام الشعوب وماشت رغباتها كالملكية فى انجلترا فى هذه الحالة . وكنظام الولايات المتحدة الاميركية فى الحالة الاولى

وانه لمما يدعو الى شيء كثير من التساؤل عن مدى الحرية وكيفية الحد من نشاطها اذا وضعنا حال فرنسا نصب أعيننا

فمما لا نزاع فيه ان الثورة الفرنسية وضعت مبادىء الحرية فوق كل مبدأ ولا شك انها قصدت الى خدمة الشعب الفرنسى ولكنها خلفت فى أعقابها امبراطوريتين وملكيتين وثلاث جمهوريات تداولت حكم الشعب الفرنسى من بعدها الى أن كانت الجمهورية الثالثة التى ولدت يوم انكسار فرنسا فى سنة ١٨٧٠ وماتت يوم انكسارها الآخر فى سنة ١٩٤٠

فتبلبل الانظمة وعدم ثبات واحد منها على حكم الزمن لدليل قاطع بأنه لا يطابق مزاج الشعب مهما قيل فى محاسنه اذا وضع على ورق بحبر

وهذه الجمهورية الثالثة المتوفاة حديثا كانت نموذجا لجميع الانظمة التى عمت أوربا وجزءا غير قليل عبر أوربا

وكان عيبها انها باعدت بين الشعوب وبين تقاليدهم المتغلغلة فى دمائهم منذ قرون

فانهم اذ نعموا بشيء كثير من حرية القول فقدوا الشيء الاكثر من المتاع الاقتصادى الذى تقوم عليه رفاهية الشعوب

فكان التعليم يرمى الى خلق طبقات من الاهالى يتسابقون الى امتلاك ناصية الحكم بواسطة جمعيات رأسمالها الخطابة والوعود الخلابة فأصبح الحال فى معظم انحاء العالم منحصرا فى هيئة من المنتخبين يصرفون جل اهتمامهم الى المحافظة على الكراسى فتجنبوا المسئولية وقنعوا من الاصلاح بتنميق الكلام

ذلك انهم نسوا تيسير الأمر المادى على الجماهير بامتاعه المتاع المادى الاساسى لمعيشته وجعلوا الحرية فى السياسة قاعدة فى الاقتصاد أيضا

واذا أنت اطلقت الحرية بين قوم لا يتساوون فى الاهلية كان السابق ذا البخت أو صاحب الحيلة أو القوة أو الذكاء

وهذا عدد قليل

واما الاكثرية فزاد فقرها وعجزت عن مجاراة المضمار فكان هذا التذمر المقرون بالثورة بين العمال اذا كانت البلاد صناعية وبين المزارعين اذا كانت زراعية

ومما لا يقبل الجدال انه اذا كان الغرض من السياسة رفاهية الشعب ومنع الحروب والعداء بينها فها نحن أولا نرى ان لا حرب امتنعت ولا كفاف عيش ضمن ولا طمأنينة

عمت فحق للمتشائمين أن يقولوا أن الانظمة التى الفناها قد أفلست وحق عليها القول فما أجدرها ان تدمر تدميرا

ولماذا هذا الفشل ؟

وهل من سبيل الى ملافاته ؟

اما سبب الفشل فراجع الى ما أشرنا اليه من ان الحرية السياسية امتدت الى الاقتصاد فجعلته فوضى

ومعنى هـذا ان السياسة كان يجب ان تعنى أول كل شىء فى تنظيم أمور الشعوب الحيوية فى الاقتصاد ـ أى فى توزيع الثروة وضمان الرزق للكافة وتسهيل تبادل التجارة ـ ولكن الانانية السياسية واستئثار بعض الطبقات بالبرلمانات وما اليها من آلة الدست جعلت هؤلاء المنتفعين يصرفون جهودهم الى ابقـاء ما كان على ما كان فكان زمن اسكتوا فيه الشعوب تارة بالاستعمار فسهلوا السبيل للفتح الاقتصادى فى خارج البلاد الاوربية بغية التشويق الى نوال الثروة فى الهجرة ، وتارة باشعال نيران الحروب حتى يلهو القوم عن المطالبة ، وتارة بايقاظ الروح القومية والسعى الى الاكتفاء الذاتى عساهم أن يغنوا بلادهم عن البلدان الاخرى وهذا شر ما أصيب به العالم من سياسة اقتصادية . فلنفرض ان بلدا زراعيا يحتاج الى صناعة بلد آخر وأرادت سياسة حكومته أن يكتفى وان تنشىء له صناعة تغنيه عن الصناعة الاجنبية معللة ذلك بأنها توجد عملا لفئة من الاهالى وان لا يكون عالة على الغير اذا وقعت حرب

فما هى النتيجة

قد تنشأ الصناعة المقصودة وقد يعمل فيها عمال معينون ولكن سعر هذه الصناعة يكون كأعلى مستوى للصناعة الاجنبية وقد تكون أقل جودة وعلى كل حال فهى مساعدة فريق قليل على حساب بقية الامة . على حين انه لو اطلق لكل بلد ان يعمل بما هو أهل له لأفاد من حسن البضاعة ورخصها الشعب كله

فانه لا معنى ان توجد صناعات تفيد أهلها أصحاب الأموال وبعض العمال ويغرم اكثرية السكان الثمن الفاحش ورداءة السلعة

هذه سياسة خاطئة كانت من أهم اسباب الحروب فالغرض من الاقتصاد هو تبادل المنافع مع المحافظة على الميزان فالعالم فى مجموعه يكاد يكون وحـدة اقتصادية ، وليس التقلقل ثم الحرب الا نتيجة هدم المبادىء الاقتصادية فى سبيل السياسة . وليست مسألة تنظيم الاقتصاد القومى بأشق من الاهتمام بالسياسة ولكن الناس استسهلوا السياسة لان معظمها قائم على الكلام وفروا من التوجيه الاقتصادى لانه جدى يعمل له فى الخفاء بلا جلبة ولا دعاوة وبلا شهرة

وماهى هذه السياسة الاقتصادية أو التوجيه الاقتصادى فى بلد ما حتى تأخذ به الحكومة؟

انها الحكم الصالح

وما هو الحكم الصالح ؟

هو منفعة المحكومين دائما واعتبار الذين يتولون الامور خداما كل قيمتهم فى القدر الذى فيه يخدمون

ولسنا من دعاة مذهب معين فى الشؤون الاقتصادية كأن تقول رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية ، كل هذه الطرق كثيرة الاسماء يجب ان ترمى الى افادة الشعب . ويستوى بعد ذلك السبيل . ففى بلد زراعى يجب ان تقوم السياسة الاقتصادية على منع احتكار الارض والعمل على ان يكون بأيدى الجميع لا بأيدى فئة قليلة تنعم وتستمتع والبقية الباقية حكمها حكم السائمة . وفى البلد الصناعى حيث الآلة والعامل وصاحب العمل يجب ان تتضامن هذه الهيئات فى الرأى وتشترك فى توزيع الانتاج

فاننا نادى ليلا ونهارا ونعى على الاحتكار مساوئه بينما لا نقنع فى معاملتنا للغير الا أن نكون من المحتكرين

فاذا أدرك الناس ان فى الارض متسعا للجميع وان التعاون أجدى من الدفع بالمناكب وان الخير للجار خير مشترك سهل وضع الامور فى نصابها الطبيعى

خذ هذه القلاقل التى تأتينا أخبارها كل يوم فانها لا تكاد تخرج عن امتياء أساسه الشعور بالظلم فى عدم توفر الفرصة للجميع على السواء

وليس معنى هذا مساواة ينعم فيها الكسلان على حساب المجتهد ولكن معناه ان تضمن للهيئة اسباب العيش الاساسية من غذاء وسكن وتعليم

وما زاد على ذلك فمزاحمة فى سبيل المثل العليا الادبية لا فى سبيل المادة الحقيرة

على ان هذه الحرب قد أماطت اللثام عن مساوىء كثيرة وانارت الطريق ووضحته فى سبيل الاصلاح

والخير المرجو هو ما تطلبه الشعوب وتتيقظ الى اقتضائه فانها ان فرضت على زعمائها خدمتها ليس غير وان اكرمت من يقومون على متعها لا من يعملون لمجدهم على انقاضها فلا يسع الوكيل الا الخضوع لموكله — عند ذاك وعند ذاك فقط تكون الشعوب قد وفت ديون التفليس الماضى وأخذت فى بناء تجارة رابحة جديدة ويأخذ بيدها لنوال مطالبها ما طرأ على العالم من تقريب وسائل مواصلاته وتسهيل تعارف أجزائه

فانه اذا لم يبن العالم القادم على التقريب بين الشعوب بتسهيل المعاملة التجارية الى أقصى حد وبتمكين الكافة من مستوى طيب من التعليم حتى تبعد النعرة القومية عن تكييف سياسة الامم — فتكون هذه الحرب قد خربت ولم تمكن من التعمير

سامى الجريدينى

حرية الأنباء الصحفية

للأستاذ الدكتور محمود عزمي بك

موضوع دقيق من موضوعات الزمن الراهن ومن موضوعات ما بعد الحرب ، تحدث فيه ودعا إليه قادة الرأى وزعماء الصحافة الأمريكية ، وعالجه فى مصر علم من أعلام الصحافة العربية وعميد المعهد الصحفى الملحق بكلية الآداب ، بمحاضرة قيمة افتتح بها نادى الصحافة موسمه الثقافى

مادة الصحافة — على حد التعبير التقليدي الذى أذاعه الصحفى الانكليزى الشهير ويكهام ستيد ، رئيس تحرير جريدة التيمس العتيد — مؤلفة من عنصرين : هما (١) الأنباء و (٢) الآراء

فالأنباء تشمل الوقائع ، والآراء تعلق عليها . وكما تسبق الوقائع التعليق عليها فى الترتيب الطبيعى ، سبقت الأنباء الآراء فى الترتيب التاريخى . إذ ظهرت رسائل الأنباء قبل رسائل الآراء المخطوطة منها وغير المخطوطة

ولم تخط الرسائل خطوة الشمول فى الأنباء والتعميم فى التوزيع إلا على أيدى وكالات الأنباء وقد أنشئت أولاها فى باريس عام ١٧٨٢ ، وكان نشاطها مقصوراً على طبع نشرات تحتوى اقتباسات من أهم الصحف الاجنبية وتوزيعها على الصحف الفرنسية . ثم أضافت رسالة منظمة عن الحال فى المانيا عام ١٨٤٠ ، ثم واصلت العمل والتحسن والتوسع . وكانت تلك هى وكالة « هافاس » التى ظلت تعمل فى فرنسا ، وترسل الأخبار من وإلى كافة أنحاء العالم ، حتى قيام حكومة ڤيشى الأخيرة

ثم تلتها وكالة رويتر ، ومؤسسها المانى أيضاً : اسرائيلى يدعى بابر جوزافات ، عمل مدة من الزمن فى برلين ثم انتقل الى لندن ، وطلق اليهودية واعتنق المسيحية باسم بول جوليوس رويتر ، وأسس شركته ذات الشهرة والصيت البعيد منذ عام ١٨٥١

وثالثها وكالة برنار فولف وهو ابن مصرفى ألمانى ، عنى بنقل أسعار البورصة الى والده ، ثم اتجه الى تقوية نفوذ عملائه فى أوربا ، ثم عاد فاتجه اتجاهاً ألب عليه بعض ملوك الألمان وساستهم مثل بسمارك وغليوم وغيرهما . وهذه هى الشركة التى واصلت العمل بعد الحرب الماضية باسم (وكالة الأنباء الألمانية)

ولم تلبث البلاد الأخرى طويلا حتى خصت نفسها بوكالات أخبارية ، فظهرت وكالات أخرى على غرار الوكالات السابقة فى فرنسا وانجلترا والمانيا وغيرها

وفى مصر تلتقى الوكالات جميعاً : وكالة الصحافة الفرنسية ، نشرة الأنباء البريطانية الرسمية ، مكتب الأنباء الحربية الامريكى ، يونايتد برس ، اسوسيتيد برس ، تاس ، أناضول ، اليونانية ، البولونية الخ

وكان قائماً قبل الحرب وكالات أخرى مثل وكالتى استيفانى وأوريانت الايطاليتين

وفى العالم وكالات أنباء أخرى عدا ما تقدم

وقد كانت الأنباء ـ منذ وجودها فى رسائلها المخطوطة الأولى ـ محل نضال بين محرريها وناشريها وبين السلطات الحاكمة : الأولون يريدون الحرية فى الاستقاء (الاستقصاء) والتحرير والنشر ، والأخرى تريد إخضاع الأنباء ونشرها لسياستها ومصالحها

وفى انجلترا ـ أولى البلاد التى ترعرعت فيها حركة الصحافة ـ أمر ملكى صادر عام ١٢٧٥ ينزل أشد العقاب بمن يروجون الاخبار الكاذبة ، وبعد أربعة قرون من اصداره ، استند اليه المجلس المخصوص فى معاقبة صحفى برأته محكمة الجنايات

أما موقف الكنيسة من الصحافة فكان موقفاً أقل ما يوصف به أنه موقف ظلم واضطهاد واجتراء وافتئات

فقد أصدر البابا بيوس الخامس عام ١٥٦٥ أمراً كنسياً يعاقب الذين يحررون أنباء مخطوطة . وبعد أيام من صدور الامر ، حكم البابا بالاعدام شنقاً على أحد الصحفيين ، وتوالت أحكام مماثلة ولكنها لم ترهب المحررين الأحرار المناضلين ، فاستمروا يؤدون رسالتهم ، وينشرون أخبارهم ، رغم ما يتعرضون له من تقتيل واضطهاد

أجل . لم يجد الأخذ بالشدة مع الاحرار من المحررين ، كما لم يجد مع أحرار الصحفيين الذين استعانوا بالطباعة واطراد التقدم فى المواصلات على نشر أخبارهم . وظل الموقف ـ بين رجال الاخبار من جهة وبين الحكومات المستبدة والبابوات من جهة أخرى ـ قائماً على العداء المحكم : يكمش أحياناً ، وينجلى أحياناً ، فى سبيل الحرية من ناحية الصحافة ، وكتم الانفاس من ناحية الطغاة والمستبدين . ويتساجل الطرفان الشعور . . . ويكتب الصراع بينهما ، لا تاريخ الصحافة فحسب ، بل تاريخ التقدم البشرى كله . ولا غرو فحالة الصحافة فى بلد تعتبر الميزان الصحيح لحالة البلد ذاته من جميع نواحيه : الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية الخ

وقد اعتادت بعض الحكومات فى مختلف العصور أن تعتبر إذاعة الاخبار فى الناس وتناولها بالتعليق حقاً من حقوق سيادتها عليهم ، وكان رجال الدين والكنائس يؤيدونها فى ذلك بوسائل شتى ، بل كانوا يحضونها على ذلك ، خشية أن تبيح جريمة الكتابة . . .

لذلك لازمت الرقابة الصحافة وزاوجت الرقابة بين التسامح والشدة ، تبعاً لما كان يتصف به الحكام من روح الاصلاح أو الاستبداد

والتاريخ زاخر بالحوادث التى لا يحصيها عد والتى نلمح خلالها مشاهد هذا التزاوج القديم ، الذى نشاهده عرضاً حين ننظر الى العالم فى فترة معينة من الزمان : نرى فى الاولى حرية الانباء والصحافة وفى الثانية خنق الأنباء والصحافة

وقد كان العالم وما يزال منقسما بين طريقين عامين للحكم ، هما الديمقراطية والديكتاتورية ، وكل طريق تتفرع فى سيرها الى طريقين : مطلقة ومقيدة

ويختلف موقف الأنباء والصحافة فى شتى الدول وفاقاً لهذا التقسيم . فالديمقراطية هى نظام حرية الرأى ، وكثرة الآراء وتنوعها . وذلك يستتبع حرية الناشر وتعدد وسائل النشر التى يجوز له الالتجاء اليها . والديكتاتورية هى مبدأ الوحدانية : فى البزة والرأى ووسائل تكوينه وفى الاذاعة الخ

والديمقراطية ليست واحدة فى كل الأزمان والبيئات ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع : تقدمية وحرة ومحافظة

كذلك الديكتاتورية ليست واحدة فى كل الأزمان والبيئات

فهناك ديكتاتورية مطلقة وأخرى تدعو لمذهب اجتماعى معين أو نوع من الحكم محدد

فكان موقف الأنباء والصحافة ، مطلقاً من كل قيد فى الدول التقدمية

ومكتنفا بشىء من التحفظ فى الدول الحرة

ومحاطا بشىء من السياج فى « المحافظة »

ومقيداً بتعاليم المبدأ الواحد فى الديكتاتوريات التى تأخذ بنظام المذهب الاوحد ، أو خاضعا لطغيان الطاغية فى الديكتاتوريات الاستبدادية

وفى جملة واحدة نجد موقف الصحافة متراوحا بين الحرية المطلقة التى لا يحدها حد ، وبين الخضوع المطلق للسلطان المسير

وقد كان الموقف فى مصر بالنسبة للصحافة قبل قيام الحرب الحاضرة موقف ديمقراطية « خليط » . فكان محافظاً بالنسبة لأصدار الصحف ، ولأصدار الصحف نظريات ، أولاها ، أن يقوم طالب الترخيص بتقديم طلبه ، وللحكومة مطلق التصرف فى المنح أو المنع . والثانية هى نظرية الاخطار المعلق على شرط . وذلك بأن تخطر الحكومة بأنك تريد إصدار صحيفة ، ثم يكون عليك أن تنتظر الرد بالموافقة أو الرفض ، دون أن يكون لك حق مقاضاة الحكومة فى حالة الرفض . والثالثة هى الاخطار مع حق الالتجاء الى القضاء . والرابعة هى الاخطار غير المعلق على شرط ما ، وليس على الطالب ، إلا أن يخطر ثم يصدر

وقد كانت النظرية المصرية ـ وما تزال ـ هى نظرية الاخطار المعلق على شرط والمحروم

صاحبه من حق الالتجاء الى القضاء وهى ـ على هذا الوضع ـ « نوع ما » من الديمقراطية ..

تأتى بعد ذلك نظرية المؤاخذة الادارية . وهى تمنع أن تعطل الصحف أو تنذر بالطريق الادارى ، إلا إذا كان ذلك لوقاية النظام العام

وهنا كان المبدأ حراً ، والقيد قيد مفهوم ـ فالنظام فى هذه الناحية داخل فى دائرة « الديمقراطية الحرة »

أما بالنسبة للتحرير فكان نظامنا تقدمياً إذ لم تكن هناك رقابة ما ، على الصحافة

أما فيما يتعلق بالأنباء ، فكان نظاماً غير ديمقراطى أبداً ، فلا هو حر ولا هو محافظ ولا هو تقدمى ، وانما كان نظاماً ديكتاتورياً بحتاً

الجو محتكر : ممنوع أن تستقبل الأنباء الصحفية . ومصلحة التليفونات وحدها هى التى تستقبل أنباء معينة : أنباء النشرة الرسمية البريطانية مثلا . ولا رقابة لأحد على صحة ما تنشره هى (أى المصلحة) مسنداً الى هذه النشرة

والنظام أيضاً ديكتاتورى صرف ، فيما يختص بالاذاعة . ديكتاتورى من حيث أن هناك محطة حكومية واحدة فقط .فكأن هناك احتكاراً للاذاعة وتحريماً للارسال..أما فيما يتعلق بالاستقبال فكانت النظارية « ديمقراطية محافظة » لأنه حر ، وإن كان معلقا على شروط منها الترخيص ودفع الضريبة

كان هذا كله قبل الحرب ، ثم جاءت الحرب ، ودخل العالم كله فى حومتها ، وخضع لضروراتها ، فتساوت الديمقراطيات والديكتاتوريات فى الأخذ بالنظام المسير ، وأعلنت الأحكام العرفية والرقابة على الصحف والوكالات التى تذيع من الخارج

وكان طبيعياً أن تحس الصحف ووكالات الأنباء الداخلية والخارجية ، ضغط الرقابة المستند الى ظروف الحال

ووجد فريق المراسلين الحربيين ، ووجدوا متعددين ، متنوعين ، متنقلين فى أنحاء العالم ، ومتصلين بأنظمة الدول المختلفة

وفرضت عليهم وعلى أنبائهم ورسائلهم الرقابة فى كل مكان ، فتذمروا من الرقابة ومن التحكم ، لا فى رسائلهم فحسب ، بل فى أشخاصهم أيضاً بعض الأحيان

وآخر ما وقفت عليه من أنباء التحكم فى الأنباء وفى أشخاص المراسلين ، هو ما تضمنه عدد صدر فى شهر ديسمبر الماضى من مجلة P.M الأمريكية الشهيرة . فقد حوى هذا العدد تذمراً مراً واحتجاجاً بالغاً من الصحافة الأمريكية على تدخل بريطانيا فى شؤون اليونان ومنع صحف الحلفاء من التعرض لهذا الموضوع

والحادث الثانى وقع لمراسل التيمس فى أثينا مع الجنرال سكوبى . فقد استدعى الجنرال هذا المراسل وهدده بإبعاده من العاصمة إذا هو استمر على نشر مايرسل من أنباء اليونان الى بلاده .. ولكن مراسل التيمس ـ وأنتم تعلمون ان لبريطانيا فى كل عاصمة سفيرين ، أحدهما هو المبعوث الديبلوماسى والآخر هو مراسل التيمس فى هذه العاصمة ـ لم يخضع لذلك التهديد ، وما يزال الى الآن يواصل نشر الأنباء اليونانية الى جريدته ، حسبما يرتئى ويقدر

هؤلاء المراسلون الحربيون الذين حيل بينهم وبين أداء واجبهم على ما يفهمونه والذين ابتلوا بمختلف وسائل التحكم والرقابة ، كان طبيعياً أن تصدر عنهم صرخة فى سبيل الحرية ، وكان طبيعياً أيضاً أن تجيء هذه الصرخة من أمريكا ، وهى البلاد التى انتشرت فيها نظرية إصدار الصحف دون إخطار ، والتى لم تعرف الى الآن ـ وأغلب ظنى أنها لن تعرف حتى تنتهى الحرب ـ أى لون من ألوان الرقابة الصحفية . أجل كان طبيعياً أن هذه الصحافة التى لا رقابة عليها ، وهذه البيئة الحرة ، هى التى تصدر عنها هذه الصرخة من أجل الحرية

صدرت هذه الصرخة عن الجمعية الامريكية لمحررى الصحف ، وهى نقابة ليست كنقابتنا المصرية ـ تجمع بين أصحاب الصحف ومحرريها ـ ولكنها نقابة للمحررين وحدهم .. هذه الجمعية هى التى قامت بحملة فى الداخل انتهت الى إقناع الحكومة الأمريكية بالمطالبة بحرية الأنباء فى العالم كله ، وهى التى انتهت الى أن تعلن وزارة الدولة الأمريكية أنها جعلت من مطالبها الدولية تحقيق حرية الصحافة فى استقبال ونشر كل الانباء ، بمطلق اختيارها ، وتمكينها من هذه المهمة وبمنع وسائل التمييز والاحتكار الخ

ولم تكتف الجمعية باقناع الحكومة الأمريكية ، بل فهمت أنه لابد من خلق رأى عام عالمى ، لاقناع حكومات البلاد الأخرى بالسير فى نفس السبيل . فألفت لجنة ثلاثية ، أخذت تجوب أنحاء العالم ، وتتصل بالصحفيين فى كل دولة ، وبمختلف الحكومات ، لعلها تقنع الحكومات الاخرى ، كما أقنعت الحكومة الامريكية ، بأن يتضافر الكل فى سبيل حرية الصحافة

وهذه اللجنة مؤلفة من عميد معهد الصحافة بجامعة كولومبيا ومساعد رئيس تحرير النيويورك هيرالد تريبون ورئيس تحرير مجلة اتلانتا

وقد قصدت هذه اللجنة ـ أول ما قصدت ـ الى لندن . وهى الآن فى باريس وينتظر حضورها الى مصر قريباً ، فى دورتها العالمية التى تقوم بها

ماذا يكون موقف مصر إزاء تلك اللجنة ؟ لا شك أن الصحافة المصرية ترحب بهذه الجهود كل الترحيب

فالإيمان بالحرية الصحفية راسخ مع شيء من التحفظ عند كثيرين من المحررين فى الصحافة المصرية ، على الاقل

ولا شك عندى أن الصحفيين المصريين يؤمنون بأنه لا حرية لاقلامهم إلا إذا كانت الحرية موفورة أولا ، للانباء التى يستنيرون بها فى التعليق والتحرير . وذلك بأن تصل اليهم الانباء حرة مطلقة من كل قيد أو غرض

ولعل من دلائل الترحيب ، ذلك الحديث الذى جرى بين وفد نقابة الصحفيين ورئيس الحكومة . فقد طالب الوفد بالغاء الرقابة ، وإن كنت قرأت فى احدى الصحف ، أنه طالب بالتخفيف فقط ، وكنت أود ألا تجرى هذه الكلمة على لسان الصحفيين

واني أقترح أن تؤلف النقابة لجنة للاهتمام بهذا الموضوع بالذات ، وتحصر كل جهودها فيه ، وتستعد بالأسانيد لاستقبال اللجنة الامريكية، وتستعد كذلك بما ينبغي عليها أن تتقدم به للحكومة المصرية من مطالب

ولعل المطالب الطبيعية التى تخطر على البال لاول وهلة هى :

١ ــ المطالبة بحرية الجو ــ فالجو المصرى يجب أن يكون حراً من كل قيد ، كما يجب ألا تتقيد حرية الالتقاط بنوع معين من الانباء

ولعل القراء لا يزالون يذكرون ذلك الخلاف الذى حدث بين الصحافة المصرية والحكومة عام ١٩٣٥ . فقد كانت الصحف تلتقط من الجو أنباء صحفية . فجاءت الحكومة ومنعت ذلك ، وأرادت أن تقدم للصحافة عوضاً عنه ، فكان ذلك الشيء هو نشرة الانباء الرسمية البريطانية التى تشرف على التقاطها فى مصر مصلحة التلغرافات المصرية ، دون أى رقابة

٢ ــ حرية الالتقاط المطلقة وحرية محطات الاذاعة . . يجب ألا يكون هناك احتكار فى الجو أو فى الاذاعة . ولتكن سبيلنا الى ذلك هى العودة الى النظام السابق الذى كان يجيز وجود محطات متعددة . لتبق للحكومة محطتها ولكن لتكن الى جوارها محطات أخرى أهلية عديدة

٣ ــ التنافس المطلق بين وكالات الانباء لتفتح الابواب على مصاريعها أمام جميع وكالات الانباء فى العالم، ولتكن الصحافة حرة فى أخذ ما تشاء مما تعرض عليها هذه الوكالات، ونبذ ما تشاء

٤ ــ كذلك يجب أن يستأنف الكلام فى تأسيس وكالة أنباء مصرية ، تقوم بارسال الاخبار الى الخارج ولا يكون مطلوباً منها أن تكتفى بالاخذ . وانما يتاح لها ــ كى تدخل المضمار الدولى ــ أن تقدم الاخبار للغير وأن ترسل له . يجب أن تكون لنا وكالة أنباء تقدم للصحف فى الشرق والغرب ، أنباء الشرق العربى والعالم العربى

والمشروع موجود بالفعل ، وأحسب النواب الصحفيين يعرفونه تمام المعرفة ، فقد وافقوا على اعتماد فى ميزانية الدولة لانشائه . ورغم ضآلة المبلغ (٣٥٠٠ جنيه) فان وكالة الانباء المصرية لم تقم الى الآن . وفى يقينى أن النقابة اذا بذلت شيئاً من الجهد ، فانها مستطيعة أن تنتشل ذلك الغريق من الماء

محمود عزمى

توارد الخواطر

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

« من القلب الى القلب رسول » قول جميل مأثور تتداوله ألسنة الاصدقاء والاحباء فى مختلف الاحوال والعصور . فالصديق يؤيد صدى ود صديقه بقوله : « من القلب الى القلب رسول »

فكم بين القلوب المتجاذبة من مواقع ود يقع فيها رسل المودة صرعى . وكم بين القلوب المتعادية من معارك نفار يضحى بها الرسل بلا اثم ولا حرج . وكم بين القلوب من رسائل تنطوى على شكايات العشاق وتندفع منها لهبات الاشواق وهى بالاحرى فتن ومماذقات تؤدى الى خيبات

وكم تولت اللواحظ نقل الرسائل بين القلوب فكانت تارة رسلا أمينة فى النقل وأخرى رسل زور وخداع فى التبليغ . وكم كان الالهام للقلوب أصدق رسولا والايحاء أصح رسالة . واذا تخافقت القلوب كانت أصدق بيانا من طرفات العيون وغمزات الجفون . فاذا خفق قلبك لقلب آخر حتى من وراء البحار فاعلم ان هناك رسولا أمينا ينقل الرسالة بين القلبين . وهذا الرسول هو موضوع هذا المقال

يخطر لكل انسان كل حين بعد آخر خاطر فى اليقظة أو فى المنام أو فى الحديث واذا بذلك الخاطر يتحقق على الاثر أو بعد حين قريب

مثال ذلك : يلوح فى بالك شخص لا تنتظر ان تراه لانه بعيد عنك أو لانه لا طريق له اليك ، ومنذ زمان غاب عنك ولا يرجى أن يعود اليك ، واذا به بعد هنيهة أو ساعة أو يوم يحضر بين يديك . فتندهش

روى لى صديق قال : عدت من الصيد فتلقانى أبى بلهفة وقال أسرع الى أمك لكى تطمئن . قلت : ماذا بها ؟ قال لاح فى بالها عند الظهر ان كلبا عضك . فقلقت ولم استطع تهدئة بالها . فقلت : لقد صدق حدسها . عضنى كلب عند الظهر ولكنه لم يتمكن من نهش ساقى ، لان ظهر بندقيتى أقصاه

وصحوت مرة وزوجتى تقول : لقد حلمت حلما مزعجا جدا وهو ان صديق أسرتنا فى سوريا توفى . فقلت : اضغاث احلام . لا تعبئى . وذهبت الى مكان عملى واخذت الجريدة حسب عادتى . ودهشت اذ وقعت عينى على نعى ذلك الرجل . والنعى من قبل أخيه الذى يقيم فى الاسكندرية ، فقبل ان اقرأ الجريدة ارسلتها الى زوجتى وعلى خبر الوفاة علامة بالحبر

وفى ذات مساء عدت الى البيت من حيث كنت أقضى المساء مع بعض الاخوان ، وبادرت زوجتى بالسؤال : هل تعلمين من رأيت الليلة ؟ أجابت على الفور فلان . فدهشت لان لفلان هذا حكاية كانت قد روتها لى زوجتى منذ بضع سنين وهو فى سوريا وكنت وزوجتى قد نسينا أمره ولم يكن منتظرا ان يأتى الى مصر . فسألتها لماذا ذكرت هذا الانسان ولم تذكرى سواه ؟ قالت : لا أدرى . هو من لاح ببالى حالما سألتنى . قلت انه أتى من سوريا أمس فهل يمكن ان تكونى قد علمت بقدومه . قالت : لم اخرج من المنزل لا أمس ولا اليوم فأنى لى ان اعرف ؟

مثل هذه حوادث كثيرة لا تحصى . وتحدث لكل انسان تقريبا ، فلا يمكن ان تكون مصادفة لان المصادفات نادرة جدا ولكن حوادث كهذه متواترة . فلا بد أن يكون ثمة سبب لهذه المتواردات المتواترة

تناجى الحشرات

لا يقتصر هذا الوحى أو الالهام أو توارد الخواطر على البشر بل هو شائع فى كثير من الحيوانات ولا سيما الحشرات . فللحشرات « تلبثى » أيضا

قرأت فى كتاب حياة الحشرات الاجتماعية للمؤلف الفرنسى فابر Fabre فصلا عجيبا عن حياة الفراشة المسماة « الطاووس الاكبر » وتسمى هكذا لانها تشبه الطاووس بكبر جناحيها وجمال نقوشها المختلفة الالوان . وكان هذا العالم بالحشرات يدرس هذه الحشرة منذ ولادتها لكى يفهم كيفية تطورها . ولا يخفى ان معظم الحشرات تبيض بيوضا صغيرة جدا كما هو معلوم للكثيرين فى بيوض القز (دود الحرير) ومتى جاء الربيع ودفىء الطقس تنقف تلك البيوض عن ديدان . ولا تزال هذه الديدان تنمو الى ان يتم نضجها . ثم تكمن فى شرنقة أو فى غلاف جلدها برهة الى ان تتحول الى فراشة طائرة

وقد جعل هذا العالم يدرس دودة « الطاووس الاكبر » حين شرعت تتحول الى فراشة الى أن تم تحولها فاذا هى انثى . والانثى تختلف عن الذكر بصغر جناحيها . فوضعها فى قفص من أسلاك دقيقة جدا بحيث ترى ولا تستطيع الخروج

وفى صباح اليوم التالى قصد الى معمله لكى يرى ما صار اليه أمرها . فاذا عدة ذكور من نوعها زاهية الالوان جاثمة على القفص تغازل تلك الانثى السجينة وتعرض عليها اجنحتها الملونة اغراء لها وتحببا اليها . ولعلها كانت تناشدها الاشعار لبث الاشواق والشكوى من الفراق

من أين جاءت تلك الذكور والمكان ليس مرعى حشرات . الحشرات تترعرع حيث توجد المياه الآسنة والمستنقعات وعالمنا جاء بدودة تلك الحشرة من برية تبعد عن البلد نحو ميل . فكيف اهتدت الذكور الى معتقل تلك الانثى . استغرب العالم الامر جدا ورام

أن يبحث عن هذا السر . فاصطاد بعض الذكور ، وخطر له انها تشم رائحة الانثى عن بعد ، أين يا ترى حاسة الشم ؟ لعلها فى قرون الذكور المستطيلة الناتئة من رؤوسها . فقص قرون بعض فراشات ثم أطلقها جميعا ، فذهبت بددا ، ثم نقل القفص الى مكان آخر خفي بعيد عن الضوء

فى الصباح التالى تفقد القفص فرأى بضعة وعشرين ذكرا تحيط به ، وبينها بعض مقصوصات القرون وغيرها مما قص أمس زغبا من تحت أجنحتها ، وغيرها عشاق جدد . اذن فليس سر الاحساس فى القرون

طرد الذكور كلها ، ثم نقل القفص الى غرفة داخلية فى الطبقة السفلى من المنزل مظلمة لا يتخلل اليها النور من الخارج ، ثم رش حوله نفتالينا وفينيكا وبترولا وكل ذى رائحة كريهة لكى يضلل الذكور اذا كانت تهتدى برائحة الانثى . وفى الصباح التالى وجدها كلها ومعها ذكور جديدة ، فحار فى الامر

خطر لصاحبنا آخر خاطر وهو ان يكون فى هذه الحشرات قوة اصدار موجات كهرطيسية كموجات اللاسلكى ـ أى كهربائية مغنطيسية ـ تسترشد بها . فوضع الانثى فى اناء زجاجي محكم الاقفال لظنه ان الزجاج عازل للكهرباء يمنع صدور الموجات الكهرطيسية الضعيفة . مع ذلك رأى ثانى يوم بعض الذكور حول ذلك الاناء الزجاجي . ولكن الزجاج ليس عازلا مطلقا للامواج الكهرطيسية ، فلا ينفى تلك الظنة ، وسأعود اليها فى تعليل كل ما تقدم

مهاجرة الطيور

ومهاجرة الطيور نوع من التلبثى ، ولها كتلك سبب واحد . وهى ظاهرة غريبة يعرفها جميع القراء . والذين يأكلون طير السكافك فى مصر يعرفون انهم يأكلون طيرا أوربا عبر جو البحر المتوسط فى رحلة واحدة . ولبعض انواع الطيور رحلات طويلة لا تكاد تصدق . فمنها ما يرحل من وسط أوربا الى جنوبى افريقيا ، ومنها ما يرحل من وسط كندا الى المكسيك فى رحلة واحدة مسافات مئات الاميال بل ألوفها

ترحل الطيور فرارا من البرد أو القحط وطلبا للرزق أو الدفء . تحدث هذه المهاجرات جماعات جماعات فى أوقات معينة من كل عام كأنها على ميعاد ، فكيف تعرف هذه الطيور ميعاد الرحيل ؟ وكيف تعرف السبيل الى مهجرها فى الجو وفوق البحر أو البر . هذه أسئلة خطرت على بال كل مفكر وتحير فيها المفسرون والمعللون وقالوا فيها أقاويل . ولكنها ليست تعاليل تزيل الحيرة . قالوا انها تهاجر بحكم الغريزة . ولكن ما هى الغريزة؟ « لقد فسروا الماء بعد الجهد بالماء » . الغريزة كلمة غامضة لا تفسر سرا . وهناك من قال ان لهذه الطيور حاسة الاتجاه . وهذا قول مبهم أيضا لا يفسر سرا . ما الذى ينبه الطير الى الرحيل فى ميعاد معين والى أخذ ذلك الاتجاه

الراديو الفكري

ان ما نسميه تلبثى أو توارد الخواطر ليس مصادفات كما يظن بعض العاجزين عن التفسير. لان المصادفات ليست الا نادرة ، فان تواترت فلا تكون مصادفة بل لابد من أسباب لها . ونحن نبحث عن هذه الاسباب . فالقول انها الهام أو ايحاء أو غريزة أو حاسة اتجاه ليس تعليلا بل هو ايغال فى الغموض

الراديو الفكرى هو راديو لاسلكى كهرطيسى حقيقى لا مجازى فهو كالراديو الذى فى منازلنا وبه نسمع الكلام عن بعد . المبدأ واحد والاسلوب واحد والتموج الأثيرى واحد وليس من فرق الا فى الاجهزة الميكانيكية المصدرة (المذيعة) والمستقبلة . لا صلة مباشرة بين دماغ صديقى ودماغى . وانما كلا الدماغين فى اوقيانوس واحد من الاثير يتموج بفعل حركة الخليات الدماغية التى يحدث فيها التفكير موجات كهربائية مغنطيسية كما تحدث هذه الموجات فى الاذاعة بفعل الاصوات عن طريق جهاز الاذاعة . وهذه الموجات تختلف فى الطول وفى عدد الموجات فى الثانية كما هو معلوم

فاذا فكر صديقى تفكيرا مهما أصدرت خليات دماغه موجات كهرطيسية تنطلق فى الفضاء الاثيرى ، فاذا كان تفكيره يهمنى أو يخصنى انفعلت خليات دماغى بالموجات الصادرة من خليات دماغه واصدرت نفس التفكير . فما كان تفكير صديقى الا اذاعة لاسلكية دماغية . وما تنبهى لها الا استقبال هذه الاذاعة فى راديو دماغى . هذه هى حقيقة توارد الخواطر

كهربية الخليات

لقد أثبت العلم الحديث ان الجهاز العصبى فى الانسان بل فى جميع الحيوانات حتى فى جميع الاحياء على الاطلاق انما هو جهاز كهربائى مملوء تعبئة كهربائية ضعيفة بالنسبة الى التعبئات الكهربائية التى نعرفها . على ان المقياس الكهربائى المسمى جلفانوميتر الدقيق يكتشفها ويحس بها ويسجل قيمة قوتها

وهو معلوم ان بعض الحيوانات تصدر تيارات كهربائية قوية الى حد ما فى أحوال خاصة كالسمك الرعاد فانه يصدر تيارا كهربائيا فى الماء يصرع عدوه أو فريسته أو يشل حركته . واذا قتلت ضفدعة وقطعت رأسها وسلخت جلدها ثم لففت على كل من ساقيها سلكا ثم أدنيت طرف السلكين الواحد الى الآخر طفقت تنتفض انتفاضا عنيفا بفعل تيار كهربائى صادر من بدن الضفدعة . ذلك يدل على ان فى الجهاز العصبى تيارا كهربائيا فعليا . فكيف ذلك

سر الحياة

قرأت كتابا للعلامة الروسى لاخوفسكى عنوانه سر الحياة برهن فيه المؤلف ان مبدأ

الحياة الذي سماه الفيلسوف الفرنسي برغسن Elan Vital أي النشاط الحيوي (وهي تسمية غامضة لا تفيد معنى) انما هو نبضة كهربائية تسري في الانابيب المسماة كروموسوم في خليات الجسم الحيوي . وهي تحدث من رد فعل الاشعة الكونية Cosmic Rays التي تقع على الخلية . والخلية في كل نسيج حيواني أو نباتي تؤلف من نواة في وسطها تحيط بها مادة مائعة تسمى بلاسما وحولها غلاف غشائي . وفي النواة أعضاء مختلفة ليس يهمنا منها الا الخويطات المسماة كروموسوم ، وهذه الخويطات كأنابيب ، وفي داخلها مائع يحتوي على املاح معدنية (منها الحديد) صالحة للتكهرب والتمغنط . وجدرانها مواد عضوية كربوهيدراتية عازلة للكهرباء أي انها تمنع انفلات الكهرباء منها . وفي هذه الانابيب أو الخويطات تلعب الامواج أو الذبذبات الكهرطيسية أدوارها

تصدم الاشعة الكونية الواردة من الخارج انبوبة الكروموسوم فتكهربها أي تحدث فيها قوة كهرطيسية تسمى فعلا ذاتيا Self Inductance . فتصدر هي بنوبتها كهرطيسية مطابقة بالطول والذبذبة للموجة الصادمة على نفس مبدأ الراديو . ولكل نوع أو أسرة من الخليات درجة خاصة من درجات الاشعاع الموجي السابق بيانها كما ان لكل وتر من الاوتار الموسيقية اهتزازات خاصة تصدر نغما خاصا به . بهذا الفعل الكهرطيسي الموجود في خليات الاحياء الحقيرة والعليا حتى النباتات يتسنى للطيور المهاجرة ان تهاجر في فصل معين من أوربا الى افريقيا ومن قارة الى أخرى بفعل موجات كهرطيسية صادرة من المهجر وصادمة خليات دماغ الطير فتهتدي بها . وما فتىء العلماء يقولون ان هذه المزية في الطيور وغيرها من الحيوانات انما هي غريزة . ولكن ما من أحد فسر لنا الغريزة تفسيرا يخرجها من حيز الغموض الى حيز الوضوح . ولكن نظرية لاخوفسكي هذه أبانت لنا ان الغريزة ليست الا هذه الموجات الكهرطيسية المترددة بين الخليات الحيوية ولا سيما الدماغية كما أسلفنا

ومن أمثلة ذلك ان تألق حشرة الحباحب أي سراج الليل انما هو أمواج كهرطيسية منظورة في نوع من خلياتها تقارب موجات النور في الطول وعدد الذبذبات ، أي عدد الموجات في الثانية . ولا يخفى أن النور تموج كهرطيسي كأمواج الراديو

وقوة الشم التي تهتدي بها الكلاب الى المجرمين ليست بالحقيقة في حاسة الشم نفسها وانما هي في الجهاز الكهرطيسي في خليات من جهاز أنف الكلب العصبي مختصة بالانفعال بما يصدر من كهرطيسية المواد المشمومة كما ينفعل جهاز الراديو بموجات اذاعية خاصة لا بغيرها حينما نوجهه الى تلك الموجات

وقد روى لي صديق ثقة ان كلبا سرق من بلدة بحمدون في لبنان وأخذه سارقه الى صيداء . ثم هرب الكلب من صيداء وعاد الى بحمدون وبين البلدين وعور وجبال وأودية . فهل يعقل ان الكلب استرشد بالشم والرياح والاهوية تتلاعب بذرات الرائحة من كل صوب ؟ وهل يمكن تعليل هذه الظاهرة بسوى انفعال دماغ الكلب بموجات

كهرطيسية صادرة من موطنه الاصلى الى كل ناحية ؟

وقرأت فى كتاب لاخوفسكى نفسه المشار اليه آنفا ان حمام الزاجل اطلق من مكان فيه محطة اذاعة لاسلكية لكى يعود الى موطنه . فكان يحوم حول المحطة وهو حائر لا يدرى الى أين يتجه لان موجات الاذاعة شوشت عليه الموجات الواردة من محل اقامته الاصلى . فلما سكتت الاذاعة انطلق فى سبيله بسلام . وقيل والعهدة على الراوى ان هذه العملية جربت فى برج ايفل اذ اطلق حمام الزاجل من البرج وفى قمة البرج محطة اذاعة لاسلكية فلم يستطع الحمام ان يتجاوز محيط البرج

وحاصل القول ان خليات جميع الاجسام الحية على الاطلاق انما هى اجهزة كهرطيسية مختلفة القوات الموجية من حيث طول الموجة وعدد الموجات فى الثانية . وكل نوع منها ينفعل بدرجة خاصة من الامواج كما انه يصدر ذلك النوع نفسه . كل خلية تصلح ان تكون مذيعة وان تكون قابلة للمذاع ، فما يسمونه « تلبثى » انما هو من هذا القبيل: أمواج كهرطيسية خاصة تصدر من خليات دماغ واحد فتصدم خليات دماغ آخر قابلة لتلك الامواج فتصدر هذه الخليات المنصدمة تفكيرا كتفكير الدماغ الاول الذى اصدر الموجات

ولكل دماغ نوع موجات خاصة من حيث طول الموجات وعددها كما هو الامر فى محطات الاذاعة وفى أجهزة الراديو القابلة الاذاعات . فاذا تشابه دماغا شخصين فى اصدار الموجات الفكرية وقبولها ورد فكر الواحد على دماغ الآخر فنقول تواردت خواطرهما . يكثر هذا التشابه بين أفراد الاسرة الواحدة لان أدمغتهم « مدوزنة » على نسق واحد . ويليهم فى التشابه الاقرباء فالجيران فأبناء البلد الواحد الخ

وبناء على هذا التفاعل الدماغى الكهرطيسى يتوارد الخاطر بين المنوم المغنطيسى والنائم المنوم لانهما تمرنا طويلا على هذا التفاعل . ويمكن ان يتمرن الناس بعضهم بين بعض على هذا الايحاء الكهرطيسى . واذا تمادوا فى هذا التمرن فلعلهم فى المستقبل البعيد يتفاهمون من بعيد بلا كلام بفعل الراديو الدماغى

نقولا الحداد

قال أبو الزناد : كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز ، فكان يكتب الى عبد الحميد عامله على المدينة فى المظالم فيراجعه فيها ، فكتب اليه أمير المؤمنين : انه يخيل الى أنى لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاة ، لكتبت الى أضأنا أم معزا ، ولو كتبت اليك بأحدهما لكتبت الى ذكرا أم أنثى ، ولو كتبت اليك بأحدهما ، لكتبت الى أصغيرا أم كبيرا ؛ فاذا كتبت اليك فى مظلمة فلا تراجعنى فيها

فلسفتي في الحياة

بقلم الأستاذ فكري أباظة بك

قد يرسم « الفيلسوف » خطة نظرية لا يطبقها في حياته وإنما ينشرها درساً للناس . ولكن « فلسفتي أنا » ليست علماً ، وإنما هي أمر واقع ! وليست درساً وإنما هي « تطبيق » !

وبناء عليه : لست فيلسوفاً وان كانت لي فلسفة . أو قل انها ليست فلسفة وإنما هي سليقة وطبيعة و « خلقة » ...

الحوادث والاحداث هي التي رسمت لي فلسفتي الخاصة . واليك بعضها :

١ ـ كنت يوما في قهوة « لونابارك » وقد جلس بجواري رجل طيب من زبائن القهوة . أخذ يحادثني وهو على مائدته عن مشروعات مالية كبرى شرع يعد معداتها ومر « بائع فسيخ » فأخذ يفاصله ثم سكت والفسيخة في يد البائع .. سكت .. ثم سكت .. واذا به قد مات !

٢ ـ كان الشيخ « سيد الخشن » من أعيان ناحيتنا يلعب الطاولة مع « عم ميرغني » . ورمى عم ميرغني الزهر ثم لم يلعب . وكان الرهان على خمسة قروش صاغ . وكان « الاوين » الاخير . واستشاط الشيخ سيد غيظا وأخذ يصيح فيه : ألعب ! يا ميرغني ألعب .. انت « حاتفلس » يا ميرغني ؟ عيب يا ميرغني !

كل هذا وميرغني لا يتحرك . لان ميرغني كان قد مات !

٣ ـ كنت في سينما « المتروبول » في حفلة من حفلات الحزب الوطني . وكنت بجوار « علي بك فهمي كامل » انتظر دوري في الخطابة ، وخطب قبلي علي بك .. ولما انتهى وسط ضجة من التصفيق قبلته . فقال لي انه يريد السفر باكر للزقازيق لزيارة الاستاذ الكبير وجدي بك . فقلت نسافر سويا ، وجاء دوري فبدأت أخطب . ولكني شعرت بلغط ورائي فظننته « عدم استحسان » ، والتفت ورائي فاذا بعلي بك فهمي كامل قد مات!

٤ ـ في أسرتي توفي فجأة أصدقاء وأقرباء أعزاء . لم افارقهم يوما واحدا : أحدهم مات في القهوة وهو يمزح مع أصدقائه ـ والثاني مات في ليلة دخلته على عروسه ـ والثالث قضى نحبه وهو يلبس حذاءه ـ والرابع اختاره الله لجواره وهو بين يدي في وليمة غداء يداعبني وأداعبه ـ والخامس مات وهو نائم بهدوء في فراشه ـ والسادس سقط صريعا

وهو فى ابلى مواقفه على منبر مجلس الشيوخ ـ والسابع ، والثامن .. الخ الخ

٥ ـ وكثيرون كثيرون من اصدقائى ومعارفى وافاهم الاجل المفاجىء المحتوم فى الدواوين وفى القطار ، وفى الترام ، وفى النادى ، الى آخره ..

***

من هذه الحوادث والاحداث أخذت « فلسفتى فى الحياة » وتشبعت بها وملأت ذهنى وسادت خطتى فى دنياى !..

اذا كان الامر كذلك فلماذا لا تتعظ ؟ ولماذا لا نقنع ؟ ولماذا نخاصم ؟ ولماذا ننتقم ؟ ولماذا لا نعف ؟ ولماذا لا نعلو ؟ ولماذا لا نجمع ثروة القلوب لا ثروة الجيوب ؟!

***

ما الحياة ؟!

الحياة فى نظرى ونظر الناس جميعا بتعريف جديد هى :

١ ـ عمل .. ٢ ـ صحة .. ٣ ـ زواج .. ٤ ـ أولاد .. ٥ ـ عاطفة ..

هل فى الحياة أكثر أو أقل من هذه العناصر الخمسة ؟ زدت أو أنقصت فلا بد أن الحياة كلها تدور معركتها وحركتها حول هذه العناصر الخمسة ..

فاستمع الى فلسفتى ازاء كل عنصر منها :

١ ـ العمل

أؤديه كما يجب . وبما أن العمل ليس ملكى وانما ملكى وملك غيرى . فيجب أن أجيده . ما دمت أقبض أجرى كمحام أو صحفى أو .. أو .. الخ ففلسفة الذمة « النظيفة » تقضى بأن لا أخون فى كمال الاداء ودقة الاداء . وفى هذا الميدان اختلف مع غيرى أو تختلف فلسفتى مع فلسفة غيرى فى اننى لست من غواة الطفرة ! ولا من غواة الاستغلال ! فأنا لا أقفز .. أنا « سلحفائى » ، ولست « أرنبيا » فى الجرى الى الهدف . دستورى أن أرضى واجبى قبل أن أرضى أطماعى . وطالما وبخونى وطالما حرضونى وطالما همسوا فى أذنى قائلين : استغل ! اقفز ! ولكن كانت فلسفتى تقف دائما حائلا دون ذلك . كانت تقول لى : القفز والاستغلال يستلزمان حتما أن أدوس بقدمى بعض المبادىء الاخلاقية .. الاطماع الواسعة السريعة تتطلب تنكرا ، تمردا ، حملة ، حربا ، نفاقا ؟ غدرا ، « مسح جوخ » ، فتنة ، وهذه كلها أساليب لا تتفق والفلسفة ، ولا تحيا فى حياة الفلاسفة ..

ومن هنا قيل انى قنوع ! انى مهمل ! انى متهاون ! انى زاهد ! انى فيلسوف .. وشكرا للمتهكمين : انى لسعيد !

٢ ـ الصحة

لا تفهمها فلسفتى فى الحياة كما يفهمها الناس . أنا لا أرهق جسدى ولا ذهنى لدرجة الاستحالة . فأنا حريص كل الحرص على أن أتناول طعامى بنظام . وفى بيتى . ولا أذكر انى سمحت لعملى بأن يطغى على مواعيد طعامى . ولا أظن ان « غول الاستغلال » قد أكل يوما واحدا من وقتى المنظم . والصحة عندى هى أكل منظم ، وسهر منظم ، وبرنامج يومى منظم . ولا أظننى سمحت لاعصابى بأن تتألم أكثر مما يجب ، أو تفرح أكثر مما يجب ، أو تثور أكثر مما يجب . كنت أروضها وأمرنها على أن تظل هادئة بقدر ما تستطيع الطاقة البشرية . وبعض كبار « المرضى » انما ينتابهم المرض من عدم النظام . فأغلب الموظفين يأكلون بعد الساعة الثالثة . ويشتغلون صباحا وظهرا ومساء . ولا أظن أن مستر « تشرشل » يفعل مثلما يفعلون . فهى بلادة طبع واجراء وعدم كفاءة فى التنظيم والترتيب ولذلك فان «فلسفتى الصحية» تستند الى مبدأ « الوقاية » لا «العلاج» وأظنه المبدأ الاصح ..

٣ و ٤ ـ زواج وأولاد

لم أتزوج ولم ألد . وفلسفتى هنا فلسفة لا يقرها الدين ولا العرف . ويعتبرها البعض « أنانية » أو « جبنا » .. لكن ! أنا لا أتكلف وانما أنا رجل ترى فلسفته انه صان أخلاقه ومبادئه حتى الكهولة . ونعتقد فلسفته ان « الزواج والاولاد » مبخلة ومجبنة !!

فلسفتى تقول لى فى هذا الصدد : أنت رجل بطبعك وسليقتك ضعيف أمام السيدات والآنسات . وتجاربى تؤيد فلسفتى . فاذا ثبت انى ضعيف فى دنيا لا تربطنى بها واجبات مقدسة فمن باب أولى أكون « اضعف » فى دنيا الزوجة ودنيا الاولاد . وهذا الضعف المنتظر يجر الى ضعف فى الاخلاق والمبادىء تحت ضغط الضعف الزوجى والبنوى وهذا ما أخشاه وما أتفاداه !

٥ ـ العاطفة

مثل هذه الفلسفة فى الحياة لا تلد الا عاطفة ناضجة فوارة . فأنا رجل عاطفى بكل معنى الكلمة : مخلص إذا أحببت ـ مخلص اذا تعاقدت ـ مخلص اذا صادقت ـ مخلص اذا جاملت ـ مخلص اذا فرحت واذا حزنت ..

العاطفة القوية دعامة شخصية قوية . والانسان بدون عاطفة حية خصبة فياضة لايصح أن يسمى « انسانا » اذا كان اللفظ وثيق الصلة بالانسانية !!

***

هذه الفلسفة قد تقبض جزاءها متأخرة جدا عن غيرها من « فلسفات » الآخرين ولكن شعور الانسان ازاء نفسه بأنه يحترم نفسه رأس مال كبير ..

فكرى أباظة

المسرح المصري في هذه الحرب

للأستاذ زكي طليمات

مدير معهد فن التمثيل العربي

ان المتقصى مدارج المسرحية فى تاريخ الأدب يلاحظ ظاهرة جديرة بالتنويه فيما نحن بصدده ، فالتأليف المسرحى لا يعمل على أحسنه فى زمن الحرب الا فيما ندر ، واذا عمل فانه يكون لتسجيل النزعات الطارئة والانفعالات المرتجلة التى يبعثها وحى الساعة العصيبة ، فيأتى تسجيلا شاحبا كابى اللون يفتقر الى العمق والدسم والخصب ، وهى من عناصر المسرحية الكاملة . وعلى هذا فان أكثرية المسرحيات القيمة التى تزخر بانفعالات الكائن الانسانى وهو يواجه الحرب ، وتكشف عن سريرته ازاءها ، لا تبرز الا بعد أن تضع الحرب أوزارها وينقشع دخانها

ومرجع هذا أن الذهن فى أثناء الحرب ، وهو الحدث الجلل ، يكون ايجابيا من ناحية مواجهته كوارث الحرب ، الانسان اذ ذاك ، كما هى الحال الآن – ولا سيما فى البلاد المحاربة – يكون منصرفا بكل قواه العقلية والجسمية الى تدبير شؤونه الحيوية ، موزعا بين المحافظة على كيانه وبقائه ، وبين القضاء على خصمه المحارب ، وهو فى هذا يجرى أحكامه وينجز أعماله وثبا ونهبا ، بت عاجل فى الأمور وانجاز سريع لها ، وسط جو ملبد بدخان تتعذر فيه الرؤية الفاحصة . وحال هذا شأنها لا تساعد الذهن على أن يبتدع عملا فنيا ، من مذكيات عناصره الهدوء وبعض الاستقرار الذى يساعد على التأمل والبحث والتمحيص وجلاء البصر وصفاء البصيرة

غير أننا نبالغ بعض الشيء اذا قررنا أن الذهن الانسانى تشل فيه ملكات التوليد والخلق فى عالم المسرحية وذلك بفعل مشاغل الحرب وضائقتها . الواقع أن هناك بعضا من مسرحيات ومشاهد تمثيلية تكتب فى زمن الحرب وتخرج على الناس ، ولكنها مسرحيات تفعية مرتجلة ، منها ما هو للدعاية ، ومنها ما هو للاستحثاث على الجهاد والسير فيه قدما ، ومنها ما هو للتفكهة واثارة الضحك فى وقت يعز فيه الضحك ، وجلها من الأدب الماحل والفن الهزيل لافتقارها للقيم الانسانية الثابتة والحقائق الباقية التى هى من عمل التفكير العميق والحس البعيد فى أغوار النفس

كذا شأن التأليف المسرحى فى زمن الحرب ، وفى البلاد التى تكابد ويلاتها ويتعثر أهلوها بأنقاض دورهم وأشلاء قتلاهم

أما فى البلاد التى تكون الحرب على أبوابها ، أو هى تجرى فى أطرافها وعند مشارف

حدودها ، فالامر يختلف بعض الشيء ، ومرجع هذا أن الواعية لدى الكتاب تقف من أحداث الحرب موقف المتفرج العاجب ، وقد انتفت عنها بواعث الفزع المزعج ، فتكون ايجابية فى عملها ، اذ يوقظ الخطر البعيد حواس النفس وملكات الذهن ، فتنبرى بعض الاقلام متوفزة فى هدوء تجوس مسالك المشكلة القائمة الملوحة باخطارها وتقب فى حنايا النفس المنفعلة فيكون لبعضها وزن من الفن الصادق والأدب القيم . وعلى الجملة فان القدرة على معالجة شؤون الحرب بطريق المسرحية تكون حسب شعورنا بالحرب، واكتوائنا بويلاتها ، وتأثرنا بفعالها المباشرة ، أو بموقفنا منها موقف المشاهد

مصر والحرب

كيف نحس الحرب فى مصر ؟ الحرب عندنا ضائقة مادية وأزمة نفسية ، ارهاب وفزع، وتلويح بدمار ، بل ودمار مرتجل يقع من وقت لآخر فى الصحراء الغربية وفى اطراف شواطئنا بفعل غارات جوية ، أو زحف من جانب جيوش المحور فى الصحراء سرعان ما يتلاشى تلاشى أعاصيرها ، هذا والقتال تنهض به جيوش الحليفة بريطانيا وانصارها . فأغلبيتنا الساحقة تحس الحرب ولا تراها ، وتشم دخانها ولا تكتوى بلظاها ، والمقام هنا ليس لتحديد موقفنا من الحرب من الناحية السياسية والعملية ، وانما نقول اننا بمركزنا القائم أصبحنا فى نجوة من دمار الحرب وويلاتها ، ننعم بشعور نسبى من الاستقرار والامان ، ولكنه شعور تشوبه مخاوف الخطر القائم وملل الانتظار : استقرار واضطراب، أمان ومخاوف ، تياران عنيفان من شأنهما أن يسلما النفس الى الضيق ، فينبعث فيها لاعج لا شعورى ، مأتاه رد فعل هذه الحال ، ينساب فى جنبات الوعى ينشد التفكهة والتسرية والترفيه الذى يخفف عن النفس تحمل الضيق المنوى ، والضائقة المادية

لم يكن عجيبا أن نرى نتاج أقلامنا فى تأليف المسرحية يتخذ ألوانا ، ان اختلفت فى الصيغة والمظهر ، فانها تتفق فى الباعث والمخبر ، ويمكننا أن نجمع هذه الالوان فى ثلاثة أقسام :

١ ــ مشاهد تمثيلية للدعاية ولمعالجة توافه الامور الجارية
٢ ــ مسرحيات ذات وزن تعالج قيما انسانية ثابتة لها اتصال مباشر بالحرب
٣ ــ مسرحيات فكاهية ليس لها اتصال بالحرب

فى القسم الاول لدينا فيض لا ينقطع معينه نراه فى مسارح العرض الموسيقى Music Hall. أكثريته ، ان لم يكن كله ، مصطبغ بألوان فاقعة من الدعاية يهلل لانتصارات الديمقراطية على الاوتقراطية ، ويقدم على المسرح الشخصيات الهامة التى تلعب دورها الآن فى عالم السياسة والحرب . وأقلية هذه المشاهد تعالج معالجة سقيمة موقفنا من الحرب فى نواحيها المبذولة التى هى شغل رجل الشارع كاظلام الطرق وتغير وجه الرغيف الذى له لون فى كل يوم الخ . .

وكل هذه المشاهد التمثيلية هزيلة سقيمة مصطنعة لا قيمة لها ، مبذولة من أجل الكسب الهين العاجل ، مرتجلة لتملق احساس الجمهور ، بيد أنه على هزالها وسقمها ترسم فى شحوب أطياف القلق الاجتماعى السائد فى مصر

أما القسم الثانى ، وفيه تدخل المسرحية الحقة التى هى من وحى الحرب فى جدية النظر اليها وعمق التأمل فيها وتقصى الاحاسيس التى تنطلق بمؤثراتها ، فان نتاجه قليل ونادر ويا للأسف ، اذ لم يصل الى يدى منه ، وذلك بطريق المطابع ، غير مسرحيتين هما « المخبأ رقم ١٣ » و « قنابل » (١) وفى اسميهما دلالة ناصعة على انهما من وحى الحرب وللحرب التى لم نعرف عنها غير المخابىء والغارات وبعض القنابل

(المخبأ رقم ١٣) و (قنابل)

وكلمة « المخبأ » كافية لان تبعث الى الاذهان تلك الغارات الجوية التى كابدنا مخاوفها ، ولم نكابد فعالها أيام كانت جيوش المحور تهدد حدودنا الغربية . تلك الغارات كانت همنا وشغلنا الاوحد فلا عجب أن تكون عاملا يبعث الكاتب على انشاء مسرحية فى صددها ، وقد وقع . بيد أن الكاتب لم يقصر همه على تسجيل مظاهر الانفعالات التى تعصف بنفوس اللاجئين الى هذا المخبأ ، وهم اخلاط متباينة من طبقات مختلفة يشد وثاق الالفة بينهم حذر الموت وخشيته ، ولم يكن الكاتب فى مسرحيته هذه لزف المهاترات التى تقع أحيانا فى مثل هذا الموقف ، ثم ابراز الطابع المحلى للحوادث والاشخاص ، بل تجاوز كل هذه المظاهر قادرا الى ما هو أعمق وأبقى وأثبت ، تجاوزه الى الدلالة فى تلويح لطيف على أن النفس البشرية لا تقيم على حال ، بل هى تغير من لبوسها بتغير العواطف التى تسرى قوية فيها ، فهى أبدا متغيرة متقلبة كوجه الماء ، له لون كلما تغير الضوء الذى ينصب عليه . فعل المؤلف هذا بعد أن شد حوادث روايته الى هذا المحور جاعلا من مثول خطر الموت وزواله ، من الفزع والطمأنينة ، مبعث الضوء الذى يصب أشعته المختلفة اللون على شخوص المسرحية، فاذا هم يتغيرون عواطف وشعورا ويتناقضون فيما بينهم وبين أنفسهم كلما تغير لون الضوء الذى يغمرهم !

وفى مسرحية « قنابل » نرى المحور الذى تدور عليه حوادث الرواية هو خوف الموت وقد تجسم فى قنابل الطائرات المغيرة . هذا الموت الذى يؤمن العقل بأنه نهاية محتومة فلا خوف ولا مفر منه ، وهو أيضا هذا الموت الذى تفزع الغريزة من طيفه وتحاول الفرار منه بدوافع لا شعورية ! نضال عنيف بين العقل والغريزة فى هذه المسألة الحتمية شرعه المؤلف على شخوص المسرحية ، فاذا هم يتطوحون بين المنطق الذى هو من فعل العقل الظاهر ، وبين الغريزة التى هى من عناصر العقل الباطنة ، فكان أن خسر التام

(١) المسرحيتان المذكورتان من تأليف محمود تيمور بك القصاص الكبير

عن نواح من مغلقات النفس التى هى واحدة فى كل زمن

وبهذا لم تتجاوز مسرحية الحرب الحقة لدى مؤلفينا غير معالجة اخطار الحرب من ناحية الموت وقد لوح بمنجله مهددا بالفناء ، وكان هذا أمرا طبيعيا يتفق تمام الاتفاق والمحسوس والمقروء والمسموع لدينا من أهوال هذه الحرب وقد وقفنا على هامشها نراقب حوادثها تارة فى هدوء وفرح ، وأخرى فى فزع وغم . وفيما عدا هذا لم نقرأ قصة ، ولم نشاهد مسرحية تناولت الحماس القومى وقد التهب بلهيب الحرب ، ولم نطالع شيئا يعالج ناحية من فلسفة الحرب ، من حيث انها ضرورة اجتماعية ومظهر من مظاهر التجدد والبعث المسير

مسرحيات فكاهية ليس لها اتصال بالحرب

والى جانب القسمين السابقين جاء فيض من المسرحيات الفكاهية بمختلف أوضاعها الفنية من « كوميدى » أخلاقية و « فودفيل » صاخب بمشوقاته المفتعلة ، و « هزلية » تنوء بحمولة من النكات اللاذعة والعبارات المملحة باهكومات الحرب وسخريات الضائقة المالية . ومأتى هذا ولا شك هو رد فعل الحالة القائمة التى تسود المجتمع ، وميل أصيل فى الطبع المصرى الى التفكهة وتهوين المحن

ومصداق ما أذهب اليه فيما تقدم أولا وأخيرا ، تلك المسرحيات التى تقدمت الى لجنة مباراة التأليف المسرحى — وهى مباراة أقامتها وزارة الشؤون الاجتماعية بين المؤلفين المصريين — فقد تجاوز عدد هذه المسرحيات المقدمة مائتين واربعين ، كلها من النوع الفكاهى ، الا عشرا للجد الخالص والمأساة ، وليس بينها واحدة تعالج مشكلة من مشاكل الحرب . وبين هاته المسرحيات ثلاث مكتوبة بالشعر

لغة المسرحية

فشت العامية مزهوة وانزوت الفصحى بعض الشىء فى كبريائها . وهذه ظاهرة غير مستغربة لان أكثرية المسرحيات التى كتبت اثناء الحرب من النوع الفكاهى المقصور على معالجة نواح من حياتنا المحلية . ومن المعلوم أن حسن استقامة المعقول La vraisemblance من جانب المسرحية الفكاهية يقضى بأن يتكلم شخوصها كما لو كانوا فى الحياة الواقعية ، ونحن فى الحياة الواقعية يندر أن نتكلم بالفصحى الخالصة

وقد يمتد لهذه الظاهرة أصل الى أن مجال التجويد فى اللغة العربية ، وقد خضعت لمقتضيات الحوار المسرحى ، لا ينهض به غير المقتدرين من الكتاب الذين لهم عرق أصيل فى اللغة . وقد يكون لحالة القلق السائد ، ولاننا ننتهب الحياة انتهابا فى هذه الآونة ، دخل فى نزوع الكتاب المسرحيين الى الاخذ بالعامية لسهولتها ولانها مبذولة المنال لكل

كاتب ، ولا تتطلب الحذق الفنى والمراجعة والتقصى وما اليها من مستلزمات لا بد أن يأخذ بها المؤلف المسرحى اذا أزمع أن يكتب مسرحيته بالفصحى (١)

وتتضمن لغة هذه المسرحية الفكاهية استعارات وعبارات مألوفة فيما نطالعه فى الصحف من أخبار الحرب ، « فزمارة الانذار » و« رجعت الى قواعدها سالمة » و «الانوار الكاشفة» و « الدبابة » و « O.K. » استقرت فى حوار بعض المسرحيات من غير افتعال . وهكذا غدت المسرحية صفحة فى سجل لغة الزمان الذى نعيش فيه الآن

الاقبال على دور التمثيل

اذا قررنا أن المسرح المصرى يسعد الآن بأيام زاهرة من حيث اقبال الجمهور على حفلاته لما قررنا غير الواقع ! ومأتى أكثر هذا نزعة الترفيه التى ساورت الجمهور فى مختلف طبقاته بتأثير ضائقة الحرب فجعلته يتلمس أسباب التسلية اينما كانت وكيفما كانت . وكذلك اليسر المادى الذى هبط على طبقات خاصة من الناس بفعل ارتفاع أجور الايدى العاملة ، وزيادة كسب التجارة ، وظهور طبقة من أغنياء الحرب ، فأصبحنا نرى فى دار الاوبرا الملكية مثلا ، وجوها ما كنا نطالعها قبل الحرب . وفوق هذا فان الجمهور فى أكثريته حد من تهافته على ارتياد المراقص وصالات العرض وأوكار المتعة الحسية ، تدفق أفواج الجنود عليها من كل جنس ـ ومن الخير الابتعاد عن أناس تلبسهم نزعة جامحة الى الاستمتاع باعتبار أن لا غد لهم ـ كما أن الاوامر العسكرية الخاصة بتقييد السهر وتقديم المشروبات سلبت هذه الاماكن بعض ما كان يألفه فيها روادها القدماء . وقد يكون لاكتظاظ دور السينما بالجنود المحاربة تأثير فى أن يتجه الجمهور نحو المسارح

فن الممثل وفن الاخراج

الممثل فى فنه ، يصدر عن طبعه وقد اتجه فى محاولة عسيرة للتطبع بشخصية الدور الذى يكون بين يديه ، كما أنه قد يتأثر ، الى حد ما فى اختيار لون أدائه ـ وذلك من حيث الجنوح الى المبالغة أو الاخذ بأسباب الأداء الطبيعى الخالص السهل ـ بمزاج النظارة ولا سيما فى الظروف التى يكون النظارة بفعلها خاضعين لنزعة بادية المعالم والحدود

الممثل اليوم مغموم بفعل ضائقة الحرب ، والنظارة كذلك ، فهما سواء فى طلب التفكهة ، وكل منهما يحاول استخراجها من أتفه الاشياء . فلم يكن عجيباً أن يتسم فن الممثل الفكاهى بجنوح الى المبالغة فى اثارة ضحك النظارة بكلام دوره ، بل هو يرتجل

(١) بيد أن العربية الفصحى لم تعدم أنصارها ، فقد ظهرت مسرحية « قيس ولبنى » للشاعر النابه عزيز بك أباظه و « ولاده » للشاعر الحاذق على عبد العظيم . ومثلت الفرقة المصرية المسرحية الاولى فى العام الماضى

أحيانا عبارات ليس لها أصل فى المسرحية ، وان كانت مما يصح أن تجرى على لسان دوره ، ابتغاء توليد النكتة البارعة . واساق الى هذا الجنوح الممثل الجدى فى تأدية أدواره الجدية ، ولكن بقدر هين ، فهو يكتفى فى تملق رغبة النظارة الى التفكهة بأن يبرز موطن الفكاهة فى دوره وينبه اليه تنبيها لا يخلو من مبالغة

أما فن الاخراج ، وذلك من الناحية الخاصة بالمناظر المسرحية والتأثيث وكل ما من شأنه أن يعمل على احياء الصبغة المحلية للرواية ، فقد رانت عليه نزعة الى توخى الاقتصاد نظرا الى غلو الخامات ، فاضطر المخرجون الذين لا يأخذون الا (بالواقعية) فى احياء الصبغة المحلية للرواية ، الى أن يخففوا من غلوائهم فى ايراد التفاصيل والزخرفة الزائدة فى رسم المناظر ، وان يقصروا التأثيث فوق المسرح على الاثاث اللازم الذى يلعب دورا مع الممثلين (١)

النقد والدعاية

انكمش النقد حتى صار أسطرا فى المجلات بعد أن كان يملأ أنهارا من الجرائد وصفحات من المجلات ، وعلة هذا ضائقة الورق وطغيان أخبار الحرب على كل ما عداها . ولم يتغير النقد فى جوهره عما كان عليه ، فهو اما للتشيع والمناصرة ، واما للتخذيل والمنازلة . وفى الحالتين يشكو هزال المعرفة . ولكن أخبار المسرح فى حوادثه ومظاهر نشاطه وتفاهات الممثلين ، ومغامرات الممثلات ، بقيت محتفظة بأهميتها

اما الدعاية فصارت متواضعة فى لغتها وفى الحيز الذى تشغله من الصحف واعلانات الحائط ، ومرجع هذا ارتفاع أسعار النشر بالجرائد ، وغلاء الورق . وثمة وسيلة جديدة فى الدعاية ظهرت لاول مرة على يدى الفرقة المصرية ، وهى الاعلان عن المسرحيات ومواضيعها بطريق الراديو من محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية

هذه حال المسرح المصرى ، وقد دخلت الحرب فى عامها الخامس . وهى حال ترسم فى جلاء موقف الذهن المصرى من تأليف المسرحية ومن سائر فنون المسرح ، وتبين مدى تأثير الحرب على ناحية من نواحى التعبير الانسانى فى فن انتحلناه قريبا من فنون الغرب

زكى طليمات

---

(١) أخذت أنا شخصيا بمبدأ الايحاء والتبسيط والتركيز حتى فى اخراج المسرحيات الواقعية والأوبريت وأهمها « شهرزاد » و « يوم القيامة » . كما أخرجت مسرحية « يوليوس قيصر » وأحييت صبغتها المحلية بواسطة ست عواميد رومانية ، وتمثال لذئبة رومبلوس ، فأستار من القطيفة على ثلاثة ألوان فحسب . هذا فى حين ان المسرحية المذكورة تجرى فى أكثر من خمسة عشر منظرا مختلفا

قصة مصرية

موعد مع السعادة

بقلم الأستاذ حلمى مراد

ليلة رأس السنة ..

أقبل الليل ، وتقدم ، وهو ما يزال فى مكتبه .. مكبا على العمل ! كانت قد مضت عليه ساعات وهو فى جلسته ، والغرفة مقفلة ، والاوراق متناثرة أمامه ومن حوله .. حتى أحس بالضيق ، والملل ، وحانت منه نظرة الى الساعة المعلقة تجاهه ، فنحى الاوراق جانبا وقام الى النافذة يفتحها ويطل منها على الميدان

وانتابه شعور من يفيق فجأة من كابوس ثقيل !

كانت الانوار الزاهية تشع من واجهات المراقص والمقاهى والدور ، وتراقص على الاسفلت اللامع الذى غسلته الأمطار .. والضحكات الطروبة ترن فى الطرقات .. والموسيقات المرحة الصاخبة تنفذ من الحانات وتختلط فى الآذان .. وكل شىء ينادى ويدعو الى ارتشاف كؤوس اللهو والمتع ، نخب العام الجديد !

وأحس (هو) بشىء يتجمع فى اعماقه وينفث فى وعيه شيئا كالسم البطىء .. شيئا كأنه يقول « أنا الحياة !.. هيت لك .. فارحم نفسك وشبابك .. وتعال »

يا للفظ الشباب ! ان له فى نفوس الشباب لفعول السحر أو أكثر . انه يحمل حشدا من المعانى يفتح مغاليق الاحساس ، ويفرش بالرمل الاحمر طريقا معبدا .. الى الملذات !

ووجد (هو) نفسه يتدثر بمعطفه ويندلف الى الطريق ..

كانت عيون السماء قد جفت ، وكفت عن البكاء حزنا على العام الذى يحتضر .. فمضى على قدميه ، حائرا ، تتنازعه الاضواء وتتقاذفه الارصفة ، كأى شخص بلا برنامج مرسوم . انه لم يكن ينوى أن يسهر الليلة . لقد سئم هذه السهرات المتشابهة منذ بعيد ، وصارت نفسه تتوق الى شىء جديد ، لم يكن يدرى ما هو .. لكنه لا ينى يبحث عنه ، وان انتهى به المطاف دائما الى نفس الحيرة .. وخيبة الأمل !

وجذبت بصره أنوار ملهى كبير ، فأقبل على بابه وهو يحس انه انما يغالط نفسه ، وانه ليس مشتاقا الى الدخول . وكان المدخل مزدحما فوقف خارجه يرقب الوجوه المتعطشة للهو ، واللهفة البادية فى العيون ، فلم يملك نفسه من العجب .. لهم .. ولنفسه ، وانفتح فى وجهه باب داخلى فهب عليه من صالة المرقص الكبرى دخان الانفاس المخمورة .. وصدم سمعه خوار السكارى ، وضحكات النسوة المتبذلات .. فأحس بالراحة ! كمن

كان يتلمس شيئا يصرفه عن الدخول .. ويرده الى الطريق

ومضى متثاقلا ، لا يعرف الى أين يسير ..

حتى لفظه شارع الملاهى الى أحد الميادين ، ولم يحس الا وهو يتأمل ـ دون وعى ـ سلما خضراء لسيارة أتوبيس أوقفتها اشارة المرور فجأة عند قدميه . وقبل أن يفكر رآها تتحرك .. فتنبه الى نفسه وهو يتعلق بها فتنطلق به مسرعة . الى الحى الذى يسكنه

وباغته الأسى . آلمته حيرته ، ووحدته . فأحس كأن شبابه يفر منه هباء ، وأعوامه تمر .. بلا معنى ! ولذ له ان يفكر فى أمره ويخلو الى نفسه طويلا ، فى جو من الصفاء ، بعيدا عن الضجيج . لقد أحسن صنعا بالهرب من جو المدينة الصاخب .. الكريه

وتركه الاتوبيس قرب منزله ، فسار اليه متمهلا وقد راعه السكون الشامل ، والليل الساجى .. وثابت نفسه الى بعض السكينة ..

***

واستلقى فى غرفته على مقعد طويل ، وأمسك كتابا .. ثم تنبه بعد زمن ، فاذا هو لم يقرأ أكثر من ثلاثة سطور ، فأعاد الكتاب الى مكانه ووقف يتأمل صفوف الكتب المتراصة . ما جدواها ، وغناها ؟ لقد بدأ يكفر بهذه الالهة التى طالما عبدها ووجد فى صحبتها غنى عما عداها !.. انُ فى الدنيا اشياء أخرى ممتعة تطيب بها الحياة وتحلو . ولكن أى شىء من هذه الاشياء لم يجربه وينصرف عنه ، متبرما ؟ لقد ذاق كل شىء .. وعافه دون أن يجد فى شىء مبتغاه الغامض ، أو تخلد نفسه الى الراحة ، أو السلام العذب الذى تنشده !

ولمح مجموعة كتب تولستوى . ان الزاهد الروسى قد وصف أزمة كهذه لازمته طويلا .. لكنه كان قد جاوز الخمسين ، وبدأت تدبر عنه الحياة . أما هو فانه لم يزل فى مستهل الشباب .. سن الاقبال على الدنيا ، والتفتح ، والاشراق

واستدار عن خزانة كتبه الى خزانة اسطواناته المحببة . منذ متى شغله عمله عن الاستمتاع بقسط من الفراغ ، وصفاء الذهن ، يتيح له الخلوة بها والاستغراق فى جو ألحانها الخالدة ، فى صحبة اصدقائه الغابرين : شوبان ، وتشايكوفسكى ، وشوبرت ؟.. منذ متى لم يسمع لحنه المفضل (سيريناد دى شوبرت) ؟.. ومد يده الى مكان الاسطوانة فمسح عنها الغبار ، وأدارها

واستلقى مسترخيا ينصت للحن الحزين ، ويحس بانغامه تترقرق الى أعصابه

وذكر آخر مرة سمعه فيها ، و (هى) الى جواره .. ليلة لقائهما الاخير !

***

فى تلك الليلة من الشتاء الاسبق ، دعاها الى لقائه وهو يخدع نفسه ، ويوهمها أن الفتور الذى لازمهما فى المقابلات الاخيرة لن يندس بينهما هذه المرة . لن يعرف المكان الذى

سيجلسان فيه ، فانه مكان جديد ، بهيج ، حافل بالناس . لكن ما اشفق منه قد وقع . لم تكد تفرغ من حديثها التافه المعتاد حتى عاد الصمت يضرب بينهما ، ويطرح عليهما ظله الثقيل . فأحس هو بالحرج ، والاسى .ان محاولته الاخيرة قد منيت بالفشل ، وجذوة حبه التى ينفخ فيها قد انطفأت . . صارت رمادا ! لماذا زهد فتاته ؟ كان يسائل نفسه وهو يختلس نظرات قلقة الى محياها ، فتزاد حيرته ، واحساسه بأنه عاجز عن الجواب . ان جمالها الذى فتنه فى البداية ما يزال يفتن الناس ، الجالسين من حولهما . هذه نظراتهم لا تكاد تلمحها حتى تعلق بها وتتشبث ، وتفيض حسدا له ! أما هو .. فزاهد فيها ، وفى حسنها الذى ملك يديه ! وأمضه هذا الاحساس .. احساس الشبعان يصدف عن اللقمة الشهية التى أمامه ، بينما انظار الجياع تلتهمها من بعيد . لكن الذى أمضه اكثر ان الواحة التى استراح فى ظلها زمنا ، لم تعد تكفل السعادة لروحه القلقة .. وأنه مضطر الى مواصلة طوافه الشاق فى طلب هذا الصيد الهارب المستعصى !

***

وكان صمتهما قد طال وبدأ يلفت اليهما الانظار ، فاقترحت عليه أن يخرجا من المكان وسارا فى طريق منزلها . كان الهواء رغم برودته صافيا حلوا ، والسماء مرصعة بالنجوم الضاحكة التى تغرى بالتأملات .. والاحلام ! وانعطفا الى شارع صغير فامتلأ الهواء فجأة بانغام ناعمة ، تنساب من نافذة فيلا قريبة

فاستأذنها هو فى الوقوف ، والاصغاء الى لحنه الحبيب (سيرناد دى شوبرت) ، ثم نسى وجودها .. ووجوده .. انه لا يسمع هذا النغم الحزين حتى يرق وجدانه ، ويشف حسه ، فتسرى قشعريرة عذبة فى أوصاله .. وتنساب الى حلقه أشباه دموع ! ماذا كان يشقيه ؟ بم كان يحلم ، وماذا كان يضطرب فى رأسه من الأمانى ؟ لم يكن يدرى . كل ما يدريه انه يطلب السعادة ، فى صورة غامضة .. غير محددة ، وفى أى ثوب يروقها ان تتقمصه

***

ورفع بصره الى الطابق الثانى من أحد المساكن ، الى غرفة تسبح فى النور الاحمر الباهت . لا ريب انها مخدع غرام .. ورقصت فى ذهنه صورة غانية تتمرغ على فراش من حرير ، يحتضنها النور الاحمر ويغمز بدنها الوردى .. فدارت رأسه ، واختلطت فيها الصور ، ثم تحددت فى صورة ، هى هذه !.. لا شك ان هذا ما كانت نفسه القلقة الحائرة تطلبه دائما وهو لا يدرى . لقد عاش عزوفا عن الملذات الرخيصة ، يعاف الجمال المبذول .. ويعف عن صحبة الغانيات ! لكنه قد تغير .. بل السعادة التى تغيرت . خلعت ثوب العذراء الحالمة التى يهيم الطهر فى عينيها .. واتخذت ثوب امرأة ، يأوى الى بدنها الشيطان

وأفاق من خواطره وقد بلغا منزل الفتاة . مد يده اليها ، وأوشكت ان تفلت منه كلمات التواعد على اللقاء التالى .. لكن لسانه ثقل فى حلقه ، فتركها تمضى .. بخطوات متعثرة . وحين مرقت الى سلم البيت خيل اليه انه لمح شيئا يلمع .. فى عينيها !

***

لماذا يذكر دقائق تلك الليلة ، بعد مضى عامين .. بالحسرات ؟ لماذا يحس ، بعد أن مرت ، انها كانت أياما سعيدة .. ويتمنى عودة تلك الليلة بالذات ؟.. انها حاسته السادسة .. حاسة الماضى ، التى تنغص عليه دائما امتع المسرات .. حاسة تذوق المتعة بعد فواتها ، وتذوق الحاضر بعد أن يمضى .. كأنما هو يتذوق الحياة برأسه دون حسه !

لطالما وقفت هذه الحاسة بينه وبين السعادة . فى صباه كان يتطلع دائما الى الرجولة .. فلما بلغها ، أمست ذكريات الصبا ترسل الدموع الى عينيه ! وفى أيام دراسته كان يتحرق شوقا الى الحياة الرحبة ، والعمل ، والكفاح ، خارج تلك الاسوار . فلما نالها .. كلها .. غدت أحلى ساعاته تلك التى يعثر فيها بزميل قديم يتذاكر واياه أيام الدراسة .. السعيدة!

فى فجر شبابه كان يحلم بالحب ! فلما احب العذارى .. اشتهى الغانيات ..

ودائما كانت الايام تسخر منه ، فتحقق له أمانيه .. ويبلغها .. فاذا اطماعه قد تطورت فجاوزت أحلامه القديمة .. وسبقتها ! انه فى سباق دائم ، لا يعرف الهوادة ، مع نفسه .. ومع الحياة . سباق تجرى فيه جياد متعددة الاسماء : الحاضر . القلق . المستقبل . الامل . الماضى . الحنين . العاطفة . الذاكرة . الحواس

ظلت تدور فى رأسه هذه الخواطر ، والتأملات ، وهو مسترخ فى مقعده الطويل .. حتى أفاق على دقات ساعة قريبة .. فأجفل . انه يستقبل العام الجديد فى هذه المرة .. وحيدا ! حتى الاسطوانة قد صمتت منذ زمن ، فلم تجد من ينتبه لها .. أكان هذا يدور فى خلده حين استقبل العام الماضى ، فى مخدع يسبح فى النور الاحمر ، وبين ذراعيه .. غانيته ؟

***

كانت قد اعترضت حياته بعد تلك العذراء بقليل .. كما تمنى ! وضرب له شبابها المضطرم موعدا مع السعادة !.. فمضى الى أرض الموعد بلا ابطاء ، يلهبه شوقه اليها ، وتدفعه سورة الحرمان الطويل الذى فرضه عليه اعراضه القديم عن الجمال المبذول . لكنه حين وصل لم يجد السعادة فى انتظاره ، كما وعدت !.. وجد بدلا منها بديلتها الزائفة .. ذات الرضاب المسموم ، والرأس الخاوى ، والقلب الصغير ! ورغم ذلك فقد بقى معها فى أرض الموعد .. شهورا . فلقد أشفق أن يعود أدراجه كى يستأنف طوافه المضنى ، قبل ان يستريح من عناء السفر الطويل !

فلما آنس من نفسه القوة على ترك واحته أخذ رحاله .. وزاده من التجارب ،

والذكريات .. وخرج الى العراء ، يضرب فى صحراء العمل معرضا أعصابه للدمار وبدنه للتلف فى مهب الاعاصير ، والحر ، والصقيع . حتى كانت تصادفه واحة فى الطريق فيأوى اليها فترة قصيرة ، يأخذ فيها زادا جديدا من الذكريات ، ثم يمضى .. ويمضى

وها هو العام الجديد قد أقبل عليه ، وهو ماض فى تخبطه لا يقر له قرار

ترى ماذا يحمل له العام فى طياته من المسرات .. أو الاحزان ؟

وأغمض النعاس اجفانه ، فنهض لينام

***

فتح عينيه فى الصباح ، وارتدى ثيابه متثاقلا ثم وجد نفسه فى الطريق ! كانت امطار الامس قد جفت والشمس تضحك للكائنات،لكنه لم يجد بنفسه ميلا لان يبادلها الضحكات. انه لا يعرف أين يذهب .. فى يوم عطلته !

وقادته خطاه الى منزل صديق .. ليزوره ، فأحس بنفسه تسخر منه ، ومن هذا « البرنامج » الممتاز !

وفى حديقة البيت ، وجد صديقه ، مع زوجته ، وطفلتهما تمرح على الحشائش التى تستحم فى الشمس . وكانت معهم رابعة قدموه اليها . انها شقيقة الزوجة ، التى طالما سمع عنها واشتاق ان يراها . أحس ، وبصره يستريح على محياها النضير وثوبها الرياضى البسيط ، بالحرارة تدب فى أوصاله . لماذا لم يتنبه الى جمال الحديقة ، وخضرة الاشجار التى غسلها المطر ، ودفء الهواء ، وذلك الانتعاش الغريب .. الا حين امتد بهم الحديث وانطلقت هى تكلمه بطلاقة كأنها تعرفه منذ شهور ؟

واقترح أن يمضوا الى السينما .. فاختارت فيلما قالت انها قرأت قصته فى كتاب فأعجبتها .. وان موسيقاه مأخوذة من الحان شوبان !

وجاءت جلسته فى السينما .. الى جوارها

ماذا قال لها ؟.. وماذا قالت له ؟ المؤكد انهما لم يتبادلا كلمة يسوؤهما أن يسمعها الناس !

***

لو قدر لاحد أن يراه وهو مسترخ على مقعده الطويل فى عصر ذلك اليوم ، لرأى على شفتيه شبح ابتسامة حائرة ، مترددة ، تأبى أن تسفر .. وتأبى ان تغيض !

ابتسامة كأنها تتساءل : ترى هل قدر له أن توافيه السعادة .. أخيرا ؟

أم ان السعادة امرأة .. دائما تخلف الميعاد ؟

وسرح ببصره الى الافق البعيد .. المجهول . كأنما يتلمس عنده الجواب

حلمى مراد

المرأة في شيخوخة الرجل
والرجل في شيخوخة المرأة

بقلم الدكتور أمير بقطر

الشيخوخة ، عند الرجل والمرأة ، من أسعد مراحل الحياة ، طالما كان صاحبها قد أدى رسالته في الحياة على الوجه الاكمل . ولا سبيل للرجل أو المرأة الى الحياة الكاملة بغير شريك من الجنس الآخر ، يغذى ما يتغلغل في نفسه من عواطف ، وما تجيش في خاطره من آمال وأمان

يظن الكثيرون أن الشيخوخة هي المرحلة الحزينة ، التي يلقى فيها على الآمال ظلال الشحوب ، وتصاب فيها شجرة الحياة بذبول الاغصان . والحقيقة أنها لا تختلف عن سواها من مراحل الحياة في شيء ، اذا نظرنا اليها من ناحية فلسفية عامة ، واعني بها ناحية السعادة النفسية ، وراحة البال ، واطمئنان الفكر ، وعزاء الروح . قد يكون الرجل في ريعان صباه ، قوى الجسم ، حاد الذهن ، ولكنه محطم الآمال ، مصدع الوجدان . وقد تكون سنواته في وادى الكهولة والشيخوخة كالشجيرات العجاف ، يذبل فيها البدن ، ويضعف فيها العقل ، ولكن القلب يظل فيها فتياً ينبض بالحب ، ويترقرق بالامل والاشراق

ولعل عنصر المرأة في شيخوخة الرجل ، أو عنصر الرجل في شيخوخة المرأة ، من أكبر العوامل في اسعاد الرجل أو المرأة . فالحب في الكهولة والشيخوخة والشباب على السواء ، دفين في الفطرة ، تتفتح له العواطف كالورود والرياحين ، يسقيها الغيث كلما هما ، وتمدها العناصر ، ويغذوها الثرى الخصيب . والشيخوخة كالشباب ، اذا ما رعتها عين الحبيب ، بدت فيها رؤى الصبا تتسلل الى نفس صاحبها ، فتذكره بالليالى الخوالى ، وتعيد الى ذهنه الامس الذى ولى وراح . وسعادة الشيخوخة اكثرها ذكريات خوال ، اذ ان الشيخ يعيش في الماضي ، في حين ان الشاب يعيش في المستقبل ، والطفل الوليد يعيش في الحاضر . وبينما نرى الشيخ الهرم الذى لا يشع في قلبه حب امرأة ، أو العجوز الشمطاء التي لا يشع في قلبها حب رجل ، بينما نرى الحياة الشاعرة في كل منهما تتساب من نفسه وجسمه شيئاً فشيئاً ، وتتضاءل حتى تغدو ظلا باهتا حزينا يتوارى وراء الافق ، اذ بنا نرى الشيخ الذى يحب ويحب ، كالعذراء أو الفتى المراهق ، يحلم بالاشجار الناعمة ، والازهار المتأرجة ، والطيور المغردة بين ثنايا الغصون

ومعالجة هذا الموضوع في كلمات قليلة لا تخلو من صعوبة ، اذا نظرنا اليه من وجوهه

المتعددة . والى هنا حاولنا أن نبين للقراء صراحة أو ضمنا ، ان كلا من الرجل والمرأة فى مرحلة الشيخوخة يسعى الى شريكه من الجنس الآخر ، سواء أكان هذا الشريك زوجا أم خليلا ، لان عنصر الواحد فى الآخر مكمل لسعادته وآماله ، فاذا خلا هذا العنصر مات صاحبه قبل أن يدفن بسنوات ، قد تبلغ العشرين أو الاربعين أو اكثر من ذلك أو أقل

ولعل مهمة المرأة فى هذا السعى فى المرحلة الاخيرة من مراحل الحياة ، أشق من مهمة الرجل لاسباب عدة ، بيولوجية واجتماعية واقتصادية . منها ان عدد النساء فى جميع انحاء المعمورة فى مرحلة الشيخوخة ضعف عدد الرجال ، ومعنى هذا ان ضعف المتزوجات منهن أرامل ، يفتقدن عطف الازواج ، وقلما يفزن بعطف الخلان . اما غير المتزوجات منهن فأقل حظا من المتزوجات . ومن هذه الاسباب ان المرأة فى جميع مراحل العمر تقريبا تجد فى الرجل جاذبية جنسية ـ قلت أو كثرت ـ حتى فى شيخوخته ، لاستمرار حيويته الجنسية الى أخريات أيامه ، طالما كان سليما أو شبه سليم ، فضلا عن قدرته فى غالب الاحايين على رعايتها والذود عنها ، وتوفير لوازم العيش لها . ومنها ان المرأة فى سن الشيخوخة تنافسها المرأة فى سن الشباب وتكاد تقضى عليها ، فى حين ان منافسة الشاب للشيخ تكاد تكون قليلة الاثر ، بل يشاهد فى كثير من الاحايين ان الشيوخ أوفر حظا من سواهم من الشبان ومتوسطى الاعمار ، لما لهم من وسائل الدراية والخبرة فى تفهم طبائع المرأة وميولها ورغباتها ، والقدرة على سد حاجاتها ، واشباع هذه الميول والرغبات . ومنها ان الرجل بطبيعته مثالى ، خيالى ، « رومانتيكى » فى حين ان المرأة عملية أو تكاد تكون كذلك

على ان هذا لا يفهم منه ان المرأة ، فى جميع مراحل العمر ، قليلة العناية بالناحية الحيوانية . يقول الكاتب الفرنسى الاجتماعى « اندريه موروا » ان المرأة اكثر انغماسا فى مطالب « الجسد » مما يخيل الينا ، وانها فى غالب الاحايين تؤثر الرجل الذى يجيب مطالب « الجسد » أى الذى يحبها حبا جسديا على كل رجل سواه ، يحبها حبا بريئا ، وان بلغت صداقته ذروة الكمال

وليس معنى هذا ان الصداقة البريئة بين الرجل والمرأة قليلة الاثر فى توفير السعادة فى مرحلة الشيخوخة ، اذ لو صح ذلك لكانت الحياة الزوجية فى هذه المرحلة معدومة السعادة ، اذ ان حب الزوجين فيها ما هو فى الواقع الا صداقة بريئة أو ما يوشك ان يكون كذلك ، مضافا اليها عنصر الزمن والاستمرار والثبات وقوة الدعامة . والفرق بين الصداقة والحب ان الصداقة تسود فيها عناصر الرزانة والطمأنينة وكياسة المعاملة ، فى حين ان الحب تسود فيه عناصر العنف والبهجة والخوف . وفى حين ان الصداقة يغلب فيها الهدوء والصفاء ، فان الحب تغلب فيه الزوابع والعواطف الصاخبة الجامحة والخوف ـ خوف الحبيب من افلات شريكه من يده

وليس من السهل التفريق بين الصداقة والحب ، كما ان التفاوت فى الاعمار لا يحول

دون توطد العلاقة فى كل من الحالتين . وتدلنا الحوادث والتاريخ ان شابا أو رجلا فى مقتبل العمر قد يقع فى غرام « كوكيت » على الاستبداع ، مثال ذلك ان الشاعر اللورد بيرون أحب ليدى ملبورن ، وقد تقع شابة يافعة فى حب شيخ مغرور

وقد ذكر لنا فكتور هوجو أمثلة من الحب الصاخب بين رجل وامرأة فى سن متأخرة وفى جسمين ابلاهما المرض ، مثال ذلك مدام ركامييه وشاتوبريان ، وكان احدهما اعمى والآخر مشلولا . وقد كان « دزرائيلى » أكبر ساسة انجلترا وليدى « برادفورد » عاشقين ولهانين وهما فى سن الشيخوخة ، وبراثن المرض . وقد كان هـ. د. لورنس من أشد كتاب العالم صراحة (ووقاحة احيانا) فى المسائل الجنسية ، الى آخر ايام حياته ـ وقد توفى حديثا ـ من أشد الناس تعلقا بزوجه على كبر سنهما ، وقد اعترفا بذلك جهرا . وقد اعترف كذلك بمثل هذا الحب الفيلسوف برتراند رسل وزوجه ليدى دورا رسل ، ولولا طلاقهما أخيرا لظلا مثلا أعلى فى الحب الزوجى فى سن الشيخوخة

ويقول الثقات ان هناك حلين للعلاقة بين الرجل والمرأة ، احدهما مشروع والآخر غير مشروع . اما الحل المشروع فهو ان يكون هناك مزيج من الصداقة والحب أى أن يكون بين الشريكين رباط روحى جنسى (حيوانى) . اما الحل غير المشروع فهو ان يكون لكل من الشريكين حياة جنسية فى معزل من الآخر ، وألا يحاول احدهما فى هذه الحالة عبثا تحويل الصداقة الى حب ناقص . والخلاصة فى نظر هؤلاء الثقات أنه ليس من طبيعة الانسان ، رجلا كان أو مرأة ، ان يحاول ان يعيش وكأن لا « جسم » له

على ان دراسة المرأة فى شيخوخة الرجل ، أو العكس ، تؤدى بنا الى اغرب ما يشاهد فى الطبائع الانسانية ، من المتناقضات والخروج عن المألوف ، ولست أجد دليلا على ذلك أبلغ من أن أحيل القارىء الى ناحيتين : الناحية الاولى فى البنوك الكبرى ودور الاعمال ومكاتب كبار الموظفين فى أمهات المدن فى أوربا واميركا ، والناحية الثانية فى دور الملاهى والمراقص وردهات الفنادق الكبرى فى تلك المدن . فى الناحية الاولى تجد الوفا من الشيوخ من علية القوم ، يتعلق كل منهم بسكرتيرته ، وتنتهى العلاقة فى كثير من الاحوال اما بالزواج أو بالصداقة الدائمة . ولعل القارىء يذكر لويد جورج وقد تزوج منذ شهور بسكرتيرته بعد ان جاوز الستين . وقد تزوج منذ عامين فيلسوف كبير فى اميركا بسكرتيرته بعد وفاة زوجه ، وقد كانت تعمل فى مكتبه منذ سنوات عديدة ، وهو الآن يناهز السبعين . وفى الناحية الثانية تشاهد عددا كبيرا من النساء المثريات العجائز يترددن على تلك الاماكن الفاخرة بانتظام ، وبصحبتهن فتيان فى مقتبل العمر لا يفارقونهن لحظة ، رافلين فى ثياب العز ، وهم الذين يطلق عليهم اسم gigolo ، كما تشاهد شيوخا على حافة القبر بصحبة فتيات فى سن المراهقة ، يقتلون معهن الوقت حديثا ورقصا وسمرا

اسبر بقطر

الضمـــير

بقلم الدكتور كارل فننجر

مدير مستشفى الأمراض العصبية بوسطن

فى الانتحار تتجلى لنا ظاهرة غريبة ، يكاد يتخيلها العامة منافية لطبيعة الانسان ، وهذه الظاهرة هي رغبة صاحبها فى أن يقتل . وهذه الرغبة هى أقصى حدود الاستسلام ، كما ان رغبة القاتل فى القتل هى أقصى حدود العنف . وليس الانتحار سوى مظهر واحد من مظاهر تعذيب النفس وعقابها ، اذ ان علم النفس الحديث قد برهن لنا بأدلة لا تفتقر الى شك ، ان الاستمتاع بالألم والهزيمة والاستسلام والموت ، لون من الوان الارتياح كالاستمتاع باللذات ، كما أن علم الامراض العصبية قد برهن لنا بأمثلة قاطعة أن الكثيرين من المرضى يأبون فعلا أن يشفوا من أمراضهم ، ويجدون لذة وارتياحا فى آلامهم وأوجاعهم وعطف الغير عليهم

فما تفسير هذا التناقض فى طبيعة الانسان ، أى ارتياحه للألم والموت أحيانا ، ارتياح سواه للذة ؟ نجد تفسير هذه الظاهرة فى الضمير . فما هو هذا الضمير ؟ لم يدرس الناس هذه الناحية من الذات الانسانية دراسة علمية الا منذ عهد قريب . الضمير كما تدل عليه الدراسات الحديثة ، سفير أو ممثل لسلطة عليا ، وهذه السلطة هى فى الاصل والدا الطفل والقائمون بتربيته ، ثم تطورت بنمو الطفل الى التقاليد والعادات الاخلاقية والدينية والاجتماعية التى يفرضها المجتمع على الفرد . وهذا السفير أو الممثل عضو حى جبار ، يتكون فى عهد الطفولة فى نفس صاحبه ، ثم يأخذ فى النمو تدريجيا ، بتعرضه للقوانين الحكومية والشرائع والمبادىء الادبية وتقاليد الاسرة والبيئة المحليـة والوطن والعالم بأسره . وقد تتغير البيئة ، وتتغير المبادىء ، ولكن هذا السفير ـ الضمير ـ شديد المحافظة يتمسك بالقديم ، وقد يكون أحيانا رجعيا ، دون أن نشعر ، ورغم ارادتنا

▭

والى هذا يعزى جور الضمير وطغيانه واستبداده ايانا فى كثير من الاحايين . فكلنا يذكر حالات ووقائع ، يضطرنا هذا الطاغية فيها الى أعمال لا صالح لنا ولا لغيرنا فيها ، وكلنا يذكر وقائع يحرم علينا فيها أن نخطو خطوة واحدة الى الامام ، بالرغم من رغبة ملحة فى معالجتها ، وبغير أن يكون هناك أسباب منطقية لهذا المنع وهذا التحريم . ويتوهم العامة أن الضمير دليل الخير . وهذا صحيح ، ولكنه كذلك دليل السوء . ومن الغريب أن بين الضمير وصاحبه تجوز المساومة ، كما تجوز بين البائع والشارى ، وأغرب من

ذلك أن الضمير قد يكون أحيانا كالموظف قليل الذمة ، يقبل الرشوة من مرءوسه ، مثال المساومة أن ينتهر الضمير صاحبه اذا فكر فى قتل عدوه ، ويبعث فى نفسه أشد المخاوف ، ويهدده بأقسى العقوبات . ولكن « القاتل » يأخذ فى مساومة الضمير ، ويقنعه بأدلة قاطعة بوجوب ضرب العدو ، أو الاكتفاء بقطع يده بدلا من قتله ، فيقتنع الضمير ، ويرتاح بهذه المساومة لهذا الحل . أما مثال الرشوة أن يصمم رئيس على طرد مرءوس فقير، عديم الحيلة ، فيثور الضمير، ويكرر التهديد والنذير، ولكن هذا الرئيس، مع بقائه على عزمه وتمسكه برأيه ، يقدم للضمير ترضية ـ رشوة ـ وهى أنه يطرد الموظف حقيقة ، ولكنه يزوج ابنته لاحد أقاربه

ومما لا يعرفه أكثر الناس عن الضمير ان جزءا منه فى الشعور ، والجزء الآخر فى اللاشعور . والعلم لم يتوصل بعد الا الى معرفة النزر اليسير من هذا اللاشعور ، ومعنى اللاشعور هنا ، أننا كثيرا ما نوجه فى الحياة توجيها ، بغير أن نحس بهذا التوجيه ، أو بمصدره ، وأن نأتى اعمالا ، أو نمتنع عن القيام بها ، بغير ان نعلم ان هناك قوة دافعة تدفع بنا الى هذا العمل أو تكرهه علينا . وكثيرا ما نحس بوخز ، فنبحث عن مصدره ، فلا نجد فيما أتيناه من الاعمال اثما أو وزرا أو ما يشتم منه رائحة الاثم أو الوزر

ومن الناس من يحاول عبثا أن يتجاهل الضمير ، أو يزعم أنه لا يتألم مما يسميه الناس وخز الضمير ، ولكن الواقع لا يؤيد ذلك . فكثيرا ما يشب طفل فى أسرة محافظة كثيرة التقاليد ، شديدة الحرص على مبادىء اسلافها ، الدينية منها والخلقية ، فما يكاد يبلغ سن الرشد حتى ينفجر ثائرا على هذه وتلك ، ويهرع الى بيوت الرذيلة ، فينغمس فى صنوف اللهو والاسراف . بيد أننا اذا تتبعنا هذا الثائر، اتضح لنا أنه بالغ فى اسرافه ، واطنب فى لهوه ، بكيفية صارخة مصطنعة ، ولكنه فشل فى ثورته على الضمير ، وأن كل حلاوة ذاقها فى كؤوس الصهباء ، أو ثغور الحسان ، لم تكن الا مزيجا من مرارة الندامة وعذاب الضمير

□

ويقول علماء النفس ان قوة الضمير مشتقة من غريزة أساسية فى الانسان وهى غريزة الاعتداء ، وبدلا من أن يتجه هذا الشطر منها اتجاها هداما نحو البيئة ، استحال حكما أو قاضيا أو ملكا ظالما اذا شئت أن تسميه كذلك . وقد اتضح من اتصال الكاتب وزملائه بمرضى المستشفيات العصبية ، أن الآلام التى يسببها الضمير للذات (١) ، تزداد وتنقص بازدياد أعمال الاعتداء ونقصها . أى أن الفرد اذا اعتدى على غيره ، أو حاول ذلك ، كان عذاب الضمير بنسبة هذا الاعتداء شدة وضعفا . كما اتضح أيضا ان الذات تواجه

(١) يقسم علماء النفس باطن الانسان الى الذات السفلى « id » وهى الجزء الحيوانى فينا قبل أن تهذبه المدرسة والدين والمجتمع ، والى الذات « ego » أى ما وصلنا اليه بعد التهذيب والتمدين والصقل ، وأخيرا الى الذات العليا « super-ego » وهو ما نسميه الضمير

أشد المصاعب فى التوفيق بين مطالب الغريزة ، وما تسمح به البيئة من اجابة هذه المطالب من ناحية ، وما يمليه الضمير من الاوامر من ناحية أخرى

وسبق القول ان الضمير، بالرغم من ظلمه وطغيانه وجبروته ، قابل للرشوة والمساومة ولذا فان الذات تتحين كل فرصة ، وتسعى الى كل حيلة ، حتى تمهد الصعوبات ، وتخفف من آلام الضمير ، ووطأة عقوباته

على أن مطالب الضمير وأوامره ، قد تبلغ من العنف والشدة حدا ، لا تقوى الذات على احتماله ، وهنا يكون الضمير كالقوة الغشومة الهمجية ، لا تلين ولا ترحم . وهنا تختلف وجهات النظر بين علماء النفس وسائر الناس . فالناس عادة ينظرون الى الرجل نظرة التقدير والاحترام ، نظرة القوة وكبر الشخصية ، طالما كان ضميره شديد الحيوية، قوى الشكيمة . أما علماء النفس وأطباء الامراض العقلية فيعدون مثل هـذا الرجل مريضا ، كأن يكون مصابا بالمنخوليا مثلا ، أو على أقل تقدير لا ينظرون اليه نظرة فيها شيء من الاعجاب والتقدير . وقد يصعق الناس عامة عند سماعهم هذه العبارات ، ولكنها الحقيقة . فلماذا ؟ لان الضمير بهذه المطالب غير المعقولة ، قد يدفع بهم الى الانتحار ، أو الكمد ، واذا ما دفع بهم الى اتيان الخير أحيانا ، فانهم يفعلون ذلك كرها منهم ، فيحرمون اللذة التى يحسونها من ثمرة مجهوداتهم. ولكن الناس فى هذه النقطة يتساءلون : وما العمل اذن ؟ أتريدون أن يلقى الرجل بضميره عرض الحائط ؟ والجواب كلا . ولنعلم أولا انه ما من انسان فى الوجود يستطيع ان يلقى بالضمير عرض الحائط ، وانما كل ما يستطاع بلوغه اضعاف شطر منه ، وهو ذلك الشطر العنيد الذى حجرته التقاليد ، فأصبح جامدا غير قابل للتهذيب أو الاخذ والرد . ولكن ينبغى أن نعلم ثانيا أن الانسان فى هذه الحالة يستطيع ان يستبدل هذا الشطر من الضمير بالعقل — أى بالذكاء والتفكير وقوة الحيلة

▭

ولا غبار على المرء استبدال هذا الجزء العنيد من الضمير بالعقل ، وانما يعد هذا العمل فى الواقع مفخرة لصاحبه من الناحية الخلقية . فالرجل الذى تأبى نفسه ارتكاب جريمة القتل تجنبا لوخز الضمير فحسب، ليس بالرجل القوى النبيل الخلق ، اذ أن هذا أضعف الاسباب التى تمنع صاحبها من اتيان المنكر . أما الرجل الذى يتجنب القتل أو ما عداه من الآثام لاسباب ايجابية انسانية معقولة ، أساسها حب الخير والبشرية ، فهو سيد عواطفه ، متصف بضبط النفس والحلم وهما سيدا الاخلاق . ولنذكر أخيرا تلك الآثام الخالدة فى بطون التاريخ التى لم ترتكب الا باسم الضمير ، فعانت منها الانسانية أشد ضروب القسوة والوحشية والفساد . فهذه قصة « ديمترى » فى رواية « الاخوة كرامازوف » للكاتب الروسى الشهير « دستوفسكى » شاهد على ما أقول . قد يستطيع الرجل المتزن ، القوى الاعصاب ، أن يوفق بين مطالب الضمير وحالته الراهنة ، ولكن ليس كل الناس متزنين أقوياء الاعصاب . يذكر كاتب هذه السطور قصة بائس من الذين ترددوا على

عادته ، وقد كانوا فريسة للضمير ، حدث أن هذا البائس قتل ابنه الصغير خطأ ، فبلغ به وخز الضمير أن قطع ذراعه بيده تكفيرا لهذا الخطأ . أى انه ارتكب جريمة الانتحار تقريبا . ولما سئل عن سبب هذا الجنون الوحشى ، قال انه قضى الليالى ساهدا وصوت الضمير يناديه بالقول المأثور « الجزاء من جنس العمل » وبآية الانجيل الشريفة « اذا اعثرتك يدك اليمنى فاقطعها والقها عنك » . وقد كانت ذراعه اليمنى القاتلة ، فقطعها والقاها عنه ، وبهذا جاء الجزاء من جنس العمل . وعاش صاحبها بعد ذلك « مرتاح الضمير » فيا لها من قسوة !

هذا المثال ، وسائر أمثلة الانتحار ، أقصى ما يؤدى اليه تعسف الضمير وتحكمه فى صاحبه ، على أن الحوادث اليومية مليئة بالامثلة التافهة التى قد لا يأبه لها الناس ، اذ انها تكون فى غالب الاحيان رمزا للرغبة فى العقاب ، وقد ترقى على مدى الايام فتصبح عقوبة يعتد بها . فشد الشعر ، وقرض الاظافر بالاسنان ، وحك الجلد بغير مسوغ كلها رموز وأدلة لرغبة باطنة كامنة فى عقوبة الذات ، بناء على طلب النائب العام ـ الضمير

قد يبدأ الطفل بقرض أظافره بأسنانه قرضا خفيفا لا يخشى من عواقبه ، ولكنه قد يتمادى فى ذلك فيصبح أمرا ذا بال . أذكر ان سيدة احضرت الى عيادتى فتاة ، كانت تقرض أحد اظافرها بأسنانها حتى قضت عليه ، وانهالت على جزء من لحم اصبعها تنهشه نهشا ، مما ترتب عليه التهاب وتلوث بالجراثيم . ولما أخذ الجراح فى اجراء العملية ـ وقد كانت مؤلمة طبعا ـ لم تأبه لها الفتاة ، بل على النقيض من ذلك بدت عليها علائم الفرح والشماتة ، وأخذت تنظر الى الجراح وكان رأسه أصلع ، وتقول له متهكمة : « لست معجبة بالحلاق الذى « قص » لك شعرك » . ولعل هذه العبارة لم تصدر عن هذه الفتاة اعتباطا ، فان هناك ما يحمل على الاعتقاد ان فكرها قد اتجه ، من حيث لا تدرى ، الى العلاقة بين رأس الجراح الاصلع واصبعها العارى

وعلى ذكر « قرض الاصابع » نقول انه قد اتضح لنا فى حالات كثيرة ان هناك تلازما الى حد كبير بين هذه العادة والعادة السرية . ومعنى هذا أن الطفل الذى يمارس العادة السرية ، يلازمه وخز الضمير ، فيرغب ـ بغير ان يشعر بذلك ـ أن يعاقب ذاته ، وقرض الاظافر ـ فى بادىء الامر ـ من أخف هذه العقوبات وطأة . ولعل أفضل علاج للقضاء على عادة قرض الاظافر عدم تخويف الطفل ، لان هذا التخويف يشعره بجسامة الجرم ، فيطلب لنفسه العقاب . ولو علم الوالدون أن اكثر ما كتب عن العادة السرية فى القرن الماضى وأوائل القرن العشرين ، لا أساس له من الصحة ـ لو علموا ذلك ، للجأوا الى وسيلة أخرى غير التخويف

وتدلنا حوادث الانتحار على أن الضمير لا يدفع بصاحبه الى القتل فحسب ، وانما الى تعذيب الذات فضلا عن ذلك . ومن المعلوم أن الانتحار يشمل ثلاثة عناصر : (١) رغبة

الشخص فى أن يقتل و (٢) رغبته فى أن يقتل و (٣) رغبته فى أن يموت . وقد يحدث أن المنتحر يريد الثانى ولا يرغب فعلا فى الثالث ، بدليل انه اذا أنقذ يتوسل الى الطبيب ليعمل على شفائه ، كما أنه يحدث أنه يريد أن يقتل ويموت فى نفس الوقت ، بدليل انه يعود الى الانتحار مثنى وثلاث ورباع اذا ما أنقذ . ولو كان الغرض من الانتحار مجرد التخلص من الحياة فحسب ، لما رأينا المنتحر يعمد الى أشد الوسائل قسوة ، كصب مقدار كبير من الكيروسين على جسمه واشعال النار فيه ، رغبة فى تحويله الى كومة من الرماد ، أو دق وتد من الحديد فى أعلى الرأس مخترقا المخ ، أو قطع اعضاء التناسل وشق البطن واخراج الامعاء ، أو ادخال قضيب من الحديد ملتهب الحرارة داخل الحلق ، أو دفن الجسم عاريا بين الواح من الجليد ، أو القاء الشخص نفسه من قمة شجرة عالية فوق مناشير بخارية لتقطيع الخشب ، أو الوقوع داخل مدخنة أو برميل ابتداء من الرأس وانتهاء بالقدمين ، أو قذف الجسم فى فوهة بركان ثائر أو اتون متقد ، أو ابتلاع عناكب وحشرات سامة ، أو شد الرأس الى ذيل جواد جامح بين تلال وأكمات وصخور ، أو الغطس فى حوض كبير من الزجاج السائل فى درجة الغليان ، أو ضم مرجل مملوء بمعدن ذائب الى الصدر . ومن الغريب أنه وجد بالاختبار أن الوسيلة التى يلجأ اليها المنتحر ، كثيرا ما تكون رمزا لرغبة فى العقل الباطن مكبوتة . فالرجل الذى يضم الى صدره مرجلا من المعدن المذاب لم يكن موفقا فى الحب ، والذى ينتحر مصلوبا يغلب ان يكون شديد الرغبة فى التمثل بالمسيح ، والذى يلقى نفسه فى اليم شديد الرغبة فى العودة الى الرحم فى ذلك الجو الهادىء البرىء ، فى بطن الام ، وبدء الحياة من جديد (١) . ومن الغريب كذلك أن الانتحار كالعادات يتلقاها الأفراد أبا عن جد ، كما أن الوسيلة التى يقضون بها على حياتهم تكاد تتشابه بين فرد وآخر من أفراد الأسرة .

وقد اتضح كذلك أن فى أكثر الحوادث التى يفشل فيها المنتحر فى ارتكاب جريمته ، يكون معناها أن الضمير يوعز الى صاحبه بأن يعاقب نفسه بالقتل ، ولكن الشخص فى عقله الباطن لا يريد أن يموت ، رغم محاولته الانتحار ، ورغم ما يلاقيه من العذاب فى هذه المحاولة . مثال ذلك أن رجلا شنق نفسه بحبل مشدود الى ثريا ، فسقطت الثريا . ثم ذبح نفسه بموسى فأنقذ فى اللحظة الاخيرة ، ولم يكد يتم شفاؤه حتى قطع الوريد بزجاجة مهشمة ، ولم يمت رغم ما أهرق من دمه ، فقطع شريانا فى ذراعه ، وحضر رجال البوليس وقرروا أنه ميت ، ولم يكد المحضر يتم وقد هم الجنود بالخروج ، حتى انتصب المنتحر واقفا وانهال عليهم بالضرب واللكم ، وعاش فى النهاية .. بالرغم من الضمير ، أى أنه نفذ الحكم بالتعذيب أضعاف الاضعاف ، ولكنه لم ينفذ الحكم بالموت

(١) وقد ذكر لهذه الرغبة عدة أمثلة مستقاة من الادب الانجليزى والشعر والتوراة فى كتاب « العقل البشرى » لصاحب هذا المقال

رجال صنعوا التاريخ

ورجال صنعهم التاريخ

بقلم الأستاذ محمد فريد ابو حديد

لفظ التاريخ من الالفاظ الشائعة التى يسمعها كل فرد فى مناسبات كثيرة ويدرك منها معنى بغير أن يقف لحظة للتفكير فيه ومع ذلك فهو لفظ لا يمثل عند الكثيرين صورة واضحة ، هو مثل لفظ « الزمن » يسهل على الانسان أن يدرك منه معنى مبهما ، اذا لم يقف طويلا عنده للتأمل . فاذا هو أراد أن يتحقق من معناه ، وجده عسيرا يتفلت من التأمل كما يتفلت شعاع الشمس من بين أصابع الطفل الذى يريد أن يقبض عليه

حقا ان هناك تاريخا مكتوبا لكثير من الحوادث التى مرت بالانسانية فى انحاء العالم المختلفة ، وفى أزمنة الدهر المتعاقبة . وهذا التاريخ المكتوب ليس سوى سلسلة من صور ارتسمت فى أذهان الاشخاص الذين كتبوه . فعند ما كتب الرحالة هيرودوت وصف الحوادث التى رآها ، أو دون الاخبار التى سمعها ، لم يفعل أكثر من أن ينقل فى ديوانه ما ارتسم فى ذهنه من صور تلك الحوادث وتلك الاخبار . وهكذا كان حال كل رواة الاخبار الذين كتبوا ما شاهدوه أو ما سمعوه عن غيرهم . ولكن هذه الصور اذا كانت صادقة ، لا يمكن أن تكون سوى لمحات من سير الانسانية ، لانها لا تنقل الينا سوى القليل من وصف ذلك التيار العظيم الذى انطلق منذ أول ظهور الجنس البشرى فوق هذه الارض ، وتشعب ألوفا وألوفا من الشعب ، كل منها اتجه الى ناحية ، ثم تعرج وتثنى فى سيره ، واختلطت شعابه وتداخل بعضها فى بعض ، ثم عادت فتفرقت بعد حين وسار كل منها فى سبيله بعد أن أخذ بعضها من بعض . فاللمحات المدونة من التاريخ لا تزيد على أن تكون صورا متفرقة تشبه المناظر التى تختطفها عدسة (الكامرا) فى يد سائح متجول يشهد بعض المشاهد وتغيب عنه أكثرها

ولكن التاريخ الاوسع ، التاريخ الحقيقى للانسانية هو التاريخ المنطوى فى وجودنا الحاضر ، ذلك الوجود الذى يتمثل فى الحياة الشاملة . فكل ظاهرة من ظواهر الحياة الحاضرة فى أرجاء الارض الفسيحة ما هى الا خلاصة لتاريخ الانسانية منذ أقدم العصور التى وجد فيها الانسان فوق الارض . فكما أن الشجرة التى نراها اليوم هى خلاصة تاريخ نوعها منذ وجدت أصولها على الارض ، وكما أن الحيوان الذى نراه اليوم هو

خلاصة تاريخ نوعه منذ وجدت أصوله على الارض ، كذلك الانسانية الحاضرة انما هى خلاصة تاريخ الانسانية منذ نشأتها الى اليوم

فالانسان نفسه ــ الانسان الحى نفسه ــ بمجتمعاته وآرائه وعقائده ونظمه ، هذا الانسان المتمثل فى الحياة الحاضرة هو التاريخ الحى للانسانية

ولكن الحقيقة الخالدة فى الانسانية هى أن سيرها كان دائما يتجه بدفع أفراد كانوا دائما يمثلون خير ما فيها من العناصر . هؤلاء الافراد هم العباقرة الذين وهبهم الخالق بعض الاسرار التى توجه الانسانية نحو مصيرها . هم الذين وهبهم الخالق مفاتيح سبل المستقبل مفتاحا بعد مفتاح بما تقتضيه الحكمة الازلية التى تدبر مصائر الكون

فاذا نحن أردنا أن نبحث عن هؤلاء الذين دفعوا الانسانية منذ القدم حتى جعلوها على ما هى عليه اليوم ، كان علينا أن نرجع الى ألوف وألوف من الافراد الذين قد انطوى أكثرهم فى الظلام التام . ذلك لان التاريخ كما قدمنا لم يدون الا لمحات ضئيلة من الحوادث والاخبار ، ولا يحوى سجله الا ما اتفق لكتابه أن يشهدوه بانفسهم ، أو يأخذوه رواية عن سواهم ، وهو الجزء الاقل من حقائق التاريخ . ولكنا مع ذلك لا نزال نذكر بعض أسماء بقيت لنا من هذه الالوف المؤلفة ، وفى هذه الحدود يصح لنا أن نتحدث عمن صنعوا التاريخ

يتنازع رجال الفكر ورجال العمل شرف التأثير الاعظم فى حياة البشر . أو بقول أدق يتنازع الباحثون فيما بينهم جدالا طويلا فى أى الطائفتين كان لها الاثر الاول فى توجيه تاريخ البشرية . ولسنا نريد أن نشارك فى هذه المجادلة لاننا نرى أن الانسانية مدينة لرجال الفكر ورجال العمل معا

الانسان مثل كل الكائنات الاخرى يميل فى حياته الى البقاء على الحالة التى هو فيها . فهو خاضع لقانون الحركة والسكون ، اذا تحرك مضى فى سبيله حتى يصطدم بما يقف حركته ، واذا سكن بقى ساكنا حتى يحركه محرك . وليس يسهل على الناس أن يغيروا ما وجدوا عليه الحياة من قبل ، وما تعودوا السير عليه منذ نشأتهم

ولكن ظروف الحياة تتغير ولا تستقر على حال ، والنظم الانسانية فى سيرها مع الزمان تشبه كرة الثلج التى يدحرجها الاطفال فى الشتاء فى أوربا ، فهى اذا دحرجت فوق السطح لا تزال تتعلق بها ذرات بعد ذرات من الثلج ، تتراكم حولها مع كل دورة حتى تكبر وتتضخم ، ويأتى وقت تصير فيه شيئا آخر غير الكرة الاولى التى بدأت تتدحرج

هكذا تتغير نظم المجتمعات الانسانية جيلا بعد جيل حتى تصبح بعد حين فى حاجة الى التعديل . وهنا يتدخل المفكرون من بنى الانسان . يتأملون فى تلك النظم حتى يعرفوا حقيقة ما طرأ عليها من التغير ، وما يجب لها من التعديل والتبديل ، وعند ذلك تقابلهم العواصف العنيفة والعداوات الشديدة من طوائف المجتمع التى يهمها بقاء الامور على حالها . ولكنهم يطلقون آراءهم فى الهواء قائلين : « انها كلمات حق أو صيحة فى

واد ان ذهبت اليوم مع الريح فستذهب غدا بالاوتاد ، فلا تزال هذه الكلمات ترن فى الآذان حتى تتفتح العيون الى الحقائق ، ثم تتحرك العواطف وتطلع الآمال الجديدة على القلوب ، وعند ذلك يصير من المحتوم أن تتغير النظم ، ويتحرك الناس بعد السكون لتغيير وجهة الحياة

هذا هو أثر المفكرين

ولكن الناس عند ما يتحركون يكونون فى حاجة الى قواد يسيرون وراءهم . وهؤلاء هم القادة العمليون الذين يمتازون بالصفات التى تؤهلهم للزعامة ، وهم القادة الذين يحدثون الاثر المباشر فى حوادث التاريخ

فالمفكرون والقادة العمليون جميعا هم أفراد الانسانية الذين يوجهونها ويصنعون لها تاريخها . وهؤلاء هم جميعا من يليق أن نسميهم صناع التاريخ

وقد يجتمع فى بعض الاحيان صاحب الفكرة وصاحب الزعامة فى شخص واحد . فاذا وجد هذا الشخص كان الصانع الاعظم للتاريخ بغير منازع . وقد شهدت الاجيال طائفة من هؤلاء بين حين وحين ، لانهم من الافذاذ الذين لا يفدون الى هذه الارض الا فى فلتات بين القرون . وقد كان لهم فى أغلب الاحوال صفات ممتازة تخرجهم من صفوف العظماء الى ما هو أعلى من العظمة . فلسنا نرى اقحامهم فى هذا الحديث . وأما هذا الحديث فسنختصره فى أمثلة ممن هم دون هذا القدر من الافذاذ

اذا نحن نظرنا الى العالم الحاضر نظرة شاملة ، وأغفلنا التفاصيل الصغيرة التى قد تغطى الحقائق العامة لم يصعب علينا أن نتبين عاملا من أهم العوامل التى كانت ولا تزال تسير الحياة وتدفعها فى سبيلها ، وهو تنافس الامم على موارد الارض . هذا التنافس هو الذى أثار الحروب بين الامم الكبرى منذ قرون ، وما زال يثيرها بينها فى أوضاع مختلفة وميادين متباعدة . وهو الذى أدى الى سلسلة حوادث كبرى فى أوربا وآسيا وافريقيا ، وهو الذى أدى الى ابتكار الاساليب المختلفة فى الصناعة والتجارة ، وهو الذى كان له أكبر الاثر فى وجود المشاكل بين العمال ورأس المال . أو بقول آخر كان هذا التنافس هو الدافع المحرك لتاريخ العالم منذ أربعة قرون الى اليوم . فاذا نحن تلفتنا الى الوراء عبر السنين الطويلة ، أمكننا ان نقف عند بعض أفراد قلائل من الرجال كانوا هم أول من حرك الانسانية فى سبيل هذا التنافس العظيم . هؤلاء الافراد القلائل هم الذين وجهوا تاريخ العالم نحو السبيل الذى اتخذه فى هذه القرون الاربعة الاخيرة.

ومن العجيب أن هؤلاء الافراد الذين يمكن أن نسميهم من أكبر صناع التاريخ لم يفطنوا فى أثناء حياتهم الى أنهم يقودون خطى الانسانية مدة أجيال طويلة مقبلة ، ولم يفطن أحد فى زمانهم الى أن أعمالهم سوف يكون لها هذه الآثار الكبرى التى تعود على الانسانية بطائفة كبيرة من الخير وطائفة كبيرة من الشر معا . فالانسان لم يوهب المقدرة على اختراق حجب الغيب ، وهو مهما بلغ من الذكاء لا يستطيع أن ينظر الى أبعد مما تؤهله

له طبيعته البشرية المحدودة . ولذلك يمكننا أن نقول ان هؤلاء الافراد لم يخطر ببالهم فى أثناء حياتهم شىء من الحوادث الكبرى التى كتب لها أن تكون نتائج أعمالهم

عاش فى أواخر القرن الخامس عشر رجلان احدهما أمير برتغالى وهو الامير هنرى ابن الملك حنا ملك البرتغال ، ويسميه التاريخ هنرى الملاح لانه كان مشغوفا بالملاحة ، وقف على مغامراتها كل ثروته واهتمامه . وكان العصر الذى يعيش فيه هذا الامير يهتز بحماسة دينية قوية ، زادها قوة زهو النصر الذى أحرزته المسيحية على المسلمين فى اسبانيا ، فكان يطمع فى أن تؤدى مغامرات الملاحة الى مواصلة الكفاح ضد المسلمين فى افريقيا ، واحراز انتصارات جديدة عليهم فى الشواطىء المجهولة وراء الصحراء المخيفة، التى كانت ترسل الى الاندلس جموعا من فرسان المغاربة يغيرون عليها بين حين وحين. فأخذ ذلك الامير يرسل البعوث البحرية بعضها فى اثر بعض ، تتحسس خطاها على سواحل افريقيا الغربية ، وما زالت السفن تذهب فى رحلاتها الى الشواطىء ، وتهبط على أراض جديدة مرة بعد مرة حتى انتهى بها الامر أخيرا بعد وفاة الامير هنرى الى أن دارت حول ساحل افريقيا وعرفت أهل أوربا لاول مرة أن تلك القارة المجهولة تمتد الى الجنوب امتدادا بعيدا ثم تنتهى الى رأس تنفتح البحار بعده نحو الشرق . وعند ذلك طلع على أهل أوربا أمل جديد ، انهم يقدرون على مواصلة السير نحو بحار الشرق والوصول الى بلاد الهند الغنية ، التى طالما تحدثت عنها الاساطير ووصفت ثراءها الذى يخلب الالباب ، فسمى هذا الرأس برأس (الأمل) أو كما يقال عنه أحيانا (رأس الرجاء الصالح)

وفى الوقت الذى كانت بعثات البرتغال تتوالى على سواحل غرب افريقيا ، كان رجل آخر من مدينة جنوة الايطالية يتردد على بلاط ملوك أوربا يعرض فكرة غريبة ، امتلأ بها قلبه ووقف عليها حياته . هذا الرجل هو خريستوف كولمبس

قرأ كولمبس فيما قرأ أن الارض مثل الكرة ، فآمن بهذا ايمانا صادقا ، وقاده ايمانه الى أنه يستطيع اذا وجد السفن أن يضرب فى المحيط الغربى ، ويسير فيه قدما نحو الغرب حتى يبلغ طرف الارض اليابسة ، التى كان الناس من قبل لا يصلون اليها الا بالسير نحو الشرق . ورأى انه اذا سار فى المحيط الغربى أمكنه أن يجد سبيلا مفتوحة لا تعترضه فيها عداوة الدول الشرقية ، ولا تقف فيه دونه تلك الكتلة العظيمة من قارة افريقيا السوداء التى كانت سفن البرتغال تزحف بطيئة على سواحلها . وكان رجلا مسيحيا متحمسا . فكان يعلل نفسه بالامل أن يبلغ بلاد الصين العظمى ـ بلاد (قوبلاى خان) التى طالما وصفها الرحالة القدماء بأنها يكثر فيها الذهب كأنه تراب الارض ـ فكان يرجو اذا بلغها أن يجمع من ذهبها ما يهبه القوة على تحقيق أمان عزيزة عليه ، وهى أن يعود الى بيت المقدس فيرفع عليه لواء المسيحية ، ويعيد بناءه شامخا متلألئا بالدر والجوهر . ولكن أقواله كانت تحمل على محمل السخرية والانكار . وأى شىء كان

أصدق فى نظر أهل ذلك العصر من أن الذى يريد الذهاب الى الشرق فما عليه الا أن يذهب الى الشرق . كان هذا فى نظرهم أمرا بديهيا لا يكابر فيه الا مجنون أو خادع . ولكن كولمبس استطاع بعد خيبة متكررة أن يجد من يصدقه وهى الملكة ايزابلا ملكة اسبانيا . وأمكنه أخيرا أن يفوز منها بثلاث سفن صغيرة لا تزيد حمولة احداها على مائة طن ، وركب معه فيها بضع عشرات من البحارة الذين تجرأوا على الدخول فى لجج بحر الظلمات . ولما غابت السفن الثلاث وراء أفق الغرب كان المشيعون الواقفون على الشاطىء يرثون لهؤلاء المساكين الذين سوف يذهبون طعمة للشياطين فى الاعماق السوداء وكان ذلك فى ميناء بالوس فى الثالث من اغسطس من عام ١٤٩٢

وسار الاسطول الصغير فى المحيط الرهيب ، ولكم خطر على قلب كولمبس من المخاوف، ولكم سمعت أذنه من همسات الشك والحنق من ملاحيه، ولكن ايمانه كان لا يتزعزع فى أنه سيبلغ شواطىء الصين بعد أن يقطع عرض المحيط . وأخيرا بعد التجارب القاسية والقلق المتصل لمح أحد البحارة نورا يخفق فى الليل من بعيد . وفى يوم ١٢ اكتوبر نزل كولمبس ومن معه على شاطىء جزيرة صغيرة وهم يحسبون خطأ انها بعض جزائر شرق آسيا ، وكان الاميرال المتواضع يلبس سلاحه ودروعه ويحمل فى يمينه العلم الاسبانى ولم يدر فى خلده عند ذلك انه كان يفتح للانسانية عهدا جديدا

لم يعرف كولمبس فى أواخر القرن الخامس عشر ، كما لم يعرف من قبله الامير هنرى البرتغالى فى أواسط ذلك القرن الخامس عشر ، أن العالم سيتجه بعد هذه المغامرات البحرية وجهة جديدة ، ولم يخطر لاحد منهما أنه كان بعمله ذاك يمهد السبيل لحوادث تهز العالم لعدة قرون . ولكن هذا هو الذى حدث فقد كانت رحلات البرتغال حول افريقيا ، أول حركة الاستعمار الكبرى التى انتهت بحلول أمم أوربا فى شواطىء أفريقيا ، وفى وسط مجاهل قلب القارة ، ثم امتد الاستعمار الى آسيا ، وكان له أبعد الآثار فى تاريخ البشرية كلها فى الغرب والشرق على السواء ، وكانت رحلة كولمبس فى سفنه الثلاث الصغيرة أول خطوة فى سبيل كشف قارة أمريكا العظمى وهبوط أمم من شعوب أوربا فى سهولها الفسيحة ونجودها الضخمة الممتدة بين أكناف القطب الشمالى والقطب الجنوبى

ثم كانت هذه الرحلة بعد ذلك كله أو قبل ذلك كله أول خطوة فى سبيل خلق دولة أمريكا العظيمة ـ دولة الولايات المتحدة التى نراها اليوم تتجه بالمدنية نحو القصارى المقدورة لها فى العلم والصناعة والثقافة ، والتى نرى سلاحها العظيم يجاهد اليوم فى سبيل خلق عالم الغد لاجيال مقبلة كثيرة

وانا اذا عدنا بالنظر الى حوادث التاريخ منذ آخر القرن الخامس عشر، تبين لنا أن الكثير منها لم يكن سوى شعاب صغيرة تفرعت من التيار العام الذى انحدر من أيام هنرى وكولمبس . حتى حوادث عهد نابليون نفسه لم تكن سوى تفاصيل للحادث الاعظم العام.

فتاريخ العالم فى القرون الاربعة الماضية ليس سوى تاريخ نهضات دولة البرتغال واسبانيا ثم هولنده وفرنسا ثم انجلتره ، وكانت أكبر مشاغل تلك القرون هى التى ثارت بين بعض هذه الدول وبعض من وراء المنافسة على سيادة العالم . لقد كانت الدول جميعا تسير فى الموكب الذى يسير فى طليعته هنرى وكولمبس

على ضوء هذه الحقائق يمكن أن ننظر الى الرجال الذين يسميهم التاريخ عظماء وأفذاذا وعباقرة ، فنرى سحنهم تتخذ أشكالا جديدة غير التى تحاول الاخبار أن ترسمها فى سجلها . فالرائد الذى يسير فى المجاهل لاول مرة قد يصبح اسما منسيا بعد حين ولايلبث الناس بعده أن يسيروا فى آثاره ألوفا وألوفا فى تيار ضخم ، فلا يسع التاريخ الا أن يسجل حركة هذه الالوف ويصف أعمالهم ، ويذكر أسماء الزعماء المبرزين من بينهم ويسميهم أبطالا عظاما ، مع أن الحقيقة انهم لم يفعلوا أكثر من أن يندفعوا مع التيار الذى يحملهم فى سبيله . ولنضرب مثلا لهؤلاء بالملك شرلكان الذى يتغنى التاريخ بعظمته

كان شارلكان ملكا عظيما تردد الاصداء باسمه فى مشارق الارض ومغاربها فى القرن السادس عشر ، وكان يجمع ملك النمسا واسبانيا تحت عرش واحد فآلت اليه الامبراطورية العظمى فى القارة الاوربية والامبراطورية الاستعمارية الكبرى فيما وراء البحار . كان أكبر ملك غير منازع فى العالم كله ، ويحوى سجل التاريخ من ذكره أضعاف ما يحمله من ذكر غيره من الملوك والقادة والنوابغ . ولكن شارلكان أو شارل الخامس ، لم يكن سوى رجل صنعه التاريخ لان المصادفة قد شاءت أن يكون وارث ملك عظيم تكدست فيه عبقريات ألوف من بناة الدول

فاذا كان هنرى الملاح وكولمبس من كبار صانعى التاريخ ، فان شارلكان من كبار من صنعهم التاريخ

ولم يكن شارلكان بالرجل الوحيد الذى صنعه التاريخ فى القرن السادس عشر ، فقد كان يعاشره رجال آخرون صنعهم التاريخ معه ، وهم فى الحقيقة لا يزيدون على أنهم كانوا محمولين مثله على تيارات منحدرة من نواح أخرى ، ومن أظهر هؤلاء سليمان القانونى امبراطور تركيا ، الذى لا يزال اسمه يتردد فى سجلات التاريخ على أنه أعظم عظماء ملوك الترك ، وهو فى الحقيقة لا يزيد على أن يكون رجلا حملته موجة عظيمة فى تيار لم يكن له مفر من أن يحمل عليه

ففى الوقت الذى كان فيه أفق الغرب يضطرب برحلات هنرى الملاح . كانت جيوش الترك تزحف من آسيا الصغرى فى أوائل القرن الخامس عشر حتى عبرت الدردنيل الى أرض الدولة العتيقة الرومانية الشرقية ، ثم جاء السلطان محمد الفاتح يدب فى بطء وحذر حتى وقف بجيوشه حول القسطنطينية وحاصرها ثم فتحها فى سنة ١٤٥٣

ولم يكن فتح القسطنطينية فى ذاته سوى عمل حربى مما يكثر وقوعه بين الدول جيلا بعد جيل ، ولكنه مع ذلك كان حادثا فذا فى تاريخ العالم ، لان آثاره الكبرى شملت

العالم كله فى مئات مقبلة من السنين

انتهت دولة الروم الشرقية بفتح القسطنطينية ولم يكن انتهاؤها عجيبا ، فقد كانت تعانى آلام النزع الاخير منذ عشرات السنين . ولكن فناء هذه الدولة الهرمة حرك أوربا حركة عنيفة ، لم تتحرك مثلها منذ أيام الحروب الصليبية وعادت فى أوربا صيحات الدعوة الى الكفاح ضد الشرق ، فكانت هى الباعث الاكبر لتشديد الهجوم على العرب فى اسبانيا ، ثم كانت باعثا قويا لمواصلة الحرب مع المسلمين فى افريقيا

واتجهت الدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية نحو قلب أوربا ، وكانت مضطرة الى الحرب المستمرة مع دول أوربا لانها كانت لا تستطيع ان تلقى السلاح مع تحفز دول أوربا وتحديها . وكان لعودة هذا الروح العدائى بين الشرق والغرب أكبر أثر فى العراك المستمر الذى انتهى باستعمار أوربا لاكثر بلاد الشرق

لقد كان الروح الصليبى قد خمد بعد القرن الثالث عشر ، وكاد العالم ينساه نسيانا كاملا ، بل لقد كانت دول أوربا فى اثناء القرن الرابع عشر تتعاون مع مصر وهى أكبر الدول الاسلامية ، يحل تجارها فى أرض مصر ، ويشاركون فى جهودها مشاركة الصديق للصديق . ولكن فتح القسطنطينية حرك العداء من جديد بين الشرق والغرب ، فاذا بالبحر الابيض المتوسط يصبح ميدان حرب خطيرة ، واذا بأساطيل أوربا تدور حول افريقيا لتنزع من العالم الاسلامى أسواق الهند والشرق الاقصى

ولم يقتصر أثر فتح القسطنطينية على ذلك بل كان له أثر عظيم فى تاريخ مصر ذاتها ، فقد كانت مصر الى ذلك الحين قلب العالم الاسلامى ، وكانت كل الدول الاسلامية تلتف حولها ، وتجعلها قبلة زعامتها فلما فتحت القسطنطينية تسنمت الدولة العثمانية ذروة الزعامة الاسلامية ، وكان لا مفر من وقوع الاصطدام بينها وبين مصر ، وهو الاصطدام الذى خرت مصر فيه صريعة أمام هجمات سليم الاول

وهناك نتائج أخرى لفتح القسطنطينية ليس لها علاقة بالفتح ولا بالاستعمار ولا بحوادث الحروب . فمنذ فتحت تلك العاصمة القديمة ، هرب من كان فيها من الامراء والعلماء الذين لم يرضوا لانفسهم البقاء تحت حكم العثمانيين ، وكانت هناك بقية عظيمة من مخلفات الآداب والعلوم القديمة التى ورثتها دولة الروم الشرقية من الحضارات اليونانية والرومانية

ولما هاجر هؤلاء العلماء ، وحملوا معهم طائفة من تلك الكنوز القديمة ، حلوا فى دول أوربا الوسطى والغربية لاجئين اليها . فنثروا ما عندهم من الكنوز الادبية والعلمية فى بلاد متعطشة لها وبهذا كان لهم الفضل فى اذكاء النهضة العقلية الناشئة فى أوربا . وكانت شعوب أوربا فى ذلك الوقت مستعدة لالتهام ما يقدم لها من غذاء عقلى لان نفوسها كانت قد تحركت نحو الاستزادة من المعرفة منذ حين بفضل ما استمدته من الاتصال بالعرب فى اسبانيا وفى أعقاب الحروب الصليبية

واتفق عند ذلك كشف الطباعة فى أوربا ، وشيوع صناعة الورق التى نقلها الاوربيون عن الشرق . فاجتمعت كل هذه الظروف لاحداث المعجزة الكبرى : معجزة النهضة الشاملة فى بلاد الغرب وهى النهضة التى مهدت السبيل لتقدم أمم أوربا وسبقها فى ميادين العلم ، وانتزاعها من الشرق علم المدنية الذى لا يزال مرفوعا فى يدها الى الوقت الحاضر

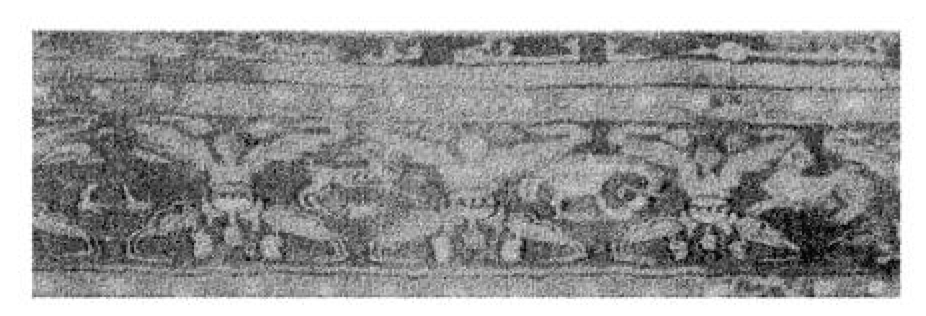
فالسلطان محمد الفاتح عند ما فتح القسطنطينية ، كان بمثابة عملاق يحفر للتاريخ مجرى جديدا ، يحتم عليه تغيير وجهته ، ويجعله ينساب فى سهول لم يكن لولاه ليهبط اليها . فهو بغير شك من أكبر صناع التاريخ ، وان كان سجل الاخبار يحتفظ بالمجد الاكبر ، فى الدولة العثمانية لحفيده السلطان سليمان القانونى الذى كان معاصرا لشارلكان

والسلطان سليمان العثمانى شبيه بالخليفة العباسى الذى سبقه بسبعة قرون وهو هرون الرشيد الذى بقى أسمه مخلدا فى أخبار التاريخ ، وفى خيال القصص تكاد الصورة التى خلفها التاريخ له تكون شيئا آخر غير الصورة الحقيقية التى وهبها الخالق له . فهو كذلك مثل واضح من أمثلة الاشخاص الذين يصنعهم التاريخ صنعا بدعاية الاخبار ، وأحاديث الكتاب الذين بهرتهم مظاهر الميراث العظيم الذى لم يكن له فضل فيه

ولسنا نستطيع أن نذكر صناع التاريخ بغير أن نشير الى رجل كان له الفضل الاول فى خلق مصر الحديثة وهو محمد على باشا . فقد جاء الى مصر فى أوائل القرن الثامن عشر ، وكانت لا تزال صريعة تعانى أشد الآلام عقب الصدمة التى صدمتها بها الدولة العثمانية فى أيام سليم الاول . لم تكن بها حكومة تستقر البلاد فى ظل حكمها ، بل كانت تشملها فوضى عنيفة ترتع فيها الجيوش العثمانية حينا ، وفرسان أمراء المماليك حينا ، والكتائب الاجنبية الآتية من وراء البحار حينا . غزاها الفرنسيون مع بونابرت فلم يجدوا بها من يقف أمامهم من حماة البلاد ، وخرج الفرنسيون منها بعد حروب طاحنة اشترك فيها الانجليز فى البر والبحر ، وعادت اليها الجيوش العثمانية والباشوات العثمانيون وأمراء المماليك وفرسانهم ليعبثوا فيها ، ويخربوا ما بقى من عمرانها . وجرت الفوضى معها كل مفاسد الفقر والكساد والجهل والمرض

فكانت مصر عند ما جاء اليها محمد على باشا بلادا لا أمل فى نجاتها من موت محقق . ولكن ذلك الرجل العظيم استطاع ان يدرك بذكائه حقائق الموقف وعرف الجوهرى والعرضى منه ، وكانت عزيمته الماضية لا تتردد . فرسم لنفسه غاياته وأقدم على تحقيقها مغامرا بحياته ، فاقتحم مخاطر الموقف نحو غاية بعد غاية حتى استطاع بعد أربعين عاما أن يخلف وراءه قطرا مستقرا ، واقفا عند أول الطريق . واذا كانت الظروف السياسية العالمية قد هدمت كثيرا مما بناه فى حياته ، فانه بغير شك صانع مصر الحديثة والمستقبلة وسيقترن اسمه بتاريخ مصر الحديثة فى كل ما يقدر لها من تقدم بين أمم العالم المستقبل فى الغد المجيد المأمول

محمد فريد ابو حديد



قطعة من القماش من القرن الثامن الميلادي يتجلى فيها ميلاد الفن المصري الأسلامي في زخرفة المنسوجات ممثلا في تلك الكتابة العربية التي تزينها من أعلى « بسم الله بركة من الله »

صفحة من صفحات الفن المصري قبل الاسلام

المنسوجات الاثرية المصرية

بين القرنين الثالث والثامن الميلاديين (١)

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

الأمين المساعد بدار الآثار العربية

من مزايا مصر أن الانسان يستطيع أن يتابع فيها تطور الحضارة الانسانية في أدوارها المختلفة ، ففيها ترك الانسان آثاره منذ دب على الأرض حتى اليوم : فيها آثار ما قبل التاريخ ، وفيها آثار العصور القديمة وآثار العصور الوسطى وآثار العصور الحديثة ، والفضل في ذلك راجع أولا الى النيل واهب الحياة والحضارة لمصر ، وثانياً الى التربة التي جمعت بين الخصوبة والجفاف ، وثالثاً الى ذلك المناخ الجميل الذي ساعد على بقاء ما خلفه الأولون من آثار قيمة تفصح عن تقدم الانسان في تلك الأيام الخالية

ومن خير ما احتفظت به مصر في جوفها ، لنا وللعالم أجمع ، تلك الكميات الوفيرة من المنسوجات القديمة التي أظهرتها الحفائر الأثرية أو التي تلقي ضوءاً باهراً على مدى رقي صناعة

---

(١) أقامت جمعية الآثار القبطية معرضاً بالسراي الكبرى بالجزيرة تفضل بافتتاحه مولانا الملك المعظم في السابع من ديسمبر سنة ١٩٤٤ . وقد كان من أهم المعروضات مجموعة قيمة من المنسوجات المصرية الأثرية كانت مبعث الوحي لهذا البحث



قطعة من الحرير منسوجة بالاسكندرية في القرن السادس الميلادي يتجلى فيها التأثير المسيحي ممثلا في صورة البشارة وميلاد السيد المسيح (من مجموعة المتحف المسيحي بالفاتيكان)

النسيج في حوض البحر الأبيض المتوسط عامة، أو تكشف بنوع خاص عن مقدار ما بلغته مصر من التقدم في هذه الصناعة في كل عصور تاريخها السابق : في العصر الفرعوني ، وفي العصر القبطي ، وفي العصر الاسلامي

وفي الحق لقد وصلت مصر في العصر الفرعوني الى أوج العظمة في هذه الناحية ، فتلك الأقمشة التي عثر عليها في مقبرتي تحتمس الرابع وتوت عنخ آمون تعد من أقوى الشواهد على ذلك ، إذ تدل رقة نسجها ، ودقة رسمها ، وجمال ألوانها على أنها نتاج مجهودات طويلة وتطورات عدة تقلب فيها فن النسيج في مصر قبل سنة ١٤٤٧ ق . م . وتكاد تنطق بمقدار ما بلغته مصر من الدرجة السامية في هذه الصناعة في ذلك العصر السحيق الذي كانت تقود فيه غيرها من الأمم في مدارج التقدم الفني

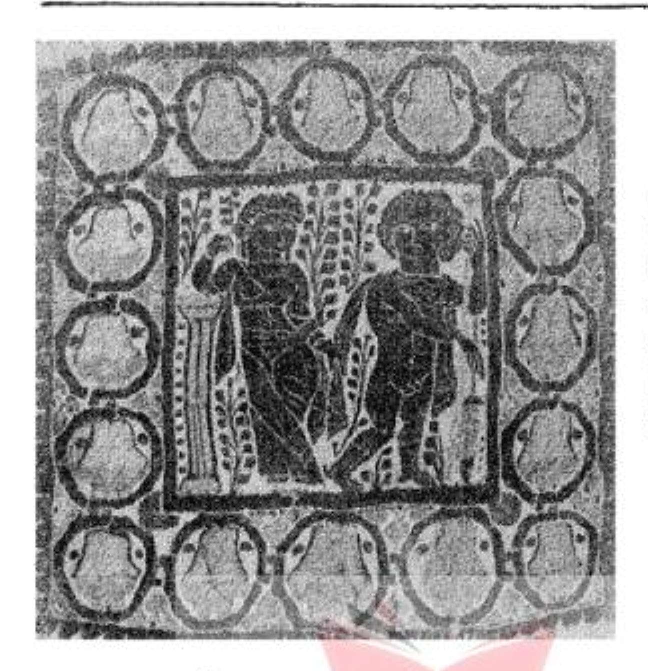
واذا كنا نشهد في منسوجات العصر الفرعوني جمال الفن المصري الخالص فان للمنسوجات التي ترجع الى الفترة الواقعة بين القرنين الثالث والثامن الميلاديين ، أو بعبارة أخرى الى العصر القبطي ـ كما اصطلح بعض علماء الآثار على تسميته ـ تجلو لنا فناً لا شك في مصريته ولكنها مصرية ليست خالصة بل تشوبها عناصر أجنبية تسربت اليها من الدول التي غلبتنا على أمرنا ، والواقع أن الفترة التي ترجع اليها هذه المنسوجات هي التي وقعت فيها مصر تحت النير الأجنبي ،

فدخلت تحت حكم اليونان والرومان ثم الفرس ثم الرومان مرة ثانية ، ولكنها استطاعت بقوة حيويتها أن تهضم هؤلاء الغزاة — كما يقول جوستاف لوبون — وأن تغلبهم بقوة شخصيتها كما غلبوها بقوة سلاحهم ، فاحتفظت في ظلهم بلغتها وعقائدها وفنها ، بل وأثرت بهذا الفن في فنونهم فتركت فيها آثاراً لا تزال الى اليوم لسان صدق ينطق بهذه الحيوية ، ولعل أحسن ما يترجم عن هذه الحقيقة هي هذه المنسوجات القديمة التي نسجها أجدادنا في الفترة الواقعة بين القرنين الثالث والثامن الميلاديين على أرجح الآراء ، والتي عادت الى الظهور على أسنة معاول علماء الآثار ، وانبعثت من تحت الرمال التي طمرتها قروناً عدة لتعطينا صورة من فنون هذه الأمم الأجنبية بعد أن تمصرت

واذا اتخذنا الزخرفة أساساً في دراستنا لهذه المنسوجات ، استطعنا أن نقسمها الى خمسة أقسام ، قسم نلمس فيه مظاهر الفن الفرعوني ، وقسم ينم عن التأثير اليوناني الروماني ، وقسم يشعرنا بظهور الدين المسيحي ، وقسم يعرض علينا أهم خصائص الفن الساساني ، وقسم يبشر بميلاد الفن الاسلامي

أما القسم الذي يذكرنا بفن الفراعنة فأهم ما يلفت النظر في زخارفه نبات اللوتس الذي قدسه أجدادنا ، واتخذ الفنانون منه وحدات زخرفية غاية في الجمال والروعة زينوا بها أبنيتهم ومصنوعاتهم

وأما القسم الثاني المتأثر بالفن اليوناني الروماني فيجمع الى سحر ألوانه ورقة نسيجه طرافة الموضوعات التي تتناولها زخارفه ، فهذه الزخارف مستمدة من الحياة الاجتماعية لليونان والرومان ومن أساطيرهم وعقائدهم الدينية . ولا يستقيم لنا فهم هذه الزخارف المتنقلة إلا اذا استحضرنا في أذهاننا صور تلك الحياة التي كان يحياها اليونان بما فيها من صيد ورقص وخمر وحرب ، وتذكرنا أنه كان لليونان مخلوقات خرافية وكانت لهم آلهة تجمع بين الناسوت واللاهوت ، لهم مظهر البشر وفيهم قوة الخلود والجبروت ، يأكلون ويشربون ويتزوجون من بني البشر وأحياناً يزوجون بناتهم منهم ، وفيهم الطمع والجشع ، وفيهم الغدر والحسد ، ولهم وقائع شتى مسرحها هذه الدنيا أحياناً والآخرة أحياناً أخرى . ولقد رقم النساج على هذه المنسوجات صور الكثير من آلهتهم ، إله الحب ، وإله النصر ، وآلهة الغناء ، وإله الخمر . كما رسموا بعض مخلوقاتهم الخرافية مثل حوريات البحر وجنيات البر ، والسنطور الذي يتمثل في مخلوق مكون من شطر انسان على شطر حصان ، والأمازون أي النساء اللائي كرسن حياتهن للقتال وكن يخالطن الرجال حتى اذا ما حملن منهم هجرنهم فاذا ما وضعن حملهن استبقين البنات دون البنين ، وكن يحرقن ثديهن الأيمن حتى لا يعوقهن عند رماية النبال ، كما صوروا كذلك كثيراً من قصصهم القديمة



قطعة قماش مصرية من القرن الرابع الميلادى يتجلى فيها التأثير اليونانى الرومانى ممثلا فى منظر من قصة « هرقل وأمفال » . من مجموعة المغفور له الملك فؤاد الأول بدار الآثار العربية

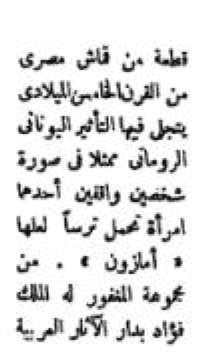
مثل قصة أوربا ابنة ملك فينيقيا ، وقصة هرقل وأمفال ، وقصة هرقل وأسد غابة نيمان ، وقصة ليدا زوجة زيوس كبير الآلهة ، وقصة أورفيوس الموسيق العظيم

ولقد شقت العناصر الزخرفية المستمدة من الدين المسيحى طريقها الى القسم الثالث من هذه المنسوجات ، وذلك بعد أن أصبحت الديانة المسيحية هى الدين الرسمى فى القرن الرابع الميلادى وزينت المنسوجات بصور استلهمها الفنانون من التوراة والانجيل ، واعتزم الناس رسم صور القديسين ومناظر القصص الدينى على ملابسهم وأسرفوا فى هذا السبيل إسرافاً أطلق لسان النقاد فيهم حتى لقد قال أحدهم : « إن الناس أصبحوا يحملون الانجيل على ملابسهم بدلا من أن يحفظوه فى صدورهم »[1] . والمنسوجات التى وصلت الينا من هذا القبيل قليلة ولعل أروعها تلك القطعة الحريرية التى نسجت فى الأسكندرية فى القرن السادس الميلادى والتى تزدان بزخارف تمثل البشارة وميلاد السيد المسيح وهى موجودة الآن بالمتحف المسيحى بالفاتيكان

وتتجلى خصائص الفن الساسانى فى القسم الرابع من هذه المنسوجات ، وهذا الفن هو فن الدولة الساسانية التى حكمت بلاد إيران بين سنتى ٢٢٧ ، ٦٤٩م وكان ملوكها من الايرانيين

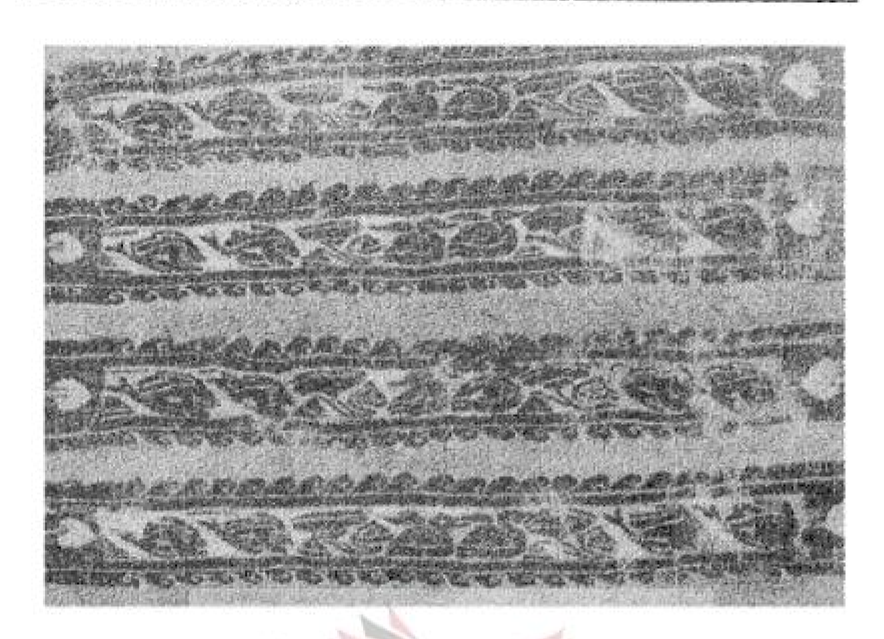
(١) راجع ص ٥٧٧ من كتاب : Dalton : Byzantine Art and Archeology




قطعة من قماش مصرى من القرن الخامس الميلادى يتجلى فيها التأثير اليونانى الرومانى ممثلا فى صورة شخصين واقفين أحدهما امرأة تحمل ترساً لعلها « أمازون » . من مجموعة المغفور له الملك فؤاد بدار الآثار العربية

الوطنيين فعملوا على إحياء الفن الايرانى القديم ، ولكن ما وقع من الاحداث فى الحقبة الطويلة التى تفصلهم عن هؤلاء الاجداد لم يجعل هذا الفن الذى أوجدوه إيرانيا خالصاً بل كان مشوباً بكثير من العناصر الفنية اليونانية بسبب خضوع إيران فترة من الزمن للاسكندر الاكبر ثم لخلفائه السلوقيين من بعده ، ولقد استطاعت الدولة الساسانية أن تنزع مصر من أيدى الروم ، ولكن سرعان ما أخرجت منها وعادت البلاد الى سيطرة الروم ، ونستبعد أن تكون هذه الفترة القصيرة من الحكم الساسانى ذات أثر فعال فى الفن المصرى، لان التطور الفنى بطىء ويحتاج الى وقت طويل ولذلك يغلب على الظن أن تأثر المصريين بالفن الساسانى انما مرجعه الى العامل الاقتصادى ، فلقد كانت المنسوجات الساسانية شهرة عالمية واسعة . فأقبل المصريون على تقليد طرقهم فى زخرفة المنسوجات رغبة فى الكسب وترويجاً لما تنتجه أنوالهم فزينوا منسوجاتهم بكثير من عناصر الزخرفة الساسانية كالأشرطة التى تموج فى الهواء من رقاب الطيور ، وذوات الأربع المجنحة ، والنقط البيضاء التى تمثل حبات اللؤلؤ ، وشجرة الحياة التى تحف بها الحيوانات المتقابلة أو المتدابرة

وتسلم العرب زمام البلاد ، وبدأوا فى تاريخها صفحة جديدة ، ورأوا بثاقب نظرهم انه أجدى عليهم أن يثبتوا أركان النظم القائمة وقت الفتح من أن يكدوا أذهانهم فى استنباط نظام جديد .



قطعة قماش مصرية من القرن الرابع للميلادى يتجلى فيها التأثير الفرعونى ممثلا فى نبات اللوتس وفى السمك النيلى وفى البط المصرى — من مجموعة المغفور له الملك فؤاد الأول بدار الآثار العربية

وكذلك لم يقطع الفتح العربى لمصر سلسلة التقدم فى حياتها الفنية أو الاقتصادية ، بل احتفظت مصر تحت ظل العرب بما كان لها من مكانة سامية ، وازدهرت فى عصرهم صناعة المنسوجات حتى بلغت قمة العظمة . وأعادت الى الأذهان عهد الفراعنة فى هذه الناحية . واذا كانت المنسوجات المصرية قد بدأت تفقد قبيل الفتح العربى شيئاً من فنها الجميل ، وأصبحت زخارفها بعيدة عن الليونة ، فانها فى الواقع قد احتفظت حتى فى عهد هذا الانحلال الفنى بميزة لا سبيل الى انكارها هى تآلف ألوانها وتناسقها . على أنها سرعان ما استردت مكانتها السابقة فجمعت بين الزخرفة الجميلة والتلوين الرائع فى العصر الاسلامى . وفى الحق أن ما أجراه العرب من التغيير فى زخرفة المنسوجات قد انحصر فى منع النساج من رقم الصور الدينية والرموز المسيحية وإبقاء ما عدا ذلك . وأضافوا الى هـذا ما يثبت سلطانهم فى البلاد فنسجوا مع الزخرفة جملا عربية تشعر بالدين الجديد الذى أتوا به

وهكذا يتجلى لنا ميلاد الفن المصرى الاسلامى فى زخرفة المنسوجات فى تلك القطع التى تجمع بين الزخارف المصرية قبل الاسلام وبين عبارات دينية عربية مكتوبة بالخط الكوفى

محمد عبد العزيز مرزوق

حول المؤتمر النسائي العربي :

قالت احداهن :

بقلم السيدة بنت الشاطىء

« . . . وبعد فقد كنت ، منذ دعت الداعيات إلى « المؤتمر النسائي العربي » ، أشفق عليه من الارتجال ، والاشتغال بالعرض دون الجوهر ، والسعي نحو الأهداف القريبة دون الأهداف البعيدة العليا ، والدعوة إلى إلغاء ظواهر الفروق بين الجنسين ، حين تأبى الطبيعة والحياة أن تسوى بينهما . . .

« فلما كان بعض ما خفت أن يكون ، رحت وعذرت ، لأن المرأة لم تنتفع بعد بتجارب الانتقال ولم تنج من صدماته ، ولم يوكل إليها قيادة الحركة كي تتولاها في تدبر وأناة . . .

« فإن يكن من نسائنا من تستهويهن الدعاوى المنحرفة التي أطلقت في أفقنا ، والألفاظ الضخمة التي استحدثت في حركتنا ، فإن منهن – بعد ذلك – من برئن من ذلك الاستهواء ، وهذا صوت إحداهن . . . » بنت الشاطىء

انتهت أعمال « المؤتمر النسائي » الذي انعقد في القاهرة ، في ديسمبر الماضي . وسكنت الضجة التي أثارها بحفلاته وقراراته ، وهذا أوان الدرس الجاد المتزن ، لأعمال ذلك المؤتمر ، الذي يعد من أظهر الأحداث الاجتماعية في الموسم الحاضر .

لقد كان المؤتمر موضع اهتمام كثير من رجال الصحافة والأدب والاجتماع . ولكن المؤلم ، أن أكثر النقد والتعليق كان مطبوعاً بطابع الفكاهة ، فهذا أديب يرى أن تمنح النساء حق عضوية (الشيوخ !) – وذاك ثان يروي لنا قصصاً هزلية عن نساء روسيا (الشيوعيات !) – وذلك ثالث يقترح أن تحذف واو الجماعة ، إذا أجيب المؤتمر إلى طلبه الخاص بحذف نون النسوة – وهؤلاء محررو بعض المجلات ، يرون في المؤتمر مادة دسمة (للنكت والصور الهزلية !)

ولئن طاب لفريق من الرجال أن يتفكهوا بهذا الموضوع ، فانا – معشر النساء – نراه جداً وما هو بالهزل ، وليس ذلك لأننا نتعصب للجنس ، أو نقر أعمال المؤتمر ، أو نرى فيه صورة صادقة للنساء الشرقيات ، ولكن لأننا نلمح فيه ظلال التيارات المختلفة التي تتجاذب الحركة النسوية في وقتنا الحاضر ، ونسمع فيه صدى الانفعالات العنيفة التي تكابدها المرأة الشرقية في نهضتها المستحدثة الطارئة . .

لقد خضعت نساء هذا الجيل وفتياته لتجربة قاسية : إذ كتب عليهن أن يشقين بمحنة الانتقال ، وأن يحملن أثقالها وأوزارها ، ويدفعن ضحاياها . وعسير على مثل هؤلاء ، أن يتخذن من أية حركة نسوية ، مادة للتفكه والعبث ، بعد الذي ذقن من مرارة . .

إنهن يرقبن اليوم ، فى جد رهيب ، حركات المرأة الشرقية وهى تتخبط إثر التجربة القاسية كى تطمئن بها قدماها على الطريق الجديد . وقد يشهدن - بين حين وآخر - حركة طائشة ، أو خطوة بلهاء ، فلا يرن فى شىء من ذلك ما يبعث على الضحك أو العجب

وأنا واحدة منهن . . من هؤلاء الشرقيات اللائى عبرن الجسر الرهيب من تيه الظلمات ، إلى وادى العلم ، وعالم النور . . وقد تتبعت خطوات المؤتمر ، وأصغيت إلى كل ما قيل فيه وما قيل عنه ، فلا والله ما وجدت فى ذلك إلا كل جد . .

ولست من أعضاء المؤتمر ، ولا أنا ممن يرضين عن برنامجه ، ويوافقن على أهدافه ، ويؤيدن قراراته ، لكنى - مع ذلك - أشعر نحوه بكل عطف ، وأحمل له كل تقدير ، لأنه يعبر - فى صدق وصراحة - عن عدم استقرار المرأة الشرقية فى وضعها الجديد

***

حين أذيع خبر المؤتمر ، سعيت إلى تعرف أهدافه ومراميه ، فتفضلت صاحبة العصمة السيدة الجليلة « هدى هانم شعراوى » فبعثت إلى ما طلبت ، ثم دعتنى الى التحدث فى المؤتمر ، واقترحت على أن يكون موضوع حديثى : « المرأة الريفية وما ينالها من خير ، إذا ظفرت المصرية بحقوقها السياسية » ، فأجبتها أن الكلام فى مثل هذا سابق لأوانه ، لأننا - فى ريف مصر - نجاهد لكي نأخذ بيد المرأة الريفية ، حتى تقف على قدميها وتخطو أولى الخطوات فى سبيل الحياة الانسانية ، ونسعى لكى نفتح عينيها ، حتى ترى ما يحيط بها ، وتبصر الشعاع الأول من نور الحياة الكريمة . والذين عاشوا فى الريف مثلنا ، وشاهدوا عن كثب ما ران على أهله من: ظلم وظلام ، وما ضرب عليهم من حرمان ومرض ومسكنة ، يرون من العبث التكلم الآن فى الحقوق السياسية للمرأة الريفية ، لأن فى هذا سخرية بشقائها المر ، وتجاهلا لواقعها الأليم

ان الحق السياسى هو أرق الحقوق التى يسمو إليها الانسان الذى يشعر بوجوده ، فهل يجوز لنا أن نتحدث فى ذلك الأفق العالي ، لمن لم تظفر بعد بحقها فى الحياة ؟ !

أما أنا فاعتذرت عن التحدث فى ذلك ، احتراماً لشقاء هذه المواطنة المجاهدة ، واعترافاً بإنسانية تلك المخلوقة التعسة . .

***

وكنت أتمنى ، لو يسعفني برنامج المؤتمر ، فأتحدث عن شىء آخر غير « الحق السياسى للمرأة ، وما ينال الريفية من خير وراء الظفر به » . كنت أتمنى أن أتحدث عن الجهاد الاكبر فى هذا العالم الذى تتخاطف فيه الأممُ الحياة ، وتستشهد من أجل الحرية والكرامة ، ثم أتحدث بعد ذلك عن المسائل الكبرى فى قضية المرأة الجديدة

لكن برنامج المؤتمر - كما أذيع - كان يسعى - قبل كل شىء - الى تقرير حق المرأة فى

الاشتراك فى الحكم ، والى المطالبة « بتقليدها المناصب والوظائف التى تؤهلها لها مؤهلاتها العلمية »

وقد ساءلت نفسى طويلا : هل خلص لنا الوطن حتى نفكر فيمن يحكمه منا ؟ هل يحكمه رجالنا حقاً ، فنحن نطلب أن نشاركهم فى هذا الحكم حتى لا يستأثروا به دوننا ؟ ! من زعمت ذلك منا فهى ضالة أو واهمة ، والمرأة ـ فى دقة حسها وصفاء وجدانها ـ جديرة ألا تخدع بهذا الزعم الباطل ، وفى أذنيها أصداء صيحات الشعوب الشرقية التى تئن من الاغتصاب ، وفى قلبها قبور الشهداء من أبناء الشرق الغالى ...

هى جديرة ألا تخدع بهذا الباطل ، وهى ترى دماء الضحايا منا تخضب أرض الوطن الاكبر : من أقصى الشرق فى الهند ، إلى أقصى المغرب فى الجزائر ...

فيم الخلاف إذن على حكم أوطان لم تسلم لأهلها ؟ وفيم التحدث عن أشخاص الحاكمين منا ، وهذه أوطاننا لم تنقذ بعد من براثن الاحتلال الذى يهدر كرامتنا وانسانيتنا ؟ !

كان حق السياسة عندنا فى هذا الشرق أن تكون تدبيراً عالياً للجهاد الاكبر فى سبيل حق الحياة والكرامة ، أما وقد آلت الى حزبية بغيضة تمثل صورة الحاكمين ، وتتناحر فى سبيل الظهور على هذا المسرح الزائف ، فانا ـ معشر النساء ـ أهل لأن نعف عنها ونزهد فيها ، بل نحن أهل لأن نرفض التفرج على مهازلها . لان المرأة ـ بطبيعتها ـ هى حارسة المثل العليا ، والحافز الذى يغرئ الرجل باقتحام الصعاب فى سبيل هذه المثل ، كى يرضيها ويظفر باعجابها . فاذا تخلت اليوم عن هذه الحراسة النبيلة ، فمن سواها يعصم الرجل من الانحناء تحت ضغط الواقع وأمام قسوة الظروف ؟ !

من غيرها يسمعه صوت الحق والخير والجمال ؟ !

من عداها يدعوه الى الجهاد والاحتمال ، ويغريه بالبذل والفداء ؟ !

ان السياسة عندنا قد غدت أداة تمزق فى الشرق ، فكانت عوناً للأجنبي علينا ، بل كانت ـ ولا تزال ـ يده التى يضربنا بها . . .

انقسمنا شعوباً وقبائل ، ثم انقسم الشعب الواحد طوائف وأحزاباً يضرب بعضها بعضاً ، ثم انقسم الحزب الواحد بعد ذلك فرقاً متناحرة ، وأفراداً متباعدين متباغضين ، وكلما نجونا من انقسام أنا الى انقسام جديد ، حتى دبت بيننا العداوة والبغضاء

أفينقصنا ـ فى هذه المحنة الأليمة ـ أن يتسلل داء الحزبية وهوى الحكم الى نفس المرأة ، فيكون للنساء أحزاب أيضاً ؟ وكأنما وصلنا الى الاهداف السامية العليا ، وبقى علينا أن نحقق الأهداف الطائفية أو الفردية الخاصة ؟ !

***

ثم ما هذه الوظائف التي نطلبها للنساء ؟ إن الحركة النسوية عندنا قد نهضت بها فى فجرها

الاول نساء كريمات . لا يستهويهن مطمع مادى ، ولا ينتظرن ربحاً من جهادهن ، بل يسعدهن البذل فى سبيل غاية كريمة . وهذه هى زعيمة الحركة ، لم تؤجر على ما بذلت من جهدها وما لها بأجر مادى ، أو منصب حكومى ، فكان جهادها مثلا عالياً نبيلا ، فى الوقت الذى أذلت فيه المطامع أعناق الرجال ، فأمست الوطنية ارتزاقا مهينا ، والسياسة حرفة رخيصة . وأخشى — إن نحن اتجهنا الى طلب المناصب — أن تضل قافلتنا ، فتنصرف عن غايتها النبيلة وهدفها العالى

ومن الغريب، أن المؤتمر تعرض لوظائف النساء وطالب بها، من غير أن يقول كلمة واحدة عن موقفهن القلق المضطرب بين البيت والوظيفة ، أو يشير بشيء ما ، إلى التوجيه الخاطىء الضال ، الذى يخلط بين تعليم الفتاة عندنا وبين احترافها ، فيدفعها — عن غير ضرورة قومية عامة ، أو فردية خاصة — إلى معاناة شذوذ الاحتراف وأخطائه ومتاعبه ، وتلك هى إحدى المشكلات الهامة فى حركتنا الحاضرة . . .

***

على أن كبرى الكبائر ، أن ينسى بعضنا الفروق الطبيعية بين الجنسين ، أو يتجاهلها ، أو يسعى إلى الغائها ، مع أن الطبيعة والحياة تأبيان علينا مثل هذا المسخ الذى يريد الأنثى مخلوقاً شاذاً : هو امرأة بطبعه ، ورجل فى تطبعه . وكان المرجو من نسائنا أن ينادين باحترام الأنوثة ، ويتشبثن بها فى حرص وإعزاز ، ويأبين على الرجال تجاهلها وإغفالها ، ويحاربن كل دعوة عابثة ، تنحرف بالمرأة عن فطرتها ، وتنأى بها عن عملها الطبيعى ، ووظيفتها المحترمة ، فى الأسرة ، والبيت ، والمجتمع ...

***

وبعد فقد كنت — منذ دعت الداعيات الى هذا المؤتمر الكبير — أشفق عليه من التسرع ، والارتجال ، والاشتغال بالعرض دون الجوهر ، والسعي نحو الاهداف القريبة دون الاهداف البعيدة العليا ، والدعوة الى إلغاء ظواهر الفروق بين الجنسين ، حين تأبى الطبيعة والحياة أن تسوى بينهما ...

فلما كان بعض ما خفت أن يكون ، رحمت وعذرت ، لان المرأة لم تنتفع بتجارب الانتقال ، ولم تنج بعد من صدماته ، ولم يوكل اليها قيادة الحركة ، كى تتولاها فى تدبر وأناة ، وبذلك حرمت الحركة النسوية عندنا من الاستقرار الذى يتيح لها السعى المسدد ، والنظرة المطمئنة ، والاتجاه الرشيد . . .

فان يكن من نسائنا من لا تزال تخدعهن أكاذيب المبطلين ، وتستهويهن الدعاوى المنحرفة التى أطلقت فى أفقنا ، والألفاظ الضخمة التى استحدثت فى حركتنا ، فان منهن — بعد ذلك — من يرثن من ذلك الاستهواء ، وهذا صوت إحداهن . . .

شوشاى بنت الشاطىء

قصة مصرية

ملاريا الحب

بقلم الاستاذ محمود تيمور بك

شغل الطبيب بموضوع محاضرته فى مكافحة الملاريا ، وملك عليه التفكير كل منفذ ، ولكن المصادفة التى دبرتها يد القدر من حيث لا يدرى أحد ، أرادت له أن يكون فى طريقه بين القاهرة ومصر الجديدة موضع تجربة رائعة للاصابة بالملاريا .. ملاريا الحب!

حمدت الله على أنى أنهيت عملى مبادرا فى عيادتى ، فقد كانت الساعة السادسة مساء حين ودعت آخر من قدموا على من المرضى . وقلت لحسن الممرض ، وقد خلعت معطفى الابيض وتركته له :

ـ حسبنا من جاءنا اليوم .. انتهت عيادة الليلة .. أريد أن أخلو بنفسى حينا حتى أستعد لحفلة نادى الاطباء

وقصدت الى الصنبور أغسل يدى ، وسمعت حسنا يقول :

ـ موعد الحفلة التاسعة يا سيدى

ـ على مراجعة المحاضرة التى أعددتها لألقيها ضمن محاضرات الليلة .. وأحب أن أستقل سيارتى متنزها بعض الوقت .. انها على باب العمارة فى الموضع الذى تركتها فيه، أليس كذلك ؟

ـ لقد أوصيت بها حارس السيارات

ـ خيرا فعلت

وكنت قدفرغت من غسل يدى ، فمضيت الى حجرة عملى ، وجلست الى مكتبى ، وبسطت أمامى أوراق المحاضرة ، وشرعت أطالع وأراجع ..

وما كادت الساعة تقترب من السابعة ، حتى كنت خارجا من باب العيادة ، وقد حملت محفظتى الصغيرة محتوية المحاضرة . وكنت جد مسرور من نفسى ، اذ استطعت أن أجمل فى هذه المحاضرة زبدة وافية لاحدث الآراء فى مكافحة الملاريا . فقد كانت حفلة الليلة خاصة بها .

مرقت من باب العمارة ، واتجهت الى السيارة ، فلمحتها قابعة فى مكانها الذى تركتها فيه . وكانت من السيارات الصغيرة ذوات المقعدين

صعدت فيها على عجل ، وسرعان ما أدرت مفتاحها فانطلقت تطوى الطريق . وكانت حفلة الليلة تستغرق تفكيرى كله : ماذا هو مقدر لمحاضرتى ؟ كيف يكون وقعها على الأسماع ؟.. وكنت قد أبقيت معطفى الاسود على المقعد الآخر من السيارة ، فلمحته عينى فى مكانه . واجتزت شارع ابراهيم باشا ، وما ان أشرفت على شارع الملكة نازلى حتى أيقظتنى من أحلامى حركة صادرة من ناحية المعطف ، فالتفت التفاتة عجلى ، فاذا المعطف على حاله . ولكنى ما لبثت أن سمعت حركة أخرى أشد وقعا ، فوجدتنى أخفف من سرعة السيارة ، وأحدق بجوارى مستطلعا ، فاذا بالمعطف يتحرك ، ففزعت وهاجتنى الظنون . فوقفت السيارة مهتاج النفس ، وأضأت المصباح على الأثر . وظهرت فى الحال يدان من المعطف بساعدين بضاوين ، فتحفزت فى حذر وقد توجست شرا ، ولم أكد أفتح فمى متسائلا ، والذهول يملكنى ، حتى طالعنى وجه حسناء . واذ بى أسمعها تقول :

ـ الى أين تريد أن تذهب بى يا سيدى ؟

فبادرتها بقولى ، وعيناى محملقتان :

ـ من أنت ؟ وماذا جاء بك الى السيارة ؟

ووجدت الفتاة تستوى فى جلستها ، وتنحى عنها جانبا من المعطف الذى كان يخفيها ، وقالت :

ـ معذرة اذ اتخذت معطفك لى غطاء بعض الوقت . أردت أن أتقى به بوادر البرد !

وتبادر الى ذهنى أنها حيلة تبغى بها احدى الغوانى معابثتى ، فقلت فى شىء من الخشونة:

ـ ما شأنك ؟ تكلمى .. وثقى أننى من أن أضيعه فى مثل هذه المهازل !

فرمتنى بنظرة يتجلى فيها أسف وعتاب ، وراحت تصلح من هندامها وتصفف شعرها. وتبين لى أن وسامتها يكسوها ظل من النحول والامتقاع ، وأنها لم تعن بزينتها ، ولكنها مع ذلك ذات فتنة ظاهرة . وقد استرعى انتباهى على الفور لون شعرها ، اذ كان متميزا بحمرته القانية ، مسترسلا على كتفيها متموجا يبهر النظر

وسمعتها تهمهم :

ـ انه لاتفاق غريب ذلك الذى جعلنى أدخل سيارتك .. ثق أنى لم أتعمد ذلك .. كانت أول سيارة واجهتنى فدخلتها .. لم يكن من ذلك بد .. وأنت الآن بين أمرين : اما أن تسمح لى بالنزول ، واما أن تبلغنى دارى . ولك أن تختار بملء حريتك أحد الامرين

وكانت تتكلم فى أدب واحتشام ، بلهجة تنطوى على أنفة واعتداد بالنفس . وأزاحت المعطف كله عنها ، فاذا هى فى لبوس المنزل : رداء حريرى سابغ ، سماوى اللون ، رشيق على الرغم من سذاجته . ولاحظت أنها عاطل لا تتحلى بشىء . وقد فطنت الى

دهشتى لما هى عليه من زى ، فقالت وعلى فمها ابتسامة مهملة :

ـ حتى الحذاء لم ألبسه كما ترى .. انظر .. خرجت بخف المنزل !

وحركت قدميها لترينى الخف ، ثم واجهتنى بقولها وهى تعالج فتح باب السيارة :

ـ سأتركك يا سيدى .. شكرا لك على أية حال !

وكانت عيناها سوداوين عميقتى التأثير تزخران بعواطف غامضة ، على الرغم مما يلوح عليهما من اعياء وجهد . واستهوانى صوتها الموسيقى ذو الرعشة المحببة والغنة الآخاذة . ذلك الصوت الهادىء الطبيعى الذى ينساب الى أعماق النفس فيثير فيها شتى الاحاسيس

وجعلت تبحث عبثا عن مقبض الباب ، فقلت لها :

ـ ليس للسيارة الا مدخل واحد هو الذى يلينى ..

ـ اذن أرجو أن تفسح لى !

ونظرت اليها مليا أتأملها ورأسى تطوف به أفكار متضاربة . ثم وجدتنى أطفىء المصباح ، وأدير مفتاح السيارة على مهل ، فخطت بنا خطواتها الهينة . وسمعت الفتاة تقول : لماذا لم تدعنى أبرح السيارة ؟

ـ لقد اخترت الامر الآخر .. سأبلغك دارك .. أين تسكنين ؟

ـ مصر الجديدة ..

ـ هى وجهتى أنا أيضا !

ـ كيف ؟

ـ انى أطلب النزهة واستنشاق الهواء الطلق ..

ـ ولكن يا سيدى ..

ـ لا أستطيع أن أدع سيدة فى عرض الطريق ، وهى فى لبوس المنزل !

ـ لا بد أن شتى الهواجس تتنازعك فى شأنى .. امرأة فى هذه الساعة ، فى سيارتك على غير معرفة ، فى لبوس المنزل !..

ـ لا أخفى عنك دهشتى ، ولكننى قليل الفضول !.. تستطيعين أن تصونى سرك عنى

ـ أشكر لك .. كل ما أريد أن أخبرك به هو أن تثق بحسن نيتى ..

ـ لم يسؤ بك ظنى !

ـ ولم هذه الثقة العاجلة المرتجلة ؟

فابتسمت وأنا أحرك فى يدى عجلة القيادة وقلت : الحق أنى لا أدرى لماذا ؟

ـ أخشى أن تكون مخطئا ؟

ـ أرجو الا أكونه !

ومضت السيارة تخترق شارع الملكة نازلى فى سير وئيد .. كان الهواء رخاء يحمل فى أطوائه تباشير الشتاء بنشاطه وانتعاشه ، وكان الليل ساجيا والطريق يكاد يكون خاليا

الا من بعض سيارات الجيش الضخمة ، تمر بنا فى ضجة وجلبة ، فتتزلزل لها سيارتى الصغيرة ، ثم لا تلبث السكينة أن تخيم على جانبى الطريق . .

وتولانا الصمت وقتا ، ورحت أفكر فى أمر هذه الفتاة التى رمانى بها القدر فى تلك الساعة : ما شأنها ؟ أمن الغانيات هى ؟ أمن الأسر الكريمة ؟ أمن تلك الفتيات اللواتى نسميهن أنصاف العذارى ؟ هل قصدت سيارتى قصدا ؟!.. وسمعتها تقطع على تفكيرى كأنها تحدث نفسها :

ـ ألم تحرز نصرا فى حياتك تعتد به يا سيدى ؟

فقلت : لم تخل حياتى من ساعات نصر !

ـ أقصد نصرا حاسما .. كأنك خضت معركة دامية كان لها أثر فاصل فى حياتك ، معركة خرجت منها وأنت تشعر بأنك دفنت عهدا مدبرا واستقبلت عهدا جديدا ..

ـ لا أدرى على وجه التحقيق !

ـ أما أنا فقد نلت هذا النصر .. نلته الليلة .. يا له من نصر عظيم !

كانت تقول ذلك بلهجة ملؤها الزهو والاعتزاز . وبعد لحظة واصلت حديثها قائلة وهى تحدق أمامها تحديقا ثابتا :

ـ ان ثمة لذة لا تفوقها لذة أخرى ، هى تلك الوقفة التى يقفها المحارب وقد سقط خصمه بين يديه صريعا ، ذلك الخصم الذى طالما ناوأه وأعياه وأذله . .انها لنشوة عجيبة ، وانه لشعور عظيم حقا .. كنت أنكر على المقاتلين قسوتهم ، وأنمى على الحرب وبلاتها ، ولكننى حينما خضت معركتى ونلت فيها نصرى عذرت كل مقاتل سفاك !

ـ يدهشنى أن أسمع ذلك الرأى من مثلك .. المرأة ينبوع الشعور المرهف ، ومستودع الرحمة والحنان !

ـ الطبيعة الانسانية لا تختلف بين الرجل والمرأة ..

ـ قد تكون الطبيعة واحدة بين الجنسين ، ولكننى أراك تمنفين فى التعبير عن هذا الشعور !

ـ لو كنت يا سيدى ممن يخوضون المعارك الدامية ويمارسون المقاتلة والصراع ، لما رأيت فيما أقول شيئا من المغالاة !

ـ اننى أخوض معارك الدماء منذ أمد .. ولكن فى صورة خاصة !

ـ لست بجندى على ما يلوح لى ..

ـ لا صلة لى بالجندية ..

ـ هل لى أن أسألك الى أية الهيئات الاجتماعية تنتمى ؟

ـ الى الهيئة التى يلقبها الناس بجزارى بنى آدم الذين يحميهم القانون !

ـ أنت اذن جراح !..

ـ أصبت ..

وانطلقت منها ضحكة رقيقة ، فقلت لها :

ـ أقدم لك نفسي : دكتور شهدى ، عيادتى فى العمارة التى على بابها أضافتك سيارتى المتواضعة ..

ـ تشرفت يا سيدى الدكتور

وكنا قد شارفنا منشية البكرى ، وازداد الطريق اقفارا ، وتغلغل فيه الصمت والسكون وتتابعت نسمات الليل تهب علينا باردة منعشة . ورأيت جارتى تتحسس معطفى وتدس يدها فى طياته . فقلت من فورى : ألا تبلين هذا المعطف شرف تدثرك به مرة أخرى ؟

ـ أشكر لك هذه العاطفة يا دكتور ..

وبادرت ببسط المعطف عليها ، واذا بها تقول :

ـ ألست الدكتور عبد الحميد شهدى صاحب المباحث الطبية التى تطالع بها الصحف بين حين وحين ؟

ـ قد أكونه !

ـ قرأت لك فى الاهرام منذ أيام بحثك فى الملاريا ، ووجدت لك فى مجلة الحكمة هذا الشهر بحثك فى البنسلين وأثره فى الجراحات . وأذكر أنى قرأت لك منذ أشهر نصائحك فى التعقيم ..

ـ عجبا !.. أتتابعين أمثال هذه المباحث الجافة ؟

ـ لى بالطب ولع .. أتسمح بأن أقدم لك نفسى ؟.. سميرة عزت .. وانتسابى انما هو لأبى ..

ـ أكان لك أن تنتسبى لغير أبيك ؟

ـ كان لى زوج .. يرحمه الله !

ـ أمات منذ مدة ؟

ـ دفنته الساعة

ـ الساعة ؟!

ـ دفنته ونفضت منه يدى ، ونزلت فاستقبلتنى سيارتك !

ـ سيدتى ؟

ـ لقد صرعت هذا الزوج وانتهيت من أمره ..

ـ انها لألغاز !

ـ ألم أقل لك انى نلت نصرا حاسما ؟.. ما زلت أتمثله وهو صريع أمامى .. انتهى .. انتهى كل شىء !

وصمتت ، فقلت مدهوشا : أفصحى ..

فقالت فى لهجتها ذات الرعشة المنغمة :

ـ انه قتيل فى نظرى .. أما فى نظره فليس يهمنى أن يعتبر نفسه حيا !

فتنفست فى ارتياح ، وواصلت هى حديثها :

ـ أمر لا يؤبه له .. انها خزعبلات الحياة .. لنعد الى قصة الطب . أرغب فى أن تعلم أنى من أسرة جل رجالها أطباء .. كان جدى طبيبا .. أحمد عزت باشا ..
ـ الدكتور احمد عزت باشا .. من يجهل هذا الاسم ؟ ان نظرياته الصائبة فى جراحة العين غزت معاهد العلم فى أوربة ، وحظيت بأكبر تقدير ..
ـ وعمى كان طبيبا فى الجيش .. ولى أخ أتم دراسته فى كلية الطب المصرية وهو الآن فى لندن يتخصص فى جراحة العظام .. فلا يأخذنك العجب اذا وجدتنى أهوى الطب وما يتصل به .. انى أعيش محوطة دائما بأدواته : مشارط ، محاقن ، ضمادات .. أنفى مشبعة أبدا برائحة العقاقير ، حتى انى لاشعر بأن الهواء الذى أستنشقه يحمل من ذراتها أوفر نصيب !

وطفقت تستنشق الهواء حولها ملء رئتيها ، ثم عادت تقول :
ـ انى معجبة ببحثك الاخير فى الملاريا .. لقد طالعته غير مرة !
ـ حقا ؟
ـ ان طريقتك فى تبسيط العلم بذلك الاسلوب السهل المحبب لا يجاريك فيها طبيب آخر .. كنت أقرأ هذا البحث فكأنى أستمتع بقصة طريفة .. هذا فضلا عما يتجلى فى مباحثك من نزعة انسانية كريمة ..
ـ انى لجد مغتبط باطرائك هذا ، ولكن يلوح لى أن ..
فقاطعتنى ، كأنها غير معنية بقولى :
ـ لما عرفتك الساعة تبين لى على الاثر وجه الصلة بين شخصك وبين ما تخطه أناملك . ان مباحثك لمرآة صافية تتراءى على صفحتها المصقولة صورة نفسك فى جلاء ..
ـ سيدتى .. انك تغمريننى ..
فتابعت قولها ، كأنها لم تسمعنى :
ـ ان الكاتب ليظل مجهولا كل الجهل عند القارىء ، مهما يقرأ له ، فاذا ما تعرف به ..
ـ وقعت الكارثة !
ـ .. فاذا ما تعرف به رأى نفسه تجاه حالتين : فاما انهار ذلك الصرح الشامخ بما يحويه من فتنة وسحر انهيارا لا قيام بعده ، واما أن يزداد هذا الصرح تمكنا وسموا ، وحينئذ تتوثق صلة الكاتب بالقارىء وترتفع مكانته عنده درجات ..
ـ أهو شعور يشاركك فيه كل قارىء ؟
ـ يخيل الى ذلك . وعلى أية حال فهو شعورى الخاص . وقد تعلمت منه أن أتجنب معرفة من أقرأ لهم ، اذ طالما منيت بخيبة أمل قاسية ..
فتنحنحت قليلا ، ثم قلت : هل لى أن أعرف موقفى فى هذه القضية ؟..
فتلاعبت بطرف معطفى ، وقالت : حسبك أن تحزر ..
وانتبهت فاذا « بمصر الجديدة » تلوح أمامى دون سابق انذار أو تمهيد كأن الليل

الفارق فى ظلمته وصمته قد انشق عنها دفعة واحدة ، فبدت حيال ناظرى كأنها مدينة مسحورة من مدائن الاساطير .. وهمهمت جارتى :

ـ انى أسكن فى شارع الخليفة المنصور ..

ـ أعرفه جيدا .. طالما عدت فيه بعض المرضى .. سأبلغك اياه ..

وسرت ووجهتى شارع الخليفة المنصور . وأظلنا الصمت وقتا . ورأيت فتاتى تعبث بزر من أزرار معطفى وعيناها تحدقان أمامها لا تطرفان .. وأردت مواصلة الحديث ، فأعيانى الأمر ، وبدرت منى سعلة خفيفة ، وألفيت جارتى تقول وهى على حالها :

ـ وددت أن أجد لى عملا فى الحياة .. انى تواقة لان أمارس أية مهنة !

ـ أى عمل تصبو اليه نفسك ؟

ـ أقبل أى عمل .. أريد أن أشغل وقتى .. أملأ ذلك الفراغ الذى يحيط بى .. أدفع تلك الوحشة التى تشيع فى نفسى ..

وكان الهلال الوليد قد بدأ يلوح فى الافق البعيد شاحبا ضئيلا يتعثر نوره الوجل بين الأبنية الضخمة ، فكأنه يحاذر أن يكشف الستر عن أسرار خليقة بالكتمان .. وانتشرت خيوطه الواهية على وجه جارتى فأكسبتها سحر الاطياف ، وتسللت الأضواء الى شعرها القانى سابحة مضطربة على مويجاته اللطاف .. ووجدتنى أقول :

ـ أتحسبين أن المرأة للعمل خلقت ؟

ـ لاى شىء خلقت اذن ؟

فأمسكت عن الجواب ، ورأيتنى أخفف من سرعة السيارة ،وأتباطأ بها تباطؤا جعل سيرها أقرب الى سير الأقدام .. وخيل الى أنى آخذ بيد فتاتى أجوز بها الطريق مترجلا هين الخطوات ..

واختلجت شفتاى بقولى : المرأة لم تخلق الا لامر واحد ..

ـ وما هو ؟

ـ انها خلقت « للحب » !..

فراعتنى من عينيها نظرات ملتمعة . وقالت : الحب ؟!

ـ الحب وظيفة المرأة .. وظيفتها الاولى فى المجتمع !

وعلا صوتها أكثر من ذى قبل ، وقالت :

ـ واذا كان هذا الحب هو أصل بلائهـا ، وجحيم حياتها ، لم تنل منه غير الخيبة والاذلال ، فماذا تصنع ؟

ـ تبحث عن حب آخر ، حب جديد يحل محل الحب القديم ويطارد فلوله .. لا يفل الحب غير الحب !.. ألم تسمعى قول الشاعر : وداونى بالتى كانت هى الداء ؟!

فتضاحكت فى رفق ، وقالت :

ـ واذا أصابها الاخفاق فى حبها الجديد ؟

ـ تبحث عن سواه ..

ـ وهكذا !

ـ نعم .. الحب .. الحب دائما .. الحب فى حياة المرأة عنصر لا يقل خطرا عن الماء والهواء ، بل انه ليفوقهما .. انه عنصر الحياة الاول !

ـ انى لأراه عنصرا من عناصر الدمار .. انه جرثومة مرض خطير فتاك !

ـ هبه مرضا .. هبه أى شىء آخر .. هو فى نظرى ألزم للمرأة من أى شىء !

ـ تريدنا أن نكون دائما صرعى هذا المرض العضال ؟

ـ ان لبعض الامراض تأثيرا سحريا فى النفس ، فتنجذب اليها وتشغف بها ولا ترضى عنها بالصحة بديلا .. والحب مرض ساحر جميل يضفى على حياة المرأة لونا بديعا أخاذا. انه ليدفعها الى الاخذ بطراز رائع من العيش كله رومانسية وفتنة .. لن تصيب المرأة كل هذه المتع وهى مكتملة الصحة فى رحاب الواقعية المبتذلة !

فلاذت بالصمت هنيهة ، تائهة النظرات حالمة ، ثم همهمت :

ـ يبدو لى أنك شديد الايمان بالحب !

ـ بل انى لشديد الايمان بأن المرأة لم تخلق الا للحب .. انها دمية فاتنة فياضة القلب بهذه العاطفة النورانية الوضاحة .. انها ..

فقاطعتنى بصوتها المنغم الهادىء :

ـ أنتم أيها الرجال تريدوننا تماثيل عواطف لا أكثر ولا أقل ، تنصبونها فى أبهاء منازلكم ، لتفزعوا اليها اذا استبد بكم الضيق ..

ـ بل ننصبها فى أعز مكان وأعلاه قدسية وطهارة ، ننصبها فى قلوبنا !

ـ انكم لتمرون بهذه التماثيل لترووا منها نفوسكم الصادية ، وتشبعوا نظراتكم المنهومة ، ثم لتتخذوها أفكوهة وسلوى ..

ـ بل لنخر لها ساجدين ضارعين ..

ـ كلام معسول !.. ان الانانية لتحتل من حياتكم أكبر مكان !

فأرسلت طرفى اليها متفحصا ، فوجدتها هادئة القسمات ، غارقة فى عذوبة فياضة ، وقد أسبلت جفنيها كأنها مقبلة على نعاس خفيف .. فقلت فى شبه همس :

ـ أأعد نفسى ضمن من تعنين من الرجال ؟

فتخايلت على وجهها ابتسامة رقيقة ، وتحركت شفتاها تقول :

ـ وهل أنت الا رجل ؟

ـ أذكر أنى سمعتك منذ قليل تشهدين بأن فى نزعة انسانية !

فتضاحكت ، واندفعت تعبث بزر من أزرار معطفى ، فقلت :

ـ حذار يا سيدتى أن تقطعى الزر .. ان مثل هذه الازرار عزيزة المنال فى الوقت الحاضر ..

ـ لن ألحق ضررا بمعطفك .. سأتركه لك كله .. ألم تبلغ شارع الخليفة المنصور ؟
وتلفتت حولها مليا ، ثم همهمت :
ـ أحسبنا قد تجاوزناه ..
ـ يبدو لى أن الخليفة المنصور غير متعجل أن يستضيفنا !
ـ ألا تعود بى ؟
ـ حتما ..
ووقفت السيارة ، ونزلت فقالت : ماذا ؟
ـ على ربان السفينة أن يتبين مكانه من المنطقة التى حل فيها ، لكى يستطيع أن يعود أدراجه فى أمان !

وأدرت عينى حولى ، فاذا نحن على أبواب طريق السويس .. وتجلت لى عظمة الصحراء ، الصحراء المترامية الاطراف التى لا يحدها النظر ، الصحراء العظيمة بسكونها السابغ ورمالها المنبسطة تحت ضوء الافلاك كأنها بسط من اللجين موشاة بثمين اللؤلؤ .. ومصر الجديدة رابضة على مرمى البصر كأنها حيوان ضخم من الحيوانات المنقرضة فى العصور القديمة دهمه السبات فتجمع بعضه على بعض !..

وشاهدت فتاتى تترك السيارة ، وتقول : ماذا تقصد بوقفتك هذه ؟

فتطلعت اليها أتأملها لحظة ، معجبا بقوامها اللدن . لم تكن بالفارعة ولا بالقصيرة ، ولم تكن بالبدينة ولا بالضامرة . عود خصب ريان وجسم متناسق التكوين لا تنكر العين منه شذوذا ولا هجنة .. وراح الهواء يهاجمها فى عنف ، ويضرم الثورة فى شعرها وملابسها ، فانبعثت جاهدة تصلح من شأنها ، وهى تقول :
ـ أين نحن الآن ؟
ـ عن كثب من السويس ..
فصاحت : السويس ؟!
ـ أقصد أننا منها على بعد ساعتين !
واشتد عبث الهواء بها ، فهرعت الى السيارة ، وسرعان ما عدت حاملا معطفى ، وقلت :
ـ أطلب اليك باعتبارى طبيبا أن ترتدى المعطف ..

فلم تبد اعتراضا ، وساعدتها على ارتدائه ، وكان سابغا فضفاضا ، فتهدل كماه على يديها . فكركرت فى الضحك ، وهى تدور على عقبيها تتأمل نفسها وتقول :
ـ ليس فى الامكان أبدع مما كان !
ـ فى رأيى أنه منسجم عليك أبدع انسجام .. كأنك فى لبوس المحاماة ترسلين دفاعك على منصة القضاء ، أو فى جبة الاستاذية تلقين محاضرتك فى مدرج الجامعة !

وأخذت يدها ، وسرنا متمهلين ، ورأيتها تطوف ببصرها متوسمة . واستقرت عيناها على القمر الفتى يحاول أن يبدد حلوكة الليل .. وهينمت :

ـ ان الحياة ليست كريهة كما يبدو للانسان بعض الاحيان .. انها تنطوى على جوانب لطيفة ..

ـ انها ملأى بالسعادة لمن أراد أن يكون سعيدا ..

ـ وهل يكفى أن يرغب الانسان فى السعادة ليظفر بها ؟

ـ هذا رأيى ، وأرجو ألا أكون فيه مخطئا !

ـ لقد حاولت السعادة فلم أصب منها شيئا على الاطلاق ..

ـ لم تكونى فى رغبتك مخلصة !

فطمحت بعينيها الى وقالت : قد فعلت المستحيل ..

ثم مالت ببصرها عنى ، وأطرقت شاردة اللب برهة ، ولمحت قطرات من الدمع تنتثر على صفحة خدها ، وألفيتها بغتة تخفى وجهها فى منديلها . ثم أخذت تجفف دموعها عجلة . وتدانيت منها وأنا أقول فى صوت رفيق :

ـ لقد حدثتنى الآن بانتصار باهر نلته فى معترك الحياة .. فكيف يبكى القائد والنصر حليفه ؟

فهمست بقولها :

ـ يستوى النصر والهزيمة فى نظر من كان موحش القلب فارغه .. الدنيا التى تتجاوب فيها الحركة والنور ليست فيما أحس الا صحراء مقفرة داجية !

فلاطفت يدها وأنا أردد مبتسما :

ـ ألم أقل لك : وداونى بالتى كانت هى الداء ؟!

فتوهجت عيناها ، وقالت متهدجة الصوت :

ـ أفحسبت أنى ما برحت أحبه ؟ محال أن يكون فى قلبى ذرة من هذا الحب !

وراحت ترسل النظر أمامها ، وهى لا تنبس . وبعد حين وجدتها تهمهم :

ـ انى لاعجب كيف أحببته يوما ؟ .. كنت غريرة طائشة .. استهوانى بمعسول الاحاديث وخلاب الامانى ، فوثقت به .. وثقت ثقة راسخة .. وكان الزواج .. وتوالت أيام صفاء وهناء ، وما هى الا أن تبعتها أيام محنة وشقاء .. انقلب هذا الزوج الصفى مخادعا أثيما متغلغلا فى الاثم والخداع .. أصبحت حياتى معه جحيما لا يطاق فيها العيش .. ورضى أخيرا بالطلاق بعد أن بذلت له فى سبيله أسخى العروض وهو يسرف فى مساومة دلت على خسة وضعة نفس .. كان هذا الذى نسميه « الحب » أو على الاصح هذه الجرثومة الخبيثة تنفث فى دمى سمومها ، فلبثت حينا أروض نفسى على الخلاص من شرها ، فمرة أوفق وتارة أخفق ، حتى لقد عن لى فى ساعة من ساعات يأسى شبح الانتحار يستدنينى اليه ، فكدت أسقط بين براثنه .. وقضيت فترة كلها كفاح وعناء ، حتى وقعت حادثة اليوم ، فكانت ختام المأساة وفصل المقال .. ثق أن كل شىء قد انتهى الآن !

ـ أو على وشك الانتهاء !

ــ بل انتهى كل شيء الى غير رجعة .. تصور أني تلقيت منه اليوم بطاقة صغيرة خط فيها كليمات مفادها أنه مريض مشف على الموت يطمع أن أزود عينيه بنظرة وداع . وقلبت البطاقة في يدي لحظة ، مريض يلفظ أخريات أنفاسه ، يدعو مطلقته الى أن تودعه الوداع الاخير ، لست بالقاسية حتى أمتنع عن تلبية دعوته في هذا الموقف الحرج .. ما زال قلبه عامرا بحبي .. لمعت هذه الخواطر في رأسي ، فوجدتني أقفز نحو الباب دون أن أفكر في تغيير ثيابي .. وصعدت في أول سيارة لقيتني ، وحثثت السائق ليمضي سريعا الى البيت . وكنت في السيارة وهي تعدو بي ألوم نفسي على ما قد بدر مني في حقه ، أقسوت عليه كثيرا ؟ أعاندته طويلا ؟ أما كان أجدر بي أن أصابره وألاينه ؟ وصعدت اليه لاهثة الانفاس ، ودخلت حجرته .. فماذا تظن أني رأيت ؟

ــ ممددا على سريره يعاني سكرات الموت !

ــ بل في مناءته الحريرية الأنيقة ، يتوسط حجرته مشرق الطلعة يتوقد مرحا ويقظة. وعن كثب منه مائدة تتزاحم عليها أكواب الشراب وصحاف الطعام .. وتقدم مني ثملا يتخلع والكأس في يمينه ، وقال لي : « ها قد حضرت » . ووقفت مصعوقة لا أبدي حركة ولا ألفظ حرفا . واستأنف قوله : « اجلسي ، اجلسي . انك تلهثين . ما أشد حبك لي » ولما وجدني جامدة في مكاني أنظر اليه مأخوذة اللب ، اقترب مني وأمسك بيدي وأقبل علي .. وأحسست أنفاسه المخمورة تصافح وجهي ، وفمه المتدلي يتدانى الى فمي .. ووجدتني بغتة وقد ارتفعت يدي وأهوت عليه بصفعة اختلج لها وترنح ، وطارت الكأس من يده .. وحدجته بنظرة نكراء ، وصحت به : « اني أكرهك .. أمقتك .. من تظنني أيها النذل ؟ » ..

والتفتت الي ، وكان عينيها بقعتا دم فائر ، وقالت :

ــ أقسم لك انه لو كان معي حينئذ سلاح لقتلته شر قتلة !.. وخرجت أعدو من مسكنه ، لا أكاد أستبين طريقي ، وصادفت سيارتك فدخلت فيها على الأثر ، ثم انكببت على يدي أبكي .. وأبكي .. وأبكي .. وتخاذلت قواي ، وخدرت أعصابي ، وأحسست بالغفوة تسري في أوصالي ..

وسرت معها جنبا الى جنب دون أن نتناقل الحديث . وبعد هنيهة ألقيت عليها نظرة ، فاذا هي تعبث بين أصابعها بحلية مشبوكة في صدرها ، فهمست : حلية لطيفة !

ــ لا بأس بها ..

وخلعتها ، وناولتني اياها ، فأخذت أردد فيها النظر . وكانت حلية ذهبية نقشت عليها صورة أبي الهول ، وتحت الصورة بضع كلمات لم أستطع تبينها . فقالت :

ــ مكتوب فيها : « تذكار لمتطوعات الملاريا » . لقد منحتني هذه الحلية لجنة فتاة النيل تقديرا لعملي في جمع التبرعات

ــ أكنت فيمن يجمعن التبرعات ؟

ـ جمعت وحدى مائتى جنيه ..

ـ كثيرا ما حاصرتنى هؤلاء المتطوعات وسلبتنى ما فى محفظتى من نقود .. أكنت من هؤلاء السارقات ؟

ـ يجوز ..

ـ بل أؤكد ذلك !

ـ كيف تؤكد ؟

فصمت برهه وأنا أحدق أمامى ، وقلت فى لهجة لينة خافتة :

ـ على أية حال أشعر شعورا قويا بأنك سلبتنى شيئا ..

ـ أتعنى محفظتك ؟

ـ بل شيئا أغلى وأعز ..

ودنوت اليها ، فرأيت ابتسامة هادئة ترف على محياها ، ومدت يدها الى ، وقالت :

ـ هات الحلية

فناولتها اياها ، فشبكتها فى مكانها من صدرها ، فقلت : يظهر أن كلا منا مهتم بالملاريا. ان هدفا من أهداف الحياة قد بدأ يجمع بيننا ويؤلف !

فعادت تعبث بحليتها ، وهى تقول :

ـ ان للملاريا جرثومة أرجو يا صديقى الدكتور أن تكون بمنجاة منها !

فألفيت نفسى أندفع قائلا :

ـ لقد كشف الطب حديثا أن لجرثومة الملاريا فضلا فى القضاء على جراثيم بعض الأمراض المستعصية !

فأجابت خافضة الصوت ، وهى تنظر فى حليتها ، وتعبث بها :

ـ أتظن أن جرثومتك الخاصة بالملاريا قادرة أن تقضى على مرض عضال كاد يودى بحياة ؟

ـ انى باعتبارى طبيبا تعمقت فى دراسة هذه الناحية ، وباعتبارى أيضا صديقا تنطوى جوانحه على اخلاص وثيق ـ أقول والأمل ملء قلبى : سيتحقق ذلك بلا ريب !..

فرفعت عينيها الى ، فلمحتهما نديتين . فأخذت يدها بين كفى ، وجعلت ألاطفها .. وعيناى لا تفارقان عينيها ..

وتشابكت نظراتنا وقتا ونحن صامتان ..

واذا بى أميل بفمى على يدها ، فأودعها قبلة حافلة حرى !..

محمود تيمور

هل تصبح الانجليزية .. .. لغة التفاهم بين الأمم ؟

بقلم الدكتور احمد زكى بك
مدير مصلحة الكيمياء

يسمع القارىء ذو اللسان العربى هذا السؤال ، فيخطر له حتما سؤال آخر ، لم لا تكون العربية لغة التفاهم بين الأمم ؟

تقول ان هذا لا يحتمل الآن ؟ وأنا معك ، واذن فكفى الله المؤمنين القتال

وسؤال ثان يعرض للقارىء العربى وغير العربى ، هل معنى هذا أن اللغة الدولية ـ الانجليزية كانت أو غير الانجليزية ـ قد تحل فى كل الاوطان محل العربية والفرنسية والطليانية الى آخر ما هنالك من ألسن ؟ والجواب بالطبع لا . فلن يقول بهذا غير كاتب مخبول من سكان هذه الارض ، أو ملك معصوم من أهل السماء. ولست بهذا ولا بذلك، ولو قال بهذا كاتب مسته الخبلة أو لاحقته العصمة لخرج وراءه ألف كاتب ووراءهم ملايين الرجال من مختلف الالسنة والالوان ، كل بسلاحه من صاروخ نازى الى سيف هندى الى نعل فاسى ، يطلبون رأسه يحطمونه ، أو عظمه يدقونه ، أو جلده يسلخونه . فاللغة التى تختارها اذن لتفاهم الأمم لن تكون الا لغة ثانوية الى جانب لغة البلاد الاصلية

وقد يقال : هل ظلت هناك حاجة بين الأمم الى لغة دولية ؟ والجواب نعم . ودليلنا على هذا تلك المحاولات العديدة التى قام بها اللغويون فى العصور الحديثة ، يصطنعون بها لغة جديدة تكون هى لغة التفاهم بين الأمم جميعها . ولقد سجل التاريخ الى الآن من هذه اللغات ما يقرب من ٢٠٠ لغة مصنوعة ، شاع فى الناس بعض منها . ومن أوائل ما شاع منها لغة الاسبرانتو ، ومؤلفها طبيب عيون ، ألفها فى عام ١٨٨٧ . ومن أواخر هذه اللغات المصنوعة ، لغة نوفيال ، وكان تأليفها عام ١٩٢٨.

واذن فهل فشلت هذه اللغات المصنوعة مع وجود هذه الرغبة وهذا الاحساس ؟

والجواب نعم . لان الصناعة التى أفلحت فى تغيير أزياء ملابسنا وأطرزة مساكننا ، وبدلتنا من الحمير والبغال سيارات وطائرات ، لا بد فاشلة اذا ما أرادت أن تصطنع لألسنتنا لغات . فاللغات ليست ألفاظا تبتدع بين عشية وضحاها ، ولكنها ألفاظ وأساليب هى أوعية المعانى الانسانية ، والخلجات النفسية ، والعواطف القلبية ، وهذه كلها من أنتجة تفاعلات الارواح ، وهى أبدية تأبى الا الأوعية القديمة العتيقة ذات المجد والتاريخ. ان لغات الناس لا تزال الى الآن أسرارا ليس الى فضحها من سبيل، فالصناعة من أجل ذلك فى تقليدها عاجزة.

وستقول أيها القارىء ، أما وقد فشلت اللغات الصناعية أداة لتفاهم الأمم ، فلم يبق أمامنا الا اللغات الطبيعية

وهذا حق لا مرية فيه ، ولكن الصعوبة فى أى اللغات نختار ، وعلى أى أساس نختارها

أنختار الصينية ؟ ولم لا ؟ أليس الصينيون بأعدادهم يبلغون ما بين الخمس والربع من سكان العالم ؟ ولكنك ستقول معى ان الاعداد وحدها لن تكفى . وعدا هذا فاللغة الصينية لغة أساسها ، فى منطوقها ومكتوبها وتأديتها للمعانى ، أساس يختلف كل الاختلاف عما تعود فى لغاتهم سائر الخلق . وقد حاولت من صديق صينى أن أفهم السبب فى أن لغة الصينيين كتابتها معقدة الصور ، وهل هناك احتمال بامكان كتابتها بالحروف اللاتينية ، فعلمت أن هذا متعذر لاسباب تتصل بطبيعة اللغة ذاتها ، واستطرد فى ذلك استطرادا زادنى جهلا واختلاطا

ثم أنختار الهندية ؟ ولم لا ، والهنود قوم لهم عزة العدد ؟ ولكن هذا أيضا غير ممكن لسبب بسيط ، هو أن اللغة الهندية الواحدة لم توجد بعد . فهناك عدة لغات حملت كثيرا من الباحثين الى اعتبار الهند قارة ذات أمم عدة لا أمة واحدة ، لان الأمة الواحدة بلغتها الواحدة . والانجليز كثيرا ما يذكرون أن لهم فضلا على الهند بأنهم أعطوها لغة للتفاهم واحدة ، هى اللغة الانجليزية

ثم أنختار اللغة الروسية ؟ فالروس أمة تأتى بعد الهند بأعدادها ، وهى تمتاز أيضا بقلة لهجاتها بالنسبة لسعتها . وهى لها فوق الاعداد الخطر والسلطان ، ولكن ليس لها فى العلوم والآداب عراقة بعيدة ، وليس عندها من ذخائر الماضى محصول كبير . وقد يغتفر هذا لحيويتها الحاضرة ، وما يرجى منها فى المستقبل القريب . ولكن تبقى بعد ذلك صفات لغتها عقبات قائمة فى سبيل تداولها . فطريقة كتابتها ليست مألوفة ، ومنطوق مكتوبها ليس يسيرا ، وهى كاللغات القديمة من اغريقية ولاتينية تتغير كلماتها بحسب وظائفها فى الجملة تغيرا كبيرا ، فأجروميتها عسيرة . ولغات الأمم انما تتجه فى تطورها الى البساطة والسهولة

ثم اللغة الالمانية ، وهى بأعداد أهلها لها حق الطموح والمنافسة . وهى لغة علم كثير وآداب رائعة . ولكنى لا أحسب أن أحدا من الأمم فى أمزجتها الحاضرة ، ترضى أن تكون لهذه اللغة سيادة ، خشية أن يكون من سيادتها سيادة أهلها ، والناس لا تزال تعانى من هذه السيادة الأمرين . أما من حيث صفاتها ، فهى لغة من أحسن ما فيها أن الناطق ينطق بها كما يكتبها ، ويكتب حتى ما لا يعرف من كلماتها فلا يخطىء لها رسما . ولكن يقابل هذا أن كلماتها تتغير تبعا لوظائفها . حتى أداة التعريف تتغير تبعا لما تلحق به من أسماء . فهى تتغير للمذكر والمؤنث والجماد ، وللمفرد والجمع ، وللمرفوع والمنصوب والمجرور . وتتغير كذلك الاسماء والصفات والافعال . فتحصيل هذه اللغة صحيحة يحتاج الى مجهود كبير لا يأتلف مع صفة اللغة الدولية أبدا

ثم اللغة الفرنسية ، فهذه لغة الحب ، وقد شاركتها فى هذا اليوم سائر اللغات . وهى لغة الدبلوماسية ، وقد تأخرت فى هذا الميدان وتقدم غيرها . فهى لغة الماضى الزاهر ، والحاضر العاثر ، والأرحام التى تزداد عقما على الزمان

وقد كان فى الطليانية والاسبانية مطمع لأهلها . وهى لغات من السهولة بمكان ، ولكن السهولة وحدها لا تكفى لبلوغ غاية

فماذا بقى ؟ بقيت لغة تلك الجزيرة التى سموها انجلترا . واذا قلنا اللغة الانجليزية ذكرنا كندا والولايات المتحدة وجنوب أفريقيا واستراليا ونيوزيلنده . فهى لغة أصلية بكل هذه البلاد ، وهى بلاد بلغتها هذه اللغة استعمارا . والهند وأكثر أفريقيا بلغتها اللغة الانجليزية فتحا . وهناك أمم أخرى ، على استقلالها ، قد بلغتها هذه اللغة تجارة ، لما سيطرت انجلترا وسيطرت أمريكا على بحار الارض السبعة . ومن هذه البلاد الصين واليابان . فبالاستعمار والفتح والتجارة سيطرت اللغة الانجليزية فعلا على أكثر أهل الارض وأكثر بقاعها ، حتى لدارت حول الكرة تلفها لفا . وبالفتح والتجارة قديما سادت اللغات ، فبهما امتدت اللغة العربية ، وبهما امتدت الرومانية ، أعنى اللاتينية . وزادت العربية فسادت بالدين ، وبالدين سادت اللاتينية حتى عمت أوربا النصرانية . ولكن عابها وخذلها أنها كانت للرجال دون النساء ، فلم تكن لغة الحب ، ولا لغة البيت ، فما أسرع ما تقلصت عند ما حان حينها

والسفن التى تحمل التجارة ، تحمل العلوم وتحمل الثقافات ، فحملت تلك السفن الثقافة الانجليزية العتيقة ، وثقافة أمريكا الفتية ، وحملت علومهما الى أكثر الأمم . فصارت بذلك اللغة الانجليزية اللغة الثانية بأكثر البلاد اذا اعتبرنا مرافق العيش عامة ، وهى فى كثير منها تكاد تكون أصلية اذا اعتبرنا جانب العيش الذى تسكنه العلوم والفنون والصناعات

وزاد فى انتشار اللغة الانجليزية صفات لازمة فيها ، فهى لا نحو فيها ، وأما صرفها فقليل تافه ، يقابل هذا هجاؤها فهو عسير ، ولكن اصلاحه ميسور

فهى بهذا وذاك لغة اجتمعت لها كل أسباب النجاح ، من أسباب فى أهلها وأسباب فى كنهها . فهى بهذا صائرة برغمى ورغمك الى أن تكون لغة الأمم الثانية التى يتم بها التفاهم على ظهر هذا الكوكب

والرجل العامى يحب اللغة بأهلها ، ويبغضها لاهلها . والرجل المثقف ينظر الى اللغة بأنها وعاء ثقافة ووعاء أفكار ، ووعاء فن ووعاء جمال ، فهو يحبها لما فيها من غذاء ومتعة . وهو قد يقدسها كما يقدس كلمات الله ، فما هذه اللغات الا كلمات الله ، تظهر بها ارادته ، وتتجلى صورته ، على أى لسان خرجت ، وأى اللحوم البشرية تقمصت

احمد زكى

هذه قصة أديبين عظيمين ، ظلا فى ملعب الحياة « طفلين »
لا يتلاقيان الا ليتشاجرا ويضيق كل منهما بالآخر ويعمل
على تكدير صفوه وجرح شعوره والنيل من كرامته

بين تولستوى وترجنيف

بقلم الأستاذ على أدهم

لا تستطيع الانسانية أن توفى أصحاب المزاج الفنى حقهم ، فهم الذين يجملون الحياة، ويؤكدون قيمها ويخلدون مظاهرها الفانية ، وعلاقاتها المتقلبة الزائلة ، ويسمون بنفوس الناس فوق المنافع العاجلة ، والغايات القريبة ، والمآرب الذاتية ، ولكن مخالطتهم فى الاعم الاغلب ليست من الامور السهلة الميسورة ، وقد وجد بين كبار الفنانين من ظفر بالحياة الزوجية السعيدة ، والصداقة الروحية النبيلة ، ولكننا نستطيع أن نقول ان هذا كان الشذوذ عن القاعدة ، وذلك لان أساس المعاشرة الصالحة ، والصداقة الحقة ، هو تبادل الاخذ والعطاء ، وهو أمر متعذر مع أصحاب المزاج الفنى ، لان الفنان يحاول أن يفيد من كل شىء ، ويسخره لانماء مواهبه وممكناته وتجويد آثاره ، ويظل خلال تلك الفترة ملفوفا فى طيالس أحلامه ، ذاهلا عما حوله ، حتى يستوى خلقه الفنى فيرد ما أخذه من الناس مضاعفا ، ولكن بعد أن يتسم بسمة الجحود والنكران خلال دور الحضانة

وقد كان تولستوى وترجنيف كاتبين كبيرين قل أن يسمح الدهر باجتماع مثلهما فى عصر واحد ، ولكنهما كانا من أصحاب المزاج الفنى ، فلم يصف الجو بينهما ، وظلا طوال حياتيهما فى خلاف متصل وشقاق لا ينتهى الا ليتجدد ، مما يجعل الانسان يعجب من تقلبات القلب البشرى وأطوار النفس الانسانية مهما اهتدى الى العلل والاسباب التى تخفف من أثر هذا العجب ، فحتى تولستوى العظيم وترجنيف الكبير ظلا فى ملعب الحياة « طفلين » لا يتلاقيان الا ليتشاجرا ، ويضيق كل منهما بالآخر ، ويعمل على تكدير صفوه ، وجرح شعوره ، والنيل من كرامته !

فى سنة ١٨٥٢ ظهر كتاب « الطفولة » لتولستوى ، وكان أول كتاب أخرجه تولستوى ، ولكنه برغم ذلك كان آية فنية دلت على اصالة الكاتب ورسوخ قدمه ، وقوبل الكتاب بالاعجاب الشديد والتقدير العظيم ، وردد النقاد أن نجما لامعا جديدا قد أشرق فى سماء الأدب الروسى ، وكان فى طليعة المعجبين بهذا الكتاب والقادرين لعبقرية مؤلفه الكاتب الروائى الروسى ايفان ترجنيف ، وقد كتب الى صديق له عقب اطلاعه

على الكتاب يقول من رسالته : « لم أقرأ الكتاب فحسب وانما ارسلت صيحة الاعجاب وشربت نخب المؤلف »

وكان ترجنيف فى ذلك الوقت كاتب روسيا الاول ، وقد قرأ فصول الكتاب لشقيقة تولستوى ، فأرسلت الى أخيها خطابا ساحرا تصف كيف تعرفت الى ترجنيف ، وتزف اليه اعجابه الشديد بكتابه ، وتبادل الكاتبان بعد ذلك رسائل التعارف والتقدير ، وتحيات الود والاعجاب ، وقدم تولستوى دليلا على صدق مودته وعرفانه بجميل ترجنيف وذلك باهداء قصته « قطع الاخشاب » لترجنيف مؤلف كتاب « صور صياد » التى يحبها ويقدرها ، وكان تولستوى قد أزمع الذهاب الى بطرسبرج ، فتلقى دعوة من ترجنيف ليقيم فى داره ، وقبل تولستوى الدعوة ونزل فى ضيافة ترجنيف أثناء اقامته ببطرسبرج ، وكان تولستوى حينذاك فى عفرة الشباب ، وقد أطلق لنفسه العنان ، وأعطاها اللبان ، وأخذ ينهل ويعل من متع الحياة ولذاتها المشروعة والمحرمة ، وكان يسرف فى ذلك اسرافا يتفق مع مزاجه العصبى ، وميوله المحتدمة ، وحيويته المتدفقة ، قال عنه ترجنيف فى هذه المرحلة من مراحل حياته « لقد حاولت تقويمه فلم أوفق »

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

وكان فى بطرسبرج جماعة من الكتاب والأدباء ، وكانت تصدر هناك مجلة «المعاصر» التى أسسها بشكن سنة ١٨٣٦ ، وكانت فى طليعة مجلات روسيا التقدمية ، وظهرت بها مقالات وفصول لترجنيف وجونشاروف وستروفسكى وغيرهم من أعلام الادب الروسى وأعد نركاسوف وبانيف ـ وهما فى طليعة أدباء بطرسبرج ـ حفلة عشاء تكريما لزميلهم الجديد تولستوى ، وأشرفت على تنظيم الحفلة مدام بانيف ، وكانت متزوجة من بانيف أحد القائمين بأمر مجلة المعاصر ، وكانت تشارك زميله الآخر آراءه الادبية ، فلقبهما الادباء « بالزوجين » ، وأوقف ترجنيف تولستوى على ذلك قبل حضوره الحفلة ليكون على بينة من الامر ، وفى أثناء العشاء دار الحديث حول جورج ساند الروائية الفرنسية المعروفة ، وكانت صديقة ترجنيف ، وأثنت عليها الجماعة ، ولم يعجب ذلك تولستوى فظل ملتزما الصمت وقد تجهم وجهه ، وأخيرا لم يطق صبرا ، وأبدى فى شىء من العنف ملاحظة مضمونها « ان المرأة التى تقول بمثل هذه المبادىء يجب أن تعلق بعربة الجلاد وتجر فى الشوارع لتكون عبرة لغيرها » وأعقب ذلك صمت طويل محرج وتبادل الحاضرون نظرات القلق والدهشة وأبدت مدام بانيف ثباتا وتجلدا

وكان تولستوى وترجنيف مختلفى الطبائع بحيث لا يستطيعان أن يظلا على وفاق ، وكان ينقص تولستوى رقة الحاشية التى تستلزمها آداب المجتمع ، وكان يرى أن من الشرف والشهامة أن يوضح للغير رأيه فى كل أمر من الامور التى تعرض بلا مواربة ، ولم يكن يرى بأسا فى أن يبالغ ويسرف ليعبر عن وجهة نظره ، وكان ترجنيف يكبره

بعشر سنوات ، وله شهرة بعيدة ومكانة فى الأدب سامية ، ومركز اجتماعى ممتاز ، وهو فوق ذلك رجل مصقول الحواشى ، ملم بآداب المجتمع ، له ثروة وجاه ، ووجه وسيم ، وطلعة مهيبة ، وصوت جذاب ، وكان يرى عيوب نظام روسيا الاجتماعى ويظل مع ذلك ثابت الجأش ، مطمئن النفس ، معتزا بما يملك من ضياع وعقار ، فخورا بالالفى نفس من الفلاحين التابعين له !

وكانت عناصر طبيعة تولستوى لا تزال متناقضة متصارعة واستعداداته لا تزال كامنة وملكاته العقلية وكفاياته الفنية لم يتسقا ويتوازنا بعد

وكان ترجنيف على ما يبدو عليه من مظاهر الهدوء والاتزان ، والتهذيب والرقة ، قد ورث من أمه الاستعداد للغضب والثورة ، وكان كثيرا ما يخشى ان يفلت من يده زمام نفسه وهو فى ثورة من ثورات الغضب ، ولم يكن هناك معدى لهذا الشاب الازرق العينين الذى لا يزال فى ريعان الشباب عن ان يقف من تولستوى موقف الذى يتعهده ويرعاه ويشرف عليه ويأخذ بيديه،ولكن تولستوى المتكبر التياه لم يستطع أن يستسيغ ذلك!

ومن ثم بدأت بينهما الخلافات وتكررت المواقف المدهشة ، وسرعان ما أخذ ترجنيف يقول عن صاحبه « كل كلمة من كلماته متكلفة وكل حركة من حركاته مصطنعة وهو لا يكف عن التكلف والتصنع ، ويدهشنى اعتزاز رجل له مواهبه وملكاته بلقب الكونتية التافه »

وبارح ترجنيف بعد ذلك بطرسبرج ليعيش عيشته المتنقلة ، فكتب تولستوى الى عمته تاتيانا من رسالة « ان ترجنيف الذى بدأت أحبه ــ وأنا الآن متأكد من ذلك ــ برغم اننا كنا لا ننقطع عن المشاجرة والخلاف قد غادرنا ، ولذا أشعر الآن بعزلة لا تحتمل » . وجددا معرفتهما بالضواحى فى الصيف التالى ، ولكنهما ظلا طول حياتيهما لا يشعران بالصداقة ولا يتبادلان العطف والمودة الا عندما يفترقان ، فبعد مضى عام على لقائهما الاول كتب ترجنيف الى تولستوى من باريز :

« انى أشعر بأنى احبك رجلا ــ وحبى لك كاتبا لا يحتاج الى بيان ــ ولكن فيك صفات كثيرة تثير أعصابى ، وقد تأكدت أخيرا انه خير لى ان ابتعد عنك ، فاذا ما تلاقينا مرة أخرى فلنحاول الاستمساك بالصبر وربما تسير الامور بيننا سيرا حسنا ، وشعورى وأنا بعيد عنك هو شعور الحب الأخوى ولو ان ذلك قد يبدو غريبا »

وأدرك ترجنيف أنه ليس عنده ما يقدمه لهذا الشاب الناشىء فكتب اليه من خطاب آخر « ربما كانت مؤلفاتى قد ادخلت عليك السرور ، وربما كان لها بعض التأثير فيك ، ولكن ذلك كان فى الفترة التى كنت تبحث فيها عن نفسك ، ولا حاجة بك الآن الى دراستى ، واذا قرأتنى فى المستقبل فسوف لا تجد غير اختلاف طريقتى عن طريقتك ولا ترى غير اخطائى وعيوبى وحدودى ، وعليك الآن أن تدرس قلبك والنفس الانسانية والكتاب العظماء عظمة حقيقية »

وظل تولستوى سنوات بعد ذلك وهو يردد قوله « ان ترجنيف رجل لا يستطيع الصداقة ، وقد كان يحبنى كاتبا ولكنى انسانا لم أجد منه مودة قلبية ، ولم يكن يحب سوى النساء »

هذا ما كان يقوله تولستوى عن الرجل الذى قال فيه موباسان بعد موته :

« كان من أفذاذ الكتاب فى هذا القرن (القرن التاسع عشر) وكان فى الوقت نفسه أصرح الناس واكثرهم استقامة ، وأوفرهم اخلاصا ، واكثرهم عطفا ، وكان البساطة مجسمة ، وكان مخلصا الى أقصى حدود الاخلاص ، وكان أطيب الناس نفسا ، وكان جم العطف على أصدقائه شديد الولاء لهم سواء كانوا فى عداد الاحياء أو فى حيز الهلكى »

ولكن ترجنيف كان يؤمن بالحب الجنسى ، الحب بين الرجل والمرأة ، اكثر مما يؤمن بالصداقة ، ذكر عنه الاخوان جونكور فى يومياتهما انه قال فى مجلس كان فيه دوديه وزولا : « الحب هو مصدر الالهام جميعه ، وأنا نفسى لم يكن لى الهام سواه ، فحياتى غارقة فى النسائية ، والحب وحده هو الذى يمد من حدود الروح ويوسع آفاقها »

وذهب تولستوى الى باريز ، واعجبته فى بادىء الامر ، وكان قد سبقه اليها نكراسوف وترجنيف ، ووقع خلاف شديد بينه وبين ترجنيف ، وطلب تولستوى الى ترجنيف أن يبارزه ، وتوسط بينهما نكراسوف وما زال بهما حتى قضى على أسباب الخلاف ، وسافر الروائيان معا الى ديجون ، وتلاقيا بعد ذلك فى بادن بالمانيا لان تولستوى لم يستطع البقاء فى باريز بعد أن شاهد تنفيذ حكم الاعدام فى أحد المجرمين ، فهجر فرنسا الى سويسرة وانتقل منها الى المانيا

ولما عاد تولستوى الى روسيا شعر بالوحدة واحس بأنه فى حاجة الى رؤية أصدقائه القدماء ، وتلقى دعوة من ترجنيف يدعوه فيها الى زيارته فى سباسكوى ، ولبى تولستوى الدعوة،وحدث بينهما فى أثناء الزيارة خلاف شديد وضع حدا للصداقة بينهما سنوات عدة

فقد أحضر ترجنيف أصول روايته « آباء وابناء » ، وأعطاها تولستوى ليقرأها ، وكان تولستوى متعبا فأدركه النعاس وهو جالس على الاريكة ، فاستخلص ترجنيف من ذلك ان كتابه لم يرق تولستوى ، وكاد ينتهى الامر عند هذا الحد لولا أن ترجنيف جاء الى الحجرة فوجد تولستوى قد أخذته سنة من النوم فخرج من الحجرة وتنبه تولستوى فابصره يسير على اطراف أصابعه ، واسر ترجنيف ذلك فى نفسه ولم يفاتح فيه تولستوى وكان لهذه الحادثة تأثير فى الخلاف الشديد الذى ثار بينهما فى منزل صديقهما فت

فقد بدأ ترجنيف يمتدح مربية ابنته غير الشرعية ، وذكر فى معرض التدليل على روحها الطيب ونزعتها الخيرة انها كانت تحرض الفتاة على أن تصلح بيديها ثياب بعض الفقراء البالية الممزقة وتعنى بهم

فسأله تولستوى وفى صوته شىء من العنف والانكار « اتراها على صواب فى ذلك ؟ »

فأجابه ترجنيف « لا شك فى ذلك فان هذا يجعل المحسن أقرب الى الاحساس بالحاجة »

ولم يكن الامر هينا فى رأى تولستوى الذى كانت تتضارب فى نفسه الآراء ويتجه اتجاها لم يكن قد ظهرت بعد بوادره وتكشفت خوافيه

فأجاب تولستوى محتدا « انى اعتقد ان الفتاة التى ترتدى ملابس انيقة وتتناول الملابس القذرة القبيحة الرائحة لترقعها تمثل رواية هزلية سخيفة »

فقال ترجنيف « اطلب اليك الا تسترسل فى هذا الحديث » وأخذ يبدو عليه الغضب وبخاصة لان مدام فياردوه هى التى تولت الاشراف على تربية ابنته منذ نعومة اظفارها

« ولماذا لا أقول ما اعتقد »

« انت اذن تظن أنى لا أنشىء كريمتى تنشئة صالحة »

فقال تولستوى انه لا يريد الخوض فى هذا الموضوع وأنه يؤمل أنه قد أوضح رأيه

ولم يتبين ترجنيف ان تولستوى انما يدافع بذلك عن رأى من أخص آرائه ، ورغم حساسيته الفنية لم يستطع ان يقدر أهمية الناحية الاخلاقية عند تولستوى ، وانما شعر بأن تولستوى يتحداه فتملكه الغضب وأبرق وأرعد وهدد تولستوى بأنه سيدق رأسه اذا مضى فى ترديد مثل هذه الآراء ، ولم يطق بعد ذلك البقاء فى الحجرة فخرج غاضبا حنقا ، وعاد بعد ذلك بدقائق معدودة وتعمد تجاهل تولستوى والاغضاء عنه واعتذر لمدام فت قبل مبارحة المنزل

وتفرق شمل الجماعة بعد ذلك ، ولم يكن تولستوى يقدر أن ملاحظته ستثير غضب ترجنيف الى هذا الحد ، ولم يستطع أن يلتمس له عذرا أو أن يدرك انها كانت من بعض الوجوه مهينة وجارحة لترجنيف ، وأخذ يغلى غضبه ، ويشتد اهتياجه ، فكتب اليه رسالة سريعة يقول فيها :

« آمل أن تكون قد وجدت متسعا من الوقت لتتبين خطأك حينما اهتنى فى حضرة مدام فت ، فارسل الى اعتذارا مكتوبا استطيع ان اطلع عليه أسرة فت ، واذا كنت ترى أن طلبى هذا غير معقول فليس عندى ما أزيد عليه وسأنتظر ردك فى بوجيسلوف »

فأجابه ترجنيف « لا استطيع سوى أن أردد ما قلته عند أسرة فت ، وهو انى اهتنك لاسباب لا افهمها ، وارجوك الصفح ، وقد اثبتت الحادثة ان لا يمكن التوفيق والتقرب بين طبيعتين جد مختلفتين كطبيعتى وطبيعتك ، وهذا الكتاب هو بلا شك آخر كتاب بيننا وآمل أن تجد فيه الترضية التى تريدها ، وتستطيع ان تفعل به ما تشاء »

واخطأ حامل الرسالة ، فذهب تولستوى الى بوجيسلوف فلم يجد رسالة تنتظره ، فاستوقد ذلك غضبه ، وأخذت نوبة الغضب بزمام نفسه فارسل الى ترجنيف تحديا للمبارزة ، وندم بعد ذلك على تسرعه ، وكتب الى فت يوضح له ما حدث ، وقال له انه يسترد رسالته اذا علم ان ترجنيف قد أجاب عن الرسالة الاولى ، واطلع ترجنيف على رسالة تولستوى فكتب اليه « انى اتلقى نارك بارتياح لكى أزيل أثر الكلمات الطائشة التى صدرت منى ، ومجرد تفوهى بهذه الكلمات مخالف لعادتى وشيمتى ولست

أعزو ما بدر منى الا الى الغضب الناشىء من الاختلاف الشديد والتناقض الحاد بين آرائنا

وفض تولستوى هذا الخطاب فأثار ثائرته وأرسل اليه ردا شديد اللهجة ، وكان فت يحاول التوفيق بينهما ، فكتب اليه تولستوى انه سيهمل رسائله اذا عاد الى الكتابة اليه فى هذا الموضوع

ولم تنته المهزلة عند ذلك الحد ، فبعد أشهر قلائل أخذ تولستوى يشعر أن موقفه فى هذا الخلاف لم يكن بريئا من النقص ، فكتب الى ترجنيف يرجوه الصفح ، ولسوء الحظ لم يصل الكتاب الى ترجنيف فى الوقت المناسب ، وأخذت ألسنة السوء تذيع أن تولستوى يصرح فى مجالسه الخاصة بأنه يحتقر ترجنيف ويغض منه ، وترامت الاشاعات والاقاويل حتى بلغت مسامع ترجنيف وهو فى الخارج ، ولم يكن أقل رهافة حس وتوتر أعصاب من تولستوى ، فارسل الى تولستوى رسالة يدعوه فيها الى المبارزة ، ووافت هذه الرسالة تولستوى وهو فى حالة من حالات الهدوء والاتزان وقد سئم الخلاف الطويل بينه وبين ترجنيف ، ومل المسألة بحذافيرها فكتب اليه « سامحنى اذا كنت قد أسأت اليك ويحزننى أن تكون فى نفسك موجدة على ، وحقيقة انك قد عبت على سلوكى وهددتنى بدق رأسى ولكنى برغم ذلك كله أرفض رفضا تاما ان اشتبك معك فى مبارزة »

وتلقى ترجنيف بعد ذلك رسالة تولستوى السابقة التى تسأله فيها الغفران والصفح فكتب الى فت « تستطيع أن تخبر تولستوى اننى أحبه كثيرا من بعيد وأراقب سيرته الادبية بعطف كثير ، ولكننا اذا اجتمعنا فسرعان ما يتغير كل شىء ، ولا حيلة لنا فى ذلك ، ويلزم ان نسلك فى المستقبل سلوك رجلين يعيشان فى كوكبين مختلفين أو فى أزمنة متباينة»

وطالت القطيعة فلم يتلاقيا الا بعد عشرين سنة

وكان ترجنيف يقرأ مع مزيد الاعجاب ما يخرجه تولستوى ، فلما اطلع على كتاب القوزاق وبوليكوشكا كتب الى فت يقول له « لقد قرأت بوليكوشكا وقد أدهشتنى قوة نبوغه العظيم فهى تجرى رعدة فى سلسلتى الفقرية التى أصبحت صلبة متحجرة ، انه استاذ متمكن » واثنى على القوزاق كذلك ثناء جا حماسيا وساعد على اذاعة أدب تولستوى فى فرنسا

ولكن ترجنيف كان يعجب من مؤلفات تولستوى بالصفات التى تشبه صفاته ، فى حين ان عبقرية تولستوى كانت قائمة على قدرته الباهرة فى ادماج القيم الاخلاقية بمؤلفاته مع الاحتفاظ بالقالب الفنى ، وكان ذلك يضايق ترجنيف ولا يرضيه وكانت تسوءه حماسة تولستوى الاخلاقية ونزعته الدينية

على ان ملكة ترجنيف الناقدة قد خانته عند تقديره الاول لرواية تولستوى العظيمة ودرته اليتيمة المسماة « الحرب والسلام » فقد كتب الى فت يقول له « الجزء الثانى منها ضعيف والرواية برمتها متكلفة تافهة ! وما هذا الحديث عن سيكلوجيا الحرب ؟ وأين ملامح العصر ووصف معالمه التاريخية ؟ »

وفى السنة التالية كتب يشكو قائلا « ان رواية تولستوى رديئة لان المؤلف لم يدرس شيئا ولم يعرف شيئا » وفى سنة ١٨٦٨ كتب الى أحد أصدقائه « الصورة التاريخية التى تطالع القراء وتمتعهم ليست سوى مهزلة ودجل وليس هناك اغاء حقيقى للشخصيات »

ولما ظهر الجزء الرابع حسن رأيه وعدله ، على أنه مما يدل على اخلاص ترجنيف لتولستوى سواء فى ذمه لرواياته أو فى مدحها ان الروائى الفرنسى العظيم فلوبير قرأ رواية الحرب والسلام فأعجب بها وأثنى عليها ثناء مستطابا وقال انه يعتبر تولستوى أعظم روائيى العصر وكتب الى ترجنيف يشكره لانه أتاح له فرصة قراءتها ويقول « أى فنان وأى عالم بالنفس الانسانية ، ويبدو لى فى بعض الاحايين ان هناك اشياء مثل شكسبير لقد كنت أردد صيحات الاعجاب اثناء قراءتى »

فكتب اليه ترجنيف « لا تستطيع ان تتخيل مقدار السرور الذى ادخله على نفسى كتابك وحديثك عن رواية تولستوى ، وموافقتك تقوى رأيى فيه ، نعم انه رجل عظيم »

وكذلك خذلته ملكته الناقدة فى تقدير رواية تولستوى الاخرى « أنا كرنينا » فكتب الى صديق له « ان ملكاته عظيمة ولكنه فى أنا كرنينا قد اتجه اتجاها خاطئا »

وفى أواخر سنة ١٨٧٨ ساء تولستوى أن يكون بين الأحياء انسان علاقته به ليست على ما يرام ، فصمم على أن يجدد علاقته بترجنيف فكتب اليه « بعد ان اختبرت بعناية مشاعرى نحوك وجدتنى واثقا الثقة كلها انى لا اضمر لك سوءا ، وارجو الله ان يكون شعورك نحوى كذلك ! فابسط الى يدك ولننس الماضى ! وانى أعرف معرفة جيدة انك أظهرت مرة عطفا عظيما على وأنا مدين لك بالشكر لشهرتى الادبية ، وفى مرجوى انك لا تزال تضمر لى القليل من الحب فى اعماق قلبك ، وأنا أقدم خالص الصداقة ويسرنى ان تزول اسباب سوء التفاهم بيننا جميعها »

ولما تلقى ترجنيف هذه الرسالة كتب الى تولستوى يقول « لقد سرنى كتابك واثر فى نفسى تأثيرا عميقا ، وأنا جد سعيد لعودة صداقتنا القديمة الى سابق عهدها وأصافح بحرارة اليد التى بسطتها الى ، وانت محق فى ظنك انى لا اضمر لك شعورا عدائيا ، ولو كنت يوما ما قد شعرت بمثل هذا الشعور فانه قد زال واختفى من عهد بعيد ولست أذكر سوى الرجل الذى كنت منجذبا نحوه انجذابا قويا ، والذى هللت لخطواته الاولى قبل غيرى ، والذى كان كل مؤلف له جديد يثير عظيم اهتمامى ، وانى لمبتهج لان سوء التفاهم الذى كان بيننا قد امحى ، وفى مأمولى ان اذهب فى هذا الصيف الى مقاطعة أوريل ، وأرجو أن يتيح لى ذلك فرصة رؤيتك ، واتمنى لك كل خير »

ولكن هذه الخطابات كانت اكثر حرارة وحماسة وأحفل بآيات الود والاخلاص من العلاقات المتجددة التى تلتها ، فقد عادا الى المصادقة وتبودلت الزيارات ولكن لم يجد كل منهما فى تجدد الصداقة وعودة المياه الى مجاريها ما كانا يحلمان به من الود الصافى والتحاب الخالص

ومهما كانت نياتهما فان كليهما لم يكن له من السيطرة على نفسه ما يحول دون عودة الخلاف والتنافر ، وسرعان ما راح ترجنيف ينشر الاشاعات عن موقف تولستوى الجديد من الحياة ، فى حين ان تولستوى أسر الى فت قائلا « انه لا يزال كعهدى به ، ونحن الآن نعلم الى أى مدى يتقرب كل منا من الآخر » وكتب اليه بعد ان تلقى رسالة من ترجنيف ضايقته « انه فى الواقع رجل لا يتيسر الاتفاق معه ، وقد صممت على ان ابتعد عنه وعن الجريمة جهد الطاقة »

وفى صيف سنة ١٨٨٣ عرف ترجنيف ان الموت يخب اليه فقال « لقد نلت كل ما اشتهيت فقد عملت ووفقت وأحببت وأحببت ، ومن المؤلم ان يموت الانسان قبل وقته ولكن بالقياس الى قد حان وقت الموت » وكانت أفكاره وهو على فراش الموت تتجه الى تولستوى وكان قد قرأ كتابه « اعتراف » وكتب عنه « انه كتاب باهر لما تضمنه من صدق واخلاص ويقين حار ، ولكنه قائم على أفكار زائفة ، وهو يفضى الى رفض الحياة رفضا تاما محزنا »

وترامت اليه اشاعات مختلفة عن تولستوى تدور حول تركه للفن ، وأدرك ترجنيف أخيرا ان تولستوى على عبقريته شخص غريب الاطوار وانه من أرق الناس قلبا واكثرهم عطفا ، وانه — أى ترجنيف نفسه — غير جدير بأن ينحنى أمامه ويحل له رباط حذائه فارسل اليه خطابا مؤثرا ربما لم يكتب مثله كاتب الى نظير له فى قوة التأثير وصدق العاطفة

« عزيزى نيقولافتش

« لم أكتب اليك منذ زمن لانى فى الواقع كنت ولا ازال على فراش الموت ولا يمكن ان تتحسن صحتى ولا فائدة من التفكير فى ذلك ، وأنا أكتب اليك لاخبرك انى كنت جد سعيد لانى من معاصريك واليك أمنيتى الاخيرة ، عد يا صديقى الى الادب ، انه موهبتك وقد هبطت اليك من المحل الارفع الذى يأتى منه كل شىء ، وما أسعدنى لو علمت ان كلماتى قد تؤثر فيك »

وبعد موت ترجنيف طلبت جمعية « المعجبين بالادب الروسى » من تولستوى ان يلقى خطابا جامعا عن معاصره العظيم ، وبالرغم من انه لم يتعود الخطابة الا فى الفلتات النادرة فقد وافق على ذلك ، وأخذ يراجع بدقته المعهودة ونشاطه المعروف مؤلفات ترجنيف ، واكتشف من جديد « انه فنان عظيم وأنه يحبه حبا جما » وأجهد نفسه فى اعداد المحاضرة وترقبتها موسكو بفارغ الصبر ، ولكن وزير الداخلية أمر بمنع القائها لان الحكومة كانت ناقمة على ترجنيف منذ ظهور روايته « الثرى العذراء » ، ولم يضايق ذلك تولستوى الذى كان لا يميل الى ان يخطب الجماهير والذى قبل ذلك مكرها رعاية لعهد صديقه ترجنيف وتكريما لذكراه

على أدهم

التبرج عند قدماء المصريين

بقلم الاستاذ محرم كمال

الأمين بالمتحف المصرى

كان الشعب المصرى القديم من أشد شعوب العالم القديم ولعا بالزينة والتأنق وبكل ما يزيد مظهرهم جمالا ، وسحرا جذابا . فنحن اذا عدنا بالمصريين القدماء الى أقدم عصورهم ، أى الى عصر ما قبل الأسرات ، لوجدنا فى أقدم مقابرهم وأبسطها ، أى فى تلك الحفر البيضية الشكل ، مجموعات مختلفة من أدوات الزينة كالعقود ـ التى كانت تتخذ حباتها من الحجر الجيرى والكوارتز والشست أو الاحجار الكريمة كالعقيق والاماتيست ـ والأساور والامشاط التى كانت تصنع من العاج والعظم والصدف . وقد وجد فى كثير من هذه المقابر الى جانب رأس الميت ألواح من الشست الاخضر متعددة الاشكال ، فمنها المربع والمستطيل ، ومنها ما يماثل فى شكله الحيوان أو الطير كفرس البحر والسلحفاة والسمكة والعصفور . وكانت تستعمل كألواح يصحن عليها الكحل ليتكحل به الرجال والنساء على السواء . وقد وجدت هذه الالواح عالقة بها آثار الكحل ظاهرة بجلاء

وفى الأسرة الاولى عثرنا فى مقابر أبيدوس (العرابة المدفونة) على أربعة أساور من الذهب والفيروز والاماتيست وجدت على ذراع ملكة كانت مدفونة هناك ثبت منها أن فن الصياغة وصل الى درجة عظيمة من الرقى حتى فى هذا العصر القديم كما عثر على مجموعات أخرى من العقود اتخذت حباتها أشكالا مستطيلة أو مستديرة أو وريدات صغيرة ، كما عثر على مجموعة أخرى من الحلى بجهة نجع الدير يرجع تاريخها الى الأسرة الاولى أيضا تتميز من بينها حلى جميلة للصدر صنعت من صفائح الذهب

فهذه المجموعات المختلفة من الحلى تدل دلالة واضحة على أن المصريين القدماء كانوا منذ أقدم عصورهم مولعين بالتجمل وبأن يزينوا أنفسهم « بكل ما هو حسن وجميل » على حد تعبيرهم

وفى أواخر الأسرة الثالثة وأوائل الأسرة الرابعة نجد لدينا من الامثلة ما يثبت لنا أن المصريين القدماء كانوا شديدى التأنق فى ملبسهم ، يرتدون ثيابا هى وان كانت بسيطة فى بعض الاحيان الا انها تكتسب جمالها وأناقتها من بساطتها ومن ذلك الذوق السليم الذى يوحد بين أجزائها ويفيض عليها انسجاما بديعا وتناسقا خلابا

فالثوب الذى ترتديه الاميرة (نفرت) بسيط ، فهو ثوب رقيق محبوك يلتصق بجسدها وينفتح من الامام عند الصدر ، وهو فى مجموعه مهلهل ضيق يكسو الجسم من الثديين الى القدمين ، ولكنه فى بساطته هذه يبرز محاسن الجسم ومفاتنه فى ابداع جميل جعل منه نموذجا رائعا للاناقة وحسن الذوق ولعل هذه الظاهرة هى التى نلمسها أيضا فيما بقى من زينتها . فالشعر المستعار الذى يحيط بوجهها توج بشريط مزخرف بزهيرات جميلة ، كما أن الشعر الطبيعى الذى يرى على الجبهة صفف بعناية فائقة فزادها جمالا ورشاقة . أما العنق فقد حلى بقلادة عريضة انحدرت فوق الصدر . ولكن السحر كله تنفثه عيناها ، فان بريقا خلابا يتلألأ فيهما ، وان أثر الكحل فى تجميلهما لقوى شديد. ونحن نستطيع بقليل من الخيال أن نتصور جارية نفرت (الجميلة) وقد فتحت صندوقا صغيرا يحوى ألوانا من الدهون والطيوب والخطوط والكحل ، ونستطيع أن نتصورها وقد أغمدت فرشاة فى الاثمد المائع ، ومست به أهداب سيدتها ، ونستطيع أن نراها وهى تخرج مرودا من مكحلة تخط به خطين أسودين يمتدان الى ما يلى لحاظ عينيها نحو الصدغ ، ثم وهى تطلى جفنيها وما حولهما من محجريها بمسحوق رصاصى أدكن ، ثم وهى تزجج حاجبيها بعناية ودقة وتطلى شعرها ووجهها وعنقها وصدرها وجسمها بالطيب والزيت الثمين ، ثم وهى تدهن شفتيها ووجنتيها بمسحوق أحمر تتم به زينتها

ومع هذا كله ، بل بالرغم من هذا كله ، فاننا لسنا فى حاجة الى كثير من الخيال لنتصور ما قدمنا ذكره ، فلدينا من الوثائق والاسانيد والآثار نفسها ما يثبته كله ، فقد ورد فى ورقة تورين البردية رسم يمثل سيدة تطلى شفتيها بالاحمر وهى تتأمل أمر زينتها فى مرآة أمسكتها بيدها اليسرى وفى نفس اليد حق به أحمر الشفتين . بل ان لدينا نقشا آخر ورد على تابوت السيدة (كاويت) احدى محظيات منتوحتب ، من ملوك الأسرة الحادية عشرة ، نرى فيه « كاويت » جالسة وفى يدها قدح شراب بينما تشتغل احدى الوصيفات فى ترجيل شعرها وتصفيفه ، تعقصه وتحبكه ثم تشبكه بدبابيس شعر لعلها من الذهب الخالص ، بينا نرى (كاويت) ممسكة فى يدها الاخرى بمرآة من المعدن المصقول كانت لا شك تستخدمها لترقب أصابع جاريتها وهى تنساب وتتلوى بين غدائر شعرها الغنى الغزير .

ولعل أول ما يلفت نظر المطلع على الصور المصرية القديمة أو المشاهد للتماثيل المصرية، مبلغ تعلق قدماء المصريين باظهار آثار الكحل فى عيونهم . فهم كامتنا الآن ـ والشعوب الشرقية على وجه العموم ـ كانوا يعتقدون ان الكحل يوسع فى عيونهم ويجلوها ويساعد على اظهار ما فيها من فتنة وحيوية . وهذه العادة ظهرت منذ أقدم العصور . وكان أحسن أنواع الكحل يدعى عندهم (مسدمت) وكانوا يضعونه فى أوان (مكاحل)ذات أشكال لطيفة أما الدهون والطيوب والزيوت الثمينة فقد كانت عنصرا هاما لازما فى الحياة اليومية

فى مصر القديمة يعادل فى أهميته الطعام الذى يقتاتون به . ففى أحد النصوص يشكو العمال من انهم لا يجدون لقمة عيش يبلغون بها ، ولا طيوبا يتجملون بها . على أن هناك أنواعا من الطيوب كان يستجلبها أثرياء القوم من البلاد الاجنبية (وخاصة من الشواطىء الجنوبية للبحر الاحمر) وكانت تباع فى مصر باثمان مرتفعة واهمها نوع يدعى (كمى) ورد ذكره كثيرا فى النقوش وكان يستعمل على الاخص فى الدولة الحديثة لتضميخ الشعر . ومن هنا نستطيع ان نفهم حب المصريين للعطور ولتكرار ذكرها فى أغانيهم عند ما نراهم يترنمون فى حفلاتهم الموسيقية فيقولون : « لو كنت جاريتها السوداء التى تتبع خطواتها لاستطعت ان اتبين حقيقة لون بشرتها ، ولو كنت اعمل فى دارها ماشطا ولو شهرا واحدا لاستطعت ان اغسل الدهان الذى تخضب به عصابة رأسها » أو حين يقولون : « اذا هممت بعناق حبيبتى وانفتحت ذراعاها لمقدمى فعندئذ أحس كأن طيوب بلاد بونت (بلاد الصومال الحالية جنوب البحر الاحمر) تنسكب على ويتضمخ بها بدنى »

وكانت الزيوت والعطور فى مصر القديمة رمزا على البهجة والسرور . ففى المهرجانات التى كانت تقام عند مرور الموكب الملكى كان يصب الناس « زيتا عطريا على رؤوسهم وعلى عصابات رأسهم » كما أنه قلما كانت تخلو حفلة من حفلاتهم من الجرار الملأى بالطيوب والزيوت العطرية يغمسون فيها قطعا من القماش ويمسحون بها فى رفق شعرهم وجلدهم ثم يدلكون بشرتهم وأجسامهم . وكان الملك اذا أراد أن يكرم شخصا فى احدى هذه الحفلات أمر رجال بلاطه بتضميخ بدنه بالطيوب وان يلبسوه ثيابا جميلة ويعطوه حليا فاخرة

ولم يقتصر المصريون القدماء على تدليك بشرتهم بالدهون ، بل انهم كانوا يجهزون الطيوب بشكل خاص ثم يضعونها على النار وعندئذ تصير « رائحة المنزل والملابس زكية مستحبة » كما تقول النصوص المصرية ، كما انهم كانوا يخلطون على هذه الطيوب والعطور عسلا ويشكلون هذا الخليط حبوبا تمضغها « النساء فتجعل أنفاس أفواههن طيبة الرائحة » كما ورد فى نص مصرى قديم

أما غرام المصريين القدماء بالحلى فيدل عليه ذلك العدد الوفير الذى عثرنا عليه منها فى مقابرهم . ولعل أظهر أمثلة لها تلك المجموعة البديعة التى اتحفتنا بها مقبرة توت عنخ أمون . وهى تتكون من قلائد وعقود وتمائم وأساور وخواتم وأقراط وغيرها . وكانت الاقراط تعلق فى الاذن بواسطة أزواج من أنابيب صغيرة من الذهب ، تدخل الواحدة منها فى الاخرى . وعند أطراف هذه الانابيب أقراص يختلف بعضها عن بعض فى الحجم وجمال الزخرف ، وهى تزين باشكال الحيات المقدسة أو رؤوس الطيور التى



مجموعة من المكاحل تحتوى احداها على خمسة عيون يوضع فى كل عين منها مسحوق يختلف فى نوعه أو لونه عن الآخر . أما المكحلة الوسطى فقد زينت بشكل الاله (بس) اله المرح والسرور مثل وكأنه يمسك بالمكحلة . أما اليسرى فهى على شكل عود والى جانبها مرودها

الى اليسار : اناء على شكل ملعقة لحفظ الطيوب وعلى المقبض غادة تمسك باقة من الزهور

تصنع من الذهب أو العقيق أو الزجاج . ويتدلى من بعض الاقراط عدة سلاسل على شكل حيات أو فروع صغيرة من الخرز

أما حلى الصدر فهى تصنع فى المعتاد من الذهب أيضا وتطعم بالزجاج والاحجار وتصاغ فى أشكال جميلة جذابة تحليها الآلهة والرموز المقدسة . وفى واحدة منها وجدت بمقبرة توت عنخ أمون نجد الحلية تتكون من سفينة من الذهب تحمل قرص الشمس من الفضة وهى عائمة فى بركة برزت فوق سطحها سيقان اللوتس من الذهب المطعم باللازورد وحجر الفلسبار الاخضر . أما السلسلة فتتألف من أربعة صفوف متوازية ، من خرز طويل وآخر مستدير من الذهب والاحجار نصف الكريمة والراتنج . والثقل يمثل باقة من اللوتس تنتهى بخرز منظوم فى فروع صغيرة . وفى حلية أخرى صنعت من

الذهب المطعم بالاحجار تصف الكريمة تجد جعلا كبيرا من اللازورد فى سفينة ويحيط بهذا الجعل ثعبانان . أما السلسلة فمزينة بألواح صغيرة وجعلان أخرى ومحلاة برموز مختلفة وتنتهى بعقابين ناشرين اجنحتهما وحاملين ثقلا عليه ثعبانان

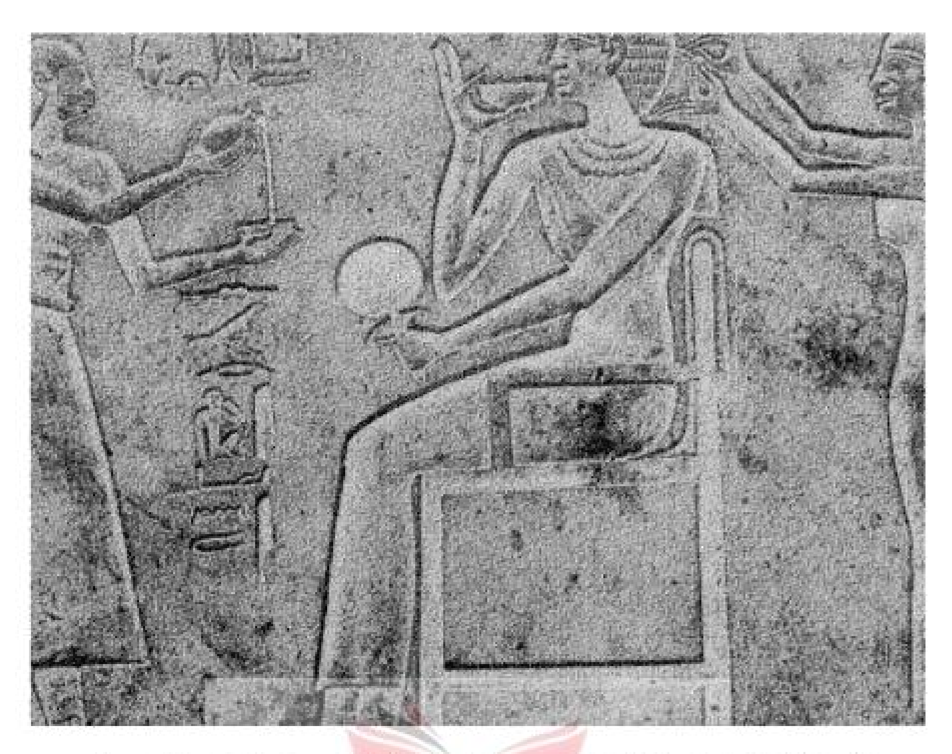
أما الاساور فكانت تصنع فى المعتاد من الذهب وتطعم بالاحجار وتحلى بجعلان كبيرة من اللازورد أو بصقور جاثمة أو بعيون رمزية من العقيق أو غيره من الاحجار. وبعضها كان من النوع القابل للالتواء وهو يتكون من خرز من الالكتروم واللازورد والعقيق والزجاج ويوجد على قفله (مشبكه) فى المعتاد جعل كبير من اللازورد أو الامنست أو غيرهما من الاحجار

أما الخواتم فكانت تصنع من الذهب فى المعتاد ، وتتخذ فصوصها اشكالا أنيقة فبعضها صنع فصه على شكل جعل من العقيق الابيض أو الفيروز أو سفينة الشمس ، وبعضها من النوع المزدوج أو الثلاثى ، فصوصه مرصعة بالزجاج أو اللازورد أو حجر اليشب. وبعض الخواتم يصنع على شكل الثعبان وبعضها يكون مركبا من صلين (ثعبانين) متجاورين من الذهب المرصع بعجينة الزجاج . وكان المصريون القدماء يكثرون من لبس الخواتم، فعلى بعض أصابع السيدات نجد خاتمين أو ثلاثة فى أصبع واحدة . وفى أمثلة أخرى نجد جميع أصابع اليدين وقد تحلت بالخواتم النفيسة . على أن اليد اليسرى كانت تفضل فى المعتاد لوضع الخواتم فيها وبخاصة الاصبع الثالثة منها الذى كانوا يختصونها بعدد أكبر من الخواتم

أما أدوات الزينة التى عثر عليها فى مقابر المصريين القدماء وتملىء بها متاحفنا الحديثة فأهمها ، قنانى وأحقاق وأوان للعطور والطيوب والزيوت الثمينة ، ومكاحل مع مراودها ومرايا من المعدن مع العلب التى كانت تحفظ فيها ، ودبابيس الشعر والامشاط ، وملاعق مساحيق الزينة وغيرها

والامشاط المصرية كانت تصنع فى المعتاد من الخشب وذات حدين أحدهما أسنانه كبيرة والآخر صغيرة ، وهى تشبه على العموم فى شكلها أمشاطنا البلدية الحالية . أما الجزء الاوسط منها الذى يقع بين الحدين فينقش فى المعتاد بنقش محفور أو يطعم . على أن بعضها الذى كان يصنع من حد واحد كان يزخرف بأشكال الحيوانات

أما المكاحل فقد كانت تصنع فى المعتاد من الحجر أو الخشب أو العظم أو العاج ، أو الفخار . وبعضها كان يحتوى على عينين أو أربع أو خمس عيون يوضع فى كل عين منها مسحوق يختلف فى لونه أو نوعه عن الآخرين . وبعض المكاحل بسيط الشكل لايعدو أن يكون علبة صغيرة أو أنبوبة بسيطة أو اناء صغيرا ، والبعض الآخر كان يزين بأشكال حيوان الاله بس (اله المرح والسرور والموسيقى) يمثل وكأنه يمسك بالمكحلة

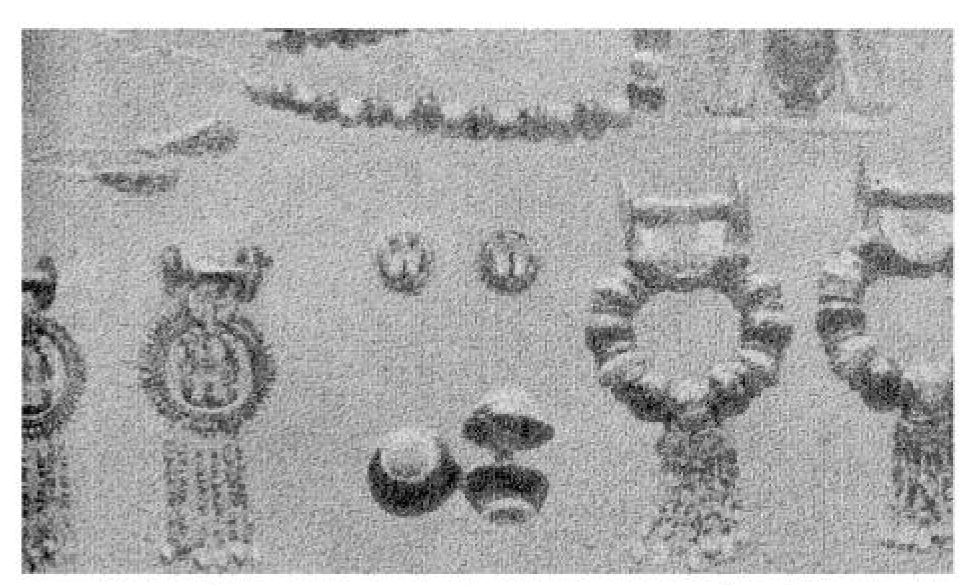


السيدة (كاويت) إحدى محظيات منتوحتب ، من ملوك الأسرة الحادية عشرة جالسة وفى يدها قدح شراب وفى اليد الأخرى مرآة من المعدن المصقول كانت لا شك تستخدمها لترقب أصابع وصيفتها وهى تنساب وتتلوى بين غدائر شعرها الغزير ، تعقصه وتحبكه ثم تشبكه بدبابيس شعر أنيقة

أما الدبابيس فهى فى المعتاد طويلة ولها رؤوس من الذهب وتستعمل فى شبك الشعر عند عقصه وحبكه

ويظهر أن عادة تخضيب الأصابع واليدين بالحناء عادة قديمة جدا فى مصر والشرق القديم على وجه عام

ويجدر بنا ألا ننسى أداة هامة من أدوات الزينة هى المرآة . وكانت تصنع فى مصر القديمة من المعدن الذى يكون عادة النحاس أو البرونز أو الذهب أو الفضة ، ويصقل صقلا تاما بحيث يصبح شديد اللمعان . وتوضع المرآة التى تكون عادة شبه مستديرة فى يد أو مقبض من الخشب أو العاج أو المعدن أو الحجر . ويد المرآة تتخذ أشكالا طريفة ، فمنها ما يكون على شكل ساق النبات (أواز) الذى يدل على الشباب والفتوة والنضارة . ومنها ما يكون على شكل امرأة أو زهرة أو عمود أو ساق تعلوه رأس هاتور الهة الحب والجمال والفرح أو رأس (بس) اله السرور والمرح . وكانت تحفظ المرايا فى علب أنيقة تتخذ أشكالا مختلفة بعضها على شكل (عنخ) رمز الحياة وبعضها



مجموعة من الحلى والأقراط يختلف بعضها عن بعض فى الحجم وجمال الزخرف ، ونرى فى أسفل الصورة الى اليسار قرط من الذهب والعقيق والزجاج يتدلى من قفله لوح مستدير من الذهب يحيط به حلية مكونة من أقراص صغيرة ونرى الملك فى الوسط واقفاً بين صلين ، ويتدلى من القرط ستة فروع صغيرة من الخرز

على شكل رمز ملايين السنين . وهذان الشكلان وجدا بمقبرة توت عنخ أمون وهما من الخشب المكسو بأوراق من الذهب . وكان الكثير منها ينقش برسوم الزهور والطيور أو برسم فتاة تحمل باقة زهور كالمثال الذى عثر عليه فى مقبرة الملكة (حنت توى)

أما القفازات فلدينا منها أمثلة رائعة وجدت فى مقبرة توت عنخ أمون صنعت من أقمشة مزخرفة وملونة وتنتهى بأشرطة تربطها من أطرافها (بدل الأزرار الحديثة)

وليس ثمة شعب كالمصريين القدماء أغرم باستعمال الزهور فى كل مناسبة يزين بها النساء ثيابهن المتألقة وأرديتهن الجميلة ويضعنها فى شعورهن ويقدمنها لازواجهن . وكان الضيوف يعطون عادة زهرة من اللوتس واكليلا يوضع حول الرأس أو قلادة حول العنق ، بل ان باقات الزهور والقلائد المصنوعة منها كانت تزين بها القواعد التى توضع فوقها الاوانى فى غرف المنادمة وكان يلبس الخدم تيجانا من الزهر عند حمل الخمر الى الجلساء ، بل كانت آنية الخمر تكلل أيضا بالزهور

فكل ما أوردناه من صور ونصوص وأسانيد قاطعة فى الدلالة على غرام المصريين القدماء بالتجمل وحبهم للزينة والتأنق ، ليس فى ملابسهم فحسب ، وانما فى طرائق معيشتهم وكل ما تقع عليه أنظارهم

محرم كمال



قفاز توت عنخ آمون من القماش المزخرف

صندوق مرآة بديع لصنع من الخشب و
نقش عليه رسم طيور وزهور وفتاة
باقة من الزهور وتحلي شعرها بزهر اللو

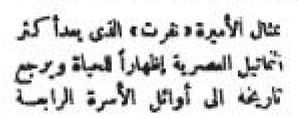
مرآة من المعدن مقبض على شكل الما
(أواز) ومعناها النضارة و الشباب والفتو
أما الوجه ذو الآذان الكبيرة فهو يمثل و
الالهة حتحور (هاتور) إلهة الحب والج





إناء اسطواني للعطر ، من المرمر ، سطحه مزخرف بمناظر تمثل آساداً تهاجم ثيراناً ، وكلاباً تطارد ظباء وغزلاناً ، والغطاء يعلوه أسد رابض





تمثال الأميرة « نفرت » الذي يعد أكثر التماثيل المصرية إظهاراً للحياة ويرجع تاريخه الى أوائل الأسرة الرابعة

العلم والعالم

الوراثة والبيئة

يزعم دعاة «العنصرية» ان هناك فروقا جسمانية كبيرة بين الطوائف المتباينة من الناس بحيث يتجلى أثرها في سلوكهم وذكائهم وطرق تفكيرهم . ولكن ابحاث الدكتور فرانز بواس وهو من كبار علماء الانثروبولوجيا دلت على ان هذا المذهب خاطئ لا أساس له من الصحة ، وان السلوك الاجتماعي مرده في المقام الاول الى الاختبار وان رجالا من طراز بيولوجي واحد يسلكون سلوكا مختلفا في موقف واحد اذا نشأوا في بيئات مختلفة أي اذا كان اختبار أحدهم مختلفا عن اختبار الآخر ، كما ان رجالا من أطرزة بيولوجية مختلفة يتصرفون تصرفا واحدا بوجه عام اذا نشأوا في بيئة اجتماعية واحدة

إطالة العمر

قام كثيرون من العلماء بمحاولات عديدة لاطالة العمر وتجديد الشباب ، وقد كانت جل تجاربهم مبنية على تجديد الغدد الجنسية ، فأسفرت عن تحسن كبير في الصحة العامة وعن نشاط في الوظائف الجنسية . ولكن تأثيرها كان عابرا مؤقتا . وقد دلت البحوث الحديثة على ان مثل هذه المحاولات لن تؤدي الى اطالة أمد الحياة

ولكن أحد أساتذة جامعة كولومبيا أثبت انه من الممكن اطالة العمر بنسبة عشرة في المائة عن متوسط العمر المألوف عن طريق الاكثار من الاطعمة الغنية بفيتامين A والريبوفلافين والكلسيوم والفواكه والخضر واللبن . هذا الى جانب ملاحظة الاستقرار الانفعالي وعدم التعرض للاضطراب العاطفي ، فان الانفعال الشديد يطلق في الدم مواد كيمائية قوية الفعل يزداد بها خفقان القلب وانقباض عضلات الشرايين وارتفاع ضغط الدم ، وازدياد ما ينفقه الجسم من طاقة الحياة بوجه عام مما يؤدي الى قصر العمر

آدم وحواء

عني أحد معاهد الابحاث الامريكية بدراسة الفروق بين الرجل والمرأة فكتب رجاله تقريرا بنتيجة أبحاثهم نجتزئ منه ما يلي :

- دماء الرجل تحوي عادة نسبة أقل من الماء وكمية أكبر من كريات الدم الحمراء وضربات قلبه أبطأ ، ورغم أن معدته اصغر حجما من معدة المرأة وعملية الهضم عنده أبطأ الا انه يأكل عادة أكثر منها . والمرأة تفوق الرجل في حاسة اللمس وحاسة الذوق وحاسة البصر . وقد دلت الاحصاءات على أن عدد الغبي والصم بين الرجال أكثر منه بين النساء وان كان الرجل يسمع في الغالب على مدى أكبر

وبينما يزهو الرجل بوجود عدد كبير من العباقرة بين الجنس الخشن ، الا أن عدد ضعاف العقول الذين يترددون على مستشفيات الامراض العقلية من الرجال يربو على عدد النساء . وقد دلت البحوث على أن المرأة اكثر استجابة للتنويم المغناطيسي وان ذاكرتها أقوى من ذاكرة الرجل ، ولعل ذلك هو السر في أن متوسط درجات الطالبات في الامتحانات يفوق عادة متوسط الدرجات عند الطلبة ، كما أن الفتاة أسرع من الفتى في تعلم القراءة والكتابة . والمرأة اكثر كياسة ولباقة في حديثها وسلوكها كما انها اكثر شغفا بالزينة والتأنق

المستقبل للزراعة

كان لكثرة المخترعات في العصر الحاضر واعتماد الانسان على الآلة في كثير من مرافق الحياة ان ازداد استهلاك المرء للمواد المعدنية التي لا تتجدد كالنفط والفحم والحديد والرصاص وغيرها من ضرورات الحضارة الحديثة التي تجمعت في باطن الارض خلال الملايين من السنين بتأثير الفعل الجيولوجي . وواضح انه لا بد ان يأتي وقت تستنفد فيه هذه المواد ان عاجلا أو آجلا . وقد قدر العلماء ان مقادير النفط الموجودة في شتى بلدان العالم لا يمكن ان تكفي أكثر من ٧٥ سنة على معدل ما يستخرج منه الآن . وقد شغلت هذه الحقيقة أفكار كثيرين من أساطين العلم ، فراحوا يفكرون في ضرورة الاستعاضة عن هذه المواد . وقد نجحوا فعلا في صنع كثير من أعواض النفط والمطاط والمعادن من المواد النباتية . ولذلك فان كثيرين منهم يرون أن الصناعة في المستقبل ستعتمد اعتمادا كبيرا على منتجات الحقول

السيارة الطائرة

جاء في خطاب لكبير مهندسي مصانع لانكشير : فكر كثيرون فيما مضى في انشاء نفق يصل انجلترا بفرنسا عبر المانش ، وكثيرا ما وجدت هذه الفكرة من يحبذها ويناصرها . أما اليوم فقد فقد هذا الاقتراح قيمته وأهميته ، فقد توصلنا الى اختراع سيارة طائرة أتخيلها سائرة على الطرق البرية فاذا ما وصلت للشاطىء أمكنها بحركة بسيطة ان تطير في الهواء فتصل الى فرنسا في لحظات قصيرة لتستأنف سفرها على الارض مرة أخرى الى الجهة التي تقصدها . وقد قال اللورد توفيلد مبتكر هذه السيارة : ليست السيارات الطائرة من السخافات أو الاوهام كما يبدو ذلك لاول وهلة . واني واثق أن مصانعنا ستبدأ في اخراج هذا الاختراع الى حيز الوجود في غضون العشر سنوات القادمة

الأرق

جاء في محاضرة ألقاها الدكتور ميتشيل ميللر في احدى النقابات الطبية ، أن تناول الطعام بدون ملح قد أفاد في معظم الحالات التي يشكو اصحابها من الارق وقد قال ان الارق ليس شائعا أو خطيرا بالصورة التي يظنها ضحاياه اذ كثيرا ما يغالي المريض في وصف حالته ، كما أكد ان الارق لا يسبب اضطرابا عقليا ولو ان بعض المصابين بالامراض العقلية مصابون بالارق أيضا

البندقية بيات

اختراع بريطاني جديد يتميز بقدرته على اختراق الدبابات ووقفها على مدى ١١٥ ياردة منها ، كما تستطيع قذيفة هذه البندقية اختراق القواعد والاستحكامات المصنوعة من الاسمنت المسلح . وتبلغ زنة هذا السلاح ٣٣ رطلا انجليزيا فهو أخف من البندقية المتوسطة المضادة للدبابات التي كانت تزود بها قبلا القوات البريطانية . وتطلق هذه البندقية قنبلة زنتها رطلان وثلاثة أرباع الرطل

وتتكون من انبوبة خفيفة من الصلب ، بداخلها « زنبرك » متين يحدث ضغطا يزيد على مايتي رطل انجليزي . فاذا اطلق الزنبرك من عقاله دفع ابرة من الفولاذ فتدخل في مؤخرة القنبلة فتشعل خرطوشة تؤدي الى انفجار يدفع القنبلة الى الامام نحو الهدف ، ويرتد « الزنبرك » للخلف الى مكانه تأهبا لقذف القنبلة التالية ، دون ان يتأثر الضارب بأية صدمة

وكلمة « بيات » مشتقة من الحروف الانجليزية P.I.A.T. وتعني قاذفة المشاة المضادة للدبابات

حمار الماء

الاسم الذى اطلقه الالمان على آلة استحدثوها أخيرا، وهى غواصة صغيرة مجهزة تجهيزا خاصا لقطر الغواصات الكبيرة بواسطة سلك يزيد طوله على الميل . وهذه الغواصة مزودة بأجهزة صوتية وصمامات خاصة لارسال فقاقيع من الزيت الى سطح الماء ، وما الى ذلك من الاجهزة التى تحمل العدو على الظن بأن هناك غواصة تغرق ، فى الوقت الذى تكون فيه الغواصة المقطورة قد استعدت لمباشرة هجومها بدون ادارة محركاتها حتى لا يهتدى اليها العدو بواسطة أجهزة تتبع الصوت

دارعة الهواء

طائرة امريكية جديدة فى مقدمتها ستة رشاشات آلية يطلقها مدفعى واحد وفيها برجان أحدهما أعلى جسم الطائرة والآخر أسفله ، فى كل اربعة رشاشات ومدفعى واحد . ثم برجان فى مؤخرة جسم الطائرة ، فى كل خمسة رشاشات اثنان منها كرشاشات احتياطية . وفى طرف ذيل الطائرة اربعة رشاشات يديرها مدفعى واحد هذا فضلا عن رشاشين آخرين يستطيع اطلاقهما عامل اللاسلكى

. والدارعة الجوية أعدت لتتقدم القلاع الطائرة ولتشق لها الطريق وتحميها حتى تصل الى أهدافها

المدفعية الطائرة

أمكن أخيرا صنع طائرات اطلق عليها اسم « ميتشل ب ٢٥ » مسلحة بمدافع عيار ٧٥ مليمترا . وقد كان أكبر مدفع حملته طائرة هو المدفع عيار ٤٠ ملليمترا الذى تحمله الطائرات الانجليزية « الهريكين » مدمرة الدبابات . ويبلغ طول المدفع تسع أقدام وست بوصات ويوضع عادة فى الجانب السفلى لمقدمة الطائرة ويقوم قائد الطائرة بنفسه بتوجيهه واطلاقه ، كما يتولى ادارة الرشاشين عيار نصف بوصة اللذين فى مقدمة الطائرة وعلاوة على ذلك يسيطر على رشاشين آخرين يطلقان بضغط الكهرباء

وقد استخدمت هذه الطائرات بمدافعها الجديدة أخيرا فى الباسفيك فتالت نوزاكيرا ازاء المدمرات اليابانية

المنتجات الصوفية

كانت استراليا ونيوزيلاندا وجنوب أفريقيا تنتج قبل الحرب الحالية نحو خمس الانتاج العالمى من الصوف ، كما كانت تساهم بأكثر من ثلاثة اخماس الصادرات العالمية منه . ولكن ظروف الحرب حدت من تصدير الصوف كما أفضت الى تضاؤل كميات المصنوعات الصوفية المعدة للاستهلاك المدنى بسبب نقص الآلات وقلة الايدى العاملة، مما أدى الى تراكم كميات كبيرة منه . وتدل الاحصاءات الرسمية على ان الفائض المخزون من الصوف الخام فى مناطق الانتاج سوف يزيد على ٣٥١٠ مليون رطل فى منتصف هذا العام

وقد استغرق تصريف فائض من الصوف لا يزيد على ٨٠٠ مليون رطل عقب الحرب الكبرى الماضية نحو ثلاث سنوات ونصف سنة . لذلك يتوقع الخبراء ان تكون مسألة الصوف عقب هذه الحرب أكثر تعقيدا ولاسيما لان الخيوط والالياف الصناعية قد اصبحت اليوم عنصرا هاما بين عناصر الغزل والنسيج وأضحت منافسا خطيرا للصوف

تقاوى البطاطس

تجرى الآن بحدائق كيو بالقرب من مدينة لندن تجارب لاستنباط طريقة يتيسر معها تقليل حجم ووزن تقاوى البطاطس المصدرة من بريطانيا للاقتصاد فى الامكنة التى تشغلها هذه التقاوى فى البواخر ووسائل النقل

وقد اجريت تجارب مبدئيـة للانتفاع بالجزء من « حبة » البطاطس الذى كان متصلا بساق النبات عن طريق تجفيفه واستعماله بدلا من التقاوى العادية . وقد نجحت التجارب الاولية الى حد ولكن الامر لا يزال فى حاجة الى كثير من الدراسة والبحث والاستقصاء

أغذية جديدة

أجريت منذ سنوات عدة تجارب للافادة من الفضلات الزراعية ، عن طريق تحليلها الى موادها الاولية ثم اعادة تركيبها تبعـا لحاجة الانسان الغذائية والصناعية . وقد كللت هذه التجارب بالنجاح ابان الحرب . فتمكن المستر عزرا ليفين أحد علماء هندسة الكيمياء الحيوية من الحصول على أغذية لذيذة الطعم غنية بالفيتامين والمواد المعدنية من « نخالة » القمح التى كانت تلقى قبلا كغذاء للماشية . وتستعمل بعض هذه المنتجات الآن فى ميادين القتال . وقد قدر الخبراء ان ما يمكن تحضيره من بقايا القمح التى يلقيهـا فلاحو امريكا وحدها يكفى لسبعة ملايين طفل سنة كاملة

التلقيح الصناعى للماشية

نجحت تجربة التلقيح للماشية فى فلسطين ، وأمكن استخدام نطفة واحدة من حيوان واحد فى تلقيح مئات من الاناث الموزعة فى البلدان المختلفة والتى بلغ عدد البقر الحلوب بها فى سنة ١٩٤١ نحو ١٢٫٠٠٠ من الهجن العالية الادرار

وقد أمكن حفظ المادة وبقاؤها صالحة للتلقيح فى فترة النقـل الداخلى بل والنقل الخـارجى بالطائرات اذا تطلب الامر الحصول على لقاح من بلدان أجنبية . وتنتج عن هذا التدبير فوائد كثيرة منها الانتفاع على أوسع نطاق بالذكور الاصيلة ذات الصـفات الطيبة . كما أصبح من غـير الضرورى وجود عدد كبير من الذكور بدون مبرر وبذلك أمكن توفير كميات كبيرة من العلف والغذاء

وتشير بعض المراجع العلمية الى أهمية التلقيح الصناعى للحيوانات ومدى تقدمه والافادة منه . وقد استطاعوا فى روسيا تلقيح ٥٠٠٠ بقرة من نطفة واحدة من ثور واحد

ادارة وقائية

يقول الاستاذ كانون العالم الامريكى : ان فى جسم الانسان « ادارة وقائية » تعمل للمحافظة عليه ازاء العوامل المعاكسـة الطارئة . وأهم أركان هذه الادارة الفسيولوجية الغدة الادرينالية وخاصة قسمها البـاطن الذى يفرز فى الدورة الدموية مادة قوية فعالة هى « الادرنالين » وهذه المادة يزداد افرازها بكثرة فى حالات الطوارىء وتلعب دورا هاما فى تمكين الجسم من مواجهة بعض المواقف الطبيعية الخطيرة

فيتامين « ج »

مصر من الاقطار التى تكثر فيها الخضروات والفواكه صيفا وشتاء وثمنها فى العادة يجعلها فى متناول كل الطبقات بكميات وفيرة . ولذلك فانه من النادر ان يتعرض المصريون لنقص هذا الفيتامين فى الاوقات العادية ولقد عززت ابحاث الدكتور الفلمى بقسم الكيمياء الحيوية هذا الرأى

ولكن بحثا مماثلا أجرى أخيرا عـلى المرضى المترددين على مدرسة طب الاسنان ، فظهر منه ان كمية هذا الفيتامين فى دم العدد الكثير من هؤلاء المرضى أقل مما يجب ان يكون . وقد ظهر أيضا ان كثيرا من الامراض الجلدية التى يشكو منها المصريون فى الوقت الحاضر ترجع الى نقص الفيتامينات فى أغذيتهم بسبب الغلاء الذى جعل الحصول على كميات مناسبة من الخضر والفواكه الطازجة أمرا عسيرا ليس فقط على الطبقات الفقيرة بل وعلى الكثيرين من الطبقات المتوسطة ايضا

الحركة الفكرية

مفتاح الشرق : تركيا

يؤثر عن نابليون انه قال : ان من يسيطر على الدردنيل يسيطر على أوربا بأسرها

وهذا حق ، فربما استطاع الالمان ان يسيطروا على أوربا جميعا ، بل على الدنيا القديمة بقاراتها الثلاث ، لو انهم استطاعوا ان يقتحموا المضايق ويبسطوا عليها سيادتهم . وربما كان فى وسع الاتراك ، حماة الدردنيل ، ان يعجلوا بانتصار الامم المتحدة لو انهم فتحوا لهم هذا الباب الخلفى ليقتحموا منه قلعة هتلر حين كان يبدو انها مسورة محصنة من الغرب ومن الجنوب

فدراسة تركيا : جغرافيتها وسياستها ، من أهم موضوعات الحرب الحالية وكل حرب أوربية فى الماضى أو فى المستقبل . والكتاب الذى نعرضه ، وهو من تأليف الباحث الامريكى تشستر توبين ، يوضح لنا هذا الموضوع توضيحا مستقلا نزيها ، لا يتحيز الى اى جانب من الجوانب

وينصف المؤلف تركيا فيقول ان ما تلقته من معونة الحلفاء لم يكن كافيا لتزويد جيش قوى يصمد للعدوان الالمانى ، ولو فعلوا لكان من الارجح ان تقف روسيا معهم كتفا لكتف فى ميدان القتال . ويرى أن بريطانيا يجب ان تحرص على محالفة تركيا ، فهى الدرع الذى يقى امبراطوريتها فى الشرق من خطر اطماع الدولة الاوربية القوية ، سواء كانت هذه الدولة ألمانيا أو روسيا

ومن الآراء القيمة التى تضمنها الكتاب أن سياسة تركيا تؤثر دائما فى سياسة الشرق الاوسط جميعه . والتاريخ القديم والتاريخ الحديث شاهدان على ذلك . فالقسطنطينية فى عصر الرومان، وفى عصر العثمانيين كانتصاحبة الكلمة فى هذه البقعة الفسيحة الخطيرة من العالم والنهضة الكمالية الحديثة جعلت أنقرة مرمى أنظار الشعوب الناهضة فى أرجاء الشرق الاوسط فاذا أضيف الى ذلك سيطرة تركيا على جزء مهم من موارد البترول ، ووقوعها فى طريق التجارة بين أوربا وآسيا وما يلى آسيا من الآفاق ، أمكن ان تقدر أهمية تركيا فى ميدان السياسة الدولية والتجارة العالمية المتصارعة فى هذا القتال

فهو يبين لماذا أدخلت امريكا تركيا فى نطاق قانون الاعارة والتأجير فأمدتها بكميات كبيرة من العتاد والذخيرة والآلات . ويبين لماذا قدرت ألمانيا أهمية تركيا ، فأوفدت اليها أحد دهاتها الدبلوماسيين وهو فون بابن . ثم يبين لماذا سلكت تركيا مسلكها السياسى المعروف . لماذا سمت نفسها «حليف الدول المتحالفة غير المحاربة» أى الحليف الذى يبذل للدول المتحالفة كل عون ميسور لها دون أن ينزل ساحة الحرب ذاتها

وفى رأى الكاتب ان تفسير هذه السياسة يرجع الى غموض السياسة الروسية تجاه تركيا ومشروعاتها القادمة بصدد المضايق . ويرى ان فون بابن نجح فى ايهام الساسة الاتراك بأن روسيا تطمع فى السيطرة على المضايق والنفوذ منها الى البحر الابيض . فأدى هذا الخوف من روسيا الى وقوف تركيا موقف الحياد ، انتظارا لما تتجلى عنه وقائع الحرب وأحداث السياسة

مكافحة البطالة

كان من جراء امتداد فترة الحرب الحاضرة واستيعابها لنشاط مختلف الطبقات الاجتماعية ان اجتذبت جمعاً غفيرا من الرجال والنساء من الحقول والمصانع والمدارس والجامعات وغيرها ، لتعمل في ادارة دولاب الحرب ، سواء في ميادين القتال أو مصانع الذخيرة . كما كان من جراء ذلك حدوث اضطراب في توازن الانتاج بصدد أعمال السلم وتوقف الكثير منها في سبيل موالاة انتاج الحرب

غير ان المشكلة الكبرى هي كيفية توفير العمل لهؤلاء العمال والجنود رجالا ونساء بعد ان تضع الحرب أوزارها ويبدأ عهد السلم . وقد تألفت أخيرا في كل من بريطانيا وامريكا لجان من علماء الاقتصاد والاجتماع ، فضلا عن أرباب المال والاعمال وزعماء نقابات العمال لدراسة هذه المشكلة . ومن أبرز الموضوعات التي تعنى باستنباط الوسائل لتحقيقها ما يلي :

■ وجوب الانتفاع بجميع المواد البشرية والمادية والموارد الفردية والمشروعات الاقتصادية والمخترعات العلمية الى أقصى حدود الانتفاع حتى يتوطد المركز الاقتصادي في جميع البلاد ويرتفع مستوى المعيشة فيها

■ العمل على ألا يبقى فرد من القادرين على العمل والراغبين فيه من الرجال والنساء عاطلا مدة أطول مما تقتضي نقله من صناعة الى أخرى أو تعليمه صناعة جديدة

■ وجوب توافر الغذاء والملبس والمسكن والدواء الكافي لحاجات جميع الطبقات في كل دولة من الدول

■ اشتراك المجموع في تحمل أعباء الفرد اذا طرد من عمله أو اذا أصبح عاجزا عن مواصلته

■ وجوب احترام حرية الفرد في اختيار العمل الذي يريده وترقيته تبعا لمؤهلاته ومواهبه

■ وجوب ازالة جميع العوائق التي تقف في وجه التجارة حتى يتيسر لكل دولة الحصول على المواد الاولية والبضائع المصنوعة

■ توافر وسائل الانتاج الحديثة لجميع الشعوب باتخاذ تدابير دولية تتصل بمسائل التعمير والانشاء ومحاولة ازالة جميع الحواجز التجارية

ويقول المستر ستيوارت تشيز الاقتصادي الكبير بأنه ليس هناك ما يدعو الى القلق وبأنه في الامكان توفير العمل للجميع بعد الحرب . فان تهافت المستهلكين على البضائع بعد ان حرموا منها اثناء الحرب وحاجة العالم الى بناء الدور والمنازل التي تهدمت وكثرة الاقبال على الاطعمة والمؤن سوف تكون من العوامل الهامة في حل هذا الاشكال

التأمين الاجتماعي في انجلترا

أثارت الحرب الحاضرة موضوع التأمين الاجتماعي في معظم البلدان، وفتحت أعين الساسة وعلماء الاجتماع على مواطن الداء في مشاكل العمال العصرية . ولقد تقدم السير وليليام بيفردج بمشروعه المعروف باسمه الى الحكومة البريطانية فأحدث في البرلمان وفي الصحافة ضجة كبيرة . وعكف انصار السياسة المعتدلة على دراسته وتنقيح مواده حتى تستقيم للتطبيق العملي دون أن تسبب اختلالا في التوازن الاجتماعي بين كتلة العمل وكتلة رأس المال . ولقد أصدرت الحكومة البريطانية أخيرا مرسوما جامعا لتنظيم قواعد التأمين ضد البطالة والمرض والشيخوخة

ويحتاج تنفيذ هذا المرسوم الى ٦٥٠ مليون جنيه سنويا وهو يمنح كل شخص في بريطانيا حقوقا واسعة مقابل مبلغ زهيد يدفعه اسبوعيا وفيما يلي أهم ما نص عليه المرسوم :

تمنح عائلات العمال مرتبات اسبوعية قدرها خمسة شلنات عن كل طفل وبذلك يشترك الشعب بأكمله في تحمل عبء تربية الجيل الجديد

ويستمر دفع هذا المرتب الى ان يبلغ عمر الطفل ١٦ سنة

وتدفع اعانة للمتعطلين لمدة ثلاثين اسبوعا على الاقل بمعدل ٤٠ شلنا للرجل وزوجه و٢٤ شلنا للاعزب و١٥ شلنا لمن هم دون الثامنة عشرة

ويمنح المرضى اعانة معادلة لاعانة البطالة لمدة ثلاث سنوات وبعد ذلك تحل محلها اعانة خاصة تسمى اعانة المتقاعد بسبب المرض

وتدفع معاشات التقاعد ومقدارها ٣٥ شلنا للمتزوج و٢٠ شلنا للاعزب عند بلوغ سن الخامسة والستين بالنسبة للرجال وسن الستين بالنسبة للنساء . أما الاشخاص الذين يتكسبون بعد سن التقاعد فان معاشاتهم تخفض بنسبة خاصة

وتمنح هبة الامومة ومقدارها أربعة جنيهات لكل امرأة عند ما تضع طفلا ، وتعطى السيدات اللواتي يتكسبن اعانة قدرها ٣٦ شلنا اسبوعيا لمدة ثلاثة عشر اسبوعا اذا خلين من العمل

وثمة منحة تعطى عند الوفاة تتراوح بين ١٥ و٢٠ جنيها

التعليم بعد الحرب

برامج التعليم ونظم الدراسة بعد الحرب من المسائل التى تشغل بال المفكرين وقادة الرأى فى الوقت الحاضر . وقد بدت فى ميدان التربية اتجاهات جديدة خلقتها ظروف الحرب نلخصها فيما يلى :

■ لاحظ أولو الامر انه كان من اليسور اقتصاد ثلثى الزمن الذى يقضيه الجنود الآن فى ميادين الطيران ومصانع الذخيرة والآلات فى فترة التدريب ، لو أن الدراسات الرياضية والطبيعية فى المدارس الثانوية والعاليــة كانت وافية بالغرض المنشود . ولما كانت جميع البلدان حتى الديمقراطية منها تميل الى جعل التجنيد اجباريا فى المستقبل صونا للسلام الدولى من عبث الامم ذات النزعة العسكرية ، ولما كانت جميع الشعوب تزداد حياتها اتصــالا بالآلات والصناعة على مدى السنين ، لذلك كان لزاما على معاهد التعليم فى المستقبل ان تعنى بهــذه المواد عناية كبيرة

■ ولكن بعض رجال التربية يخشون أن تطغى العلوم الطبيعية والرياضية فى السنوات القادمة على غيرها من المواد فيصبح ابناء الجيل الجديد عمليين جامدين ، ويرون ان الآداب والفنون والفلسفة لا تقل فى أهميتها عن العلوم الرياضية

■ وثمة اتجاه متطرف يرمى الى العودة الى الدراسة « الكلاسيك » . فتهتم المعاهد الدراسية والجامعات بتدريس اللغات القديمة وآداب اللغات الحية والفلسفة . ويرى أنصار هذا الرأى ان كل كتاب وضع بعد سنة ١٨٠٠ لا نفع فيه من الناحية الثقافية ، وان تهــذيب النفس وصقل الوجدان لا يمكن بلوغه الا باستيعاب المؤلفات الانسانية القديمة من عهد الاغريق والرومان الى أواخر القرن السابع عشر . كما يعتقدون ان اخلاق الناشئة قد تدهورت فى هذا العصر لشدة عنايتها بالماديات والدراسات العملية على حساب غيرها من المواد الثقافية المهذبة للنفوس ، التى صقلت أذهان الاغريق ورجال العلم فى العصور الوسطى

■ وهناك اتجاه يكاد يكون مجمعا عليه فى جميع البلدان وخاصة فى امريكا وانجلترا ، وهذا الاتجاه خاص بتعليم الكبار . وفى ذلك يقول السـير ريتشارد لفنجستون فى كتـابه « مستقبل التربية » ان الحاجة فى تربية الكبار ليست الى تعليم من لم تمكنهم الفرص من الدراسة فى طفولتهم وانما الى من تلقوا علومهم فعلا . والحكمة فى هذا الاتجاه ان المتعلمين الذين يمكنون من مواصلة الدراسة وتتبع ما جد من الآراء أكثر نفعا لامتهم من أمى تعــلم مجرد القراءة والكتابة ولا يكاد يفهم شيئا مما يقرأ

الكتب الجديدة

فرانسيس باكون

للاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة المعارف فى ٢٠٢ صفحة

هذا الكتاب حلقة جديدة من سلسلة الكتب القيمة التى أصدرها الاستاذ النابغة عباس محمود العقاد فى السنين الاخيرتين عن عباقرة التاريخ . وقد عنى فى هذا الكتاب الذى تقدمه للقراء بدراسة فرانسيس باكون . وقسم بحثه قسمين : قسم « عن باكون » ويشمل النظر فى عصره ونشأته وأخلاقه ورسالته الفكرية ومكانته الادبية . وقسم « من باكون » ويشمل المختارات من كتبه التى يخلد بها بين رجال القلم ولا تنقضى قيمتها الفكرية أو الادبية بانقضاء فترة من فترات الثقافة الانسانية أو الثقافة الاوربية

ولا يقال ان فرانسيس باكون — شىء جديد — فى تاريخ الحركة الفكرية من قبيل الاعتراف بمكانه الملحوظ فى تلك الحركة وكفى . ولكنه — شىء جديد — من قبيل النوع الذى يضاف اليه بين ذوى المكانة الملحوظة فى حركات الفكر البشرى عامة

ففيه قبس من الفيلسوف لانه يبحث ويعلل ويعمم ويراجع مذاهب الفلاسفة ويصحح منها ما يراه موضعا للتصحيح . ولكنه لم يخلق للفلسفة كما خلق لها رجل مثل فيثاغورس فى الاقدمين أو رجل مثل كانت أو هيوم فى المحدثين

وفيه قبس من الشاعرية لانه يتخيل ويؤنق للمعانى الجميلة ويستخدم فنون المجاز . ولكنه لم يكن بين الشعراء فى طبقة ملتون أو بيرون

وفيه ملكة العالم ولكنه لم يكشف قانونا من قوانين العلم ، ولم يحاول فيه محاولات العلماء المطبوعين من أمثال باستور وفراداى

وهو مؤرخ أو كاتب فى التاريخ والسير ، ولكنه لا يدرك فى هذا الباب شأو جيبون أو بلوتارك

وهو فقيه من فقهاء زمانه المقدمين ، ولكنه هو نفسه لم يكن معتدا بمكانته من الفقه ولم يحفل بنشر قضاياه أو بحوثه القانونية فى حياته

وهو خطيب فصيح اللهجة حسن البيان ولكنه لو لم يصنع شيئا غير الخطابة لما بقى له ذكر بين رسل المعرفة والبيان

وهو أديب ولا سيما فى باب الكتابة النثرية ، ولكنه مع هذا أكبر من قدرته الادبية وأعظم ممن يضارعونه فى اصالة المعنى وبلاغة الاسلوب

فهو « شىء جديد » لانه يشترك فى جميع هذه الاشياء ولا يستوعب كله فى واحد منها ، ولا ينتظم مرة واحدة تحت عنوان واحد من هذه العناوين

لذلك قام المؤلف بدراسة هذه النواحى وتحليلها بما عرف عنه من دقة ابحاثه وغزارة علمه وقوة بيانه . فكان البحث شاملا أفرغ فى اسلوبه القوى المعروف وعبارته الانيقة

مع الزمان

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

مطبعة المعارف فى ١٩٠ صفحة

الاستاذ فريد أبو حديد عالم كبير وأديب موهوب له جولات قلمية طيبة ، وابحاث طريفة قيمة فى مسائلنا الوطنية والتاريخية والاجتماعية ، وهو يقدم الى القراء فى كتابه الجديد مجموعة من

القصص أوحتها اليه وقفات جياشة بالشجون يقضيها المام بالاطلال المجيدة التى لا تزال الى اليوم قائمة شامخة برأسها تتنفس عظمتها مع تقادم الزمن وعبث صروف الدهر بها ، ويقضيها تأمل فى أخبار القرون الغابرة التى تطوى فى سجلها أصداء متكررة من مسرات البشرية واحزانها ومن تساميها واسفافها

وقد عنى المؤلف بأن يجعل هذه القصص مسلسلة تسير « مع الزمان » . فقام برحلة روحية موفقة عبر الماضى فجاس خلال عصور الفراعنة ، ثم عرج على العروبة فلمح لمحة من جاهليتها الهوجاء ، ثم نفذ بعد ذلك الى الاسلام فى عنفوانه وسموه ، ثم فى اضطراب احزابه مع الاهواء وأخيرا فى نضاله مع أمم الغرب . وقد عاد من رحلته بمجموعة نادرة من القصص الممتع الطريف

يقول المؤلف فى تقدمة هذا الكتاب : لقد سارت البشرية فى سبيلها منذ ألوف الالوف من السنين وهى دائبة فى سيرها نحو ألوف أخرى من ألوف السنين للغاية المقدورة لها فى سجل الابد . ولن نستطيع نحن أحياء اليوم ان نتجه بها فى السبيل الجديرة بالحياة اذا نحن لم نعرف من أين ينبعث الينا مجراها

فالنظرة الى الوراء نحو القرون الخالية انما هى لفتة المتحفز الى الانطلاق نحو الامام

ونحن فى مصر والشرق فى أشد الحاجة الى تأمل حاضرنا على ضوء الماضى الطويل الذى عاشرته أممنا . لقد قام الشرق قرونا طويلة على اشاعة المدنية وبث روح السلام فى أقطار الارض ونشر ألوية العلوم والفنون فى مجاهل البشرية . فاذا كان اليوم يطلب المشاركة فى جهود العالم المتمدن فلا غنى له عن ان يتجه فى سبيله على هدى ماضيه الكريم

فالى قراء العربية أهدى هذه الطاقة المؤتلفة ، التى تحريت فى جمعها واحتفلت فى عرضها ، واحمد الله على انى من أشد الناس تهيبا للقارىء لا أحب ان اقحم عليه ما اظن انه يحمل اليه ظلا من العبث أو اللغو

موجز النقود والسياسة النقدية

لزكريا مهران باشا

مطبعة مصر فى ١٦٣ صفحة

مسألة النقود والتضخم النقدى من المسائل التى ابرزتها الحرب الحاضرة . ولا ريب فى أن هذه الحرب ستتمخض عن مستقبل مفعم بالمعضلات الاقتصادية ، وقد بدأت بوادر هذه المعضلات تبدو فى ذلك التضخم الذى عم جانبا كبيرا من بلاد العالم وفى تراكم الديون عند الدول المتحاربة . والكتاب الذى تقدمه للقراء فى جزأين تناول فيهما سعادة زكريا مهران باشا أصول النقد وقواعده فى نطاقه العام . فلم يقصره على المعنى الضيق الذى ينصب على العملة وحدها ، وانما جرى فيه على المعنى الاعم الذى يستفاد من كونه مالا سواء أكان مصدره الحكومة أو المؤسسات المالية . وقد تكلم فى الجزء الاول عن أصل النقود وكيف قامت ليستعيض بها الناس عن المبادلة عينا . ثم ذكر نقود الشعوب القديمة من فرس واغريق ورومان وعرب ، ثم عالج موضوع النقود فى العصور الوسطى وهى أساس التطور الاقتصادى والمدنيات الحديثة . ثم انتقل الى الكلام عن التقدم الذى أصابه العالم فى القرنين الماضيين ، ثم تحدث بعد ذلك عن النقود فى الحرب الماضية وفى الفترة التى أعقبتها

أما الجزء الثانى فانه يتناول نظريات النقود وتطبيقها العملى وكذلك تأثير البنوك على النقود وأسعار الصرف وما بين النقود من صلات فى المعاملات الدولية وعلاقة النقود بالاسعار فى الرخاء والغلاء وأثرها فى احداث الازمات

وسعادة المؤلف من خير من يكتب فى الشؤون

الاقتصادية ، فهو من كبار رجال المال وقد اشتهر بدقة ابحاثه وغزارة علمه . وقد استند فى بحثه على كثير من المصادر الحديثة والمراجع الموثوق بها . وقد وضع كتابه فى اسلوب سلس جذاب وطبعته مطبعة مصر طبعا متقنا رتيبا

مبادىء علم التشريح ووظائف الاعضاء وعلم تشريح جسم الانسان وتشريح الحوض للسيدة

للدكتور شفيق عبد الملك

ثلاثة مؤلفات طبية نفيسة تظهر دفعة واحدة باللغة العربية ، فكانت دليلا ساطعا على ان لغة الضاد تسع المصطلحات الطبية ، وان اللغة وان قصرت أخيرا فان ذلك ليس لنقص منها كأداة للتفاهم والتأليف ، ولكن لان رجالها وقفوا منها حيث كانت منذ أجيال ولم يتمشوا مع التطورات العلمية الحديثة

يقول الدكتور رمسيس جرجس عضو المجمع اللغوى للغة العربية فى تقدمة هذه الكتب : « وقف التأليف بالعربية منذ أول هذا القرن بسبب تغلغل النفوذ الأجنبى ، لذلك كان اقدام المؤلف على وضع هذه الكتب بالعربية خطوة أساسية بل حجر زاوية فى بناء نهضتنا القومية الشرقية . وانك تقرأ هذه الكتب من أولها لآخرها فلا تشعر بالملل الذى تحس به عادة عند قراءة الكتب العلمية المليئة بالحقائق الجافة ولاسيما كتب التشريح » . ويقول الدكتور سليمان عزمى باشا بصددها : « لقد أسدى المؤلف خدمة للاطباء لا تقدر فان من تعلم منهم بالانجليزية عند مايكتب تقريرا شرعيا يضع اصطلاحات عربية غير سليمة أو يضعها بالانجليزية فاذا ما راجع هذه الكتب يجد فيها بكل سهولة الاصطلاحات العربية الصحيحة المعترف بها »

وقد تناول المؤلف فى كتاب « تشريح الحوض للسيدة » بالاشتراك مع الدكتور ناشد فهمى جميع الحقائق الخاصة بتشريح الحوض فأسهب فى وصف المفاصل والعضلات والصفاقات وأعضاء الحوض الخيفى وأعضاء التناسل الظاهرة وأوعية الحوض وأعصابه . فكان الكتاب فريدا فى بابه يمتاز بروائه ودقته ولا يقل عما ماثله من المؤلفات الاجنبية

خريف امرأة

للاستاذ ابرهيم المصرى

مطبعة مكتبة مصر . فى ١٦٨ صفحة

يعرف قراء الهلال الاستاذ ابرهيم المصرى كاتبا اجتماعيا مجيدا ، وقصصيا مشرقا ، وناقدا محللا نزيها . وقد طالعهم فى الهلال بطائفة من فصوله وقصصه ، تعد ولا شك من خير آثار الأدب العربى الحديث . وهذا الكتاب الجديد يضم طائفة من هذه القصص ، ظهر بعضها فى الهلال ، وبعضها فى ابنة الهلال « مجلة الاثنين » وهى فى مجموعها ترسم طبقة معينة من طبقات الشعب هى الطبقة الوسطى . وهى طبقة ضئيلة العدد فى مصر اذا قارناها بمثيلتها فى بلد كانجلترا ، ولكنها مع هذا تمثل الشعب اكثر مما يمثله سواها

والاستاذ المصرى شديد العناية بالتحليل النفسى وفق قواعد علم النفس الحديث . وقصته الاولى « خريف امرأة » هى تصوير فنى شائق للعقدة النفسية المعروفة بعقدة « أوديب » التى تجنح بالمرء أو بالمرأة جنوحا عاطفيا وجنسيا من نوع شاذ

وقصته الثانية ، الباب الذهبى ، تعالج مشكلة الزواج فى مصر ، فهى تمثل هذا الموظف الذى أراد أن يدخل الدنيا من بابها الذهبى ، باب الزواج ، فلم يهتد الى هذا الباب اذ تزوج من فتاة تناقضه نشأة وبيئة وتفكيرا وأخلاقا

وهكذا سائر ما فى الكتاب من القصص ، فهى أما ترسم حالات نفسية معينة أو تصور صورا منتزعة من البيئة المصرية الصميمة ، وذلك فى الاسلوب الذى عهده القراء فى المؤلف ؛ وهو اسلوب قوى ، دافق ، مشرق

محمود تيمور

للاستاذ نزيه الحكيم

مطبعة النيل فى ١٠٧ صفحات

دراسة تحليلية لرائد القصة العربية ، صيغت فى اسلوب قوى رصين . أبان فيها الاستاذ نزيه الحكيم كيف بدأ تيمور عمله فى ميدان القصة وهو قليل العدة ضئيل الزاد ، ولكنه انتج فى عشرين سنة عملا جديرا بالرضى والتقدير . وهو فى ذلك يقول : كان تيمور البناء الذى يقتطع حجارته بيده من مقالع الجبل ، يدأب فى صبر طويل على نحتها وركزها واحدة جنب أخرى حتى تستقيم قصرا منيفا . لم يتعجل ولم يحاول المستحيل ، بل عاش فى قلب الشعب المصرى كل حياته ، وثقف خياله وراض لغته ، وكان كثيرا ما يأتى بالجديد فى بناء هذا القصر الحى ليقدمه نموذجا للناس ، يخفق أو ينجح ولكنه فى كل حال يفتح لهم الباب المغلق ويعبد أمامهم الطريق الوعر

كانت القصة فى الغالب قبل تيمور قطعة من الادب مترجمة أو شبه مترجمة ، لا مصرى فيها الا أسماء الاشخاص ولغة الحديث . ولكن تيمور بدل هذا الوضع وفتح لادبنا المقلد طرقا جديدة يسير فيها وأساليب فى الاداء كانت لا تعرفه ألوانها

لم يأت تيمور بفلسفة جديدة ولا أبدع مذهبا لم يكن . ما فعله تيمور هو انه طاوع الحياة التى تجرى فربط بينها وبين الادب . وأدرك ان الحب ليس وحده كل النفس البشرية ، وان هناك نواحى أخرى فى هذه النفس كثيرة غامضة المسالك جديرة بأن تدرس وان تصور

وهذا ما حدا بالمؤلف الى كتابة هذا المؤلف النفيس ليعالج فيه حياة تيمور ورسالته وألوان أدبه

دروس الفلسفة

للاستاذ جميل صليبا

مطبعة الترقى بدمشق فى ٤٤٠ صفحة

ان للمباحث العلمية طرقا يسير عليها العلماء فى كثير من الاحايين عفوا دون ان يعرفوا قيمتها . فالرياضى يقيس ويستنتج وعلماء الطبيعة من فيزيائيين وكيماويين وفزيولوجيين يستنبطون من ملاحظاتهم وتجاربهم الجزئية قوانين عامة . فما هى قيمة الاستنتاج والتعميم والاستقراء ؟ ان الفلسفة تبحث هذه الامور وتقايس بينها وتنتقد طرق العلم وتسمى هذه المسائل الانتقادية بالمسائل المنطقية

وموضوع هذا الكتاب بحث هذه الناحية المنطقية ، وقد اسهب المؤلف فى بعض موضوعاته رغبة فى الاحاطة والتبسيط وتحبيب المنطق الى القراء وتقريب مسائله من أذهانهم . وقد تناول فى الجزء الاول مسألة المعانى والحدود ثم تحدث عن القضايا والاحكام ، ثم تكلم عن الاستدلال واشكاله ، ثم أفاض فى توضيح قيمة المنطق الصورى وفائدته . وعالج فى الجزء الثانى طرق العقل العامة وموضوع العلم والروح العلمية ، ثم العلوم الرياضية والعلوم الفيزيائية والكيميائية ، وكشف القوانين وتحقيقها ، ثم عرج على علم الحياة وعلى علم النفس ثم التاريخ والاجتماع

ولا ريب فى أن المكتبة العربية ترحب بمثل هذه المراجع التى حرمت منها زمانا طويلا ، رغم ما اشتهر به التراث العربى من التعمق فى الفلسفة والمنطق

والمؤلف استاذ في الفلسفة بمدرسة التجهيز بدمشق ، جم الثقافة واسع الادراك ، له مؤلفات كثيرة في الفلسفة وجولات موفقة في علم النفس

الباب الذهبي

للاستاذ محمد أمين حسونة

مطبعة رواية الجيب في ١١٦ صفحة

مجموعة من القصص والمسرحيات العالمية لطائفة من كتاب الغرب وفحول الروائيين الاوربيين ، امثال لويجي براندللو ، وآرثر شنتزلر ، وجون نيتل، وبلاسكو ايبانيز، وبيير دولف، وشارلس مورجان

وقد سبق للمؤلف ان نشر جانبا منها متفرقا على صفحات مجلة الهلال ، وهي في مجموعها باقة عاطرة من الادب الرفيع تجمع بين روعة الوصف ودقة التصوير والبراعة في العرض والحوار ، فضلا عما تزخر به من حياة وحركة

كما نحا المؤلف في تلخيصها نحوا جديدا ، وقدمها الى قراء العربية في أسلوب فني جميل . وزين الغلاف برسم رمزي ساحر من ريشة الفنان بيكار

سحر أمريكا

للاستاذ حسن فريد

المطبعة العصرية في ٦٦ صفحة

تتجه الانظار الآن الى امريكا بلاد العلم والحضارة والمستقبل ! والكتاب الذي بين أيدينا وصف لرحلة موجزة وسياحة خاطفة ، قام بها أحد شباننا المثقف الى المعرض العالمي الذي أقيم في نيويورك في منتصف عام ١٩٣٩ لمناسبةمرور قرن ونصف قرن على دخول جورج واشنجتون ولاية نيويورك واعلانه الاستقلال

وقد عني المؤلف بتدوين ملاحظاته الدقيقة في عبارات جذابة ، واسلوب رشيق ولغة عذبة تتخللها الفكاهات والحوادث المثيرة

سفينة النجاة

للاستاذ نجيب ميخائيل صوايا

دار الطباعة والنشر بالبرازيل في ١٧٤ صفحة

مجموعة من الصور الانتقادية لبعض نواحي الحياة ، يعرضها المؤلف عرضا بارعا في اسلوب سهل ساحر ونقد قاس صريح . وهو في ذلك يقول : انني اكتب بصراحة مع علمي بأن من صارح الناس عاداهم . ذلك لاني لست ضعيفا لاحتال وأخادع كما يفعل المراءون ، بل أقول ما أراه حقيقة راهنة كما يفعل الاقوياء المتصرون المتمسكون بالحق

والمؤلف من الكتاب اللبنانيين الذين هاجروا الى البرازيل ، له جولات قلبية طيبة ومؤلفات كثيرة تعبر عن روح وثابة طموحة متحررة

وحي الرافدين

للاستاذ الحوماني

مطبعة الكشاف في ٤٠٥ صفحات

مجموعة من المقالات الموجزة التي تعالج أبرز مشاكل العرب في الفترة الراهنة ، كما تتناول سير بعض العظماء من رجالات العراق وكتابها ومفكريها . وروح المؤلف كما تبدو من كتابته روح وثابة طموحة ، تفيض صراحة واخلاصا ووطنية . فهو يريد كما يريد شباب العرب بأسره ان تتم وحدة الامم العربية عاجلا حتى تصبح أسعد حالا وأوفر حرية وأكثر قوة . وهو في ذلك يقول : ان حلفاءنا اليوم يعقدون مؤتمراتهم فيسنون الانظمة ويقررون مناهج الاعمال خلاله

أيام معدودة . ولعل تلك الانظمة وهذه المناهج تنتظم العالم بعد الحرب . فما بالنا وقد مر عامان ونحن نتغنى باسم الوحدة العربية ونعد لها العدة وندعو ممثلى الحكومات العربية ونكثر من الكنى والاستعارات والتلميح والتعريض بمكان المؤتمر وزمانه ؟

ولعل الحرب أقرب أجلا من هذا المؤتمر . فاذا كانت قد أوشكت أن تضع أوزارها ولم يتألف هذا المجلس ولا تقرر مكان تأليفه أو زمان انعقاده فمتى يكون ذلك ؟ أبعد أن يكون الطاهى قد انضج طبخه وامتدت الايدى القوية الجشعة لازدراد الشعوب الضعيفة كما رأينا بعد الحرب الماضية ؟

رسالة الملائكة

املاء أبى العلاء المعرى

مطبعة الترقى بدمشق فى ٢٨٤ صفحة

ظفر المجمع العلمى العربى فى دمشق بهذه الرسالة ، فأكبرها وبادر الى طبعها بمناسبة المهرجان الذى أقامه المجمع لمرور ألف سنة على مولد أبى العلاء المعرى . وقد عهد الى الاستاذ الكبير محمد سليم الجندى عضو المجمع بتحقيقها وشرحها وضبطها

وتشتمل هذه الرسالة على مقدمة ، وعلى الاجوبة عن المسائل التى سئل عنها أبو العلاء . أما المقدمة فقد ذكر فيها احدى وعشرين مادة فيها كل باقة زهرة . وقد أراد ابو العلاء ان يجعل لها مناسبات تجعل منها وحدة جامعة ، فجعل نفسه كأنه أشرف على الموت وأراد ان يدفع عنه ملك الموت ويشغله بالبحث عن اصل ملك واشتقاقه ، ثم تصور انه دخل القبر فذكر اسماء بعض الملائكة ، ثم خرج الى المحشر فتصدى الى البحث عن اسماء مسميات تكون فى الجنة أو النار . وجعل من ذلك صورة خيالية رائعة

وتمثل لنا هذه الرسالة صورة صادقة لما وصل اليه علم الصرف فى عصر ابى العلاء وفى العصور التى سبقته ، كما تصور لنا ما كان يتمتع به العلماء من حرية القول والاقدام على نقد الائمة ودحض حججهم ومناقشتهم فى الدقيق والجليل من المسائل

ولا ريب فى ان الادب العربى مدين للمجمع العلمى فى دمشق لطبعه هذا الاثر الجليل

هاروت وماروت ، وسارق النار

مسرحيتان للاستاذ خليل هنداوى

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

يعتقد المؤلف ان الاساطير – سواء كانت شرقية أو غربية – ينبغى أن تكون مرجعا لتفسير الافكار والمعتقدات الضاربة جذورها فى حياة الانسان . لانها تحمل بصدق وصراحة كل ما كان يرتعش فى قلبه وعقله يوم ارتعشت به الحياة

فاقتبس قصته الاولى عن أسطورة شرقية قديمة تمثل صراع النفس بين السمو والانحطاط وبين الروح والمادة وبين الارض والسماء . ومن ذا لا يحس هذا الصراع فى نفسه حين تنحدر مرة وحين تتسامى تارة ؟

والمسرحية الثانية مأخوذة من اسطورة يونانية مفرغة فى عبارة سلسة وأسلوب رائع ، ولقد صدق المؤلف فى تقديره للاساطير اليونانية ، فما هى بالخرافات التى يتلهى بها الفكر الخامل كما يتلهى الصغير بحكايات جدته وجدِّه . ولكنها على سذاجتها تنطوى على خيال بعيد المدى وحقائق رائعة خالدة



بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

أو على الاصح صاحب الجلالة الوهم ، أو صاحبة الجلالة العادة ، اذ لولا الوهم الذى ولدته العادة لتجرد المال من ثلاثة أرباع القوة التى يصول بها الآن ، ولهبط من مرتبة التيجان الى مرتبة النبلاء ، بل الاعيان

فالحقيقة التى لا مراء فيها ان الناس يهابون « مظهر » المال دون ان يبحثوا فى معناه أو فائدته أو الدلالة التى يدل عليها

فصاحب المليون يكفيه المليون ويربى على جميع حاجاته وحاجات أبنائه من بعده ، ولكنه يطلب المليونين والثلاثة الملايين لان الناس يرجحون صاحب الملايين الثلاثة على صاحب الاثنين أو صاحب المليون الواحد ، ويفعلون ذلك وهم لا يحتاجون الى أحد منهم ، ولا يعقدون لهم أملا بهذا أو بذاك ، ولكنه « مظهر » المال يبهرهم من بعيد دون حقيقته ومعناه

وقصة المتنبى تدل على كثير فى هذا المقام :

كان أيام الفقر والخصاصة يطوف بأسواق الكوفة فلمح البطيخ ببعض الدكاكين واشتهاه ، وسأل صاحب الدكان : بكم تبيع هذه البطاطيخ الخمس ؟ فرفع الرجل اليه عينا ثقيلة ونظر الى ملابسه وازدراه ولم يزد على أن قال : اذهب يا صاح . ليس هذا من أكلك .. فصدم هذا الجواب السخيف نفس أبى الطيب فى كبريائها ولجت به الكبرياء فهانت عليه الدراهم وقال لصاحب الدكان : يا رجل! دع ما يغيظ وهات البطاطيخ ودونك عشرة دراهم ثمنا لها وهو أغلى ما تباع به فى هذا الاوان . وانه ليحاوره ويساومه اذ أقبل بعض التجار فأسرع اليه صاحب الدكان وتلقاه قبل ان يبلغ دكانه وقال فى خضوع وملق هذه البطاطيخ من أجود نوعها وهى تستحق مائدتك فهل لك يا مولاى فيها ؟ فقال التاجر دون ان ينظر اليه : احملها الى البيت ولك فيها خمسة دراهم .. فحملها الرجل وترك أبا الطيب يتلفت من الدهشة والعجب ، وظل فى موضعه ليعرف سر هذه الصفقة التى خسر فيها صاحب البطاطيخ نصف ثمنها . فلما عاد سأله ولامه على حماقته التى سولت له ان يجبهه بالكلام السخيف وهو يعرض عليه عشرة دراهم ثم يقبل نصف الثمن ويحمل البطاطيخ الى المنزل فى ذلة وضراعة . فلم يحفل به الرجل وقال وهو يشيح عنه كأنما

يلقى اليه بفصل الخطاب : ويحك ان من تذكر يملك مائة ألف درهم !

قال أبو الطيب : فما زال من همى منذ ذلك اليوم ان أجمع المال الذى يهاب الناس ذويه وهم منهم خاسرون ويعرضون عن الفقير وهم منه رابحون

ولسنا نظن ان أبا الطيب قد صدق فى تعليل بخله ، فان البخل لا يولد فى الطبائع لامثال تلك الاسباب ، ولكنه قد صدق ولا ريب فى تعظيم الناس للغنى ولو لم ينلهم منه خير ولم يكن لهم فى صاحبه مطمع ، لانهم يهابون « المظهر » قبل ان يفكروا فى الفائدة أو الغاية من هذه المهابة

وصاحب المال نفسه لا يستفيد منه لحاجاته وحاجات أبنائه بمقدار طمعه فيه ، واذا قيل ان المال الكثير ييسر للغنى سبل المآرب والشهوات فانما يرجع هـذا التيسير كذلك الى المظهر لا الى الفائدة أو الى الحقيقة . فالحسناء التى تستهويها الاقراط والحلى والجواهر لا تؤخذ بها لانها تزيد محاسنها كما تؤخذ بها لانها تظهرها فى مظهر الوجاهة والنفاسة وتسلكها فى عداد العقائل الكريمات ، أو تخيل الى الناظرات والناظرين انها استحقت تلك النفائس لانها أجمل من فلانة التى لم ترزق زوجا أو عاشقا يهب لها الجواهر والاموال

فاذا جردنا هؤلاء الناس جميعا من الوهم الذى ولدته العادة ظهر صاحب الجلالة المال وفى طيلسانه بقعة وفى أكاليله رقعة ، ولم يبهر الانظار ولا وقع ذلك الموقع من القلوب

والذى يزعم انه يجمع المال لابنائه من بعده هو أيضا مخدوع فى عقيدته بينه وبين نفسه ومثله كمثل أبى الطيب فى مسألة البطاطيخ ، فما كان البخلاء من احب الناس للابناء ، بل لعلهم يقسون عليهم فى التربيـة والنفقة قسوة لا تخامر قلوب المسرفين ، ولـكنهم يحرصون على المال أولا ثم يبحثون عن السبب بعد الحرص عليه ، ولو نظروا الى الحقيقة لعلموا بالتجربة والمشاهدة ان عدد الابناء الذين أفلحوا فى حياتهم بغير ميراث أكبر جدا من عدد الابناء الذين آلت اليهم أعظم التركات . فمن هؤلاء من يبدد ميراثه فيما يضيره ، ومنهم من يصونه وينقضى به العمر وهو بمعزل عن تجارب الدنيا قد حرم طعم العيش الذى يلتذه من عرف الآمال والشكوك والمخاوف والجهود ، ومنهم من لا يشعر بحماية الثروة لانه لم يشعر بخطر الحرمان ، وكلهم بعد هذا أقل عـددا ممن يبدأون العمر بالسعى وينعمون فيه بثمرات النجاح

كنت أعرف يونانيا له مكتبة افرنجية بالاسكندرية ، فوجدته يوما يفكر فى تصفية المكتبة والسفر الى افريقية الجنوبية ليبدأ هناك عملا جديدا فى غير الكتب والاوراق . فسألته : ولم تصفى المكتبة وهى ناجحة ولك أبناء لا تأمن عاقبة هذه المغامرة على أرزاقهم حين تشيخ ويكبرون ؟ فقال فى ثقة الرجل الذى يوازن بين الحقائق ويتكلم بالبداهة : اتراني أقضى الحياة كلها على طعم واحد ؟ لقد جربت مصر فلاجرب افريقية الجنوبيـة ، وقد عرفت تجارة الكتب فلاعرف تجارة غيرها . اما أبنائى فاننى أوثر لهم أن يعرفوا الحياة من تحت الى فوق ولا يعرفوها من فوق الى تحت . وسأضعهم على أول درجات السلم

واترك لهم هم ان يصعدوا بقية الدرجات

فأيقنت ان يونان التى كانت تخرج سقراط وديوجنيس لم تقفر بعد من بقية تلك الارواح ، وعجبت لنظرة هذا التاجر الى لباب الحياة . ولكننى لم اتهمه بالجنون كما يتهمه أى سامع آخر من رواد مكتبه ، سواء من المصريين أو اليونان

فالحق ان التاجر الفيلسوف كان أقرب الى الحقيقة واجرأ على الوهم من كل سمسار فى سوق الاسكندرية ، ومن كل مليونى يملك المليون ويطمع فى المليونين أو الثلاثة الملايين

وسيزول سلطان الوهم هذا فى يوم من الايام . بل هو قد أخذ فى الزوال منذ توقلت النزعة المادية الى قمتها العليا فى العصر الاخير

وانما يتكفل بزواله ان القيم الانسانية تتعدد فى الحياة الحديثة كل التعدد بنجوة من سلطان الاغنياء . فقد تفتحت ابواب الحياة الحديثة لاناس من الاقوياء بالملكة السياسية دون الثروة والحطام ، واناس من الاقوياء بالملكات العلمية أو الفنية أو الصناعية أو الادبية ، وتعلم الناس ان يوقروا رجالا ونساء كانوا قبل اليوم لا ينالون التوقير الا بما يتلقونه من مال الاغنياء ، وكل زيادة فى القيم الانسانية وتعدد لانواعها هو فى بعض وجوهه نقص من سلطان صاحب الجلالة المال

وأصبح الاغنياء يحتاجون الى كل هؤلاء وقد كان كل هؤلاء قبل اليوم يحتاجون الى الاغنياء ، لانهم كانوا يومئذ قلة لا يحسب لها حساب

وارتقاء المرأة كفيل من جانب آخر بانتقاص ذلك السلطان المهدد بالزوال ، لان ارتقاءها يربأ بها شيئا فشيئا ان تكون سلعة فى اسواق الشهوات ، ويجعل للقيم الانسانية المتعددة سبلا شتى الى رضاها بجانب سبل المال ، وقد وجد اليوم من يسرها ان تنتمى الى عالم أو فنان أو شاعر أو أديب ، ولم يكن للغانيات قبل الزمن الحديث فخر بالانتماء الى هؤلاء !

كذلك ينقص سلطان المال كلما توزع فى الايدى وضاقت آماد التفاوت بين أغنى الاغنياء وأفقر الفقراء ، فيستطيع صاحب القناعة الفقر ان يعيش مع صاحب الجلالة المال وهو غير مأخوذ برهبة « المظهر » التى أخذ بها بائع البطاطيخ ومن جرى مجراه

وكلما تعود الناس أن يبحثوا عن دلالة المال وفوائده ، وان يقرنوا بينها وبين دلالة المزايا الاخرى وفوائدها هبط صاحب الجلالة المال وارتفع معه رعاياه المتمردون

ولن يزول الوهم من دنيانا هذه فى عصر قريب أو بعيد ، ولن يبطل سلطان العادة بين فريق من الناس ، ولكن الوهم تحاربه اوهام والعادة تكافئها عادات ، فلن يستأثر المال وحده بلقب الجلالة ومعه منافسون كثيرون ، ولن يهبط المال فيما نحسب حتى يسمى فى المستقبل البعيد بالمال المسكين ، ولكنه سيهبط فيما نرجو حتى يهون عليه ضياع التاج والصولجان

عباس محمود العقاد

القاضي بين صوت العدالة ونصوص القانون

بقلم الدكتور عبد الفتاح السيد بك المحامي
رئيس محكمة النقض والابرام سابقاً

العدل هو الغاية السامية التي يجب على كل من ولى القضاء أن يضعها نصب عينيه ، ويجعلها هدفه فى كل خطواته . وأن يتخيلها اسمى صفة يتحلى بها مخلوق . وحسبنا أن تكون صفة الآله جل جلاله تتوجه بها اليه خاشعين كلما حاق بنا الضر أو مسنا الشر من بنى الانسان

وصوت العدالة ينادى القاضى فى جميع خطواته ، ويناجيه فى روحاته وغدواته ، فينفذ الى اعماق قلبه فيعمل على تلبية هذا النداء ، ولا يغمض له جفن ولا تقر له عين الا اذا أيقن أنه أجاب طلبته وحقق رغبته فاعتقد أنه أدى رسالته على أكمل صورة وأجمل وجه

القانون ميزان

وما القانون الا تلك القواعد التى رسمها الشارع ليسترشد بها الناس فى معاملاتهم ، ويهتدوا بها فى علاقاتهم ، ولتكون الميزان الذى تقدر به تصرفاتهم وأعمالهم ، لينال كل ما يستحق ويحاسب على ما قدمت يداه . ولا ريب فى أن كل ما توخاه الشارع فى وضعها أن تكون دستورا يتبع لتوزيع العدل بالقسط بين الناس ، وأساسا صالحا لاستقرار الحقوق وطمأنينة البشر . وبهذا صدرت عن الشارع وهو مملوء اليقين بأنها متفقة ومبادىء العدل والانصاف . وبهذه المثابة يكون من واجب القاضى ألا يستكرها ضميره فى التطبيق على الحوادث التى تعرض له والمنازعات التى تطرح لديه لكى يفصل فيها بتقديره الذى يوحيه اليه وجدانه . ومن أجل هذا يجب عليه أن يعلم انه ما ولى القضاء الا على هذا الاساس وهو العمل على مقتضى القانون ونصوص أحكامه

فما اسمى مهمة القضاء وما انبلها مقصدا ، وكل ما على القاضى فى سبيل حسن القيام بها على الوجه الذى يرضى منه الضمير الا أن يكون ملما بأحكام القانون ، عالما بأغراض الشارع ، سليم التقدير ، وأن يبذل الجهد فى تحصيل وقائع الدعوى وتفقه موضوعها والاحاطة بظروفها ، وأن يطبق على ذلك كله حكم القانون العادل . ولا شك فى أن القاضى اذا أدى رسالته على هذا الوجه ارتاح منه الضمير واطمأن الخاطر ، ولا شأن له بعد ذلك أن يكون القانون قاسيا فى حكمه أو متراخيا فى نصه . فالقانون هو القانون

ليس من حق القاضى أن يحيد عنه بل يجب ان يوطن النفس على الارتياح اليه ويروضها على احترامه ونفاذ مفعوله حتى لا يعتريه الاضطراب فى عمله ويستولى عليه القلق فيكون لذلك أسوأ الاثر فى نفسه وفى قضائه

وثمة أمر آخر هو مهمة القاضى فى تفسير نصوص القانون وتعرف روح الشارع وغايته من وضع الاحكام . وهى لعمر الحق مهمة دقيقة غير هينة يسترشد القاضى فى القيام بها بعبارة النص أولا ثم بظروف اصداره وبمذكرته الايضاحية وبالمناقشات التى جرت حول اقراره من الهيئات النيابية وغير ذلك ، ولا غاية للقاضى من وراء هذا كله سوى اطمئنانه الى قضائه الاطمئنان التام

دستور القضاء فى رسالة عمر

ويجمل بى فى هذا المقام ان أشير الى رسالة الخليفة عمر بن الخطاب الى عبد الله بن قيس حين ولاه قضاء الكوفة فهى والحق يقال رسالة قيمة قمينة بأن تكون دستور القضاء ، فاذا ما وعاها قلب قاض واستقرت مبادئها فى نفسه سار فى عمله قوى العزيمة مرتاح الضمير — وهاك نص هذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس : « سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم اذا أدلى اليك الخصمان ، وانفذ اذا تبين لك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، وآس الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حلل حراما أو حرم حلالا ، ومن ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه ، فان بينه اعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ، فان ذلك هو أبلغ للعذر وأجلى للعمى ، ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك ان تراجع فيه الحق ، فان الحق قديم لا يبطله شىء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجربا عليه شهادة زور أو مجلودا فى حد أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ، فان الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان ، ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قايس الامور عند ذلك واعرف الامثال ثم أعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق

« واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر عند الخصوم ، فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ، فان الله

تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله »

لا غرو أن هذه الآيات البينات لجديرة بأن تحفظ عن ظهر قلب ويترسمها القاضى فى قضائه ويتخذها نبراسا له فى عمله ولا شك انه ان فعل ذلك اطمأن منه الخاطر فى قضائه

لقد كانت تجاربى فى حياتى كقاض ان استلهم ضميرى الحل العادل ثم أبحث عن التطبيق القانونى واستطيع أن أؤكد أنى كنت أجد من نصوص القانون واجتهادى فى تفسيرها ما يساعدنى على وجهة النظر التى ارتحت اليها

حدث لى . . .

حدث لى وأنا قاض باسوان فى سنة ١٩١٣ أن قضيت فى دعوى بناء على ما فسرت به حكم القانون تفسيرا ارتاح اليه ضميرى وبعثت بصورة من الحكم الى ادارة المجموعة الرسمية لكى ينشر بها كمبدأ قانونى ولكنه لم ينشر مع أن حكما آخر كنت بعثت به بعده فنشر ، ثم حدث أن عرض على مرة أخرى مثل النزاع السابق الفصل فيه فاتبعت المبدأ ذاته وبلغت بى جرأة الشباب حينذاك ان بعثت بصورة من الحكم الى ادارة المجموعة طالبا منها النشر أو اخبارى بالمانع ، فجاءنى الرد من الرئيس المختص بان كلتا الصورتين وصلتا وان السبب فى عدم النشر كان عدم مشاطرتى ما ذهبت اليه فى التفسير ولو أن ما قضيت به هو عين العدالة . ولقد كان اغتباطى بالغا أشده بهذا الرد وعددت نفسى سعيد الحظ فائزا رغم عدم نشر الحكم واذاعته بين رجال القانون . وبقيت متبعا المبدأ ذاته ما دمت قد ارتحت اليه ، ووجدت من تفسيرى لنص القانون ما استند اليه . ولم يغير من اقتناعى بصدق التفسير المتفق والعدالة انى لم أحظ من قبل المنوط به اختيار الاحكام المقررة لمبادىء باقرار نشر الحكم ، اذ له شأنه فى عمله أما أنا كقاض فحسبى ان أوفق بين الحق والقانون ولا رقيب على فى ذلك سوى ضميرى ووجدانى

وتقدمت لى وأنا فى مستهل حياتى القضائية امرأة تطالب شخصا بدين ولم يكن لديها دليل كتابى وكان المبلغ يزيد على ما يجوز اثباته بالبينة ، ولاح لى من خلال روايتها انها لا بد أن تكون صادقة القول وان خصمها خبيث ماكر ، فلو أنى طبقت حكم القانون على عجل لحكمت برفض الدعوى على مضض ، ولكننى آثرت التريث وفكرت فى الامر مليا ثم رأيت ان القانون يملى على القاضى فى مثل هذا الظرف طريقة استجواب الخصمين، فحددت جلسة لمناقشتهما فى ظروف الدعوى ، وما بينهما من صلات ومعاملات لعلى آنس من هذا رشدا ، ومن حسن التوفيق ان نقاش الطرفين والاخذ والرد بينهما ، اسفر عن نتيجة مرضية هى امكان اعتبار ما أجاب به المدعى عليه مبدأ ثبوت بالكتابة . فكان هذا مفتاح الفرج الذى امكننى به احالة الدعوى الى التحقيق ، فاتت المدعية بشهود صادقين

قرروا ان لها فى ذمة غريمها المال الذى تدعيه ، وعجز المدعى عليه عن النفى. وعندئذ ارتاح منى الضمير واطمأن الخاطر واصدرت الحكم على هذا الاساس

وعرضت لى دعوى ، وأنا قاض بمحكمة العطارين ، كان المدعى فيها يستند الى عقد ارتكب فيـه تزوير بطريق التحشير ، وكان التزوير خفيـا لا تستطيع العين ادراكه بسهولة ، ولم يكن من مصلحة المدعى عليه اظهاره والتحدث عنه رغم انه كان عالما به كل العلم ، وان هذا لحقا حادث غريب فى الخصومات ان تتفق المصلحتان المتعارضتان على عدم الكشف عن التزوير المختبىء الواقع من أحدهما فى تعاقد بينهما

حرت فى حل هذه الدعوى الغامضة ، ولم يرتح ضميرى لتطبيق حكم القانون على ظاهرها ، فاحجمت عن سرعة الفصل فيها ، لعل الله ينير بصيرتى ويلهمنى الصواب فى فك لغزها . واعتزمت اذا لم أوفق ، ان أدعو الطرفين لدى فقد أصل الى الاصلاح بينهما تفاديا من اصدار حكم لا يرتضيه ضميرى . ولكن طول البحث هدانى الى العثور على هذا التحشير الدقيق ، واذ صرفت النظر عنه فى تقديرى ، استقامت لدى وقائع الدعوى، وفاز حكم القانون بحسن التطبيق ، واطمأن الخاطر وارتاح البال

دهش الخصوم لما تكشفت عنه بصيرتى حين كانت لهم جميعا مصلحة فى بقاء الامر خافيا على ضمير القاضى ، ولا شك ان الغرض مرض يعمى ويصم وقد استغرب المحامون فى الدعوى كيف انى وصلت الى هذه النتيجة ، وما دروا انه ضرب من ضروب الجد والمثابرة لا أكثر من ذلك . ومما هو جدير بالذكر انى بعد ان انقضى على هذا الحادث نحو من ثلاثين عاما لقينى محام قديم ذو ماض ناصع جليل ــ وقد كان ممارسا مهنته فى الثغر السكندرى مهبط رأسى واول أرض مس جلدى ترابها ــ اعاد لى ذكرى هذه الدعوى فى معرض التحدث عن اجتهادى وأنا فى شرخ الشباب فشكرته على هذا المديح شكرا جزيلا رغم انه احيا لدى ذكريات مضت عليها عشرات السنين ، وبعث فى نفسى التحسر على شباب ولى وأدبر ، ورغم ان مديحه أصبح عديم الاثر منتفى الثمرة بعد ان قطعت مرحلة المناصب الحكومية ، وسلكت سبيل الحياة الحرة وأصبحت محاميا ، اذ عز على هجر دور القضاء فآثرت ان استمر مساهما ــ من طريق آخر ــ بقسط متواضع فى هذا الصرح الشامخ الذى تفخر به مصر وبنوها

أحكام القانون تيسر التصرف

ومحصل القول أن أحكام القانون كفيلة بأن تيسر للقاضى سبيل التصرف بما يريح وجدانه ، فله فى القضاء المدنى امهال المدين المعسر فى تنفيذ التزامه ، والتوفيق بالصلح بين المتخاصمين ، اذا ما قام الشك لديه وأراد ارضاء الطرفين عن طريق حل وسط ، وله عرض اليمين المتممة ، وله اذا عز النص أن يلجأ الى مبادىء العدل لحل الاشكال المعروض

عليه ، وله فى الدعاوى الجنائية الحكم بالبراءة اذا انعدم لديه الدليل أو ضعف ، وتخفيف العقوبة بقدر المستطاع اذا رأى فى ظروف الدعوى ما يسمح بذلك ، وله وقف التنفيذ فى كثير من العقوبات . ومتى اتسع نطاق التطبيق لاحكام القانون الى هذا المدى الفسيح ، أمكن القول بأن ضمير القاضى قلما يصطدم بهذه الاحكام

وعلى كل حال فان القاضى ليس الا مطبقا لارادة الشارع منفذا لأوامره ونواهيه . فاذا ما تملكه هذا الشعور ، أصبح بعيدا عن الحرج مرتاح الضمير فى قضائه ، بحيث لايثور على القانون ثورة تجعله يحيد عنه أو ينحرف عن نصوصه وما يمكن ان تؤدى اليه

وهب ان ضمير القاضى اصطدم بحكم القانون وحاول الاطمئنان الى تطبيقه فلم يستطع الى ذلك سبيلا ، فهل له أن يثور على القانون ويخالف نصه الصريح ؟ الجواب فى نظرى كلا . فالقانون هو القانون واجب الاحترام على كل حال . وحسبى هنا أن أردد ما جاء فى كتاب الأستاذ راتسون القاضى بمحكمة السين « فن القضاء » الذى نقله الى العربية فى أجمل صورة زميلى الفاضل محمد رشدى بك فقد جاء بالترجمة بصحيفة ١٤٢ ما يأتى :

« ان القاضى ممنوع لاى سبب كان من أن يتناول النص القانونى بالطعن والتجريح فى حكم من أحكامه ، انه خادم القانون وأول واجب عليه هو تطبيقه . فاذا رأى يوما ان هذا الواجب لا يتفق وذمته فليعتزل القضاء وان كان فى ذلك تضحية شاقة »

ولست أجد فى هذا الرأى تطرفا كما لاحظ زميلى المترجم ، لان قاضيا هذا مثله فى حكم النادر ، ففى اعتزاله القضاء راحة له وراحة للقانون ، والراحتان مطلوبتان لاطمئنان الناس الى احترام القانون وعدل القضاء

عبد الفتاح السيد

الحياة الزوجية

■ الزواج قوام العالم وهو الذى يبنى المدن ويملأ البيوت والمعابد « تللر »

■ الزواج حصن حصين يتمنى الذين يقيمون بداخله الخروج منه ، والخارجون عنه الدخول فيه « حكمة يابانية »

■ من كانت له زوجة وأولاد فقد أعطى الرهائن للاقدار لانهم عقبة فى طريق كل عمل عظيم للخيرات كان أو للشرور « باكون »

■ ان الزوجة هى الصديق الذى تمنحه الآلهة للرجل « من قصيدة هندية »

■ اذا كنت قد شعرت فى هذه الحياة بشىء من السعادة ففى الاوقات التى قضيتها فى بيتى مع زوجتى وأولادى « قاسم أمين »

■ لا يمكن للرجل أن يحيا حياة فاضلة ما لم تكن بقربه زوجة « رشستر »

هل غيرت المدنية طبيعة الأفراد والجماعات

بقلم الدكتور أمير بقطر

قد يحمل الرجل المتمدين في مخه مصباحا مضيئا ، ولكن غرائزه الاصلية لا تزال تتحرك في ظلام دامس . ومن هذا الظلام يستمد المرء نشاطه واتجاهاته وحيويته

يحمل الانسان بين جوانبه ، أسوة بسائر الحيوانات ، بقايا الاسلاف والاجداد في كل شيء ومنها الحياة العقلية أو النفسية . ومن أهم العوامل التي تعين الانسان على التطور والارتقاء من الناحية العقلية ، تفهم الطبيعة البشرية ، أي التوغل في أعماق الحياة النفسية واغوارها الدفينة ، التي منها تستمد الدوافع والميول والرغبات . وفي مقدمة القوانين الطبيعية التي تسري على الافراد والجماعات ، ان التطور اما ان يتقدم بصاحبه الى الامام ، أو أن يرجع به الى الوراء . ومعنى ذلك انه لا يوجد هناك طريق ثالث ، اللهم الا الانقراض والزوال من الوجود . وما يقال في هذا الشأن عن الانسان ، يقال عن سائر الحيوانات حتى أحطها مرتبة . فالحيوان ذو الخلية الواحدة ، كالاميبا مثلا ، قد زودته الطبيعة بالدوافع « الغرائز » التي تعينه على اظهار شخصيته الى أقصى حد تسمح به البيئة . وقد يفنى في هذا السبيل ، أو يتخطى جميع الحواجز والموانع

والجماعات كالافراد ، مآلها التطور — الى الوراء أو الى الامام — والا فنصيبها الانقراض والزوال . أما لماذا لا يكون ثمة طريق ثالث — الثبات والجمود أي الوقوف — فلان البيئة في تغير مستمر ، وعلى الاخص المدنية الحاضرة . وهذا ما يدفع بالامم الراقية أن توالى تعديل دساتيرها ، وقوانين محاكمها ، ولوائح أحزابها وأنديتها ، وجماعاتها ومنشآتها ومؤسساتها ، ومناهج التعليم فيها ، وفلسفاتها العامة — حتى الدينية منها — وفقا لمقتضيات الاحوال . وما يقال عن الجماعة ينطبق على الفرد ، فهو كالحيوان ذي الخلية الواحدة ، اذا عاش في بيئة أجنبية عنه ، أصبح خبيثا ، ولا سبيل للابقاء عليه . وما السرطان الا مجموعة من الانسجة التي تتألف من خليات لا تمت لما حولها من الانسجة بصلة

مدى التطور الانساني

يقول العلماء انه ليس من المحتمل ان يتطور جسم الانسان ، ولكن لا بد من تطور

حياته النفسية . ومما يتطلبه هذا التطور التعاون بين الافراد والجماعات . ولا يقصد به التعاون التلقائى الفطرى الذى يشاهد فى النمل والنحل والذئاب وبعض الطيور ، وانما يقصد به التعاون الارادي ومصدره العقل والتفكير ، لا العاطفة والوجدان . والانسان فى حالته الراهنة ، أقوى وجدانا منه عقلا ، أى انه اذا تنازع العقل والوجدان السلطة والسيادة ، انهزم العقل فى الغالب . والسبب فى ذلك ان مراكز التفكير العليا فى الجهاز العصبى ـ الغشاء السحائى فى المخ ـ أحدث فى الخليقة من مراكز الوجدان « ثلامس » . وكلما كان العضو حديثا فى خلقه ، كان أشد تأثرا بالعلل والأمراض ، ولذا يرجع الانسان فى تفكيره الى الحياة البدائية الفطرية ، كلما أصابته علة بدنية أو صدمة نفسانية

وفى الواقع أن الانسان البدائى فينا يحاول التحكم فى تصرفاتنا ونواحى نشاطنا ، كلما عجزنا عن ضبط أنفسنا والتحكم فى عواطفنا عن طريق العقل . وتبدو الطبيعة البدائية الفطرية فينا عند ما توحى الينا النفس الابتكار ، خصوصا فى الفنون الجميلة . ألا نرى فى الكثير من الشعر وعيون الادب ، والموسيقى ، والرسم ، والتصوير ، وصناعة التماثيل ، والرقص ، والتمثيل ـ ألا نرى فى هذه كلها شذوذا عن المألوف ، وخروجا عن العقل والمنطق ـ والتقاليد أحيانا ـ ومع ذلك نولع بها ونستسيغها ؟ ولم تعرض هذه الفنون فى صور معوجة ، تقبلها العاطفة ويعشقها الذوق ، ولا يسلم بها العقل ؟ لانها صورة طبق الاصل لوجدان صاحبها ، أى اللاشعورى ، أو عقله الباطن . وهذه المبتكرات التى يبدع رجل الفن فى اخراجها ، من أهم ما يعين المحلل النفسانى على تفهم نفسية صاحبها

وهناك أدلة مادية تعزز القول بأن الانسان لا يزال يعيش على حالته الفطرية الى حد كبير . مثال ذلك انه حينما كان من ذوات الاربع ، كان يعتمد على حاسة الشم فى تفهم الاشياء ، كالكلب . ولما ارتفعت قامته ، بعدت الروائح المنبعثة من الارض عن انفه ، فقلت حاجته اليها وانحطت حاسة الشم ، حتى كادت تكون عديمة النفع عنده ، فى حين ان هذه الحاسة عند الكلب تكاد تكون العامل الرئيسى فى ادراكه الاشياء ، ولذا تحتكر نحو ثلثى المخ . ولكن بالرغم من كل هذا ، فان جميع العمليات العقلية فى الانسان الى يومنا هذا متجمعة فى المخ حول مركز الشم . وكما ان علم الجيولوجيا يدلنا على ان الارض التى نعيش عليها تتكون من طبقات ، فكذلك علم النفس يبين لنا ان المخ البشرى يتألف من طبقات ، السفلى منها لا تزال حيوانية أو شبه حيوانية « Sub-human strata » وهناك ما يحمل على الاعتقاد ان الذكريات مرتبة فى المخ ترتيبا يتفق وهذه الطبقات حتى فى المراكز العليا منها . مثال ذلك ان الرجل الذي يلم بلغتين ، لغة بلاده ولغة أجنبية ، ويصاب مخه فى حادث من الحوادث ، ينسى اللغة الاجنبية ، ولا ينسى لغة بلاده ، فاذا كانت الصدمة أو الاصابة قوية نسى كليهما

ولا يفهم مما تقدم ان الانسان يعيش بالفطرة كالحيوان ، وانما نعنى ان الكثير من حياته لا تزال فطرية . بيد ان الفرق بين غرائز الحيوان وغرائز الانسان ، ان الاولى كاملة

التكوين ، بعكس الغرائز الانسانية . مثال ذلك أن البعوضة تلدغ بعد ولادتها بثوان . وقد رأى كاتب هذه السطور حديثا خنزيرة تلد ثمانية عشر خنزيرا ، فكان من أغرب المناظر ان الصغير لا يكاد يهبط الى الارض حتى يهرع فى ثوان ـ لا فى دقيقة ـ الى ثدى يرضع منه . ولم يهبط آخر خنزير حتى كانت الثمانية عشر جميعها عالقة بأمها ترضع . وقد رأينا منذ سنوات فى واجهة حانوت تجارى فى لندن آلة كهربائية للتفريخ فى عيد الفصح ، وكان الجمهور يشاهد فيه الكتكوت يفقس من البيضة وبعد دقائق يرونه يقاتل كتكوتا آخر يفقس من بيضة أخرى ، لان كلا منهما كان ينافس الآخر فى التقاط الحنطة، وقام قابيل على أخيه هابيل وقتله

لقد تطورت آراؤنا بتطور العقل ، وبذا نكون نحن اليوم غير أسلافنا بالامس . أما فيما يتعلق بوجداننا وعواطفنا ، فان المادة المصنوع منها الانسان لا تزال القرد ، على حد تعبير العلماء . قد يحمل الرجل المتمدين فى مخه مصباحا مضيئا ولكن غرائزه الاصلية لا تزال تتحرك فى ظلام دامس ، ومن هذا الظلام يستمد المرء نشاطه واتجاهاته وقوته المحركة وحيويته

تطور الجماعات

الجماعات فى تطورها كالافراد . فكما ان هناك تصادما فى تطور الافراد ، فان هناك كذلك تصادما فى تطور الجماعات. وترجع أهم النزاعات الدولية الى هذه الحقيقة، ألا وهى ان الجماعات لا تصل الى مستوى واحد من التطور فى وقت واحد . ومن أشد العوامل أثرا فى تأخر الافراد والجماعات ، الماضى . فالماضى عقبة فى سبيل تطور الافراد وتقدمهم لأسباب خاصة بالوراثة . والماضى عقبة فى سبيل تطور الجماعات لأسباب تتعلق بالتقاليد والعادات والاديان وغيرها من الاشياء المكتسبة . ويمكن القول باختصار ان اسباب التأخر فى كلتا الحالتين الوراثة . كل ما هنالك انها فى حالة الفرد وراثة بيولوجية ، وفى حالة الجماعة وراثة اجتماعية . ومن أغرب ما قيل فى هـذا الصدد ، وأبدعه تعبيرا عن سيكولوجيا الجماعات ، ما ذكره العالم الاجتماعى « ليونرد ولف » ، من ان فلسفة الجماعة واتجاهاتها ، ما هى الا آراء موتاهم ، ورغباتهم ، وأمانيهم ، وعقائدهم . وهى آراء مختمرة متبلورة ، متحجرة ، مخزونة فى ثنايا الزمان وتاريخ هذه الجماعة . وقد عرف بعضهم العقيدة ـ فلسفية كانت أو سياسية أو اقتصادية ـ بأنها ما يتلقاه الاحياء من الأموات فى صورة أوامر ونواه

والامم فى تطورها ، أسوة بسائر الجماعات ، تصطدم اليوم بقوتين مضادتين . وهما القومية المتطرفة ، والدولية

ويرى المفكرون نتيجة هذا التنازع بين القوتين فى ظاهرة غريبـة ، تشبه أعراض المرض عند المصابين بالعلل العصبية أو النفسية . وذلك انه بينما توجد حواجز طولية

تفصل حدود المملكة عن سواها فى أوربا ، اذا بنا نرى السياسيين قد اخترعوا حواجز عرضية عكسها ، واعنى بها نوع الحكم ـ نازى ، فاشى ، شيوعى ، ديمقراطى . ويقول علماء النفس ان هذا دليل على ان النظام الدولى كالافراد المصابين بالهستريا أو غيرها من الامراض العقلية ، وما هذا النظام سوى نتيجة لازمة لرغبات طبيعية مكبوتة

هل الانسان منطقى بالطبع ؟

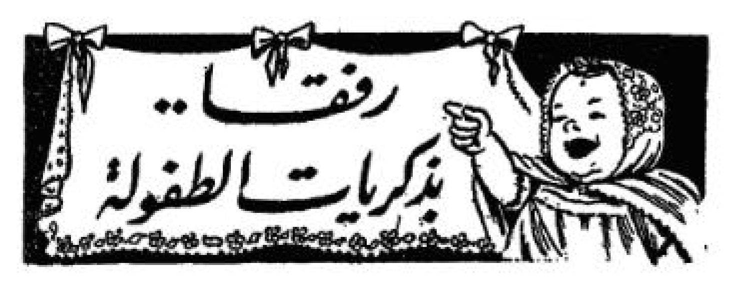
من الاقوال المأثورة أن الانسان منطقى بالطبع ، على ان الواقع يخالف ذلك . اننا بهذا القول انما نعبر عن رغبة وأمل ، لا عن حقيقة واقعة . وأقصى ما يمكن أن يقال ان الانسان فى طريقه الى ذلك، وهو طريق طويل شاق ، يستغرق مئات الالوف من السنين . ومن الغريب ان الانسان يصعب عليه ان يبلغ هدفه فى الحياة بغير المنطق ، وبالرغم من ذلك لا يلجأ اليه الا مضطرا ، أى متى كانت هناك منفعة وشيكة دانية . أما فى غير ذلك فهو أسير عواطفه وشهواته ، ساذج ، سهل التصديق ، قابل للايحاء الناتج عن طبيعته وغرائزه ، أو من أشد المصادر بعدا عن الحقيقة وأقربها للريبة والشك

وكما ذكرنا فى الكلام عن الجماعات ، يرجع الكثير من سذاجة الانسان وقابليته للايحاء الى الآراء والعادات والمعتقدات التى يتركها السلف للخلف فيأخذها هذا قضية مسلمة . ويقول العلماء ان فى مقدمة الاسباب التى تحمل المرء على قبول هذه الآراء ، واطاعتها طاعة عمياء ، بقايا عوامل الوراثة (genes) الكامنة فى جسمه ، المنحدرة اليه من اجداده وأسلافه . وعوامل الوراثة هذه هى التى تجعل للموتى هذا السلطان القوى على الاحياء، فتفرض عليهم أوامرهم فرضا ، أو كما قال صمويل بطلر ، ان مخلفات الاجيال وارثها المتراكم تجعل السلف يمشى فى الخلف ، وكان صوتا بعيدا خافتا رهيبا ، يخرج من قبور الاجيال الحالية مناديا متوسلا آمرا ناهيا : افعل هذا ، لا تفعل ذاك . لقد فعلنا هذا ، ولم نفعل ذاك ، فكان النجاح حليفنا ،

ولما كان العقل أحدث من العاطفة فى الخليقة كما سبق القول ، فان الانسان لا يزال يلجأ للسحر والشعوذة والتنجيم والزار وغيرها من الاشياء التى لا يقبلها المنطق . وليس هذا مقصورا على الجهلة ، ولكنه يشمل سواهم من الذين نالوا من التربية قسطا وافرا . وتعزى مقدرة الدجال والسحار وغيرهما على التأثير فى الرجل المثقف أحيانا ، الى ان هؤلاء يرجعون بنا الى الحياة البدائية ، وهى ليست بعيدة عنا . ومن اسهل الامور عند حلول الازمات ان يفقد الانسان توازنه ، فيخرج العقل البدائى من الكهف الذى حاول التطور ان يسدل عليه الستار فيه ، ويعود صاحبه الى الانسان الاول ـ أو الحيوان أحيانا ـ وكأنه لم يتعلم من حضارة الاجيال حرفا واحدا

والخلاصة ان المدنية لم تغير من طبيعة الافراد والجماعات الا قليلا

أمير بقطر



بقلم أم أميركية

اذكرى أيتها الأم ، واذكر أيها الأب ، ان ابنكما سيفيق يوما من حلم الطفولة ، واذا به في يقظة الرجولة يستعرضكما في مخيلته ، وينشر ماضيكما كما ينشر الوارث أوراق مورثه

ذكريات الطفولة ، سعيدة كانت أو مؤلمة ، ترافق صاحبها مدى الحياة ، فرفقا ببنيك وبناتك ، واعلم ان كل عبارة ، أو حادثة ، أو ثورة غضب ، أو نشوة فرح ، تحفر في جهاز الطفل العصبي اخدودا ، وتسجل في كتاب الحياة آثارا ، تبقى معه ما تمشت أنفاسه في صدره . لقد دلني الاختبار — كما دلني العلم الحديث — على أن الذاكرة عند بني الانسان واسعة الحيلة ، ماكرة ، مخادعة ، فوق انها في كثير من الاحوال مزعجة ، تعكر الصفاء ، وتبلبل الوجدان . قد تسمع لحنا شجيا ، أو صياحا مزعجا ، أو جملة عارضة ، لا اهمية لها في الظاهر ، وتمر بأطوار الطفولة والشباب والرجولة ، وتطوى مرحلة من مراحل الكهولة أو الشيخوخة ، وفي طرفة عين يجول في خاطرك ذلك اللحن الشجي ، أو ذاك الصياح المزعج ، أو تلك الجملة العارضة ، التي طرقت اذنيك وانت بعد في المهد صبيا ، فلم تعبأ بها أو تعرها ذرة من العناية ، بل ربما لم تدرك لها معنى في ذلك الحين

***

سمعت أمس لحنا تذيعه محطة الاذاعة على اجنحة الاثير ، فطافت بي صورة جميلة من صور الطفولة ، وشعرت بذلك الدفء الذي يسري في جسم الطفل ، فيشع من وجهه نور الغبطة ، وترتسم على فمه تلك الابتسامة الطاهرة العريضة ، التي يزدان بها الصغار . تمثلت أمامي في تلك الصورة والدتي ، تلعب أناملها بأوتار البيانو ، وعلى مقربة منها أبي يطالع صحيفة الاحد المسائية أمام المدفأة ، وأنا اداعب دميتي الجديدة قبل ان يرخي الليل سدوله ، فتحملني مربيتي الى سريري . فيا لهذه الذاكرة ، كيف استطاعت ان تنشر صفحة

الماضى المطوية ، فى هذا الثوب القشيب الواضح ، بعد ان مضى عليها عشرات من السنين ؟

لم يخطر ببال أمى فى ذلك اليوم ، ان تلك الانشودة التى عزفتها على البيانو ، ستترك ذلك الاثر فى نفس ابنتها الصغيرة ، ولم يخطر ببالها ان تعزف لحنا خاصا ، ولكن العقل الباطن لا يهمه هذا أو ذاك ، وسواء عنده أكانت الحوادث مقصودة ، أم جاءت عرضا ، وانما كل ما يهمه أن يحتفظ بالذكريات ، السيئة منها والحسنة ، ويغلق عليها الابواب والنوافذ ، ولا يفرج عنها الا فى مناسبات خاصة ، وقد يكون ذلك بعد سنوات طوال

***

وكثيرا ما تزعجنى غرائب الذاكرة ، فأفكر فى مصير أبنائى وبناتى الصغار ، وأسائل نفسى : ترى هل نستطيع ــ زوجى وأنا ــ ان نهيىء لاولادنا ذلك الجو البيتى السعيد ، الذى من شأنه ان يثير فى نفوسهم تلك الذكريات ، فيشعرون بالدفء الذى يسرى فى أجسام الاطفال ، ويشع فى وجوههم أنوار الغبطة ، ويرسم على أفواههم البسمات الطاهرة العريضة ؟ ولعل هذه الفكرة هى التى تحدو بنا ان نجلس أمام الموقد كل مساء ، نستمع للمذياع ، ونقص على الاطفال الاحاجى قبل أن يأووا الى فراشهم ، بدلا من ان نهرع الى دور السينما ، أو نقيم الولائم لاصدقائنا ومعارفنا . ولعل هذه الفكرة هى التى توحى الى الغناء والصفير اثناء تأدية اعمالى المنزلية ــ وأولادى مولعون بالغناء والصفير ــ ومن يدرى ، لعل تلك الاغانى ، بعد عشرات من السنين ، ترجع بهم الى الطفولة والبيت ، وتعيد اليهم ذكريات بديعة سعيدة !

هذه البسط الغالية ، وهذه الاوانى الفضية التى تزين المائدة ، وهذا الاثاث الفاخر ، وذلك المال والعقار ــ يظن الناس ان هذا كل ما ينتقل من السلف الى الخلف جيلا بعد جيل . كلا ! ان جو البيت : أحاديثه الساحرة ، ولياليه الجياشة ، وصرخاته المجلجلة ، وحوادثه ، المرحة منها والمروعة ، كلها آثار خالدة ينقشها الآباء والاجداد على صفحات الابناء والاحفاد ، رضوا بذلك أو لم يرضوا

***

أتدرين أيتها الام ان ما سيذكره ابنك فى مستقبل حياته من الطعام الذى تقدمينه له على المائدة ، لن يكون مقصورا على جودة الطهى أو سوئه ، ولا على وفرته أو قلته ، وانما سيشمل ما هو أهم وابقى ، ألا وهو حديث المائدة ؟ هل تتباين الناس فى حديثك ، وتشكين وتتألمين ، وتتذمرين وتختصمين ؟ اذن ، سيغتاب ابنك الغير فى حديثه على المائدة بعد عشرات السنين ، وسيشكو ويتألم ، ويتذمر ويختصم ، ويمزج الطعام بالعلقم ، والشراب بالسم المذاب . أم تجعلين فترة تناول الطعام متعة سارية ، يتناول فيها أفراد الاسرة اعذب الاقوال وأشهاها ؟ اذن ، سيتناول ابنك طعامه بعد عشرات السنين على مائدة تسرد فيها

أعذب الاحاديث واشهاها ، وتستحيل فيها فترة تناول الاكل وليمة فاخرة ، يمزج فيها الطعام بالمرح ، والشراب باللهو والمزاح

تتفقين معى ان فى حجرة المائدة يجمع شمل الاسرة ، وتعذب أحاديث أفرادها ، ولكنك تعترفين كذلك ان فيها يلقى كل منهم قنبلته . فالوالد يحمل معه من مكتبه حقيبة الهموم ، ويخرج منها كومة من الاحقاد والاغلال ، وبيد مرتعشة واعصاب متصدعة ، يبسطها بين الاقداح والاطباق. والام تبث شكواها من الاطفال والخدم وتصرفات الزوج، وهى تختنق بالعبرات . والاخ يقيم الدعوى على أخيه واخته ، ويطالب بتوقيع الجزاء مضاعفا . أتعلمين أن الاطفال الابرياء قد ينسون هذه الهنات فى بادىء الامر ، ولكنها لن تلبث ان تبعث من خفايا النفوس وبواطنها ، فتلقى على وجوه اصحابها كلفا من الوجوم واليأس ، والنظر الى الحياة بمنظار حالك السواد؟ كم من الامهات لا هم لهن سوى اسكات اولادهن وكم أفواههم ؟ وكم من الآباء ، لا يكاد الواحد منهم يدخل البيت حتى يدفن وجهه فى صحيفة المساء ، ولا يرفع منها رأسه ، الا وهو يصدر لاولاده البلاغ النهائى تلو البلاغ ، منذرا ومهددا ومطالبا بالسكوت التام ، والا فحرمانهم من الحلوى ومصروف الجيب ؟

***

وهذا يؤدى بنا الى الحديث عن العقاب والثواب . ان الطفل لا ينسى العقاب ولا ينسى الثواب . قد يكون العقاب رادعا ، وقد يكون فى القصاص حياة ، طالما كان ملائما لمقتضيات الاحوال نوعا وزمانا ومكانا ومنطقا . فاذا ما لم يكن كذلك ، كانت العقوبة اهانة للطفل لا تمحى ، وهدرا للكرامة وتحقيرا ، تتابعه كالظل طول حياته . العقوبة فى غير مكانها وزمانها ، والتى لا تتفق والذنب ، شدة وصرامة ومنطقا ، من اسوأ الذكريات واشدها ايلاما . وقد تترك فى نفس الطفل عقدا نفسية يصعب التغلب عليها . ولو علم الوالدون شيئا مما يلاقيه الاطباء النفسانيون من عناد هذه العقد ، فى معالجة مرضاهم ، لفكروا كثيرا وضبطوا اعصابهم قبل انتهار أولادهم أو تقريعهم أو توقيع العقوبة عليهم . ان العقوبة ككل شىء آخر فى حياة الاطفال ، تتبع قانون الاسباب ومسبباتها ، وعلى هذا القانون يتوقف كونها آيلة للهدم أو للبناء

وهناك الاعجاب والتقدير ، وهما من أهم ما يعلق بذهن الطفل . ان الكبير يعنى بالاطراء والمديح اذا ما أتى عملا جديرا بالاطراء والمديح ، أفلا يكون الطفل بطبيعته أشد ميلا لذلك من أبيه أو أمه ؟ كم تتألم الزوجة اذا لم يثن الزوج وغيره من أفراد الاسرة ، على لون من ألوان الطعام ، تعبت فى اعداده ، أو على ثوب من الثياب تعبت فى تفصيله وحياكته ؟ أفلا يتألم الطفل اضعاف ذلك اذا لم يثن عليه أبوه أو أمه أو كلاهما ، اذا نجح فى الامتحان ، أو حاز درجات ممتازة ، أو نال جائزة لتفوقه فى لعبة رياضية ، أو لسرده قصة طلية فى نظره ؟ ان الام ــ أو الاب ــ التى تهمل التعقيب على نكتة لطيفة

بدرت من ولدها ، أو تتجاهل عملا جديرا بالثناء أتاه ولدها ، انما تصب ماء باردا على جذوة متقدة من الذكاء والنشاط والثقة بالنفس فى صدره ، وتترك فى نفسه ألما وحزنا وحسرة ، تثبط من همته بعد ذلك بعشرات السنين . الام الحكيمة لا تفوتها فرصة ، تبعث فيها بكلمة ثناء فى أوانها لاصغر اطفالها سنا ، وبذلك تغذى ذلك اللهب الصغير الخافت ، بنسيم رقيق عليل ، فلا يلبث هذا اللهب الخافت ان يصبح على مدى الايام نارا تتأجج

وهناك شىء آخر يهجس بخاطر المرء بعد فوات عهد الطفولة بسنوات كثيرة ، واعنى بذلك تبادل العواطف ، وليونة الكلام ، ورقة العبارة ، فى الحياة اليومية بين أفراد الاسرة . ان البيت الذى ترن فى جوانبه القبلات ، وتغمر افراده عبارات الحب والتدليل والتصبى ، كالبستان الظليل الفواح ، تبقى ذكرياته حتى الموت . « شكرا لك يا عزيزى . ما اجمل هذه الزهرة فى فستانك يا أماه ! يعز على بكاؤك يا بنى ! كم أنا مشتاق لرؤيتك يا أبى ! دعنى أقبلك يا أخى ! » هذه العبارات وأمثالها من أجمل الذكريات التى يحملها الاطفال بين جنباتهم فتنفذ الى سويداء القلوب ، وتصيب مواقع الوجدان ، ثم تصبح عند استكمال الرجولة ينبوعا للدعة واللطف وجميل الطباع ، ومستودعا لرقة المعاملة وطيب العشرة وحسن العلاقات نحو الغير

***

أيها الاب ــ وأيتها الام ــ احذر الاقوال النابية التى لا تلتئم جراحها . قد تكون هذه الاقوال موجهة لغير أولادك ، ولكنها تترك فى نفوسهم آثارها ، خصوصا اذا كانت الفريسة الام أو الاخت أو قريبا أو صديقا عزيزا عندهم محببا اليهم . قد تنفعل أمام الاطفال ، فتصدر منا أعمال وتصرفات تافهة فى نظرنا ، ولكنها قد تكون جسيمة فى عيونهم . اذكر حادثة لا تزال عالقة بذهنى ، وكلما جاشت بخاطرى غمرتنى بالهم والاسى . كنت فى ذلك الحين فى الثانية عشرة من عمرى ، وقد تغيبت أمى عنا بضعة أسابيع ، فشعرت بوحشة وتألمت لفراقها ، اذ كانت معبودتى وأملى ورجائى . بيد اننى فى خلال هذه الفترة ، انغمست فى الاكل وكان نصيبى من الطعام كميات وافرة لا ضابط لها ، فازداد وزنى وانتفخت أوداجى وامتلأ بدنى بغير ان أدرى . ولما عدت يوما من المدرسة فوجئت بوصول أمى من رحلتها الطويلة ، فاندفعت بكل قوتى نحوها ، وأنا لا أعى ، وأخذت اضمها الى صدرى كالمجنونة . ولكنها بدلا من ان تقابل المثل بالمثل ، دفعت بى قليلا الى الوراء ، وألقت على نظرة تشوبها الدهشة وعدم الرضا وقالت بصوت أجش : « ما هذا يا فرنسيس ، انك مكتظة بالشحم واللحم ! »

لقد مضى على هذا الحادث التافه اكثر من عشرين عاما ، ومع ذلك امتعض كلما مر بخاطرى ، وأحس باهانة لحقت بى لا حول لى على تحملها . قد يبدو هذا غريبا ، ولكن

أليس الواقع ان الحوادث مهما صغرت ، والعبارات مهما بلغت من التفاهة وعدم الاهمية، تترك أشد الاثر فى نفوسنا ، طالما صدرت من أعز الناس وأقربهم الينا ؟

***

ومن الامور التى يجدر بالوالدين مراعاتها ، عدم المغالاة فى حمل أطفالهم على الاعتذار ، فى كل مناسبة وبغير مناسبة . الا يكون الاب مخطئا والطفل مصيبا أحيانا ، وبالرغم من ذلك يضطر الاب ابنه على الاعتذار تعسفا وظلما وعدوانا ؟ قد يقول الطفل مرغما « أنا آسف » أو « أنا مخطىء » أو « أرجو المعذرة » ولكن كلا من الاب وابنه يعرف فى هذه الحالة ان هذه كذبة ، وهى لون من ألوان الاكاذيب الصارخة ، وليست من الاكاذيب البيضاء . قد يعلم الكثير من الآباء ان الاعتذار اشق على النفس الابية من العقوبة ، ولكن القليل منهم يدرك ان بين اصغر الاطفال سنا نفوسا كريمة أبية ، يشق عليها الاعتذار ، عند ما لا يكون ثمة وجه للاعتذار ، وان الاثر الذى يبقى فى نفس الطفل من تعسف الاب أو الام قد ينساه العقل الواعى ، ولكنه يبقى دفينا فى العقل الباطن ، ويطفو من حين الى آخر من اللاشعور ، كلما أثاره ثائر ، فيسبب ألاما واحزانا

اذكرى أيتها الام ، واذكر أيها الاب ، ان ابنكما سيفيق يوما من حلم الطفولة ، واذا به فى يقظة الرجولة يستعرضكما فى مخيلته ، وينشر ماضيكما كما ينشر الوارث أوراق مورثه ، وكلما آوى الى فراشه واغمض عينيه ، يحدث نفسه ، وهو بين الحلم واليقظة : « كان أبى مرحا بشوشا ، وكان « اسبور » يلعب مع اخوتى ومعى ، ويخطف الحلوى من أيدينا ، ولا يغضب اذ شددنا أذنيه ، وعضضنا خديه وكان يسر كلما رأى دمية جديدة صنعناها من الصلصال بأيدينا ، ويصحبنا معه للصيد فى البحيرة ، والسباحة فى احواض السباحة . وكانت أمى تغنى فى رواحها ومجيئها ، وهى تقوم بطهى الطعام ، واعداد المائدة وغسل الاطباق وحياكة الثياب ، وكانت تفرح عند عودتنا من الخارج ، وتقدم لنا الحلوى من صنع يديها ، وتقص علينا الاحجية قبيل النوم » . أو على النقيض من ذلك يملى عليه لا شعوره مثل هذه الاقوال : « كان أبى عبوسا قاسيا ، يضطرنا الى السكوت حالما يعود من عمله ، ويحرم علينا اللعب فى حضرته ، ويقذف بالدمى من النافذة ، اذا ما اصررنا على اللعب بها ، ولا يصحبنا معه فى نزهته أو سيارته ، ويعامل أمى واخوتى بأشد صنوف القسوة ، وكانت أمى ترفسنى بقدمها كلما اعترضتها فى طريقها الى غرفة الضيوف ، لاريها قلمى الجديد ، وكانت تحرم على أكل ما أحب ، وترغمنى على أكل ما اكره . . » فرفقا أيها الأب ، وأيتها الأم ، بذكريات الطفولة ، لانها باقية

(عن مجلة الوالدين)



بقلم الأستاذ أحمد أمين بك

الصداقة الصادقة نعمة من أكبر نعم الحياة ، ومن رزق صديقا وفيا فقد رزق كنزا ثمينا هو خير من الأخ الشقيق. اذ لا قيمة للأخ الا اذا كان صديقا

هل لاحظت مرة جماعة من الموسيقيين يوقعون قطعة موسيقية على آلات مختلفة من عود وقانون وناى ورق ، فيتوافق الايقاع ويتناغم وينسجم ، حتى كأن الآلات المختلفة آلة واحدة فى ارتفاعها وانخفاضها وجهارتها ورقتها وبدئها وانتهائها ؟

وهل رأيت مرة نجارا دقيقا يصنع ما يسمى فى النجارة « بالعاشق والمعشوق » فيؤلف بين الاسنان فى قطعة ومكان التحامها فى القطعة الاخرى حتى اذا تعاشقتا كونتا ما يشبه القطعة الواحدة بل أمتن وأقوى ؟

تلك هى الصداقة — مزاجان متناسبان ولا أقول متحدين وغرضان متناسبان ولا أقول متحدين أيضا ، فلا بد من التنوع كالتنوع بين نغمة العود والقانون ، والتنوع بين العاشق والمعشوق ، ولكن هذا التنوع يعتمد على ذوقين متشابهين كتشابه ذوقى العواد والقانونى.. ولا بد أن يدعم هذا كله بالتناسب فى المركز الاجتماعى واستعداد كل للسير على قانون الأخذ والاعطاء لا الاخذ من جانب والاعطاء من جانب ، فهذه شروط لا بد منها فى دوام الصداقة والا كانت عرضة للتفكك السريع

***

ومن التناسب فى الصداقة ما نرى من غضوب يصادق حليما ، ومرح يصادق رزينا ، ونشيط يصادق خمولا ، وثرثار يصادق مقلا . فان فى هذا تناسبا لا اتحادا كأن كلا يشعر بناحية من نواحى نقصه أو من نواحى مبالغته ، ويجد فى الآخر ما يكمل نقصه أو يحدد من مبالغته فتكون الصداقة

ونلاحظ فى الحياة اليومية أن بعض الاشخاص سريع الصداقة سرعان ما يألف ويؤلف ، وأشخاصا آخرين لا يألفون الا ببطء ولا يؤلفون الا ببطء ، ويرجع ذلك فى الغالب الى

طبيعة النفوس ، فهناك نفوس مكشوفة تعرف بمجرد النظر اليها ، كالماء الخفيف الصافى يظهر ما تحته ، ليس بين ظاهره وباطنه الا نسيج شفاف لا يحجب ما وراءه . وهناك نفوس غامضة لا يدل ظاهرها على باطنها قد سترت بنسيج كثيف ، أو غطيت بطبقة سميكة لا تظهر الا بعد طول المراس ، بل كثيرا ما يدل ظاهرها على خلاف باطنها . ومن هذا قد يكره الشخص ثم يحب ويعادى ثم يصادق ، لان نفسه لم تنجل لاول وهلة انما تنجلى بالمران والاحتكاك واختلاف المواقف ومواطن الجد التى تظهر النفوس على حقيقتها

والصداقة كالبذرة توضع فى الارض ، فان صادفت تربتها الصالحة وغذيت الغذاء الصالح وتعهدها صاحبها بما يناسبها كبرت ونمت وصارت شجرة يانعة ، والا ماتت فى مهدها أو فى أثناء نموها . كذلك الصداقة قد تكون بنت ساعة ، وبنت شهر ، وبنت سنة ، وقد تكون صداقة العمر . ولا شىء يغذيها وينميها كالشعور بالتعاطف وبذل التضحية فى المواقف الحرجة ، ولا شىء يسمم الصداقة كشعور الصديق بأن صديقه يستغله ويصادقه لمنفعته هو ، فيوم يأتى دور التضحية ينفض يده . وأبعد الناس عن الصلاحية للصداقة من كان انانيا يتخذ الصداقة وسيلة من وسائل التجارة

***

ثم هذه الصداقة درجات كدرجات السلم ، تبتدىء بالمعرفة ثم رابطة العمل كالرابطة بين الموظفين فى مصلحة أو محل تجارى ، أو الرابطة بين أعضاء فى حزب سياسى ، أو أعضاء جمعية من الجمعيات لتحقيق غرض فاذا زال الغرض زالت الرابطة . وهكذا تتدرج حتى تصل الى أن تصبح نفس الصديقين نفسا واحدة فى جسمين ، هى فوق المنافع المادية ، وفوق تحقيق الاغراض ، وانما هى غذاء الروح وسراج الحياة وملء فراغ النفس حيث لا يملأ بدونها

والناس يختلفون فى الاستعداد لدرجات الصداقة ، وذلك بمقدار استعدادهم للتعاطف . فمن حرم التعاطف حرم الصداقة ولم يكن له الا معارف . ولذلك ترى الماديين الجشعين لا يتذوقون الصداقة ، ولا يفهمون لها معنى الا انها وسيلة من وسائل الكسب كذة العربون ، وقبض الفوائد . وكلما أمعن الانسان فى التعاطف ، كان أقرب الى تذو الصداقة بمعناها الصحيح . كذلك من أبعد الناس عن تذوق الصداقة المتشائمون الذين لا يرون فى الوجود ما يستحق التقدير ، ولا فى الناس من يستحق الاعجاب ، فهؤلاء لا يريدون صديقا يبادلونه حبا بحب ، ولكن يريدون سميعا يسمع شكواهم ووصف آلامهم ، وسبهم للدنيا وما فيها . وأكثر استعدادا للصداقة من تفتحت نفسه ، وتفتح العالم أمام عينيه ، ورأى فى الوجود شرا قليلا وخيرا كثيرا ، وانه مملوء بوسائل السعادة وعلى رأسها الصداقة

***

وكثير هم الذين نعرفهم ، ووسائل التعارف يسيرة متعددة ، فى القطارات وفى المجتمعات ولادنى المناسبات . ولكن قليلا من هذا التعارف هو الذى ينضج بكثرة الاختلاط وبمعرفة المزاج وباكتشاف النفوس ، فيتحول من معرفة الى صداقة

وأثر الصديق فى الصديق كبير وهذا الاثر يختلف باختلاف قوة الشخصية فى كل من الصديقين ، فقد يكون أثر أحدهما أكبر من أثر الآخر ، لان الاول أكبر شخصية والثانى أكبر تأثرا . ثم قد يكون للشخص الواحد جملة أصدقاء مختلفين كل الاختلاف ، وذلك عند ما يكون للشخص نواح متعددة، فهذا صديق تربطه به الناحية العقلية والفكرية وهذا صديق آخر تربطه به ناحية الشعور الوطنى ، وهذا صديق ثالث تربطه به ناحية مادية أو ناحية الاشتراك فى متعة من متع الحياة وهكذا . وهذا هو السبب فى أنه ليس من اللازم أن يكون صديق الصديق صديقا ، لان الصديق المشترك قد تكون صداقته مع طرف مؤسسة على غرض ليس موجودا فى الطرف الآخر

***

ثم الصداقة لا بد أن تتغذى لتدوم فاذا انقطعت الزيارات والمقابلات والمحادثات والمكاتبات أمدا طويلا أخذت الصداقة تذبل شيئا فشيئا حتى تنعدم أو تكاد، وغذاؤها تبادل العواطف وتبادل المشاعر ، وتبادل تفتح النفس

ولا بد لدوامها كذلك من دوام الاساس الذى اسست عليه الصداقة ، فاذا أسست على ما بين الصديقين من مزاج أو عقلية أو تحقيق غرض من الاغراض، ثم زال هذا الاساس زالت الصداقة . وهذا يفسر لنا ما يعرض كثيرا من أن صديق الصبا غير صديق الشباب غير صديق الشيخوخة ، لان الانسان فى كثير من أحواله يتغير مزاجه أو تتغير ثقافته أو تتغير نظرته الى الحياة ، فيرى بطبيعته أن الرباط الذى كان يربطه بصديقه قد تحلل وانه محتاج الى نمط آخر من الناس ليؤلف معه صداقة جديدة

وبعد فالصداقة الصادقة نعمة من أكبر نعم الحياة ، ومن رزق صديقا وفيا فقد رزق كنزا ثمينا هو خير من الاخ الشقيق . اذ لا قيمة للاخ الا ان كان صديقا ، هو نور فى الظلماء وعدة فى البأساء وأنس من وحشة وفرجة من كربة

***

والصداقة الصادقة علامة رقى الاخلاق اذ هى امتزاج الارواح وتعانق النفوس وفيض من اخلاص ودرس فى التضحية ، ومن تهيأت نفسه للصداقة تهيأ للخير يفيضه على الناس

وأدنى حدود الصداقة أن يسوءك ما يسوء صديقك ، وان يسرك ما يسره . وأعلاها ألا تعد نفسك شيئا بدونه ، ولا يعد نفسه شيئا بدونك، وان ينبض قلبك بما ينبض به قلبه . وان تتناغم مشاعرك ومشاعره

احمد امين

مصر: أم العجائب

بقلم الأستاذ فكرى أباظة بك

لعلهم وضعوا هذه « الاسطورة » فى الزمن القديم تحت تأثير سحر القديم ، وعجب القديم ، وطلاسم وألغاز القديم ..

وأظن أن محرر « الهلال » اذ فرض على هذا البحث كان متجها نحو « عجائب الزمن الحاضر » فما أنا بالمؤرخ ، ولا أنا بالاثرى ، ولا أنا بالفلكى ، ولا أنا بحلال الطلاسم والالغاز ..

***

اذا كان الامر كذلك فاسمع يا سيدى « عينات » عجيبة من الاعاجيب الحاضرة :

١ - أعجوبة الوضع السياسى

فى الدنيا كلها وضع واحد أو وضعان : دولة مستقلة أو غير مستقلة . ولكن معجزتنا السياسية ، واعجوبتنا الفقهية الدولية ، أن عندنا استقلالا واحتلالا فى آن واحد . وللاستقلال مظاهر وحقائق . وللاحتلال مظاهر وحقائق . وحين تمترك هذه مع تلك تنجلى الاعجوبة المصرية وتلد الفوضى حتى يشاء الله ..

٢ - الاعجوبة البرلمانية

طغى أثر هذا الخليط من الاستقلال والاحتلال على وضعنا البرلمانى . فالبرلمان فى كل أمة ودولة هو صاحب السلطان الاعلى والرأى النافذ ، أما اعجوبتنا المصرية فيه فهى انه احتفظ بالسلطان الاسمى وفقد السلطان الفعلى . وتمخض هذا الوضع العجيب عن أن الوزارات هى التى تسقط البرلمانات وتحل البرلمانات ، فما استطاع برلمان واحد ان يسقط وزارة واحدة . ولا أن يحل وزارة واحدة

٣ - الاعجوبة الحزبية

وفى كل الدنيا احزاب تتلون وتختلف بحسب ألوان المبادىء والخطط وتباين المبادىء والخطط . ولكن أحزابنا المرشحة للحكم جميعا تتفق فى المبادىء والخطط ولكنها تختلف فى أسماء الاحزاب فهى « تشكيلات » سياسية مبدؤها الزعيم ، وخطتها الزعيم ، وهدفها « لاظوغلى » وهذه اعجوبة مصرية لا مثيل لها فى العالم أجمع

٤ - الاعجوبة الجغرافية

عند ما تمنح الطبيعة أمة من الامم منحها الطبيعية تستغلها تلك الامم وتستفيد منها وتقوى وتدعم . وقد منحتنا الطبيعة وضعا جغرافيا عديم النظير فكنا « همزة الوصل » بين القارات والبحار ، نصل حضارة الشرق بالغرب ، ومدنية الدنيا القديمة بالدنيا الجديدة ، فنحن « الجمرك الدولى » للتجارة والصناعة والمواصلات . ولكن الاعجوبة ان هذه الميزة الطبيعية كانت علينا كارثة ، فلم نقبض وانما دفعنا من خيراتنا ، وحرياتنا ، واستقلالنا ، الضريبة القاسية للعالم أجمع - ولا نزال ندفع - ولا ندرى الى متى نستمر ندفع !

٥ - الاعجوبة الوزارية

عند ما تتألف وزارة جديدة فى الدنيا بأسرها يكون « رأس مالها » الاصلاح العام الذي يكون « شهادتها » أثناء الحكم وبعد الحكم . ولكن كثيرا من الوزارات فى مصر تبدأ « بحماية نفسها » و «التلغيم لغيرها» وهذه السياسة تسمى سياسة «حفر الآبار وتسميمها» فالمزاد العلنى الذى جعلته الوزارات تقليدا لارضاء الجماهير وكسب معركة الدعاية ورط وسيورط « خزانة الدولة » ولو استمر الحال على هذا المنوال فالمصير المحزن أمره عند الله . .

وعلاجه عند الله . .

٦ - أعجوبة الحزبية المدرسية

هذه اعجوبة من نوع غير النوع الذى تكلمت عنه . أقصد الحزبية فى المدارس ، فقد اكتوى كل حزب حكم بنار الطلبة . واكتوى الطلبة بنار الاحزاب . واكتوت الامة بالنارين معا . ومع ذلك لا تزال تجد فى الجامعة وفى كل مدرسة فروعا للاحزاب المختلفة بين الطلبة . وفرقا للاحزاب المختلفة بين الطلبة . ولو كان هؤلاء القساة الغلاظ الاكباد - واقصد بهم زعماء بعض الاحزاب - يدركون البدهى من الواجبات الابجدية لاتفقوا على حل هذه الفروع وهذه الفرق لمصلحتهم أولا - ولمصلحة الطلبة ثانيا - ولمصلحة الوطن أخيرا

ولكنها : اعجوبة . .

٧ - أعجوبة التعليم والقضاء

فى الدنيا كلها « مدرسة واحدة » و « قضاء واحد » . ولكن اعجوبتنا المصرية أن الاسرة الواحدة يتبع أبناؤها مدارس متعددة : فعندنا « الازهر » - والمدارس الفرنسية -

والمدارس الانكليزية ـ ومدارس الطوائف ـ وخريجو هذه الالوان المختلفة قد يجتمعون كلهم فى بيت واحد بثقافات متباينة وأذواق متباينة وهنا الارتطام والاصطدام !

وفى القضاء اختلفت الالوان والاختصاصات فعندنا محاكم شرعية ـ ومختلطة ـ واهلية ـ ومجالس حسبية ـ ومجالس ملية ـ وكل هذه وتلك ترتطم أحكامها وتتصادم وتولد المشاكل فلا بد من « توحيد القضاء » !

***

أما تكفيك يا سيدى المحرر هذه « الاعاجيب السبع » ؟!
أليست مصر هى أم العجائب ..
حسبنا الله ..

فكرى أباظة
المحامى

جوائز نوبل

أعلنت أخيرا أسماء العلماء الذين منحوا جائزة نوبل فى علوم الطبيعة والكيمياء والطب ووظائف الاعضاء عن عامى ١٩٤٣ و١٩٤٤ ، ونذكر فيما يلى بيانا بأسماء هؤلاء العلماء ونبذا موجزة عن أعمالهم :

الطبيعة : نالها عن عام ١٩٤٣ الاستاذ شترن من معهد كارنيجى فى بيتسبرج بالولايات المتحدة تقديرا لابحاثه فى قياس العزم المغنطيسى للنواة والبروتون والالكترون . وهو أحد الفارين من ألمانيا عام ١٩٣٣

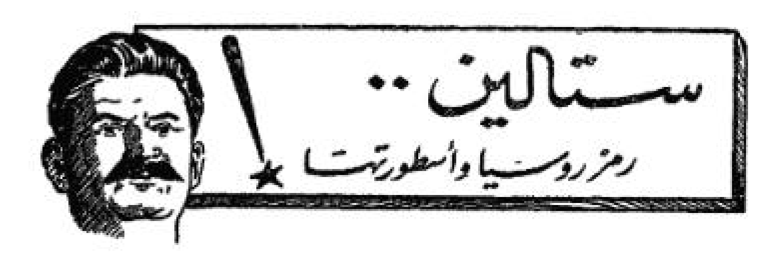
ونال الجائزة عن عام ١٩٤٤ الاستاذ رابى استاذ علم الطبيعة بجامعة كولومبيا تقديرا لابحاثه الخاصة فى استخدام الاشعة الجزيئية فى دراسة خواص نوى الذرات ، وفى قياس العزوم المغنطيسية وعزوم اللف الذرية والجزيئية قياسا دقيقا

الكيمياء : استحقها عن سنة ١٩٤٣ الاستاذ هفسى من معهد الطبيعة النظرية فى كوبنهاجن تقديرا لابحاثه على راديوم د وتتبع الخطوات المتوسطة فى التفاعلات الكيميائية والحيوية العادية بجعل بعض العناصر الداخلة فى هذه التفاعلات مشعة قبل التفاعل

واحتفظ بجائزة ١٩٤٤ ولم تمنح لاحد

الطب وعلم وظائف الاعضاء : منحت للاستاذ دام والاستاذ دويزى مناصفة عن عام ١٩٤٣ وقد أكتشف الاول فيتامين ك بينما حقق الثانى تركيبه الكيميائى . والاول دانيمركى والثانى أمريكى

ومنحت جائزة ١٩٤٤ للاستاذ أرلانجر المدرس بجامعة سان لويس سابقا والاستاذ جاسر مدير مؤسسة روكفلر فى نيويورك مناصفة لابحاثهما على الجهاز العصبى



بقلم الصحفي الامريكي ريتشارد لونرباخ

الجميع في روسيا يمجدون ستالين ، بقصيدهم ان واتاهم الشعر ، وبهتافهم ان كانوا لا يقرضون شعرا . فالجنود يندفعون في ساحات القتال هاتفين ، من أجل ستالين Za Stalina ويا له من هتاف يتضاءل أمامه هتاف الالمان : هيل هتلر !

الرجل الخالد

بلغ ستالين سن الخامسة والستين يوم ٢١ ديسمبر من العام المنصرم . والروسيون على يقين بأنه لن يعود شابا مرة أخرى وانه لن يخلد فى هذه الحياة ، ومع ذلك فانهم لا يفكرون مطلقا فى موته وما يعقبه من النتائج . كنت ذات مرة أتناول العشاء فى بيت من بيوت موسكو ، وأردت أن أثير هذا الموضوع متسائلا ، من الذى سيخلف ستالين ؟ وكانت العائلة التى تستضيفنى من عائلات الطبقة الوسطى فيما مضى ، فكانت اجابة أفرادها دلالة طيبة على وجهات النظر التى تتخذها الاجيال المختلفة : جيل الشباب ، وجيل الآباء ، وجيل الاجداد

أما الأم ، وهى ممثلة فى الاربعين من عمرها ، فقالت فى نبرة تدل على الثقة والاقتناع، انه من أهل جورجيا ، فهو لن يموت مطلقا ، ان هؤلاء القوم يعيشون الى الابد

اما الجدة العجوز ، التى تساقطت أسنانها ، والتى ظلت طول حياتها متمسكة بأهداب الدين والعبادة ، فقد قالت فى كلمة خاطفة منزعجة ، وهل يرضى الله بذلك !

اما الحفيد الشاب الذى أصيب بجرح خطير فى كتفه ، اذ كان يحارب مع جماعات « الانصار » فقد نظر الى أمه وقال وكأنه يقرر الامر الواقع ، أظن ان ستالين « الرجل » سيموت يوما ما ، أما ستالين « المثل الاعلى » فسيظل حيا الى الابد

لقد هبطت موسكو منذ بضع سنوات بعثة أجنبية واستفتت الرأى العام فى موقفه من ستالين ، على الطريقة التى تتبعها معاهد الاستفتاء الامريكية . فتبين لها أنه يوجد فى روسيا من يكره ستالين ، ولكن ليس فيهم من له شوكة نافذة أو صوت مسموع . اما

اليوم ، بعد اربع سنوات فى هذه الحرب التى سماها ستالين « الحرب الوطنية الكبرى » ، فقد اتحد الشعب الروسى كله أكثر مما اتحد فى أى يوم مضى وراء الديكتاتورية القائمة. فلم يعد فى وسعه أن يتصور الاتحاد السوفياتى الا وعلى رأسه ستالين ، كما لا يستطيع الامريكيون أن يتصوروا الولايات المتحدة دون الدستور ، أو الانجليز أن يتصوروا انجلترا دون مجلس العموم .. بل لقد صار ستالين محاطا بجو من الاوهام والاسرار ، كهذا الجو الذى يحيط بالانبياء والقديسين !

انهم ينسبون اليه كل شىء فى روسيا . ففى آخر ترجمة رسمية لحياته ذكرت له أعمال باذخة ومشروعات خطيرة تملأ ميادين الزراعة ، والتعليم ، والجيش ، والقتال ، وشق القنوات ، والاكتشافات القطبية ، وقوانين المزارع الاجتماعية . وهو كذلك واضع دستور سنة ١٩٣٦ . وقد أعلن أحد زعماء الحزب الشيوعى ذات مرة : « انه ليس من اليسير أن نلم بشخصية ستالين بجميع نواحيها المتعددة الجبارة ، فما من اصلاح خطير فى حياتنا ، وما من تجديد فى دولتنا ، وما من اتجاه سياسى ذى أهمية ، بل ما من شعار اتخذناه فى أية ناحية الا كان من وضع الرفيق ستالين وتفكيره »

ولا يفكر الروس فى أن ستالين لا يمكنه ان يصدر كل ما ينسب اليه من أفكار وأن يؤدى كل ما يتسم باسمه من أعمال ، الا اذا قام بست معجزات فى وقت واحد كما يقولون .. وهم لا يفكرون فى هذا لان الافكار تصدر والاعمال تؤدى ، وكل ما يقرأونه وكل ما يسمعونه يقول لهم ان ستالين ، وستالين وحده ، هو الذى فكر وقدر ، وهو الذى عمل وأدى ..

وأول مظهر من مظاهر هذا الجو الذى يغمر ستالين بالاوهام والاسرار ، ما يذاع عن هذه الثقافة الحافلة الضخمة التى يزخر بها رأسه الجبار . وهى ثقافة نظرية وعملية من الطراز الاول يقصر دونها المتفرغون للعلم والدراسة . فخطبه وأحاديثه مرصعة غالبا بمقتطفات من الادب الاغريقى ومن فلسفة أفلاطون وارسطو ، ومن آراء هيجل ونيتشه ومن آيات الانجيل والتوراة ، ومن أقوال ماركس وانجلز ولينين . ثم هو على علم وثيق بجميع الكتاب والادباء العظماء الذين انجبهم الشعب الروسى طوال تاريخه الادبى ، ومن المفروض فيما يذاع عنه من ألوان الدعاية انه يعلم عن شكسبير وديكنز وكوبر مثلما يعرف الاستاذ فى جامعة اكسفورد . ومن الطبيعى أن يكون حول ستالين ، ما حول روزفلت وتشرشل ، من الاعوان الذين يساعدونه فى اعداد خطبه وأقواله وتلخيص ما يعنيه من المؤلفات الاجنبية ، بل ويعملون معه فى صقل الكلمات التى يرسلها لتكون شعارا للشعب تتداوله الالسن وتمتلىء به الاذهان .. ولكن الروس لا يعلمون شيئا عن هؤلاء الاعوان ، واذا علموا فانهم ينكرون على عقولهم ان تصدق أن ثمة من يعمل شيئا سوى ستالين ذاته !

وربما كان السر فى قدرة ستالين على ان « يقوم بست معجزات » هو انه لا يقوم بها

جميعا فى وقت واحد . بل ان عنده القدرة على ان ينحى كل شيء جانبا ليركز جهده وفكره ووقته فيما يعرض له من المسائل حتى ينتهى منها . فيقول لك الروسى مثلا انه عند ما كان « سيرجى اليوشن » يضع تصميم طراز جديد من الطائرات أبعد ستالين عن مكتبه كل شيء سوى هذا التصميم الذى انكب على دراسته طويلا حتى ألم بجميع تفاصيله ودقائقه ، ثم اقترح على صاحبه اقتراحا مهما أدى الى التبسيط فى بناء الطائرة والاقتصاد فى الزمن اللازم لبنائها . وسيقولون لك انه عند ما أزمع « بابانن » الرحلة الى القطب الشمالى صار ستالين اخصائيا فى مناطق القطب واجوائه ، وتولى بنفسه الاشراف على الجهود التى بذلت لانقاذ الرحالة وبعثته حين تقطعت به السبل فى بعض انحاء القطب . وعند ما أريد اعادة النظر فى نظام تموين موسكو بالماء ، تفرغ ستالين لدراسة خريطة المدينة وما يقتضيه المشروع الجديد من جهد ومال ، فأدت هذه الدراسة ـ فيما يقول الروسيون ـ الى الكشف عن نقائص فى هذا المشروع ترتب على تلافيها اقتصاد ملايين من الروبلات

حياته الخاصة

ويعرف الروسى العادى عن ستالين أقل مما يعرف الامريكى العادى . وقد رآه أهل موسكو بضع مرات فى أثناء الحفلات العامة التى تقام فى الميدان الاحمر فى الاعياد والمناسبات ثم هم يرون صورته فى كل صحيفة ، وفى كل منتدى عام ، وفى كل مكتب من مكاتب الحكومة ، كما يرون تمثاله فى كل ميدان وعلى ناصية كل طريق . وهم يستطيعون ان يقولوا لك انه الآن فى الخامسة والستين ، وانه قصير القامة الى حد ملحوظ اذ يبلغ طوله خمس أقدام وخمس بوصات ، وانه ثقيل الوزن فيبلغ مائة وستين رطلا انجليزيا . وان كتفيه مقوستان ولكن بذلته الرسمية تبديه عريض المنكبين . وهو ضخم الرأس ، منفوش الشارب ، داكن البشرة . ولكن الروسيين لا يعرفون أن أسنان فكه الاعلى سوداء وسمراء ، واسنان فكه الأسفل متآكلة متعفنة . وهم يعرفون أنه يدخن فى غليونه دائما ، ولكنهم لا يعرفون أنه يؤثر الطباق الامريكى على الطباق الروسى

ويعرف اكثر الروس ان ستالين تزوج مرتين ، وانه أنجب ثلاث مرات . وهم لا يعرفون عن حياته العائلية سوى هذا . . أما الذى يعرفونه عنه جميعا معرفة تامة فهو انه سجن ثمانى مرات ، وانه نفى الى سيبيريا سبع مرات ، وانه فر من منفاه ست مرات . وانه من ابوين فقيرين من أهل جورجيا ، وكان وحيد والديه فأرادا ان ينشئاه قسيسا ، ولكنه وجد فى نفسه استعدادا للآراء الثورية اكثر من استعدادها للاتجاه الدينى . وسيقول لك الروس انه بينما كان لينين وتروتسكى يعيشان خارج روسيا ويدبران الثورة بالرأى والمشورة فحسب ، كان ستالين يعيش فى روسيا ، فى سواد الثورة وأتونها ، حيث ساهم فيها بكتابة المنشورات وطبع الجرائد وتخريب المصانع وحمل السلاح ضد أعداء الثورة

ويصوره الروسيون فى صورة الرجل الوديع المتواضع . ولكن هذا لم يؤد به الى انكار ما يقام له فى كل مكان من مظاهر التجلة والاكبار . ففى كل جهة من انحاء روسيا نجد اسمه على كل شىء : على الحدائق الكبيرة ، وعلى المصانع الضخمة ، وعلى خطوط السكك الحديدية ، وفى روسيا خمس مدن كبيرة تحمل اسمه، هى ستالينجراد، وستالينبار، وستالينو ، وستالينسك ، وستالينا جورسك . وكل موسم موسيقى يشتمل برنامجه على نشيد خاص بستالين تبدأ وتختم به الحفلات . وفى الصيف الماضى عند ما كان الهجوم الروسى على أشده ، والصحف لا تجد مجالا لاذاعة جميع أنبائه ، لم تجد صحيفة برافدا بأسا فى أن تخصص صفحة من صفحاتها الاربع لقصيدة أنشأها أحد الشعراء فى مدح ستالين وتمجيده . وأدنى الموضوعات الى قلوب شعراء روسيا وأقلامهم هو انشاء الشعر فى أمجاد ستالين وجلائله . وهذه فقرات من احدى هذه القصائد :

« انه قوة الفقير وسنده

« فقد جمع فى نفسه دموع الاجيال الماضية

« وجمع فيها أفراح الاجيال الماضية

« وملأ قلبه بحكمة الاجيال الماضية

« وأعد نفسه بقوة الاجيال الماضية

« انه ، كضوء الصباح ، يغمر الدنيا بأسرها ! »

والجميع فى روسيا يمجدون ستالين ، بقصيدهم ان واتاهم الشعر ، وبهتافهم ان كانوا لا يقرضون شعرا . فالجنود يندفعون فى ساحات القتال هاتفين: من أجل ستالين Za Stalina ويا له من هتاف يتضاءل أمامه هتاف الالمان : هيل هتلر !

والنساء المجندات يسرن كل مساء فى شوارع موسكو ، عائدات من مصانع الذخيرة والسلاح الى الحمامات العامة حيث يغتسلن ، وقد عقدن المناشف فوق الرؤوس والاكتاف العريضة ، وهن ينشدن الاغانى والاهازيج باسم ستالين

ويعرف الروسى العادى أن ستالين يعيش فى الكرملين . والكرملين ليس بناء واحدا ، بل أربعين بناء تحيط بها أسوار ضخمة شاهقة، وهذه المبانى قصور، ومتاحف، وكنائس، وثكنات ، ومكاتب ، وردهات كبرى . ولكن قليلا من الروسيين من يعرف ان ستالين قلما يبيت فى الكرملين ، بل فى بيت يبعد عن الكرملين بالسيارة الخاطفة اربعين دقيقة . وكان هذا البيت ملك أحد أصحاب الملايين التى جمعها من منجم ذهب كان يمتلكه فى عهد القيصرية

ويستيقظ ستالين من نومه فى الحادية عشرة صباحا ، وبعد فترة وجيزة ، يندفع فى سيارته الكبيرة السوداء ، المصنوعة من فولاذ مضاد للقذائف ، الى مقر قيادة الجيش الاحمر ، حيث يمضى بضع ساعات فى دراسة التقارير التى ترد باللاسلكى من جبهات القتال . ثم ينتقل الى مكتبه فى الكرملين ــ هذا المكتب الفسيح الذى كسيت جدرانه بأربع

صور لفلاسفة الشيوعية وزعمائها : ماركس وانجلز ولينين وستالين . وقد أضيفت الى هذه الصور بضع صور أخرى فى سنة ١٩٤٣ حينما صار ستالين « ماريشالا » ، وهذه هى صور القواد النوابغ الذين أظهرتهم روسيا القيصرية وهم الكسندر نفسكى بطل روسيا فى القرن الثالث عشر ، وسيفوروف الذى استولى على وارسو سنة ١٧٩٤ ، وكيتوزوف الذى هزم نابليون عند سمولنسك سنة ١٨١٢

ويمضى ستالين وقته فى عمل دائب عنيف ، حتى تكون الثالثة أو الرابعة بعد الظهر فيتناول غداءه فى مكتبه ، ويجرع كوبا من الشاى البارد ، ويستأنف عمله توا حتى الحادية عشرة مساء ، حيث ينتقل الى جناحه الخاص فى الكرملين فيتناول عشاءه الذى يستغرق من ساعة الى ثلاث ساعات ، يتباحث فى خلالها مع مدعويه من رجال الجيش والحزب والدولة فى أمور الحرب والسياسة والادارة . ويأكل ستالين كثيرا ولكنه يقتصد فى شرابه ، وان كان فى بعض المآدب يجرع ثلاثين كأسا من الفودكا ، وهو شراب قوى التأثير ، دون أن يبدو على وجهه أثر ملحوظ الا نفحة من نفحات المرح والظرف

وقد أجهدت هذه الحرب ستالين اجهادا عنيفا ، وهو يحس فى اطرافه واعصابه هذا العبء الثقيل الذى احتمله طوال الحرب ، ليقود أضخم جيوش الارض ، وليدير أكبر دول العالم ، وليتولى أمر أكبر وأقوى حزب عرفه التاريخ .. ولهذا فان كلمة « اذا عشت » تقفز الى خاطره ولسانه كلما تحدث عن أمر من أمور المستقبل . والارجح ان يتخفف من أعبائه الثقال بعد ان تضع الحرب أوزارها ، ويقنع بوظيفته الاولى ، وظيفة سكرتير الحزب الشيوعى . وثمة ثلاثة رجال يعدهم ستالين ليقتسموا العمل الذى يقوم به بمفرده ، هم زوكوف فى شؤون الحرب ، ومولوتوف فى رئاسة الحكومة ، وزادانوف فى رئاسة الحزب الشيوعى

وزادانوف هو المرشح الاول لخلافة ستالين فى زعامة الشعب الروسى ، وهو رئيس الجمهورية الروسية ، احدى وأكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتى الست عشرة ، وهو سكرتير الحزب الشيوعى فى لينتجراد ، وهو خطيب شعبى ممتاز وعلى جانب كبير من الثقافة السياسية الدولية . وهو الى هذا من رجال الجيش ، وقد حارب فى الحرب الماضية ، ثم تحول الى البلاشفة منذ بداية الثورة ، وقد تولى أمر الدفاع المجيد عن مدينة لننجراد فارتدت عنها القوات الالمانية مهزومة كسيرة . وله مركز ممتاز فى الحزب الشيوعى ، فكان رئيس مكتبه للدعاية ، كما كان رئيس اللجنة السوفيتية العليا للشؤون الخارجية . وقد قال أحد السياسيين الانجليز ان زادانوف هو واضع السياسة الخارجية الروسية اما مولوتوف فهو الذى ينفذها فحسب . وكل هذه المؤهلات تزكيه ليكون خلفا لستالين ، بعد أن كان المظنون فيما مضى أن أحق الناس بخلافته هو فوروشيلوف القائد ، أو مولوتوف السياسى

طرائف عن ستالين

يمتاز ستالين بنواح انسانية جمة يطيب للكتاب الروسيين والاجانب ان يتحدثوا عنها. فهو الى حد ما ، رجل لبق الحديث طيب الفكاهة . سأله ويلز : هل تفكر فى تغيير وجه العالم تغييرا كاملا . فأجابه فى بساطة : لا ، لا تقل تغييرا كاملا ، بل تغييرا بسيطا . فهو يدرك الدور الخطير الذى يؤديه فى تاريخ الانسانية المعاصرة ، ويدرك النتائج الكبيرة التى ترتب على كل ما يقوم به فى ميدان السياسة والقتال

وستالين محافظ كل المحافظة من الوجهة الخلقية . فمنذ سنوات كان الاديب السوفيتى الشاب كونستانتين سيمونوف ينشر فى الصحف مقطوعات غزلية موجهة الى احدى الممثلات البارزات . وكان الناس يتتبعون هذه القصة الغرامية بقلوب واجفة كأنهم يعيشون فى العصور الخيالية الماضية . ثم طبع الشاعر هذه القصائد فى كتاب ، فلما سئل ستالين فيها ، قال : مثل هذه الكتب لا يصح ان يطبع منها أكثر من نسختين : نسخة للعاشق وأخرى للعشيقة . وسرعان ما سحب الكتاب من المكتبات ، لان الشعب الروسى لا يحب أن يقرأ شيئا يستهجنه ستالين . أما الشاعر فقد تزوج من الممثلة ولكنه أقلع عن الشعر وعكف على الصحافة والتأليف المسرحى

وستالين يقرأ ويقرأ كثيرا حتى فى هذه الايام . فمنذ ما أصدر ايليا اهرنبورج الجزء الاول من قصته عن « سقوط فرنسا » استدعاه ستالين بعد صدورها بأيام ، وقال له انه لم يقس على الالمان القسوة الواجبة ، فصدر الجزء الثانى حافلا بالحقد المرير على النازية ورجالها

ومنذ سنوات اذاعت بعض الصحف الامريكية أن ستالين مات ، وان رجاله يخفون هذه الحقيقة عن الناس . والصحف الامريكية الصفراء تميل دائما الى نشر مثل هذه الانباء التى يقرأها الناس وأفواههم فاغرة من الدهشة . وأرسل أحد هؤلاء الصحفيين الى ستالين يسأله : لماذا لا يكذب هذا الخبر ؟ فرد عليه ستالين قائلا : « ان المرء لا يستطيع أن يكذب الصحف الامريكية والا حذف اسمه من قائمة المتمدنين . ولهذا فانى أرجوك أن تصدق هذه الصحف ، ولا تقلقنى فى حياتى الهادئة فى العالم الآخر ! »

ومن الفكاهات التى اذاعتها موسكو عن ستالين انه فى مؤتمر طهران اهدى امبراطور ايران لتشرشل فتاة فى الحادية عشرة من عمرها ، احياء للتقاليد الشرقية القديمة التى كانت تجيز اهداء الفتيات للملوك والامراء . وكان هذا المؤتمر معقودا لبحث مسألة فتح الجبهة الثانية فى أوربا ، فأخذ ستالين يندد بتباطؤ الانجليز فى فتح هذا الميدان . فلما سأل روزفلت : وماذا يفعل تشرشل بفتاة فى الحادية عشرة ، أجاب ستالين من فوره : انه الى أن يعزم تشرشل على التزوج منها تكون هذه البنت الصغيرة قد بلغت سن الزواج ، بل جاوزته كثيرا

(عن مقال فى صحيفة لايف للصحفى الامريكى ريتشارد لوترباخ)



بقلم الأستاذ كامل كيلانى

كان صاحبى - أيها القارىء - مولعا بالاساطير الاصيلة يرى فيها - كما أرى - أنها تعبر عن الحقائق المستسرة الخافية أصدق تعبير ، وان خيالها الرائع يجلو من الغوامض والخفايا ما لا تجلوه المقالات المستفيضة . كما تجلو الصور الكاريكاتورية من دقائق المعانى التى يرمى اليها المصور ما لا يجلوه البيان العالى . وكما يجلو مجهر العالم من خصائص الذرة ما لا تجلوه ألف عين مبصرة

وكان لهذا يعجب بمحاورات كليلة ودمنة وأمثالها ولا يفتأ يفسر رموزها البارعة ويوضح الصلات الفنية التى تربطها بحقائق الحياة ، وربما جرى فى أسلوبه - على طريقتها - عن غير قصد منه

وقد دار بينى وبينه منذ أيام حديث ممتع أنا محدثكم بطرف يسير منه ، قال :

لقد حدثتنى أمس عن ذلك الوادى الخصيب ، ورويت لى كيف كان مضرب الامثال فى وفرة الغلات وطيب الفاكهة وناضج الثمر ، حتى اطلق عليه القاصى والدانى اسم « وادى الذهب » ، لوفرة ما يحويه من فنون الثراء . وقلت لى ان الاخوين البخيلين اللذين آل اليهما ملك هذا الوادى ، قد حرما أخاهما الثالث ، كما حرما سكان الوادى جميعا كل ما يفيض به من خير عميم ، وان قسوتهما لم تقف عند هذا الحد ، بل تمادت بهما فدفعتهما الى مطاردة طيوره والقضاء على بلابله وكروانه ، ليستأثرا وحدهما بكل ما ينتجه من كنوز وخيرات

وقد وقف بك الحديث عند الخاتمة المفزعة التى انتهى اليها بخلهما وقسوتهما وما افعمت به نفساهما من أنانية واستئثار ، وكيف اعماهما الطمع عن ذلك الاصغاء الى نصيحة أخيهما الثالث الكريم القلب الطيب السجايا . وكيف انتهى ذلك كله الى النهاية المحتومة فعصفت بالوادى عواصف هوج بعث بها الغضب الالهى ، فالتهبت اشجاره ، واحترقت ثماره ، وغاض بهاؤه ، وجف ماؤه

فحدثنى - أيها الصديق - كيف استرد ذلك الوادى نضرته ، واستعاد بهجته ، وماذا فعل الاخوة الثلاثة فى رحلاتهم ، بعد أن قص عليهما ثالثهما حديثه العجيب مع الملك السماوى الذى أفضى اليه بسره المضنون به على غير أهله ؟ فقلت له :

زعمت الأسطورة ان الاخوين القاسيين تسابقا الى السفر ، وكلاهما يضمر لصاحبه

الشر ، وأسرع الاول الى زجاجة فارغة فملأها من النبع المبارك الذى اطلع الملك أخاه الثالث على سره ، وما كاد يملأ الزجاجة حتى بادر الى هدفه وظل يواصل السير فى جبال الوادى وهضابه ليالى وأياما حتى بلغ منها مكانا مجدبا قائظا ، وما لبث أن أضناه السير وأجهده العطش ، ففتح الزجاجة ليشرب قليلا من مائها ، وما كاد يدنيها من فيه حتى أبصر كلبا صغيرا يحتضر وقد تدلى فوه وجفت شفتاه وتوسل اليه الكلب أن يمنحه قطرات قليلة من الماء يستعيد بها الحياة ، فلم يأبه له ، بل شرب من الزجاجة ما أروى ظمأه ، ثم سار فى طريقه بعد أن ركل الكلب بقدمه

وهنا تحدثنا الاسطورة أن الغضب استولى على كل ما يكتنفه من أرض وسماء فضاعفت الشمس من حرارتها ، وتشققت الصخور من قسوة ذلك الاناني ، فامتلأ الطريق اخاديد وحفرا ، وامتلأ الجو بالاعاصير والزوابع ، فرفع الزجاجة الى فيه وقد عاوده الظمأ ، ولم يكد يدنيها من شفتيه حتى أبصر طفلا صغيرا يعانى من الظمأ المهلك أضعاف ما يعانيه، وقد استسلم للردى ، واستعطفه الطفل أن يجود له ببضع قطرات من الماء ، فلم يبال به ، وتجرع من الزجاجة ما روى ظمأه ، وسار فى طريقه لا يلوى على شىء ، فاشتد الغضب الالهى عليه ، وضوعفت مصاعب الطريق ومتاعبه ، وزاد به الظمأ فرفع الزجاجة الى فيه ليشرب منها ما يرويه وانه ليهم بذلك اذ ابصر شيخا يعانى من سكرات الردى وآلام الاحتضار ما يذهله ، وقد علت وجهه صفرة الموت وغارت عيناه . وأشار اليه الشيخ مستعطفا أن يمنحه قطرات من الماء تعيد اليه الحياة ، فلم يعبأ به ، بل تخطاه مزدريا به ساخرا منه ، ثم شرب ما بقى من الزجاجة ولم يبق منها الا ثلاث قطرات من الماء ليلقى بها فى منبع النهر ــ كما أوصى الملك أخاه ــ ليعود النهر سيرته الاولى ويسترد الوادى بهجته ونضرته

قال راوى الاسطورة : وما كاد يفعل حتى زلزلت الارض زلزالها ، وقذفت الجبال نارها ، ودوت الرعود واشتد قصفها وغاصت به الارض فابتلعته ثم لفظته من جوفها الى ظهرها مرة أخرى فاذا هو صخرة من الفحم صماء ، أو فحمة من الصخر سوداء

قال صاحبى : لقد لقى جزاء أنانيته وبخله وقسوته ، فماذا لقى أخوه الثانى من جزاء ؟

قلت : مثل ما لقيه أخوه الاول بالسواء ، ومسخ الى جانب أخيه فحمة من الصخرة قاتمة ، أو صخرة من الفحم قاتمة

قال : فماذا صنع أخوه الثالث الرحيم

قلت : سقى الكلب الظمآن ، والطفل العطشان ، والشيخ الدالف الى رمسه ، وآثرهم جميعا على نفسه ، لانه كان ممن يؤثرون على أنفسهم ، ولم يبق فى الزجاجة قطرة واحدة من القطرات الثلاث التى أوصاه الملك بقائها فى قارورته لانجاح سعيه والظفر بطلبته

قال صاحبى : وهل عاد من رحلته صفر اليدين ؟

قلت : بل ناجح المسعى قرير العين

قال : وكيف حصل على القطرات الثلاث ؟

قلت : ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، فقد لقيه ملك الوادي وأهدى اليه زهرة عليها قطرات ثلاث من الندى ثم هزها الملك مترفقا باسما فاستقرت في الزجاجة ولم يكد ذلك المحسن يلقى تلك القطرات في منبع النهر حتى فاض بالخير العميم وعاد النهر سيرته، واسترد الوادي بهجته ، وتبدل الشقاء نعيما ، والجدب خيرا عميما ، وهكذا سعد جيران الوادي وساكنوه ، وأصحابه وأهلوه ، وتفتحت أكمام الازهار ، وامتلأ الشجر بأطيب الثمار ، وتكدست الاقوات ، وعادت الطيور على أغصانها مغردات ، وحلت البلابل والكروان مكان البوم والغربان ، وغنت شادية بأعذب الالحان

قال صاحبي : ما أروع مغزى هذه القصة ، فقد رأينا الثروة التي أضاعتها الانانية والبخل والقسوة ، ترجعها الى أصحابها الرحمة ، ولكن بقي في الاسطورة لغز لم أهتد الى حله ، فكيف كذب الملك في نبوءته ، ألم يقل ان قطرات ثلاثا من الماء المبارك تكفي لاعادة الحياة الى النهر ؟

قلت : لم يفت ذلك واضع الاسطورة فهي طويلة لا يتسع لها المقام ، وقد سأل الاخ الثالث هذا السؤال فأجابه الملك : « ان البخل والقسوة والانانية قد أفسدت ذلك الماء المبارك الذي جلبه أخوه ، ودنسته ، كما أن الايثار والمحبة وانكار الذات قد باركت له دونهما في كل ما يتصل به من بعيد أو قريب . وصدق الله العظيم حيث قال : « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا »

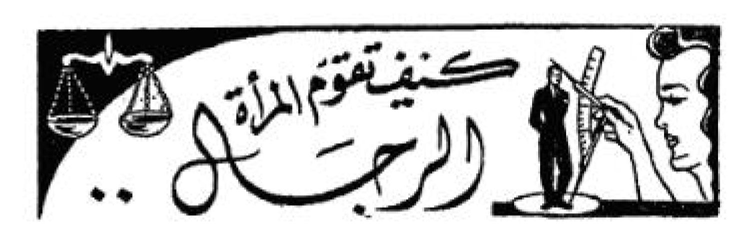
قال صاحبي : ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أقرب الاسطورة الصادقة الخيال من الحقيقة النادرة المثال :

قلت : صدقت ، وعفو ابي العلاء اذ يقول :

أفهم عن الأيام فهي نواطق ... ما زال يضرب صرفها الامثالا
لم يمض في دنياك أمر معجب ... الا أرتك لما مضى تمثالا

كامل كيلاني

من رأى الحق ولم يأخذ جانبه فهو جبان — « كونفوشيوس »
ليس الفخر ألا نسقط ، بل أن ننهض كلما سقطنا — « جولد سميث »



بقلم السيدة بنت الشاطىء

« .. وبعد فقد يسأل سائل : أكل النساء سواء فى تقويم الرجال ؟ فأجيب إننا جميعاً نعرف فى نفوسنا جوهراً واحداً ، تختلف صوره باختلاف كل منا ، وان اتحدت حقيقته . إننا لا ننفر النقص فى « رجولة الرجل » ولا نحتمله ، بل نعافه نفوسنا وتشمئز منه .. ولكل منا بعد ذلك صورة للرجل المثالى ، تصورها فى عالمها الخاص ، وتطبعها بطابعها المتميز ، وترسمها بألوانها المحببة ، وتضفى عليها ما تعكسه ظروفها ، وشخصيتها ، وتجاربها ، من أضواء وظلال . . ثم لا ترضى - باختيارها - عنه بديلا ولو أوذيت فى سبيله ، وعبرت اليه على جسر رهيب من الآلام »
بنت الشاطىء

عندما سئلت : « أى طراز من الرجال يعجب النساء ؟ » مرت بذاكرتى هذه الصور الشاذة الخاطئة التى يعرضها نفر من الادباء عن المرأة وموقفها من الرجل ورأيها فيه . وتلك الاوهام التى تنطلق فى أفقنا ، متحدثة عنا - معشر النساء - بلغة غريبة لا تعرفها فطرتنا ، وواصفة عواطفنا وأهواءنا وميولنا ومثلنا ، بأوصاف عجيبة لا نحسها فى نفوسنا ، ولا نجدها فى دنيانا ، ولا تخطر لاحدانا على بال . .

وما يعنينا أن تكون هذه الصور قاسية أو رحيمة ، ولا يهمنا أن تكون جميلة أو دميمة ، إنما الذى يعنينا حقاً أن نقرر شذوذها وغرابتها ، وأن نعلن أنها من صنع الوهم المريض والخيال الكليل ..

***

والآن أسأل نفسى عن «طراز الرجل الذى يعجب النساء» فأجد فى الأمر شيئاً من الصعوبة والحرج . فلكل منا صورة تخرجها للرجل المثالى ، متأثرة بظروفها الخاصة وشخصيتها المتميزة . أفلا يكون من التجنى على الحقيقة ، وإغفال الواقع ، وتجاهل الفروق المميزة للنساء ، أن تنفرد « إحداهن » بعرض صورتها المختارة ، ثم تدعى أنها فى ذلك تتحدث عن جنسها وتقول كلمته فى الرجل ؟ بل هو كذلك !

لكنى أعود فأتساءل : أليست هناك حقيقة مشتركة تجمع بيننا - معشر النساء - وإن اختلفت ظروفنا ، وتباينت أحوالنا ، وتفاوتت ثقافتنا ؟ !

أحسب أن هذا حق، ومن هنا جاز لى أن أتحدث عن المرأة والرجل ، متجاوزة عن المظاهر والاغراض التى تختلف باختلاف الاشخاص والظروف والزمان والمكان ، ومصغية الى صوت هذه الحقيقة الواحدة المشتركة التى ألتقي فيها مع بنات جنسى جميعاً ، حين أتحدث عن مقياسنا فى تقويم الرجال ، هنا أو هناك أو هنالك ، أمس أو اليوم أو غداً . .

* * *

يتحدث المتحدثون اليوم عن المرأة وصلتها بالرجل ورأيها فيه ، فيدورون حول الألفاظ الشائعة ، والمعانى القديمة التى ظلت الاجيال ترددها منذ ذكرت القصة تعرض آدم للاغواء حتى ذاق الثمرة التى نهى عنها فأخرج من الجنة شريداً مطروداً . .

ولعل القاموس الاجتماعى لايذكر ألفاظاً واهمة طال عمرها، كما طال عمر الفاظ « الحية ، والشجرة والتفاحة ، والاغراء ، والخطيئة » . ولسنا نضيق بهذا أو نكترث له ، غير أن النظرة النفسية الحديثة ، تبتسم فى اشفاق عند ما تقرأ اليوم هذا الاسلوب التقليدى المكرر المعاد ، وذلك التفسير السطحى الساذج لما بين المرأة والرجل . إنها تنظر الى الامر على هدى الفهم النفسى لفطرة الانثى ، من غير أن تلتفت الى مواعظ السذج الذين لا بضاعة لهم الا التشهير بخطيئة الانثى الاولى ، والبكاء على الجنة التى طرد منها الرجل الاب ، ناسين أن الجنس البشرى - على تفسيرهم السطحى وفهمهم الساذج - مدين بوجوده لما يسمونه خطيئة حواء ، وإخراجها آدم من جنته . والا فكيف كان تم بناء العالم ، وعمارة الكون ، لو بقى الاثنان ناعمين فى جنتهما ، فارغين لمتعتهما ؟

وما أحب أن أمر بهذا ، دون أن أشير الى خطأ الذين يردون هذه القصة الى « الاديان الكتابية » . فالقرآن - كتاب الاسلام - لم يعرضها على هذا الوجه المزعوم . إنه لم يسم « حواء » ولم يفردها بعمل ، ولم يوجه اليها خطاباً مستقلا ، ولم يتحدث عنها منفردة ، ولم يذكر مطلقاً أنها أغرت « آدم » أو ناولته الثمرة المحرمة . وإنما جعل آدم وزوجه معاً ، وعلى السواء ، ضحية الشيطان . فهو الذى وسوس لهما « وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين » وهو الذى أزلهما عنها « فأخرجهما مما كانا فيه » - بل لعل القرآن يميل الى القاء التبعة على آدم حيث يقول : « وعصى آدم ربه فغوى » « وعهدنا إلى آدم من قبل فلم نجد له عزما » . على أنه قد هدم بالتوبة فكرة الخطيئة التى كثر فيها الكلام وطال

ولكن ما شأننا نحن بهذا ؟ أهى رجعة بالفن الى العصور الوسطى ؟ أم تلك عودة الى الأفق اللاهوتى ولسنا أهل ذاك ولا زماننا بزمانه ؟ ! إننا اليوم فى عصر مفتون بالمنهج العلمى ، يريد أن يقيم عليه كل شىء حتى القضايا الخلقية ، والأحكام الفنية ، والدراسات النفسية . وهو يجد فى تناول هذه المسائل تناولا معللا مفهوماً ، فاذا ما عرض اليوم لموقف الأنثى من الرجل ، نظر الى أعمالها وحركاتها على أنها تحقيق لغايات طبيعية ، وأداء لوظائف اجتماعية بها عمارة الكون ،.

وعليها بقاء الحياة ، مهما يكن الرأى الفلسفى فى هذه العبارة وذلك البقاء

فاذا شئنا أن نعرف كيف تقوم المرأة الرجال ، التمسنا من أنفسنا — على هدى الفهم الصحيح لها — جواباً تقره فطرتنا السليمة ، وترضى عنه عقولنا التى أدركت وبلغت رشدها !

***

والذى نعرفه ، أن المرأة خلقت لتكون أما ، وأنها تسير فى الحياة محكومة بهذا القانون الفطرى الصارم لا تملك أن تحيد عنه ، لأن تركيب بنيانها ، وتكوين غرائزها قد وجهها نحو هذه الغاية المحتومة ...

ولن يدخل فى حسابنا ، ما قد يوجد — فى القليل النادر — من مخلوقات مسكينات ، امتحنت بمسخ فطرتها فجاءت الى الدنيا شاذة شوهاء . .

كما نسقط من حسابنا ، هؤلاء الآبقات اللائى تمردن على القانون الفطرى ، فانحرفن عن الغاية المرسومة ، وانطلقن فى الدنيا يلتمسن غايات أخر ، ويمارسن حياة ضالة مضطربة

وأكثرهن ضحايا ، قد أكرهن على الخروج ، وأرغمن على التمرد ، لكن الطبيعة لا تتأثر بهذا « الظرف المخفف » حين تحكم عليهن فى محنتهن . . . إنها تسومهن سوء العذاب : تبتليهن بالضجر والملال ، وتذيب فى كؤوسهن العلقم والسم والظلام ، وتمتص منهن قطرات الحياة ، لأنهن — فى حكمها — غير أهل للحياة !

***

المرأة إذن ، تسير فى الحياة محكومة بقانون قد رسم لها غايتها ، فلا تتمرد عليه إلا اذا غرر بها فقامرت بحياتها وخسرت سعادتها

وهى فى نظرتها الى الرجال ، تخضع لهذا القانون ، فيعجبها منهم ذلك الذى يمثل « الرجولة » بمعناها الأصيل . الرجولة التى تتجلى بجانبها أنوثة الأنثى ، وتزهو بها ، وتتكامل معها ، بحيث تتكون منهما تلك « الشركة الأبدية » التى تحقق فيها الأنثى غايتها ، وتؤدى رسالتها التى خلقت من أجلها

فمقومات الرجولة عند المرأة ، تصدر من هذا النبع الفطرى فتتمثل فى الرجل القوى الأمين ، المقدر لمكانه من تلك الشركة الاجتماعية الطبيعية ، القادر على احتمال نصيبه من عبئها

وتشمئز المرأة من ذلك الطراز الذى عاقه شذوذه أو ضعفه عن احتمال العبء ، فوقف من المرأة موقف الثعلب من العنب ، وراح يشتفى منها بالتفنن فى رسم صورة مشوهة لها ، لا وجود لها إلا فى خياله الشاذ السقيم

كما تشمئز من ذلك الصنف المخنث الذى يشتبه عليها أمره ، إذ تفتقد فيه مخايل الرجال ، وطبيعة النساء ، فاذا هو مسخ مرذول ، لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ...

والأمر هنا غير مقصور على المرأة حين تختار الزوج ، وإنما هو عام شائع ، تخضع له فى كل حالاتها وظروفها ، ما بقيت فطرتها بريئة من الشذوذ والانحراف . فهى تزن الرجال بذلك الميزان الفطرى المنضبط وإن لم تربطها بهم رابطة من قرابة أو زوجية . وقد يبدو ذلك غريباً عند النظرة العجلى ، لكنا اذا حققناه ألفيناه طبيعياً مألوفاً لا غرابة فيه . أو لسنا نمر بالشيء لا تصلنا به صلة ، فنحكم عليه بمقدار صلاحيته لتحقيق الغاية التى نراه خلق من أجلها ؟ أو لسنا نزور المعارض ، فنزن ما فيها من معروضات بهذا الميزان ، وان لم تكن بنا اليها حاجة ؟

كذلك شأن المرأة فى تقويم الرجال . . تحكم عليهم بمقدار حظهم من الرجولة كما تتمثلها بفطرتها السليمة ، وان لم تجمعها بهم صلة أو تربطها اليهم رابطة

* * *

وقد كثر الحديث الواهم عن «التعويض» وأثره فى نظرة المرأة الى الرجل وحكمها عليه . يعنون به هنا ، أن نقص الرجل فى ناحية من نواحيه ، تعوضه زيادة فى ناحيه أخرى . والواقع أن اطلاق مثل هذا الحكم العام ، فيه كثير من الوهم والخطأ ، فان نظرية التعويض هذه تصح اذا أريد بها الصفات العرضية التى لا تتصل بجوهر الرجولة الحقة كما تراها المرأة . فاذا تجاوزت هذه الأعراض بطلت ولم يعد فيها غناء . فالرجولة تعوض أى نقص فى المظاهر الشكلية والصفات العرضية ، ولا شيء غيرها يمكن أن يقوم مقامها أو يعوض النقص فيها . وقلما تخطىء المرأة فى هذا التقدير ما لم تخدع أو تضلل ، فيتشابه عليها الأمر ، ويختلط العرض بالجوهر ، فتغفر النقص فى رجولة الرجل اذا صحبه جمال مظهر ، أو خلابة منظر ، أو ضخامة ثروة ، أو دوى شهرة . لكنها لن تلبث أن تئوب الى فطرتها فتعرف خطأها وتأسى عليه

* * *

وبعد فقد يسأل سائل : أ كل النساء سواء فى تقويم الرجال ؟ فأجيب إننا جميعا نعرف فى نفوسنا جوهراً واحداً تختلف صوره باختلاف كل منا ، وتتعدد أشكاله تبعا لظروفنا وبيئاتنا ، وإن اتحدت حقيقته . . إننا لا نغفر النقص فى « رجولة الرجل » ولا نحتمله ، بل تعافه نفوسنا وتشمئز منه . ولكل منا بعد ذلك صورة للرجل المثالى : تصورها فى عالمها الخاص ، وتطبعها بطابعها المتميز ، وترسمها بألوانها المحببة ، وتضفى عليها ما تعكسه ظروفها وشخصيتها وتجاربها من أضواء وظلال . ثم لاترضى ـ باختيارها ـ عنه بديلا ولو أوذيت فى سبيله ، وعبرت اليه على جسر رهيب من الآلام . . .

شوشاى بنت الشاطىء

دومبارتن أوكس ..
أفضل من عصبة الأمم

بقلم « أبى عصبة الأمم » الفيكونت سيسيل

« أبو عصبة الامم » هو اللقب الذى يطلقونه فى صحافة العالم ومحافله السياسية على الفيكونت سيسيل ، فهو أحد الذين وضعوا ميثاق عصبة الامم ، وأحد الذين أرادوا تمكينها من أداء رسالتها . وهو لهذا خير من يقارن بين عصبة الامم القديمة وبين الهيئة الجديدة التى قرر مؤتمر دومبارتن أوكس اقامتها ، وخير من يتبين ما فى هذه الهيئة من عناصر القوة ومناحى الضعف ، وما يرجى منها للعالم القادم من اقرار السلام وتهيئة الرخاء

كانت الفكرة التى يقوم عليها ميثاق عصبة الامم هى وجوب « التمهل » قبل اعلان الحرب ، ليتيسر فى أثناء هذه « المهلة » بحث النزاع الذى يؤدى الى نشوب الحرب ، وذلك بأن تمتنع الاطراف المتنازعة طوال هذه الفترة عن الاخذ بأى عمل عدائى

وهكذا لم يقصد الميثاق الى منع الحروب مهما تكن الاسباب الداعية اليها والظروف المهيئة لها . بل كان كل ما قصد اليه الا تلجأ الدول الى الحرب الا بعد ان تستنفد جميع الوسائل الاخرى الكفيلة بفض كل نزاع يحتمل ان يؤدى الى القتال .

هذه هى الفكرة الاساسية التى قام عليها ميثاق عصبة الأمم . أما فى الهيئة الجديدة التى اقترح مؤتمر دومبارتن اوكس انشاءها ، فتقوم هيئة جديدة هى « مجلس الامن » الذى تقرر أن يحمل المسئولية الاولى فى المحافظة على السلام . فالعصبة القديمة كانت ترى أن هناك من المنازعات الدولية ما لا يمكن فضه بالوسائل السلمية ، وما لا بد أن يفض فى ساحة القتال . أما العصبة الجديدة فتريد ان تستبعد الحرب بين الدول بتاتا ، اذ ترى أن كل نزاع دولى يمكن أن يحل على مائدة المفاوضة بدلا من الزج بالشعوب فى اتون الحرب

فمهمة مجلس الامن هذا « استقصاء أى نزاع أو أية حالة قد تؤدى الى احتكاك دولى لكى يقرر ما اذا كان من المرجح أن يترتب على استمرارها تعريض السلم والأمن الدوليين للخطر » . فاذا قرر ان من الخطر استمرارها « وجب على طرفى النزاع أن يلتزما قبل كل شىء بالسعى الى حل النزاع بطريق المفاوضات ، أو الوساطة ، أو التوافق ، أو التحكيم ، أو تحقيق تسوية قضائية ، أو اتخاذ غير ذلك من الوسائل السلمية التى يختارانها . وينبغى على مجلس الامن أن يستدعى طرفى النزاع لحسمه بهذه الوسائل »

ولهذا سيكون مجلس الامن « مزودا بالسلطة التى تبيح له اختيار أية تدابير دبلوماسية أو اقتصادية أو اية تدابير أخرى لا تنطوى على استعمال القوة المسلحة ، يجب استخدامها لجعل قراراته نافذة ، وان يكون له حق استدعاء أعضاء الهيئة لتطبيق هذه التدابير . وقد تتناول هذه التدابير التعطيل الشامل أو الجزئى للمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والتلغرافية واللاسلكية ووسائل المواصلات الاخرى . وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية » .

واذا رأى مجلس الامن ان مثل هذه التدابير غير كافية « فينبغى أن تخول له السلطة التى تمكنه من استخدام القوات الجوية أو البحرية أو البرية، على النحو الذى يراه ضروريا لحفظ السلم والامن الدوليين أو استعادتهما . وهذا العمل قد يشتمل على التظاهر والحصار ، والعمليات الاخرى التى تضطلع بها قوات جوية أو بحرية أو برية لاعضاء الهيئة » .

وينبغى على كافة أعضاء الهيئة المساهمة فى حفظ السلم والامن الدوليين، وذلك بتعهدهم بأن يقدموا لمجلس الامن بمجرد طلبه القوات المسلحة والتسهيلات والمساعدة اللازمة . ويقرر المجلس — طبقا لاتفاقات خاصة مبرمة بين أعضاء الهيئة — مبلغ وانواع القوات والتسهيلات والمعونة الواجب توفيرها

هذه هى السلطات الرئيسية المخولة لمجلس الامن ، وله الى جانب هذا سلطات اضافية أخرى . فله « لجنة اركان حرب » تتألف من كبار الخبراء فى الشؤون الحربية ، ليسدوا النصائح الواجبة لاعداد القوات التى تصد كل عدوان . فمهمة هذه اللجنة « تقديم المشورة والمساعدة لمجلس الامن فى كافة المسائل المتصلة بمطالبه الخاصة بحفظ السلم والامن الدوليين . واستخدام قيادة القوات الموضوعة تحت تصرف المجلس ، وتنظيم الاسلحة ونزع السلاح الممكن . وينبغى أن تكون هذه اللجنة مسئولة ، تحت اشراف مجلس الامن ، عن الادارة الاستراتيجية لقوات المجلس المسلحة » .

ولكن مجلس الامن هذا يشبه مجلس عصبة الامم القديمة من وجهة تشكيله . فهو يتألف من أحد عشر عضوا يندب كل منهم عن عضو من أعضاء الهيئة ، على أن يكون خمسة منهم أصحاب مقاعد دائمة وهم ممثلو الدول الاربع المحاربة : الولايات المتحدة الامريكية ، والمملكة المتحدة ، والاتحاد السوفيتى ، وجمهورية الصين . ثم ينضم اليهم مندوب فرنسا فى الوقت المناسب . أما المندوبون الستة الآخرون الذين يشغلون المقاعد غير الدائمة ، فينتخبهم المجلس العام لمدة عامين على ان ينسحب ثلاثة منهم فى كل عام

وهناك فقرة فى وثائق دومبارتن أوكس تتطلب امعان النظر والفكر مليا . فهى تقول: « ينبغى أن ينظم مجلس الامن بحيث يكون قادرا على العمل باستمرار . وذلك بأن تمثل كل دولة من أعضائه تمثيلا دائما فى مقر الهيئة . وله أن يعقد اجتماعات فى اماكن أخرى على النحو الذى يراه حقيقا بتسهيل عمله على أحسن وجه . وينبغى ان تعقد اجتماعات

دورية يمكن لكل دولة من أعضاء مجلس الامن أن تمثل فيها ، اذا رغبت فى ذلك ، بواسطة عضو من أعضاء حكومتها ، أو مندوب آخر خاص ،

والذى أريد أن أوجه اليه النظر هو ألا تتحول هذه الهيئة التى نريد انشاءها الى مجرد لجنة دبلوماسية تتخذ مقرها فى أحد الاقطار النائية . فانى أخشى فى هذه الحالة أن تصبح ضئيلة السلطة ضعيفة النفوذ . ولهذا فانى أرجو ألا تهمل مسألة ارسال أعضاء الحكومات ووزرائها لحضور اجتماعات الهيئة . بل انه اذا أريد انشاء هيئة ذات سلطة نافذة فعالة ، فان من الواجب ان تؤلف من هؤلاء الوزراء الذين يستطيعون ان يوجهوا سياسة بلادهم. فتنقل المجلس من عاصمة الى عاصمة حسب الظروف ، وحضور رئيس الحكومة أو أعضائها المسئولين اجتماع المجلس ، من شأنه أن يضفى عليه قوة لم يظفر بها مجلس عصبة الامم الذى كانت الدول تنظر اليه على انه مجرد هيئة دبلوماسية مقرها جنيف ، فلم يكن لقراراته التأثير المعنوى ولا التأثير المادى المنشود

وهناك نقطة أخرى أرى ان لها أهمية كبيرة . وهذه هى السلطة المخولة للسكرتير العام للهيئة الدولية الجديدة . فان « له الحق فى لفت نظر مجلس الامن لاية مسألة قد يرى انها تهدد السلم والامن الدوليين » . وأرى ان هذا الحق سيكون له من الوجهة العملية أهمية كبيرة . فليس من الميسور لممثل أية دولة ان يتهم دولة أخرى بأنها تتأهب للحرب ، وخصوصا اذا لم يكن بينها وبين دولته عداء ما . واذا وجه مثل هذا الاتهام فى مجتمع دولى كعصبة الامم فانه يؤدى حتما الى افساد العلاقات بين الدولتين . ولهذا كان من الافضل تعيين موظف خاص ـ لا يمثل دولة من الدول ـ يتولى تنبيه المجلس الى هذه المسألة التى لا يرغب ممثلو الدول فى اثارتها خشية ما تجره من العواقب

ولكن هناك أمورا أخرى أرى أن مؤتمر دومبارتن اوكس لم يتخذ فيها قرارا حاسما، ولست أدرى على أية صورة تعالجها الهيئة الدولية القادمة

فليست هناك فكرة واضحة عما سيتبع فى شأن الدول التى كانت واقعة تحت الانتداب، ولا عن القواعد التى سيقوم عليها حل مشاكل الاقليات المنتشرة فى شتى دول العالم

ثم هناك مسألة الاسم الذى يطلق على هذه الهيئة الدولية . والظاهر ان الرأى قد انتهى الى تسميتها « هيئة الشعوب المتحدة » . ولكنى ارتاب فى أن يكون هذا هو خير الاسماء وأنسبها . فانى اذكر اننا عند ما كنا نبحث هذا الامر فى باريس منذ ثلاثين سنة ، رأينا انه من اللازم ان تتخذ اسما لا يمت الى الحرب بصلة مباشرة . وكلمة « الشعوب المتحدة » تحمل معنى حربيا ، اذ انها الكلمة التى اطلقت على الشعوب التى حاربت « المحور » . ولهذا فانى أظن انه ليس من المرغوب فيه ان نطلق على الهيئة التى نقيمها لاقرار السلام نفس الاسم الذى أطلقناه على الهيئة التى تولت شن الحرب وادارتها.

أما الامر الحقيقى الذى يريد أن يعرفه كل فرد فهو : هل تستطيع هذه الهيئة الدولية أن تؤدى رسالتها ؟ هل تستطيع ان تمنع الحرب وتقر السلام ؟ وكل ما يسعنى أن أقوله

ردا على هذا التساؤل هو أن الامر يتوقف على مدى التأييد الذى تظفر به هذه الهيئة من الرأى العام . ذلك أن أية هيئة دولية لايمكن أن تقوم بعملها مثلما تقوم به الهيئات المحلية . فالحكومة المحلية تعتمد ـ فى القيام بعملها ـ على كونها تسيطر سيطرة تامة على مرافق الدولة ، سواء كانت مرافق معنوية أو مرافق مادية . فكل قرار تتخذه هذه الحكومة المحلية يمكن فرضه بالقوة اذا أراد أحد المواطنين ، أو ارادت جماعة من المواطنين ، ان تخرج عليه وتقاوم تنفيذه . ولكن الامر ليس كذلك فى الهيئات الدولية ، فانها لا تستطيع ان تصدر الاوامر وأن تفرض اطاعتها ، بل كل ما يمكنها أن تعقد اتفاقا بين اعضائها على تنفيذ أمر ما ، بوساطة ما يقدم كل عضو من المعونة اللازمة لهذا التنفيذ . وعلى ذلك كان من أهم الامور أن تظفر هذه الهيئة بتأييد الرأى العام الذى سيقدم لها ما يلزمها من القوة والمعونة . وتراخى الرأى العام أو انصرافه هو السبب الحقيقى فى اخفاق عصبة الامم

واذا تكلمنا بصراحة ووضوح فلنقل ان الدول الكبرى ، لا الدول الصغرى ، هى التى ضنت على العصبة بالتأييد والمعونة . وقد انتقدت سياسة الدول الصغرى تجاه عصبة الامم انتقادا شديدا ، وقيل انها ـ بمشاكلها المتعددة المعقدة ـ هى المسئولة عن اخفاق العصبة فى تأدية رسالتها . ولكن الواقع الذى اعلمه أن هذه الدول الصغيرة كانت راغبة كل الرغبة فى نجاح العصبة ، خوفا من الحرب واشفاقا من ويلاتها . والدول الكبرى هى التى ظنت ان فى قواتها الخاصة ما يغنيها عن قوة عصبة الامم ، فتهاونت فى تأييدها وتدعيمها . ولهذا أحسن مؤتمر دومبارتن اوكس اذ وضع على كاهل الدول الكبرى العبء الاكبر فى منع الحرب واقرار السلام ، وذلك بتمثيلها تمثيلا دائما وكاملا فى « مجلس الامن » بينما جعل تمثيل الدول الصغرى مؤقتا وجزئيا

أعود ثانية فاقول ان نجاح الهيئة الدولية القادمة واخفاقها متوقف على مدى ما يتاح لها من تأييد الرأى العام . ولهذا نسى رجال دومبارتن أوكس أمرا هاما ، هو أمر « الدعاية » . فلا بد أن تضم هذه الهيئة جهازا قويا للدعاية يجمع حولها الرأى العام ، باطلاعه على اسباب ما ينشب من النزاع ، وعلى ما ينبغى عليه ان يقدمه من المعونة أو من التضحية فى سبيل حسم هذا النزاع بالحسنى أو بالقوة

بل ان الدعاية وحدها لا تكفى ، بل لا بد ان تهتم هذه الهيئة بأمر التعليم . نعم ، يجب أن تعلم الشعوب تعليما جديدا يبين لها مدى ما تصبه الحرب من النقمة والبلاء ، ومدى ما يحققه السلام من الرقى والرخاء . ويجب ان يعلم كل فرد فى العالم ان هذه الهيئة الدولية تعنيه بمفرده ، كما تعنى وطنه بأكمله ، وكما تعنى العالم جميعا . ويجب ان يعلم ان العالم لا يستطيع ان يثير حربا هائلة كل عشرين أو ثلاثين سنة الا اذا كان راغبا فى تحطيم كل ما نعتز به من مرافق الحضارة واسباب الحياة

(عن صحيفة الغد « تومورو »)

النهضة العربية
بين مجهود الحكومة والفرد

بقلم الأديبة اليس قندلفت قزما

ان النهضة الحقيقية ليست الا نتيجة للتفاعل المستمر بين مجهود الحكومة ومجهود الفرد ، أي بين المجهود الذي يثبت ويركز ويعمم، والمجهود الذي يبدع ويكتشف ويولد

اني ممن يعتقدون ان هذه الفترة من الزمن هي من أفضل الفترات للتفكير في نهضتنا، وللسعي في سبيل توطيدها وتعجيلها . وان هذا العمل يتطلب مساهمة الحكومة أو الحكومات من ناحية ، والفرد أو الافراد من ناحية أخرى ، ليتسنى لنا القيام به بأسرع وقت ممكن ، وعلى أكمل وجه مستطاع . أجل ، يمر العالم اليوم بمرحلة عصيبة مفجعة ، بل بأفجع مرحلة عرفها التاريخ ، جعلت الكثيرين من الناس لا يفكرون في شؤون المجتمع الا بقدر ما تؤثر هذه الشؤون على حياتهم اليومية الخاصة . على ان الافراد الذين يشيدون العمران ، والامم التي تتسلق قمم العظمة ، لا تسمح لضغط الظروف القاسية ان تسيطر على أعصابهم ، بل يظلون رابطي الجأش في وسط العاصفة . يرون صعوبات الحاضر فيعملون على تذليلها بالاجراءات الفعالة ، ويدركون معضلات المستقبل فيحاولون اجتيازها بالحلول الحكيمة . وهذا ما يضمن لهؤلاء الافراد ولاممهم حياة عزيزة مجيدة ، ويؤهلهم لتبوء أعلى المراكز في المجتمع الانساني

أقول ان هذا الظرف من أحسن الظروف ملاءمة لبحث النهضة والعمل على تحقيقها ؛ لان هذه الكارثة الكبرى ، التي تنتاب العالم بأجمعه ، قد أيقظت الناس من رقاد طويل ، وجعلتهم في حالة تنبه حاد . ارهفت أذهان الناس ، فأصبحوا يتفهمون اليوم ما كان يستحيل عليهم فهمه في الماضي . فتحت أذان الناس ، فتمكنوا من سماع أقوال ما كان باستطاعتهم بالامس سماعها. وأنارت بصائر الناس ، فتمكنوا من رؤية حقائق عميقة ما كان بمقدورهم في الامس أن يروها . هزت أسس الانظمة والعادات والتقاليد هزا عنيفا، فاقتلعت منها البالي الحقير غير الصالح للحياة ، ومدت ألسنة لهيبها الى عالم الفكر ، فالتهمت ما كان متراكما فيه من الهشيم اليابس

لذلك وجب علينا أن نضاعف منذ الآن المساعي والجهود ، لرفع مستوى حياة مجتمعنا كما تفعل الامم العظيمة التي برغم اشتراكها في القتال لم تنقطع عن الاهتمام بكل مناحي

الحياة ومشاكلها ، مما ليس له علاقة مباشرة بالحرب . وما فتئت تضع الخطط الاصلاحية الانشائية ، للحاضر والمستقبل . بل وجب علينا نحن العرب ان نكون فى هذا المضمار أكثر اسراعا من تلك الامم ، وأشد حرصا على عدم ضياع الوقت فى التوافه ، لعلنا نعوض بعض التعويض عن التقصير الذى لحق بنا فى الماضى

لقد تسنى لنا ولكل من عمل فى حقل التربية والتعليم ، أو فى غيره من حقول القضايا العامة ، أن نسمع المتشائمين من أفراد الامة يدعون ، ان عالمنا العربى لم يخط فى ربع القرن الأخير خطوة الى الامام . بل يغالون فيقولون انه ، من بعض الاوجه ، قد تقهقر خطوات الى الوراء . وطالما سمعناهم أيضا ينحون باللوم على الحكومات ، فيحملونها كل التبعة فى التقصير ، ويسندون اليها كل ما يعتور حياتنا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية من وهن أو خلل أو فساد

وانى ، وان كنت من الذين يرغبون فى النقد لانه حافز على الاصلاح ، ويحبذون الاصرار فى طلب الكمال ، لانه دافع الى الجد والاجتهاد ، لا أذهب مذهب هؤلاء المتشائمين بل أعتقد اننا فى مختلف أطوارنا ، قد خطونا فى ربع القرن الاخير ، فى مضمار التقدم خطوات ملموسة ، تنبىء الى حد ما ، عما تتحلى به العروبة من مواهب ، تؤهل أبناءها للحياة ، وتضمن لهم فى المستقبل انشاء مجد لا يقل خطورة وعظمة عن مجد أسلافهم الخالد . ولكنى اعتقد فى الوقت نفسه انه كان بالاستطاعة ان يكون هذا التقدم أعمق وأعم وأسرع ، لو لم يكن نتيجة عمل عفوى مفكك . بل كان نتيجة عمل قصدى منظم ، ناشىء عن شعور عام بالمسئولية ، وتآزر وثيق فى الجهود

على ان لهذا التقصير من الاسباب ما يتجاوز احيانا كثيرة حدود الامة العربية ، ولذلك فليس من الصواب تحميل حكوماتها كل تبعاته الثقيلة . أجل ، ان حكومات العالم أجمع لم تقم بواجباتها دائما خير قيام . فكلها مسئولة عن بعض التقصير ، ولو بدرجات متفاوتة . والنقد من هذا القبيل لا يمكن ان يتناول حكوماتنا وحدها ، اذ ان هذا الاستثناء ظلم يأباه الانصاف

ولتقصير الحكومات العربية فى هذا الشأن اسباب عديدة ، تفسره وان كانت لا تبرره تبريرا تاما . منها انهماك أبرز رجال العرب فى النضال القومى والنشاط السياسى اللذين اقتضتهما عملية انشاء هذه الدول العربية الحديثة والحصول على استقلالها ، فى ظروف قاسية لم تسمح الا جزئيا بتخصيص الجهود لغير ذلك من الامور . ومنها أن هذه الحكومات العربية لم تكن فى بعض الاوقات حرة فى تصرفاتها . بل كانت مقيدة احيانا بارادة لم تتوافق مع ارادتها ، ورغبات لم تنسجم مع رغباتها . ومنها حداثة عهد العرب المعاصرين فى ممارسة الحكم الذاتى والاشراف بأنفسهم على ادارة شؤون بلادهم . ومنها أيضا عجز ميزانيات هذه الحكومات العربية عن تحمل النفقات الباهظة التى يتطلبها تحقيق المشاريع الاصلاحية الواسعة ، والقيام بالاعمال الانشائية الجبارة

ليست غايتى من تعداد هذه الاسباب أو غيرها مما لا يتسع المجال لذكره الآن ، دفع تبعة التقصير عن عاتق الحكومات ، فقد كان بوسعها ولا شك رغم العراقيل والصعوبات المعروفة ، القيام بأعمال كثيرة لم تقم بها . وانما اتوخى فى بحثى هذا وضع الاشياء فى موضعها ، وابراز الحقيقة منزهة من كل تشويه والتطلع الى المستقبل الذى نريده زاخرا بالحياة ، اكثر من التطلع الى الماضى الذى لا نريد الالتفات اليه الا لنأخذ منه عبرة نفيد منها فيما نحن مقدمون عليه

اما وقد أصبحنا على عتبة عهد جديد ، نأمل ان تنال فيه البلاد العربية كلها استقلالا تاما وسيادة قومية غير منقوصة . اما وقد بدأت بعض هذه البلاد تتمتع الى حد ما بهذه السيادة وذاك الاستقلال ، تمتعا يسمح لهـا ان تدير بحرية القسم الاكبر من أمورها الداخلية على الاقل ، اما وقد تم ذلك ، فان مفعول تلك الاسباب الناشئة عن ارادة غير ارادة العرب قد زال بعضه ، وسيزول ان شاء الله فى وقت قريب

وها نحن نرى أنفسنا من جراء ذلك أمام حادث جديد فى حياتنا القومية العصرية . فقد أصبح فى يدنا تقرير مصيرنا ، وتدبير أمورنا ، والسير سيرا حثيثا فى طريق النهضة الحقيقية ، اذا أحسنا استعمال ما استرجعناه من الحقوق . على ان هذا الحادث الجديد يحملنا تبعات جسيمة ، تتطلب منا علاوة على الشعور الوطنى الصادق ، وعيا عميقا لادراك حاجاتنا ، وكفاءة تامة لوضع الخطط المحكمة الدقيقة وارادة حازمة للتنفيذ . واتكالا على أنفسنا يجعلنا نقدم على حل معضلاتنا بتجرد واخلاص ودون تردد . لاننا أصبحنا وسنصبح قريبا ، المسئولين الوحيدين عن مصيرنا . وستضعنا الحياة فى الميزان ، ثم تصدر حكمها فينا ، فاما معنا واما علينا

ومن الطبيعى أن نتساءل فى مثل هذه الساعة التاريخية الخطيرة ، التى نجتاز فيها الحدود الفاصلة بين ذلك العهد الذى أوشك ان ينتهى ، وهذا العهد الذى أوشك ان يبدأ « كيف يجب علينا ان نسلك ليكون حكم الحياة علينا حكما يرفعنا الى مصاف الشعوب الجادة فى السير نحو ذروة المجتمع الانسانى ؟ » . والجواب الذى لا أجد له بديلا ، هو ان كل فرد واع من أفراد أمتنا ، حكومة وشعبا ، يجب ان يعتبر نفسه كأنه مسئول عن حياة الامة بكاملها ، فيبذل من تلقاء ذاته أقصى مجهود باستطاعته بذله خدمة للمصلحة العامة . وأقول حكومة وشعبا ، لان الاعتقاد السائد بأن النهضة تقوم على مجهود الحكومة وحدها ، خطأ شائع عندنا ، يؤدى حتما الى تأخير النهضة الحقيقية الشاملة . ولا بد لنا نحن العرب ، فى فجر يقظتنا الجديدة هذه من مكافحة هذا الاعتقاد بكل قوانا ، حتى نقتلعه من جذوره . لان اعتناقه أو التأثر به ، يعرضنا لاخطار كثيرة ينبغى ان نتحاشاها ، حرصا على نجاح مساعينا ، وسهرا على سلامة كياننا

ان هذا الخطأ الشائع يدفع بالكثيرين الى احضان الاتكالية ، فتقضى على فعاليتهم ويصبحون أعضاء خاملين جامدين . لا يجنى المجتمع من وجودهم أية فائدة ، كما انه يدفعهم اذا

ما خاب اتكالهم ، الى احضان معارضة عقيمة تهدم ولا تبنى

ونحن نعلم ان استئصال هذا الاعتقاد ليس بالامر الهين . لان الاتكالية اسهل من الفعالية ، والمعارضة العقيمة التى تهدف الى الهدم فقط ، اسهل من المعارضة المنتجة التى ترمى الى البناء . فالاتكالية والمعارضة العقيمة لا تستلزمان جهودا ، واما الفعالية والبناء فيستلزمان جهودا جدية متواصلة . وكلنا يعلم أيضا ان العظمة الحقيقية ، عظمة الافراد والجماعات ، لا تقوم الا على الجهود المتواصلة الجدية . فهذه الجهود هى فى المجتمع الانسانى ، الحركة المبدعة التى تنبثق عنها الحياة كل يوم متجددة متسامية . ومن البديهى اذن انه كلما تكاثر عدد الذين يبذلون هذه الجهود ، ازدادت حيوية الامة التى ينتمون اليها ، وتضاعفت سرعة تحقيقها لما تصبو اليه من الامانى والاهداف

ان تاريخ العالم ، من أبعد العصور حتى عصرنا هذا يثبت ان رقى الشعوب ما هو الا نتيجة للتفاعل المستمر بين هذين العملين أو المجهودين ، مجهود الحكومة ومجهود الفرد ، من تباين ينشأ عنه التنوع والتنافس والتجدد ، ومن توافق ينشأ عنه الانسجام والتعاون والتسارع . وهذا يجب ان يتجلى فى حياة أمتنا العربية المقبلة اليوم على تطورات عميقة واعمال خطيرة ، يتوقف عليها مستقبل أبنائها وما قد يلحق بهم من سعادة أو شقاء

ولا شك ان الصدمة الهائلة التى منى بها العالم فى الزمن الاخير قد زعزعت كل القيم ، ووضعت فى كفة الميزان كل التقاليد ، قد لفتت نظر الحكومات النيابية الى نقط الضعف التى تعتور كيانها . فرأيناها تسرع لاصلاحها ، فتستدرك وتحاول ان تتلمس تيارات الفكر واتجاهاته ، وان تتفهم حاجات الشعب ورغباته ، فتعمل على مصالحة القضايا قبل أزماتها ، وعلى حل المعضلات قبل استفحالها

وأمل الانسانية الواعية ان يكون هذا السير مطردا فيزيل ، الى الحد الممكن ، نقائص الماضى . فيصبح النظام الديمقراطى البرلمانى ، وفقا للفلسفة التى انبثق عنها ، جسما حياً ذا عقلية متحركة ، نافذة البصر ، مجردة عن الاهواء الذاتية ، لا تتأثر الا بتأثيرات الفكر المبدع والمصلحة الاجتماعية العامة . ونحن واثقون انه لو تحقق هذا التكامل وعم ، لما اضطر شعب لانقلاب ولما انغمس العالم فى حرب

غير أن الجهاز الحكومى مهما تكامل ، ومهما تحرر من الاستمرارية وانعتق من مختلف التأثيرات التى تشل نشاطه أو تفسده ، فسيبقى له من تكوينه الطبيعى المعقد ، عوائق تجعل عمله أقرب الى عمل التركيز والتثبت والتعميم منه الى عمل التوليد والابداع ولذلك فسيبقى المجتمع الانسانى دائما فى سيره المستمر نحو الكمال ، فى حاجة الى مصدر آخر للمجهود غير المجهود الحكومى ، بانعتاقه من التعقد . وهذا المصدر الثانى هو الفرد ، خاصة اذا تأمنت له حرية الفكر والمبادءة والنشاط

وهذا أمر بديهى ناشىء عن أسباب طبيعية عديدة

فالفرد أقرب الى تفهم حاجاته والتحمس بحاجات محيطه الصغير ، تلك الحاجات التى

لم تصبح بعد معضلة عامة ليتناولها التشريع . وبامكانه لعدم تقيده بسلك ادارى له انظمته وتقاليده ومراتبه ، ان يقوم بمحاولات لسد تلك الحاجات ، دون ان يضطر الى اقناع غيره ، أو الى تغيير حرف واحد من القوانين والدساتير .

والفرد يتصرف بوقته وماله وقواه كما يشاء ، دون ان يؤدى عن ذلك حسابا لاقران أو رؤساء . وباستطاعته كذلك ان يبذل ما يرى ضرورة بذله ، فى سبيل استقصاء حقيقة لا تخطر على بال الناس ، أو فى سبيل القيام بعمل يهزأ منه الناس لمجرد انه فى نظرهم غير مألوف أو غير معقول

فالعمل الابداعى فى العلم والفهم والاجتماع والاقتصاد وفى كل ناحية من نواحى الحياة ، لم يكن مرة الا نتيجة مجهود الفرد . والعالم مدين لمجهود الفرد بكل الاكتشافات التى غيرت مجرى التاريخ ، وقلبت عقلية الاجيال ، واقامت حدودا فاصلة بين مختلف الازمنة

ويمكننا ان نشبه مجهود الحكومة بعمل مصنع أدوية ضخم ، ينتج انواعا معينة من العقاقير حازت على موافقة المراجع الطبية الرسمية . والمطلوب من هذا المصنع ان ينتج كميات كبيرة كافية لسد حاجة الاستهلاك . اما المجهود الفردى فيشبه عمل مختبرات صغيرة كثيرة ، تقوم بتجارب جريئة ، لاكتشاف علاجات جديدة أفضل من الموجودة . فاذا فشلت لا يحدث فشلها خللا فى المجتمع ، واذا نجحت نال المجتمع من جراء نجاحها خيرا عظيما

ولا شك ان المصنع الكبير والمختبر الصغير يكملان بعضهما ، وكل منهما ضرورى للآخر . لذلك كانت النهضة الحقيقية ليست الا نتيجة للتفاعل المستمر بين مجهود الحكومة ومجهود الفرد، أى بين المجهود الذى يثبت ويركز ويعمم، والمجهود الذى يبدع ويكتشف ويولد . والمثل الاعلى الذى يجب ان تصبو اليه الانسانية الواعية ، هو ان يتمكن هذان المجهودان من القيام كل منهما بعمله دون ان يصطدما، وان لا يضع الواحد منهما المصاعب والعراقيل فى طريق الآخر . بل المثل الاعلى للتعاون بين هذين المجهودين ، هو ان ينتقد الفرد العمل الحكومى بجرأة وحرية واستقلال تام فى الرأى ، وان تنشط وتشجع وتساعد الحكومة المجهود الفردى ، دون ان تحاول السيطرة أو حتى الاشراف عليه ، لئلا تزيف طبيعته وتفسد نتائجه

وانى أتمنى ان يتحقق هذا المثل الاعلى فى أمتنا العربية ، التى هى الآن بحاجة ماسة ، ليس لمجهودات حكوماتها فحسب ، بل ولمجهودات كل أفرادها . لان تحقيق هذا المثل الاعلى فى حياتها الجديدة ، يفتح امام أبنائها الموهوبين أبواب النشاط الفكرى والعملى ، ويفسح المجال لمواهبهم الكامنة ، فتتمكن من الظهور والنمو والتحقق تحققا تاما ، يساعد على تكامل نهضتنا ، التى لا اخالها الا أعظم من التى سبقتها اشعاعا واشراقا .

الیس قنزافت فرما

الشعـــر الأندلسى

وتأثيره فى شعر المطربين (١)

ملخص بحث بالفرنسية للسيد هنرى پيريس (٢)

الأستاذ فى كلية الآداب بالجزائر

ازدهر الشعر الاندلسى فى عهد ملوك الطوائف فى القرن الخامس للهجرة لا أيام عز الخلافة الاموية . ففى حدود ذلك العهد نبغ شعراء عدلوا عن الاغتراف من أساليب النظم السائدة فى المشرق ، فامتازوا بصفات أندلسية ، منهم أبو عمر بن شهيد صاحب « رسالة التوابع والزوابع» وابن حزم الاندلسى صاحب « طوق الحمامة » ، ثم المعتمد وابن زيدون وابن خفاجة وابن عمار

وهذه الصفات موضوع هذا البحث . وبه ينفسح تجاهنا موضوع آخر مداره منبع شعر المطربين الافرنج فى جنوب فرنسا

قد فطن الشعراء والنقاد فى الاندلس للتحرر من قيود النظم المتوارثة فى المشرق . ومن هذا قول ابن بسام فى الذخيرة (ط . القاهرة ج ١ ص ٢) : « حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما ».

وان أول ما يمتاز به الشعر الاندلسى وصف الطبيعة . وقد يكون هذا الوصف مستمدا أحيانا من شعر المشرق ، ولكنه كثيرا ما يستلهم طبيعة الاندلس نفسها بما فيها من جبال وأودية وغدران ورياض . ويغلب على الوصف تجسيم لمظاهر الارض . ومن الامثلة على هذا « روضيات » الاندلسيين . فقد نظم البحترى وابن المعتز والشريف وغيرهم فى محاسن الرياض غير أن نظم الاندلسيين فيها أرق ايحاء بفضل ألفاظ أوفر تعبيرا . من ذلك قول ابن خفاجة :

والريح تنفض بكرة لمم الربى ... والطل ينضح أوجه الاشجار
متقسم الالحاظ بين محاسن ... من ردف رابية وخصر قرار

و « النوريات » تأخذ مأخذ « الروضيات » فى الشعر الاندلسى . فهى أوفر صدقا فى

---

(١) المطربون (أو الطرابون ؟ Les Troubadours) هم المنشدون الافرنج فى جنوب فرنسا فى القرون الوسطى . وفى رأينا ان الكلمة الفرنسية مشتقة من « طرب »

(٢) من كبار المستشرقين الفرنسيين ، له دراسات نفيسة فى أحوال المغرب وكتاب جليل فى « الشعر الاندلسى بالفصحى » . وهذا البحث لخصه الدكتور بشر فارس ، وهو غير منشور

التعبير مما نظمه شعراء المشرق . فوصف الورود قريب من الدقة من طريق المشاهدة والتلذذ بالاسترواح . وقد أثارت ألوان الازهار فى مخيلاتهم صورا طريفة ، فالصفراء تذكر بالعاشق الولهان والبيضاء بالمعشوقة القاسية . ومثل هذا تجده عند « المطربين » الافرنج . ولم يلتفت شعراء المشرق الى الازهار كل ذلك الالتفات ولم يستوحوها على ذلك النحو الرقيق . بل ان الاندلسيين شغفوا بالرياض والانوار حتى انهم استلهموها فى مطالع قصائد المدح والنسيب . من ذلك قول ابن لبانة :

لولا ذبول الورد قلت بأنـه ‏ ‏ ‏ ‏ خد الحبيب عليه صبغ حيائه

وسيكون هذا من شأن « المطربين » ولا سيما فى القرن الثانى عشر للمسيح

ومما راق شعراء الاندلس أيضا منظر الفجر ، فقد فتنوا بانسلال النهار من رداء الليل وذهبوا فى « التمثيل » ألطف مذهب . يقول أبو الفضل بن شرف :

وألاح الفجر خـدا خجلا ‏ ‏ ‏ ‏ جال من رشح الندى فى غرق

وللمرأة والحب جميعا مكان رفيع فى مجموع أشعار الاندلسيين . والحق أن المعشوقة الاندلسية لا تختلف كثيرا عن أختها المشرقية من جهة الوصف ، ولكن للاندلسيين خفة ورشاقة فى الحديث عنها لا نكاد نجدهما الا عند بشار بن برد . وفى غزلهم ، فوق هذا ، قلق ، وفيه على التخصيص شغل بالموت المقترن بالحب . ألم يقل ابن زيدون فى «ولادة» :

ترى المحبين صرعى فى عراصهم ‏ ‏ ‏ ‏ كفتية الكهف ما يدرون ما لبثوا

وهذا الشعور الاليم يدل على أن الحب فى الاندلس كان بعيد الغور ، موفور الصدق . وقد أثر بفضل ذلك فى شعر « المطربين » من الافرنج . حتى ان المعنى الواحد تجده هنا وهنا . مثال هذا الاتفاق : أن العاشق الحق عبد لمعشوقه ، وانه «أسير الوجد والطرب» وأن الحب موزع بين الالم والسرور (السرور الذى يعبر عنه المطربون بلفظ joy وأن المعشوق يلقب بالسيد أو المولى ، وانه يكنى عنه باسم مستعار ، وأن الرقيب والواشى قائمان دون السعادة التامة . ومن المعانى أيضا الحب العذرى المترفع عن الجسد . فهذا ابن حزم يقول فى « طوق الحمامة » :

ووصل الروح ألطف فيك وقعا ‏ ‏ ‏ ‏ من الجسم المواصل ألف ضعف

ويتصل بهذا قدرة الحب على رفع النفس وترقيـة الضمير . وأما المرأة فى الشـعر الاندلسى فهى محل اجلال . وهذا يذكرنا باللطافة courtoisie الشائعة فى شعر المطربين

بقيت كلمة فى شكل الشعر الاندلسى . فالموشح والزجل فسحا لتنويع القافية ولاطلاق الخيال

* * *

تلك خصائص الشعر الاندلسى فى عهد ملوك الطوائف . وفى هذا العهد بعينه خرج الادب الفرنسى من حال الى حال اذ انصرف الشعر الى الغناء والنسيب والرقة واحترام المرأة ، على حين أن المجتمع كان ميالا الى الخشونة والعنف والبطش . وقد حير هذا

التناقض جماعة من الذين نظروا فى نشأة الشعر الفرنسى . فرأى بعضهم خطأ ان هذا الشعر مستمد من شعر أوفيد اللاتينى ، ورأى غيرهم انه مستلهم من الأغانى الشعبية دون أن ينتبه الى طابع الفن الذى يميز شعر المطربين ، ورأى آخرون ان هذا الشعر سليل الشعر الاندلسى . وهو الرأى الادنى الى الصواب ، وان فنده علماء من الطبقة الاولى ، أمثال « رينان » المستشرق الفرنسى و « دوزى » المستشرق الهولندى . على أن الموازنة بين آثار الشعرين ترد على المفندين .. فقد مر فوق تشابه كثير فى المعانى بين الشعرين ، وهنالك تشابه فى الافتنان فى سوق القوافى والمراوحة بينها . ودونك زجلا :

يا مليح الدنيـــا قول
على اش انت يا ابن ملول
أى انا عنـدك وجيـه
يتمجج منه وفيـه
ثم فاحـلى ما تتيـه
ترجـع أنسك وصـول

(من ديوان ابن قزمان ، زجل ٩٩)

وأما كيف وقع التأثير فمن جهة الصلات التى كانت قائمة بين الافرنج والاندلسيين من طريق الرحلات والسفارات والمخالطات والاجتماعات على اللهو والغناء. وفى « الذخيرة » لابن بسام أخبار كثيرة عن كل ذلك ، بل فيه من الاخبار ما يدل على أن الافرنج أخذوا عن المسلمين عادة السماع ، فكانوا يطربون للالحان العربية التى يغنيها على العود قينات مسلمات (« الذخيرة » جزء ٣ ص ٥٠ وجها وظهرا ، ص ٨٥ وجها ، مخطوط فى خزانة غوطا)

والأدلة على الاتصال المستمر بين المسلمين وأهل جنوب فرنسا واضحة فى ميدان الفنون ، فأقواس البناء مأخوذة من العمارة الاندلسية ، والنقوش منقولة عنها . ثم هل نمضى عن الصلات الثقافية فننسى طليطلة حيث قامت ترجمة العلوم من العربية ؟

***

وخلاصة البحث أن شعر المطربين نشأ بفضل عوامل كثيرة ، فربما تأثر بالشعر اللاتينى أو العامى ، ولكن تأثير الشعر الاندلسى الصرف فيه جلى وبعيد

المرأة العراقية

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

العراقى والمصرى يتشابهان فى الخلق ـ بفتح الخاء ـ تشابها عظيما ، فلولا اللهجة والنبرة وبعض الالفاظ العامية المحلية ، لما أحس المصرى أنه انتقل الى بلد آخر وشعب غير شعبه ، ومثل هذا يقال عن المرأة ، فانها شبيهة بالمرأة المصرية فى خلقها وعاداتها

المرأة العراقية نساء شتى ، كأختها المصرية ، فهناك الريفية التى تعمل ولا تحتجب ، والبدوية التى تجرى على عرف القبائل ـ أو العشائر ـ وتقاليدها . والتى تعيش ـ ولا أقول تحيا ـ فى المدن وكأنها فى صندوق مغلق ، ولا يراها من الرجال سوى أبيها أو بعلها أو أخيها ، ولا تبدى وجهها أو زينتها حتى لزوج أختها ، أو أبناء عمومتها أو خؤولتها ، فاذا خرجت الى الطريق رأيت شيئا ملفقا كأنه فى غرارة ، حتى لتعجب لها كيف تستطيع أن تبصر موضع قدمها ، أو تتقى الاصطدام بغيرها ـ بالناس أو بالاشياء ـ وهناك التى أصابت حظا من التعليم ولكنها ما زالت على الحجاب ، تؤثره لنفسها لانها شبت عليه ، أو يفرضه عليها الرجال لانهم لم يستطيعوا ان يروضوا أنفسهم على ما يقتضيه السفور ، أو التطور مع الزمن ، وهناك أخيرا الفتاة الحديثة التى تتلقى مبادىء العلوم فى مدارس للبنات وتتلقى التعليم العالى مع البنين

فاذا قلنا « المرأة العراقية » فالقارىء خليق أن يحتار فلا يدرى أى هؤلاء نعنى ، فانهن كما ترى كثر ، متفاوتات ، ولكنا نعتقد أننا نظلم المرأة العراقية اذا عنينا غير الفتاة الحديثة ، لان هذه هى التى عليها المعول ، وفيها الامل ، وأمامها ـ أو فى يدها ـ المستقبل . اما الأخريات فينقرضن على الأيام ، ويمضى عليهن الزمن فيمضى بهن ، وعهدهن ذاهب لا محالة ، ولن يبقى الا الفتاة الحديثة على درجات من التهذيب والتثقيف متفاوتة بحسب طبقات المجتمع

والفتاة الحديثة تخرج سافرة ، ولكن البعض يسدلن فوق الثياب ما يسمى « العبا » أو العباءة أو الملاءة ، وهى لفقان من حرير أسود رقيق ، تشبك بالشعر ، ولا تستر الوجه ولا الصدر ، ولا فائدة لها ، وانما هى أثر متخلف من أيام الحجاب ، وبقاؤها على هذه الصورة ، خطوة الى السفور التام ، ستتلوها بلا شك خطوة أخرى ، فتطرح لانها تزيد لا خير فيه وكلفة لا داعى لها . واكثر الطالبات يذهبن الى معاهد التعليم وعليهن

هذه « العبا » ويخلعنها أثناء الدروس ، ويلبسنها حين ينصرفن ، على انى رأيت كثيرات من طالبات المدارس العليا يستغنين عن العباءة فى الطريق ولايتخذنها

وحدثنى مدير التعليم بلواء البصرة ، بعد أن زرت معه مدرسة متوسطة للبنات أنهن طرحن العباءة اكراما لى واحتفاء بى ، وانهن يلبسنها حتى فى الفصول اذا دخل عليهن زائر أو مفتش جديد لم يألفنه

وسألت مفتشة بوزارة المعارف رأيتها تصر على العباءة ولا تنزعها أبدا ، عن علة تمسكها بها فقالت انها عادة ، وانها لا تشعر بضيق منها ، وانها تراها فضلا عن ذلك زينة جميلة ! ولا شك أنها تكسب الوجه الجميل وضاءة ، ولكنى مع ذلك استسخفتها ، ولم أكتم رأيى فيها

ويغلب أن تلزم الفتاة العراقية الحديثة بيتها بعد الغروب ، ولها العذر ، فما ثم ما يغرى بالتلكؤ خارج البيت بعد ذلك ، الا لشهود السينما ، وقد اضحكتنى حيرة صديق لى فى الايام الاولى من زيارتى لبغداد ، أراد ، فوق الاكرام، ان يعيننى على معرفة المرأة العراقية الجديدة ، ففكر أولا فى اقامة مأدبة عشاء ، يدعو اليها مع الرجال سربا من النساء ، وكان لا بد أن تكون المأدبة فى فندق ليتسع للمدعوين والمدعوات ، ولكن العشاء لا يكون قبل منتصف الثامنة ، فلا يكون الفراغ منها الا فى الساعة التاسعة أو نحوها ، ومن العسير ان تبقى الفتاة العراقية الى مثل هذه الساعة المتأخرة . اذن ماذا يصنع ؟ قلت اجعلها حفلة شاى ، وكانت لى عليه ، كما له على ، دالة ، فاعترضتنا صعوبة أخرى مماثلة لتلك هى أن الشاى يبدأ فى الساعة الخامسة وأخلق به أن يمتد مع الحديث والخطب الى قريب من السابعة ، وهذه أيضا ساعة متأخرة ، والتوقيت العراقى يسبق التوقيت المصرى بساعة كما يعرف القراء أو لا يعرفون . فلم يسعنى الا أن أرجو منه أن يعدل عن الامر كله ، فأبى ، ولكنه أراد شيئا وأراد الله خلافه ، فمرضت ، ولم تبق له حيلة الا الصبر ، وما زال صابرا

والفتاة العراقية — كأهل العراق جميعا — تحب الشعر وتطرب له ، وتنظمه أيضا ، ولم أر أكثر من شعراء العراق ، رجالا ونساء ، وعسى أن يكون مما ساعد على كثرة الشاعرات أنهن أخلى من المشاغل ، وأبعد من اللهو ، ولكن كثرتهن مع ذلك عجيبة ، وما أكثر من سألتنى منهن لماذا طلقت الشعر ؟ كأنما كنت طلقت امرأة ! فكنت أقول لهن انى انما كففت وتبت الى الله ، ولم أطلق ، وانى استثقل لفظ الطلاق ولا استمرئه . فلا يقنعن بهذه السفسطة ، ويأبين الا الالحاح فى بيان السبب ، وأى سبب هناك غير الاخفاق والعجز

ولقيت سيدة اشتركت فى المؤتمر النسوى بالقاهرة ، وأحست انى غير راض عن مطالبة المؤتمر بحذف نون النسوة فقالت ان التى اقترحت ذلك مصرية . قلت ولكن العراقيات وافقن فهن شريكات لها فى التبعة

والعراقية — كالعراقى — تأخذ الامور جادة ، وهى مرهفة الاحساس ، وشعورها دقيق

بمركزها المتخلف فى المجتمع العراقى ، وثورتها على ذلك حادة ، ولكن بلسانها ، ولغطها بالمساواة لا يكاد ينقطع ، وقد قلت لاحداهن فى اجتماع خاص ببيت صديق « ما هـذه المساواة التى تطلبين وأنت لم تخلقى خلقة الرجل ؟ ثم انك مخطئة حين تظنين ان اختلاف الوظيفتين معناه ان الرجل اسمى مقاما من المرأة ، أو ان المرأة أحط منزلة . كل ما فى الامر ان لكل منهما اختصاصه ، ووظيفته الموكولة اليه فى الحياة . وليس هناك ـ ولا ينبغى أن يكون هناك ـ مفاضلة . واذا كانت الحرية مطلبك فاقدرى عليها بفوزى بها ، ولكن لا تنتظرى أن ينزل لك الرجل عن شىء مختارا ، كما لا يجوز ان ينتظر الرجل ان تنزل له المرأة عن شىء ولها الخيار . وكل من بيده شىء يحرص عليه . فحررى أنت نفسك ، بالعلم وافادة القوة المستمدة منه ، وباستحقاق الاحترام فى نظر الرجل . وحسبك من الرجل أنه يعلمك ويثقفك ويضع رجلك على السلم ، وعليك أنت أن تصعدى وترتقى فيه . ولا شك أن الرجل لا يفعل ذلك لوجه الله فانه أنانى ، والحياة مع امرأة مهذبة مثقفة أطيب منها مع الجاهلة الغبية . ولكن أنانية الرجل هى فرصة المرأة ، فلتغتنمها على أحسن وجه والى أبعد مدى . اما اللغط بالمساواة فهراء لانه شىء أبته الطبيعة »

ولا تزال الحياة الاجتماعية فى العراق فى بداية المرحلة الاولى ، أى انهـا موجودة كمعدومة ، فالرجال يذهبون الى الاندية أو المقاهى أو الفنادق ، ويقضون السهرة هناك ، والمرأة تقعد فى البيت ، مع قريباتها أو صواحبها اذا شاءت . وبعض الرجال يؤثرون الاجتماعات المنزلية ، وهؤلاء هم القلة لا الكثرة . فالحال شبيهة بما فى مصر . وان كانت الحياة الاجتماعية أوسع نطاقا ، ووسائل التسرية عن المرأة أوفر وأيسر

ولا شك أن المرأة العراقية ماضية الى السفور التام ، ولست اعنى بالسفور مجرد الخروج بوجه غير مستور فان هذا حاصل ، وانما أعنى الحياة الاجتماعية التى لا تفرد فيها المرأة بمكان والرجل بمكان ، ويكون كل منهما بمعزل عن الآخر ، وهذا شىء يزول بانتشار التعليم ، واعتياد الحياة المختلطة شيئا فشيئا

ولا خوف من ثورة المرأة العراقية فى الوقت الحاضر ، لانها فى الحقيقة ليست الا مظهر تململ من قيود واهية باقية ، حتى الرجال يشعرون أن العادات العتيقة لم يبق لها مسوغ ، وان حياتهم ناقصة بغير المرأة ، ومتى استقرت قواعد الحياة الجديدة ، وألفت المرأة نفسها بعد أن تؤدى وظيفتها الموكولة اليها ، تشارك الرجل فيما عدا ذلك من وجوه حياته ، فأخلق بها أن تشعر بالرضى والاطمئنان ، لان كل ما يضايقها ويثقل عليها وبعضها هو الحرمان ، فهى ستظل ساخطة متبرمة ما بقيت بمعزل عن حيـاة الرجل ، ولكنها ستقر وتسكن متى رفعت الحوائل وأزيلت الحواجز . أما المساواة بالمعنى الصحيح فلست أعتقد أن فى الدنيا امرأة تؤمن بها فى سريرتها وقرارة نفسها ، ومتى نالت حقها المعقول فأخلق بها حينئذ أن تفىء الى ما هو أرشد

ومما يستحق الذكر هنا ان الطالبات باحدى دور التعليم العالية ثرن ـ وأنا بالعراق ـ

على نظام فرضته الدار ، وهو يقضى بأن تكون لهن أمكنة خاصة يزاولن فيها العابهن الرياضية ، فأبين هذا الانفصال ، وأضربن عن اللعب والرياضة ، وعن حضور الحفلات المدرسية . وكانت حجة الطالبات أنهن يحضرن الدروس مع الطلاب ، ويلتقين بهم فى الابهاء والافنية لانهن معهم فى مدرسة واحدة ، فلماذا يفصلن منهم فى أماكن اللعب الا اذا كان الاستاذ الذي قضى بهذا الفصل حاضرا يرى بعينه ويسمع بأذنه . وكانت حجة الاستاذ انه يخشى عاقبة هذا الاختلاط اذا لم تكن هناك رقابة ، وقد تركت العراق والثورة ما زالت قائمة ، والاضراب عن اللعب مستمرا . فلا علم لى بما انتهى اليه الامر ، ولكنى واثق ان الطالبات سيفزن فى النهاية لان هذا هو الاتجاه العام للتيار ، لا لان الاستاذ مخطىء

والعراقى والمصرى يتشابهان فى الخلق (بفتح الخاء) تشابها عظيما ، فلولا اللهجة والنبرة وبعض الالفاظ العامية المحلية ، لما أحس المصرى انه انتقل الى بلد آخر وشعب غير شعبه ، ومثل هذا يقال عن المرأة ، فانها شبيهة بالمرأة المصرية ، فى خلقها وعاداتها ، ومن المضحكات التى يؤدى اليها اختلاف اللهجة والالفاظ المألوفة ، ما قصه على ، عراقى زار مصر ، وكان معه آخر من مواطنيه ، فضلا ، فى بعض الطريق ، ورأى أحدهما سيدة أنيقة الثياب فقال لصاحبه يحسن أن نسأل هذه « المرة » عن الطريق ـ والعراقى يقول « المره » ويعنى المرأة . واللفظ لا يدل هناك على ما يدل عليه هنا من التحقير والمهانة ـ وسمعت السيدة ذلك وأقبل عليها أحدهما يسألها فثارت به واوسعته تقريعا ، ففطن الى السبب وشرح لها الامر واعتذر

واعترف ان لفظ « المرة » كان يثقل على سمعى ، ولا سيما حين تقوله سيدة ، حتى اعتدت ذلك فخف وقعه قليلا ، ولكنى بقيت الى آخر لحظة استثقل أن يقال عن المرأة « مره » وأنفر من ذلك وأحس بشىء من الخجل ـ ولا مسوغ لذلك الا من اختلاف مألوفهم ومألوفنا

ابرهيم عبد القادر المازنى

من لا يستطيع أن يفكر يكون مجنونا ومن لا يريد أن يفكر يكون متعصبا ومن لايجرؤ على أن يفكر يكون عبدا « جست »

تيارات جديدة
فى نظم العالم الاجتماعية

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

يقول بعض الناس ان الحرب جزء لا يتجزأ من مكونات نظام البشر

فاذا صح هذا كان تفسيره ان الانسانية مريضة وعلى أطبائها ان يجدوا لها الدواء ، فاذا استعصى فى الماضى وفى الحاضر فلا شك من الوصول الى اكتشاف جرثومة المرض ووصف العلاج فى المستقبل

فالقول – مثلا – ان السرطان والسل وما اليهما من الامراض القتالة المستعصية شر وقسم من الجسم الانسانى ، معناه اليأس من تعقب سير العلم حتى تصل الانسانية الى الشفاء ، ومثل ذلك القول بأن الحرب من مستلزمات البشرية

انها فى الواقع مرض وشر فلا بد اذن للذين يتولون الزعامة الانسانية من البحث عن ميكروب هذا الداء ثم القضاء عليه

أهم أسباب الحرب

لعل الناس لم يجمعوا على شىء اجماعهم على أن أسباب الحرب تكاد ان تحصر فى أمرين: السياسة والاقتصاد

وعندنا ان الشأن الاقتصادى هو العامل الاكبر وان كانت الحروب الماضية تغطيها السياسة بغطاء شفاف

فلقد جهل المؤرخون أو كذبوا عند ما أضاعوا وقتهم وكتبوا لنا تاريخ الحروب بأنها سعى الى مثل أعلى أو انها ضمان لسياسة عليا

ولم تكن فى الواقع الا تنفيذا لمطامع شخصية ، تظهر تارة فى الملوك أو الزعماء عند ما كانوا دون سواهم الآمرين الناهين فى الرعية ، وتارة أخرى فى الجماعات القومية عند ما أخذت السلطان من الحاكمين

فالعاهل القاضى بأمره كان يتخذ الفتح سببا لمجد موهوم يلصقه بنفسه أو ذريعة لرد هجوم يأتيه من قرين يفعل فعله

والرجلان فى الحالين سيرتهما الحالة الاقتصادية ، اما اتقاء للجوع أو ضمانا للشبع أو طمعا فى الترف ، ولكن الوهم الاكبر كان فى الماضى منصرفا الى التستر على الامور المادية والتظاهر باحتقارها والمباهاة بما سموه « مجدا »

ذلك لان الرؤساء الحاكمين لو أنهم قالوا الحقيقة بأن الغرض الكسب المادى لطالبهم الشعب بشيء من الغنيمة ، وهم لم يكونوا يفهمون الشعب الا انه سلعة مما يستغل . فاذا كانوا على شيء من الذكاء وسعوا له فى الكسب حتى يعودوا ويتقاضوه منه ضرائب ومكوسا

على أن الخطوة التى جاءت بعد ثورات عديدة سياسية واجتماعية ودينية ، والتى لم تكن الا احتجاجا يقيمه الفقر على الغنى ، قد نقلت السلطان الى أيد كثيرة مثلت فى البرلمانات وما اليها من الطبقات التى استأثرت بالتعليم وبالمال واتسع نطاق التبادل الفكرى والمادى بين الامم ، فصارت الحروب يعلن عنها أنها بغى يزيده الذين ليس عندهم على الذين عندهم وهذا ما كانت تقوله المانيا واليابان وايطاليا قبل هذه الحرب

ولم يعد من شك بأن الحرب تنشأ من تقلقل فى الامور الاقتصادية يوجهها القادة تارة توجيها اجتماعيا وأخرى سياسيا بألفاظ تستهوى الجماهير فيساقون سوق الانعام ، فيقال لهم انا نحارب لاجل الدين كأن الله لم يخلق غيرهم وكلاء عنه ويقولون مرة أخرى اننا نحارب لاجل الحرية والاستقلال كأن العبودية من الداخل أشرف من عبودية تأتى من الخارج

وهكذا حتى جاء ملء الزمن وأصبحنا نسمع الآن ونقرأ بأن هذه الحرب دخلتها أميركا ومن قبل روسيا وبريطانيا حتى لا تتحكم المانيا بهم وبما ملكت ايمانهم

وصار أمرا معقولا أن نسمع بأن الغرض من النصر سيكون نصرا للرجل العادى . وتمهيدا لمستوى من العيش يأمن فيه هذا الرجل الجوع والعرى وما اليهما من مواليد الفقر

الرجل العادى

فالحرب سواء أصدق الزعماء أم مكروا ستكون عقباها خدمة الرجل العادى . هذا الرجل الذى قضى دهره يسار به الى اليمين والى الشمال ثم ينتهى الى الذبح . هذا الرجل الذى كان عليه كل الغرم وقليل من الغنم فى شتى الحروب الماضية . ويلوح لنا أنه بلغ أشده الآن وأصبح وعيه منصرفا الى تحسين أموره المادية والايمان بمتاع متواضع فى هذه الدنيا مؤجلا متاع الآخرة

لذلك لا نكاد نقرأ الا المشروعات الآيلة الى تحسين حالة هذا الرجل فى معظم انحاء العالم

فالصوت الصارخ فى روسيا يكاد ان يكون الصوت الصارخ فى بريطانيا والصوت الآخر عبر الاتلنتيكى فى أميركا : ارفعوا مستوى العيش للناس ومكنوهم من العمل ومن الصحة ومن التعليم

وقد تختلف الوسائل ولكن الهدف واحد

فليست الاشتراكية أو الرأسمالية أو ما شئت من الانظمة الاقتصادية التى تختلف

باختلاف الشعوب أو التربية أو الاستعداد العقلي ـ ليست هذه الانظمة كتبا منزلة لايتناولها التغيير وانما هي محاولات ترمى الى توزيع الثروة والانتاج توزيعا يقلل من عدد المعوزين المستائين ما أمكن

فسياسة الدول قائمة الآن بصراحة على أن تخدم كل دولة شعبها خدمة عامة تتناول كل الأفراد

ويبقى على الزعماء أن يختاروا الطريق الامثل أو يحاولوا ان يختاروا ما استطاعوا الطريق الذى لا تصطدم به مصالح شعب مع شعب آخر

وهذا هو كل السياسة الآن ، أو ما يجب أن تكون عليه

موقف بريطانيا

ولعلنا اذا لخصنا موقف كل دولة من الدول الكبرى التى تم النصر على يدها نرى توجه سياستها ونلمس لمس اليد ان الغرض اقتصادى اجتماعى قبل ان يكون سياسيا وان السياسة يجب أن تكون خادما لا مخدوما

فبريطانيا دولة تعيش على ما تستورده من الخارج وعلى ما تصدره الى الخارج.

اما ما تستورده فقد قدره الخبيرون بأنه ما يساوى نحو ألف مليون جنيه فى السنة ويدخل فى هذا نحو أكثر من نصفه ثمنا لمواد غذائية

ولا بد لمن يشترى من أن يؤدى الثمن

فكيف كانت تؤديه بريطانيا ؟

كان باصدار بضاعة لها الى الخارج مثل الآلات والمصنوعات القطنية والحريرية والوسكى وما الى ذلك من انتاج مصانعها ، هذا أولا ، وثانيا باقتضاء أموال لها مستغلة فى الخارج ، ومما تتقاضاه من دخل بواسطة سفن الشحن وشركات التأمين

وقد جاءت هذه الحرب فازالت أكثر من نصف صادرات انجلترا وفقدت نحو نصف ايرادها الخارجى من استغلال رؤوس أموالها وأضاعت مركزها الممتاز فى سفن الشحن. فيتعين والحالة هذه على أية حكومة انجليزية تقوم لها قائمة أن تعيد مركز انجلترا التجارى الى ما كان قبل الحرب بل وأفضل مما كان عليه. والا اضطرت أن تخفض مستوى المعيشة فى الشعب وهذا غير ما وعد هذا الشعب به

فكيف السبيل الى هذا ، أتحيط انجلترا نفسها وامبراطوريتها بحائط من السياج الجمركى ، وتكتفى بالتجارة داخل نطاق الامبراطورية ؟ ان فعلت هذا أوغرت صدور دول أخرى فتمنع عنهم أسواقها ، هذا فضلا عن أن الامر قد لا يرضى بعض شركائها فى الامبراطورية مثل كندا وافريقيا الجنوبية

واذا أباحت أسواق امبراطوريتها للجميع ، فهل تستطيع ان تزاحم الصناعة الاميركية ؟ وتبقى روسيا عاملا اقتصاديا عظيما للتجارة البريطانية والاميركية ، فكيف السبيل الى

التوفيق بين المحافظة على تشغيل كل الناس فى كل دولة ، ورفع مستوى معيشتهم وبين التزاحم مع الغير تزاحما يؤدى فى النهاية الى الحرب

موقف امیرکا

أما الولايات المتحدة فقد أظهرت لها هذه الحرب سعة طاقتها الصناعية ، فأصبح الشعب الذى حول مصانعه الى الانتاج الحربى ، ونجح فيه أى نجاح يرى أن تحويل هذه المصانع الى الانتاج السلمى انفع وافق

وهذا أحسن

فان الاصدار الاميركى يرفع مستوى المعيشة الاميركية ويخلق عملا للايدى فلا تتعطل. ولكن الاصدار معناه البيع ، ومعنى البيع ان يكون هناك من يشترى أو بتعبير أصح من يستطيع الشراء . فاذا أرسلت أميركا صناعتها الى مصر مثلا كان حتما على مصر أن تؤدى ثمن ما تشتريه ، ومن أين لها الدولارات اذا لم تشتر منها أميركا ما تستطيع بيعه لها وقس على مصر انجلترا أو كندا أو فرنسا أو أى بلد آخر

فالذى يبيع يجب عليه أن يشترى حتى يستوفى ماله ، فاذا اشترت أميركا القمح أو القطن أو بضاعة مصنوعة وجب عليها خفض الرسوم الجمركية التى تحمى هذه الاصناف عندها . فاذا خفضتها قامت قيامة منتجى هذه المواد كالمزارعين أو الصناع الذين تحمى الجمارك بضاعتهم من مزاحمة البضاعة الاجنبية

فالامر كما ترى صعب المراس لا يمكن الاهتداء الى حله بارضاء فريقين فما بالك بارضاء الاجنبى أيضا

فانه اذا وفقت أميركا بين صناعتها وتجارتها الخارجية ، أغضبت زراعها واذا خفضت الرسوم الجمركية لتمكين الاجنبى من شراء صناعتها آل الامر الى خفض مستوى العيش فى الفلاحين فتقوم القيامة

فما هو الطريق الى ملافاة كل هذا ؟

موقف روسيا

لعل روسيا هى الدولة الوحيدة التى أخذت بمبدأ اقتصادى معلوم ، ووضعته موضع التنفيذ فى شعب يكاد أن يبلغ مائتى مليون نسمة

ولقد نجح نظامها بمعنى انها توصلت الى تمكين تسعة أعشار الشعب من معيشة محددة على حساب عشر زال ولم يعد له اثر

والسياسة السوفيتية قائمة على تمكين هذا الشعب من رفع مستوى عيشه من كل النواحى المادية والعلمية

ولكن روسيا أصيبت فى هذه الحرب بما لم تصب به دولة من قبل بتخريب مدن وتدمير مصانع وافساد أرض وتقتيل نحو عشرين مليونا من سكانها فلا بد لها من فترة طويلة تعيد ما تخرب ولا مندوحة لها من عون بلاد صناعية غنية كأميركا وكانجلترا

فقد يتيسر لروسيا أن تصبح بعد عشرين أو ثلاثين سنة أعظم دولة فى الارض انتاجا زراعيا وصناعيا ولكنها حتى يأتى هذا الاوان لا بد لها من تبادل الاخذ والعطاء مع اميركا ومع انجلترا حتى تستعيد قوتها وتنهى دور نقاهتها . ثم ماذا يحصل بعد هذا ؟ وكيف يستمر التعامل بين شعوب اكتفت بنفسها عن غيرها وكيف يسيرون فى معاملة الغير أو فى تدبير أمورهم بعضهم مع البعض الآخر

الحل الطبيعي

فأنت ترى من هذه النظرة المختصرة الى شؤون الدول الثلاث الكبرى ان التوجه ظاهر وهو يرمى الى تبادل التجارة لتحسين مستوى العيش لرجل الشارع

ورجل الشارع الذى دعوناه الرجل العادى هو قوام العالم اليوم

فاذا صح هذا ولا نخاله الا صحيحا كان أهم غرض يرمى اليه الذين بيدهم الزمام هو اقرار السلام مدة طويلة

كما ان هذا التوجه نفسه يوحى فى صميمه بأن لا غنى عن أمة لاخرى وان العالم متضامن مع اختلاف فى درجات هذا التضامن

فاذا قال لك قائل ان اميركا ــ أو أية دولة أخرى ــ تريد ان ترفع مستوى العيش فى كل انحاء العالم ، الفقير منه قبل الغنى ، والمتأخر قبل المتقدم ، فمعنى ذلك انها تريد ان تجعله قادرا على الشراء ومن يستطيع الشراء لا بد له من ثروة فى يده

فاذا كانت عقبى هذه الحرب أنها اظهرت للملأ ان منافع الناس متشابكة ، وان فائدتهم فى التعاون وفى الاخذ والعطاء زال سبب الحرب الاساسى . وعاد الناس الى التفكير بما نادى به قوم كثيرون منذ مئات من السنين بان الخلاص آت عن طريق النظم الدولية لا عن طريق النظم القومية . وهذا ما يعبرون عنه بقولهم internationalism وليس من فرصة مواتية مثل هذه لافهام الذين لا يزالون يفكرون بأسلوب خيالى قديم ، بأن العالم وحدة أو يكاد أن يكونها ، وان أساس الروابط بين الشعوب هو تبادل المنافع وان لا شىء يهدم هذا الاساس مثل الحرب . وانه اذا أمكن لدولة قوامها ٢٠٠ مليون من السكان ان تنظم أمورها الاقتصادية ، بما يكاد أن يشبع الجميع فأخلق بالدول الكبرى أن تفرض على نفسها وعلى العالم نظاما يضمن المستوى الاقتصادى المعقول للرجل العادى يتبعه مستوى علمى ثم يسير الجميع فى سبيل تنازع الطرق المؤدية الى رفع هذين المستويين دون أن يكون أثر للعامل القومى فى هذا التنازع

سامى الجريديني

قصة عصرية

سلطان المثل الأعلى

بقلم الأستاذ ابراهيم المصرى

« هذه قصة حدثت وقائعها فى قصر من قصور اسبانيا ، قصها على أديب اجنبى ، فراقنى موضوعها لما انطوى عليه من معنى انسانى عميق »

لمن خلقت هذه السماء الصافية ، وهذه الشمس الساطعة ، وهذه الاشجار الباسقة ، وهذا النسيم الناضر العليل ؟.. كل ما فى الطبيعة شائق الحسن ، باهر اللألاء ، جم الفتون ، ولكن الطبيعة مع ذلك صامتة وقاسية ومعرضة ، لا تقبل مختارة على جميع الناس ، ولا تخاطب منهم غير السعيد .. فالسعيد فى نفسه وقلبه ، السعيد فى فكره وحياته ، هو الذى يرى الطبيعة ، وهو الذى ينعم بجمالها ، وهو الذى يعيش فى جنة الجسد لان قلبه يعيش فى جنة الروح !.. وما دامت الروح هائمة حائرة ، يعذبها القلق ، ويضنيها الشقاء ، فالطبيعة لا تبتسم ، والدنيا لا تضحك ، والنور لا يمكن أن يمحو من الكون الظلام !..

هذه التأملات لم تخطر ببال الصبى جوزيف ، لم يفكر فيها . ولكنه أحس بها . أحس بها احساسا طاغيا مفاجئا . أحس بها الآن فقط وهو منبطح على الارض ، ينظر الى السماء تارة ، والى البئر العميقة تارة أخرى ، ويتلهى بتجريد أوراق زهرة سقطت فجأة بين يديه

وكان البستانى العجوز يلقى دلوه فى البئر العميقة ويروى الاشجار وهو يغنى ، فانصت اليه جوزيف ، وتأمله لحظة ، ثم اختلج وانهمرت من عينيه الدموع !.. هذا البستانى وحده هو السعيد .. سعيد بفقره ، سعيد بصبره ، سعيد بحديقته ، يرى الطبيعة ماثلة فيها ، والجمال نابعا منها ، والبهجة الخالصة منسكبة عليها من فيض قلبه الساكن الطاهر البرىء !..

وحزت فى صدر جوزيف هذه السعادة الكاملة ، ومزق سمعه وقلبه رنين الاغنية المشجية ، فجفت دموعه ، والتهب خياله ، وتصور فى مثل خطف البرق حياته التعسة المخزية أين أمه الآن ؟.. اخواته الثلاث ؟ أين شقيقه الاكبر ؟ أين أسرته التى كان يحبها

ويطمئن لها ، ويعتز بها ، ويفزع اليها كلما أصابه مكروه ؟ .. لا أحد هنا ! .. خرج الكل منذ الصباح ولن يعودوا الا عند الظهر .. لن يعودوا الا ليتناولوا طعام الغداء ثم ينصرف كل منهم الى عبثه ولهوه ومتاعه كأنهم قد اقتسموا فيما بينهم جميع مسرات هذه الدنيا ! .. أجل ، لا أحد هنا . انه وحيد ! وحيد فى هذا القصر الهائل ! فى هذه الابهاء الرحبة ! فى هذه الحجرات الواسعة ! فى هذا البيت الصاخب كالبحر ، الشاسع الهامد كالصحراء ! لا شىء حوله غير الخدم ! القصر أصبح مرتعا لهم .. لهم وحدهم ! ها هم .. انه يراهم يروحون ويغدون ، يعبثون ويضحكون ، يأكلون ويشربون ، ينظرون اليه نظرات التأفف الساخر ويولون عنه ويعرضون ! .. ولكن أين والدته ؟ لقد ارتدت اجمل أثوابها ، وانطلقت لزيارة صديقاتها منذ الصباح ! وأين أخواته الثلاث ؟ .. لقد ذهبت الاولى الى السينما ، والثانية الى ملعب التنس ، والثالثة الى حفلة موسيقية فى دار الاوبرا ! وأين شقيقه الاكبر ؟ .. لقد انسل من البيت كالعادة قبيل الفجر ، وخرج للصيد والقنص ولن يعود الا ليأكل وينام ويتهيأ لقضاء الليل فى الحانات والمراقص ودور اللهو ! .. تلك هى حياتهم . يعيشون فى الخارج ويتركون البيت نهبا للخدم ! وهو .. هو جوزيف .. يعيش بين أولئك الخدم ، وحيدا ، شريدا ، معذبا ، لا حب ولا حنان ، لا عطف ولا اهتمام ، لا رحمة ولا رثاء ، لا أم ولا أب ولا اخوة ولا أخوات ! ..

ولقد انقضت شهور طويلة وهو يحيا فى هذا القصر هذه الحياة .. يحياها منطويا على نفسه ، منكبا على همه ، متخبطا فى عزلته ، مستغرقا فى أساه ، لا يكاد يفكر فى والده الحنون وكيف انطفأ بغتة ومات ، حتى يفكر فى حظه ، وفى الناس ، وفى الخير والشر ، والظلم والعدل ، والجمال والقبح ، وهو بعد لم يتجاوز العاشرة من عمره المثقل بالهموم والحسرات ..

ولقد أشاعت الوحدة فى نفسه ضربا من الكآبة الصامتة ، والجهامة الساهمة ، والسوداء الحالمة ، فاهمل دروسه ، ورسب فى امتحان النقل ، وعصفت به الحسرة ، فازداد توحشا ونفورا ، وخيل اليه انه غريب .. لقيط .. أشفق عليه رب هذا القصر ثم مات دون أن يوصى به أحدا ..

هذه الفكرة احتلت مخيلة الصبى وانتشرت فى ذهنه ، وتملكت من حواسه ، فخامره بالرغم عنه شعور عميق بالخزى ، أذل كبرياءه ، وامتهن كرامته ، واقض مضجعه ، واحال الدنيا فى نظره الى مجتمع بغى وعدوان

رأى الشر ماثلا فى كل شىء . فى الانانية المروعة المستولية على قلب صاحبة القصر . فى وقاحة بناتها المستهترات الماجنات ، فى قسوة ابنها المترفع المتغطرس ، فى زلفى الخدم ونفاقهم الساخر البغيض ، فتاقت نفسه الى بصيص من النور ، الى ضوء من الرحمة ، الى قبس من الخير ، فتلفت حوله ، فلم يجد غير البستانى ! ..

وكان البستانى الشيخ هو الرجل الطيب الوحيد بين أهل هذا القصر . كان فقيرا ،

وكان يحب الاطفال ، ويحب النبات ، ويحب الحيوان ، وكل ما هو مسلوب الحول ضعيف ، يدب فى عزلة وخوف على هذه الارض ، فاحبه جوزيف ، واعجب به ، واستراح اليه ، وجمع فى شخصه صفوة الفضائل جميعا

أجل . كان يرى فى جبهته المغضنة العالية صورة النزاهة ، ويلمح فى نظرته الهادئة الباسمة معنى الرحمة ، ويلمس فى ضحكته الطائشة الناضرة فيض القناعة ، ويسمع فى اغنيته الساذجة المشجية رنين القلب الظافر ، غمرته فرحة الخير ، واسكرته خمر الصفاء

وكان البستانى يحب جوزيف ، ويستشعر ألمه ، ويواسيه ويطيب خاطره ، ويدعوه فى كل يوم أحد لتناول طعام الغداء فى غرفته الخشبية فى صحبة امرأته وطفليه ..

وها هو ذا البستانى الشيخ يلقى دلوه فى البئر العميقة ويغنى ، وجوزيف يشرب انغامه بأذن ظمأى ، ويحدق اليه ذاهلا شاردا مفتونا ، كما يحدق الانسان الى مثله الأعلى !

وظل البستانى يغنى وجوزيف يحدق اليه ..

وكان غناؤه فى هذا اليوم أوقع شجوا ، وامتع رخامة ، واغزر بهجة وتطلقا واشراقا ، فاستغرب منه الصبى هذا الاسراف فى المرح . ولاحظ ، لاول مرة ، فى صوته وحركاته ونظراته ، شيئا طارئا جديدا .. شيئا من التحول والتبدل غامضا مبهما ، ضاعف استغرابه وزاده تفرسا فيه وتحديقا اليه ..

وارتفعت الانغام ، وجلجلت فى الفضاء الساكن ، وتساقطت رناتها الفضية على الاشجار والازهار تساقط الندى المنعش فى فجر النهار

وخيل الى جوزيف انه ينطاد ويحلق ، ويضرب فى عرض السماء مع النغم الطائر فلبث شاخصا الى الشيخ ، وقد استحوذ عليه شعور عميق بالدهشة ، وشعور أعمق منه بالراحة والسكينة والامتلاء ..

وعندئذ ، وفى نشوة هذا التجلى ، سمعت ضجة كبيرة فى الداخل ، وشوهدت « ماريا » أصغر الاخوات الثلاث ، تقبل من القصر مسرعة ، وتعدو بين أشجار الحديقة ، وتنادى الصبى لاهثة ساخطة :

ــ انت هنا ؟.. ماذا تفعل هنا ؟.. لقد عدنا منذ لحظة وكشفنا فعلتك ! فتعال .. اتبعنى !.. اتبعنى حالا .. ستعترف ! واياك .. اياك والانكار !

فاختنق النغم فى صدر الشيخ ، وانكمش الصبى مذعورا ، فاهابت به الفتاة ثانية ، فنهض ذاهلا ملتاعا ، فجذبته من ذراعه ، وساقته أمامها وهى ترعد

وما كاد يدخل القصر ، ويطأ قدماه حجرته الفسيحة حيث اعتاد ان ينام على فراش صغير ممدد بجوار فراش أخته ماريا ، حتى أبصر أمه وأختيه « كارمن » و « ستيلا » جالسات على حافة سريره ، عابسات الوجوه ، مقطبات الجباه ، متحفزات متربصات

وأجال فيهن الطرف دهشا ، وهاله جمودهن ، فوقف مرتبكا ينظر الى اخته الصغرى ، وقد انعقد لسانه ، ودب فى صدره الخوف ..

وفجأة ، وفى مثل لطم اليد ، أو وقع السوط ، أو لسع العصا ، قذفت أمه فى وجهه بهذه الكلمة :

ـ انت هو السارق !

فأخذ الصبى ، وتلفت مبهوتا ، فعاجلته بقولها وهى تزفر :

ـ كانت هنا ! هنا ! فى هذا الدرج الخفى الصغير ! الساعة ! الساعة الذهبية الثمينة المرصعة بفصوص من الماس ! ساعة اختك ماريا ! افتقدتها الآن فلم تجدها !.. لا.. محال ! لم يسرقها الخدم ! فى القصر ما هو اثمن منها بكثير ومع ذلك فلم تمتد اليه يد !.. فأين الساعة ؟ انت وحدك كنت تعلم أين هى ! أنت .. أنت الذى سرقتها !..

ففغر الصبى فاه كأبله وغمغم حائرا مستهولا :

ـ أنا ؟.. أنا ؟..

فصرخت فيه اخته ماريا قائلة :

ـ نعم أنت ! طالما رجوتنى ان اعيرك ساعتى ولو يوما واحدا .. دائما كنت تطمع فى أن تحمل ساعة كابن عمك الكسيس .. كنت لا تنفك تسأل أمك ان تحقق لك هذه الرغبة !.. ولقد وعدتك بها فيما لو نجحت فى امتحان النقل .. ولكنك سقطت .. سقطت ولم تعد جديرا بحمل ساعة كالرجال ، فتجاسرت وسرقت ساعتى ! فقل أين هى؟ تكلم ..

ورمقته بنظرة ثاقبة هائلة . ووثبت به أمه مستشيطة مهددة . وأحاطت به شقيقتاه الكبيرتان وجعلتا تلاطفانه فى خبث ، وتستدرجانه فى لؤم ليتشجع ويعترف . فجاشت نفس جوزيف ، وسحقته الاهانة ، واثارته لوعة الكمد والعجز والظلم ، فأجهش بالبكاء ، وطفق يضرب صدره ووجهه بكلتا يديه ويصيح :

ـ لم أسرق شيئا !.. لم اسرق شيئا !..

فكبر على أمه ان تراه ينكر جريمته بمثل هذه الحرقة الصادقة المضللة ، فامسكت به ، ولوت ذراعه فى عنف ورددت :

ـ اعترف !.. تكلم !..

فافلت منها شامخا وهتف : لم أسرق !

فاستفزها اباؤه ، واسخطها اصراره ، فرفعت كفها الغليظة ، وهوت بها على وجهه

ولم يكد يحس اللطمة تلهب خده كالنار ، حتى تاه فكره ، وجن جنونه ، وطغى حقده فصرخ فى أمه واخواته ، زائغ العينين ، مزبد الشفتين ، غير مكترث لشىء :

ـ انى اكرهكم ! اكرهكم كلكم !.. كلكم ..

واندفع صوب الباب كحيوان مطارد مطعون ، ومرق منه مروق السهم ، وهم باجتياز الدهليز الطويل المفضى الى الحديقة . واذ ذاك ، وفى جوف الظلمة الخفيفة المنتشرة فى الدهليز ، لمح شبحا .. شبحا غريبا .. شبح انسان كان يسترق السمع ولا ريب خلف

الباب ، فذهل الصبى وتراجع ، ثم غامر واقدم ، ثم تبع الشبح وقلبه يخفق ، وانفاسه المتعاقبة تكاد تخنقه

ولما بلغ الحديقة أبصر الشبح فى أقصاها ، يتكمش وينحنى ، وينسل انسلال الظل ويندس بين الاشجار ، فتعقبه فى صمت ، وتأثره فى حذر ، فألفاه ينطلق نحو الجانب البحرى، ثم يمر بكن الدجاج، ثم يتحول ويتجه صوب الغرفة الخشبية حيث يقطن البستانى الشيخ

وقبل ان يدخل الشبح الغرفة ، أو يصل اليها ، غافله جوزيف ، والتف حوله ، وقطع عليه الطريق ، فاستوى الشبح فجأة ، وكشف عنه الغلالة التى كان يتستر بها ، فحدق اليه جوزيف وارتعد اذ ابصر نفسه أمام امرأة البستانى وجها لوجه !

وجثت المرأة عند قدميه وهمست : ارحمنا يا جوزيف !

وجذبته من ذراعه ، وادخلته الغرفة ، واوصدت خلفه الباب

وكان البستانى الشيخ جالسا القرفصاء بقرب طفليه ، ثابت النظرات ، جامد التقاطيع ، ساكنا صامتا كتمثال . فلما دخل جوزيف لم يتكلم ، ولم يتحرك ، ولم يلتفت اليه ، وظل شاخصا الى الفضاء شخوصا عميقا غريبا زاده فى عين الصبى روعة وجلالا وهيبة

ودفعت المرأة زوجها بمرفقها وصرخت : والآن ؟..

فأفاق البستانى من سباته ، وحول رأسه فى بطء ، واستقر بعينيه الثابتتين على محيا الصبى ، وغمغم :

ـ ماذا فعلوا بك ؟..

فأجابت المرأة وصوتها يتهدج :

ـ لقد حقروه واهانوه .. عذبوه وضربوه .. فثار ثائره ، وخرج هائما على وجهه !

فأرخى البستانى اهدابه ، وندت عنه زفرة ، وقال :

ـ والى أين كنت تنوى الذهاب ؟

فهتف جوزيف :

ـ الى هنا !.. اليك !.. اليك يا عماه !..

فتأمله الشيخ لحظة وقال :

ـ اتحبنى الى هذا الحد ؟..

فصاح الصبى من اعماق قلبه :

ـ لا أحب بعد الله غيرك انت !

فمد البستانى ذراعه الضامرة وطوق بها ظهر الصبى ، ثم انحنى على كتفه ، وتفرس فيه ، وصب فى أذنه هذه العبارة وهو يرجف :

ـ اذن فاعلم يا بنى أنى أنا .. أنا الذى سرقت !..

فصعق جوزيف ولم يفهم ، فصرخ الشيخ فى قسوة وعنف :

ـ الساعة معى !.. انت الذى لم تكف عن التحدث الى عنها .. انت الذى اغريتنى بها !.. انت الذى زينتها لى !.. انت الذى أشرت الى الدرج الخفى الصغير حيث أودعتها شقيقتك !.. ولقد غافلتك اليوم وسرقتها !.. سرقت لانى فقير !.. لم أر الذهب أبدا ! لم أر العالم أبدا !.. كل ما اعرف من الدنيا هو هذه الرقعة الضيقة الخضراء التى التهمت كل شبابى !.. لا !.. لن استمع لامرأتى !.. لن أرد الساعة !.. لن أشفق عليك ! أريد أن أعيش واتمتع ولو عاما ، ولو شهرا ، ولو يوما ، قبل ان اموت !..

وكان يتكلم فى غلظة لم يعهدها فيه الصبى أبدا . كان يتكلم وكأنه انسان آخر . كان يتكلم فى جشع مروع وحشى يثير العجب والسخط والذعر . وكان جوزيف ينظر اليه ، وقد جحظت عيناه ، وانخلع بدنه ، وارتعدت فرائصه ، ومزق قلبه ألم هائل فظيع .. أهذا هو الرجل الذى كان يحبه ويلوذ به من دون أهله والناس جميعا ؟.. أهذا هو الرجل الطيب القانع العادل النزيه الذى كان يجله ويغبطه ، ويعبده ويقدسه ، ويرفعه تارة الى مرتبة الملوك وتارة الى مصاف الآلهة ؟.. نعم .. انه هو .. هو بعينه . لم يتغير .. تلك نزوة ضعف طارىء عبث بلبه ولا يمكن ان تكون قد اصابته فى الصميم !

وتشبث جوزيف بهذا الأمل . واشفق على حبه الوحيد ان يتبدد ، وحلمه العظيم ان يتقوض ، فدنا من الشيخ وقال مترفقا متوسلا :

ـ اعطنى الساعة !.. سأردها الليلة حيث كانت وينتهى الامر !

واردف وهو يكاد يبكى :

ـ لتضربنى أمى ما شاءت !.. أنا لا احفل بنفسى !.. لا يهمنى ان اتهم واعذب ! أنا انظر اليك انت !.. اهتم بك انت .. لا أريد ان تكون أنت .. انت سارقا !..

فاختلج الشيخ ، وعض على شفته ولم يجب . فتعلقت به زوجته ، واحاطته بذراعيها ، ولاطفت خده بأناملها ، وقالت وهى تهم بتقبيل يديه :

ـ استمع لجوزيف !.. أيرضيك أن يتهم وأنت تعلم أنه برىء ؟.. ألم تشفق عليه ؟ ألم ترسلنى فى اثره لارى ما سوف يحل به ؟.. انك تحبه ! فاستمع له وانبذ الاوهام .. لقد عشت فقيرا وكنت سعيدا ، فاذا أخذت اليوم ما ليس لك فهذا هو فى الحقيقة بدء الشقاء

فزجرها الشيخ بنظرة حانقة متوعدة ، وقال فى صوت حاد المخارج ، باتر النبرات ، ينبض بالعزم والعناد والتحدى :

ـ لن اضيع فرصة العمر يا امرأة ، ولن استمع لانسان !

فصاح جوزيف بالرغم منه :

ـ واذا اتهمتك أنا ؟.. اذا ارشدت اليك ؟..

فانتفض الرجل ، وتصلبت عضلاته ، وقال وهو يلوح بذراعه ، وقد غشت وجهه الطيب قسوة فاتكة نكرته وشوهته :

ـ لو نطقتما بكلمة واحدة ، انت أو هى ، فلن اتردد فى اخماد صوتيكما قبل ان يبلغ مسامع ربة القصر !

واندلعت عيناه ، وضحك ضحكة هادرة ، واردف :

ـ لم أعد أخشى الجريمة بعد ان سرقت !

وظل واقفا ، ملوحا بذراعه ، مشرئبا الى الصبى بعنقه ، يتأمله ويتحداه وينتظر ..

وعندئذ ، عندئذ فقط ، فى تلك اللحظة الفاصلة ، وامام هذا الاصرار المروع على الشر ، وهذه الرغبة الطاغية فى احداث الاذى ، وهذا التحول المطلق العميق يصيب نفسا كانت بالامس انضر واجمل النفوس الطاهرة ، اسودت الدنيا فى عينى جوزيف ، وماجت به الارض ، وانهار وتقوض فى مثل لمح الطرف ، صرح مثله الاعلى !

واحس الشر فى كل شىء ، ولمس الاذى فى كل انسان ، واستشعر العزلة حيال كل مخلوق . وفقد حبه ، وفقد ايمانه ، وفقد راحته . وصرعته الخيبة ، وسحقته الحسرة ، وملكه اليأس ، وخنقه الاشمئزاز

ولم يستطع ان ينظر الى الشيخ ، ولا الى امرأته التى عقد لسانها الخوف، فحجب وجهه بكلتا يديه ، ونهض وهم بالخروج . واذ ذاك ، وقبل ان يخطو خطوة ، سمع صوت أمه تناديه باحثة عنه ، وسمع طرقا عنيفا على الباب ، فلم يضطرب ، ولم يجزع ، وتقدم بنفسه وفتح الباب وهو ساكن مطمئن . ولم تكد أمه تتشبث به ، وتجذبه الى الخارج ، مهددة بضربه أيضا لو عاد الى التملص والانكار ، حتى اقصاها عنه فى هدوء ، ورفع اليها طرفه الساهم ، ثم قال فى صوت جهير وهو يلقى على الشيخ وامرأته وطفليه نظرة وداع :

ـ نعم . أنا الذى سرقت !.. سرقت الساعة وفقدتها . ولولا ذلك لما انكرت ..

فصرخت الام :

ـ فقدتها ؟.. كيف فقدتها ؟.. أين ، ومتى ؟

وانقضت عليه وامسكت به ، ولكنه انتهرها فى غلظة ، ودفعها فى عنف ، وراغ منها ، وانطلق يعدو فى الحديقة كمخبول

وظل يعدو وفكرته الثابتة تلاحقه ، وعزمه الراسخ يتبعه ، ورغبته فى الخلاص تحث خطاه وتطارده ، حتى أدرك البئر ، البئر العميقة التى كان البستانى الشيخ يلقى دلوه فيها ويغنى

وهناك ، تجاه البئر المظلمة الساحرة ، وفى رجع صدى الاغنية الرخيمة المشجية ، وأمام دعوة الموت العاتية الجارفة ، استجمع جوزيف قواه ، واتأد لحظة ، ثم نظر الى السماء ، ثم اندفع وألقى بنفسه فى عمق الهاوية !

ابراهيم المصرى



بقلم الأستاذ زكى طليمات

مدير معهد فن التمثيل العربى

المسرح سجل لخفقان القلب البشرى ، اسلوبه يرمز ولا يفصح ، ويوحى ولا يبين . هو نشاط حى للانسانية تتجاوب فى انحائه اصداء أملها وقنوطها، مسراتها ومخاوفها

ان الاجابة التى عليها أكثر الناس ردا على سؤالنا : « اننا نغشى دور التمثيل للتسلية وقضاء وقت لطيف » . وهذا جواب سرعان ما يتضح قصوره عند امعان النظر ، والبحث فى ماهية التسلية وعناصرها ، وهل هى واحدة فى نظر كل انسان ولا تختلف باختلاف الامزجة ، وهل حق ما أراه مسليا وطريفا لا يراه غيرى تافها مجلبا للسآمة والضجر ؟

ثم اجابة أخرى مفادها « اننا نرود المسارح لننعم فيها بما ينعش وينبه فى قوة » وهذه اجابة أكثر وزنا من سابقتها ، ولكنها تضفى على هذه الدور مسحة تافهة اذ تنزلها الى مستوى أوكار المنبهات والمنعشات . هذا فضلا عن مجافتها للحقيقة ، اذ لا يخفى أن بيننا من يغشى دور التمثيل مرتين فى الاسبوع ، هذا وتعاطى المنبهات انما يلجأ اليه تحت تأثير حالات عارضة ، أى فى ظروف غير مطردة ! فكيف يكون ذهابنا الى المسارح مثل تعاطينا حقنة « استركنين » أو « زيت الكافور » وما على غرارهما من المنبهات ذات الاثر !

وينبرى جواب ثالث أثقل حولة من سابقيه من حيث انسراح المخيلة ، اذ يقرر « ان المسرح انما هو وسيلة لان يتجرد الانسان من نفسه ويغيب عن مشاغله » كأن المسرح فى زعم المجيب الحالم مخدرا أو منيما مضمون الاثر ، وله ميقاته فى التخدير والتغيب ، وكأن التخدير لا يعقب رد فعل من صحو مرير أو تبلد عميق !

والواقعيون الذين لا يعرفون غير الملموس ، يزعمون بدورهم أن هذا الحافز « انما هو لمطالعة صور من الحياة وأطياف من الواقع » . وذلك باعتبار أن المسرح منتقل ألوان الحياة وأطيافها . وهذا رأى له وزنه من حيث وظيفة المسرح فى سطحيتها وظاهرها ، ولكن سرعان ما يهب نفر آخر مفندين هذا الزعم ، وتتوالى الادلة من جانبهم على اننا

انما نغشى المسارح « لنرى غير ما فى الحياة من مبذولات الواقع ، وحسبنا ما نشهده منه كل يوم . وقد تأنقت الحياة نفسها فى اخراجه على المسرح الاكبر ، وهو الدنيا ، وأن خير ما فى الحياة ما أنساك ذكر الحياة والاحياء » !

وتأتى فوق ما ذكرت اجابة أخرى لعلها أوفى روية من السابقة ومضمونها «ان المسرح يجتذبنا بما يقدمه لنا من متنوعات لكل واحدة منها جدتها التى تجتذب وتفتن » والاجابة فى ظاهرها افحام لغير المتدبر الحذر ، لانها تنهض على سبب له خطره وأثره الفعال ، اذ لا شك فى أن المتنوع المختلف فى الجديد من المشهود والمسموع يجتذبنا حقا لان النفس فطرت على أن تحس المتعة فى مطالعة كل جديد

بيد أن لهذا الرأى جانبه المنهار باعتبار أن الجدة مبذولة فى غير ما يقدمه المسرح ولها مصادرها التى لا تحصى . واذا أردنا الجدة الذهنية الخالصة فهى موفورة فى القصص والشعر ، وكل كتاب له وزن ، بل هى مبذولة بلا ثمن فى الاهكومات الجارية والنكات المتداولة والجدة الحسية لها موارد خصبة فى الالعاب الرياضية وغيرها . ولو صح أن المسرح انما هو معرض لكل جديد فحسب ، واننا نقبل عليه من أجل هذا ، وليس من أجل شيء وراءه لاستعاض الناس عنه بعامل آخر تكون الجدة فيه أيسر تناولا وأخف مشقة وأرخص ثمنا ، ولما تجشموا سهر الليل فى دور التمثيل ودفع أجور أماكنهم فيها وانتقالهم اليها من منازلهم

هذه ألوان من اجابات ، ان خلت فى نظرنا من النفاذ الى بواطن الباعث الحق وعجزت عن استبطان دخائله ، فهى لا تخلو من الصدق والصراحة والاعتدال

***

أما المثاليون وعلماء التربية وفقهاء الوعظ والارشاد ومن يحاول أن يلتصق بهم عن غير عقيدة الا عن هوى فى نفسه غالب عليه فلهم اجاباتهم ، وهى اجابات على لمعتها البراقة لا تخلو من الحيف والاجتلاب لتأثرها بوجهات نظرهم

فالمثاليون ، يذهبون الى أن المسرح معبد فن وهيكل للجمال ، فنحن مسوقون اليه بدافع الجرى وراء التنعم بمظاهر الجمال

وعلماء التربية يذهبون الى أن المسرح مدرسة أولية وابتدائية وثانوية وعالية ، فنحن نقبل عليه لان الانسان مشغوف بالمعرفة ، وعلى الانسان أن يتعلم من المهد الى اللحد

وفقهاء الوعظ والارشاد يذهبون الى أن خشبة المسرح شأنها شأن منصة الخطيب ومنبر الواعظ ، فلا بد أن يذهب الناس اليها ليسترشدوا ويتعظوا ويعتبروا

هذه المذاهب تبدو خلابة عند النظرة المجلى لانها تحمل أسماء الادب والجمال والتعليم والارشاد . وهى عناصر تمتد أطرافها بحق الى فن التمثيل من حيث أن المسرح فى تمثيلاته للادب واللغة ، وهو للجمال من حيث الاخراج ووسائل التعبير المادى عن جو

المسرحية ، وهي الأستار والاضاءة والالوان وما اليها من المهمات المسرحية وما يمت الى الفنون الشكلية من نحت وتصوير وزخرفة . وقد خضعت في ابرازها لوحدة الفن ولشرعة الانسجام والائتلاف والتلاؤم ، وهو للاخلاقيات من حيث أن المسرحية في الموضوع تنزع دائما الى اعلاء الحق واخفاض شأن الباطل وتبصير الناس بما يجب أن يكونوا عليه ليسعد الجميع ، بيد أن هذه الاسباب وان استندت الى شيء له وزنه ومنها لحمة التمثيل ، فانها لا ترتكز على الدعامة الاولى والاخيرة التي هي منه كما العامود الفقري من أجسامنا وذلك من حيث ان الفن التمثيلي قوامه التعبير ، وانه لمعالجة النفس البشرية أولا وأخيرا .

فاذا صح جدلا ان المسرح للجمال وللادب وللتعليم وللارشاد فحسب ، فهل حقا اننا نغشى دور التمثيل من أجل مطالعة مظاهر الجمال ، وفي سبيل الاستزادة من العلم ، وابتغاء سماع الوعظ والارشاد ، ما أظن هذا ، وفيما يلي حجة ما أذهب اليه

اذا صح ما يزعمون من أن المسرح معبدجمال فحسب، فالجمال اعتباري محض ومقاييسه ومعاييره تختلف باختلاف الامزجة . وما يراه البعض جميلا يراه بعضنا الآخر غير جميل . وفوق هذا فان مظاهر الجمال مبذولة على وجه أكمل في المتاحف والمقتنيات الفنية وفي الآثار القديمة ، بل في الطبيعة المبدعة التي تشملنا . لو صح ما يزعمون لكانت المتاحف والآثار وما اليها مستزادنا في كل وقت وتجتذبنا أكثر من المسارح ، الامر الذي ينقضه الواقع . بل لكان في الجلوس الى مقهى تعبر أمامه السابلة ، ومن بينها أمثلة من الجمال الحي غناء لنا عن الذهاب الى دور التمثيل ، وعوض عن تحمل مصاريف مادية غير قليلة في سبيله

والزعم بأن المسرح مدرسة ، صدق لا مرية فيه باعتبار أن المسرح يكشف عن جديد ويبصر بما غاب . ولكنه صدق لا يختص به المسرح وحده دون غيره من سائر الفنون بل هو صدق ينطبق على كل عنصر في الوجود من شأنه أن يوحي بالمعرفة، حتى الايام على كروبها فانها مدرسة وأية مدرسة . ومتى كان الانسان يقبل على المدارس مختارا بعد أن يستكمل مقومات شخصيته ومعارفه في مراحل الدراسة المختلفة وفي مدرسة الزمان والتجاريب ، ويستقيم له منهج في الحياة ، وتخلص له غاية يمضي لتحقيقها ؟ ثم . . لا ننسى أن الانسان لا يرتاح الى التفكير الدائم كما قال جان جاك روسو !

وشأننا مع الزاعمين بأن المسرح للوعظ والارشاد لا يختلف مع ما تقدم ، دفع لبس واستخلاص تفاريق ألوان . فنحن نساق الى حلقات الوعظ والارشاد تحت ظروف طارئة ، أشرفها دافعا حينما نحس أن الارض تميد تحت أرجلنا لاحداث وقعت بنا ، والوعظ والارشاد لا تستساغ منهما الاقوال والحكم في كل وقت ، لان الانسان بطبعه يكره ما يذكره بالنقص ، خلقيا كان أو جسمانيا . وحسبنا ما نعيه كل يوم من وعظ الايام وارشاد التجاريب

واذا سلمنا بأن بيننا جمهورا يدأب على غشيان دور العلم مختارا وحضور حلقات الوعظ من غير اجبار ، وانه يرتاد المسارح بدافع الاستزادة من التعلم والاسترشاد ، فان هـذا الجمهور قلة لا يكفل عديده ملء دور التمثيل ليلة واحدة

وباذيال مذاهب المثاليين وعلماء التربية وأهل الوعظ يتعلق أصحاب النقد المغرض وأهل التفج ، وطلاب الاستثارة والتحدى ، ويتحدثون بلسانهم بل ويزيدون كلما ألهبهم لاعج للتعالم أو لانتقاص قدر فرقة تمثيلية وتمهين القائمين عليها ، ولم يجدوا من الحجج ما يبرر أقوالهم ، ويدعم مزاعمهم وكأن المسرح لم يوجد الا للتعليم والتثقيف والارشاد ومعالجة مشكلات الحياة المتحولة

***

وهكذا ترى أجوبة يضيق المقام بتسجيلها ، وكل منها تخالف الاخرى في رسم ذلك الحافز الحق الذى يسوقنا الى دور التمثيل . وليس بينها واحدة تميط اللثام عن ذلك الباعث الذى يدفعنا من حيث لا نشعر الى أن نكون للمسرح أكثر مما نكون للمتاحف ودور العلم ومحافل الوعظ والارشاد

ومأتى هذا الاختلاف فى الاجوبة ، اننا اذ نعالج الموضوع نخلط بين فن التمثيل فى مظهره وغاياته ، وبينه فى جوهره وبواعثه . وقد يكون فيما أوردناه من أجوبة بيان عن ماهية المسرح فى ظاهره وغاياته ، ولكن ما لنا ولهذا ؟ البادرات بحوافزها المضمرة لا بدوافعها الظاهرة والامور ببواعثها لا بنتائجها ، والجوهر أصل والبواعث صدق ، أما المظاهر ففرع وأما الغايات فنتائج مصيرها جميعا الى تحول على مر الزمن

اذا أردنا استكناه الباعث فيما نحن بصدده فلنبحث عنه فى ماهية فن التمثيل فى جوهره الاول :

فن التمثيل فى جوهره واصله تعبير وتعبير .. هو كذلك قبل أن يكون لاى اعتبار آخر والتعبير من الشعور ، والشعور من النفس ، ومعلوم أنه لا غنى لنا عن التعبير كما انه لا منصرف لنا عن المآكل والمشرب ، بل نحن مضطرون الى التعبير ما دام الحس قائما . ونحن نعبر من غير غاية نتوخاها لانه وسيلتنا الاولى والاخيرة ، مهما اختلفت ألوانه فى الاجابة على ما تتأثر به النفس من العوامل الداخلة عليها بواسطة الحس . وبالتعبير يفهم الانسان نفسه ويفهمه الناس

وعليه فلما كان المسرح مسترادا يزخر بالتعبير ، وعليه تتعاقب صوره المختلفة ، فنحن منجذبون اليه للتنفس عما هو مطوى فى أعماق سرائرنا مما هو مبهم علينا كنهه ومما نحيط باطرافه ولا نقدر على تحقيقه ، هذا والانسان تواق بلا انقطاع الى ارتياد المجهول من كل شىء . فحضورنا التمثيل انما هو مطالعة ألوان من التعبير الانسانى ، هى منا وفينا نتأملها وسرعان ما تتجاوب أصداؤها مع ما هو كامن فى ثنايا وعينا الباطن ، فتكون شرارة

الانفعال بعد أن يتم التجارب بين الحس وما هو مبذول أمامه ، وتكون لحظة تزخر فيها الحياة بالواقع وبما وراء الواقع ، مما هو مكبوت فينا ولا يجد منفذا للانطلاق ، فاذا بنا نشترك مع الممثل فى التعبير ونجاوبه بشعورنا من غير وعى ، فتتألق اللذة الذهنية ويكون الرضاء على أتمه ونحس بأن المسرح ضرورة لازمة لنا باعتبار انه يفسح لنا مجالات للتعبير عن طريق المشاركة مع الممثل الذى يقدم ألوانا منه قد لاتتاح مجالاتها فى حياتنا التى نحياها.
وقد تنقل فينا بواعث لا شعورية على التعبير بدورنا ، فيجرى صامتا فيما بيننا وبين نفوسنا وتكون مظاهره الملحوظة انقباض وانكماش فى أعضائنا تارة ، وانسراح وانبساط تارة أخرى، وقد ينكسر جفن وتختلج شفاة وتنزوى ساق وينطوى خصر فتتألق المتعة الذهنية، وقد تخالطها لذة حسية ويكون الرضاء على أتمه ، ونحس ان المسرح ضرورة لا غنى لنا عنها ، باعتبار انه يجاوب رغبة فينا هى أبدا ملحة وقائمة

واذا أخذنا بآراء « فرويد » من حيث ان كل بادرة ظاهرة من جانبنا مأتاها الغريزة الجنسية ، فقد لا نبرىء ذهابنا الى دور التمثيل من دافع لا شعورى نحو تملق هذه الغريزة من ناحيتها المتخيلة ، ولهذا الرأى خطره بيد أننا نقصر الدافع الحق الى ارتياد المسارح على انه بحث عن نواح تائهة فى نفوسنا ، ونفقد أحاسيس غريبة عنا . فيغدو المسرح أشبه شىء بمخزن فسيح تعددت فيه معروضات متباينة من خلجات النفس ولمعاتها . وفى اهتدائنا الى المطلوب منها ، وفى تجاوبه مع ما هو قائم فينا هزة ونشوة ، وعلى هذا النحو تكون كل زيارة منا لدور التمثيل بمثابة مغامرة لطيفة لارتياد أفق جديد ، ومخاطرة شيقة فى سبيل مطالعة اشراق ينفتح له الوجدان ، متع ، وهزات ، واشراقات لا تنضم عليها غير الانامل ، ولكنها أبدا تغرينا بطلاوتها الى متابعتها ، فنحن وراءها فى سعى مستمر وشوق لا ينقضى

المسرح سجل لخفقان القلب البشرى ، اسلوبه يرمز ولا يفصح ، ويوحى ولا يبين . هو نشاط حى للانسانية تتجاوب فى انحائه اصداء أملها وقنوطها ، مسراتها ومخاوفها . ويكون الفارق بين الكتاب والمسرحية، ان الاول يحكى عن هذا كله، فى حين ان المسرحية تجسمه أطيافا مقومة أحسن تقويم بما نفخ فيها من أنفاس الحياة نفسها

بعد هذا كله ، وقد أعلينا الجوهر على الحواشى ، ورددنا الفرع الى الاصل فى سبيل استخلاص الباعث الحق على ارتيادنا المسارح ، تتضح لنا ماهية فن التمثيل فى جوهره ولبابه ، كما تبدو عناصره وترتسم غاياته . .والغايات غير الجوهر ، فقد تختلف الغايات باختلاف وجهات النظر وتقلبات المزاج العام ، ولكن الجوهر لا يتبدل ولا يتحور ومنه تنفلت البواعث ، وهى قائمة على الدوام وان خفيت معالمها على العين العابرة ، وهى لا تتغير لان مصدرها النفس البشرية التى هى واحدة على الزمان وفى كل مكان

زكى طليمات

السلوك الإنسانى

بقلم الدكتور ابرهيم ناجى

لست مجرد شىء ، انى شىء ذو قيمة . قد لا أستطيع أن أعمل كل شىء ، ولكنى استطيع أن أعمل شيئا على كل حال

اذا أردنا أن نعرف أخلاق شخص على حقيقتها ، وجب علينا ان نرى أولا ماذا يصنع . اننا نتوقع أن يكون كلامه مطابقا لافعاله ، ولكن الواقع غير ذلك ، فكم من كلمات جميلة تستر فعلا قبيحا . قال جيته لتلميذه اكرمان : اذا سمعت رجلا يتحدث ربع ساعة دعه يتحدث ساعتين . يعنى انه فى زمن وجيز يستطيع ان يتنبأ بسلوك الرجل فيما بعد ، لا من الاستماع الى أحاديثه فقط، بل من ملاحظة اشاراته وتعابير وجهه، وايماءاته، الى غير ذلك من الحركات التى هى ضروب من « الفعل » الذى هو السلوك الانسانى فى جوهره

فيجب اذن ان نؤمن أن هناك عاملا مشتركا ، أو عوامل مشتركة بين الجميع يتضح منها ان الانسان انسان فى تصرفاته، فعلى ذلك يتشابه السلوك الانسانى عند ما تتشابه الظروف، وتكون الاستجابة لعامل أساسى فى الطبيعة الانسانية . واثبات الذات والمحافظة عليها أول الخصائص الانسانية المشتركة فى جميع الناس . وهى خاصة تتوقف على « الوعى » بمركز الانسان فى الدائرة التى تحيط به وهى المجتمع . وحتى علاقة الانسان بعالم الفكر والقيم لا تيسر الا عبر هذا المجتمع ، ويرمى اثبات الذات الى جعل هذه الذات حقيقة مطلقة ، وهذا مستحيل التنفيذ . ولقد أعطى نيتشه « اثبات الذات » وصفا مبتدعا ، اذ دعا هذه الخاصة « ارادة القوة » واستعارها ادلر فى كتابه « السيكولوجية الفردية » بل جعلها نواة لكل دراسته السيكولوجية عن الخلق الانسانى . ولا نزاع فى أن هاته الخاصة اساسية فى الطبيعة الانسانية ، فى حياة الانسان والجماعة ، ولو انها تبدو أحيانا تحت ستار خداع ينخدع به أمهر الناس . ولولا السدود والحدود المفروضة على هاته الخاصية بالقوانين والتقاليد التى تنظم المجتمع لاندفعت فى سبيلها بلا توقف . ومن المهم أن نعرف أن السدود والقيود لا تميت هاته الخاصة بل تستثيرها دائما . والواقع أن هاته المقاومة هى التى خرجت بالانسان من درجة الهمجية الى درجة الحضارة . و « القوة » هى الطريقة البدائية الاولى التى بها قابلت ارادة اثبات الذات كل عقبة فى طريقها . على انه لا بد لاثبات الذات من « دافع » وقد نسمى هذا الدافع « بالغريزة » اذا شئنا ، أو نعده شيئا لاصقا بها ، فالمهم أن

تعرف ما هو هذا « الدافع » . ان هذا الدافع يعادل كلمة « القوة » فى علم الطبيعة ، والسلوك الانسانى هو نتيجة تلك القوة التى ليست شيئا مستقلا قائما بذاته متأهبا فى النفس الانسانية ، بل هى شىء مشابه « للعمل الانعكاسى » reflex act الذى يعرفه طلبة الفيسيولوجيا والتشريح ، ويعرفه المرضى « بالعصبى » حين يقرع الطبيب ركبتهم بمطرقته فتهتز عدة مرات . والفرق الوحيد بين هاته المنعكسات وبين الدوافع النفسية ، هو أن المنعكسات خارجة عن وعينا واختيارنا ، بينما الدوافع تصدر عن وعينا . فاذا كان الهدف الذى يتجه اليه الدافع حيويا محضا ، صادرا عن شىء عضوى أو ذاتى أو غير مفكر ، فانه يصير قريبا جداً من المنعكسات الفيسيولوجية . واذا صدر عن التفكير راميا نحو هدف فكرى ، تدخل فيه الوعى والاختيار معا . وعلى ذلك يمكن ان نقول ان ارادة القوة هى جزء راق متخصص من الدافع بغيته المحافظة على الذات بارادة واعية مفكرة

و « ارادة القوة » موجهة نحو أفراد المجتمع الذين يكونون « الوسط » الانسانى . ولقد ذكرنا ان ارادة القوة شىء بدائى اذا تركت لحالها انطلقت بلا قيود ، على ان هاته القوة تصطدم بالمجموع اولا ثم بعوامل فى النفس الانسانية تحد من سلطانها، منها « ارادة المجتمع » ، ثم بعوامل أخرى تمنع انطلاق ارادة القوة انطلاقا غير محدود . وما دامت الارادة البدائية على أتم صورة فى الطفل ، فلنبدأ بدرسها هناك لنعلم ما هى العوامل التى تقويها أو تضعف سلطانها . فهناك عقبات طبيعية ملازمة لحالة الطفولة ، وهذا بيانها :

١ ــ ينظر الطفل الى أهله الكبار كما ينظر الانسان البالغ الى أعلى شاعرا بضآلته بالنسبة للكون العظيم

٢ ــ لا تستند معلومات الطفل الى شىء ثابت فان الطفل يكون معلوماته بالمقابلة والتعميم. فاذا عرف ان معدن الذهب اصفر اعتقد ان كل معدن اصفر ذهب . فاذا اتضح له يوما ان النحاس معدن اصفر وهو ليس بذهب فجع فيما كون لنفسه من المعلومات

٣ ــ اتباعا لطريقة التعميم التى يفهم بها الاشياء اذا وجد ان كوبا وقع فانكسر اعتقد أن كل كوب يقع يجب أن ينكسر ، فاذا وقع كوب بدون ان ينكسر تقلقل يقينه وارتد الى الشك فى النظام العام

فتكون نتيجة ذلك عدم إستقرار وضياع ثقة وقلة اطمئنان ، تجعله يطلب الحماية والامان ، ويفتقد السند الذى يرتكن اليه ، والصدر الذى يشعره بحنان وعصمة . وهذه كلها عقبات غير واعية وهى فى طبيعة الطفل ، ومن هنا ندرك سقم رأى الذين يقيمون التربية على مبدأ كسر ارادة الطفل فهى مقيدة مغلولة من الاصل . فالمهارة اذن فى توجيه تلك الارادة توجيها صالحا مع الاجتهاد فى ازالة الشعور بعدم الثقة ، ذلك الشعور الذى دعاه آدلر بحق « الشعور بالنقص ». ومن الواضح أن ذلك الشعور يحدث اما فى التكوين الجسمى أو البنية Constitution وهى شىء موروث ثابت الصفة ، ولها علاقة وثيقة جدا بالخلق . وقد أعطاها كريتشمر فى كتابه « البنية والخلق » أهمية مبالغا فيها

فالواقع أن البنية والخلق لايسيران فى خطين متوازيين بل فى خطين متشابكين متداخلين. بدليل ان العلاج بالتحليل النفسى أمكن ان يغير من أخلاق خاصة لبنية خاصة . وبدليل أن فى أمراض الغدة الدرقية وهى التى تطبع الخلق بشكل خاص نجد أحوالا تختلف اختلافا بينا فى الخلق

فالجسم والروح وحدة لا تتجزأ ، فمن الصواب أن نقول ان فى مخيلتنا شعورا بحقيقة أجسامنا وأوضاعها واتجاهاتها ، لا بل اننا نشعر بحدود هذه الاجسام فالواحد منا يقول ذات يوم « انى لا استطيع » ومعنى هذا ان الشعور بالتعب أو الملل ، يقصد به أن الجسم وهو الآلة التى يعبر بها الانسان عن ارادة القوة واثبات الذات بلغ الحد الذى عنده « لا يستطيع » . ومعنى ذلك أن عندنا وعيا حيويا يصبغ حركات أجسامنا كما يصبغ تجاربنا وأعمالنا ودوافعنا . ومن هذا نستخلص أن الضعف الجسدى والشذوذ المتعلق بالبنية يرتسمان فى الوعي « كحدود » . وهذه الحدود تقلل من ثقة الانسان بنفسه وتؤكد له عجزه عن الكفاح ، وبالتالى تشعره بنقصه . وهنا يقول آدلر : « اذا وجد عضو ما من الجسم فى حالة تقصير فان الجسم يحاول أولا أن ينبه هذا العضو ويزيد فى نشاطه ، فاذا لم يجد ذلك أخذ الجسم يقوى عضوا آخر متصلا بالعضو المقصر حتى تصير النتيجة « تعويضا » compensation أو « فوق التعويض » overcompensation وهذا بالضبط ما يحدث عالم النفس والخلق ، فان ظرفا خاصا يطرأ على النفس الشاذة أو المقصرة أو الضعيفة ، فترتسم حدود العجز فى المخيلة ، فيكون أول حافز هو بث النشاط فى ارادة القوة لتنهض بالعبء المطلوب . فاذا أمكن ذلك فكفى وان لم يمكن تحتال النفس بطرق أخرى للحصول على التعويض أو ما يفوق التعويض ، والغالب أن يكون التعويض فى ذات النقص ، فاذا لم يمكن ذلك تحول الى دوائر أخرى

ان التشابه بين ما يحدث فى الجسم والنفس يدل على انهما وحدة ، وأهمية نظرية التعويض هى فى اثبات هاته الوحدة . وخاصة اذا أدركنا أن النقص الجسدى يؤدى الى التفوق الفكرى عن طريق التعويض ، كما نلاحظ من سير الابطال والنوابغ . ويجب تطبيق نظرية التعويض فى التربية ، وتقول ايلا لتش : يجب ان يوحى للطفل بهذا : « لست مجرد شىء انى شىء ذو قيمة . قد لا استطيع ان أعمل كل شىء ، ولكنى استطيع ان أعمل شيئا على كل حال »

الآن نتكلم عن العقبات المتعلقة بالبيئة ، فلنؤكد أولا ان الاحصائيات دلت على أن ٩٠ ./. من أحوال الشذوذ والضعف الخلقى والامراض العصبية الشائعة كالهستريا والعقائد الثابتة هى من أخطاء البيئة . وبخاصة الوالدين . فمن أهم العقبات مركز الطفل فى الأسرة ــ ولد وحيد أو الاكبر أو الاصغر ذكر أم انثى ــ فقد اتضح من الاحصائيات والمراجع أن أكثر المرضى بالامراض العصبية ذوو مراكز خاصة فى الأسرة ، فأكثر المرضى بالهستريا نساء

واخطاء المربين تتلخص فى عدم المساواة ، والمحاباة ، والقسوة بلا مبرر ، والتساهل بغير داع ، والتردد بين الشدة واللين والقدوة السيئة من جانب هؤلاء ، وجعل كبار الاولاد مشرفين على صغارهم . وأخيرا هناك اليتيم وابن الزوجة وابن المطلقة فهؤلاء كثيرا ما يعاملون معاملة خاصة تؤدى الى كل ما تراه من الشذوذ والاعوجاج فيما بعد . اما التناهى فى الشدة فيحطم ارادة القوة ويخرج للعالم عجزة فى الفكر وكسيحين فى الكفاح . وقد تكون الشدة بالعقوبة البدنية ، أو بجعل هوة سحيقة بين الطفل ووالديه بحيث يجهل الطفل معنى الحب ، ولا يفهم عن الوالدين الا انهم « اسياد » لهم الاحترام والطاعة المطلقة ، وهم مصدر الخوف والارهاب . ومن أنواع الشدة سوء تطبيق العقاب ، فالعقاب لازم بشروط سيكولوجية ـ لا مجال هنا لتفصيلها ـ يعرفها الذين يدرسون تربية الطفل ويطبقونها عمليا . خلاصة هذا ، ان ارادة القوة هى العنصر الاول فى تكوين الخلق ، وانما اختصصنا الطفولة بهذا الحديث لاننا نعلم من تقارير المعلمين ان اصلاح الخلق صعب أو مستحيل بعد الخامسة ، أى أن البيت هو كل شىء . حقيقة ان التحليل النفسى أمكن ان يعالج مشكلات كثيرة ويقوم اعوجاجا كبيرا ولكنه يعالج عقدا نشأت فى الطفولة، وكان من السهل ألا يكون لها وجود لو أن الوالد ألم بنفسية الطفل وعرف كيف يوجهها

ارادة الجماعة

يقول آدلر « ان الانسان قادر على تكوين الجماعة ، ومنظم لوجوده وفق حال هذه الجماعة » . ولقد قضى بهذا القول على فكرة ان الوسط هو كل شىء . اذ جعل للانسان قيمة بارادة القوة التى تكون شخصيته وتجعلها شيئا ذا قيمة تتفاعل مع شىء آخر ذا قيمة وهو الوسط . ولكن الوسط شىء مائع متموج فليس من الممكن أن يكون الانسان سمكة فى ذلك البحر بل الصحيح ان الانسان مرفأ قائم على شاطىء البحر يتلقى أمواجه ويتفاعل معه

والتفاعل بين الانسان والوسط ، بين المرفأ والبحر قائم على تبادل العطف والمحبة فى أى شكل من أشكالها ، على شرط ألا يفقد الانسان شخصيته باغراق حبه فى غمار الوسط والا ابتلعه الوسط وقضى عليه . ومن الواضح انه اذا امتنع التبادل بين المرء والوسط ، زالت الروابط الثقافية وانحلت الحضارة . ولقد قال فاورباخ : ان كلمة «أنا» لم توجد لها أهمية الا عند ما وجدت كلمة « انت » حتى روبنسون كروزو الذى كان « أنا » فى الجزيرة القاحلة ما كان يمكن ان يكون « أنا » لولا ما علمه وأخذه من « أنت » قبل أن ينزل الجزيرة . والواقع انه لا ثقافة ولا مدنية من غير « أنا » و « أنت » والعلاقة بينهما . فالانسان لا يتلقى شيئا عن نفسه ، ولقد ذكر مارك توين فى كتابه «ما هو الانسان» ان الانسان حيوان ناقل عن غيره ، وناقل لغيره والحقيقة ان الطفل قبل ان ينطق ، وقبل أن يتكون له شعور بذاته ، يدرك شعور الآخرين نحوه ويجيب عليه بابتسامة أو عبوسة قبل ان تتكون ذاته وينمو فكره ويصير لنفسه كيان وشأن

قلنا فيما سبق ان عند كل انسان شعورا طبيعيا بالنقص ، فاذا احتضنته الجماعة وبادلته حبا بحب وعطفا بعطف تخفف حدة الكبرياء المثلوم ، لان الانسان سيعرف ان هذا العجز شيء بشرى عام ، وسيدرك انه بمعاونة هذه الجماعة سيحقق من الامانى ما استعصى عليه وهو منفرد وحيد ، وسينقلب هذا الكبر المجروح الى تواضع ، أو على الاقل سيصير تسليما بحدود القوة الممنوحة للبشر . أو على الاقل اعترافا بانه لا يمكن تحقيق الامانى والمطامع بغير التضامن والعطف والمحبة. ولقد ذكرنا انه لا بد من توازن الارادتين ليكون السلوك الانسانى معقولا طبيعيا ، فلننظر الآن فى العوامل التى تخل بهذا التوازن . لقد تكلمنا عن « التعويض » وأهميته فى التربية والحياة على العموم ، فالتعويض فى الطفل يكون عن طريق اللعب والخيال وأحلام اليقظة . والخيال وأحلام اليقظة يلعبان دورا هاما فى التعويض عند الكبار ، فاذا تجاوزا منطقة التعويض ، ولم تعد الافكار افكارا بل حقائق متزاحمة متوالية فقد صدق القول القائل « ان الافكار المتناقضة قد تعيش معا ولكن الحقائق تتزاحم تزاحما مقلقا » . والعيب ليس فى التخيل ولا فى الامانى وانما فى الخلط بين الامنية والطلب . فالطلب فى الواقع مساومة ، جزاء ينتظر عن عمل . والطلب يقترن بالعمل والعمل يتطلب الجزاء. والخيبة جزاء الطلب الذى لا يتناسب مع الواقع. وتستتر وراء كل ذلك ارادة للقوة طاغية وغير محكومة بشكيمة ولا لجام . ولاصلاح ذلك يجب ان يفهم الطفل ان مجرد اجابة الرغبات شيء غير جائز ولا متيسر . وان عليه ان يعمل الصواب والخير لانهما صواب وخير ، سواء لقى جزاءا يوافق رغبته أم لم يلق

أخيرا ما هى العقبات التى تضعف ارادة الجماعة ؟

١ ـ كل العوامل التى تؤدى الى اضعاف القيمة الشخصية للطفل تجعله غير قادر على أخذ مكانه فى الجماعة اذا سنحت الفرصة

٢ ـ كل العوامل التى ترسم للطفل حياة الجماعة رسما كئيبا ، أو تلقى عليها ظلا قاتما ، تجعله لا يقبل الاندماج فى جماعة هذا وصفها

٣ ـ كل العوامل التى تباعد بين الوسط الصغير والوسط الكبير. فاذا سمع الطفل ذما فى العائلات الاخرى وقدحا فى العالم ، لا تجعله مقبلا على الاندماج فى الناس اندماجا طبيعيا

٤ ـ سوء اعداد الطفل لحياة الجماعة كايثار الولد الوحيد ، والمبالغة فى الخوف عليه من الناس

مما سبق يتضح أن سيكولوجية الاخلاق تتلخص فى الموازنة بين الارادتين ، ارادة القوة وارادة الجماعة وكل اعوجاج يمكن رده الى خطأ فى التربية فى السنوات الاولى . ونستطيع بتدارك هاته الاخطاء خلق رجال عندهم قوى نفسية مهذبة حرة متوازنة ـ وهذا ما نسميه فى العرف « بالخلق الحميد »

ابرهيم ناجى



للكاتب الانجليزى « يفرلى باكستر »

اذا جاءت اليك ابنتك يا سيدتي تنبئك أن أحد الشبان استرعى بصرها واجتذب قلبها، فاسأليها فيما تسألينها عن شاربه فلسوف تعرفين الكثير من طباعه وأخلاقه ومناحي حياته

ما من سمة من سمات الرجل تكشف عن أخلاقه ، ونواياه ، وأطماعه ، ومهنته ، ومركزه الاجتماعى ، كما يكشف عنها شاربه . وعند الفرنسيين مثل يقول ان الرجل هو الاسلوب ، أى كما يكون الرجل يكون أسلوبه ، ولكن يمكن أن يقال قياسا على هذا ان الرجل هو شاربه ، فكما يكون الرجل تكون طريقته فى حلق شاربه أو اعفائه

فالبولنديون والهنغاريون مثلا قلما يطلقون لحاهم وشواربهم ، لان هذه شعوب ينقصها الهدوء والاستقرار ، كما انها شعوب منطلقة فى عالم الوهم والخيال ، بينما تدل اللحى على هدوء النفس واستقرار الحياة ، وتدل الشوارب على استقامة الطبع واعتدال المزاج

وقد كان شارلمان أول من رأى أن يطلق السادة والاعيان شواربهم ، بينما يطلق الفلاحون والعامة لحاهم ، وربما كانت هذه هى العلامة الوحيدة التى تميز بين الفريقين فى تلك الأيام . أما بطرس الأكبر فذهب الى أبعد من ذلك ، فقد كان الروسيون يطلقون حول وجوههم وعلى صدورهم لحى كثة طويلة حتى ليتعذر على من يراهم أن يتبين من ملامحهم ما يجيش برؤوسهم من أفكار ، ففرض القيصر ضرائب باهظة على اللحى وأعفى الشوارب من هذه الضريبة

وكان شارل الاول ملك انجلترا وقتيل ثورة كرومويل ، معجبا بهيئة الرسام الهولندى فان ديك ، فقد كان له شارب دقيق ممشط من تحته سبلة (١) صغيرة رقيقة تكسو طرف ذقنه وعنفقته (٢) ، وكان الشارب والسبلة متسقين معا اتساقا بديعا . وخير من اتخذ لنفسه هذه الهيئة موتتاجو نورمان مدير بنك انجلترا وديكتاتورها المالى . وهذه الهيئة تدل على أن أصحابها يحبون أن يتميزوا من الناس ، ويأبون أن يعيشوا فى غمرتهم وزحامهم ، وانهم يؤثرون أن يضحوا بكل شيء ــ كما ضحى شارل الاول برأسه ــ على أن يضحوا بأناقتهم وما يتصل بالاناقة من منصب ومال وجاه !

▭

والشارب متفش فى الجيش البريطانى ، ويعد تقليدا لا مفر من اتباعه فى بعض كتائبه . وقد كانت كتيبة « ورسستر شير » أول كتيبة بريطانية اتخذ رجالها الشارب « رسميا » فلا يجوز لاحد منهم أن يكون حليق الشارب . وكان ذلك فى سنة ١٧٩٨ ومنذ ذلك الوقت انتشر الشارب فى سائر الجيش . وما زلت أذكر فى شيء من الدهشة أنى عند ما التحقت بالجيش فى الحرب الماضية اخبرت بأنه لا يسمح لى بأن أمر بالموسى على الشفة العليا ، وانه لا بد أن ينمو عليها الشعر اذا أردت ان أكون ضابطا

ولكن سرعان ما يتبين الانسان فروقا كثيرة بين الشوارب الحربية ، أعنى الشوارب التى يتخذها رجال الجيش . « فالباشجاويش » ممتاز بشارب حاد عنيف ينتهى بطرفين مدببين كأنهما رؤوس الحراب . وقد ترى أحيانا أحد الضباط يتخذ مثل هذا الشارب ، فاذا سألت وجدت أنه اطلق شاربه حين كان « باشجاويشا » فى حرب البوير ، ثم تقدمت به السن وهو على هذه الهيئة فلم ير من اللائق تغييرها

وكنا نحن الضباط الناشئين نفكر فى شواربنا كثيرا ونعنى بها جيدا . فكان لا بد أن نترك خطا رقيقا من الجلد بين الشارب وحافة الشفة العليا . ولا بد أن نفرع الشارب فرعين ينتهيان بطرفين رقيقين مدببين يداعبان الوجنتين ، ولا بد أن يتوسط الفرعين تحت أرنبة الأنف خصلة كثة من الشعر تدهن بالزيت وتمشط بأناقة

أما القواد فى تلك الايام فكانوا لا يلقون بالا الى شواربهم ، بل يتركونها تنمو كثة كثيفة حيث تشاء ، وتنتهى مشعثة منفوشة حيث تشاء ! وكانوا يحسبون أن مثل هذه الشوارب تضفى عليهم مسحة من الحكمة والوقار ، وتكسبهم هيئة الأبوة والرئاسة . . أما الآن فقد تغير الأمر . فصار فى القواد من يطلق شاربه كما يطلقه مونتجومرى ، ومن يحلقه كما يحلقه ايزنهاور

ومسألة الشارب أهم فى عالم الحب منها فى ساحة الحرب . وقد كان للشارب دائما

---

(١) السبلة : مقدم اللحية أو ما على الذقن الى طرف اللحية (٢) العنفقة ما بين الذقن وطرف الشفة كان عليها شعر أو لم يكن

تأثيره فى النساء ، فان أوضح ما يحمله من المعانى معنى الرجولة والنضوج . ثم ان فى طريقة اطلاقه وتنشيطه دليل على ميل الرجل للاناقة أو استهتاره بها . ونكاد نتبين فى الرجل المعنى بشاربه ميله الى النساء ، والرجل الذى يظهر بشارب أشعث أو حليق انصرافه عن عالم المرأة

▭

وقد صور برنارد شو فى قصته « الاسلحة والرجل » ضابطا بلغاريا يجتذب النساء بشىء واحد : هو هذا الشارب الذى يطرف أعينهن بطرفيه المدببين النافذين اذا هم بتقبيلهن ، فاذا بهن يتراخين ويتهافتن بين ساعديه متأثرات ، بل مخدرات ، بهذا الشارب الصارم العنيف !

والواقع ان الشارب القوى المقوس الى أعلى من أبرز سمات الرجال الذين يريدون فتنة النساء . وكثيرا ما أضل هذا الشارب المرأة التى لا تأخذ حذرها وحيطتها ، وكثيرا ما كان عدة الرجل فى اغتيال براءة المرأة وطهارتها

ولكنك اذا قلبت هذا الشارب من أعلى الى أدنى ، وجعلت طرفيه ينتهيان الى ما دون الذقن بدل أن يصلا الى جفون العين ، وجدت صاحبه يمتاز بالقسوة والشراسة ، بدل أن يمتاز بالقوة والدماثة . وهذا هو الشارب الذى كان يصطنعه السفاحون الصينيون ومن اليهم من قطاع الطرق ورؤساء العصابات . وكما ينبغى للمرأة أن تحذر الرجل الذى يفتل شاربه الى أعلى ، فكذلك ينبغى للرجل ان يحذر ذلك الذى يرسل شاربه الى أدنى . فهذا هو الذى يستبيح دم الرجل مثلما يستبيح ذلك حرمة المرأة ! وشارب جنكيزخان هو أبرز مثل فى هذا القبيل ، وشهرة صاحبه فى القتل والفتك لا تعلوها شهرة أخرى

وللشارب أهميته كذلك فى عالم السياسة . ولويد جورج مدين لشاربه بقسط كبير فى حياته السياسية ، فعند ما كان شاربه داكنا فى شبابه كان يتحدى به أصحاب الالقاب وأصحاب الأملاك وحزب المحافظين ومن اليهم من ذوى الشوارب الشائبة البيضاء . فلما تقدمت به السن وصار أبيض الشارب كان ذلك دليلا على أن الفتى الثائر الناقم قد صار شيخا سياسيا محنكا

▭

ولانتونى ايدن شارب بديع يليق برجل أبرز مزاياه شبابه الباكر . وايدن سليل أسرة حادة المزاج ، ولهذا كان فى حاجة الى هذا الشارب . فبدلا من أن يواجه ما يلقى عليه فى مجلس العموم من عبارات التعنيف والتنديد بالبديهة الحاضرة والاجابة المفحمة ، تجده يلجأ الى شاربه ، يفتله تارة وينفشه تارة أخرى ، ويمسك طرفه الايمن مرة ويتركه الى طرفه الايسر مرة أخرى ، وهكذا يهدىء ايدن أعصابه بالعبث فى شعيرات شاربه ، كما تهدىء المرأة أعصابها بالعبث بابرتها فى بعض الخيوط

نعم ، ان الشارب دليل لا يضل الى الكشف عن طباع الرجل واخلاقه . وهو أصدق

دلالة عليها من سائر سمات الرجل وملامحه . لان الرجل يولد بهذه السمات والملامح فلا يملك تغييرها أو تعديلها ، أما الشارب فهو ملك يديه يفعل به كيف يشاء ، ولهذا فانه يصوره على الصورة التى تلائم نفسيته ومزاجه ، وتتفق مع مركزه ومكانته

لقد بدأ ابراهام لنكولن حياته السياسية حليق الذقن والشارب . فلما مرت به السنون وتفاقمت فى عهده الاحداث ، رأى نفسه يقوم من الشعب الامريكى مقام الاب من بنيه وبناته ، فمن ذا الذى يتصور « الاب ابراهام » الآن الا رجلا كث اللحية مرسل الشارب شأنه شأن الاب فى الأسرة الكبيرة ذات الاولاد والاحفاد ؟

وكذلك سما لورد سالسبورى على زملائه رجال البرلمان الانجليزى بشارب ولحية كثين يجمعان بين القسوة والشراسة ، وبين الرقة والدماثة ، حتى كان الرجل يبدو بهما مزيجا من الوحش الكاسر والقديس العطوف

وكان للورد كتشنر شارب صارم عنيف يلقى الرعب فى قلوب اعدائه، ويجعل مواطنيه وأجناده ينظرون اليه نظرة الرهبة والاستقامة . واستطيع أن أذكر شعور الثقة الذى داخلنى ، وما زلت طفلا صغيرا ، حين رأيت فى الصحف صورته وهو ذاهب ، بشاربه هذا ، ليحارب البوير! ولما علقت صورته فى الحرب الماضية فى جميع مدن انجلترا على جدران البيوت والمبانى ، وفى أرجاء الشوارع والميادين ، كان لشاربه من التأثير فى الشعب الانجليزى والايحاء له بالثقة واليقين ، مثلما لعينيه الزرقاوين الحادتين ، وسبابته المدببة الصارمة

والخلاصة أن الشارب يجب أن يكون أداة من أدوات فن الفراسة الذى اقتصر حتى الآن على السمات والملامح . فاذا جاءت اليك ابنتك يا سيدتى تنبئك أن أحد الشبان استرعى بصرها واجتذب قلبها ، فاسأليها ، فيما تسألينها ، عن شاربه ، فلسوف تعرفين الكثير من طباعه وأخلاقه ومناحى حياته

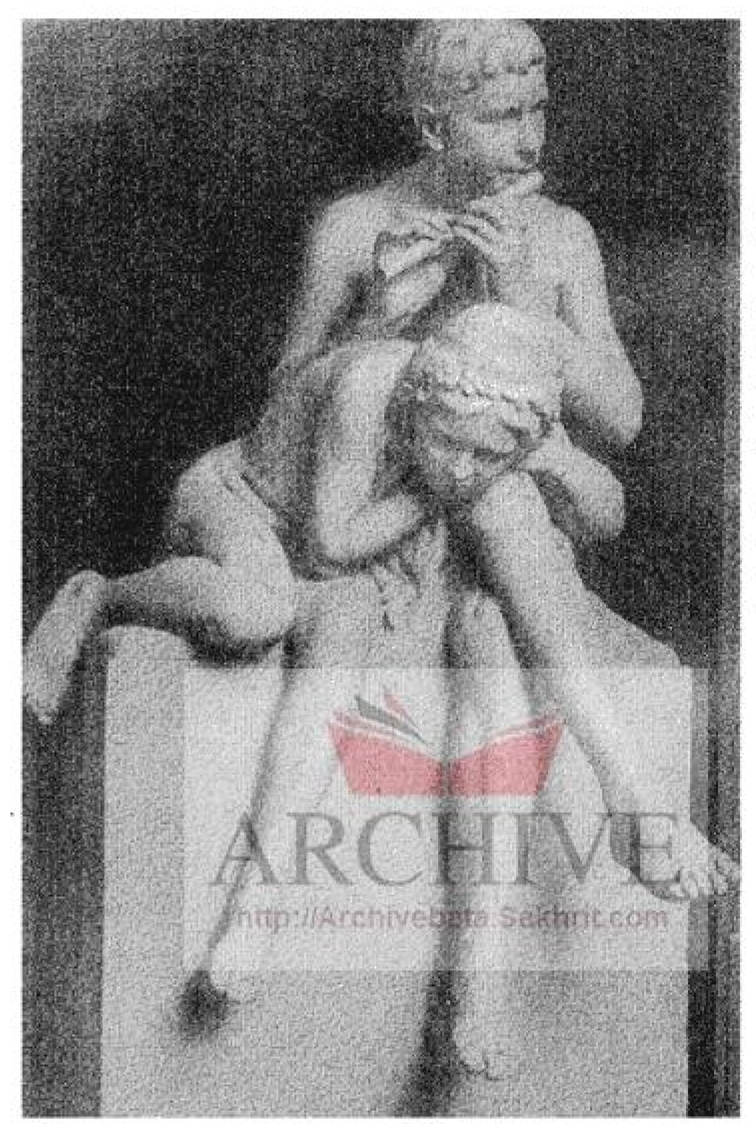
وأنت يا سيدى اذا أردت شريكا فى عملك ، فلا تسأل كثيرا عن ماضى الشريك وحياته وكفاءته ، بل انظر الى شاربه مليا

وصدقنى ان الشارب مفتاح الشخصية ، أما أولئك الذين يحلقون شواربهم فانهم يخفون عنا كثيرا من نواحى شخصياتهم ، ويتركوننا فى حيرة من أمرهم المخبوء

وهل كانت المرأة لغزا لا يفهم ، وطلسما لا يحل ، الا لانها خلقت بغير شارب ؟

(عن مجلة ستراند)

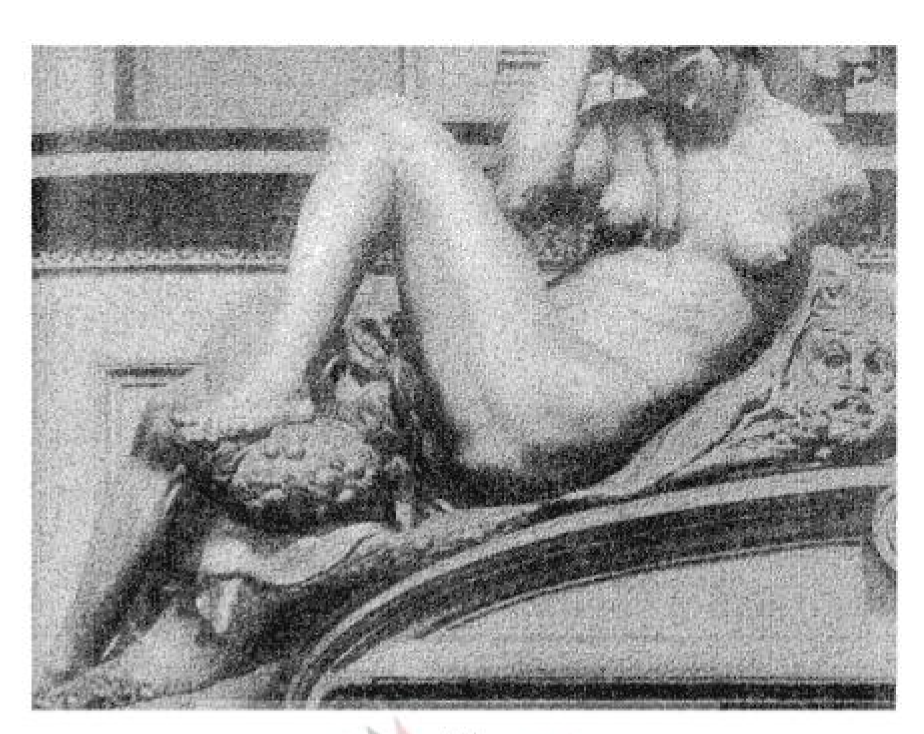
قد تأتيك النصيحة النافعة على لسان مجنون ! « برنارد شو »



حب الطفولة

صبيــة هامت بغلام اندفعت اليــــه وأسندت صـدرها الى ركبتيه فامتزجت النفوس وتعـانقت الأرواح وتناغمت للشاعر، وطفقت تعب لن خمر الغرام الطاهر بري ، وراح هو عبر عن شعوره عواطفه بأعذب أنـــان ـ للمثال كانتيت

فى خلق صاحبها ، وحياته اليومية . ولكن تزول الدهشة إذا أدركنا أن الفنان المبتكر بالمعنى الصحيح قلما يعى ما يبتكر ، إذ أن فنه لا ضابط له من عقله ، ومتى زال ضبط النفس ، رجع صاحبها الى الانسان البدائى الحيوانى ، فزالت عنه كل كلفة ، والقى العرف والتقاليد فى زوايا النسيان . وهذا ما يحدث لجميع الناس فى الحياة اليومية ، عند ما يضطرون الى ذلك عند شدة الغضب أو الخوف أو الكراهية أو الحب ـ أو حلول الازمات الشديدة ـ أى عند زوال ضبط النفس .



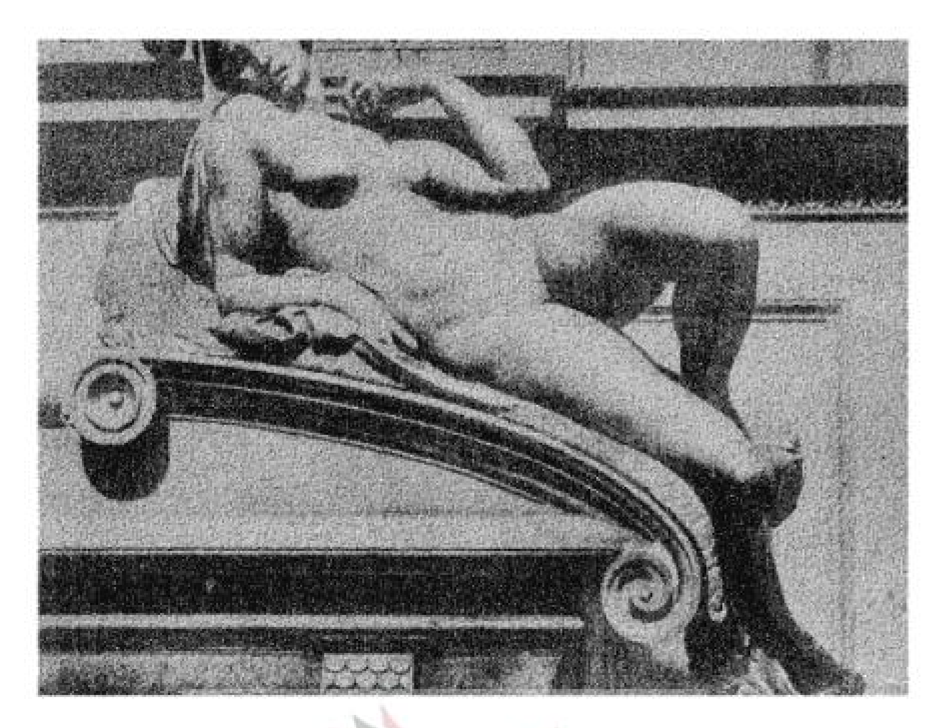
الليل

الحياة البشرية فى مرحلة الأضلال والشيخوخة للمثال ميكل انجلو، وهو من أكبر فنانى ايطاليا فى عصر النهضة

ومن الشاهد أيضاً أن ما يقوله الناس خصوصاً فى حالة الأزمات النفسية ، يصدر من العقل الواعى أو الشعور ، أما كيف يقولون ، فانه يصدر من العقل الباطن أو اللاشعور .

يقول الشاعر الانجليزى « كيتس » أن النغمات المسموعة جميلة ، ولكن أجمل منها النغمات غير المسموعة ، ولعل هذا يفسر لنا كيف ان أحسن ما أخرجه لنا بيتهوفن من الموسيقى هى السمفونيا الشهيرة ، التى وضعها بغير أن يسمع شيئاً منها ـ لفقده حاسة السمع قبل ذلك ، ومعنى هذا بتعبيراتنا السابقة ، ان أعذب النغمات ، وأحلى الألحان ما صدرت من اللاشعور أو العقل الباطن

قلنا إن الانسان يعجز عن ضبط نفسه ، والضغط على ميوله ورغباته ونزعاته البدائية الفطرية الحيوانية ، عند حلول الأزمات النفسية . ومن هذا ندرك المبدأ المعروف عند رجال الفن وغير رجال الفن ، وهو ان الرجل المرتاح ، المطمئن ، الشبعان ، قلما يكون فناناً بالمعنى الصحيح . إذ إن من أهم خصائص الفنان ، أن يكون جائعاً ، أو حزيناً ، أو غاضباً ، أو خائفاً ، أو مضطرباً ، أو مغرماً ولهاناً . الجوع هنا يشمل جوع العاطفة ، كما أن الخوف والحزن والغضب ، والاضطراب قد يكون مصدره الحب . ولم يخف عنا الروائى الشهير « مورلى روبرتس » هذه الحقيقة ، إذ قال صراحة ان كل رواياته انما صدرت عن سخط ، وتبرم ، وقنوط ، ويأس



الفجر

يمثل نهوض الحياة البشرية فى عنفوان شبابها وهو من صنع ميكل انجلو. وكلا التمثالين بكنيسة مدتشى بفلورنسا

وقال الموسيقى الشهير شوبرت « إن أبدع ما أنتجت من الموسيقى ثمرة آلامى وأشد أساى وأحزانى ، ولعل اشد الآلام فى حياة الفرد ، قد تكون مصدراً للأفراح والمسرات في حياة الجماعة » . ويقول علماء النفس فى ذلك إن القطع الفنية العبقرية النادرة ، شعراً كانت أو نحتاً ، أو تصويراً ، أو موسيقى ، دليل قاطع على نزاع وجدانى ، ومعركة عاطفية . وإنه ينبنى على ذلك أن سيمفونيا شوبرت الرائعة الخالدة ، التى مات قبل اتمامها ، حجة قاطعة على أنه أخفق فى فض المشكل ، الذى تحاول نغمات هذه السمفونيا أن تصف وقائعه وأسبابه ، أى انه خسر المعركة النفسية

ومن الخطأ الشائع أن نتصور أن الفنان والفن سيان ، لو أن الفن يعبر تعبيراً صادقاً عن طبيعة صاحبه ونفسيته . الحقيقة أن الفن والفنان كثيراً ما يكونان على طرفى نقيض . وكثيراً ما يثور الفن فى وجه صاحبه ، كما يثور الطفل على أبيه . وطالما رأينا الفنان ينظر الى فنه ، كما ينظر الرجل الطيب الى ولده المجرم ، الفاسق ، المستهتر ، فيبرأ منه ، ويسائل نفسه ، كيف أنه ورث ابنه صفات قذرة ، شائنة ، لم يتلوث بها هو . وطالما رأيناه بعكس ذلك ينظر الى فنه كما ينظر الرجل المجرم ، الفاسق ، المستهتر الى ولده الطاهر ، النبيل ، عف اللسان ، ويسائل نفسه ، كيف نقل الى ابنه صفات كاملة ، لم تهبه الطبيعة اياها



للخبير الحربي الانجليزي « ليدل هارت »

يرى الناس أن « زى النساء » يتغير كثيرا ويتبدل سريعا بحيث لا يمكن التنبؤ بما يجد عليه من التغير وما يعتريه من التبدل . ولكنى أرى نقيض ذلك ، أرى أن ثبات « زى النساء » واستقراره هو الملحوظ المعهود ، وأن ما يعتريه من التغير والتعديل من الوضوح بحيث يتيسر التنبؤ به قبل ظهوره

فليس الزى ، كما ترى جمهرة الناس ، مجرد مظهر من مظاهر أهواء النساء ورغائبهن وهي كما نعهد تتغير وتتقلب من يوم الى يوم . بل انه ، على النقيض من ذلك ، دليل على ما يضطرم فى العصر الذى ابتكره من التيارات الصاخبة العنيفة . انه يكشف عن الروح التى تحدد اتجاه هذا العصر فى السياسة وأهدافه فى الاجتماع

ولهذا فان « زى النساء » ليس أمرا تافهـا يسيرا ، بل انه يستحق اهتمام المؤرخين الجادين المحققين ، واهتمام السياسيين الذين تعنيهم شؤون المستقبل القريب وما سوف يضطرب فيه من أحداث وما يجرى من تيارات

على أن هـذا الرأى ينطبق ، على الأخص ، على الأقطار الحية التى تأخـذ بالحضارة الغربية ، أى التى تبدو فيها النساء شديدات الاستجابة لما يجرى حولهن من الشؤون والاحداث ، فيسجلن هذه الاستجابة فيما يتخذن من لباس وما يبتكرن من زى ، كأن ملابسهن بارومتر يسجل حالة الجو الذى يتنسمن هواءه ويتأثرن بعواصفه .. أى أن هذا الرأى صحيح فى الاقطار التى يقوم نساؤها بدور بارز فى الحياة العامة ، بدل أن يعشن فى عزلة تحول دون تأثرهن بما حولهن من حياة ثائرة صاخبة ، أو حياة هادئة مستقرة

فلو أن مؤرخا ـ درس هذا الموضوع وأجاده ـ انتقل من العصر الذى يعيش فيه الى عصر سواه ، لما كان عليه الا أن يلقى نظرة على زى النساء فيدرك ما يتصف به هذا العصر من الصفات وما يسوده من الاوضاع ، أى يدرك ما اذا كان هذا العصر فى حالة آمنة مستقرة ، أم يعانى حالة ثورية عنيفة . وليس على هذا المؤرخ ان يبذل وقته فى دراسة تفاصيل اللباس ودقائق الزى ، فان هذه لا تؤدى فى الغالب معنى جديا هاما ، بل حسبه أن ينظر الى الصورة العامة لملابس النساء ، وعلى الاخص ، الى حزام الخصر ، وما يليه من

اللباس « الجونلة » والاكمام ، ولباس الرأس . فان أشكال هذه الاشياء وأوضاعها هي التي تؤدى معنى خاصا يدل على حالة الحياة وشؤونها

ففى الاوقات التى تنشب فيها منازعات سياسية عنيفة ، تنطوى على فورات اجتماعية صاخبة ، يلاحظ أن حزام الخصر يتزحزح عن مكانه المألوف ، اما الى ما فوقه واما الى ما دونه . وكذلك يلاحظ أنه لا يكون مشدودا على الخصر ضيقا ، بل يكون متراخيا متسعا ، شأنه شأن جميع ما يربط المجتمع من أحزمة وروابط فانها فى هذه الفترات تتفكك أو تتراخى . والعلامة الثانية المحققة من العلامات التى تبدو فى فترات النزاع والجيشان تضخم لباس الرأس وجعله على صورة تسترعى الانظار . وكذلك اتساع الأكمام وهلهلتها من مميزات الزى فى هذه الفترات . وقد كان من الظواهر الملحوظة فى القرون الحديثة كثرة التغير فى شكل الجزء الادنى من رداء المرأة ، وذلك أن هذه القرون شهدت كثيرا من الظروف التى تراوح بين الثورة العنيفة والاستقرار الهادىء ، والحياة القلقة بين تلك الثورة وهذا الاستقرار

وكل « زلزال » سياسى أو اجتماعى تسبقه وتنبىء عنه موجة من البذخ والاسراف فى ملابس النساء . وقد تظهر هذه الازياء الباذخة المسرفة فى السنوات التى تسبق الانقلاب السياسى مباشرة ، وقد تظهر قبل ذلك بفترة طويلة . وفى الحالة الاخيرة قد تحدث نكسة



نموذج من أزياء سيدات البلاط الانجليزى فى عصر الملكة شارلوت ، يبدو فيها الخصر ضامراً مشدوداً . وترى الصدرية الدقيقة وقد انحسرت عن النحر والصدر، والاكمام الملتفة تكشف عن الساعدين ، وترى القبعة الصغيرة مصنوعة من الحرير الأبيض وفى أعلاها ريشتان من ريش النعام . وعلى الجبهة قطعة براقة من الماس

بسيطة قبل وقوع الانقلاب السياسى ، أى قد تعود الازياء الى شىء من البساطة والاتزان مما يدل على الاحساس بأن الخطر مقبل زاحف ، والرغبة الغريزية فى تجنبه وتفاديه . ومثل هذه الرغبة وذلك الاحساس يتفق مع الزى البسيط المتزن الذى يخلو من البذخ والمبالغة

أما الانقلاب ذاته فيصحبه جو من الاهمال فى اللباس . وهذا أمر طبيعى ، فان الناس عندئذ يكونون فى شغل بما هو أهم من الملابس والازياء . فاذا ظلت موجة الاهمال أو الاستهتار هذه بعد انتهاء الانقلاب وسكون الزلزال ، فان معنى ذلك ان الحياة السياسية لم تستقر الا فى الظاهر فحسب ، أما فى الباطن فما تزال تختزن كثيرا من أسباب القلق والاضطراب ، تفصح عنها هذه الازياء المهملة المضطربة التى لم تعد الى ما يجب أن تكون عليه من أناقة واتساق

أزياء الثورة الفرنسية

ويمكن أن نستنتج هذه النتائج من تتبع تاريخ الازياء بتصفح المجلات النسائية التى كانت تنشر « لوحات الازياء » منذ أواخر القرن الثامن عشر ثم أخذت تنشر « فوتغرافيات الازياء » منذ منتصف القرن التاسع عشر . فالثورة الفرنسية أوحت بأساليب خاصة فى ملابس النساء ، منها ارتفاع حزام الخصر عن موضعه الطبيعى ، ومنها اتساع اللباس وتهلهله ، حتى صارت الفوضى الماثلة فى ملابس النساء دليلا على ما يضطرم به العصر من روح الثورة على نظام المجتمع القائم حينذاك

ومع أن الثورة لم تنتقل من فرنسا الى انجلترا ، الا ان ازياءها عبرت البحر وغزت المجتمع الانجليزى . فكان الزى السائد فى سنتى ١٧٩٤ و١٧٩٥ يرفع حزام الخصر عن الخصر كثيرا . ولم تنقض سنتان حتى ارتفع الحزام كثيرا حتى بلغ موضع الابطين ، وصار اللباس كله اشبه بكيس كبير ليس له شكل معين متسق . ذلك انه وان لم يقم الشعب بالثورة الا أن روح القلق والتمرد سرت اليه من فرنسا مدمجة معها ما يلائمها من الملابس والازياء . ولهذا نجد أن الدوائر الراضية المستقرة ، دوائر البلاط الملكى وما يتصل به من المجتمعات ، ظلت محتفظة بملابس وازياء دقيقة انيقة وسط أمواج من الملابس والأزياء المهلهلة المضطربة . فكنت ترى فى أزياء سيدات البلاط الحزام الوثيق ، والقمط المشدود وما دونه من كثيب مهيل ، والكم الملتصق بالساعد والرسغ

أما خارج دائرة البلاط وما يتصل بها اتصالا مباشرا ، فان الازياء الانجليزية فى العقد الاخير من القرن الثامن عشر تغيرت تغيرا كاملا . فبعد ان استقر النظام الجديد الذى أقامته الثورة الفرنسية ، صار الزى الشائع هو « نصف العرى » فارتفع حزام الخصر حتى صار حزاما للصدر يمر فوق النهدين . وهجرت النساء « الكورسيه » الذى كان يمسك الارداف من أن ترتج فى أثناء المسير . وحذفن اكثر الملابس الداخلية . وقصرن الجزء

الادنى من الثوب وضيقنه كثيرا . وصارت جميع ملابس المرأة « الحديثة » تقل وزنا عن ثمانى أوقيات .. وكذلك قصرت النساء من شعورهن ، بل منهن من حلقن رؤوسهن كما يفعل الرجال ، مثلما فعلن بعد ذلك بأكثر من قرن عقب الحرب الماضية

فلما انتهى عهد الثورة وعهد نابليون ، وعاد السلم واستقرت الدنيا ، عادت الازياء الى حالها الاولى ، عاد حزام الخصر الى مكانه الطبيعى ، واتسع الجزء الادنى من الثوب وطال وأرسلت الشعور والجدائل الطويلة مرة أخرى

وعند ما أشرف العقد الثانى من القرن التاسع عشر على نهايته ، أى حوالى سنة ١٨٢٠ وجدنا القبعات والاكمام تتسع فجأة اتساعا غريبا ملحوظا . وكذلك وجدنا حزام الخصر يتردد فى أن يستقر فى مكانه ، ويريد ان يرتفع عنه قليلا .. لماذا ؟ اننا نجد تعليل هذا فى التاريخ ، فقد كان ذلك العقد تمهيدا لحالة القلق التى ظهرت فى سنة ١٨٣٠ فى صورة زلزال سياسى صغير . ولكن لم يكد ينتهى الزلزال وتستقر الامور حتى عادت القبعات والاكمام الى حجمها الطبيعى وشكلها المألوف ، وكذلك ظهرت الصدرية الانيقة التى تليها « الجونلة » المثلثة المتسعة

واستقر هذا الزى طوال عصر الملكة فيكتوريا حتى نهاية القرن الماضى ، فقد كان عصر استقرار فى النظام السياسى والاوضاع الاجتماعية ، الا فى حالة قصيرة واحدة ، ففى نهاية العقد الرابع من ذلك القرن بدت موجة ثورية جديدة فى الجو السياسى ، فظهرت آثارها فى تراخى حزام الخصر شيئا ما . فلما انحسرت هذه الموجة بانتهاء ثورة سنة ١٨٤٨ شدت النساء الحزام على خصورهن ثانية ، فبدا من فوقها صدر ناهد ومن تحتها أرداف مهيلة !

الحرب الكبرى الماضية

وحدث فى القرن العشرين حدث خطير فى أزياء النساء . وكان ذلك قبل وقوع زلزال ١٩١٤-١٩١٨ ، الذى سمى بحق « الحرب الاوربية الاهلية » ، ببضع سنوات . فقد رأينا قبعات النساء تكبر وتتسع الى حد كبير . ورأينا الاجزاء الدنيا من اثوابهن تضيق وتلتصق بالاجسام ، ورأينا حزام الخصر يأخذ فى الارتفاع عن مكانه . فلما انتهت تلك المعركة الدامية الكبرى انخفض هذا الحزام فجأة الى ادنى ، حتى جاوز الخصر الى مافوق الردفين مباشرة . وكذلك أخذت النساء يتخففن من ثيابهن فيقصرن أطرافها ويقللن من عددها . أى أن كل الظواهر التى تميزت بها ملابس عهد الثورة الفرنسية تكررت مرة أخرى ، فاختفى « الكورسيه » وسرت موجة مجنونة من الرغبة فى العرى ، وقصت شعور النساء حتى سمين فى بعض القصص الفرنسى « بالغلاميات »

وفى أثناء فترة الفوضى التى بدأت منذ سنة ١٩٢٠ تكونت جراثيم النزاع الحاضر الذى نعانيه الآن . فكان المفروض أن تخرج الازياء عن صورها وأوضاعها المألوفة دلالة على



نماذج أخرى من ملابس النساء فى القرن الثامن عشر تبدو فيها الملابس كاسية تغطى جميع أجزاء الجسم فلا تكشف عن شيء من الصدر أو الظهر وكذلك أطراف اليدين والقدمين ، كما ترى القبعات السائدة حينذاك وهي قبعات صغيرة تغطى أكثر الرأس ويلتف حولها حزام من الحرير الأبيض

ما يضطرم فى النفوس من القلق والثورة . ولكن ، كما قلنا سابقا ، قد تحدث نكسة بسيطة قبل وقوع الانقلاب السياسى ، فتعود الازياء الى شيء من البساطة والاتزان ، دلالة على الاحساس بأن الخطر مقبل زاحف ، ودلالة على الرغبة الغريزية فى تجنبه وتفاديه . وهذا ما حدث فى تلك الفترة ، ففى سنة ١٩٣٠ وجدنا الزى بوجه عام ، وحزام الخصر بوجه خاص ، يعودان الى شكلهما ووضعهما الطبيعى ، علامة على الرغبة المطوية فى النفوس فى تجنب الحرب والاستمتاع بالسلم

ان هذه السلسلة من الاتفاقات التاريخية من الوضوح بحيث لا يمكن تجاهلها . فهى تعبر عن العلاقة الوثيقة بين الزى والنظام ، أو عن الصلة بين ازياء اللباس السائدة و يجيش فى الرؤوس من آراء وما تضطرب به الحياة من أحداث

ففى ضوء هذه النظرية نجد أنه مما يستحق مراقبته وملاحظته اتجاه ازياء النساء بعد هذه الحرب . فاذا عادت هذه الازياء فاتخذت اشكالا مقوسة ، غير مستقيمة ، دل ذلك على أن ثمة داعيا قويا يحملنا على أن نتوقع للدنيا عهدا طويلا من السلام والاستقرار . لان الاشكال المقوسة تنبيء عن رغبة فى التأنق والاستمتاع ، وعن اتجاه الى المسالمة والمصالحة ، على نقيض الاشكال المستقيمة الحادة فانها تنبيء عن اتجاه الى الحسم القاطع والفصل العنيف ، وعن روح باتة حازمة . ولهذا اذا وجدنا ازياء النساء بعد الحرب تأخذ بالخطوط والاشكال المستقيمة كان لنا أن نجد فى ذلك سببا واضحا كل الوضوح للقول بأن الحالة السائدة حالة قلق واضطراب ، وان العالم ما يزال مستهدفا لمتاعب وخطوب أخرى

(عن صحيفة ليليبوت)

المرأة والرجل ..
.. في كفتي الميزان

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

المرأة والرجل في ميزان القوى الجسدية والعقلية متوازنان لا متفاضلان ، وانما النظام الاجتماعي جعل لكل وظيفة ، تقتضي القوة للواحد واللطف للاخرى . فاذا تركا للعوامل الطبيعية ظهر توازنهما في الميزان

لا أقصد في هذا البحث المرأة المصرية على الخصوص ولا المرأة الشرقية على العموم بل المرأة على الاطلاق شرقية أو غربية

ينكر على المرأة ولا سيما الشرقية حق المساواة بالرجل بناء على دعوى تفاوت وتفاضل بينهما في الامور التالية :

اولا : المرأة احط من الرجل عقلا بدليل ان دماغها أخف وزنا من دماغ الرجل

ثانيا : المرأة أضعف بدنا من الرجل لان ناموس التطور جعلها اضعف عضلا وعقلا

ثالثا : ان طبيعتها الفسيولوجية قضت عليها ان تكون وظيفتها غير وظيفة الرجل، الحمل والحضانة وتربية الطفل

رابعا : ان طبيعة الاجتماع قضت عليها بأن تكون وظيفتها في البيت لا خارجه

وكلتا هاتين الوظيفتين كانتا في رأي منكري حقوقها من اسباب ضعفها العضلي والعقلي. وبسبب هذه الفروق بينها وبين الرجل أنكرت عليها الحقوق المدنية والاجتماعية التي للرجل ، وفيما يلي تفنيد لهذه الحجج :

١ – انحطاط المرأة العقلي

غفر الله للدكتور شبلي شميل المشهور فعلته . لا أدري أين وجد بحثا في المقابلة بين الرجل والمرأة من الناحية الفسيولوجية وطنطن فيه بأن المرأة أضعف عقلا من الرجل بدليل ان دماغها اصغر من دماغه واخف وزنا . واذاع هذه النظرية في العالم العربي ، فجرت على السنة القوم كأنها الوحي المنزل . وصار كل رجل يتبجح بها ويشمخ على المرأة . ولم يعد في امكان عواصف القطب الشمالي اذا اكتسحت البلاد العربية ان تطهر جوها من « غاز » هذه الاذاعة الخانق حتى اليوم

وبالامس حدث بيني وبين صديق عزيز جدال بهذا الصدد فأكد لي انه قرأ صحة هذه النظرية في دائرة المعارف الفرنسية . فعدت أنا الى دائرة المعارف الانكليزية وهي

أحدث موسوعة عالية الآن . هى الطبعة الرابعة عشرة ، وقد كتبها من جديد نحو ٣٦٠٠ عالم انكليزى وأوربى وأميركى ، لا يزال معظمهم أحياء . فهى اذن الثقة العظمى فى مباحثها . وطالعت ما كتب فيها عن الدماغ فى نحو ١٩ صفحة ، فلم أجد تمييزا بين دماغى الرجل والمرأة الا فى مسألة الوزن . وفيما سواه فللدماغين شكل واحد وتركيب واحد لا فرق بينهما . على ان وزن الدماغ – انثى أو ذكر – يتبع وزن البدن وطول القامة والعمر أيضا ، ولا شأن له فى العقل والذكاء البتة . واليك محصل ما قرأته بهذا الصدد :

متوسط وزن الدماغ فى أوائل بلوغ الرجل ١٤٠٩ جرامات ومتوسطه فى أول بلوغ المرأة ١٢٦٣ جراما ، والفرق بينهما ١٤٦ جراما ، ولكن اذا ادخلنا فى الحساب وزن بدن الرجل ووزن بدن المرأة تعادل الدماغان ، لان المرأة على العموم أخف بدنا من الرجل

يبلغ وزن دماغ الرجل حد النضوج فى السنة العشرين من عمره ووزن دماغ المرأة قبل هذه السن . وبعد ان يستتم الدماغ نضجه يشرع ينقص بمعدل جرام واحد كل عام

طوال القامات أثقل دماغا من قصارها ، وانما هؤلاء اكبر جمجمة من أولئك ، على أن المراكز العقلية فى الدماغين سواء ، فالعقل لا يتوقف على وزن الدماغ ولا على حجمه بل على صحة المراكز العقلية ونشاطها وكيفية عملها . بدليل أن دماغ النابغة اناتول فرانس الكاتب الفرنسى المشهور الذى مات فى الحادية والثمانين من العمر كان يزن ١١٣٨ جراما ، فاذا أعدنا اليه ما فقده بسبب العمر وهو ٦١ جراما ، يكون وزنه فى ابان نموه ١١٩٩ جراما وهو أخف من دماغ المرأة المتوسط فى ابان نموه نحو ٦٤ جراما ، واخف من متوسط دماغ الرجل نحو ٢١٠ جرامات . ولكن ذكاء اناتول فرانس كان فوق المتوسط كثيرا ، اذن فوزن الدماغ لا يدل على مقدار الذكاء

والاحصاءات المتعددة فى المقابلة بين ذكاء الاناث والذكور فى الجامعات لا تدل على ان الدماغ الاثقل اذكى . وقد دلت الاحصاءات فى جامعة كولومبيا منذ اكثر من ٣٠ سنة على ان معدل تفوق الفتيات أعلى من معدل تفوق الفتيان . ويعتذرون عن تقصير الفتيان هذا بانهم يضيعون وقتهم فى اللهو والبطالة ، ولكن هـذا العذر لا يقلل من قيمة ذكاء الفتيات

ويقول أحد كبار اساتذة الطب فى قصر العينى ان اختباره يدل على ان الفتيات لسن أقل تفوقا من الفتيان . وان معدل علامات الدراسة والامتحانات تتعادل بين الجنسين . وفى بعض الاحوال تفوقت بعض الفتيات على الفتيان . وفى هذا العام ربح جوائز جلالة الملكة المعينة لمتفوقى الطلبة فى مصر العليا والسودان ثلاث فتيات فى مدرسة البنات فى الخرطوم بين ٨٠٠ طالب وطالبة

ذلك يدل على ان قوة العقل لا تتوقف على وزن الدماغ ولا على حجمه ولا على عدد ما فيه من الخليات النخاعية بل على قيام هذه الخليات فى المراكز العقلية بوظائفها . لان

العقل ليس نتيجة عدد الخليات ولا ثقلها بل هو نتيجة افعال هذه الخليات . والغريب انه كلما نقص وزن الدماغ بسبب التقدم فى السن كان العقل أقوى والفهم أسرع والمعرفة أوفر

فقوة العقل ترجع الى كيفية تركيب الادمغة ووظائفها الفسيولوجية . وبهذا الاعتبار يفوق عقل الانسان عقل أرقى الحيوانات اشباه الانسان كالغورلا والاوران والشمبانزى والبابون لان تركيب ادمغة هذه الحيوانات المشابهة للانسان يختلف عن تركيب ادمغة الانسان . ووظائف خليات الفريقين مختلفة . ولذلك كانت قوة الادراك فيهما مختلفة

وعلى هذا يكون شأن الادراك والذكاء متوقفا على كيفية الدماغ وشكله لا على كميته ووزنه، فاذا قدمنا للمشرح الفسيولوجي الهيستولوجي مخى رجل وامرأة فلا يمكنه ان يعرف ايهما مخ الرجل وايهما مخ المرأة اذ لا يجد أقل فرق بينهما . وحاصل القول ان المرأة والرجل متساويان فى ميزان الذكاء والفهم والادراك وان تفاوتا فى وزن الدماغ

٢ — لا شأن لناموس التطور الدرويني

والذين يبتغون ان يمشوا حياة المرأة على سنة التطور يقولون ان الحمل والحضانة اللذين من اختصاص المرأة مضعفان لها بحكم الطبيعة . وتربية الاطفال وتدبير المنزل قضيا عليها بالاحتباس فى البيت فزادها هذا الاحتباس ضعفا . وعلى تمادى الزمان صارت بحكم الطبيعة والاجتماع اضعف من الرجل جسما . وعدم اندماجها بالمجتمع كالرجل وقلة ثقافتها جعلاها أيضا على تمادي الزمن اضعف من الرجل عقلا . والذين يتشبثون بهذه الفكرة يريدون ان يطبقوا قضية المرأة على مذهب التطور الدرويني ، بمعنى أن هذا الضعف توارثته المرأة بحكم قانون الوراثة الدرويني وبحكم عوامل البيئة . وهو تطبيق سخيف لان المرأة ليست من سلالة غير سلالة الرجل حتى تتحكم فيهما سنة التطور تحكما مختلفا . كلا الذكر والانثى خاضعان لهذه السنة على السواء ، فما يغير فيها يغير فيه ، وما يضعف فيها يضعف فيه ، وما يقويه يقويها . كلاهما من سلالة واحدة ، وقد يكونان من صلب واحد وبطن واحد ويعيشان فى بيئة واحدة . وقد يكونان توأمين ، فلا يمكن ان يكون بينهما تفاوت فى القوى العقلية حتى ولا الجسدية

يولد الطفل ، ذكرا أو انثى ، سليما مستوفيا جميع النزعات الحيوية والعقلية حتى اذا تولته العوامل الاجتماعية طرأ عليه التغير بمقتضى هذه العوامل

يولد الذكر والانثى متساويين بالقوى العقلية والجسدية الى ان يفصل بينهما النظام الاجتماعى ، أى نظام التربية والتعليم والعمل . فمن جهة يوجه الفتى الى الثقافات المختلفة لكى يستعين بها على تحصيل الرزق والى الرياضة البدنية استعدادا للاعمال العضلية الشاقة واهمها الجندية . ومن جهة أخرى توجه الفتاة الى الثقافة البسيطة — أو

لا توجه بناتنا الى ثقافة ـ والى الاعمال المنزلية التى لا يتقوى بها العضل ولذلك تظهر بازاء الفتى ضعيفة

ولكن اعكس هذا التدبير ان شئت، وجه الفتاة الى الثقافات العليا والوسطى والى الاعمال العضلية الشاقة فتحصل منها على عقل نابغ وعلى بدن قوى كالفتى . يمكنك حينئذ ان تجعل منها مصارعة ومقاتلة ورافعة اثقال وقاهرة ابطال وفارسة الخ . ووجه الفتى الى الثقافة البسيطة والى الاعمال التى لا شأن فيها للعضل ، تجده أضعف من المرأة عقلا وجسدا . تجد الآن بين الرجال كثيرين من المتخنثين ، وبين النساء كثيرات من المسترجلات . وترى منهن فى الحقول من يمارسن الاعمال الزراعية التى يقوم بها الرجال ، فاذا مارست المرأة الاعمال العضلية العنيفة استطاعتها كالرجل

اما من حيث القدرة العقلية فقد وجدت فى التاريخ وتوجد الآن سيدات نابغات من ملكات ووزيرات وسفيرات ونائبات وعالمات وفيلسوفات وشاعرات وممثلات ، يفقن الرجال فى كل ضرب من ضروب الفنون والاعمال

لا أريد أن أشير بان تخرج المرأة من البيت وتترك وظيفتها فيه لكى تعمل أعمال الرجال . ولكنى أريد أن أقول ان المرأة اذا اضطرت أو رغبت ان تعمل عملا من اعمال الرجال كان ذلك فى استطاعتها ، لان استعدادها الحيوى العضلى والعقلى كاستعداد الرجل تماما ، وانما وظيفتها الاجتماعية غير وظيفته ، فعليها أن تلازمها ما استطاعت لكى يقوم العمران على القواعد الاجتماعية

***

ويقول بعضهم : اذا كان الرجل والمرأة متساويين منذ القدم فى القوى الجسدية والعقلية فلماذا تركت المرأة الرجل يستقوى ويستفحل وهى تضعف وتستكين الى ان صارت الآن أضعف منه جسدا وعقلا وصارت تخضع له كأمة لسيدها

والجواب ان المرأة كانت منذ القديم ولا تزال حتى اليوم فى بيئة الجهل تحمل من أثقال الزوجية ما لا يحمله الرجل وما ينوء به ، فسح له هذا العبء الذى عليها سبيل الاستقواء . فهى مثقلة بالحمل ومقيدة بالحضانة وتربية الاطفال وتدبير المنزل . فلا قبل لها وهى فى هذه القيود على مقاومة الرجل اذا استحكم واستبد . ولم يكن عند الرجل من روح العدالة والانصاف والشفقة ما يردعه عن الاستبداد بالمرأة كلما سنحت له الفرصة ان يستبد . ولذلك استطاع ان يتحكم فيها ويحرمها حقوقها فى الحياة الاجتماعية وعلى الخصوص فى التعليم والتثقيف والجنى . فى زمن الجهل وفى بيئته يحبس الرجل المرأة فى المنزل ويحرمها العلم والاكتساب حتى متى شبت كانت مستكينة ومقتنعة بأن حظها من الدنيا ان تكون أمة له يستعملها كما يريد وله الحق فى ذلك وليس لها ان تعصاه . فعلى هذه المظنة ازداد الرجل عتوا ، وازدادت المرأة استكانة وخضوعا ورضى . ولكن لما أتيح لها ان تتثقف وتفهم الواجب والحق شرعت حالها تتغير وشرعت تعلم مركزها

فى المجتمع ، وتفهم انها ليست أمة للرجل بل هي شريكة له فى الحياة ، وكلاهما متعاونان وان هذه الشركة تخولها حقوقا كان الرجل ينكرها عليها . واذا كانت الطبيعة والنظام الاجتماعى قد عينا لها وظيفة فى المجتمع تختلف عن وظيفة الرجل فليست بحكم وظيفتها دون الرجل مركزا وقيمة وحقوقا

***

يقولون ان المرأة مخلوقة لكى تكون انسانة جميلة لطيفة حنونا عطوفا فقط والرجل مخلوق لكى يكون نشيطا شديدا لان طبيعتهما الفسيولوجية تختلف . فما هو الجمال ؟ اذا لزمنا الجمال الطبيعى فكلاهما جميل كل فى نظر الآخر . واذا عدنا الى التبرج ففى وسع الرجل ان يتبرج حتى يضارع المرأة ويفوق عليها ،كما أن فى وسع المرأة ان تنشط وتقوى على الرجل ، فليس الجمال ولا اللطف ولا النشاط والاستقواء من اختصاص احدهما دون الآخر

لا ابتغى ان تسترجل المرأة ولا أن يتخنث الرجل وانما قصدت ان اثبت انهما فى ميزان القوى الجسدية والعقلية متوازنان لا متفاضلان ، وانما النظام الاجتماعى جعل لكل وظيفة تقتضى القوة للواحد واللطف للاخرى ، ولكن اذا تركا للعوامل الطبيعية ظهر توازنهما فى الميزان ، فبمقتضى العوامل الطبيعية اللبوءة والاسد متعادلان

وقد كانت المرأة فى زمن من الازمنة القديمة أقوى من الرجل ، ولا تزال حتى اليوم فى بعض القبائل الهمجية الافريقية والهندية والتبتية أقوى منه . وكانت فى تلك الازمنة سيدة الرجل وسيدة الأسرة وزعيمة القبيلة . وكانت الاسرة تنسب اليها ، وكانت تتزوج عدة أزواج فى وقت واحد اذا شاءت . والآن يسمى ذلك العصر عصر الامومة أو نظام الامومة

ليست المرأة ضعيفة ولم تولد ضعيفة . ولكن النظام الاجتماعى جعلها ضعيفة . فاذا حلت قيود هذا النظام وجدناها قوية . وها نحن نراها تقوى فى اميركا وأوربا لما اضطرها النظام الرأسمالى ان تسعى الى رزقها ، فحلت هى نفسها قيود الاجتماع وسرحت فى رحبة العمل تعمل لكى تعيش ، ولا تستطيع قوة أرضية أو سماوية ان تمنعها عن العمل فهو حق لها

ويقول المعارضون ان نزول النساء الى ميدان العمل انما هو مزاحمة للرجال ، وهذه المزاحمة من أهم أسباب البطالة التى منى بها هذا العصر. هذا صحيح ، ولكن هل من الحق ان تعالج البطالة بمنع النساء من الاسترزاق اذا كان جنى الرجـال من العمل لا يكفى الفريقين معا

٣ - اختصاص كل منهما بوظيفة

نأتى الآن الى وظيفة كل من الرجل والمرأة فى المجتمع وهى ما يحجنا خصومها به

ويحسبونها أقوى الحجج ضدها فى حين انها أوهاها واسخفها

يقولون ان المرأة مخلوقة للمنزل ولحضانة الطفل وتربيته . هذه هى وظيفتها الطبيعية التى خلقها الله لها منذ البدء ، فاذا تجاوزتها خرجت من المنطقة التى وضعها الله فيها ، وكانت متمردة على سننه وأنظمته

نعم ان الحضانة من اختصاص المرأة بحكم الطبيعة الفسيولوجية ، وادارة المنزل وظيفة لها بحكم النظام الاجتماعى الذى قضت به الحضارة والمدنية الحالية لا بحكم القضاء الالهى ولا القضاء الطبيعى ، لانه اذا اقتضت الاحوال والظروف ان تخرج المرأة على هذا النظام أى ان تعمل عمل الرجال لكى تعيش فليس فى طبيعتها الفسيولوجية ما يمنعها من ذلك أو يعجزها عنه ، لان لها من العقل والعضل ما للرجل ففى وسعها ان تشتغل فلاحة وعمارة ونجارة وحدادة ومهندسة وطبيبة وصيدلية ومحامية وتاجرة وممثلة الشعب فى البرلمان ووزيرة وحاكمة الى جميع ضروب الاعمال . يمكنها ذلك متى كانت خالية من واجبات الحضانة ونحوها لان لها كل الاستعداد لهذه المذكورات . واذا كانت عانسا أو ارملة أو عزباء ولا بعل لها فهى مضطرة ان تتقلد اية وظيفة من هذه الوظائف لكيلا تبتئس أو تشذ عن دائرة الصون

فاذن هى والرجل بصدد المقدرة فى الوظائف الاجتماعية متعادلان فى الميزان

نتقدم الآن الى اهمية وظيفة المرأة الخاصة بها والتى لا يمكن ان تكون للرجل بتاتا . هى تمتاز على الرجل بشىء وهو لا يمتاز عليها بشىء . وظيفة الرجل السعى الى الرزق وهى تستطيع ان تسعى مثله . وهو لا يستطيع ان يحتضن الطفل ، فهما من هذا القبيل غير متوازنين فى ميزان الوظائف . بل هى ارجح منه لانها تستطيع ما لا يستطيعه وهو لا يستطيع شيئا هى لا تستطيعه

٤ - قيمة وظيفة المرأة

فهمنا ان الطبيعة والنظام الاجتماعى عينا وظيفة لكل من الرجل والمرأة . فعلينا ان نبحث فى قيمة كل من الوظيفتين لنعلم أيهما أهم للمجتمع وأغلى . وظيفة الرجل محصورة فى الارتزاق أى فى تحصيل الرزق ، وهى عملية بسيطة ليست من الخطورة بمكان عظيم . كل حى يستطيع ان يسترزق بسهولة ، واذا كانت ثمة صعوبة فى تحصيل الرزق فالسبب فى ان هذا النظام الاجتماعى الاقتصادى الحالى ردىء جدا . فوظيفة الاسترزاق ليست عسيرة على المرأة ، واليوم فى الغرب ، وحتى فى الشرق ، نسوة اثرين . ولكن وظيفة المرأة لا يستطيعها الرجل . فحمل المرأة لجنينها فى بطنها تسعة اشهر ثم حضانته فى حضنها وعلى صدرها بضعة عشر شهرا ، ثم العكوف عليه فى ضعفه ومرضه بحنو ليس مثله عند الرجل ، ثم الصبر على تربيته وتعليمه الى ان يشب - لهو أعظم عمل يقوم به الفرد الانسانى - الام - للمجتمع

الدنيا أم ، والام تصنع الامة . ومصنع الامة هو حضن الام لا كنف الرجل ، فكفة المرأة اذن فى ميزان قيمة الوظيفة هى الراجحة

٥ - الأم تعمل الأمة

وعندى شاهد عظيم الشأن على هذه النتيجة . فى عيد ذكرى جورج وشنطون محرر الولايات المتحدة الاميركية من ربقة الاستعمار البريطانى تكتب الجرائد الاميركية عادة شيئا عن وشنطون أو الاستقلال أو حقوق الانسان . وفى عيد من الاعياد كتب الصحفى الاميركى المشهور برزبان مقالا فى نيويورك جورنال عنوانه « من عمل جورج وشنطون » وكان فحوى المقال ان أم جورج وشنطون عملت جورج وشنطون

وكان جورج يتيما وأمه ربته وأبوه ترك له عزبة يستغلها هو وأمه . ودخل جورج فى سلك الجندية وترقى الى رتبة كبيرة فى الجيش . وفى سنة ١٧٨٧ شبت الثورة ضد الاستعمار الانكليزى لان الشعب وان كان معظمه انكليزيا فى الاصل لم يطق الاستبداد والظلم . وانبرى جورج وشنطون لقيادة الثورة

وطالت الحرب ولم يأخذ الانكليز من الثوار لا حقا ولا باطلا ، فارسلوا وفدا الى جورج يقول له : لك مليون جنيه ورئاسة وزارة انكلترا كل حياتك اذا كنت تسلم وتتفق على تسوية مرضية للامة الاميركية

فكان جواب جورج وشنطون الخالد : ان تاج ملككم وثروة الامبراطورية البريطانية لا يكفيان ثمنا لاستقلال بلادى .. حاربوا تفنونا أو نفنيكم

فلما رأى الانكليز أن الاستمرار فى الحرب عبث استحوا وتولى كبار البلاد تنظيم الحكومة الجديدة . واما وشنطون فعاد الى عزبته يشتغل فى زراعته . وفى ذات يوم وفد اليه وفد يقول له هلم الى دار الحكومة فان الامة انتخبتك بالاجماع رئيسا لجمهوريتها ، فأجاب ان هذه الامة مغفلة . تريد أن تضيع الاستقلال الذى اشتريناه بدماء شبيبتها . أنا لا اصلح لرئاسة الجمهورية . ان كنت قد صلحت لزعامة الثورة فلانى كنت سيف الحق فى يد الله ، وكنت اضرب الانكليز بسواعد الشبيبة . الثورة هدم والحكم بناء والهدم اسهل من البناء . عندكم فلان وفلان وفلان من اساطين السياسة والعلم فانتخبوا أحدهم

قالوا : لقد تم الانتخاب ولا يعاد

قال : خذوا من كان له بعدى أكثر الاصوات

قالوا : لا صوت لاحد بعدك

قال : لا اذهب معكم

قالوا : لا تستطيع ان تعصى أمر الامة

قال : واذا عصيت

قالوا : تأتى قوة من الشرطة تأخذك عنوة

قال : اذن اسمحوا لى ان استشير أمى أولا
قالوا : وهل كنت تستشيرها حين كنت تقود الثورة
قال : نعم ونعم ونعم . جورج وشنطون لا يعمل عملا الا بمشورة أمه
قالوا : اذن لقد توفقت الامة الاميركية الى أفضل رئيس لجمهوريتها . رجل يسعى الى رضى أمه قبل ان يعمل عمله لهو خير قدوة لقومه . هلم بنا اليها
ولما اطلعت أمه على الخبر قالت : لماذا تعصى يا بنى أمر أمتك
قال : لست أهلا للحكم يا اماه لان معارفى بسيطة والحكم يحتاج الى علم عال ودراية فى الادارة والسياسة والاقتصاد والقضاء ، وأنا قليل العلم بهذه
قالت : الحكم يا ولدى لا يحتاج الى علم وفلسفة . فى رجال الدولة كثيرون يعرفون هذه المعرفة . الحكم يحتاج الى اخلاق ، فهل لا تزال لك الاخلاق التى ربيتها فيك وغرستها فى نفسك ؟
فتقدم جورج الى أمه وقبل يديها فقبلته وقالت : سر اذن على بركات الله والله يعينك
وتولى جورج وشنطون رياسة الجمهورية مرتين ولو شاءها مدى العمر لنالها ، ولكنه لم يشأ ان يجعل تكرار الرئاسة لواحد سابقة لئلا تتحول الى دكتاتورية
فترى مما تقدم ان أم جورج وشنطون عملت جورج وعملت الامة الاميركية ، فالام تصنع الامة . قال حافظ :

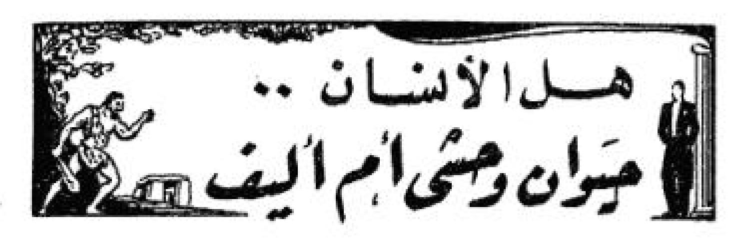
الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وقال قاسم أمين : يكون الرجل فى كبره كما هيأته أمه فى صغره
وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الجنة تحت أقدام الأمهات » . وما الجنة الا البنون والبنات ، فربوا أمهات لكى يعملن أمة من جنات

نقولا الحداد

شوبنهور والمرأة

- يسألوننى عن الأفعى اللينة الملمس وهى أمامهم فى كل وقت بل فى كل لحظة .. تلك هى المرأة
- لتكن المرأة ملاكا طاهرا أو شيطانا رجيما ، فما لنا ولها أجارنا الله من شرها وأذاها
- الحب وردة والمرأة شوكتها
- ان المرأة الجديرة بالتقدير والاحترام لم تخلق بعد
- اتركوا للمرأة حريتها ولاتجعلوا عليها رقيبا ، ثم قابلونى بعد عام واخبرونى بالنتيجة



بقلم سير ارثر كيث العالم الانجليزى

ما بالنا نرى أبطال الحضارة وحملة أعلامها ، من سكان اليابان في الشرق الاقصى ، الى سكان أوربا في الغرب الادنى ، الى احفادهم الامريكيين في الغرب الاقصى ، أشد المحاربين وحشية، وأقربهم الى أشد السلالات البرية من الحيوانات والوحوش المفترسة!

الحيوان الوحشى يعيش حرا ، طليقا من كل قيد ، عدا ما تفرضه عليه غرائزه ، أو ما تمليه عليه العقلية الفطرية التى ولد بها . اما الحيوان الداجن فقد تنازل عن حرياته لبنى الانسان ، فأصبح خاضعا لارادته ، بدلا من أن يكون عبدا للطبيعة خاضعا لغرائزها . وفى اعتقادى ان الانسان ليس من الحيوانات الاليفة ، ولا من الحيوانات الداجنة ، وانما هو برى أسوة بكل حيوان آخر ، يقال انه حر ، طليق ، برى ، طالما عاش خاضعا لسنة التطور عبدا لها . وليس ثمة من شك بأن الحضارة تحاول الضغط على الغرائز الفطرية فى الانسان ــ تلك الغرائز التى كان لها فيه منذ القدم ، ولا تزال ، النصيب الاوفر فى عملية التطور والارتقاء ــ وتسعى الى الحد من سيطرتها عليه . فهناك قوانين لآداب السلوك ، يفرض عليه مراعاتها ، وهناك الحيوان الكامن فيه يحتم عليه اخفاءه فى المناسبات الاجتماعية . وبالجملة قد اضطر بحكم كونه انسانا متمدينا ان يكبت كل ميل ، أو دافع ، أو وجدان أو غريزة ، أو عاطفة ، تتصادم ومبادىء المجتمع الحديث ، وقوانين الحضارة وما تتطلبه من آداب السلوك

ولكن اذا كانت الحضارة الحديثة من شأنها ان تنتزع من الحيوان الانسانى ــ أو الانسان الحيوانى ــ الخداع والمكر والغش والغدر والخيانة والقسوة والهمجية والوحشية وغيرها من الدوافع والنزعات الفطرية الاصلية البرية التى اتصفت بها طبيعته منذ القدم ، فما بالنا نرى أبطال الحضارة وحملة أعلامها ، من سكان اليابان فى الشرق الاقصى ، الى سكان أوربا فى الغرب الادنى ، الى أحفادهم الاميركيين فى الغرب الاقصى ، ما بالنا نرى هؤلاء جميعا ، أشد المحاربين وحشية ، واكثرهم غلظة وهمجية وقسوة ، واقربهم الى أشد السلالات البرية من الحيوانات والوحوش المفترسة ؟ أليس الجواب ان الحروب تجرد

الانسان من هذه الغلالة الشفافة التى ألبسته اياها الحضارة ، فتبدو تحتها طبيعته الاصلية العارية ؟ فهل من الحق أن نزعم أن هذه الشعوب قد صقلتها المدنية ، فأصبحت أليفة أو داجنة ؟

وهل جاز لنا القول أن طبيعة الانسان فى حاجة ملحة الى اعادة بنائها من جديد ، وبذلك يمسى صاحبها حيوانا داجنا بالمعنى الصحيح ؟ لنرجع قليلا الى الوراء لندرس الطرق والحيل والوسائل التى لجأ اليها الانسان فى تأليف الحيوان ، وصقل عقليته تدريجيا الى أن أصبح داجنا . اننا اذا أمعنا النظر فى الحيوانات التى نجح الانسان فى جعلها أليفة داجنة ، كالماشية والخيل والغنم والماعز والكلاب ، لتبين لنا ان جميعها كانت فى حالتها البرية تشترك فى صفة أو ظاهرة واحدة ، وهى ان كل نوع منها كان عضوا فى جماعة أو قطيع ، أى أن هذه الحيوانات كانت اجتماعية بالطبع . والحيوان الاجتماعى كالانسان الاجتماعى له عقلية مزدوجة . ومعنى ذلك انه من الجهة الواحدة يتصف بالرحمة ، واللطف ، والدعة ، والنعومة ، وحب الاجتماع ـ ولكن هذه الصفات مقصور ظهورها على أهل عشيرته . وانه من الجهة الاخرى يتصف بالقسوة والغلظة والعنف والخشونة والعداء للمجتمع ـ وهذه الصفات يلجأ اليها عند تعرضه للغرباء والاجانب عن أهل بيته وعشيرته

▭

وقد كانت مهمة الانسان مدى العصور والأجيال أن يتخير من السلالات الحيوانية ، تلك التى تتغلب فيها صفات اللطف وحب الاجتماع ، على صفات الخشونة والعداء للمجتمع . وقد كان يحتفظ بكل حيوان يقبل ان يتنازل عن نصيبه من الحرية ، وشدة شغفه بها ، ويشجعه على التناسل مع مثيله والاكثار من ذريته . وكان يرفض كل نوع من الحيوان الذى يأبى أن يحبس فى حظيرة أو يشد الى وتد فى مربضه . وبهذه المثابة استطاع الانسان على ممر الاجيال ، أن يقوى فى الحيوانات التى نجح فى تأليفها ، الصفات الاجتماعية ، وأن يضعف فيها الصفات البرية ، العدائية ، المفترسة ، الوحشية . ولكنه بالرغم من هذا الزمن الطويل لم يستطع أن يستأصل هذه الصفات استئصالا تاما ، ولذا نراه فى كثير من الاحوال يعمد الى عملية جراحية ، يحول بها ذكور الخيول والجاموس والقطاط الى حيوانات داجنة أليفة

وقد نجح الانسان فيما يتعلق بأسرة الكلاب أن يقضى على الكثير من صفاتها البرية ، كالشراسة والخبث والريبة ـ أو أن يخفف من حدتها على الاصح ـ واستطاع ان يعزز فيها الصفات المرغوب فيها كالحب والوداد والذكاء . وقد حرص الانسان على تربية فصائل من الكلاب التى احتفظت ببعض خاصياتها الاصلية ، أى التى تغلبت فيها بعض الصفات البرية على الداجنة الأليفة ، مثال ذلك كلاب الصيد ، وكلاب الرعاة ، والكلاب البوليسية والحربية وأمثالها

ومما لا يفتقر الى اثبات ، ان طريقة الانتخاب الطبيعي هذه ، التي تستعمل في تذليل الحيوانات وترويضها وتأليفها ، يمكن اتباعها في « ترويض » الانسان ، وبذلك يقضي على خاصياته البرية الوحشية - أو على الأقل يخفف من حدتها - ويصبح لدينا سلالات جديدة للانسان وفصائل تتغلب فيها الصفات الداجنة الاليفة على الصفات الهمجية الحيوانية

ولنفكر مليا في أهم هذه الصفات البدائية ، الفطرية ، الحيوانية ، البرية في الانسان . ما هي ؟ ان أهم هذه الصفات وأظهرها هي تلك الغريزة التي تبدو جلية في طبيعته حال ولادته ، وعند أول عهده بهذه الدنيا ، الا وهي الرغبة في الحرية الفردية . وليست هذه الفكرة بدعة من ابتكارات القرن العشرين ، فقد أبدى رأيه فيها سنة ١٨٧١ العالم الانجليزي فرنسيس جالتون - ابن عم دارون - في قوله ان الانسان يكون اسعد حالا ، اذا ما أقصيت من طبيعته غريزة الاجتماع ، التي يعبر عنها في الاصل الانجليزي بغريزة القطعان (للغنم والماشية) ، ولم يدر بخلد ذلك العالم الشهير أن هذه الخاصية في الانسان ما هي الا صورة مكبرة من تلك الغرائز والميول والنزعات الاجتماعية التي تربط الناس برباط التعاون ، فتكون منهم طوائف وجماعات واندية ومؤسسات . فاذا ما أقصينا هذه الخاصية من الجماعات لم يتبق لنا فيها سوى خليط غير متجانس من أفراد ، تنافرت أغراضهم ، وأصبح من طبيعتهم اضمار العداء للجماعة بدلا من حبهم لها

▭

ولكن هبنا توصلنا الى ترويض الانسان بالقضاء على حريته ، أسوة بالحيوانات الأليفة فماذا تكون فلسفته في الحياة ونظرته العامة اليها ؟ يكون كالثور في حظيرته ، لا هم له في الحياة سوى أن يعيش ، طالما كان سيده يتولى رعايته ودفع الاذى عنه . ولكن امرءا لا غاية له في الحياة ولا هدفا ، ميت أو في حكم الاموات . ويستخلص من ذلك ان الانسان لا يمكن ان يستحيل حيوانا داجنا ، واذا ما تيسر لنا جعله كذلك ، جردناه من انسانيته

على ان بين الاجناس البشرية ، درجات من صفات الخضوع والاذعان ، وسهولة الطبع ولين العريكة . وهذا يجرنا الى الكلام عن الاسترقاق أو النخاسة . الرقيق كالثور ، يباع ويشترى ويؤجر ، أو هو في الواقع متاع منقول . وقد كان افلاطون يعد العبد آلة حية ، أو اداة ذات روح ، فالعبد اذن قد تنازل عن حريته لسيده . ولكني لم أعثر في جميع ابحاثي ودراساتي على ما يدل على ان أحدا من هؤلاء الاسياد ، حاول ان يربي أو ينتج فصائل من العبيد ، تتناسل فيولد لها على مدى السنين ذريات تتوافر فيها صفات الرقيق ، ولعل أولئك الاسياد قد تعلموا بالاختبار ان شراء العبد ارخص ثمنا « واسهل » من تربيته

واذا اعتبرنا ابتكار الزراعة وممارستها بدء الحضارة ، وأول عهد الانسان بالمدنية ، جاز لنا القول بأن الحضارة والاسترقاق توأمان ، أي انهما جاءا في وقت واحد . أليس أساس المدنية الكد والعناء والكدح وعرق الجبين ؟ أو ليس في الوقت الذي علم الانسان

فيه ان يعرق جبينه يأكل خبزه ، ولد الرق ، وخلق العمل ؟ كان الانسان قبل بزوغ فجر المدنية يقتل عدوه فى ساحة الوغى ، ولكنه بعد ذلك آثر الابقاء على فريسته ، فأخذه أسيرا وسخره فى عزق الارض وحرثها ، وحمل الاثقال ، والقيام بشتى الاعمال . وكلما أصبحت الحضارة فى متناول التاريخ ، كان الاسترقاق فى المدن والممالك والامبراطوريات أمرا لا مفر منه . وعلى هـذا المنوال دارت رحى التاريخ حتى سـقوط الامبراطورية الرومانية ، وظلت النخاسة معمولا بها فى صورة مصغرة حتى سنة ١٨٦٣ ، وهى السنة التى حررت فيها ولايات أميركا المتحدة عبيدها ، وهى آخر دولة عظمى ألغت نظام الاسترقاق

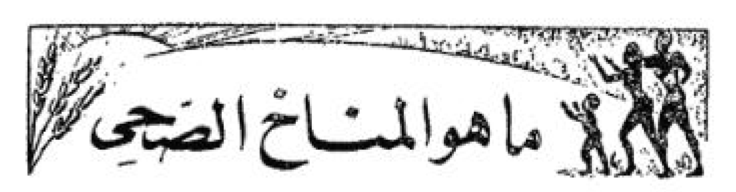
▭

وهنا دعنا نتساءل ، هل هناك رجال ونساء ، عبيد بطبيعتهم ؟ أجاب ارسطو عن هذا السؤال بالايجاب . وزعم هربرت سبنسر ان الطبيعة الانسانية مرنة ، وقال دين سوفت ان اشد الطبائع الانسانية وحشية يمكن ترويضها الى حد محدود ، ومن رأى زنفون ان الانسان أقل الحيوانات قابلية للترويض، والحقيقة ان بين جميع السلالات والاجناس البشرية فروقا فردية عظيمة فى طبائعهم . فمن الافراد من تشتد فيه الرغبة فى الحرية اشتدادا يؤثر فيه الموت على التفريط فى قيد انملة من حقه فيها . ومنهم من يسهل عليه بيع حريته رخيصة ، فى مقابل عيشة سهلة هادئة هنيئة

وهناك شعوب وسلالات بشرية تغلب على الاكثرية فيهم صفات الحرية العنيفة والنزوع للاستقلال ، كما أن هناك شعوبا وسلالات ، تغلب على السواد الاعظم منهم صفات الخضوع والاستسلام . وقد شاهد كولومبوس عند نزوله فى جزائر الانتيل بين أهليها نوعين من السلالات ، يختلف الواحد منها فى طبائعه اختلافا كليا عن الآخر . فنوع منها ــ يسمى الاراك ــ يتصف بالجبن وحب السلام والالفة والخضوع ، والآخر ــ ويسمى الكريب ــ ميال للقتال ، محب للخصام ، عنيف ، مسرف فى استقلاله وحريته . ومن قبيل التفاوت فى هذه الصفات ما نراه فى هنود أميركا الحمر ، الذين أبوا أن يكونوا أرقاء ، وقاتلوا وهدرت دماؤهم فى سبيل حريتهم، ورفضوا العمل تحت لواء الغزاة من السلالات الاوربية البيضاء ، وآثروا الموت فى سبيل الحرية على الحياة بدونها

أما زنوج افريقا فقد برهنوا على لين عريكتهم ، وسهولة انقيادهم ، وعدم تشبثهم بتلك الخاصية الاصلية فى الانسان ــ وهى الحرية ــ ولذا استطاع البيض ان يشحنوا منهم دفعة واحدة تسعة ملايين من الانفس الى العالم الجديد ، فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . ومن أشد الشعوب المعروفة استسلاما ، زنوج افريقا الغربية الجنوبية ، وهم قبائل الدماراس ، التى كان يصفها العالم الانجليزى فرنسيس جالتون بقوله ان الاسترقاق بين أهلها لون من ألوان الغرام ، اذ ان العبد منهم يتبع سيده الابيض كما يتبع الكلب صاحبه

(ملخصة عن مجلة الدليل الادبى الانجليزية)



ربما لم يكن من مجرد المصادفة ان نهضة اليونان وروما قد تبعت اختراع وسائل التدفئة ، وأن سقوط الامبراطورية الرومانية قد تلا العدول عن تلك الوسائل

ان المناخ الامثل هو المناخ الذى لا يجعل الانسان يرتعش أو يعرق اذا قعد يستريح

وقد يكون الانسان أسمى ما فى عالم الحيوان ، وخلاصة التطور والارتقاء ، وأذكى المخلوقات وأقدرها على مسايرة الظروف ، ولكن سيطرته على درجة حرارة جسمه ضئيلة بالنسبة لكثير من الحيوانات التى جهزتها الطبيعة بوسائل شتى لتحمل البرد والقيظ. وقد يصاب الانسان بضربة الشمس اذا كانت درجة الحرارة ٨٠ ف والجو رطب ، بينما يتحمل درجة ١٠٠ ف اذا كان الجو جافا دون أذى يصيبه . على ان الجو الشديد الجفاف يحدث تهيجا فى الاعصاب ويؤدى الى الارق . وكثير من الاجواء تخلق على العكس خمولا وانحطاطا فى القوى . وبصرف النظر عن المكان الذى يوجد به الانسان فى أرجاء العالم ــ ما عدا منطقة خط الاستواء ــ فان الجو الامثل الذى يساعد على النوم الطبيعى ، هو الذى تكون درجة الحرارة فيه بين ٧٥ و ٨٠ ف ، مع الظلام الشامل عند النوم . فاذا كانت درجة الحرارة فى الغرفة أقل من ذلك ، فانه يسعى فى رفعها بوسائل التدفئة أو بالغطاء ، أو على الاقل بالاكتفاء على نفسه . واذا بقى الرأس فى جو أكثر برودة فان الجسم يحتاج الى مزيد من التدفئة لتعويض ذلك . أما عند الراحة فيحتاج الانسان الى جو تكون درجة حرارته أيضا بين ٧٥ و ٨٠ ف مع تحرك الهواء تحركا خفيفا

وقد يسأل سائل : ما هى درجة الحرارة والرطوبة التى يشعر الانسان عندها بالخمول والميل الى النوم ؟ ان خبرتى الشخصية التى كسبتها من الاقامة عدة شهور فى الهند وأفريقيا وجزر الهند الشرقية ، قد دلتنى على انه كلما زادت درجة الحرارة على ٨٠ فى المائة فان الانسان يتملكه شعور الخمول والانحطاط ، غير ان هذا الشعور يقل كثيرا اذا سرى فى الجو نسيم بسرعة ٢٠ ميلا أو أكثر فى الساعة . وعلى العكس من ذلك يشعر الانسان بالبرد اذا تعرض أى جزء فى جسمه لدرجة حرارة تقل عن ٥٠ ف ، الا اذا كان الجسم فى حالة حركة . فاذا انخفضت درجة الحرارة عن ذلك الحد تملكت الانسان القشعريرة . وعلى العموم كل درجة حرارة فوق ٨٠ ف أو تحت درجة ٥٠ ف تضايق

الجسم المعرض لها ، فاذا اضطر الانسان الى تحملها مدة طويلة أثرت فى نشاطه وفى صحته . ولعل العمال فى نواحى العالم - سواء أكانوا فى مصر أم فى اسكتلنده - يبذلون أقصى جهدهم فى العمل ، اذا كانوا يشتغلون فى العراء مع تفاوت درجة الحرارة يوميا بين ٦٠ و٧٦ ف ، مع وجود رطوبة معتدلة ، ونسيم رقيق ، وشمس مشرقة . ففى مثل هذه الظروف تجد الجسم البشرى أصح ما يكون ، والمرض أقل ما يمكن ، والنشاط أكثر ما يبعث . ولا ريب أن الشعوب التى تتاح لها هذه المزايا ، مع توافر الشروط الصحية فى السكنى ، مقدر لها ان تفوق غيرها

قبل سنة ٦٠٠ قبل الميلاد ، لم تتقدم المدنية الا فى المناطق الخصبة التى تتراوح درجة الحرارة فيها حول درجة ٧٠ ف ، وهكذا ظهرت المدنية وترعرعت لدى الفينقيين والمصريين والاشوريين وفى بابل وفارس والهند . وتجد خط تلك الدرجة يمر فى جزء كبير منه وسط مناطق صحراوية مجدبة . ففى الجهات التى تشتد فيها الرطوبة ، مثل بورما والهند الصينية ، يلاحظ انه لم ينشأ الا قدر محدود من المدنية . ولم تكن الجزيرة ووادى النيل مهدا للمدنية الا لان جوهما ساعد على النشاط أكثر من الاجواء الرطبة فى نواح أخرى . غير ان كونهما لا يستمتعان بجو أمثل طوال العام ، قد دل منذ البداية على بطء تقدم المدنية فيهما . ولقد ظلت مصر والعراق وايران آلاف السنين وهى تقود العالم فى سبيل المدنية ، وتخرج به من الهمجية الى الحضارة . ويلاحظ أن المناطق الاقل سكانا مثل كريت وقبرص ومالطة والتى ازدهرت فيها المدنية القديمة ، تقع أيضا قرب ذلك الخط

ولقد أتاح تقدم المدفأة والمدخنة للسراة من القدماء ، جوا منزليا تمكن السيطرة عليه طوال شهور السنة ما عدا أشدها حرارة . وربما لم يكن من مجرد المصادفة ان نهضة اليونان وروما قد تبعت اختراع وسائل التدفئة ، وان سقوط الامبراطورية الرومانية قد تلا العدول عن تلك الوسائل . وقد ظلت أوربا - ما عدا الجزء الجنوبى منها الواقع على شاطىء البحر الابيض المتوسط والاستانة - من سنة ٥٠٠ قبل الميلاد الى سنة ١٣٠٠ ميلادية وهى تعانى تأخر القرون المظلمة . وكانت صناعة ضرب الطوب غير معروفة عند الهمج ولا يدريها السكسونيون والنورمان ، وانما كانت وسيلة الحرارة الوحيدة التى يدرونها هى اشعال نار مكشوفة . وفى خلال تلك الحقبة من الزمن صدت المدنية عن التقدم فى أوربا ، وعادت الى جنوب شرقى آسيا والشاطىء الجنوبى للبحر الابيض المتوسط ، وبينما كانت أوربا ترتعش من البرد ، خلصت شعوب الشرق الادنى نفسها من آثار النير الرومانى وعادت شعوبا غازية فاتحة . ولكن منذ القرن الثالث عشر ، حصلت تطورات غيرت وجه العالم ، ونقلت مراكز المدنية من خط درجة ٧٠ ف الى جهات أكثر برودة

وقد ظهر أول تغيير هام فى تكييف الهواء ، منذ القرن الحادى عشر . فقد ظلت جميع التحصينات غير الرومانية فى شمال غربى أوربا - الى نقطة ما فى التاريخ - مشيدة من الطين أو من طابق واحد من الخشب . ولكن فى ناحية ما ، حول سنة ألف ميلادية ،

شرع النورمان يبنون ابراجا مثلثة من الحجر . وفى بداية القرن الثالث عشر ساعدت عدة تغيرات فى الصناعات والاجهزة ، على وضع أسس المستقبل ـ ومن ذلك العودة الى ضرب الطوب وصنع ألواح النوافذ الزجاجية واستخدام الفحم واختراع المدفأة والمدخنة

وقد كثر استخدام المدفأة فى شمال أوربا فى ذلك الحين ، وكان الوقود المعتاد هو الخشب ، حتى صار فحم نيوكاسل يصدر بوفرة الى أوربا حوالى سنة ١٦٠٠

ولهذا التطور أهمية بالغة ، فقد مكن شعوب شمال غربى أوربا من تخفيف قسوة الشتاء ، ولم يعد نشاطهم ينحصر فى مقاومة البرد ، بل اتاح لهم الدفء فى داخل بيوتهم جوا للعمل والعيشة كالجو الذى يستمتع به أهالى الجنوب فى العراء . وتولت بريطانيا قيادة هذه المدنية المنزلية بفضل اعادة اكتشافها للفحم ومواردها الغنية منه ، وسرعان ما صارت البلاد الواطئة وشمال فرنسا والمانيا تابعة فى هذا المجال بعد اذ كانت متبوعة

والمناطق التى لها الآن مناخ أمثل ـ ونعنى به الجو الذى تمكن السيطرة عليه طوال السنة والذى يتيح أحسن الظروف المنزلية ويسمح بالرياضة فى العراء فى معظم الايام ـ والتى تملك فى الوقت نفسه وسائل رخيصة ناجعة لتكييف الهواء ، هى زيلندا الجديدة وشمال غربى أوربا ، وأجزاء مختلفة من أمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية واستراليا . وتمتاز زيلندا الجديدة على جميع البلدان الاخرى ، بان لها جوا تسهل السيطرة عليه ومنابع للحرارة الصناعية وافرة بسعر رخيص . ومتى عم تكييف الهواء فان المناطق الممتازة ستكون أدنى الى الجنوب ـ أو الى الشمال فى نصف الكرة الجنوبى ـ وربما حوالى خط ٥٨ أو ٦٠ ف من درجات الحرارة

ان المدنية تحل حيث يتمكن الانسان من التحكم فى بيئته . واعتقد اننا مقبلون على تطورات أعظم مما حدث فى الماضى ، لان تكييف الهواء وتقدم الكهرباء سيساعدان الانسان ، لا على التحكم فى الرطوبة والبرد فحسب ، بل فى الحرارة والجفاف ، واذا لم تزدهر الصحراوات كالورد ، فانها قد تزدهر مرة أخرى بالعقول المستنيرة . وقد يصل الزنوج الى درجة من التقدم الذهنى لم يحلم بها بوكر واشنجتن . وقد يقفز الساميون والعرب واللاتينيون واليونانيون مرة أخرى الى موكب التقدم العلمى

ولكن قد يخلق النشاط الجديد خصومات جديدة ، فان التاريخ يدلنا على ان المدنية تمد الحروب بأهوال جديدة ، والاغنياء بأنواع أخرى من الحمى ، والاستغلال البشرى بوسائل مبتكرة . ولعل أعظم درس يلقنه التاريخ ، هو انه اذا كان للمناخ والسيطرة على الجو نصيب كبير فى خلق النشاط البشرى وبالتالى فى ايجاد المدنية ، فان المثل العليا الروحانية هى التى تسير النشاط وتشكل المدنيات فى أغلب الاحوال

(ملخصة عن كتاب « المناخ ونشاط الامم »)
بقلم س . ف . ماركهام

تستطيع أن تستمتع بالشيخوخة

يتوقف استمرار الحيوية لدرجة كبيرة على نوع العمل الذى تمارسه، وتوزيع ساعاته ، وحالة السكنى ، والغذاء والكساء ، والراحة والرياضة ، ومدى الانفراد بالنفس ، ودرجة الضمان الاجتماعي

لا معنى للاعتقاد السائد بأن الانسان اذا بلغ السبعين من عمره وجب عليه أن يترقب الموت ، ولا ضرورة لان يتحمل كل من يبلغ الكبر مذلة الوهن والركود . ففى هذه البلاد يوجد آلاف من الناس يبلغون المائة من العمر ، ولا يزالون يعيشون عيشة هنية فى هذه السن

وانما تسيطر على أذهاننا ، بشأن الكبر ، أوهام متوارثة ، وتقاليد فات أوانها . ولا نزال نعمل وكأن معدل الحياة للانسان هو سن الخامسة والثلاثين كما كان قبلا ، لا الثالثة والستين أو أكثر كما هو الآن

واننا لنعامل كبار السن منا وكأنهم جثث حية ، غافلين عن عددهم الذى لا يفتأ يزيد باطراد . واذا لم نول هذا الامر حقه من العناية فانه لا يلبث ان يؤدى بنا الى كارثة

منذ بضع عشرات من السنين كان العامل الصناعى يتقاعد عن العمل اذا بلغ الاربعين من عمره ، لانه كان عادة اذا وصل الى هذه السن اصبح منهوك القوى وعلى حافة القبر . اما الآن فان الحالة قد انعكست حتى قيل فى الامثال : « الحياة تبدأ فى سن الاربعين » . ومع هذا اذا كان العامل يأبى التقاعد فى سن الاربعين فانه يرغم على ذلك بتصرفات قصيرة النظر من أرباب الاعمال

ان كبار السن لهم قيمة كبيرة ونشاط مدخر وخبرة مكتسبة ، ولكن هذه المزايا تبدو كلها وتخمد عمدا . ولقد كان معدل العمر فى سنة ١٩١٠ هو ٤٦٫٣ سنة . فما وافت سنة ١٩٣٥ حتى ارتفع ذلك المعدل الى ٦٠٫٢ سنة ، أى بزيادة أربع عشرة سنة تقريبا . وان كبار السن ليعدون عندنا بالملايين ، وهم فى ازدياد مستمر ، ولسوف يكبر عدد المعمرين باطفالنا وأحفادنا على كر الزمن . ومع هذا ففى تلك الفترة من الزمن التى ذكرناها ، لم يزد طول الحياة بالنسبة لشخص فى الخمسين من عمره الا بمعدل ٢٫٨ سنتين فقط . وبيان ذلك ان الذى فى الخمسين من عمره سنة ١٩١٠ كان يحق له أن يأمل البقاء فى قيد الحياة ١٨٫٣ سنة أخرى ، بينما الشخص الذى بلغ تلك السن فى عام ١٩٣٥ لا يحق له ان يأمل العيش الا ٢١٫١ سنة .

ان عملية الكبر تبدأ منذ يوم الميلاد . غير ان الفترة الخامسة من حياة الانسان ، التى تحدد فيها ساعة الوفاة أو تهيأ فيها العدة للانحطاط والوهن ، هى الفترة التى تقع بين الثلاثين والخمسين من العمر . ويبدأ التغير والتكاثف فى الشرايين فى باكورة الشباب ، ويتطور ذلك تطورا سريعا منذ تكامل النمو الجسمانى . وفى سن الثلاثين تبدو عند خمسين فى المائة من الناس أعراض ذلك المرض من أمراض الكبر . ويتضح من هذا اننا نكون قد أصبحنا فى ظل الكبر فى الوقت الذى نشعر فيه بأننا أحسن ما نكون قوة وصحة .

والكبر لا يقوى الجسم البشرى باعتباره وحدة واحدة . بل يعترينا الكبر على مراحل وفى اجزاء ، يختلف تأثرها باختلاف الاشخاص . ويحصل انحطاط وانحلال جزئيان منذ الطفولة ، ولكن يستمر معهما نمو وتطور جزئيان الى أخرى مراحل العمر

وتهبط نسبة التغير الكامل هبوطا حادا من دور الطفولة الى سن العشرين ، ثم تبقى تلك النسبة ثابتة لا تكاد تتغير حتى الكبر . وتصل القوة الجسمانية الى أشدها فى سن العشرين ثم تبدأ فى الانحطاط ببطء واطراد بعد ذلك

وتبلغ قوة الانسان الى غايتها بين العشرين والثلاثين ، ثم يتبع ذلك دور هبوط حاد ، يصل الى منتهاه عند الذكور حوالى سن الخامسة والخمسين ، وعند الاناث حوالى سن الخامسة والاربعين

ويرتفع خط القوة الذهنية ارتفاعا حادا لغاية سن الاربعين ، ثم يبطىء معدل ارتفاعه الى غايته عند سن الستين ، وبعد ذلك يأخذ فى الهبوط البطىء الى سن الثمانين . ومعدل المستوى الذهنى عند سن الثمانين يوازى معدله عند سن الخامسة والثلاثين . وغنى عن البيان ان هذه الحدود التى ذكرناها هى حدود عامة

وتجد النشاط الذهنى فى سن الثمانين مختلفا عنه عند الخامسة والثلاثين ، ولكنه لا يقل عنه قيمة . وعلى العموم فان فقدان جانب من القوة الجسمانية والحركة فى الكبر ، يعوض تعويضا حسنا بالمزيد من المثابرة والدقة والخبرة . وعند بلوغ سن النضج الذهنى — أى سن الستين — تظهر فى خلايا المخ فضلات ملونة تعد عادة من أعراض الكبر . غير انها لا تحدث أى ضرر بالنشاط الذهنى ، بل على العكس : لا يتاح الا لمثل ذلك المخ أن ينتج أسمى ما ينتجه العقل البشرى ، وأعنى « الحكمة »

ان الشخص العجوز يعامل الآن وكأنه مخلوق شاذ . أما فى الغد فلعل العجائز هم الذين يستطيعون ان يحسنوا فهم المشاكل البشرية . اننا لم نعش قط فى مجتمع بلغ الغاية من النضج . وأكثرنا يموت وفى نفسه شعور بفوات الفرص ، وخيبة الآمال ، وضياع الوقت أو قصره . أما طبيعة عقول العجائز ، العقول الكبيرة السليمة ، فانها توحى بالتعمق فى مشاكل الجنس البشرى ، واصلاح نظمه فى المستقبل

ولسنا ندرى بعد هل يختلف معدل الكبر باختلاف الاجناس والشعوب . لا ريب ان البيئة لها تأثير كبير فى طول الحياة وفى بدء الكبر وتقدمه . ويبدو ان جيل الحرب تظهر

عليه قبل الاوان أعراض تصلب الشرايين نتيجة للاجهاد الجسمانى والتوتر العاطفى . كذلك للمناخ تأثير ظاهر فى مس الكبر

ويتوقف استمرار الحيوية لدرجة كبيرة على نوع العمل الذى تمارسه ، وتوزيع ساعاته وحالة السكنى ، والكساء والغذاء ، والراحة والرياضة ، ومدى الانفراد بالنفس ، ودرجة الضمان الاجتماعى . ولنوع العمل علاقة وثيقة بطول العمر يمكن تحليلها بالوسائل الاحصائية . فبعض طوائف المهن ، مثل القساوسة وموظفى الحكومة ، مميزون على غيرهم من حيث طول العمر . وعمال الصناعات على العموم يبلغون الكبر قبل الزراع أو رجال الاعمال بزمن بعيد

والمشكلة الكبرى التى تواجه الشخص الكبير السن ، هى كيف يدخر النشاط دون أن يهبط بمستوى عمله ؟ ان حالة الاجهاد التى يعيش فيها الملايين من الناس ويعملون ، كثيرة الشبه بالحالة « العادية » التى يحيا فيها العجائز . ويقول السير جيمس باجيت الطبيب الانجليزى الشهير : « ستجدون أن التعب له نصيب من الاصابة بالامراض ونقلها أوفى من نصيب أى عامل واحد آخر » . وهذا لا ينطبق على العامل الصناعى فحسب ، بل كذلك على كل شخص حى ، سواء لم يصل بعد الى درجة النضج الجسمانى أو كان قد تخطاها

والراحة والاستجمام شبيهان بالعدة التى تكون دائما على مقربة من الصانع ليصلح بها ما يحتاج الى الاصلاح . ويمكننا ان نستخدمها ، لا لنكافح بها الاضمحلال فحسب ، بل كذلك لنشد بها الآلة الجسمانية فلا نخشى عليها التلف بلا داع

***

ويمكننا ان نضع فيما يلى قواعد محددة ليتخذها كبار السن مسلكا لهم ومنهجا :

١ ـ احتفظ بنشاطك الجسمانى والذهنى ، فليس ثمة أخطر من نقص الحيوية الذى ينشأ من الركود والاستسلام . ولذا اجتهد دائما فى أن تكسب لنفسك مهارة جديدة ، وتسلية جديدة ، ومعرفة جديدة

٢ ـ ادخر نشاطا فى كل ما تباشره . واحرص على ان تصل الى نفس الغاية التى ترومها بالاقتصاد فيما تبذله لها من جهد وقوة . ونظم حركاتك ومعدل نشاطك . ولا تغفل عن دلائل الخطر الناتج من الاجهاد الذى لا مسوغ له

٣ ـ أقصر من فترات الراحة والرياضة ، وقسم يومك الى فترات متساوية من النشاط والراحة . وتصور التأثير الباقى للتمدين والراحة فى احتياطى الجسم مع تقدم العمر ، ورتب حياتك على ذلك

٤ ـ فى الوقت نفسه احرص على القواعد العامة للرياضة الجسمانية ، واجتهد فى الابتعاد عن الضجر والملل ، وحاول ان توفق بين نشاطك وبين قوتك الجسمانية المتناقصة

والشخص العجوز الاريب لا يزال يقدر على استخدام قوة شخصيته . واذا كانت الامور التي تثير اهتمامه وعواطفه أقل من قبل ، فانه مع ذلك يمكنه ان يبقى منتجا الى أقصى درجات الانتاج

أما العجوز الذي تكون حياته الذهنية ساذجة مجدبة ، فانه يصبح مشغولا بنفسه ، بخيلا ، حقودا ، سيء الظن ، ويعجز عن المواءمة بين نفسه والحالة المحيطة به ، وقد يؤدي تغير عاداته الى كارثة ، كما يحدث كثيرا من وفاة الكبار فجأة حين يضطرون الى ترك أعمالهم المعتادة ، أو حين يدخلون ملجأ أو مستشفى

وأخيرا تحل المرحلة المؤلمة ، حين يصبح الشخص الهرم خيالا ساريا ، فيبدأ دور الطفولة الثانية من أدوار حياته . وقد يكون في البداية واعيا ما يحل بقواه الذهنية من هبوط ، فيحاول جهده ان يجمع شتات فكره ، ويستر ضعف ذاكرته ، ولكنه يزداد عجزا عن الوصول الى النتائج من مقدماتها ، وضعفا عن البت برأى فيما يعرض له من أمور . وقد يأخذ في الكلام بلا نهاية ولا هدف ، أو قد يصمت وينطوي على نفسه ، ويشغل ذهنه بصغائر الشجون ، ولا يفتأ يلاحقه الخوف من المرض والفاقة والموت

ولاى أن يسأل : لماذا تعترينا الشيخوخة والهرم ؟ ولماذا نموت ؟

ان مدى الحياة لا تحدده قوانين طبيعية ثابتة ، فهو يختلف اختلافا كبيرا ، لغير داع معلوم ، بين أنواع النبات والحيوان والانسان ، ولا تمكن اطالته أو تقصيره الى حد ما بعوامل معينة . ونحن نعلم أيضا ان عملية الكبر لا تسير في طريقها الطبيعي الا نادرا ، اذ تتدخل في سيرها تغيرات سابقة لاوانها أو ناتجة من المرض ، وهي تغيرات يمكن منعها أو علاجها

وانا لنجد فروقا هائلة في مدى الاعمار دون أن تدرى لتلك الفروق سببا : فبعض الحشرات تموت بعد ان تعيش ساعات معدودات ، والقملة مثلا تعيش نحو ثلاثين يوما . وذكر النحل يعيش بين اربعة وخمسة شهور ، بينما تعيش ملكة النحل من اربع الى خمس سنوات . وكل من الارنب والفأر يعيش ثماني سنين . وكل من البقرة والحمامة والخنزير والهرة يعيش خمسا وعشرين سنة ، بينما يطول عمر الحمار الى الثلاثين . والببغاء والنسر قد يعيشان حتى يبلغا المائة من السنين . وقد يحيا التمساح ثلثمائة سنة

والمعروف عن « الداية » التي ولدت زوجة تشارلس الاول ملك انجلترا انها عاشت حتى الثالثة والعشرين بعد المائة من عمرها . وقد شرح « هارفي » جثة رجل يدعى توماس بار يقال انه عاش ١٥٢ سنة . وقد ولد روبرت تايلور سنة ١٧٦٤ ومات سنة ١٨٩٨ أي في سن الـ ١٣٤ . وتدل الاحصاءات التي جمعها « ديون » انه في سنة ١٩١١ كان يوجد في أوربا نحو سبعة آلاف شخص تخطوا سن المائة ، ونصفهم في بلغاريا وحدها

وجميع هذه البيانات تدلنا على ان مدى الحياة يختلف في نطاق أوسع مما نظن ، نتيجة لاسباب داخلية وخارجية

ويمكن اطالة الحياة الى غير نهاية فى المعامل العلمية ، وتحت الاشراف الدقيق ، وبمنجاة من حوادث الوجود المعتادة . فقد ثبت فى التجارب العلمية امكان بقاء الحياة دون ان ينهيها الموت . ومن ذلك انه فى يناير سنة ١٩١٢ قام الكسيس كارل والدكتور ا. م. ابلنج بعزل أجزاء من خلايا قلب دجاجة ، وصارا يغيران واسطة التغذية كل ثمان واربعين ساعة وينقلان طائفة صغيرة من الخلايا الى الواسطة الجديدة ، فاستطاعا ان يبقيا ذلك النسيج حيا حتى اليوم ، وليس ثمة حائل دون ان يبقى حيا الى الابد ، ما دام فى الامكان الاستمرار فى تلك الوسيلة الناجحة

وليس من شك فى ان كلا منا يعتريه الكبر ، ولكن معدل السرعة فى ذلك مختلف . وان عدد السنين التى تحسب بها حياة الانسان ليس بالضبط مدى حياته محسوبا من ساعة ميلاده الى ساعة وفاته . فان هذه الساعة الاخيرة قد تأتى سابقة أو متأخرة بالنسبة لعمره الزمنى . ومن ثم كان ضروريا أن نعرف بأكثر ما يمكن من الدقة ، مبلغ تقدم الجهاز الجسمانى أو اجزائه الحيوية فى عملية الكبر

ونحن اذا أزلنا كل أعراض المرض من حياة رجل مسن ، فانه يمكنه ان يستمر فى الكبر . ولذا من المهم ان نوضح الفرق بين عملية الكبر الطبيعية وبين حالة الوهن الناتجة من الامراض الخاصة بالشيخوخة

اننا لا يمكننا ان نعالج الكبر فى حد ذاته ، ولكنا نستطيع ان نحتفظ بحالة الكبر الطبيعية بل ان نرجئها ، ونستطيع ان نمنع أو نعالج الكبر المعتل

لقد أصبح الكبر الطبيعى أمرا نادرا فى العصر الحاضر . ولقد صرح الدكتور «واردن» انه فى خلال خبرة ٣٨ سنة لم يجد سوى ٢٥ جثة من الجثث التى شرحها يصدق عليها وصف الموت من الكبر

ان الطبيب حين يعرض عليه معظم أمراض الكبر تكون قد أزمنت اذ يعود تاريخها الى دور الشباب . ومن واجب الطبيب ان يكشف المرض عند بدء سريانه فى الجسم وقبل ان يحدث من الضرر ما لا يمكن علاجه . وفضلا عن ذلك من واجب الطبيب ، فى معظم حالات المرض المزمنة ، أن يروض المريض على الرضا بحالته ، فان الجسم والعقل السائرين قدما فى طريق الكبر ، يجب ان يعلما ان مرحلة جديدة من العمر قد بدأت ، وان لهذه المرحلة قواعدها ومنهاجها

(ملخص عن كتاب « أنت أصغر سنا مما تظن »)
للدكتور مارتن جمبرت

لا سفاهة فى المهن انما السفاهة فى الاشخاص « فيكتور هوجو »

آثارنا التي لم تكتشف بعد

بقلم الأستاذ محرم كمال

الأمين بالمتحف المصري

ان المجال لا يزال متسعا ، والأمل لا ينفك متجددا في العثور على آثار جديدة لم تكتشف بعد ، ليست خاصة بأفراد أو نبلاء فحسب ، بل وخاصة بملوك وملكات أيضا

في عام ١٨١٥ وفد على مصر رجل ايطالي ضخم الجسم يدعى بلزوني ، ولد أصلا في بادوا بايطاليا من عائلة محترمة ، ولكنه غادر بلاده على أثر بعض القلاقل الداخلية وذهب الى انكلترة حيث ظل مدة هناك يمارس ألعاب القوى في الملاعب والحفلات . ويظهر أنه الى جانب عمله الذي ذكرناه كان يستغل أوقات فراغه في دراسة الهندسة ، وهذا مكنه من ان يوفق الى اختراع ساقية أراد أن يكون لنفسه بها مجدا وثروة في مصر . فحضر اليها عام ١٨١٥ كما سبق القول ، وقابل محمد علي باشا وأطلعه على اختراعه فسمح له الباشا بتركيبها في حديقة القصر . ويحدثنا بلزوني أن اختراعه لاقى نجاحا كبيرا ، وان هذه الآلة كانت تخرج كمية من الماء تعادل ضعفي كمية الماء التي تستخرجها السواقي العادية التي كانت مستعملة في هذا الوقت . ولكن المصريين لم يبدوا اهتماما كبيرا بها ، ورفضوا ان يستعملوها مفضلين بقاء القديم على قدمه

لم يجد بلزوني بدا من أن يوجه اهتمامه الى شيء آخر . ولما كانت مصر هي بلد الآثار ، فقد اجتذبته ثروة البلد الأثرية المباحة ، وظل خمس سنوات كاملة يبحث وينقب ويجمع الآثار في مصر . ولعل هذا الرجل هو أول مكتشف ادار حفائر كبيرة في مصر بطريقة شبه نظامية ، فكشف في وادي الملوك مثلا عن عدد كبير من المقابر نذكر من بينها : مقبرة آي ورمسيس الاول وسيتي الاول . ثم نشر كتابا عن حفائره في عام ١٨٢٠ ملأه بالقصص الطريفة والروايات الشيقة عن بحوثه وكشوفه . وقد ذكر في غضون كلامه أنه قد بحث وادي الملوك بحثا دقيقا وانه — على حد قوله — « يعتقد إعتقادا جازما بأن وادي الملوك لا يمكن أن يعثر فيه على مقابر أخرى تزيد عما اكتشف منها من قبل » ثم يستطرد في كلامه فيقول : « واني لم أترك هذا المكان الا بعد أن بذلت كل مجهود ممكن لكي أعثر على مقابر أخرى جديدة ولكني لم أنجح في كشف شيء غير ما كشفته منها من قبل ، ومما يثبت قولي ، بصرف النظر عن البحوث التي أجريتها بنفسي

ـ أنه بعد أن تركت المكان وغادرته ظل القنصل البريطانى سالت يبحث وينقب طوال أربعة شهور فى وادى الملوك على أمل أن يعثر على مقبرة أخرى ولكنه لم يوفق » .
وفى عام ١٨٢٠ عاد بلزونى الى انكلترا وأقام معرضا عرض فيه كنوزه الأثرية ثم توفى بعد ذلك بأعوام قليلة وهو يقوم برحلة الى تمبكتو

وبالرغم من اعتقاد بلزونى وتأكيداته الجازمة بأنه قد استوفى أرض وادى الملوك بحثا وتنقيبا فان لوريه مدير مصلحة الآثار حينذاك وفق فى عام ١٨٩٨ الى كشف مقابر ملكية عديدة نذكر منها مقبرة تحتمس الاول وتحتمس الثالث وامنحتب الثانى ، ونخص الأخيرة منها بالذكر لانها كانت قد اتخذت مخبأ فى عهد الأسرة الحادية والعشرين لجثث ثلاثة عشر ملكا ، وقد ظلت هذه الجثث سالمة الى أن كشف عنها لوريه عام ١٨٩٨ كما أنه قد وجد جثة امنحتب نفسه صاحب المقبرة سليمة لم تمس فى تابوتها الحجرى كما وضعت منذ ثلاثة آلاف سنة أو تزيد وان كان أثاث المقبرة ومحتوياتها قد سرق منذ زمن

وفى عام ١٩٠٢ حصل ثرى أمريكى يدعى تيودور ديفز Theodore Davis على امتياز بالحفر فى وادى الملوك وظل ينقب هناك مدة طويلة . وبالرغم من تأكيدات بلزونى الجازمة بأن وادى الملوك لا يمكن ان يحتوى على مقابر أخرى جديدة الا أن ديفز عثر فيه على مقابر كثيرة منها مقبرة تحتمس الرابع وحتشبسوت وسى بتاح ويويا وتويا والملكة تى وحرمحب . وفى عام ١٩١٢ أعلن تيودور ديفز أنه قد قتل وادى الملوك بحثا وتنقيبا وانه لا يمكن العثور فيه على مقابر أخرى ثم تنازل عن امتيازه فى هذه المنطقة وانهى عمله .
ولكن اللورد كارنارفون ومعه هوارد كارتر كان يداعبهما الامل فى العثور على مقبرة أخرى ، فتقدما للحصول على عقد امتياز بالحفر وفى نفس المنطقة التى كان يحفر فيها ديفز من قبل أى فى وادى الملوك . ومع أن تأكيدات ديفز كانت قاطعة ، ومع أن ماسبرو مدير مصلحة الآثار حينذاك الذى أمضى لهما عقد الامتياز فى يونيه عام ١٩١٤ كرر لهما أنه متفق فى الرأى تماما مع ديفز ، وأنه يعتقد أن وادى الملوك قد بحث تماما وأن المنطقة لا تستحق مجهودا جديدا من المحقق أنه سيذهب عبثا ، بالرغم من كل ذلك نرى كارتر يقول انهما قد تذكرا ـ هو واللورد ـ أنه منذ نحو المائة سنة أكد بلزونى هو أيضا تأكيدا قاطعا أن وادى الملوك قد بحث بحثا تاما وأنه لا يحتوى على مقابر جديدة ، ومن ثم فقد رفضا أن يقتنعا بأمثال هذه الدعاوى . بل أنهما كانا يعتقدان بعد أن فحصا الوادى فحصا جيدا أنه توجد فيه مناطق غطتها كميات الرديم التى ألقاها من سبقهم من الحفارين (القدماء والحديثين) لم تبحث بعد . ولو كان كارتر قد اقتنع بكل ما قيل له من قبل لما توصل الى ذلك الكشف الفريد الذى يعد أبدع كشوف العصر الحديث وأروعها ، ونعنى به كشف مقبرة الملك توت عنخ أمون فى عام ١٩٢٢ . صحيح انهما قد ظلا أعواما طويلة يحفران حتى يئسا ، وانهما قد فكرا مرارا فى ترك العمل فى هذه المنطقة ، ولكن صبرهما ومثابرتهما قد كوفئا بهذا الكشف الذى هز العالم حينذاك ، ولا يزال يجتذب

حتى اليوم آلاف الجنود الذين يمرون بمصر الى زيارة المتحف المصرى والاعجاب بهذه الكنوز

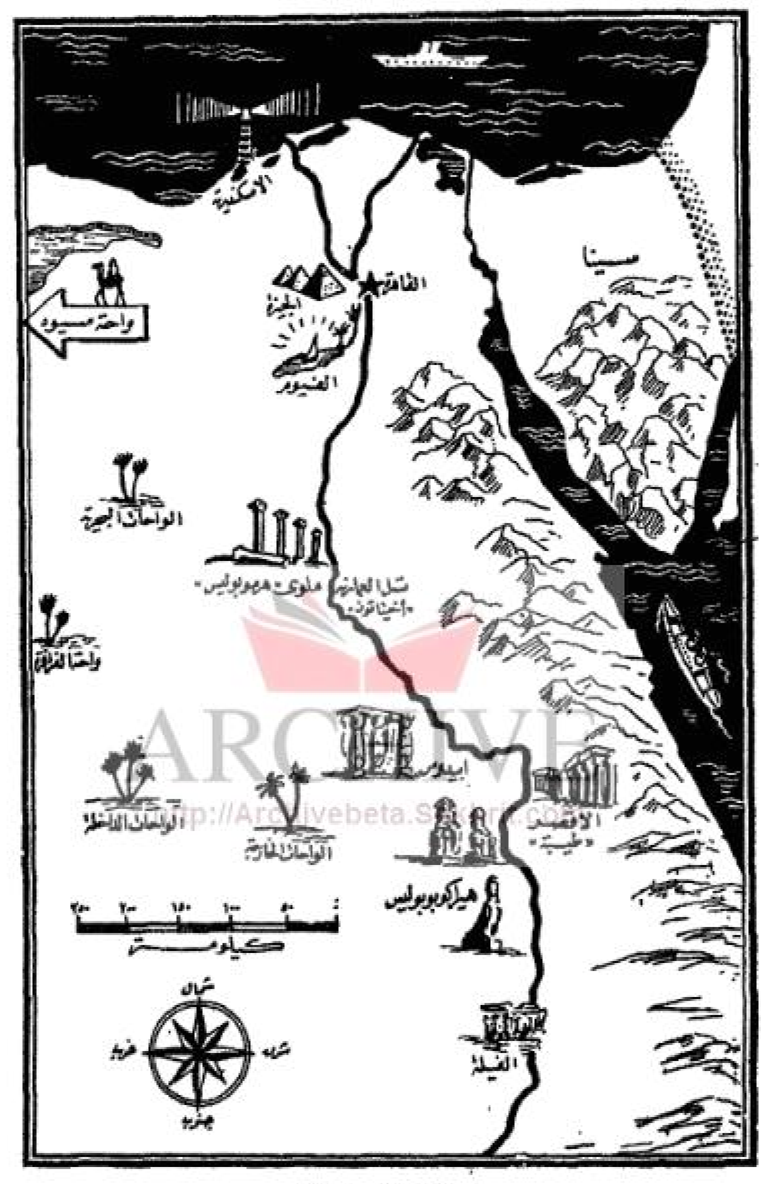
***

يتضح لنا من كل ما سبق أن الظن بأن أرض مصر قد أخرجت لنا كل ما فى باطنها ، وأطلعتنا على جميع أسرارها ، وباحت لنا بكل مكنوناتها ، لهو ظن بعيد عن الحقيقة بعد الارض عن السماء . اذ أنه يكاد يكون من المحقق أن كشوفا عظيمة يمكن الوصول اليها فى المستقبل ، ولكن هذه تستلزم فحصا دقيقا منظما لطائفة من المناطق المختارة بعناية . بل ان نفس المنطقة الواحدة يلزم تقسيمها الى أجزاء صغيرة تبحث بحثا دقيقا ، وتحفر حتى يصل الباحث فى حفائره الى أعظم عمق ممكن ، ان لم يكن الى القاع الصخرى نفسه مستعينا بكل ما مر به فن الحفائر من تجارب واختبارات واتقان . ويجب على الباحث ألا ينتظر من حفائره نتائج عاجلة فى كل عام ، أو كشوفا رائعة كتوت عنخ آمون، اذ أن أول صفة يجب أن تتوفر فى باحث الآثار الذى يدير حفائر علمية منظمة أن يتذرع بالصبر ويتحلى بالمثابرة ، وان يجعل باب الامل أمامه فسيحا

ومن بين هذه المناطق التى تتوقع العثور فيها على آثار لم تكتشف بعد منطقتا الجيزة وصقارة ، ونحن لا نشك مطلقا فى ان الحفائر المنظمة التى تدور الآن وفى المستقبل فى هاتين المنطقتين ستوصل الى كشوف تجلو لنا حقائق تاريخية هامة وتضيف الى تاريخ هذا العصر صفحات جديدة

أما منطقة أبى صير فالمجال فيها واسع لبعض الكشوف . ففضلا عن أن هذه المنطقة قد اتخذت مكانا لاهرامات ملوك الاسرة الخامسة كالملك سحورع ونفر اركارع ونى أوسررع ولمعابدهم الجنازية ، وهذه كلها كشفت عنها حفائر البعثة الالمانية بين عامى ١٩٠٢ — ١٩٠٨ الا انه من الثابت انه كان لهؤلاء الملوك معابد شمسية ، كشف عن أحدها وهو الخاص بالملك نى أوسر رع ، أما الاثنان الآخران وهما معبدا الشمس الخاصان بالملكين سحورع ونفرار كارع فانه لم يعثر عليهما حتى الآن ، ولا شك فى أن حفائر منظمة تجرى فى هذه المنطقة سوف توصل الى الكشف عنهما ، أو على الاقل عن الجدران السفلية منهما ، اذا كانت العليا قد تهدمت وزالت

أما فى عصر الفترة الاولى الذى يمتد من الاسرة السابعة حتى نهاية الاسرة العاشرة ، فان ما كشف عنه من آثار هذا العصر ضئيل الى حد كبير ، ولا شك فى أن مستقبل الحفائر كفيل بأن يجلو لنا — بما يعثر عليه من الآثار — الكثير من الغموض الذى يحيط بهذا العصر . أما فى الاسرة الحادية عشرة فلا تزال مقبرة الملك منتوحتب الرابع (نب توى رع) غير معروفة ، واننا اذا لاحظنا أن من سبقه من ملوك هذه الاسرة دفنوا اما فى طيبة أو فى الدير البحرى لامكننا أن نحكم بأن مقبرته سيكون العثور عليها فى احدى هاتين الجهتين



خريطة تبين أهم مواقع الآثار

فاذا وصلنا الى عصر الفترة الثانية الذي يمتد من الأسرة الثالثة عشرة حتى نهاية الأسرة السادسة عشرة نجد هناك احتمالات كثيرة اذا أوصلتنا فى يوم ما الى كشوف مهما كانت قليلة فان قيمتها ستكون كبيرة جدا ، نظرا لما يعتور هذا العصر من غموض ، خصوصا اذا لاحظنا ان هذه الفترة هى التى دخل فيها الهكسوس مصر وحكموها ، وان أى أثر يمكن أن يصل الينا سالما (ويكون قد نجا من يد المصريين بعد أن طردوا الغزاة من أرضهم) من عصرهم يكون ذا قيمة كبيرة

أما فى تل العمارنة ، أى فى تلك المدينة التى أسسها الملك أخناتون واتخذها عاصمة لملكه ، فان جانبا من الابنية التى شادها والمعابد التى أنشأها قد كشف عنها فى السنوات الاخيرة ، الا أنه ينتظر العثور على جانب آخر من هذه المبانى ، وهى وان كانت قد بنيت من مواد هشة كاللبن الا أن آثارها يمكن العثور عليها ، ومن بين هذه الابنية التى عرف أن العاصمة المذكورة كانت تحتويها : قصران للملك أحدهما على شاطىء النهر والآخر يقع على مقربة منه فى داخل المدينة ، وبيت المحفوظات وبناء الجامعة ــ وتسمى بالمصرية القديمة بيت الحياة ــ ومركز البوليس وثكنات الجيوش ، هذا خلاف المعابد التى كشف عن بعض منها

أما فى الاشمونين (على مقربة من ملوى) فالى جانب ما ينتظر العثور عليه من آثار فرعونية فان المدينة الرومانية بأكملها تنتظر الباحث السعيد الذى يزيح النقاب عن كثير من خفاياها . ولدينا من الاسانيد والوثائق ما يساعد على هذا البحث . فقد عثر فى هذه المدينة على عدد كبير من أوراق البردى بها نصوص تدل على أن هذه المدينة كانت تنقسم الى أربعة أحياء تضم عمائر فخمة ذكرت النصوص منها : حمامات الامبراطور هدريان والاجورا ــ أى السوق التى كان يجتمع فيها الناس ، والتى تقول عنها النصوص انها من أحسن العمائر الزخرفية التى تزدان بها المدينة ــ والمكتبة وغيرها . يضاف الى ذلك سلسلة من المعابد أهمها معبد اثينا ومعبد هدريان والسرابيوم ومعبد الالهة أفروديتى ومعبد الحوريات والمعبد الاوغسطى . ومن حسن الحظ أن وزارة المعارف قد قدرت أهمية هذه المنطقة حق قدرها فاعتمدت مبلغا من المال فى عام ١٩٤٢ وعهدت الى كاتب هذه السطور فى ادارة حفائر علمية منظمة بهذه المنطقة

وقد بدأت هذه الحفائر فى المكان الذى كانت تشغله الأجورا ــ أى فى منطقة السوق المستطيلة التى كان يجتمع فيها الناس ــ فكشفت عن عدد كبير من المواد الضرورية والعناصر المعمارية اللازمة كالاعمدة الضخمة الجرانيتية وقواعدها وتيجانها الجميلة المصنوعة من الحجر الجيرى والقوائم والزخارف والاعتاب وكتل الاحجار المنقوشة وغيرها من المواد التى تسمح باعادة تشييد هذه السوق باعمدتها المصنوعة من الجرانيت الاحمر فتسترد مصر بذلك سوقا مهيبة تكتنفها العمد من الجانبين فى بوائك فخمة لا يوجد لها نظير فى أية جهة من جهات القطر المصرى . وقد بدأت مصلحة الآثار على أثر الانتهاء

من حفائري في نصب الاعمدة ، واجراء ترميمات كثيرة لاعادة السوق على نحو قريب مما كانت عليه في العصر الروماني . ولا شك في أن هذا البناء الذي لا يعادله بناء آخر في وادي النيل سيجتذب الى مصر الوسطى جمهور السائحين وسيؤدي الى تنشيط موسم السياحة بعد الحرب

ولما كانت أوراق البردي التي أشرنا اليها قد ذكرت أن المدينة الرومانية كان يشقها طريق عظيم يتجه من الشرق الى الغرب مارا بالأجورا ـ أي السوق ـ كان يدعى طريق انطنوي ، وكان يحيط به بوائك فخمة في بعض أجزائه وينتهي من طرفيه بقوسي نصر على شكل بوابتين عظيمتين كانت تدعى احداهما بوابة القمر ـ الى الغرب ـ والأخرى بوابة الشمس ـ الى الشرق ـ فقد عولنا على البحث عنه الى ان وفقنا الى العثور عليه بعد أن أزلنا أكواما ضخمة من الاتربة والردم الذي يغطيه فظهر بعظمته وجلاله . وقد وجدناه مرصوفا بالاحجار ، يقوم على أحد جوانبه افريز من الاحجار ، وعلى الجانب الآخر قناة بها مجرى كانت تستعمل لتصريف مياه الامطار . وقد وجدنا جزءا كبيرا من هذه القناة وكذا الافريز في حالة حفظ جيدة . أما الاجزاء الناقصة فالعمل يجري في ترميمها واعادتها الى ما كانت عليه سابقا . أما الطريق نفسه فبالرغم من أن بعض الاحجار التي استعملت في رصفه قد فقدت الا انه يمكن تتبع آثار هذا الطريق بكل وضوح وجلاء. وهذا الطريق العظيم يجري أمام أعمدة الأجورا ـ السوق الرومانية ـ الشمالية ويمتد شرقا وغربا

ومما يجدر بالذكر ان هذه الحفائر قد أصبحت تابعة الآن لجامعة فاروق الاول ، ومن المنتظر أن يؤدي استمرار العمل فيها الى الكشف عما تبقى من أجزاء هذه المدينة الهامة ومعابدها وقصورها وشوارعها، فتسترد مصر بذلك منطقة رومانية من العهد الامبراطوري ذات القيمة الفنية والتاريخية العظمى بالشكل الذي كانت عليه أيام مجدها السالف . ومن المحقق ان الكشف عن باقي آثار هذه المدينة الرومانية ـ هرموبليس ـ التي تمثل عصرا من عصور مصر الخالدة لهو أول غرض يجب أن ترمي اليه الحفائر التي تجري في هذه المنطقة

أما في طيبة « الاقصر » فاننا نعلم ان معظم ملوك الاسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين قد دفنوا في وادي الملوك أو على مقربة منه . وقد بينا فيما سبق أن وادي الملوك قد دارت فيه حفائر كثيرة ، وانه يكاد يكون قد بحث بحثا تاما ، ونضيف الى ذلك أن جزءا صغيرا جدا من هذا الوادي هو الذي ظل الى الآن دون بحث . وكما أنه من المحتمل ألا يعثر فيه على مقابر ملكية أخرى الا أنه من المحتمل أيضا أن يعثر فيه على مقبرة أو مقبرتين نذكر منهما مقبرة سمنخ كارع مثلا . كما أنه يتبقى الكشف عن بعض مقابر ملكات الاسرة الثامنة عشرة وأمرائها وأميراتها ، كما أنه من الممكن العثور فيه أيضا على مقابر أخرى لبعض وزراء هذا العهد ونبلائه . أما مقابر كبار الموظفين فينتظر العثور على جانب آخر منها في التل الذي يعرف بالشيخ عبد القرنه بجبانة طيبة ، وكذا

يمكن العثور على بعض مقابر الافراد فى هذه الجبانة

ولما كان من المعروف أنه ابتداء من الاسرة التاسعة عشرة بدأ استعمال المكان الذى يعرف الآن بوادى الملكات لدفن الملكات والامراء والاميرات فانه ينتظر العثور أيضا على مقابر أخرى لبعض الملكات والأمراء فى الوادى المذكور

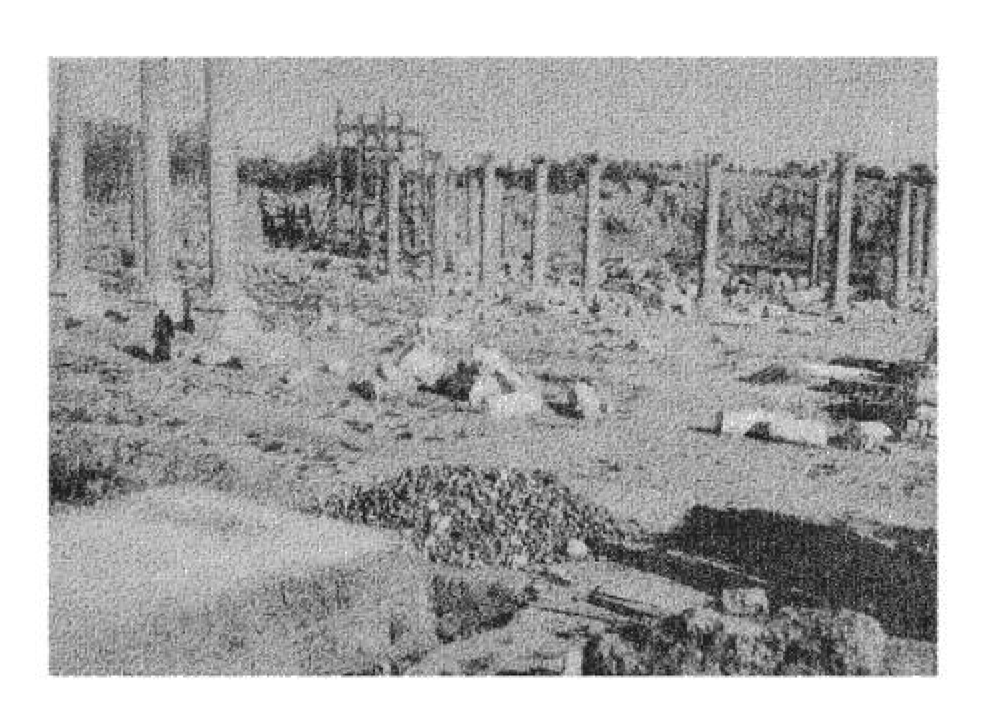
وعند ما نصل الى الاسرة الحادية والعشرين نجد أن جثث بعض ملوكها قد عثر عليها فى المخبأ الذى أودعت فيه جثث بعض الفراعنة ، حفظا لها من الضياع على أثر ما حدث من سرقات فى العصور السابقة . أما مقابرهم الاصلية فلم يعثر على معظمها حتى الآن ، ويظهر أنهم دفنوا فى جبانة لا تبعد عن وادى الملوك نفسه أو فى تانيس بالوجه البحرى . فهذه المقابر لا بد وأن يعثر عليها فى يوم من الايام ، وربما أظهرت الحفائر المقبلة أن معظمهم قد دفنوا فى مقابر متصل بعضها بالبعض الآخر ، وان اللصوص قد أخطأوها فظلت سليمة حتى الآن . وان كان قد عثر على مقابر لبعض ملوك هذه الاسرة فى تانيس كالملك بسوسنس الاول ثانى ملوك هذه الاسرة والملك امنموبى

أما الملوك الوطنيون الذين حكموا مصر ابتداء من الاسرة الثانية والعشرين الى الاسرة الثلاثين فان معظمهم استقر فى الوجه البحرى ودفن هناك . وعلى ذلك فان أغلب مقابرهم تكون قد تعرضت للرطوبة بحكم وقوع أغلبها فى منطقة الاراضى المنزرعة التى تروى فى كل وقت وحين . ومع ذلك فقد عثر على بعضها بجهة تانيس « صان الحجر » احداها لملك يسمى ششنق من ملوك الاسرة الثانية والعشرين . وينتظر العثور على البعض الآخر اذا أجريت حفائر منظمة بهذه المناطق ـ تانيس وسايس ومنديس وبوبسطه .. الخ ـ ويحدثنا هيرودوت أن مقابر فراعنة الاسرة السادسة والعشرين أقيمت فى معبد سايس على مقربة من الهيكل . ولكن ما بقى من هذه المدينة بقرب صا الحجر لا يشجع الباحث كثيراً ، ومع ذلك فحيث توجد الاحتمالات يحسن عمل المحاولات

أما ملوك البطالسة فقد دفنوا حول مقبرة الاسكندر الاكبر بالاسكندرية . ويحدثنا بلوتارخ أن كليوبطرة آخر ملكات مصر شادت لنفسها ضريحا فخما ألحقته بمعبد ايزيس بالاسكندرية . ففى هذا البناء مات انطونيو وفيه انتحرت كليوبطره ، وفى هذه المقبرة الواحدة طويت آخر صفحة من سجل ضخم تضمن تاريخ المقابر الملكية فى مصر جميعها . وما زالت هذه الصفحة الأخيرة فى انتظار من يكتشفها ويحسر النقاب عنها

من كل ذلك يتضح أن المجال لا يزال واسعا والامل لا ينفك متجددا فى العثور على آثار جديدة لم تكتشف بعد ، ليست خاصة بأفراد أو نبلاء فحسب ، بل وخاصة بملوك وملكات أيضا . وحسن الحظ وحده هو الذى يوصلنا الى العثور على مقابر لم تسبقنا اليها يد اللصوص بسرقة أو تخريب ، فنسترد بذلك لمصر تراثا من المجد والفخار تزيد قيمته على مدى الايام وتعاقب القرون

محرم كمال



مدينة هرمبوليس « الأشمونين » بعد أن كشفت الحفائر فيها عن السوق الرومانية . ويجرى العمل الآن فى إقامة الأعمدة وتركيب تيجانها لاعادة السوق على نحو قريب مما كانت عليه فى العصر الرومانى



جانب من طريق أنطنوى العظيم أثناء كشفه . وتحدثنا أوراق البردى أن سلسلة من العمائر الفخمة كانت تقوم على جانبيه وأنه كان ينتهى ببوابتين عظيمتين . وهذه العمائر والبوابات لم يكشف عنها بعد

العلم والعالم

الأمراض والتبلور

من المعروف أن كل مادة تتبلور بشكل ثابت خاص بها ، والبلورات شديدة الحساسية بحيث يتغير شكلها باختلاف المحلول الذى تتبلور منه

فاذا أخذت نقطة دم من أحد الاشخاص ومزجت بمحلول كلورور النحاس ثم نشر المزيج على شريحة زجاج للتبخر فانه يمكن الحصول على بلورات دموية . فاذا كان الدم لشخص سليم خال من المرض فان البلورات تتخذ شكلا خاصا . فاذا كان مريضا تغيرت أوضاعها الطبيعية ، ودل واحد منها على أنيميا مثلا والثانى على سرطان والثالث على سل رئوى وهكذا

وقد قام الدكتور بفيفر السويسرى بمعاونة الدكتور بيجوين الفرنسى ببحث هذه الظواهر ، وقدما تقريرا بنتيجة أبحاثهما أثبتا فيه نجاح طريقة تشخيص الامراض بتبلور الدم ، ومع ان كثيرا من الامراض لم يدرس بعد ، ولم تعرف مميزات بلوراته الا أن كثيرين من الاخصائيين يرون ان هذه الطريقة تبشر بنجاح كبير فى فن التشخيص

جراحة التجميل

ازدادت حالات التشويه ابان الحرب زيادة كبيرة من أثر الغارات الجوية وتدائف النيران وشظايا القنابل . وقد تقدم معها طب التجميل تقدما كبيرا . فأصبحت مهمته الآن لا تقتصر على تصحيح الاعضاء المشوهة فحسب بل تتعداها الى تعويض الانسجة والاجزاء المفقودة بواسطة نقل أجزاء حية تؤخذ غالبا من جسم المصاب ، من الفخذ أو البطن ، ويراعى الطبيب ان تظل هذه الاجزاء محتفظة بحيويتها حتى تجد غذاءها فى المكان الجديد

وقد تمكن العلماء أخيرا من صنع جهاز كهربائى دقيق يقطع الشرائح بالسمك المطلوب ، حتى اذا ثبتت فى المكان الذى يراد وضعها فيه استوت مع باقى سطح البشرة

عوينات جديدة

توضع العدسات عادة فى النظارات العادية أمام العين فى اطار يرتكز على قصبة الانف أو يثبت بين العضلات المحيطة بالعين .

وقد اتجه البحث فى السنوات الاخيرة نحو استعمال عدسات صغيرة تلصق بالعين مباشرة تحت الجفون . ويرجع التفكير فى هذه العوينات الى السير جون هرشل الفلكى الانجليزى المشهور . ولكن مولر العالم الالمانى كان أول من نفذ هذا الاقتراح . وقد تقدمت صناعة هذا النوع من العوينات منذ عام ١٩٣٥ وزاد الاهتمام بها حينما ظهر انها تفوق النظارات العادية فى كثير من الحالات

وتصنع هذه النظارات من انواع خاصة من الزجاج أو العجائن الشفافة . وقد انتشر استعمالها أخيرا فى ميادين القتال وخاصة بين الطيارين

المطاط الصناعى

حينما انقطعت موارد المطاط الطبيعى عن الدول المتحاربة بعد سقوط بلاد الملايا فى أيدى اليابانيين اضطر المهندسون والعلماء للتفكير فى استنباط انجع الوسائل لصنع المطاط الصناعى بأقل النفقات ويحضر المطاط الصناعى من مركبات

ايدروكربونية غير مشبعة مثل البوتادين وما يشابهه . وتتبع كل دولة طريقة خاصة تلائم ظروفها فى الحصول على هذه المركبات من مادة أولية رخيصة كالكحول أو فحم الكوك أو زيت البترول

ويحضر البوتادين فى الولايات المتحدة بتقطير البترول تحت ضغط كبير ودرجة حرارة مرتفعة . ولقد تمكن المكتب الزراعى فى الولايات المتحدة أخيرا من تحضير نوع من المطاط من الحوامض الموجودة فى زيت فول الصويا وغيره من زيوت نباتية أخرى

ويمتاز المطاط الصناعى عن المطاط الطبيعى بعدم تأثره بالزيوت والمذيبات العضوية ، ومقاومته للتأكسد ، وعدم تلفه بالحفظ أو التخزين وعدم نفاذ الغازات والسوائل خلاله

الاسنان المتآكلة

ثبت أخيرا أن من أهم أسباب تآكل الاسنان تراكم الاحماض فى الفم . وقد قامت جامعة كليفورنيا باجراء بحث ، حرمت فيه على الذين يشكون من سرعة تسوس اسنانهم الاغذية الكربوهدرالية كالسكر والحلوى والمشروبات السكرية وأمثالها ، مع تعويض الجسم عما يفقد بالامتناع عن هذه الاغذية ــ بالاكثار من اللبن ومنتجاته واللحم والسمك والخضر . فنجحت التجربة وقل التآكل عندهم بنسبة ٨٧ ٠/٠ فى بضعة أسابيع وقل تكوين الفجوات

وقد دل ذلك على أن تخمر السكر فى الفم يهيىء بيئة طيبة لتولد البكتريا المولدة للاحماض . وهذه بدورها تفسد الاسنان فى مرحلة مبكرة من العمر

توظيف القردة

روت الصحف الامريكية أخيرا ان فى ولاية ميسورى فى أمريكا اربعة قرود تشتغل بالاجرة فى تنظيف محكمة مقاطعة جاكسون بالمكانس الكهربائية « Vacuum cleaners » وتقدر أجرة الواحد منها فى الساعة بنحو اثنى عشر قرشا بالعملة المصرية . ويقول الدكتور أمير بقطر انه شاهد فى أمريكا قردا بناء يتناول أجرة قدرها ريال أميركى فى اليوم

وليست القردة الحيوانات الوحيدة التى تشارك الانسان فى أعماله . فالفيلة فى الهند تجر الاخشاب الثقيلة مسافات شاسعة ، والحمام الزاجل يجوب الاقطار ويعبر البحار فى حمل الرسائل . وقد استخدم منه الحلفاء فى الحرب القائمة ستين ألفا . وتقوم الكلاب المدربة أيضا بخدمات جليلة وعند الحلفاء منها الآن أكثر من عشرة آلاف

مصانع التجفيف

لم يكن فى الشرق الاوسط حتى نشوب الحرب الحاضرة سوى مصنعين فى مصر كانا يقومان بتجفيف البصل وحده ، اذ كان من المتعذر عليهما تجفيف الفاكهة أو الخضر نظرا الى عدم توفر الآلات اللازمة

وحينما اندلعت نيران الحرب لم يكن فى مقدور هذين المصنعين تجفيف أكثر من ١٤ طنا من البصل فى اليوم . أما فى هذا العام فان آلات التجفيف التى ستعمل قريبا فى مصر وسوريا ولبنان وفلسطين ، سيكون فى وسعها ان تجفف فى اليوم الواحد حوالى ١٧٨ طنا من الفاكهة والخضر وذلك عدا آلة لتجفيف الاسماك فى جزيرة كزامان بالبحر الاحمر

وقد ساهمت الهيئات البريطانية والامريكية فى تزويد هذه المصانع بحاجتها من المواد المختلفة واعتمد الفنيون والخبراء على « الخردة » فى اعداد الكثير من الضروريات لقيام الآلات بالعمل

وستقوم هذه المصانع بتجفيف الفاكهة والخضر على أنواعها وبخاصة البطاطس والبصل والكرنب والجزر

الكينا الصناعية

تمكن العلم أخيرا بعد تجارب ومحاولات كثيرة خلال قرن كامل تقريبا من صنع كينا مماثلة للكينا الطبيعية التي تؤخذ من قشور شجر الكنكونا

فقد تمكن الدكتوران روبرت بورنز ووليم دورنغ وهما كيمياويان امريكيان في العقد الثالث من العمر من انتاج مادة لا يمكن تمييزها عن الكينا الاصلية من حيث الصفات والخواص . وذلك بمزج ذرات الكربون والايدروجين والنتروجين والاوكسجين بالكمية والطريقة التي مزجنها بها الطبيعة في اشجار الكينا

التلقيح خارج الرحم

تم لاول مرة في تاريخ الطب البشري تلقيح بويضات المرأة خارج الرحم . ومع أن هذا التلقيح — كما يقول الدكتور جون روك الاستاذ بجامعة هارفارد والذي قام باجراء هذه التجربة بالاشتراك مع الآنسة مريم منكين — لا يزال بعيدا عن تحقيق مذهب الانماء خارج الجسم الا أن هذه التجربة تعد الخطوة الاولى لتحقيق تلك الأمنية القديمة . وقد تمكن هذا العالم لاول مرة من مشاهدة التطورات التي تحدث اثناء نمو الجنين في الساعات الاولى من تكوينه

نقل الدم

ظل نقل الدم من شخص الى آخر — حتى بعد أن عرف الاطباء كيف يميزون نوع الدم المطلوب — عملا محفوفا بالاخطار . ذلك لان الدم لا يكاد يفارق شرايين صاحبه حتى يجمد . ولكن الدكتور آجوت أعلن للملأ عام ١٩١٤ أن اضافة نسبة خاصة من سترات الصودا الى الدم البشري تقيه من التخثر . فأصبح نقل الدم من الواهب الى الموهوب له عن طريق غير مباشر أمرا مأمونا ولكن حفظ الدم كان متعذرا لمدة تزيد عن الاسبوع

ولكن الدكتور يودين أحد الاطباء الروسيين أجرى أخيرا تجارب واسعة النطاق ، أعلن في نهايتها عن توفيقه الى طريقة لحفظ الدم واختزانه ٣٠ يوما

وقد أفاد الطب كثيرا من هذا الاكتشاف ولا سيما في ميادين القتال

مستودع للعيون

افتتح أخيرا في مستشفى للعيون بمدينة نيويورك مستودع هو الاول من نوعه في بلاد الولايات المتحدة الامريكية . وربما يكون الوحيد من نوعه في العالم اجمع . وهذا المستودع مخصص لجمع قرنيات للعيون البشرية وخزنها لتعالج بها بعض أمراض العميان

وقد جاء في اعلان نشر في هذا الصدد ان نجاح علاج بعض اصابات العيون التي تسبب العمى أصبح أمرا لا ريب فيه . وذلك بترقيع العين المصابة بقطعة من نسيج عين أخرى بشرية سليمة . ولذلك تقوم ادارة المستودع بجمع القرنيات من الاحياء الذين يتبرعون بها في حياتهم وممن يتفقون قبل وفاتهم مع المختصين على نزع عيونهم من محاجرها حالما توافيهم منيتهم

قنبلة صاروخية أسرع من الصوت

أصدرت وزارة البحرية البريطانية وقيادة القوة الجوية الامريكية في أوربا بلاغا مشتركا جاء فيه ان الحلفاء يستخدمون الآن قنبلة صاروخية جديدة استخدمتها القلاع الامريكية الطائرة في اغاراتها الاخيرة على حظائر الغواصات في اجويدن بهولندا

وقد صنعت هذه القنبلة خصيصا لاختراق طبقات الاسمنت المسلح الكثيفة واصابة الاهداف بعطب كبير

وتصيب هذه القنبلة الهدف وهي تندفع بسرعة خاطفة تزيد على سرعة الصوت أي أكثر من ١١٠٠ قدم في الثانية

الكتب الجديدة

هذه الشجرة

للاستاذ عباس محمود العقاد

دار سعد مصر للطباعة والنشر . فى ٢٢٤ صفحة

وضع الكاتب الكبير الاستاذ عباس العقاد هذه الدراسة التحليلية الرائعة لنفسية المرأة وطباعها وخلقها وحقوقها بعنوان جديد طريف هو : « هذه الشجرة »

وهى ــ كما قال ــ القصة الخالدة فى الاديان الكتابية وهى الرمز الخالد الى طبيعة المرأة

أوليست الشجرة التى أكلت منها المرأة لانها نهيت عنها ، والتى طعمت منها ثم اطعمت آدم معها ، عنوان ما فى المرأة من خضوع يؤدى الى لذة العصيان ، ومن دلال يؤدى الى لذة الممانعة، ومن سوء ظن ، وعناد وضعف ، واستطلاع جهل ومن عجز عن المغالبة ، وعجز عن الغلبة بغير وسيلة التشهية والتعرض والاغراء ؟

ولقد أفاض العقاد فى حديثه عن هذه الشجرة بما عرف عنه من قوة البيان وروعة الاسلوب ودقة البحث ، ثم تحدث عن غواية المرأة وجمال المرأة وحب المرأة وتناقض المرأة وأخلاق المرأة وتفاوت الجنسين ، ثم أفرد فصلا بأكمله تناول فيه حقوق المرأة .. ولعل هذه الفقرة التى نقتبسها توضح رأيه فيها :

« للمرأة كل حق لا يخرجها عن واجبها الاول ، لانه واجبها الذى لا تحسن غيره ولا يحسنه غيرها ــ وهو البيت والجيل الجديد

« تنشىء فى قلب هذا العالم الصاخب مأوى تسكن اليه البشرية فترة من الزمن من زحام الحياة وتنشىء للعالم الجديد الذى يقوى فى غده على هذا الزحام

« وليس هذا ولا ذاك عمل الآباء ، فليكن هو اذن عمل الامهات لانهن اذا تركنه لم يحسن خيرا منه ولم يحسنه غيرهن خيرا منهن .. ففى تركه تضييع بغير تعويض »

وقارىء هذا الكتاب يشعر بعد قراءته أنه قد استوفى كل نواحى البحث والتفكير والتحليل فى كل باب من الابواب ، وانه خرج منه بثروة فكرية وعلمية وأدبية تضاف الى ما يكتسبه كل يوم من ثروات متتابعة فيما يخرجه هذا الكاتب العبقرى من مؤلفات قيمة باقية على الاجيال

الفاروق عمر

بقلم محمد حسين هيكل باشا

مطبعة مصر . فى ٣٠٥ صفحات

فى حياة العظماء عبرة للشباب ، وأسوة حسنة للذين يطمحون الى المجد . وفى حياة عظماء الشرق من جلائل الاعمال وجميل الصفات ما يحفز الشبيبة الى تأثر خطواتهم والنسج على منوالهم . ومن كعمر بن الخطاب عدلا وزهدا وجرأة وشجاعة وبطولة .. لقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لو كان من بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب !

واذا صح أن يشيد الناس بعظمة يوليوس قيصر والاسكندر الاكبر وجنكيز خان ونابليون، لانهم أقاموا من الامبراطوريات ما أقاموا، فحرى بهم أن يكونوا أكثر اشادة بعظمة عمر بن الخطاب وأكبر تقديرا لآثارها ، فقد بلغت الامبراطورية الاسلامية فى عهده مبلغا جعلها تمتد الى الصين شرقا والى افريقا غربا والى بحر قزوين شمالا ثم الى السودان جنوبا

والكتاب الذى تقدمه للقراء هو الحلقة الثالثة من السلسلة التى بدأها الدكتور هيكل باشا منذ بضع سنوات بكتابه الخالد « حياة محمد » ثم أعقبه بكتاب « أبو بكر الصديق » . وهـذه الحلقات الثلاث التى تؤرخ لنشأة الامبراطورية الاسلامية ، تصور فترة من تاريخ العـالم هى لا شك أمتع الفترات فى الحياة الانسانية واكثرها وقفا للنظر وايحاء للتفكير والتأمل

ولقد وفق هيكل باشا فى تصوير عمر وتحليل شخصيته الفذة توفيقا يلمسه القارىء فى كل صفحة من صفحات كتابه ، بل يحسه فى كل فقرة من فقراته . وحسبك جانبا من هذه الصورة الدقيقة التى تصور زهد عمر وعدله :

« فهـذا الرجل الذى بلغ أسمى مكانة فى عصره ، فكان العاهل المطلق اليد فى الامبراطورية الكبرى لعالم يومئذ ، قد كان يأبى على نفسه كل ما يرفه عنها ، ويحرص على أن يعيش عيش الفقير لمسه ما يمسه . على أن زهده فى الدنيا لم يكن زهد عائف عنها ، بل كان زهد قادر عليها متحكم فيها

« وزهد عمر فى أنعم الحياة هو الذى طوع له أن يكون مضرب المثل فى العدل . فقد كان لهذا الزهد لا يخشى الا الله ولايرجو أحدا غيره ، وكانت خشيته لله ورجاؤه اياه شديدين ، وكان يعلم أن الله محاسبه عما ولى من أمر المسلمين فيزداد خشية ، فتزيده الخشية حرصا على تحرى العدل ارضاء لله جل شأنه »

فصول فى الأدب والنقد

بقلم الدكتور طه حسين بك

مطبعة المعارف . فى ٢٣٨ صفحة

عنوان هذا الكتاب يعطى القارىء فكرة عن محتوياته ، فهو مجموعة آراء صريحة لاذعة لعميد الادب العربى فى بعض المؤلفات التى صدرت فى بضع السنوات الاخيرة لطائفة من أعلام الكتاب المعروفين من أجـانب ومصريين . وقد حدثنـا الدكتور طه حسين بك فى مقدمة هذا الكتاب حديثا طليا عما حمله على نقد هؤلاء الادباء وهو يعلم أنهم سيلقونه بمثل ما بدأهم به أو بشر مما بدأهم به ، وانهم قد يكيلون له بالصاع صاعين وبالباع باعين ، قال : « اننى أفعل ذلك تعمدا لايقاظ قوم نيام ، قد طال عليهم النوم حتى كاد يشبه الموت . وهؤلاء القوم النيام هم الادباء والقراء . أولئك ينتجون وهم نيام ، قد أمنوا النقد أو استيأسوا منه ، فهم ينتجون فى فتور ، ويرضون عن أنفسهم أو يسخطون عليها ، لانهم قد اطمأنوا الى انهم لن يظفروا من الناس بما يدل على الرضا أو يبين عن السخط . وهؤلاء يقرأون وهم نائمون ، قد تعودوا أن ينفقوا الوقت بين حين وحين لقراءة هذا الكتاب أو ذاك لهذا الاديب أو ذاك ، لم تدعهم الى القراءة رغبة قوية ولا خصومة عنيفة ، حول رأى من الآراء أو مذهب من مذاهب الانشاء ، وانما دعتهم العادة الى القراءة . دعتهم العادة ودعاهم الفراغ الثقيل أيضا »

واننا نرجو أن يؤدى هـذا السفر النفيس رسالته وأن يبلغ العميد هدفه ، فينجاب هـذا الفتور الذى شمل حياتنا الادبية ، ومن ثم يشتد الادباء ويقرأ القراء وهم جميعا أيقاظ . ولاريب فى أن الكتاب ذخيرة أدبية جدير بأن لا تخلو منه مكتبة أديب أو متأدب

جنة الشوك

للدكتور طه حسين بك

دار المعارف . فى ٢١٢ صفحة

هذا لون من ألوان القول لم يطرقه جمهرة الادباء المعاصرين . أخذ العرب بحظ منه فى القرن الثانى فأجادوا ، ولكنه ذوى بانقضـاء العصر العباسى الاول

وقد شاء الدكتور طه حسين بك أن يبعث هذا

الفن من جديد وان يتيح للقارىء فرصة تذوق هذا اللون الشهى من الادب ، ودونك مثلا ، جاء فى صفحة ٩٦ تحت عنوان « مجون » :

« ما زالت امرأته تظهر له الغيرة حتى أغرته بالاثم لتورط فيه . وما زال هو يلوم ابنه على العبث حتى دفعه اليه . وما زال ابنه ينهى صاحبه عن عشرة خليلة السوء حتى اتخذها له زوجا . أليس من الخير أن يتدبر الناس مجون ابى نواس حين قال : دع عنك لومى فان اللوم اغراء . فرب مجون أدنى الى الموعظة من الحكمة البالغة »

أليست هذه الكلمات على قلتها تزخر بالمعانى وتفيض بالقوة ؟ هذا مثل من الشوك الذى ملأ به الدكتور طه حسين جنته ، والتي قدم بها الى الادب العربي لونا جديدا قديما ، سيجد فيه عشاق أدبه متعة جديدة ، وسيقع منهم دون ريب موقع الرضى والثناء والاعجاب

الحياة الثانية

للدكتور ابرهيم عبده

مطبعة التوكل . فى ١٦٤ صفحة

الدكتور ابرهيم عبده أديب موهوب له جولات قلمية طيبة وابحاث طريفة قيمة فى ميدان الصحافة وفى كثير من النواحى الاجتماعية والتاريخية . وهو يقدم فى كتابه الجديد قصة رائعة ، دلل بها على انه قصصى بارع

والقصة من صميم الحياة لا تكلف فيها ولا تصنع ولا تزويق ولا تنميق . تبدأ فى قراءتها فاذا بالكاتب قد استهوى نفسك واجتذبك الى استيعاب القصة كلها ، وهى قصة طفل لم ير والده لان أباه قضى وهو لم يولد بعد ، فحرم عطف الوالد فى طفولته ، ثم تزوجت أمه مرغمة ، فحرم عطفها فى مراهقته . ولكنه مضى مشمرا عن منكبيه يجاهد فى الحياة ، ويناضل قسوة الدهر

وقد شاءت الاقدار ان يسافر الى عمه فى السودان ، وأن يقضى مع أسرته عامين ، وقع فيها صاحبنا فى حب ابنة عمه ، وراحا يعبان من كأسه فى براءة وطهر ، وارتبط قلباهما وتعاهدا على الزواج ، ولكن . . ولنقف عند هذا الحد لنتيح للقارىء فرصة الاستمتاع بالقصة ومعرفة ما تم بعد ذلك . . وقد صاغ المؤلف قصته فى اسلوب رقيق رشيق ساحر ينبض بالحياة ويفيض بالقوة

عطر ودخان

للاستاذ محمود تيمور

مكتبة مصر . فى ١٧٢ صفحة

مقالات شائقة ، فيها انسجام وفيها جمال ، فيها القصة ، وفيها الوصف والتأمل والخيال . تتميز بحلاوة الاسلوب وسلاسة العبارة وروعة المعنى . تناول فيها المؤلف بعض الشخصيات المعروفة بالدرس والتمحيص ، كما عالج فيها كثيرا من النواحى الاجتماعية الطريفة

يقول الاستاذ تيمور فى مقدمة هذا الكتاب : «وقصارى ما تدعو اليه الا تنفصم العرى بين ماضينا وحاضرنا ، بوصفنا أمة يجب أن يكون لها طابع مستقل وسمات متميزة . فاذا استهدينا الحضارة الجديدة من أمم الغرب ، فلنحتفظ مع ذلك بدعائم الشخصية والقومية وشؤون الحياة

وانه لحتم ان تمضى مع الزمن قدما ، نقطع شوطا بعد شوط ، ولكن هذا لا يصرفنا فى الحين بعد الحين عن أن نلتفت الى الوراء لفتات نستفيد منها بما تعيد الى أذهاننا من تجارب وذكريات لها أجمل أثر فى سداد خطانا الى الامام »

ولا ريب فى أن القراء فى مصر والشرق سيرحبون بهذا الكتاب الطريف الممتع

حمارى قال لى

للاستاذ توفيق الحكيم

دار المعارف . فى ١٤٧ صفحة

كتاب صغير رسمت على غلافه صورة جميلة لرأس توفيق الحكيم وبجانبه رأس صديقه ورفيق

صباه « الحمار » . ولهذا الحمار فى حياة الاستاذ الحكيم شأن كبير ، فهو مبعث الهامه منه يستوحى أدبه الرفيع وروحه المرحة وذكاءه المتوقد ونشاطه المتأجج . وهو فى ذلك يقول : « انه عندى كائن مقدس كما كان الجعران عند المصريين القدماء . لقد عرفته منذ صغرى فى صورة جحش جميل اشتراه لى أهلى بثلاثين قرشا . وجعلوه لنزهتى فى الريف .. وكانت له برذعة صغيرة حمراء لا أنساها .. وكنا خير رفيقين لا نفترق الا للنوم . فقد كان فى مثل سنى . أى فى طور الطفولة من فصيلته كما كنت أنا فى طور الطفولة فى جنسى .. لقد سميته « الفيلسوف » لانه علمنى أشياء كثيرة بمجرد صمته وارتفاعه عن لجج هذا البحر الخضم .. بحر السخف الانسانى ! »

والكتاب مجموعة من المقالات الطريفة فى السياسة والادب والاجتماع فى صورة حوار بين المؤلف وحماره، سبق أن نشر بعضها فى الصحف والمجلات ، ولكن معظمها لا يزال جديدا على القراء

ساعات الصمت

للاستاذ محمد أمين حسونه

مطبعة الشمس بالقاهرة . فى ١٧٢ صفحة

يحوى هذا الكتاب مجموعة من الرسائل المختلفة فى الادب والنقد ، وقد كتبها المؤلف مدفوعا بعاملين ، أولهما اشراك القارىء فى الاعجاب بما استهوته مطالعته ، وثانيهما الادلاء بالآراء التى تتردد بذهنه والتعبير عن المشاعر والاحاسيس التى تجيش بنفسه . ولعل « ساعات الصمت » هى التى أوحت الى الكاتب هذه الموضوعات الشائقة التى سجلها فى كتابه

ومن الموضوعات التى تناولها المؤلف مستقبل مصر الثقافى ، وأساليب النقد فى الادب المصرى ودعائم فن الكتابة . كما قام بدراسة قيمة لطائفة من الكتاب المعاصرين أمثال محمود تيمور والشاعر دانزيو والفيلسوف بابينى والقاضى ايفان بونين أحد الذين ظفروا بجائزة نوبل فى الادب . كما ان الكتاب يحوى سياحة فى عالم الفكر أمام آثار أس الوجود ومعابد الاقصر وعقيدة اخناتون

ولا يضير الكتاب ان لا يتفق ورأى القارىء من بعض نواحيه الفكرية . فلكل أديب وجهة نظر تختلف عن غيره ، وانما الخير فى الغاية ، وهى الاخلاص للادب وحرية الرأى ، وهذا ما تلمسه بين ثنايا « ساعات الصمت »

النوم والأرق

للاستاذ أبو مدين الشافعى

مكتبة النهضة المصرية . فى ٥٠ صفحة

ليس النوم عملية جسمية فحسب ، بل هو عملية نفسية أيضا . وكذلك الارق قد ينشأ عن سبب فسيولوجى، وقد يرجع الى حالة سيكولوجية . وعلى الرغم من أن عملية النوم تتكرر كل ليلة الا أنها من أكثر الامور غموضا على الانسان ، فهو لا يزال يجهل كثيرا من الاسباب التى تدعوه للنوم ، وعن مدى نشاطه أثناء النوم ، وعن طرق الانتقال من اليقظة الى النوم ثم العودة الى اليقظة ثانيا ، وعما يطرأ على الانسان من الارق ووسائل دفعه والخلاص منه

وهذه هى الامور التى يعالجها مؤلف هذه الرسالة فى دقة البحث العلمى وفى تبسط الكاتب الاريب . والمؤلف شاب نابه من شباب المغرب المثقفين ، أوفدته بلاده فى بعثة الى جامعة فؤاد الاول ، فتفرغ لدراسة الفلسفة بوجه عام وعلم النفس بصفة خاصة ، وكان له فى هذا الموضوع دراسات وفصول دلت على عقلية علمية ناضجة تمتاز باجادة الدرس ، ودقة البحث ووضوح الاسلوب . وكذلك عنى المؤلف أثناء اقامته بمصر بدراسة كثير من نواحى النشاط الاجتماعى فى المدن والقرى ، فاكتسب ثقافة اجتماعية نافعة الى جانب ثقافته العلمية الوافرة . ولهذا امتازت كتاباته فى علم النفس بالجمع بين حقائق العلم

المجردة ووقائع الحياة القائمة ، ولهذا كانت موضع تقدير الخاصة من الباحثين ، كما كانت موضوعا شائقا لجمهرة القراء

توفيق الحكيم

للدكتور اسماعيل أدهم
والدكتور ابرهيم ناجي
دار سعد مصر · في ٢٣٥ صفحة

انتهز الأديب الكبير الاستاذ سامي الكيالي فرصة وجوده في مصر فنشر هذا الكتاب ، وهو بقلم الدكتور اسماعيل أدهم الذي انتحر في بدء هذه الحرب ، وقد عرض فيه الى مؤلفات توفيق الحكيم حتى عام ١٩٣٨ عرضا شاملا ، ولم يترك ناحية فيما يتعلق بأدب الحكيم وحياته الا درسها درسا دقيقا محكما

وقد قام الدكتور ناجي بدراسة أخرى مستقلة نفذ فيها الى الملتويات الغامضة في نفسية الحكيم فجلاها أدق جلاء . وليس هذا بغريب على الدكتور ناجي فهو من أقدر الكتاب على استكناه الشفوف الملهمة في طبيعة الادباء

لذلك كان الكتاب الذي نقدمه للقراء دراسة تحليلية بارعة ، فلكل من مؤلفيه اتجاهه ونظرته في الادب ، الاول من الناحية التاريخية التحليلية والآخر من الناحية السيكولوجية العلمية

وما أحوج أدبنا الجديد الى ان يخضع لهذين العاملين الهامين لا سيما في التراجم الادبية

أسرار المراهقة في الفتاة

للدكتور شخاشيري
مطبعة دار التعاون الصحفي · في ٨٨ صفحة

كلما تزودت الفتاة في دور المراهقة بمعرفة الحقائق الجنسية ، كانت أثبت وأرسخ أمام العواصف النفسية والاجتماعية التي تعصف بالفتيات عادة في هذا الدور من أدوار الحياة

والكتاب الذي بين أيدينا حوار دار بين والدة وابنتها حينا وبين والد وابنته حينا آخر على دور المراهقة . وقد وفق المؤلف في اختيار الموضوعات الصحية والاجتماعية والاخلاقية التي لا غنى لكل فتاة عن الالمام بها في هذا الدور الخطير ، الذي يعد ركنا كبير الشأن يقوم عليه نظام صحتها وسعادتها

وقد عالج المؤلف هذه الموضوعات في لباقة وحيطة ورفق ، جديرة بالتقدير والثناء

التعاون الثقافي بين الأقطار العربية

للاستاذ عبد الله مشنوق
مطابع الكشاف · في ١١٩ صفحة

يقول المؤلف في تقدمة هذا الكتاب : « لاول مرة في التاريخ العربي يجتمع الخبراء والاخصائيون من مختلف الاقطار العربية في صعيد واحد ليبحثوا مشاكلهم الثقافية وليضعوا الاسس الصالحة للتعاون الثقافي فيما بينهم ، فرأيت ان اكتب خصيصا لهذه المناسبة السعيدة هذه الفصول عن التعاون الثقافي ، كيف أفهمه ، وما هي انجع الوسائل لتحقيقه ، وما هي النواحي التي ينبغي له أن يشملها »

والاستاذ عبد الله مشنوق من الادباء المعروفين بغزارة العلم ودقة البحث وسعة الاطلاع ، كما ان روحه كما تبدو من كتابته روح وثابة طموحة، تفيض صراحة ووطنية واخلاصا . لذلك كان كتابه بحثا نفيسا قيما . وليس من شك في أنه سيقع من نفوس المهتمين بالجامعة العربية في المكان اللائق، لما تضمنه من التوجيهات السديدة لتحقيق هذا التعاون على أوسع نطاق

خفايا الحياة الجنسية

تعريب الاستاذ وجيه الصباغ
دار اليقظة · في ١٧٤ صفحة

من أقوال شكسبير المأثورة: «وددت ألا يكون عمر للمرء بين العاشرة والثالثة والعشرين ، أو

أن يغفو الشباب طوال تلك السنين ، فليس بين هذين الممرين الا الفجور بالنساء والاساءة الى السلف والنهب والقتال »

وعلى الرغم مما فى هذه العبارة من المبالغة والتطرف الا انها تحمل بعض الصدق ، ويقول علماء النفس والتربية ان العادات السيئة التى اعتادها الكثيرون من الشبان والتى كثيرا ما تقوض صروح صحتهم وسعادتهم ترجع فى الغالب الى جهلهم بالمسائل الجنسية . ولقد درجنا فى الشرق عامة على اعتبار هذه الامور أسرارا يعتبر الخوض فيها ضربا من اللهو الفاسق

والكتاب الذى يقدمه الاستاذ وجيه الصباغ يعطى القارىء صورة صادقة لما يجب على الشباب معرفته من النواحى التناسلية والاجتماعية والصحية وأسلوب المؤلف سهل واضح يتسم بالصدق والصراحة

الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية

للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

دار المنار . فى ١٩٩ صفحة

أصدرته « دار المنار » وهو من تأليف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مع شرح وتعليق بقلم السيد محمد رشيد رضا ، والكتاب دائرة معارف اسلامية ، رد فيه المؤلف على كثير من الشبهات التى ألصقت بالدين الاسلامى ، كما بين حقيقة هذا الدين وخدمته للعلم والمدنية وقارن بينه فى ذلك وبين المسيحية . وذكر نبذة تاريخية لكل منهما ، ثم بين حالة المسلمين الحاضرة وبحث عللهم وأمراضهم الاجتماعية كما بين علاجها . وهو بوجه عام كتاب قيم جدير باطلاع الباحثين فى الاديان ، وقد اختتم الكتاب ببحث فريد فى نوعه عن فلسفة ابن رشد ومذاهب المتكلمين بقلم المؤلف أيضا

الشوامخ

الشعر الجاهلى : خصائصه وأعلامه

للدكتور محمد صبرى

مطبعة دار الكتب . فى ١٥١ صفحة

هذا الكتاب هو الحلقة الثانية من «الشوامخ» وهى مجموعة دراسات شائقة يقوم بها الدكتور محمد صبرى ، أحد أدبائنا المطبوعين الموهوبين الذين يعتز بهم الادب العربى ويدين لهم بالكثير من البحوث . وهو يقول فى تقدمة هذا السفر النفيس : «كنا عقدنا النية على أن يكون البحترى الحلقة الثانية ، ولكن تبين لنا أنه لاجل اظهار مكانة امرىء القيس من الشعر الجاهلى من ناحية واظهار كنوز ذلك الشعر أو الدلالة عليها من ناحية أخرى لم يكن لنا بد من جعل الحلقة الثانية دراسة خصائص الشعر الجاهلى وأعلامه

ولا ريب أن خير وسيلة لدراسة الشعر العباسى والشعر الحديث عامة هى دراسة الشعر الجاهلى أولا والرجوع الى « عمود الشعر » الذى تكلم عنه مشايخ النقد . كما أن خير وسيلة لدراسة الشعر الجاهلى هى الانتباه الى الصلة الدقيقة التى تربط النثر الجاهلى بالشعر الجاهلى ، وبعبارة أدق درس المحيط والبيئة التى نشأ فيها الشعر وتمكن والى الصلة التى تربط ذلك الشعر بآداب العرب وفنونه من نحت وتصوير

وقد أبرز المؤلف فى الفصل الاول من كتابه شاعرية العرب أو روح الشعر فى النثر الجاهلى ثم تحدث عن خصائص الشعر الجاهلى ، ثم تناول ناحية التمثيل والتصوير وأثرهما فى شعر الفحول وقد وفق المؤلف كل التوفيق فى أن يظهر للقارىء الكثير من روائع الشعر فى هذا العصر ، وأن يفتح له منه كل باب مغلق

ماوراء المشكلات الحاضرة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« ان البوادر التى تلمحها فى الآفاق المختلفة تخيل الينا أن عوامل البناء والوفاق أقوى وأدوم من عوامل الهدم والشقاق وان الفلاسفة — الذين نسميهم بفلاسفة السكك — على غير حق فى التشاؤم »

يواجه العالم اليوم خطرا من أعجب الاخطار : خطرا نفسانيا وليس بخطر من أخطار السياسة أو المال ، وهو اعتقاد كل فريق من المشتركين فى الشؤون العالمية الكبرى أن الفريق الآخر لا يريد الشروع فى حرب جديدة وانه يقبل كل محظور قبل التفكير فى دفع الامور الى ميادين القتال . أى أن الخطر الاكبر اليوم انما هو « أمان الحرب » لا توقع الحرب والاسراع الى التوجس من وقوعها

هذا الاعتقاد خطر كبير يطالب الساسة بالتغلب عليه ، لان الخوف من الحرب قد يبعث أصحاب القضايا المشتبكة الى الاعتدال والاناة ، ولكن الامان منها قد يدفعهم الى المغالاة والعناد ، وليس وراء المغالاة والعناد الا القطيعة وما وراء القطيعة من الشرور

فالذى نعتقده أن المشكلات القائمة بين الدول الكبرى لا تنجم عن رغبة فى القتال أو رغبة فى امتداد ميادينه ، بل تنجم عن رغبة كل دولة منها فى ضمان التعمير وانتظام برامجه بغير انقطاع ولا اختلال فى الحيز الذى يعنيها من الكرة الارضية

وبرامج التعمير فى الولايات المتحدة أسهل من برامجه فى بريطانيا العظمى أو اتحاد الامم السوفيتية ، لانها تريد التعاون بينها وبين شعوب الامريكتين وهو تعاون ميسور مطلوب من الجانبين ، وتريد المحافظة على علاقات المودة بينها وبين بريطانيا العظمى وبينها وبين الامم السوفيتية وكلتاهما تحتاج الى هذه المودة وتقابل هذه الرغبة بمثلها ، وتريد القضاء على اليابان وهى بغيضة الى جميع الدول التى انتصرت فى الحرب الحاضرة ، وقد يقع الخلاف على سياسة الصين وتوزيع الأملاك اليابانية بعد هزيمة اليابان ولكنه خلاف لا يتفاقم ولا يضير كثيرا ، لان أبناء الصين أنفسهم هم خير حكم فى هذا الخلاف

ذلك جملة ما تريده فى السياسة العالمية ، وليس لديها فى السياسة الداخلية مشكلة حادة تنذر بالتمرد أو الانقلاب ، لان طبقات البلاد متوازنة بين الصناع والزراع ، وآمال الصناع فى الانصاف مع بقاء النظام الحاضر أكبر وأقوى من آمالهم المجتمعة فى كل نظام

وللولايات المتحدة خطة ترمى الى السير عليها فى مسائل الاقتصاد الدولية وهى فتح الاسواق وتثبيت العملة بانشاء مصرف عالمى يضمن نقود الاوراق برصيد من الذهب والفضة ، ولكنها تسلك فى هذه الخطة مسلك الدائن العاقل حيال المدين الذى يرجى انتعاشه ثم يرجى وفاؤه أو نفعه . فاذا اقتضى الامر أن يسمح لمدينه بسوق خاصة ينفرد بمكاسبها ، أو بالانتفاع من حركات الاوراق التى تدخل فى معاملاته فهو لا يضيق عليه ولا يحرجه ولا يأبى أن يترك له الفرصة أو الفرص الكثيرة لاستئناف القدرة على الاخذ والعطاء

أما بريطانيا العظمى فليس الامر معها بهذه السهولة ولا بهذه البساطة ، لانها تريد التوفيق بين مطالب كثيرة لا يسهل التوفيق بينها ولا تتوقف كلها على ارادتها

فهى « أولا » تريد التوسع فى التصدير الى البلاد الخارجية ولا تضمن التغلب على مزاحمة الاسعار الرخيصة فلا بد لها من اسواق خاصة ولا بد لها من اقناع هذه الاسواق بمعاملتها دون غيرها

و « ثانيا » تريد الوفاء بديونها الثقيلة فى الحرب العالمية ، ولكنها لا تستطيع ان تعطى هذه الديون دفعة واحدة بضاعة حاضرة ، لاحتياجها الى الثمن العاجل فى أعمال الترميم وفى ضمان « التأمين الاجتماعى » لطبقة العمال وأصحاب المعاشات والمكافآت

و « ثالثا » تريد أن تحارب « التضخم المالى » فى البلاد التى تعاملها لانها قبل كل شىء بلاد شارية ، ولكنها تعانى فى ذلك صعوبة واضحة لان « التضخم المالى » انما يحارب بارسال البضائع وسداد الديون

وأقرب الوسائل عندها الى التوفيق بين هذه المطالب المتناقضة أن تتولى السمسرة على نقل البضائع بين الاقطار المختلفة ، وان تشجع انشاء الصناعات الصغيرة والوسطى فى الاسواق التى تعاملها ، لان انشاء هذه الصناعات يغنى الاسواق المحلية بعض الغنى ويجدد حركة التبادل بين الخامات والمواد الصناعية الاولية ، وعندها هى هذه المواد وعند الامم التى تعاملها خامات أو محصولات زراعية فى حكم الخامات ، وان استنفدت طعاما ولم تدخل فى أعمال الصناعة

ومن ثم يظهر الفرق بين برامج الولايات المتحدة وبرامج بريطانيا العظمى ، ويظهر لنا أن الولايات المتحدة ستقبل التوفيق بين الخطتين جريا على خطة « العمل الحكيم » كما أسلفنا ، لانها تستفيد من بريطانيا العظمى وهى واقفة على قدميها ولا تستفيد منها عاجلا ولا آجلا وهى رازحة تحت أعبائها

أما روسيا أو اتحاد الامم السوفيتية فهى أحوج الدول الثلاث الى السلام والمعاونة ، لانها مضطرة الى الترميم والى ادارة المصانع واقامة السكان فى المواضع التى شملها الخراب ، والى فتح الطرق وبناء السكك من جديد ، وهى لا تأمن على « برامج التعمير » عندها الا اذا أمنت على حدودها واطمأنت الى نظام الحكم فى الشعوب المجاورة لها ، ولا يتأتى لها ذلك الا اذا انتظمت المعيشة بين أبناء تلك الشعوب ، ولن تنتظم المعيشة بينها بمجهودات الروسيين

وحدهم ، لانهم يحتاجون الى معاونة الولايات المتحدة على الأقل فى تنظيم شؤون روسيا نفسها ، فضلا عن البلدان التى تجاورها

ومن رأى بعض الساسة الاشتراكيين ان الاستقرار فى أوربا يثبت أحزاب اليمين فيها ، وان المشكلات الاجتماعية تشجع أحزابها الشمالية ، فاذا خطر هذا الخاطر لبعض ذوى الرأى من الروسيين فرحبوا بالمشكلات التى تضطرب بها الحياة الأوربية فالعقلاء منهم يعلمون أن أعمال التعمير أعجل فى الوقت الحاضر وأولى بالتقديم ، لان الامم المضطربة لا تعمر نفسها فضلا عن تعمير غيرها ، ولانهم لن ينهضوا وحدهم بأعباء أوربا اذا سقطت عليهم ، واذا هى سقطت عليهم وتخلوا عنها ونفضوا الايدى منها فهم الخاسرون

ويخيل الينا ان ساسة الروس يقنعون بقيام الأحزاب القوية من جماعات الشمال فى أمم أوربا وان لم تقبض على زمام الحكومة ، لان هذه الاحزاب تستطيع ان تحول بين حكوماتها وحركات العدوان التى تتوجه بها نحو الدولة الروسية ، وتستطيع ان تحقق بعض المطالب لاصحاب الايدى العاملة ، فتنصرف الدولة الروسية الى برامج التعمير وتأمن من انقطاعها أو اختلالها فى زمن قصير

***

تلك بعض المشكلات الخفية من وراء المشكلات الظاهرة فى الامم المنتصرة

وهناك مشكلات الامم المهزومة وهى فى الواقع قد أوشكت ان تصبح من مشكلات المنتصرين علاوة على مشكلاتهم الكثيرة

فلا بد من قمع المهزومين ، ولكن لا بد كذلك من اقامتهم على أقدامهم لئلا يكونوا عالة دائمة على كواهل الامم الديمقراطية ، وانما يتسنى للامم الديمقراطية ذلك كلما جعلت المهزومين قوة شارية وقوة منتجة فى وقت واحد ، وأقرب الوسائل الى تيسير هذا الغرض تشجيع الزراعة فى ألمانيا وايطاليا واليابان مع الابقاء على الصناعات الصغيرة والصناعات الوسطى فى كل منها ، وبهذا يدبرون العمل للصناع والزراع ويأخذون من لا عمل لهم فى بلادهم لتعمير المدن المخربة حيثما احتاجت اليهم ، وهو غرض سهل الايجاز على القرطاس ، ولكنه لن يخرج من حيز القصد الى حيز الواقع بمثل هذه السهولة

الا أن البوادر التى نلمحها فى الآفاق المختلفة تخيل الينا أن عوامل البناء والوفاق أقوى وأدوم من عوامل الهدم والشقاق ، وان الفلاسفة الذين نسميهم « بفلاسفة السكك » على غير حق فى التشاؤم بهذه البوادر وفيما يتصايحون به من خيبة الأمل وبطلان الصبر والمواعظ ! لان البيت الذى يكنس وينفض فى خمس سنوات لن ينقطع الغبار من حوله فى خمسة أسابيع . وليس أيسر من الصياح ولا أصعب من التفاؤل المقرون بالصبر وحسن الانتظار

عباس محمود العقاد

مصاير الدكتاتورين

فى التاريخ الحديث ..

بقلم الأستاذ محمد رفعت بك

مراقب التعليم الثانوى

عرف الناس منذ ان نظموا أحوالهم بواسطة حكومات اختاروها لانفسهم أو فرضت عليهم فرضا أن الحكومة معناها القوة ذلك لان واجب الحكومة يقتضيها دائما اتخاذ القرارات وتنفيذ الاحكام على أفراد الشعب ولا سبيل الى اقناع الشعب بقبول هذه القرارات أو الاحكام طوعا الا اذا كانت القوة فى النهاية أداة للتنفيذ . ولا يزال الانجليز يعبرون عن الحزب الذى يتولى الحكومة انه متمتع بالقوة in power .فالقوة اذن عماد الحكومة والوصول الى هذه القوة هو عماد السياسة .

والقوة فى حد ذاتها ليست خيرا كما انها ليست شرا وانما يتوقف خيرها أو شرها على طريقة استعمالها وعلى البواعث التى تحركها . ومن هنا جاء خطر القوة وتولدت أهميتها . والقوة فوق ذلك مثل الثروة لها جاذبية واغراء وسلطان على النفوس لا يقاوم ، وهى مثلها أيضا يمكن اساءة استعمالها بمختلف الطرق وبكل سهولة .

لذلك حرصت الشعوب التى استيقظ فيها الشعور الوطنى وارتفعت بينها القيم الادبية ، على مراقبة الملوك والوزارات والهيئات التى بيدها القوة وابتدعت مختلف الطرق لمحاسبتها وضبطها ومنعها من اساءة استعمالها . ويكاد يكون تاريخ القرن التاسع عشر فى أوربا كله محاولات لتوجيه الجهود نحو بلوغ هذه الغاية بواسطة اصدار النظم والدساتير التى وضعت اللجم بين أسنان الملوك والحكومات وجعلتها تسير فى طريقها والكن بخطى وئيدة حذرة غير جامحة .

***

ولكن الناس وجدوا بالتجربة المرة ان الدساتير وحدها لا تكفى لكبح جماح القوة ، وانه لا بد ـ لضمان عدم اساءة استعمالها ـ من أن يكون هناك توازن بين قوة الحكومة والقوة المحاسبة أو الرأى العام الممثل فى هيئاته النيابية وفى صحفه ومعاهده ومنابره الخطابية ، فاذا اختل هذا التوازن كانت النتيجة واحدة من اثنتين : اما أن تطغى الحكومة بالقوة فتستأثر لنفسها بجميع السلطات ، وهذه هى الدكتاتورية سواء كانت فى الحكم الاكثرية أو الاقلية أو حكم الفرد . واما أن يطغى الرأى العام على الحكومة فتكون الثورة

ولا تزال الحكومات والشعوب فى أخذ ورد بشأن الاستحواذ على القوة هنا أو الحد منها هناك حتى يوجد التوازن فى الداخل أولا ثم بين الدول فى الخارج

ولا نريد ان نستقصى هنا نشأة الدكتاتورية عند الاغريق أو الرومان القدماء ولا أن نستعرض مصاير الملوك والاباطرة الذين استبدوا بالحكم فى بلادهم وأصابوا فشلا ذريعا أودى بحياة بعضهم فى النهاية .

ولكننا فى هذا الوقت الذى ارتبطت فيه مصالح الشعوب وانمحت أو كادت المسافات الزمنية والمكانية بل والثقافية التى كانت تفصل الشعوب بعضها عن بعض يهمنا أن نقف على مصاير الملوك والدكتاتورين الذين سولت لهم أنفسهم أن يبنوا مجدهم ومجد بلادهم على أساس من السيطرة والقوة الغاشمة التى تشل الحريات وتسخر الافراد والنظم لخدمة الحاكم واطماعه ثم لا تلبث أن تتطاول حتى تتعدى حدود الدولة وما جاورها ويستهدف لشرها العالم كله

هؤلاء الملوك أو القادة يتمثلون فى لويس الرابع عشر ملك فرنسا ونابليون بونابرت امبراطور فرنسا ووليم الثانى امبراطور المانيا وأخيرا فى هتلر زعيم المانيا

***

ولقد تضافرت القوى والمصادفات العجيبة فمهدت للويس وفرنسا سبيل الظهور والتفوق فى أواخر القرن السابع عشر فقد خرجت امارات ألمانيا من حرب الثلاثين سنة مهيضة الجناح منهوكة القوى وكان اذلال أسرة هبسبرج فى الحرب حافزا للويس على رفع شأن أسرة البوربون فى أوربا بدلا منها . وكانت اسبانيا منذ هزيمتها فى حرب الارمادا قد نزلت من الصف الاول بين الدول كما ان هزيمتها فى حرب الثلاثين سنة قد زادت فى ضعفها رغم استحواذها على ممتلكات شاسعة فى أوربا وفى أمريكا . وكانما كانت انجلترا بعد عودة الملكية اليها أيام ملكها المستهتر شارل الثانى تنتقم لنفسها مما عانته فى عهد دكتاتورية كرمول من شدة وحرمان وشظف فى العيش فاستنامت فترة من الزمن واسترسلت فى ملذاتها واتبع شارل فى سياسته الخارجية خطة والى بها لويس قريبه فى المذهب الدينى وقريبه فى النسب أيضا

وكان من حسن طالع لويس ان خدمته الظروف فى الداخل أيضا فعند اعتلائه العرش كان الوزير مازارين قد قضى على حركة « الفرند » أو الحرب الاهلية وان وفق الى وزراء قادرين أخلصوا له الاخلاص كله وخدموا مصالح فرنسا خدمة جلى

فما ان مات الكردينال مازارين سنة ١٦٦١ حتى صمم لويس على أن يكون وزير نفسه فى جميع شؤون الدولة وان يكون الوزراء مجرد اداة لتنفيذ ارادته حتى لم تكن قيمة لتوقيع الوزير على أمر جل شأنه أو صغر الا اذا اعتمده الملك أو أذن به . وكان يقول عن حقه الالهى : « ان الله تعالى قد أعطى الشعوب ملوكا ليسمعوهم ويطيعوهم وانه تعالى وحده

الذي يحاسب الملوك على أعمالهم » وعلى ذلك أبطل لويس اجتماع مجلس طبقات الشعب الذي لم يجتمع منذ سنة ١٦١٤ وقصر عمل برلمان باريس على مهمة التسجيل للقوانين وأخضع الكنيسة والسلطات المحلية جميعا لارادته وقال : « أنا الدولة والدولة أنا » .

ولما رأى لويس ان انسجام الوحدة الداخلية ينقصه اخضاع طائفة « الهيجونوت » البروتستنت قرر أن تكون الوحدة الدينية شاملة كالوحدة الملكية فنقض لويس لائحة نانت التي ضمنت للهيجونوت بعض الحريات فأغلق مدارسهم ومعاهدهم وأبطل مستشفياتهم ومعابدهم وحرم عليهم التوظف في الحكومة وافتن في مضايقتهم حتى كان يكلف الجنود النزول في بيوتهم كما كان يفعل أعوان « الجستابو » في ألمانيا أخيرا حتى يتحولوا الى المذهب الكاثوليكي أو يهاجروا من بلادهم خفية خوفا من اضطهاد الحكومة . فهاجر من فرنسا في تلك الفترة ما يقرب من ثلاثمائة ألف من أفراد هذه الطائفة النشيطة ناقلين معهم الى البلاد البروتستنتية التي كانت تنافس فرنسا كفاياتهم الفنية والصناعية والمالية مما عاد على فرنسا بأفدح الخسائر . ولا بد أن يكون القارىء قد قرن هذه السياسة العقيمة بالسياسة النازية التي اتبعها هتلر مع اليهود في ألمانيا مع ملاحظة أن لويس في مناهضته للهيجونوت كان يتقرب الى الكنيسة ويرضى ايمانه وشعوره الديني وفقا للاعتقادات الدينية التي سادت في القرن السابع عشر . أما هتلر فقد اضطهد اليهود وشردهم من ألمانيا في القرن العشرين مدفوعا بعوامل لا تمت الى الدين بسبب

***

أما في السياسة الخارجية فقد كانت فرنسا فعلا الدولة الاولى في أوربا حربيا وثقافيا وماديا وكان الفرنسيون فخورين مزهوين بحكم ملكهم « الشمس » الذي بهرت أنواره دول أوربا وجعلت من فرنسا وملكها وتقاليدها مثلا عليا يحتذيها الجميع . فلو ان لويس واصل سياسة الاصلاحات العظيمة التي أقامها وزيره « كلبرت » ووجه جهوده نحو توطيد نفوذ فرنسا في مستعمراتها وراء البحار في أمريكا وفي الهند لاحتفظت فرنسا بمكانتها الاولى بين الدول غير منازعة . ولكن سرعان ما غلب على لويس « الجنون الفرنسي » ثم « الجنون الالماني » أما الجنون الفرنسي فكان ولا يزال يرمي الى تأمين حدود فرنسا الطبيعية من جهة الشرق والشمال الشرقي وذلك بمدها الى نهر الرين شرقا . أما الجنون الالماني فيرمي الى اعادة حكم الامبراطورية الرومانية المقدسة ذلك الحلم الجميل الذي ما فتىء يداعب أجفان الدكتاتوريين في أوربا منذ أن سقطت روما في يد القبائل المتبربرة في القرن الخامس الميلادي وما برح يسوقهم الى الهاوية حتى الآن . أما الجنون الاول فأدى به الى محاربة هولنده واحتلال استراسبورج متحديا الامبراطور وأدى به الجنون الثاني الى اثارة حرب أوربية عامة استمرت ثلاث عشرة سنة وعرفت في التاريخ بحرب الوراثة الاسبانية اذ أراد بها لويس ان يثبت حفيده على عرش اسبانيا وان تكون له ممتلكاتها في

عرض البحار وبذلك تمحى جبال البرانس التى تفصل بين فرنسا واسبانيا وتسيطر أسرة البوربون فى العالمين القديم والجديد

وما كادت تستبين هذه الاغراض حتى تكونت المحالفات الاوربية ضد لويس وكان قوامها انجلترا وهولنده وهما المملكتان الوحيدتان اللتسان كانتا متمتعتين بحكم أقرب الى الديمقراطية . وفى هذه الحرب التى تعددت ميادينها اظهرت انجلترا «قائدا حربيا فذا هو « جون تشرشل » الذى أصبح لورد «مارلبرو» واليه ينتسب مستر تشرشل وزير انجلترا الاكبر ، فقد حالفه النصر فى جميع المواقع التى اشتبك فيها مع قوات العدو ، وعلى الرغم من ان حفيد لويس قد احتفظ بعرش اسبانيا الا ان نتيجة الحرب كانت وبالا على فرنسا اذ افقدتها جزءا من مستعمراتها فى أمريكا لانجلترا وثبتت انجلترا على صخرة جبل طارق وبذلك مهد الطريق لتفوق انجلترا الحربي والاستعمارى وأخذت الكوارث تتوالى على لويس فى سنيه الاخيرة ففقد فى سنة واحدة ولى عهده وحفيده الاكبر ومات لويس على أثرهما سنة ١٧١٥ بائسا متهدما مكروها من الشعب مخلفا وراءه ملكا طفلا صغيرا وخزانة خاوية الى جانب اصلاحات معطلة وافلاس شامل أخذ يتفاقم فى عهد خلفائه حتى أدى فى النهاية الى الثورة الفرنسية

***

ولما قامت الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر ظن الناس أن صبح الحرية والمساواة قد انبلج وان الاستبداد والتعصب والامتيازات الفردية التى عصفت بالشعب الفرنسى قد زالت فى النهاية أو كادت وان عهدا جديدا قد بدأ يضىء لا على فرنسا وحدها بل على العالم بأجمعه . ولو ان نابليون بونابرت الذى آلت اليه تطورات الثورة فى النهاية ظل مخلصا لمبادئها عاملا على تحقيق غاياتها وكبح جماحها لأفاد العالم من نابليون واصلاحاته فائدة كانت خليقة أن تبوئه مكانة الخلود فى تاريخ الانسانية العامة . ولكن نابليون ابن الثورة آثر كاسلافه من الدكتاتوريين ان يضحى بالانسانية فى سبيل كبريائه ومطامعه . لقد تذوق طعم النصر فى ايطاليا وهو لا يزال شابا فتيا ، فاكبر نفسه وكفايته وازدرى غيره من الزملاء والقادة ورسم لنفسه طريقا سلطانيا يستحثه السير فيه لا نحو الزعامة فى فرنسا فحسب بل صوب تاج قيصر والاسكندر

وتنفيذا لهذه الخطة أخرج مشروعه العظيم بتسيير الحملة الفرنسية على مصر التى كان يريد بها مواصلة السير والعمل حتى يحول دون انجلترا وممتلكاتها فى الهند . ولما فشل مشروعه الشرقي وارتد عن حصن عكا ، أسرع الخطا الى فرنسا لعله واجد من ضعف حكومة الادارة ما يعوض عليه فشله ويفتح له آفاقا أوربية جديدة تغنيه عن مشروعه الاول فدبر تدبيره لاسقاط حكومة الادارة واقام حكومة القنصلية وجعل نفسه القنصل الاول ، ثم القنصل الاول مدى الحياة . وكأن الطريق بعد ذلك الى الامبراطورية سهلا ذلولا ، وان فى تتويجه امبراطورا فى سنة ١٨٠٤ لدلالة كافية على نيات نابليون فانه لم يتوج نفسه

ملكا كملوك فرنسا الاقدمين بل انساق وراء اسطورة الاسكندر وقيصر واتخذ لنفسه اللقب الذى كان يحمله « شرلمان » ، غير ان نابليون لم يذهب كسلفه الى روما بل حضر البابا بيوس السابع بنفسه الى كنيسة نتردام باريس ليتوج نابليون ، وما كاد التاج يلمس مفرقه حتى أشاح بوجهه ورفع يديه وقال : « بيدى لا بيد البابا » !

ولم يكتف نابليون بمسح رأسه بزيت الامبراطورية المقدس بل أراد أن يمسح به على رؤوس اخوته وأقربائه حتى تتطهر الأسرة من أدران الديمقراطية ويجرى فى شرايينها الدم الازرق الملكى ، فعينهم ملوكا وأمراء على ما فتحه من البلاد وكأنه فطن الى ان الدم الامبراطورى لا يستمد الا من دم امبراطورى أصيل فقرر أن يكون له ولى عهد من احدى الاسرتين العريقتين فى الامبراطورية : أسرة رومانوف فى روسيا أو أسرة هبسبرج فى النمسا . اما أسرة رومانوف فقد كان اسكندر الاول قيصر روسيا الذى عاهده ووالاه فترة من الزمن يكن فى دخيلة نفسه نية منافسة نابليون فى مطامعه وأمانيه الخيالية حتى تتهيأ له الفرصة للانقضاض عليه ، وعلى ذلك لم يجبه الى طلبه . واما امبراطور النمسا وقد كابد الهزيمة أمام نابليون عدة مرات فلم يسعه سوى القبول فزوجه من ابنته « مارى لويزه » وهكذا ارتضى نابليون أن يخون النظام الجديد ليكون صهرا للنظام القديم !

ولكن انتصارات نابليون المتوالية فى ايطاليا والنمسا واسبانيا وتفوقه الحربى فى القارة الاوربية لم يفد منه نابليون شيئا كثيرا اذ كانت الشعوب المغلوبة على أمرها تضمر له الكراهية والانتقام وتنتظر قيام الساعة التى تثور فيها على غاصب حريتها واستقلالها وكانت انجلترا فى عهد نابليون كما كانت أيام لويس الرابع عشر وفى أثناء الحربين العالميتين واقفة بالمرصاد أمام الدكتاتوريين تكيد لهم وتنشىء المحالفات ضدهم وتدبر الخطط للقضاء عليهم ، وساند انجلترا الاول فى كفاحها عزلتها الجغرافية عن القارة وسيطرتها على البحار ، ومساحة البحار فى العالم تبلغ ضعف مساحة اليابسة أو أكثر من الضعف ، فمن كان يملك زمام البحر أمن فى النهاية الجوع والعوز والخوف وصان نفسه من أمتداد سلاح البر . هكذا كانت الحال الى أن جاءت الحرب العالمية الثانية فأضافت سلاحا حاسما جديدا هو سلاح الجو

اصطدم نابليون بهاتين الصخرتين الصلبتين من مطاولة انجلترا ومقاومة الشعوب فارتد نابليون خاسرا عن موسكو ثم انكسر فى موقعة « الامم » عند ليبزج وأخيرا هزمه ولنجتون الانجليزى وبلوخر الالمانى فى « واترلو » ، وحاول نابليون الهروب الى أمريكا على ظهر احدى السفن الفرنسية فتصدت له البحرية الانجليزية فلم يسعه الا الاستسلام لامير البحر الانجليزى « كيث » Keith وكان يظن ان الانجليز سيكرمونه كلاجىء الى بلادهم ولكن الانجليز لم يأمنوا جانبه فأرسلوه أسيرا الى « سنت هيلانه » ، ومعه طبيبه وثلاثة من اتباعه ، وهناك أصيب بالسرطان ومات سنة ١٨٢١ شهيد الحكم الانجليزى كما قال ،

والحقيقة ان تلك العبقرية الفذة فى التاريخ راحت ضحية اطماع صاحبها وخيانته لمبادىء الحرية والانسانية الكبرى

***

انتهى نابليون ولكن ذكرياته ظلت ماثلة فى أذهان الفرنسيين يتناقلها الناس ويتوارثها الابناء عن الآباء حتى اذا ما ولى الجيل الجديد حكومة البلاد طالب الملك لويس فيليب باعادة رفات القائد العظيم الى فرنسا فأرسل ابنه الدوق جوانفيل ليصحب النعش من المنفى الى أرض الوطن وكان الرفات بعودتها الى الوطن قد استردت حيويتها فألهبت شعور الفرنسيين وأشاعت فيهم روح الحماسة والثورة فأخذت المعارضة تشتد ضد لويس حتى قامت الثورة فى سنة ١٨٤٨ فاقتلعت الملكية وأقامت الجمهورية برياسة نابليون الثالث حفيد نابليون الاول الذى ما لبث أن أعاد سيرة عمه فقلب الجمهورية وأقام امبراطورية ثانية ما فتئت تعمل لاسترداد مجد فرنسا الحربى بالحق وبالباطل وتسخير الشعب فى خدمة أغراض الجالس على العرش حتى أصابها الخذلان والسقوط أمام قوة بروسيا الجارفة

وفى قصر فرساي سنة ١٨٧١ تألفت الامبراطورية الالمانية الحديثة وأساسها قوة الجيش الذى أنشأه بسمارك واكتسح به أقوى دول أوربا برا : النمسا وفرنسا فأصبحت ألمانيا بذلك أولى الدول فى قارة أوربا غير منازعة . ورأى بسمارك ان يدعم هذه القوة بالاستقرار واتباع سياسة حسن الجوار وتوجيه الجهود الى مناحى الرقى الاخرى فاستقبلت ألمانيا عهدا ساده السلام وحفل بأنواع النشاط العلمى والصناعى والفنى والتجارى ، كل ذلك على أسس علمية صحيحة تتولاها الادارة البروسية المنظمة الدقيقة حتى أصبحت ألمانيا فى فترة قصيرة تنافس أعرق الدول فى الصناعة والتجارة والعلوم وتتبوأ المكانة الاولى فى عدد غير قليل من المنتجات الصناعية والعلمية كالاصباغ والعدسات والكيمائيات ، ولو قدر للامبراطور فريدريك وليم الاول المشهور بمبادئه الحرة أن يعيش ويطول حكمه لجنت ألمانيا ثمرة السياسة الحكيمة التى سار عليها بسمارك ولكنه مات سنة ١٨٨٨ وخلفه وليم الثانى وكان لا يزال شابا فى التاسعة والعشرين من عمره مشبعا بالروح الحربية التى بثها بسمرك مؤمنا كلويس الرابع عشر بالحق الالهى ويريد ان يقيم حكمه فى القرن العشرين على نفس الاسس التى قام عليها فى القرنين السابع عشر والثامن عشر والتى تقوم عليها عروش الديكتاتورين دائما مهما تباينت الشعوب واختلفت العصور ، وهذه الاسس هى الطموح الحربى والاستئثار بالحكم والدولة فوق الجميع . فاستغنى وليم عن بسمارك وبدأ ينفذ خطته الدكتاتورية وبذلك مهد وليم الثانى لسياسة الغلبة والتنافس البحرى مع انجلترا وهى التى أدت الى الحرب العالمية الاولى والى انهيار الامبراطورية الالمانية ، ثم الى ظهور النازى ودكتاتورية هتلر مع ما تبع ذلك من قيام الحرب العالمية الثانية وانهيار ألمانيا كلية

محمد رفعت

قابلوا الفقراء ..
فى منتصف الطريق

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد
عميد معهد التربية بجامعة فؤاد الأول

كثيرا ما تكون الامور البديهية أعقد الاشياء على العقل الانسانى وأعسرها على الادراك . فان الانسان يمر بها كل يوم ولا يقف عندها للتفكير فيها . فانها تصبح مألوفة لديه وكأنها جزء من الطبيعة التى حوله

والانسان مطبوع على الميل الى الاستمرار فى اتجاهه الذى تعوده ، فهو قلما يعمد الى تغيير مألوفه الا اذا صدمته ظروف جديدة طارئة وجعلته يتعمد التغيير

وقد كان الانسان يعيش منذ القدم فى جماعات وكل نظمه وكل مشاعره متأثرة بطبعه الاجتماعى . بل ان المعانى التى تدور فى ذهنه لا يمكن وجودها على صورتها المعروفة له الا فى حياة اجتماعية

فالحرية مثلا لا معنى لها الا فى المجتمع ، واذا نحن تصورنا انسانا فردا يعيش وحده فى جزيرة بعيدة عن الجنس البشرى كله لما شعر بأى معنى لما نسميه نحن الحرية . بل ان معنى الفردية ومعنى الشخصية لا يمكن وجودهما الا فى الحياة الاجتماعية ، لان الفرد لا يحس بوجوده كفرد متميز عن سواه الا اذا كان يعيش مع أفراد آخرين من جنسه وأما معانى التعاون والصداقة والمحبة والمثل العليا الاخلاقية فهى من باب أولى معان اجتماعية لا يمكن أن تنشأ الا فى الحياة المشتركة

فمن الواضح أن الطبيعة الاجتماعية هى التى وجهت الانسان ولونت معانيه وحددت عقليته . ومع ذلك فمن العجيب أن الانسان لم يستطع أن يعرف أسرار هذه الحياة الاجتماعية ولم يتجه الى تنظيمها بحيث يجعلها صالحة مع انه كان منذ ملايين السنين يتأثر بها . فهذه الحياة الاجتماعية لا تزال الى اليوم تنطوى على ظواهر أقل ما يقال فيها أنها لا تلائم الانسانية ولا توافق المثل العليا التى ارتضاها البشر لانفسهم منذ عهود طويلة ، وقد كانت هذه الظواهر مبعث آلام شديدة متكررة على تعاقب الاجيال واختلاف الاجناس والبيئات . فما هو السر فى ان الانسان لم يدرك تلك الظواهر التى طالما سببت له الآلام والمتاعب ؟ وهل يمكن أن نقول انه قد أدركها ولكنه عجز عن مداواتها ؟ قد يكون السر فى ذلك هو ما قدمناه وهو ان الامور البديهية التى تمثل للعقل فى كل لحظات الحياة أعقد المعانى وأعسرها على الادراك . وقد يكون السر فى ذلك هو ما قدمناه كذلك وهو ان

الانسان ميال بطبعه الى الاستمرار على ما ألفه فى حياته الى ان يصطدم بما يحمله قسرا على التغيير

قد يكون السر هو هذا أو ذاك أو هما معا ولكن هذه الحقيقة فى ذاتها تحملنا على أن نواجه حياتنا الاجتماعية برغبة فى التحليل والفهم متعمدين ان ندرك أسرارها وظواهرها حتى يمكن أن نجعل المستقبل خيرا من الحاضر

ومن المفيد هنا أن نضرب مثلا لبعض الظواهر الاجتماعية التى كانت سببا فى خلق كثير من مشاكل الانسانية فى العصور الماضية . فالمجتمع الانسانى كان مقسما منذ أقدم الازمنة الى طبقات أو طوائف ، وكانت تلك الطبقات تختلف فيما بينها فى النفوذ والسلطة .فكانت هناك طبقات ممتازة ، وطبقات أخرى ممتهنة . فالطبقات الممتازة كانت دائما تفوز بأكثر خيرات المجتمع على حين كانت الطبقات الممتهنة لا تصيب الا الحد الادنى من الخير وهو المقدار الذى يمسك الرمق من الطعام والمقدار من الملبس الذى يكفى للحماية من قسوة الطبيعة

وكانت الطبقات الممتازة تختلف فى نوعها بين عصر وآخر ففى بعض العصور كانت الطبقة الممتازة هى طائفة الكهنة أو السحرة وكان أفرادها يسيطرون على العقول البدائية عند ما كان الانسان لا يزال فى أول أدوار تطوره تخيم على عقله الاوهام والخرافات

وكانت الطبقة الممتازة فى عصور أخرى هى طائفة المحاربين الشجعان الذين كانوا يقفون فى صدر المجتمع للدفاع عنه اذا دعا الداعى الى الدفاع ، فكان أفراد هذه الطائفة بطبيعة الحال يصبحون سادة المجتمع لما لهم عليه من الفضل ويفوزون بأكبر قسط من خيراته

وكانت هذه الطبقات الممتازة تورث تفوقها وجاهها لابنائها جيلا بعد جيل ، وكانت أحيانا تورثه لطبقة خاصة لا يشترط فيها أن تكون من أبنائها . فكان هذا يؤدى مع تغير الظروف الى أن يصبح المجتمع خاضعا لطائفة لا تدعو الى وجودها ضرورة

فاذا تغيرت الظروف وزالت الاخطار عن المجتمع فأصبح فى غنى عن وجود طبقة المحاربين ، أصبح وجود الطائفة الممتازة مشكلة اجتماعية ، لانها تفوز بالسيادة وتتمتع بخيرات المجتمع بغير أن تؤدى وظيفة اجتماعية ضرورية . وقد تستمر الحال على هذا الوضع الشاذ مدة طويلة قبل أن يفطن الانسان الى ضرورة تغييرها . ولا يفطن الانسان فى العادة الى ضرورة التغيير حتى يصطدم اصطداما شديدا بمشاكل لا يستطيع حلها الا بانقلاب فجائى عنيف وهو ما نسميه الثورة

ومن الامثلة الدالة على هذه الحقيقة فى التاريخ القريب الثورة الفرنسية . فان نظام الحكم قبل تلك الثورة كان قائما على وجود طبقة ممتازة من الاشراف وهم من أبناء الامراء الاقطاعيين القدامى الذين كانوا فى العصور السالفة حماة فرنسا . كان الامراء الاقطاعيون فى القرون الوسطى أصحاب فضل عظيم على فرنسا لانهم دافعوا عنها وحموها من الاخطار

الداهمة التى كانت تهددها من هجمات العرب فى الجنوب وهجمات قبائل المجر من الشرق وهجمات النرمانديين من الشمال والغرب . ولكن أبناءهم الذين كانوا يعيشون فى القرن الثامن عشر كانوا لا يفيدون فرنسا فائدة ما بل كانوا يتمتعون بكل الامتيازات الموروثة لطائفتهم عن الآباء الاقدمين . فكانت فرنسا تشعر بثقل وطأة تلك الامتيازات مع احساسها بأن طائفة الاشراف لاتفيد المجتمع فائدة ما ولا تؤدى للبلاد وظيفة ضروريه.
فكانت تلك مشكلة شديدة حركت عقول شعب فرنسا ، وأثارت نفوس عامة الاهلين ولم يلبث الامر أن أفضى الى الثورة الفرنسية الكبرى التى حطمت كل النظام الاقطاعى فى فرنسا والعالم أجمع . ولكن هذا التنبه الى فساد النظام لم يحدث الا بعد ان مضى زمن طويل كانت فرنسا تعانى فيه الآلام من مشكلة مستمرة ، ولا بد أن نذكر أن الثورة قد جرت معها كثيرا من الآلام والمتاعب . فهذا المثل جدير بأن يذكرنا بضرورة التوفر على بحث نظمنا الاجتماعيـة ، ومحاولة التغلب على الطبع الذى يميل بنا الى قبول ما الفناه والاستمرار عليه بغير بحث ولا تفكير حتى لا نعرض أنفسنا الى التغاضى عن وجود مشاكل تسبب لنا كثيرا من الآلام ثم قد تفضى بنا أخيرا الى رجة عنيفة مدمرة

ونحن اليوم فى عصر بدأ العالم يحس فيه ضرورة التفكير فى نظمه القائمة ، وينظر الى المستقبل نظرة التوجس والحذر . قضى العالم أجيالا كثيرة وهو راض عن نظمه الاجتماعية مع أنها كانت قائمة على أساس وجود طبقات بعضها ممتاز وبعضها ممتهن . والطبقة التى كانت تسود العالم فى القرون الأخيرة هى طائفة أصحاب الاموال . فالمجتمعات فى العالم اليوم لا تزال الى حد كبير تخضع لامتياز طبقة محدودة من الشعب وان كانت تختلف فى نوعها عن الطبقات الممتازة التى كانت تقبض على السلطة فى المجتمعات القديمة

وقد نشأ نفوذ أصحاب المال منذ حدثت الثورة الصناعية وبدأت الصناعة تعتمد على الآلات بعد أن كانت تعتمد على اليد . فبعد أن كان أساس الصناعة هو العامل الفرد الذى ينتج انتاجا محدودا بيده فى مصنعه الصغير أصبح أساسها المصنع الكبير الذى ينتج انتاجا واسعا مستخدما عددا كبيرا من العمال يتخصص كل منهم فى عملية صغيرة من عمليات الصناعة . والمصانع الكبرى تحتاج الى الاموال الكثيرة لشراء الآلات وبناء المؤسسات الضخمة فأخذت الأموال أهمية كبرى فى ميادين الصناعة

وتحولت التجارة كذلك فأصبحت تعتمد على المؤسسات التجارية الكبرى التى تستخدم الاموال الطائلة فى اعداد المبانى وشراء السلع الكثيرة لتوزيعها

ونشأت الى جانب ذلك كله شركات كبرى للنقل يتكون رأس مالها الضخم من أسهم يملكها الافراد

وبهذا أصبح للمال مركز هام جدا فى الميادين الاقتصادية ، وما زالت أهميته تزداد حتى أصبح عاملا خطيرا قائما بنفسه . وصار صاحب المال يعتمد عليه وحده فى حياته ، فبعد أن كان العمل هو أساس الارزاق ، أصبح المال وسيلة مضمونة للارزاق . فأدى

هذا الى أن وجدت طبقة خاصة من أصحاب الاموال لا عمل لها الا التمتع بالايراد الذى يعود عليهم من رؤوس الاموال ، وصار من الممكن أن يوجد أغنياء يعيشون كأنهم عالة على المجتمع لا يعملون شيئا ويقضون الحياة فى متعة وترف وكسل . وكثير من هؤلاء يقضون حياتهم فى بلاد غير أوطانهم التى تدر عليهم الايراد يتنقلون بين العواصم العالمية الكبرى فى طلب المتعة وحدها

وكثيرا ما يحدث أن أمثال هؤلاء الاغنياء العاطلين من العمل لا يفيدون المجتمع أية فائدة ، ويحاولون أن ينالوا من الارباح النصيب الاكبر فيحرمون بذلك العامل من نصيبه العادل من الارباح التى تعود على المؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى

وكانت الاموال تتكدس عندهم ، رغم كل ما ينفقونه فى حياتهم المترفة فتزيد مقدرتهم على شراء الاسهم فى المؤسسات الصناعية أو التجارية أو يؤسسون المصانع الجديدة والشركات التجارية الجديدة ويستأجرون من الفنيين والعمال من يقوم بادارة هذه المؤسسات ثم يأخذون من أرباحها القسط الاوفر . وهكذا أصبح المال سلاحا لا يقاوم فى الحياة . وامتد نفوذهم تدريجا فى الميادين الاخرى حتى صار لهم فى المجتمع أكبر نفوذ لا لشىء الا لانهم يملكون الاموال . وتمكنوا فوق كل ذلك من أن يستحوذوا على موارد الثروة من أرض زراعية ومن مناجم ومصانع وغابات ووسائل التعامل مثل البنوك ، ويتحكمون فى الاسواق ويسيطرون على أرزاق العمال . أو بقول آخر صارت المجتمعات تخضع فى أكثر بلاد العالم لسلطان أصحاب الاموال الذين يهيمنون على الانتاج وتوزيع الارزاق

حقا ان طبقة أصحاب الاموال ليست مقفلة ، بمعنى أن كل انسان يقدر أن يكون منها اذا استطاع أن يحوز الاموال بطريقة من الطرق . ولكن قد يمكن الفرد أن يصبح عضوا فيها اذا هو ربح فى يانصيب مثلا أو اذا كسب فى المقامرة أو عثر على كنز . وقد يمكن الفرد أن يصير عضوا فيها كذلك اذا واتاه الحظ فى التجارة

وكان الميراث عاملا هاما أدى الى أن يبدأ الفرد حياته وفى حوزته الالوف أو الملايين من الجنيهات فانضمت الى طبقة أصحاب الاموال طبقات جديدة بدأت الحياة بميراث من الاموال التى خلفها لهم الآباء

فيمكن أن يقال ان هناك شبها الى حد ما بين الطبقة الممتازة اليوم ، وبين الطبقات التى كانت ممتازة فى العصور القديمة . وقد أصبح لهذه الطبقة أهمية خاصة لانها استطاعت بطبيعة الظروف الاجتماعية الحالية أن تبسط نفوذها على الحياة السياسية والاجتماعية بشكل لم يسبق له مثيل فى أى عصر من العصور . فان الانتاج كله قد أصبح فى يد هذه الطبقة — انتاج الاقوات والضروريات والكماليات جميعها — وأصبح فى يدها كل مفاتيح التجارة والنقل . وقد نظمت شؤونها تنظيما عظيما فى شركات ضخمة ، واتحادات قوية صار لها أعظم الاثر فى توجيه السياسة .. فالعالم اليوم لا يكاد يعرف الصانع الصغير ولا التاجر

الصغير بل يعرف أصحاب المصانع والمتاجر الكبرى والشركات العالمية الهائلة التى تطوى تحت جناحها ملايين الافراد من البشر فى صورة عمال وصناع يعملون جميعا بالاجرة على اختلاف درجاتهم وأصنافهم

وقد أدى هذا الوضع الى أن أصبحت المجتمعات مقسمة الى معسكرين أحدهما ينحاز نحو من بيدهم السلطة والآخر ينحاز نحو التحلل من السلطة . وظهرت أعراض كثيرة تنم عن نوع من المشادة التى تشبه العداوة بين من عندهم ومن ليس عندهم - بين الاغنياء وبين الفقراء . ومن أظهر هذه الاعراض حركات العمال من جهة واتحادات أصحاب الاعمال من جهة أخرى

ولم يقتصر الامر على هذه المشادة فى داخل المجتمع الواحد ، بل تعدى الامر الى حدوث مشادة دولية بين الدول التى عندها ، والدول التى ليس عندها . وأدى ذلك الى التنافس والتطاحن الذى انتهى بالحروب الكبرى التى مزقت العالم منذ أول القرن العشرين

فلا غرابة اذن فى أن العقل الانسانى قد تنبه مرة أخرى الى بحث المشاكل الاجتماعية الخطيرة الحاضرة . فان وجود هذه المشادة بين طوائف المجتمع الواحد ، ووجود هذه المشادة بين الدول المختلفة ، تتنافى مع فكرة تضامن المجتمع ، وتتنافى مع فكرة تعاون الانسانية . ولم يكن من العسير على قادة الفكر أن يضعوا أصابعهم على مواضع العلة التى أصابت المجتمعات . فأصل الداء كما يصوره المفكرون اليوم هو أن العالم قد ضل السبيل عند ما جعل قوة المال تسيطر على الحياة ، لان سيطرة المال على المجتمعات ضيعت كثيرا من الحقوق الانسانية والمثل العليا التى كسبتها الانسانية فى العصور الماضية بعد جهاد طويل

والعالم اليوم يشهد ثورة فكرية جديدة ترمى الى رفع علم العصيان على سلطة المال ، وقد قطعت بعض البلاد شوطا بعيدا فى ثورتها . واذا لم يستطع العالم أن يجد وسيلة لاصلاح نظامه كان لا مفر له من الاندفاع مع الثورة الفكرية الى حد لا تؤمن عواقبه

أصبحت الافكار اليوم تتجه الى دعوة جديدة وهى أن الواجب ان ينظر الناس الى مجتمعاتهم فيفحصوها ويحددوا أغراضها ويتبينوا حقوق أفرادها وواجباتها ويؤولوا مثلها العليا تأويلا جديدا يناسب الظروف الجديدة التى طرأت على العالم .

فما هى الأغراض التى وجدت المجتمعات الانسانية من أجلها؟ فهذه المجتمعات الانسانية لم توجد مصادفة ولا عبثا بل هى ضرورة طبيعية للحياة ذاتها . وقد وجدت لكى تكون متضامنة ، ولكى يكون لكل فرد فيها واجبات وله حقوق يقصد منها جميعا تمكين المجتمع كله من الحياة . فلا يمكن العالم أن يرضى بوجود طبقة تتمتع بالحقوق مع عدم تأدية الواجبات ولا يمكن أن يرضى عن عكس ذلك . والتضامن الاجتماعى لا يمكن ان يتحقق الا اذا قامت الحياة على العدل والمساواة . فلا بد أن يكون لكل فرد نصيب عادل من مقومات الحياة ، ولا بد أن يكون عليه نظير ذلك نصيب عادل من الواجبات الضرورية لحفظ المجتمع . وقد أحدثت الحرب الحالية تطورا عظيما فى الآراء لانها أظهرت بوضوح أن

أفراد المجتمع كلهم ضروريون لحفظه والدفاع عنه . ويجب عليهم جميعا أن يتضامنوا فى سبيل تحقيق غاية واحدة وهى حفظ المجموعة وتقدمها ولهذا لم تجد الدول كلها بدا من الاتفاق على أن العدالة واجبة ـ العدالة بالمعنى الاوسع الذى يشمل العدالة فى توزيع الارزاق وفى الحالة الاجتماعية للافراد

بل لقد بلغ من ايمان الدول بالعدالة الاجتماعية ان جعلتها أساس السياسة العالمية كلها فليس ميثاق الاطلنطيق سوى عهد صريح على أن تكون العدالة الاجتماعية أساسا للحياة فى داخل كل الدول وأساسا للمعاملات الخارجية بين الدول

وأهل العالم اليوم لا يشكو من شىء أكثر من فقدان هذه العدالة الاجتماعية بل نعتقد اننا لا نبالغ اذا قلنا ان السبب فى الكوارث والحروب وفى كل ما يصيب دول العالم من ثورات وقلاقل فى داخلها انما هو فقدان العدالة الاجتماعية

وانه لمن الواجبات المحتومة على كل انسان ان يعين على تحقيق تلك العدالة اذا كان مخلصا للانسانية راغبا فى احلال السلام والطمأنينة محل الشقاء وسفك الدماء

لقد اكتفينا فى قولنا السابق بالاشارة الى أن الانسان لم يستطع أن يدرك حقيقة العلل الاجتماعية التى كانت تسبب له الشقاء مع مثولها تحت حسه دائما ولم تتعرض لناحية أخرى لها علاقة وثيقة بهذا الموضوع . فان من أكبر أسباب الجمود والتردد فى الاصلاح أن فى الانسان طبعا أصيلا يحمله على عدم قبول الآراء الجديدة وهو الانانية . فاذا كانت الآراء الجديدة تكلفه شيئا من التضحية ، لم يرض بها ، وعارض فيها مع انه يكون بذلك عاملا على تفاقم الشرور والاضرار بالمستقبل

وقد كانت الطبقات المسيطرة الى اليوم تؤثر الجمود وابقاء النظم الحاضرة على ما هى عليه لانها لا تريد أن تتخلى عن نفوذها وتمتعها بأكبر قسط من الخير . ولكن هذه الخطة الجامدة التى تمليها الانانية تمهد السبيل فى المستقبل الى تفاقم الامور وزيادة المشادة بين طبقات المجتمع ولعلها تؤدى ـ ان عاجلا وان آجلا ـ الى حدوث رجة عنيفة يخشى منها على كيان المجتمع . وقد كان من حسن حظ الانسانية ان الامم الديمقراطية استفادت من ظروف الحرب الحالية ، فخطت خطوة واسعة فى سبيل تحقيق التضامن الاجتماعى . وسارع أصحاب المال الى تلبية النداء ، فأصبح الامل اليوم أعظم بأن أمم العالم سوف تبدأ بعد هذه الحرب عهدا جديدا قائما على العدالة والمساواة .

لقد أصبح من المسلم به مثلا ، انه لا ينبغى لاى فرد أن يتمتع بحياة مترفة لا حد لترفها ، فى حين يوجد أفراد آخرون فى المجتمع نفسه لا يجدون القوت الضرورى للحياة ولا المسكن المناسب ولا الملبس الكافى للحماية من الجو وحفظ المروءة الظاهرة

وأصبح كذلك من المسلم به ان الفرد لا يصح له ان يستحوذ على موارد ثروة لا حصر لها ، على حين يوجد آخرون من أفراد المجتمع لا يجدون الحد الادنى من موارد الثروة ليجعلوه ميدانا لاعمالهم

وقد تنبهت تركيا لمثل هذا المعنى أخيرا فقرر مجلسها الوطنى الكبير اعادة توزيع الاراضى الزراعية ، بان تشترى الحكومة الاراضى الزراعية من كبار الملاك لكى تبيعها بالتقسيط لصغار الفلاحين

وهناك ناحية ثالثة تنبهت لها الافكار ، وهى أن أصحاب الاموال قد اتجهوا فى السنوات العشرين الاخيرة الى المنافسة الشديدة فى الانتاج ، فكانوا يتنافسون خبط عشواء بقصد احراز أكبر مقدار من الربح بغير نظر الى ما ينتجون ، وبغير تمييز بين ما هو ضرورى وما هو غير ضرورى . فأصبح اليوم من المرغوب فيه ان تنظر الدول إلى حاجة المجتمع فتنظم الانتاج بحيث يؤدى الى سد هذه الحاجات

وسوف يكون من آثار هذا التفكير الجديد أن تدبر الدول شؤون الانتاج بحيث تضمن الحصول على حاجات الأفراد الضرورية ، وأن تدبر فى الوقت عينه حاجات الناس بحيث تكفل الحياة لكل أفراد المجتمع . والى جانب هذا أصبح من المسلم به أن يجد كل فرد فى المجتمع عملا وان يكافأ الفرد على عمله مكافأة تكفل له ولمن يعولهم الرزق المناسب الذى يتسع لحياة كريمة تتوفر فيها الضروريات وبعض الضرورى من الكماليات . ولذلك صار اليوم من الاوليات المسلم بها أن تهيمن الدول على الحياة الاجتماعية الى حد كبير فتتدخل فى الانتاج وفى الاستهلاك وفى تحديد الاجور وفى تقدير الضرائب بحيث تكفل ان يكون توزيع الواجبات والاعباء عادلا كما يكفل أن يكون توزيع الحقوق والخيرات عادلا

وصار من الاوليات المسلم بها ان الحقوق السياسية وحدها لا تغنى شيئا اذا لم تكن الى جانبها عدالة اجتماعية . فليس للحرية ولا للمساواة معنى اذا لم تكن للحرية دلالة اجتماعية واقتصادية واذا لم تكن للمساواة دلالة اجتماعية واقتصادية . فالحرية اليوم تتضمن التحرر من الخوف — التحرر من خوف البطالة والتحرر من سيطرة القوى الاقتصادية والمساواة اليوم تتضمن شيئا أكثر من المساواة أمام القانون فهى تتضمن المساواة الاجتماعية والمساواة فى الفرص الاقتصادية وفى الحياة الكريمة

وقد كانت الدول الديمقراطية حكيمة فى انها قد استفادت بالحرب وعدلت من نظراتها الاجتماعية القديمة . فهى تعلم انها اذا لم تفعل ذلك مهدت السبيل الى تحطيم النظام القائم تحطيما يذهب معه كثير من الخير مع كثير من الشر وكانت بمثابة من يغمض عينيه فى مقابلة خطر داهم حتى تقع أخيرا فى بؤرته . وما أحرانا نحن فى مصر ان نستفيد نفس الفائدة وان نستعد للمستقبل نفس الاستعداد . ولعل ظروفنا تجعل التنبه أوجب فان مصر من البلاد التى تعانى أشد الآلام من قلة الملاءمة بين النظم الاجتماعية والاقتصادية وبين الظروف التى تلزم للحياة الجديدة التى تتطلع اليها آمالنا

فلا يمكن مثلا ان ترضى مصر الحديثة عن وجود مؤسسات لا قصد لها الا الربح المادى فهذه المؤسسات وان كانت عزيزة علينا لا يفيدنا كثيرا ، اذا كانت لا تقصد الى أكثر من

تكديس الملايين أرباحا وأموالا احتياطية لمساهميها ، بل لا بد أن نعرف مكانها فى المجتمع ونجعل نصب عينيها أن تؤدى وظيفة الاستجابة الى توفير حاجات الناس والى المساهمة فى اقامة أساس التضامن الاجتماعى

واذا كان رأس المال ضروريا للانتاج ، فلا بد الا تنسى هذه المؤسسات ان العمل هو الذى يخلق الثروة من المال . فلا بد أن يصيب العمل نصيبه العادل من الاجر وان يقنع المال بنصيب مناسب فقط من الارباح لا مغالاة فيه ، نصيب مناسب لا يتعدى الحد المعقول للربح

فان المال ليس سوى مقدرة سلبية لا تصبح ايجابية الا بالعمل . وكذلك يجب الا تنسى ان للمجتمع بصفة عامة حقا فى نصيب من الربح يعود الى الدولة فى صورة ضرائب لكى تتمكن الدولة من القيام بالخدمة العامة فى الصحة والتعليم وانشاء الطرق والانشاءات اللازمة للرى وتوفير مياه الشرب واذاعة الاضاءة وغير ذلك

وهناك مسألة أخرى وهى ان الضرائب على الارباح لا تكون عادلة اذا كانت عبارة عن نسبة مئوية ثابتة فان الارباح الكثيرة اذا ذهبت الى الافراد انما تصرف فى سبيل الترف الذى لاجدوى منه للفرد ولا للمجتمع بل تكون وسيلة لترف قد يعود على الفرد والمجتمع بأشد الاضرار ولهذا كان لا بد من أن تكون الضرائب تصاعدية فتزيد كلما زاد الدخل وبعد عن مستوى الحاجات الضرورية للحياة

ولن نرضى مصر فى المستقبل بأن يباح للاثرياء ان يورثوا أبناءهم كل ما جمعوه من الثروة فى حياتهم فان توريث الثروات الضخمة للابناء ، لا يدع مجالا للفرص المتساوية للناس فى أعمال الحياة ، بل يؤدى الى تكديس المال عند أفراد قلائل ويغل يد المجموعة عن الاصلاح الذى يشمل الناس جميعا فلا بد أن تفرض على التركات ضرائب ذات قيمة وان تزداد تلك الضرائب كلما زادت قيمة التركات وبعدت عن المستوى المعقول الضرورى لحاجات الورثة

فاذا استطعنا أن نقلل من نصيب الاموال من أرباح المؤسسات وان نزيد من نصيب العمل من تلك الارباح ، واذا فرضنا الضرائب التصاعدية على الدخل والتركات أمكن للدولة أن تجد الاموال التى تمكنها من القيام بالخدمات العامة التى أصبحت اليوم من واجباتها الضرورية وعند ذلك تقل الفروق بين أعضاء المجتمع الواحد ويزول جانب كبير مما يسبب الشقاء والآلام للملايين الذين لا يجدون ما يكفيهم للوفاء بالحاجات الضرورية للحياة

بهذه الطرق وأمثالها يمكننا أن نعالج الخلل الذى يشكو منه مجتمعنا كما تشكو المجتمعات الأخرى وبهذه الطرق وأمثالها نقابل الثورة الكامنة فى هذا العصر ونتحاشى الكوارث التى تهدد كيان المجتمع الحديث

محمد فريد أبو حديد

همومُ الأنثى ..

بقلم السيدة بنت الشاطىء

« ابنتى أمينة . .

كتبت هذا ، وأنت أمامى تبسمين ناعمة فى مهدك ، فأدركت أن من هموم الأنثى ما لا تطيب بدونه الحياة ، وأن منها ما يرتفع بها الى مرتبة القداسة فيجعل الجنة تحت قدميها . . بنفس أبويك يا ابنتى أن يعيناك على حمل « الأمانة » ، وأن تظل لك تلك الابتسامة المشرقة أبداً . . [أمك]

لكلمة « الهموم » فى زماننا هذا ، مدلول ضيق محدود يكاد يقتصر بها على ما يشغل الانسان من متاعب وأحزان ، ولكنها فى الأصل اللغوى ذات مدلول أوسع من هذا وأعم ، إذ هى تتسع حتى تطوى الأعباء والمسئوليات والشاغل والآلام والأحزان ، وكل ما يهم الانسان ويعنيه . . ونحن هنا نتمثل هذا المدلول الواسع حين نتحدث عن « هموم الانثى »

***

وأبادر فأقرر أن حديثنا اليوم لا يحمل طابع الشكوى . ولا يتجه الى إصدار الأحكام ، وانما هو تسجيل مجرد لظواهر الهموم عن حياة الأنثى ، تسجيلا بعيداً عن أى تقدير خلقى أو تفسير اجتماعى

***

هنالك من هموم الحياة قدر عام يشترك فيه الرجل والمرأة جميعاً ، فكل منهما يدفع ضريبة الحياة قاسية باهظة ، وكل منهما معرض لمتاعب العيش وأثقاله . وليس منهما من يجد ضماناً ضد المرض والعجز ، أو الهزيمة والخيبة ، أو اليتم والثكل والترمل . ونحن نخرج هذه الهموم المشتركة من حديثنا الآن ، وان كان شعور المرأة بها أقسى وتأثرها بها أشد ، بما جبلت عليه من دقة الحس ، وقوة العاطفة . وحدة المزاج ، وسرعة الانفعال

***

حياة الانثى مثقلة بهموم كبار ، وهى تبدأ من طفولتها الباكرة ، إذ تسيء الدنيا استقبالها وتتلقاها كارهة إلا فى القليل النادر

وليس يعنيها من سوء الاستقبال ، عراقة أصلها ، أو ثقافة أبويها ، أو غنى آلها وذويها ، ففى القصر والكوخ ، وفى البادية والحضر ، وفى الشرق والغرب جميعاً ، تخرج الانثى الى الدنيا

غير مرغوب فيها ، ولو نشأت فى بيئة نجحت بناتها وخاب بنوها فالقوم لا ينتظرون بها الأيام ليعرف مكانها من الدنيا ، وحظها من الحياة ، وانما يتلقونها منذ اللحظة الأولى واجمين كارهين ، وأنا أعرف أسرة أنجبت فتيات أربعاً ناجحات ، مع أخ لهن خائب متعطل ، وقد ساءها مع ذلك أن تولد لها أنثى ..

ومن العجب أن الأم « الانثى » ـ على ما بها من بر الأمومة وحنوها ـ تشترك مع القوم فى هذا الاستقبال الكاره وان اختلفت بواعثه عندها ودواعيه . وقديماً حزنت « امرأة عمران » حين وضعت طفلتها « مريم » ـ عليها السلام ـ واتجهت الى خالقها تقول فى ألم وتحسر : « رب إنى وضعتها أنثى . . وليس الذكر كالأنثى ! »

ولعل الأم فى ذلك انما تكره لوليدتها حياة الانثى ، بعد الذى بلته من أمرها ، وذاقته من أعبائها

وقد عرض « القرآن » صورة قوية رهيبة للاستقبال غير الكريم الذى كانت الأنثى تستقبل به فى الجاهلية : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه فى التراب ؟ »

ولقد مضت الجاهلية العمياء ، وانجاب عن الناس ظلامها ، وذاعت فيها تعاليم الاسلام الذى كره هذا الظلم وكره فيه حين قال بعد الذى روينا : « ألا ساء ما يحكمون » ومع ذلك ظلت الصورة الاولى تتراءى حتى اليوم بلونها القاتم ، وان أحاطتها المدنية باطار زاه براق . وإنا لنلمح ظلالها الكابية فى أغانينا الشعبية التى تسجل حفلة استقبال المولودة الانثى ، وذلك فى مثل قولهم على لسان الام :

لما قالوا دا غلام — انشد عظمى وقام
وجابوا لى البيض مقشر — وعليه السمن عام
ولما قالوا دى بنيه — انهد ركن البيت عليه
وجابوا لى البيض بقشره — وعليه السمن ميه

وقولهم فى أغنية أخرى :

لما قالوا دا ولد — انشد حيلى وانسند
ولما قالوا دى بنت — قلت ليله زى الزفت
اللى اتعشى نقد بعشاه — وأبوها بيت فى البشت

وللريفيين عندنا أسلوب قاس موجع فى التهنئة بالانثى يبدأونه بالتهنئة بسلامة الام (وصحتها بالدنيا) ويعقبون عليها داعين للوليدة بالبقاء « وان شا لله تشيل اخوتها الصبيان ! »

* * *

فاذا ما اجتازت الأنثى مرحلة الطفولة ، استقبلتها الحياة فى صباها بألوان من الهم والعناء ، ولسنا نتحدث هنا عما تعانيه عندنا من قلق بسبب اضطراب الرأى فى تعليمها وتوجيهها ، وما يثار حولها من مشكلات طارئة مستحدثة كالحرية والاختلاط ، وانما نشير إلى الهم الذى عانته منذ الأبد وتعانيه اليوم وغداً وبعد غد ، فهى لا تكاد تستكمل نموها وتبدأ شعورها بالحياة ، حتى تجد مكانها قلقاً فى بيت أبويها وهما أقرب الناس اليها ، فتضطر راضية أو كارهة — الى أن تشغل فى صباها بعدّ الأيام والساعات — وياما أطولها — فى انتظار الذى يحملها الى بيت الزوجية

وفترة الانتظار هذه قاسية على الفتاة وبخاصة عندنا فى الشرق ، فأبوها ضجر بمقامها مستثقل عبئها — وأمها الى جانبها مشفقة من طول انتظارها ، والأهل والأصدقاء ، ملحون فى الدعاء لها بأن يهيء الله لها « ابن الحلال » الذى يمضى بها الى بيت الزوجية

وتنظر الفتاة أمامها فاذا « الغد » مبهم لا تدرى كيف ، ولا متى ، ولا أين ، يستقر بها مكانها فى الحياة . . .

ثم تنظر فى نفسها ومن حولها ، فتجد أنها لا تملك من الأمر شيئاً

وهنا تبدو المشكلة الكبرى فى حياة الأنثى ، تلك المشكلة التى تتعقد أحياناً حتى تصير مأساة فمسألة الزواج بالنسبة اليها مسألة حيوية بالغة الخطر ، وهى مع ذلك لا تملك أن توجهها كيف شاءت ومتى شاءت ، بل لا تملك أن توجهها على صورة ما . ويخطىء الذين يظنون أنها تملك شيئاً من الامر ، بما لها من حرية اختيار محدود بظروفها ، مقيد بالأشخاص الذين يتقدمون اليها وهو — على هذا الوضع — لا يكاد يبدو فيه اختيار . . .

ويزيد فى خطر الأمر ، أن الأنثى عاجزة تماماً عن احتمال الحياة اذا أقفرت من الزوجية والأمومة ، على حين يستطيع الرجل أن يمضى رحلة الحياة غير متزوج، أفليس من الهم حقاً أن ترهق حياة الأنثى بالزواج ، وأن تكون الأمومة وظيفتها الطبيعية، وغايتها المقررة بحكم الفطرة ، ثم لا يكون فى يدها من الامر شىء ؟!

ثم ان الأنثى تقوم « فى سوق الزواج » بأمور ليست فى يدها ، وأنا أستعمل هذا التعبير التجارى على كره منى ، إذ هو — مع الاسف — أصدق تعبير فى هذا المجال

واذا كان الرجل يستطيع أن ينال مركزه الطبيعى من الابوة والقيادة بثقافة يكتسبها أو ثروة يكسبها ، فان المرأة لا تستطيع أن تنال مركزها الطبيعى الحيوى بتلك الامور التى تكتسب بالسعى أو تشترى بالمال

العامة تقول : « الرجل عيبه جيبه » أما الانثى فتقوم بالجمال وهو هبة من الله ، وبسلامة الانوثة وهى مسألة الطبيعة ، وبالجاذبية وهى حكم الأذواق ، وبالشباب وهى لا تملك أن تمسك به حتى يستقر بها المقام ، وبالنضارة وهى لا تستطيع أن تحميها من أعاصير العيش وسموم الهموم

وهى بعد تسأل ـ دائماً ـ عن ضعة أصلها ، وفقر أبويها ، وتحاسب على أخطائهما ، على حين لا يسأل الرجل ـ فى الغالب الأعم ـ ولا يحاسب إلا على ما كسبت يداه . . .

إنهم لا يغفرون ضعة الاصل فى الانثى مهما تبلغ شخصيتها من السمو ، على حين يحسب للرجل أن ينجح مع ضعة أصله ، فالمسألة ـ للانثى ـ وراثة والعرق دساس ، وهى ـ للرجل ـ عصامية تستحق التمجيد ! !

***

واذا ما اجتازت الأنثى مرحلة الانتظار ، ومضت الى بيت الزوجية بوجه ما ، انتظرتها هناك هموم ثقال . ولسنا نعنى هنا أعباء ادارة البيت ومطالب الحياة الزوجية ، فهى جميعاً مما يستطاع حمله ويهون احتماله ، وانما نشير الى نضال الأنثى فى سبيل الاحتفاظ برجلها وحماية بيتها من التصدع والانهيار . . . وهو نضال مر قاس طويل ، يزداد على الأيام مرارة وقسوة . فالزوجة ـ فى أول عهدها بالزواج ـ تجد من قوتها المذخورة ، وشبابها المتفتح ، وتخففها من أعباء الأمومة ، ما يعينها على ذلك النضال ، حتى اذا تقدمت بها الأيام . فلت أسلحتها تلك بما تفقد من نضرتها وجدتها ، وما تبذل لأبنائها على حساب زوجها ، وعاد النضال فى ذلك السبيل يقتضيها جهداً غير هين ، ويكلفها ثمناً غير قليل . . .

على أن هذا الهم لا يقاس بهم آخر أدهى منه وأمر ، وهو اضطرار الأنثى أحياناً الى احتمال ذلك العبء مع زوج لا تحترمه ولا تطمئن الى سلامة رجولته . هنا تمسى الحياة لمثلها جحيما لا يحتمل وعذاباً لا يطاق ، وكلما تعذر الفكاك منها زاد هولها ، وما أكثر ما تسد سبل الفرار على الزوجة ! إنها قد تجد مخلصاً بالطلاق ، ثم تعود فتمسكها اعتبارات قاسية من أمومة أو عرف أو أوضاع . وقد تلتمس مخرجاً بالاباق ، ثم تحجم عنه لصرامة العقاب الذى يحكم به المجتمع على الزوجة الآبقة ! وضحايا هذا الهم كثيرات ، يتستر بعضهن بالتجمل ويعتصمن بالصبر والمداراة ، على حين ينوء بعضهن بالعبء فيندفعن الى التمرد الخاسر ، أو تتمزق أعصابهن وتمضى بهن الى ما يشبه الجنون !

***

وندع هموم الزوجية جانباً ، لنتحدث عن هموم الأمومة وأعبائها . وليس غير الامهات من يعرف أثقال الحمل وآلام الوضع ، وتكاليف الحضانة والرضاعة . إنها أثقال لا توزن ، وآلام لا توصف ، وتكاليف تدفعها المرأة من دمها وأعصابها وقواها ونضرتها . وهى تحتمل تلك الهموم فى صبر فذ ، ولو استهدفت حياتها للخطر

وربما ظن أن المرأة تستطيع أن تعفى نفسها من أعباء الزوجية وهموم الأمومة ، ولكننا لا نعرف امرأة تفر من هذه الاعباء والهموم ، إلا أن يكون بها شذوذ أو انحراف ، بل إنها لتسعى الى التماس نصيبها منها ، وتشقى اذا أعفيت من أثقالها ، لعقم أو أى سببٌ سواه !

وأخوف ما تخافه الأنثى ، أن يقضى عليها ــ لسبب ما ــ بالحرمان من الزواج مهما تكن ظروفها وشخصيتها . وكل أنثى قد عانت هذا الخوف فى صحوة شبابها ، وامتلأت رعباً وفزعاً كلما لاح لها على الأفق البعيد شبح « العانس » يهددها بما هو شر من الموت !

ويرحم الله من يكتب عليها مثل تلك النهاية الأليمة ! إنها تتلفت حواليها تلتمس العون فلا تجد إلا السخرية والازدراء ، وأقصى ما تطمح اليه أن تظفر برثاء أهلها لها وإشفاقهم عليها ، وويل لمخلوقة تعيش بالرثاء والاشفاق

ومهما تجملت « العانس » بالصبر ، فان أشواقها الى الأمومة تضنيها ، ومكابدة الظمأ على غير أمل فى الرى تحرقها وتفنيها ، ومعاناة الحرمان مع اليأس من الظفر ، تهلكها وتذيبها ، ثم تعاجلها ــ قبل الأوان ــ شيخوخة كئيبة مرعبة لا تشبه بحال ما ، تلك الشيخوخة الهادئة الوقور التى تتمتع بها الامهات فى أخريات حياتهن ، والتى تؤنسها الذكرى ، ويرويها الشعور بالشبع والرى ، والاحساس بالراحة بعد قطع مراحل الحياة . . .

***

وتتعرض « العانس » فى ذلك الدور من حياتها لخطر عصبى يزداد حتى يبلغ مداه فيضطرب أمرها وتفقد توازنها ، على أنها إن نجت من ذلك الخطر فلن تنجو من حذر الزوجات والامهات منها ، وخوفهن على الازواج والابناء من « عينها » مهما يكن حظها من الطيبة والوداعة . وفى انجلترا تحذر أكثر الامهات من استخدام العوانس مربيات لأولادهن ويفضلن عليهن الارامل ، أو أية امرأة أخرى ذاقت طعم الامومة على لون ما

والحزن ألا تملك الانثى أن تدفع عن حياتها ذلك الخطر ، والذين يقولون إنها تستطيع أن تفر منه بالزواج من أى شخص ، ينسون معنى الزواج الذى كانت آية الله فيه : « أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. »

ثم هم لو ذكروا المثل القائل : « البوار ولا جواز العار » لقدروا دقة الأمر وخطورته بالنسبة الى الانثى ، فهى مرغمة أحياناً على أن ترضى بالهلاك ظمأ حين لا تجد الا الماء الآسن الذى تعافه نفسها . .

***

ويتحدثون هنا عما تستطيعه الفتاة الحديثة من حرية تملك معها أن تمضى فى الحياة مستقلة بأمرها ، غنية عن الخضوع لمتاعب الزوجية وهموم الأمومة ، قادرة على تخفيف وحشة «العنوسة» والتغلب على ما فيها من ضجر وملال ، وهو حديث خرافة « يا أم عمرو ! » أو هو أكذوبة كبيرة فى حياة المرأة المعاصرة

والفتيات اللائى بلون الحياة العاملة خارج البيت ، وذقن أمجاد الظفر فى سباقها ، وملأن

أيديهن بالمال المكتسب بجدهن وسعيهن ، هؤلاء الفتيات يشعرن أن هذا كله ـ ومثله معه ـ لا يبرىء فتاة سليمة الفطرة من أشواق الأمومة ، والحنين الى مأوى مستقر فى ظل بيت كريم . ولقد خدع بعضهن وكبت فى أعماقه هذه الاشواق وخنق فى صدره ذلك الحنين ، فماذا كانت النتيجة ؟ هل سلمت لهن هذه الحياة الهادئة على ما فيها من كبت وحرمان ؟ ؟ لا ولا . . فلم تعف واحدة منهن من ألسنة الشر وأعين السوء ، إنها أبداً حديث الناس ـ ومطمع الغواة ما بقى فيها رمق ، حتى اذا نضب منها ماء الشباب ـ وسرعان ما ينضب ـ انضمت الى موكب العوانس ، وأمست حياتها قطعة من الضجر والعذاب ، ولم يشفع لها فى محنتها ما ظفرت به من مجد وما كسبت من مال ، بل ان هذا المال يغدو سوط عذاب يلهب روحها حين لا تملك أن تشترى به ما حرمته . أو تجد به نفسها التى أضاعتها ، كما يمسى ذلك المجد الموهوم ، شاهد مأساتها ، إذ دفعت فطرتها ثمناً !

ولقد شهدت بعينى كثيرات من ضحايا هذه الخرافة ، ووقفت أرقبهن وهن يهربن من أنفسهن بالكذب عليها وتعليلها بالاوهام ، ثم قدر لى أن أشهد المصرع الرهيب الذى ينتظر الواحدة منهن فى نهاية الطريق ، حيث تناد عن موكب الحياة ، وتخلى بينها وبين حرقة الندم والأسف ، ومرارة الخيبة والقهر ، ولوعة الظمأ والحرمان . .

وأقسى الناس على مثلها إذ ذاك ، من دأبوا على تملقها وخداعها ، وافتنوا فى استهوائها بأضواء الشهرة الكاذبة والظفر الخاسر ، وان منهم من يرفع اليها آيات التقدير لمواهبها ، والاعجاب بنجاحها ، والإيمان بفضلها وخلقها ، حتى اذا انفض السامر من حولها ، أطلق لسانه فيها ، وخاض فى أمرها مع الخائضين

***

وبعد فهذه هى المعالم الكبرى للهموم فى حياة الانثى ، صورنا جوانب منها وان وراءها لهموماً أخر يعانيها الحى ما بقى حياً . .

على أن هذه الهموم وتلك ، تجملان « الحياة » نفسها هم الهموم ، وذلك قول الشاعر البدوى قديماً :

« وحسبك داء أن تصح وتسلما »

وأنا بعد حريصة على أن أقرر أن الانثى ـ وإن كان نصيبها من تلك الهموم أوفر وأقسى من نصيب شقيقها الذكر ـ لا تأبى حمل « الامانة » ولا تتردد فى احتمال عبئها احتمالا نادراً يتوجها أحياناً بمجد البطولة والاستشهاد ، ويرتفع بها الى مرتبة القداسة ، فيجعل الجنة تحت قدميها . . .

شوشاى — بنت الشاطىء

فرانكو يشجع مصارعة الثيران

المصارعون اليوم فى اسبانيا هم ابطال الشعب وكواكبه ، يبدأ أحدهم رياضته أو مهنته وهو فتى لا تزيد سنه على سبع عشرة أو ثمانى عشرة سنة ، حتى اذا بلغ الثلاثين من عمره نظر خلفه الى مجد مؤثل أمامه وشهرة عريضة وطدها وعدد كبير من الثيران صرعها بيده

ان مصارعة الثيران فى اسبانيا تبعث الآن من جديد ، أولا لوجود عدد من المصارعين الممتازين ، وثانيا لعناية القوم باحياء جميع المظاهر القومية وتأكيد التقاليد القديمة . وقد حرصت حكومة فرانكو منذ توليها الحكم على هذه السياسة ، فشجعت الحفلات الدينية والموالد والاسواق كما شجعت مصارعة الثيران

وانت اذا طفت أحياء مدريد ألفيت غلمانا لا تزيد سن أحدهم على السابعة أو الثامنة يتدربون على المصارعة وسط حلقة من لداتهم المعجبين المتحمسين . وفى أيام المصارعة ، وهى عادة يوما الخميس والاحد من كل اسبوع فى مدريد ، تهرع الجماهير الى بلازا دى تورو — ميدان الثيران — على حدود المدينة ، فترى قطرات الترام مزدحمة بالركاب ، وسيارات الاجرة « التاكسى » تجرى كلها فى اتجاه واحد ، وقد ركد العمل فى المكاتب وهجرت المقاهى وانتقلت المدينة كلها الى ذلك الميدان . حتى اذا حل المساء عادت المقاهى فامتلأت بالجالسين ، يتناقشون بحماسة فيما شهدوه من المصارعة ويتجادلون فى تفاصيل كل حركة من معصم المصارع

والمصارعون هم أبطال الشعب وكواكبه ، يبدأ أحدهم رياضته أو مهنته وهو فتى لاتزيد سنه على سبع عشرة أو ثمانى عشرة سنة حتى اذا بلغ الثلاثين من عمره نظر خلفه الى مجد مؤثل أمامه ، وشهرة عريضة وطدها ، وعدد كبير من الثيران صرعها بيده

والحق انها مهنة شاقة قاسية ، وان المجد فيها يشترى بثمن غال ، وما يرفع المصارع يده باحدى أذنى الثور الصريع بعد قطعها ، ليتلقى هتاف الجمهور وتصفيقه ، الا بعد لحظات رهيبة من الخطر المحدق ، وساعات قبلها فى السفر بالسيارات العامة والقطرات الريفية القذرة ، وليلة أو ليال انقضت دون نوم فى أسواق المدن الصغيرة ، وأيام أو أسابيع مضت فى المستشفى للعلاج من نطح ثور

والعادة ان المصارعين لا يصبرون حتى يبرأوا تماما من أثر تلك الجروح فان عليهم ان ينفذوا العقود المعقودة معهم ، وما على الطبيب الا أن يساعد أحدهم حتى يستطيع أن يظهر فى حلبة المصارعة . والواقع ان تمام الصحة ليس شرطا جوهريا للمصارع ، فهو انما يحتاج

الى هدوء فى الاعصاب وقوة فى الارادة ، وهما من ثمار التدريب الجاد قبل ان يكونا من نتائج الصحة والعافية . ومن عجب ان القليل من المصارعين يملكون من الشجاعة ما يجعلهم مبرأين من الخوف قبيل المصارعة ، بل ان أكثرهم يدخلون حلبتها والعرق البارد يتصبب من أجسامهم !

وتبدأ المصارعات عند العصر عادة . ويرتدى المصارعون ثيابا لا يقل وزنها عن خمسة عشر رطلا ، موشاة بالذهب . وفى القسم الاول من المصارعة ــ أو الكوريدا corrida كما يسمونها فى اسبانيا ــ يتصبب العرق منهم من الحر ، ولكن عند ما يخرج الثور الاخير الى الحلبة ــ والعادة أن يكون هناك ستة ثيران يقتلها ثلاثة مصارعين ــ يكون الظل قد غمر الحلبة ، وهب نسيم المساء العليل . وقليل من المصارعين تتاح لهم غرفة لابدال الملابس أو الاستحمام بعد المصارعة ، بل كثير منهم يتركون المكان عقبها ويركبون أول قطار ليشتركوا فى مصارعة جديدة ببلدة أخرى

ذلك ان المصارعين يتعاقدون على الاشتراك فى مباريات متتابعة ، ولا يتركون لانفسهم فراغا للراحة ، كى يربحوا أكثر ما يستطيعون من كل موسم ، وخصوصا ان كل موسم قد يكون آخر موسم لاحدهم ، وقد لا يستطيع بعده ان يصارع قط أو قد لا يخرج منه حيا ، وهم فى حاجة قصوى الى النقود ليدفعوا منها أجور الذين يستخدمونهم ــ وكل واحد منهم يتبعه نحو ستة أشخاص من المساعدين والخدم ــ فضلا عما ينفقونه على أنفسهم وعلى شراء السيوف وغير ذلك

ولا يقدر المصارع أن يعيش من دخل ثروة له ، الا اذا كان قد اشترك فى عدة مواسم للمصارعة وخرج منها سالما منتصرا . وقليل من يتاح لهم ذلك ، بل العادة ان تستنفد أجور المستشفيات و « اتعاب » الاطباء أرباح المصارعين ، ثم يبقى بعضها ديونا عليهم

وقد يبدو لاول وهلة ان مباريات المصارعة تعود على أربابها بدخل وفير . فمثلا فى آخر مصارعة « كوريدا » أقيمت فى مدريد ، واشترك فيها الاستوديانتى ومانوليتى ــ وهما أعظم المصارعين فى الوقت الحاضر ــ وجوان بلمونتى ــ ابن المصارع بلمونتى العظيم ــ بيعت التذاكر بسعر ألف بزيتا للكرسى الواحد (نحو ٢٥ جنيها) . ويقال ان مانوليتى يقبض ١٠٠٠٠٠ بيزيتا (٢٥٠٠ جنيه) عن كل مصارعة . غير ان هذا الاجر استثنائى ولا يقبض مثله أى مصارع آخر

ومانوليتى هو أبرز كوكب لمصارعة الثيران فى اسبانيا فى الوقت الحاضر . ولا يزال فى العشرين من عمره ، ولكنه لنحافته ، واستطالة وجهه ، وجد مظهره ، يبدو كأنه فى الاربعين . وأصله من قرطبة ، واسمه الحقيقى مانويل رودريجز . وقد كسب لنفسه شهرة واسعة ، والحق انه برشاقته واتزانه وهدوئه ، يمثل مصارع الثيران « ماتادور » كأحسن ما تصفه القصص . وانت اذا رأيته فى حلبة المصارعة ، يمشى اليها متئد الخطى ، وكأنه لبطئه لا يمشى ، بينا النظارة قد حبسوا أنفاسهم من الترقب ، وبينا أنفاس الثور الثائر

تكاد تلفح وجوههم بحرارتها ، وقد اختلجت عضلات الرجل الواقف عند الحاجز ممسكا بوشاحه متأهبا لكل خطر ـ أجل ، اذا رأيت مانوليتي فى تلك اللحظة الرهيبة ، رأيت خليفة أعظم المصارعين الاسبان ، أمثال ميرا أو جوزليتو أو جوان بلمونتي نفسه الذى كان أبرعهم طرا

وأدنى منافسيه اليه هو لويس جوميز ويسمى الاستودياتني ـ أى الطالب ـ لانه بدأ فى مصارعة الثيران وهو طالب طب بالجامعة منذ اثنتى عشرة سنة . واذا كان مانوليتي يبدو وكأنه ينوم الثور الذى يصارعه ، تنويما مغناطيسيا ، بهدوئه ورزانته ، فان الاستودياتني يغلب الثور باندفاعه كالسيل . وقد أصيب بجروح شديدة من نطح ثور له فى بلدة بامبلونا فى الصيف الماضى

وقد يحسب الاجنبى ان كل مصارعة لا بد أن يقتل فيها بعض المصارعين . ولكن الواقع غير ذلك فان قليلا من المصارعين المحترفين يقتلون فى الحلبة ، والاقل فى المصارعات الكبرى . وانما يكثر قتل المصارعين اذا كانوا قليلى الخبرة بالمصارعة أو حديثى العهد بها ، كما يكثر فى حلبات المدن الريفية حيث يتبارى مصارعون من الهواة وثيران بها نقص ، والعادة ان المصارعين البارعين يكونون أقل اصابة من غيرهم ، وان ذوى الهدوء والاتزان منهم أقل استهدافا للضرر والقتل من الشجعان الذين لا يكترثون للخطر

وأحسن المزارع التى تربى بها ثيران المصارعة توجد فى اقليمى اندلسية وسلمنكا ، وقد اختص بعض الأسر بتلك التربية ، يتوارثها جيل بعد جيل . ولا يقبل فى المصارعة الا الثيران الممتازة ، ويجب ان تكون قرونها ذات طول معين كما تحدده الحكومة ، وان لا يكون بها أى نقص فى البصر . كذلك يجب ان تكون شجاعة « نبيلة » ، بمعنى ان تكون مستعدة للقتال بالغريزة حتى الموت ، وان تكون أقل ما يمكن اعتيادا للناس وجاهلة كل الجهل لمن يقفون على أقدامهم . وتقضى القواعد بعدم صلاحية الثور اذا كان قد نازل رجلا أو رأى وشاحا أو نطح منازلا

(عن مجلة « نيويورك تايمز »)

ـ معنى السياسة أصلا هو الألاينة . والسياسى الذى يستعمل الشدة لينفذ مذاهبه قد فشل كسياسى — احمد شرف الدين بك

ـ تتألف الديكتاتورية من أصنام ، والديمقراطية من عبدة أصنام ، والشيوعية من أصنام تقضى وقتها فى تحطيم غيرها من الاصنام — برنارد شو

ـ اعملوا تحت لواء التسامح فيما يتهش أشخاصكم ، وفوق بركان الغضب لما يمس صوالح بلادكم — حافظ رمضان

كيف نثقف جنسيا

للدكتور مصطفى الديوانى

اخصائى أمراض الأطفال بكلية الطب

آفة الشرق خجل فى رياء . وعلته ، تعلق بالقشور دون جوهر الاشياء . الغربى يقابل الداء صريحا ويقاتله صريحا . والشرقى يوارى ويدارى حتى يسقط فى الميدان صريعا أو جريحا . مثلنا الحى فلاح القرية الذى يقتل ابنته اذا اشتم فى الجو شكا فى سلوكها ، ثم لا يستنكف بعد هذا أن يزف الى أهل القرية بشرى منديلها بدمها الاحمر القانى فى يوم زفافها . الديانات سمحة فياضة . والمثل السائر يقول لا حياء فى الدين ، ولا فى العلم ، والدين الاسلامى على الاخص يحوى تفصيلات شاملة عن كل ما يمت للعلاقة الجنسية والزوجية بصلة . ففى آياته البينات نجد المبدع والمطرب عن الجنسيات كالزواج والحيض والنفاس والجنابة وكلها مفصلة تفصيلا رائعا فى اسلوب سماوى يوحى بالخشوع والخضوع دون أن ينبه فى النفس الغرائز البهيمية التى تخشاها طائفة المترددين من علماء التربية. لقد حث النبى محمد صلى الله عليه وسلم على تعليم الدين للمرأة والبنت والرجل على حد سواء ، ولم يقل أبدا استبعدوا من تعاليمه ما قد تخجل الفتاة من ذكره . فما أحرانا وقد مضت على وجود هذه العقلية الحيارة الفذة حوالى الاربعة عشر قرنا أن نتتبع باخلاص وروية ما ورد فى تشريعنا السماوى الذى لو نفذنا تعاليمه بدقة منذ نزل على الرسول لكان للعالم العربي شأن أى شأن ، ولكننا للاسف تمسكنا منه بالقشور دون اللباب

***

كنت منذ أكثر من عشر سنوات اتصفح عددا من مجلة الهلال فرأيت صورة لمدرسه فى بلدة انجليزية عمد رؤساؤها ان يجزعوا الطلبه ـ فتيانا وفتيات ـ من ملابسهم ، فيتلقوا علومهم فى الهواء الطلق عرايا لا يستر عورتهم حتى ورق التين ، وقيل وقتئذ ان الحكمة فى هذا هو تقوية الجسم وترويض النفس على مقاومة الغرائز البهيمية التى تثور وتفور كلما وقعت العين على ما خفى من الجسم البشرى . وكنت اتتبع فى ذاك الوقت تطور التثقيف الجنسى فى عالم الادب الانجليزى وكيف عمد الكتاب والكاتبات الى الصراحة فى ارشاد الشعب الى أسرار الحياة الجنسية وعلاقتها بالسعادة الزوجية ، وتبعتهم الحكومة فى

هذا الميدان فافتتحت عيادات خاصة فى مختلف انحاء البلاد يلجأ اليها الأزواج والزوجات مسترشدين بالاخصائيين فى كل ما يعرض لحياتهم الزوجية من مشكلات وصعاب . كنت كلما قرأت هذه التفاصيل أعجبت وعجبت ، أعجبت بهم كشعب يواجه الحقائق بلا خجل ولا حياء . وعجبت هل جرفتهم هذه الاباحية فى تيار نسوا فى أمواجه المتلاطمة تعاليم الاخلاق والدين والمبدأ . ثم شاءت الظروف أن أمضى فى انجلترا فترة من الزمن فراعنى واعجبنى احترامهم للكنيسة والدين . قل ان يقصر انجليزى فى الذهاب الى الكنيسة يوم الاحد ، هم أكثر منا تدينا وتمسكا بتعاليم الدين . ولقد تمسكوا بتقاليده واصوله حتى فى حربهم الاخيرة مع عدو غاشم لم يرع فى حربه مبدأ ولا دينا . . وانما ضربت المثل بالشعب الانجليزى لانه أكثر الشعوب هدوءا ومحافظة على التقاليد ، ولا يسمح لفكرة جديدة ان تنتعش وتزدهر الا بعد أن يدرسها دراسة عميقة ويدرس احتمالاتها القريبة والبعيدة . لقد بدأوا سياستهم الجنسية الجديدة بعد حوالى الربع قرن من الزمان ، فلا غضاضة ان نبدأها نحن بعد أن ثبت لهذا الشعب المحافظ أن لا خطر منها على شعب يتمسك بأصول الدين وتعاليم الله

***

والآن وقد كدنا نتفق على المبدأ ، فلا بد أن ينشب بعض الخلاف على من يبدأ . سيقول الوالد اعفونى من هذه المهمة العسيرة فالمدرس أكفأ من يقوم بها . وستصيح الأم قائلة يا ويلتاه كيف اصارح ابنتي بسر الحياة وهي بعد يافعة فتتفتح أمام عينيها مغاليق الغريزة الجنسية فتندفع فى تيارها قبل الأوان . وسيعجب المدرس كيف تلقى على كتفيه مهمة دقيقة كهذه كان أجدر بالوالدين ان يضطلعا بها . يا للخجل ! كيف اتحدث عن (الجنس) للفتى والفتاة دون ان تصطبغ خداى بحمرة الحياء ، ودون أن يتهامس التلاميذ ويتغامزوا ويبتسموا فى خبث ودهاء

والواقع ان سر التردد فى القيام بهذه المهمة يرجع الى ثلاثة عوامل : أولها الخجل ، وثانيها الجهل بطريقة تقريبها الى الاذهان ، وثالثها الاعتقاد السائد بأنه يحسن تأجيل هذا التثقيف الجنسى الى أبعد حد مستطاع لان الجهل بتفاصيله دليل على البراءة والالمام بها مجلبة لسوء الخلق . وانى اتخيل الطفل - نتيجة ترددنا - واقفا عند مفترق طريقين لا ثالث لهما ، يمثل أحدهما العلم الصحيح النظيف الذى يلقنه اياه العالمون ببواطن الامور كالوالد أو المدرس ، ويمثل الآخر المعلومات المشوهة الناقصة التى يلتقطها من أفواه أصدقائه بالمدرسة وخدم المنزل بأسلوب أبعد ما يكون عن التهذيب ، فتتولد فى ذهنه فكرة مشوهة عن روحانية الحب والعلاقة الجنسية

ويجب أن يكون التثقيف الجنسى تدريجيا بحيث يختلف مع أدوار الحياة المختلفة من

الطفولة الى الشباب . وفى الغالب يكون حب الاستطلاع هو الذى يدفع بالانسان الى التساؤل عن بعض ما يمت الى الغريزة الجنسية بصلة . ويحسن ان نستبق الحوادث بأن نمهد للشخص سبيل المعرفة قبل أن يواجه الوقائع . فالولد مثلا يجب ان يعرف ما قد يحدث له من تطورات فى سن معينة كتغير الصوت والاحتلام وغيرهما حتى اذا ما جربها بنفسه لا تتولد فيه حيرة مؤقتة وروح من القلق تدفعانه الى التساؤل عن سر ما حدث من أشخاص قد يعطونه أخطأ المعلومات . وكذلك الفتاة فانها يجب ان تعلم تطورات البلوغ الجسمية والنفسية وان مهمتها فى الحياة ان تكون أما تحافظ على الجيل المقبل ويجب ان تحدثها الام أو المعلمة فى صراحة تامة عن اسرار جسمها وخاصة أعضائها التناسلية . فيجب أن تعرف مثلا عند اقترابها من دور البلوغ كيف تحافظ على نفسها من عبث العابثين وان فى المكان المقدس من جسمها سر نضارتها وطهارتها وشرفها وان المحافظة عليه وعلى الغشاء الذى يحميه هو الذى يرفع قدرها ويجعل الجميع ينظرون اليها نظرة كلها اكبار واجلال . يجب ان تفهم أن مهمتها فى سبيل حفظ النسل هو افراز البويضة وان الجنين يتكون بتقابلها مع افراز آخر من جانب الرجل . يجب ان تعرف ان افراز الرجل مكون من حيوانات صغيرة لها قدرة عجيبة على الحركة وانها اذا استقرت على الشفرتين الخارجيتين تمكنت ، بما حباها الله من قدرة على الحركة ، من التسلل الى داخل الرحم فيؤدى تقابلها بالبويضة الى الفضيحة الكبرى وهو الحمل غير الشرعى . اذا علمت الفتاة هذا تجنبت ممارسة أى عبث سطحى خارجى قد يغريها فى سبيله شاب طائش . وكم من فتيات لم يمس غشاء بكارتهن بسوء وجدن انفسهن فى مأزق حرج ينتقلن من طبيب الى طبيب متوسلات راجيات التخلص من حمل نتج عن عبث سطحى طارىء.

***

اما الطفل الصغير فيمكن تقريب الامور الى ذهنه بتطبيقها على الحيوان أليف بالمنزل أو بميلاد طفل جديد . وقد يدفعه حب الاستطلاع الى ان يتساءل « كيف ولدت يا أماه ؟ » ، وهنا يجب ألا تحاول الام تحويل مجرى الحديث أو المراوغة لكي تتجنب الاجابة على سؤال محرج ، أو ضرب طفلها محذرة اياه من العودة الى مفاتحتها فى هذا الموضوع ، بل يجب ان تأخذه بالحسنى وتتدرج به فى سبيل التفاهم بخيال قريب الى ذهنه وبعيد عن اللفظ النابى . يمكنها ان تقول له مثلا « ان الله أمرنى وأباك ان نصنعك كما الهم غيرنا باختراع الراديو والتليفون ، فانت الهام من الله وسر وجودك يتعلق بثلاثة : الله ووالدك وأنا ، فاذا أردت ان تعلم شيئا عن سر مولدك فاياك ان تتحدث الى أحد غيرنا نحن الثلاثة أياك ان تسأل الخادمة مثلا فانها تجهل هذا السر المقدس واياك ان تفاجىء ضيفا بهذا السؤال فانه لم يحضر الجلسة السرية التى عقدها الثلاثة المسئولون عن حياتك » ان الطفل اذا لم يجد صدرا رحبا من والدته لجأ الى خادمة المنزل يسألها نفس السؤال فتجيبه بلهجة

بعيدة عن التهذيب عن هذا السر المقدس وتعطيه فكرة مشوهة عن قدسية العلاقة بين والديه

ولقد أجمعت الآراء على ان انتشار التشرد فى مصر راجع الى كثرة النسل بين طبقة الفقراء ومتوسطى الحال . فلماذا لا تعلم عامة الشعب وسائل بسيطة لتحديد النسل يمكن تلقينها اياهم فى مراكز رعاية الطفل وبذلك يمكن انقاذ الطفولة المشردة بطريقة سهلة عملية هى خير وأجدى من انصاف الحلول التى تلجأ اليها الهيئات الحكومية وغير الحكومية كجمع الاطفال من أرصفة الشوارع وايداعهم فى ملاجىء سرعان ما يملونها أو يهربون منها . وكذلك يدفع السيل الجارف من الاطفال الهيئات المسئولة الى بعض التغاضى لان المجال لا يتسع لايواء هذا العدد الذى لا نهاية له . وبذا تترك فى مواخير المجتمع خميرة تكفى دائما لبدء الشر من جديد

ان الصراحة فى الجنس هى التى تنقصنا لتنضج نفوسنا وتهذب . وفى التثقيف الجنسى وقاية من كثير من شرور الحياة . ولم تندم قط أمة أباحت الصراحة الجنسية لعلمائها وكتابها يتحدثون بها الى افراد الشعب . والقرآن الكريم يتحدث عن جميع مشاكل الجنس والزواج فى صراحة وتعمق بليغين فلماذا نخدع انفسنا ونحرم ما أحله الله فى كتابه الكريم

مصطفى الديواني



الكرامة

الكريم على الناس ، هو الكريم على شخصه

وانه لتفريق من غير مفرق ، أن يفرق الناس بين الكرامة القومية للبلاد ، والكرامة الشخصية للافراد ، أو الكرامة الحزبية للجماعات ، اذ الكرامة كل لا يتجزأ . .

ومن هانت عليه نفسه وكرامته ، هانت عليه أسرته ، وهانت عليه حزبيته ، وهانت عليه أمته !

ومن ثم كان أشد الناس تفريطا فى حقوق بنى جنسه ، هو المفرط فى حق نفسه !

ولقد قيل فى مأثور الحكم والامثال، ان سيد القوم خادمهم ، ولكن هذا المثل لا يصح فى مغزاه ، ولا فى مبناه ، اذا ما اتخذ الخادم لنفسه نفسية الخدم . . بل الشرط الاول والاساسى ، فيمن يخدم الناس ليكون بينهم سيدا ، ألا يخدمهم بحيث يكون بينهم عبدا !

« حكيم »

عن كتاب « المكرميات »



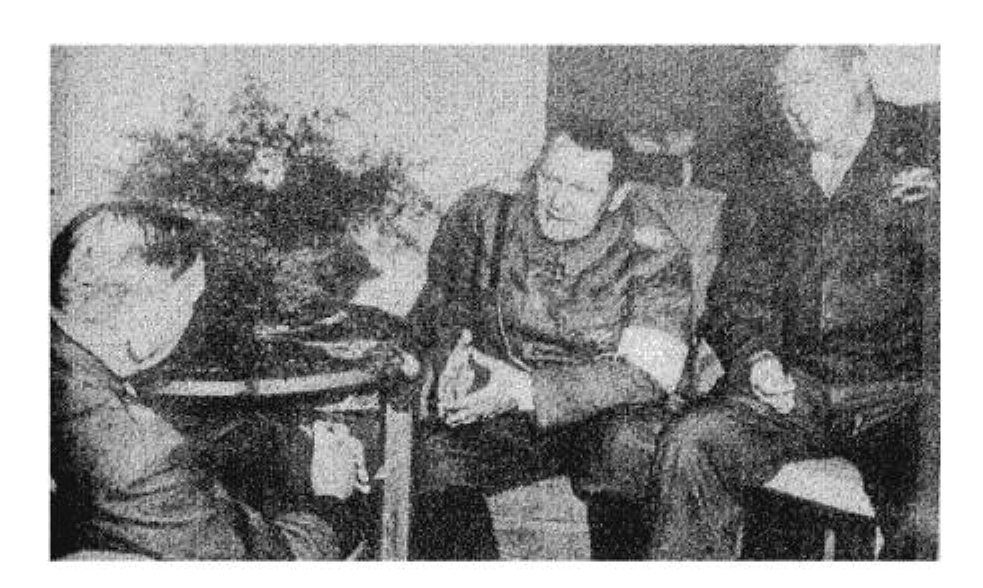
فون كيتل يستمع إلى ما يفرضه الحلفاء على ألمانيا من شروط وعقوبات

نهاية الحرب

بعد خمسة أعوام وثمانية أشهر سكتت طلقات المدافع فى أوربا ، وسقط زعماء النازية بين قتيل وأسير ، وتم توقيع الوثائق الرسمية الخاصة بالتسليم يوم ٩ مايو ، واحتفلت معظم شعوب العالم بانجلاء الغمة وعودة السلام بعد أن ذاقت من أهوال الحرب ما ذاقت . . ترى هل يدوم السلام ؟

فى نهاية سنة ١٩١٨ حينما وضعت الحرب العالمية أوزارها قال لويد جورج « دعونا نحتفل بانتهاء الحرب التى هى خاتمة الحروب » ، فلم ينقض غير ٢٠ عاماً حتى اشتعلت أوربا بالنار من جديد واندفعت فى حرب أشد من سابقتها هولا

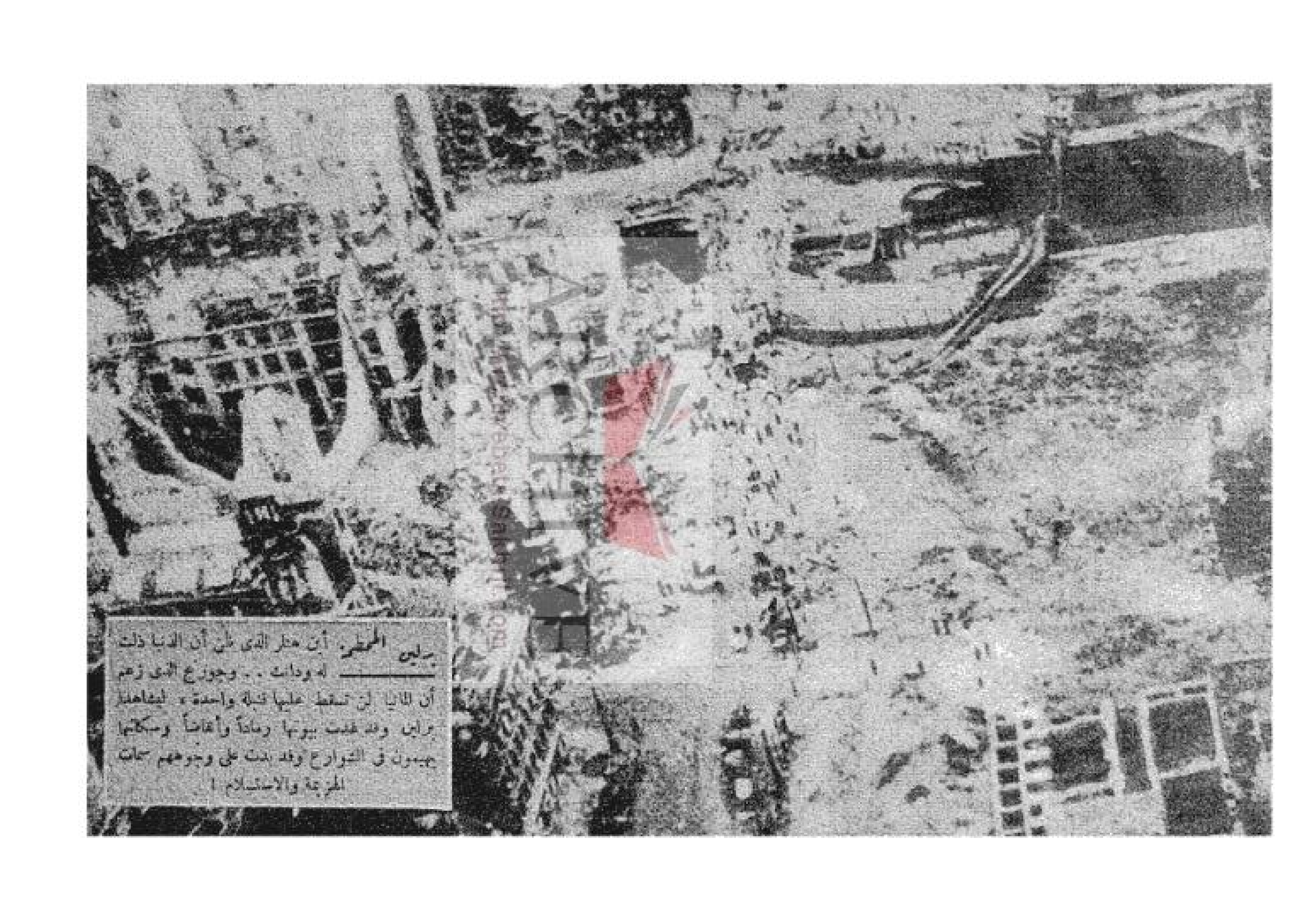
فى ١٠ مايو تم توقيع الصلح وسعى المارشال كيتل القائد الأعلى للقوات الألمانية إلى مقر قيادة الحلفاء ، ورفع عصا المارشالية — كما يبدو فى الصورة — للتحية ، ثم تناول القلم ووقع وثيقة الاستسلام بعد أن تحطمت كبرياؤه



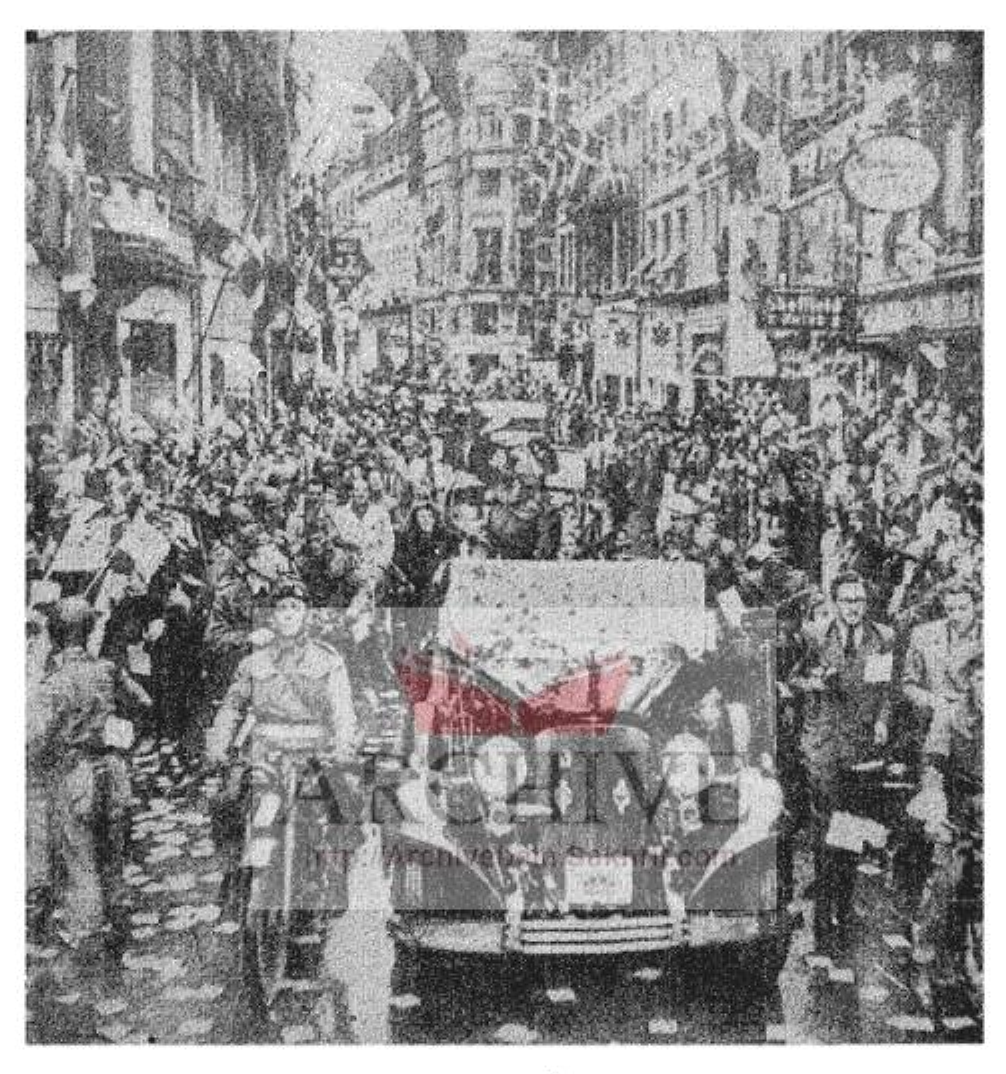
وأخيراً وقع جورنج أسيراً فى قبضة الحلفاء . . ويبدو فى الصورة وهو يتحدث الى الجنرال
والسكويت الأمريكي والى جانبه الجنرال ستاك وهما اللذان أسرته قواتهما فى كيتز بول بالنمسا



بعد توقيع وثيقة استسلام المانيا أقيمت حفلة كبرى ابتهاجاً بالنصر . وها هو ذا
المارشال زوكوف ومارشال الطيران السير آرثر تيدر يشربان نخب النصر

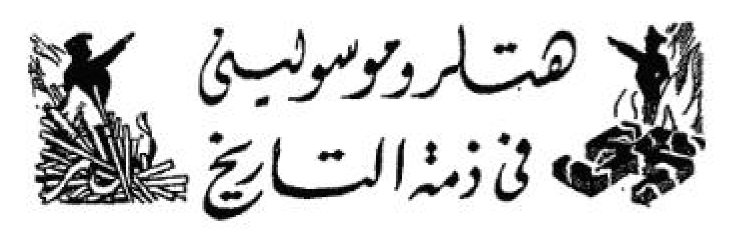


برلين الخطر. أين هتلر الذي ظن أن الدنيا ذلت له ودانت .. وجورنج الذي زعم أن ألمانيا لن تسقط عليها قنبلة واحدة، ليشاهدا برلين وقد غدت بيوتها رماداً وأنقاضاً وسكانها يهيمون في الشوارع وقد بدت على وجوههم سمات الهزيمة والاستسلام!



أفراح النصر

هكذا غصت الشوارع والميادين بالسكان يوم أن دقت أجراس السلام بعد أعوام مريرة من العناء والكفاح والانتظار ، وخرج الناس على بكرة أبيهم يحتفلون بالنصر وبمصرع النازية ويبدو فى الصورة الجنرال مونتجومرى وهو يحى الجماهير



بقلم الدكتور أمير بقطر

لست أدرى ماذا يكون حكم التاريخ على هتلر وموسولينى ، ولكنى أكاد أعتقد أنه سيكون أشد صرامة عليهما ، وأقل عطفا ، منه على نابليون

تموت الدكتاتورية ويموت معها ، بعدها أو قبلها ، زعيمها . فقد مات دلفوس وماتت معه النمسا . ومات الملك الكسندر وماتت معه يوغوسلافيا . ومات بلسودسكى وماتت بعده بولندا . ومات موسولينى ـ أو على الاصح مات ولم يدفن ـ وماتت بعده ايطاليا ـ ومات هتلر ـ أو فى حكم الميت ـ وماتت معه ألمانيا . ومات لينين ، ولا تزال روسيا حية ترزق . ولم يقم فى التاريخ زعماء جبابرة عتاة فى عصر واحد كموسولينى وهتلر وستالين . وقد وصف أحدهم موسولينى بزنبرك من الفولاذ ، وهتلر بكتلة من البروتوبلازم ـ مادة زلالية ـ ، وستالين بصخر من الصوان . وكأن نبوة هذا الوصف قد صدقت ، فقد انبرى الفولاذ ، وجف البروتوبلازم ، وبقى الصوان راسخا كالطود

ولست أدرى ماذا يكن التاريخ لكل من موسولينى وهتلر ، ولكنى لاسباب لا أستطيع تدعيمها بالادلة ، أقل تشفيا من موسولينى منى لهتلر . ولا أزال أكرر ما كتبت منذ سنوات من أن الطاغية الطلياني كان أشد ذكاء من الطاغية الألمانى ، وأكثر اتزانا ، وأشد مقدرة على الاصلاح . ولولا أن الشعب الالمانى راسخ القدم فى العلم ، عريق فى النظام والتنظيم ، فى حين أن الشعب الايطالى ضعيف الخلق ، واهن العزم ، جاهل ، بعيد عن معنى النظام والتنظيم ـ لولا ذلك لبذ موسولينى هتلر . يضاف الى هذا أن مرض موسولينى وهنه والموجة الالمانية القوية التى اكتسحته رغم ارادته ـ كلها قد هدمت من شكيمته ، وقوضت من دعائم مجده . لقد اندفع موسولينى الى عالم الشهرة كالصاروخ واحترق كالصاروخ . وقد صعد عرش العظمة بغير برنامج ، فابتكر نظاما واتبعه بحرفيته ، أما هتلر فقد نحت برنامجه بازميل المثال قبل كل شىء ، ولكنه لم يتبعه بحرفيته . وقد قضت الاقدار أن يموت موسولينى رميا بالرصاص مع خليلته كلارا ، وان يدفن معها بغير

احتفال فى مقبرة ميلانو ، بعد أن أذل وأهين ومثل بجثته أشنع تمثيل ، وقضت الأقدار الا يعرف مصير هتلر الى كتابة هذه السطور

كان موسولينى كهتلر يؤمن بمبدأ الحق للقوة ، ويعتقد أن الحرب تشفى الافراد والأمم من داء الخوف ، وتجدد فى الرجل الهرم شبابه ، وفى المرأة العجوز رغبة الرجل فيها . ولما وطد العزم على غزو الحبشة قال لشعبه عاتبا : « لو لم تكن عيوننا مصابة بقصر النظر لاستطعنا ان نرى بها من روما سهول اثيوبيا ، وجبالها ، ووديانها ! » وكان أحب الاشياء عنده روما ــ رمز مجد اجداده ــ وأسرته ، وعلى الاخص ابنته « ادا » ، والفلاح الايطالى ، والكتاب ، والطائرة ، والسرعة الخاطفة . أما هتلر ــ كسائر الالمان ــ كان أحب الاشياء اليه العظمة ، والملابس العسكرية ، والاوسمة ، وأقدام الجنود ، وهتاف الجماهير ، وحرب الاعصاب ، وقصف المدافع ، وأزيز الطيارات

وقد شهد الكثيرون لموسولينى انه كان لا يود أن يصطدم والحلفاء فى حرب . فقد كان ، عند اجتماعه بهتلر وتشمبرلن ودلاديه الوحيد الذى كان يهدىء أعصاب الفوهرر ، ويكسر نصائح روبنتروب ــ ذلك الافعوان السام الخبيث ــ وكان الوحيد الذى يفهم ثلاث لغات ــ الفرنسية والانجليزية والالمانية ــ فوق الايطالية . وكان أقل من هتلر حبا للمال والبذخ فى العيش ، فقد كان مرتبه فى أكثر السنوات لا يتجاوز ثمانين جنيها شهريا . وكان يحسب للنقود حسابا ، فقد اتصل مرة تليفونيا بهتلر عشرين مرة فمنح العاملة الالمانية جنيهين ، فى حين اننى أعرف مصريا ينفح عاملة التليفون فى الاسكندرية خمسة جنيهات ، اذا ما وصلت له الخط بعزبته فى الصعيد

بيد أن موسولينى ــ على النقيض من هتلر ــ كان كتلة من المتناقضات . فقد تلقى دروسه من لينين ، أبى الشيوعية ، عندما كان منفيا معه فى سويسرا ، ومع ذلك فقد كان أكبر أعداء الشيوعية ، وقد تلقى دروسه فى حب الطبقات الفقيرة من كارل ماركس ، ولكنه تعلم كذلك من نيتشه ان يحتقرهم ، ويضمر لهم الكراهية . ومن هذا المزيج المتنافر تكونت فلسفته التى تبدو فى نظرته الى العمل ورأس المال . وقد كان فى شبابه ميالا الى نوع من الدولية ، ولكنه عند ما تولى الحكم نادى بأضيق معانى القومية ، ومن أقواله « أنا ايطالى مزمن غير قابل للشفاء ، مؤمن شديد الايمان باللاتينية »

ومن متناقضاته أنه كان يمقت الفاتيكان والبابا ، ويعتقد أن الكاثوليكية من أساسها عدوة الفاشية اللدودة ، ومع ذلك فقد زوج الكاثوليكية للحزب الفاشى ، وابرم معاهدة صداقة مع الفاتيكان ، وركع على ركبتيه أمام البابا ، وأكثر من الصلاة رغم الحاده ، وتناول السر المقدس فى كنيسة القديس بطرس ، وأهدى ابنته « ادا » يوم زفافها مسبحة من الذهب ، وكأنه بذلك كالفيلسوف الاسبانى المتأمرك ــ جورج سنتايانا ــ الذى قيل عنه انه لا يؤمن بالله ولكنه يؤمن ان العذراء مريم أم الله . ومع فرط حبه لابنته « ادا » وولعه بزوجها الكونت شيانو ، وزير خارجيته ، فقد قتله شر قتلة بعد أن أبلغه ذروة المجد

وكما ان هتلر كان يعتمد فى بعض قراراته الهامة على المنجمين ، رغم ايمانه بالعلم والعلماء ، كان موسولينى رغم تفكيره العلمى ، ميالا لتصديق الخرافات . مثال ذلك انه سرعان ما علم بوفاة اللورد كرنارفون عقب اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ، حتى أمر بنقل مومياء مصرية ثمينة كانت أهديت اليه ، لان « روحها » كانت تلازمه

ومن متناقضاته انه نادى فى شبابه بمبادىء الحرية ، وكان يندب حظ الطليان الذين قضت الاقدار على ٣٦ مليونا منهم أن يفكروا تفكيرا واحدا كأنهم آلات صماء ، ومع ذلك فقد قتل الحرية فى مهدها ، واتخذ جريدة « بوبولو ديتاليا » التى كان يمولها الفرنسيون فى الحرب العالمية الاولى للدفاع عن الحرية واجتذاب الطليان للحلفاء ـ اتخذها لسان حاله وقتل بها الحرية فى الصميم . ولعل أغرب هذه المتناقضات كراهيته لهتلر بالرغم من الحفاوة الكاذبة التى قوبل بها فى البندقية وروما عام ١٩٣٥ ، وبالرغم من الحفاوة الكاذبة التى قوبل بها موسولينى فى ألمانيا . وقد قيل ان موسولينى أشد كراهية لهتلر ، ويلى ذلك المال والارستقراطية والقطاط والشيخوخة ، وعلى الاخص النساء العجائز

وقد حاول ان يبز هتلر فى بادىء الامر ولكنه سرعان ما أخفق . هتلر ترك عصبة الأمم ، وموسولينى حاربها . هتلر طالب بمستعمراته فلم ينلها ، وموسولينى ابتلع اثيوبيا . هتلر هجم على أوربا وأراد ان يترك موسولينى على الحياد حتى يفوز بالغنيمة وحده ، ففاجأه موسولينى بطعن فرنسا من الخلف مرغما وهو أمام الامر الواقع . وقد كان هتلر فى بدء عهده يقلد موسولينى فى خلق وطنه خلقا . وفاز كل منهما فى ميادين الاقتصاد والسياسة والدبلوماسية ، والضرب بأيد من حديد على كل عابث بمبادىء الفاشية . وكما ان موسولينى شجع بكل وسيلة ممكنة ، شرعية وغير شرعية ، الاكثار من المواليد ـ كدفع خمسين ليرة شهريا لكل أم تلد طفلا ، عزباء أو متزوجة ـ ابتكر هتلر أشنع الوسائل فى هذا السبيل . وكان موسولينى أمهر حيلة من هتلر فى ترويض شعبه على الامانة فى المعاملة ، وتوفير وسائل الراحة لملايين السياح ، وتهذيب التجار والموظفين وعمال المصالح المتصلة بالجمهور والاجانب ، وصيانة الامن والعناية بالنظافة ، فى حين أن الشعب الالمانى بطبيعته كان لا ينقصه شىء من هذا منذ عشرات من السنين

وكما كانت أقوى صفات هتلر ايمانه ، كان أقوى صفات موسولينى جرأته وثقته بذاته . وليس غريبا أن تكون أقوى صفات الزعيم سببا فى سقوطه ، فقد كان ايمان هتلر ضربا من التسليم الاعمى لما يمليه عليه وجدانه ، وكانت جرأة موسولينى وثقته بذاته ضربا من الانقياد الاعمى لمطامحه ، وقد بلغ كل منهما بأمته ذروة المجد ثم هبط كل منهما بأمته الى الهاوية . وقد استطاع موسولينى بعباراته المسرحية المختارة ان يقتاد الجماهير وراءه ويسوقهم كالاغنام أمامه . وهذه بعض العبارات التى كنت انقلها فى مذكراتى فى سياحاتى العديدة فى ايطاليا ، وكلها منقوشة بحروف بارزة على الحوائط فى المدن والقرى الريفية والجبلية :

« بغير دم وبغير تضحية لا يكتب التاريخ » . « الايمان ثم الطاعة ثم القتال » . « فى اثيوبيا خبز ونار ومجد للجميع » . « هو الشعب الايطالى الذى خلق الامبراطورية بدمه واغناها بالايدى العاملة وحماها بسلاحه » . « نحن لا ننتظر من أحد شهادة ميلاد للامبراطورية ، ولكنا ننتظر شهادة وفاة امبراطورية أخرى » . وكتب على القطعة ذات العشرين ليرة : « خير لك ان تعيش يوما كالاسد من أن تعيش جيلا كالشاة » . وعند ما أراد أن يزيد ساعات العمل فى المصانع ملأ البلاد بالاعلان الآتى « أنا موسولينى اشتغل ١٤ ساعة فى اليوم . . أنا موسولينى آكل الخبز مخلوطا » . وعند ما تسبب فى موت الزعيم « متياتى » كان يخشى من قيام ثورة ضده ولكنه سرعان ما وقف خطيبا فى مجلس الامة حتى هدأت العاصفة ، بعد قوله المشهور : « أيها السادة ، ما هذه الفراشة التى توالون البحث عنها تحت قوس تيطس ؟ اذا كانت الفاشستية مجرد ناد أو زيت خروع ، وليست فخر الشباب ، فالذنب ذنبى » وقد كان موسولينى كاتبا قديرا فقد كتب فى ١٢ صفحة فى نشرته عن الفاشية ما يوازى الخمسمائة صفحة التى يتألف منها كتاب « كفاحى » لهتلر

***

لم يكن هتلر سوى ثمرة لفلسفة بروسية قديمة ، أهم واضعيها نيتشه وبسمارك . كان بسمرك يقسم البلدان الى مذكرة ومؤنثة . فانجلترا وسكوتلندا وهولندا وهنغاريا واسكندناوه وشمالى كل من فرنسا وايطاليا ـ كلها مذكرة . وروسيا وبولندا وبلغاريا وجنوبى كل من فرنسا وايطاليا مؤنثة . وكان يقول عن روسيا احتقارا انها ليست أقصى ممالك المدنية الغربية شرقا ، ولكنها أقصى بلدان المدنية الشرقية غربا . وهكذا كانت نظرة هتلر الى ممالك العالم . وقد كان نيتشه عدو الديمقراطية والمسيحية والعدل ، فجاء هتلر ينادى بأن هناك ضدين لا يلتقيان ، هما النظام والتقدم العلمى فى المانيا ، والفوضى والانحطاط والمسيحية فى الأمم الديمقراطية ، وان العدل صفة من الخطأ تطبيقها على غير الشعب الالمانى . وليست كراهية اليهود من مبتكرات هتلر ، فمن روايات القرن التاسع عشر ان ألمانيا أراد أن يضرب يهوديا بحجر فأخطأه وأصاب نافذة من الزجاج فحكمت المحكمة على اليهودى بدفع ثمن النافذة بدعوى انه لو لم يتفاد الحجر بتحريك رأسه ، لما كسرت النافذة . وكان كل من نيتشه وبسمارك وفريدريك وغليوم يمجد الحرب والمتحاربين فجاء هتلر بعدهم يسلح ألمانيا ـ على حد قول هندرسون السفير البريطانى السابق ـ من المهد للحد ـ أى الاطفال والشيوخ ـ وفاخر بأن ألمانيا لا تقهر ، فراح هتلر وراح معه السلاح الجوى ، والحرب الخاطفة ، والجستابو ، وحرب الاعصاب ، والتفوق الجنسى

ومن أبرز صفات هتلر كراهيته للقانون والعدالة ، واتجاه ميوله للانتقام والتخريب ، وذلك لما لاقاه من الاذلال فى شبابه . فلانه اخفق فى وطنه النمسا ، انتقم منها . ولان ملجأ يهوديا أواه عند ما كان صبيا مشردا فى فينا ، كره اليهود . ولانه أخفق فى علاقاته

النسائية ، لاسباب بيولوجية أو غيرها ، احتقر المرأة فخصص لها وظائف الطهي والعبادة العمياء ، و « التفريخ » ولانه لم يستمتع بملاذ الحياة كره أكثر الشعوب معرفة بملاذ الحياة: الفرنسيين . ولانه كان بائسا في صغره ، فحرم عليه الضحك ، كره اميركا الضاحكة . ولانه لم ينل من مبادىء الثقافة حظا ، حارب الثقافة وشرد أساتذة الجامعات . ولانه أنس في الناس والطبيعة أعداءه ، كره الناس والجمال والطبيعة ، وخرب حبا في التخريب ، وقتل حبا في التقتيل . وكان لا يخلو من شذوذ قد يعده علماء النفس مرضا عصبيا . فقد كان ينفعل أمام أكبر زائريه ، فيستلقي على البساط ويقرض الاثاث بأسنانه . وقلما كان يستمع لمحدثه ، حتى قيل أن المناقشة معه a deux ضرب من المستحيل، وكان ساديا sadist يقتل أقرب المقربين اليه لاوهى الاسباب . وقيل انه كان عنينا يكره النساء ، ولكنه في أوقات فراغه كان يستلقي على ديوان تحوطه زمرة من الفتيات الحسان . وعلى النقيض منه كان لموسوليني حوادث غرامية معروفة ، وكان كهتلر مصابا بداء المغلمة ، ولانه سجن مرات كان يخشى الاماكن الضيقة ، ولذا كان مكتبه في سراى فينزيا بروما في غرفة ابعادها ٢٠ × ١٣ مترا

***

وبينما كان موسوليني يعتمد على عباراته المختارة في القاء خطبه ، كان هتلر أكثر اعتمادا على نشاط حنجرته وتكهرب جسمه وأوتاره الصوتية ، فما كان عليه الا أن يلقى السنارة حتى يبتلعها الشعب كالاسماك الجائعة . وقد شهد الجميع ان لغته كانت أقرب الى العامية منها الى الفصحى ، وان خطبه كادت تكون كلها متشابهة ، اذ كان لا يحلو له الا الوعد والوعيد والتهديد والعزف على وتر معاهدة فرساي . وقد ساعده نجاحه المتواصل السريع منذ سنة ١٩٣٤ الى أواخر ١٩٤٣ تقريبا على التمادي في طغيانه الى النهاية . واذا علمنا ان الزعماء يفقدون توازنهم اذا أتى النجاح تلو النجاح ، التمسنا له العذر في هذا الطغيان . ومن أغرب المتناقضات ان تبعث انجلترا ذلك الرجل الغر المتواضع ، القديس تشمبرلن ، الطيب القلب ، ليفاوض وحشا جامحا مفترسا . فلا غرابة اذا قيل لنا أن هتلر كان يستعمل في مساومته لتشمبرلن كلمة ألمانية معناها تجارة البقر

ومن العبث أن يكون هتلر وحده المسئول عما جره على العالم وبلاده من الويلات . فهناك ربنتروب وزير خارجيته ، وسفيره السابق في لندن ، وهو في نظر الكثيرين المجرم الاول وقد صدق من قال عنه ان جهنم التي جاءت في قصة دانتي لا تكفي لتعذيبه ، فقد كان مزيجا من الغرور والغباء والخبث ، وهو المأساة الاغريقية بعينها . ويليه السفاح هملر وقصته معروفة ، ثم ذلك القزم المجرم « جوبلز » كان أذكى النازيين ، وأقلهم مقدرة على الخطابة ، ولكنه كان اذا اعتلى منبرا أو أمسك بيده قلما ، المرار مجسما ، والعلقم والسم في الفم مذابا . وقد مات وأسرته منتحرا . ولعل جورنج أقل هؤلاء جرما رغم طياراته القاتلة ، لانه كان أكولا مبطانا ، كان أشد عناية بالطعام لمعدته والشراب لفمه والاوسمة

والنياشين لبذلاته العسكرية منه بالشؤون الحربية

وقد هبطت أخلاق الشعب الالمانى فى عهد هتلر الى الحضيض ، وقد صدق المراسل الحربى الذى قال ان الجريدة الوحيدة التى لا تكذب من الالف الى الياء Blitz Zeitung ـ أى انها تكذب من الباء الى الياء فقط ـ وقل من أفراد الشعب من تألم أو تأفف مما بلغته ألمانيا أخيرا من الدمار ، وندر ان يجسر أحد كالتاجر الذى وضع فى واجهة حانوته ، وقد خلا من السلع ، صورة لهتلر والصليب المعقوف كتب تحتها « شكرا للفوهرر » ويقول شاهد العيان الذى روى هذا الخبر ان الجستابو لم يفهموا النكتة ، والا لقضوا على التاجر. ومن ذلك ان شركة السياحة المعروفة باسم أميركان اكسبريس كتبت هذه العبارة التهكمية التى لم يفهمها الجستابو أيضا ، وهى « زوروا ألمانيا القرون الوسطى »

يصعب على العقل البشرى تصور ما رآه شهود العيان من الفظائع فى معتقلى بوكنفولت ونورد هوش وغيرهما ، وما ذاقه المعتقلون فى جهنمها الحمراء من تعذيب حرقا وضربا وشنقا وجدعا وتشويها وقتلا بطيئا بالجوع والعطش . وقد تصور أحد المراسلين البريطانيين لوحة على مقبرة دفنت فيها ألمانيا ، كتب عليها الآتى : « هكذا أراد هتلر ان ينزل الى قاع الهاوية ومعه ألمانيا . فيا لها من تضحية جسيمة على مذبح كبرياء جسيمة . هكذا كانت مشيئة هتلر . كل شىء حولى يمثل الوحشية فى أفظع صورها . خمسون مدينة استحالت انقاضا . عشرون مليون نفس يهيمون على وجوههم كالبهائم . ألمانيا العظيمة جائعة عارية فى طريقها الى الفناء . الريخ العظيم جثة هامدة . . أين ولهلم شترازه مقر الحكومة ؟ أين أونتردن لندن أجمل شوارع برلين؟ أين الكسندر بلاتزه أبدع ميادينها؟ أين برختسجادن حصن هتلر الحصين ؟ وما هذه الراية الحمراء ترفرف على الرخستاغ المحترق حقيقة لا كذبا هذه المرة ؟ »

من أغرب ما عثرت عليه فى مذكراتى قبل كتابة هذا المقال كلمة جاءت عن نابوليون فى كتاب ألمانى (١) نشر وترجم الى الانجليزية سنة ١٩٣٢ هذه ترجمتها بالعربية :

« . . لقد ملأ النصر رأسه ، كما يملأ الهتاف رأس الممثل على خشبة المسرح ، فلم يبق فيه ذرة من العقل . . ولم يكن يؤمن بأقوى دعائم الانسانية ، ألا وهى المثل العليا . فلا عجب اذا عادت خريطة أوربا بعده الى ما كانت عليه قبل ظهوره بعشرين عاما ، ولا عجب اذا ترك السياسيين بعده يتنازعون على الحدود ويتخاصمون على الحقوق والاتفاقات »

ألا يصدق هذا بحرفيته على كل من هتلر وموسولينى ؟ لست أدرى ماذا يكون حكم التاريخ ، ولكنى أكاد اعتقد انه سيكون أشد صرامة عليهما ، وأقل عطفا ، منه على نابوليون

امير بقطر

(1) Egon Friedell, "Culture in the Modern Age," translated by Charles Atkinson.

كيف تعيش بأعصاب سليمة

انا جميعا محتاجون الى الفرار من برامج الحياة الرتيبة التي تسير على وتيرة واحدة الى بيئة جديدة ووجوه جديدة .. الرجال من أعمالهم اليومية المعتادة ، والنساء من واجباتهن المنزلية التي يؤدينها يوما بعد يوم

لا ينبغي للانسان أن يجهد نفسه ، الا في حالة الضرورة القصوى . ان التعب أمر طبيعي ، أما الاجهاد فانه متلفة للصحة والكفاية

والشخص الذي يجهد نفسه باستمرار يفسد أسمى ما عنده من قوى ، وأعني حسن الحكم على الامور ، وقوة الابتكار ، وقوة التحمل ، والشخصية . وان القرار الذي يتخذه الانسان في نهاية يوم مملوء بالاعمال والشواغل ، يكون أدنى الى الريبة ، وقد يختلف رأيه فيه في صباح الغد

انا حين نجهد قوانا نفقد شعور التناسب بين الامور ، فتكبر في نظرنا الصغائر ، وتحل العاطفة محل العقل ، ونرتكب أخطاء نعجب فيما بعد كيف ارتكبناها ، ونفقد كذلك قوة الابتكار ، ونحجم عن مباشرة عمل جديد ، ويقل أو ينفد ما عندنا من صبر وتحمل

وفضلا عن ذلك تعوزنا في تلك الحالة مهارتنا المعتادة وتتغير شخصيتنا ، ونفقد توازننا ، ونشعر بصعوبة المضي في شؤون العمل والاسرة

ان التعب الذي ينتج من عمل جسماني صعب أو من لعب أو رياضة ، والذي يمكن زواله بالنوم ليلة ، هو شعور طبيعي لا ضير فيه ، ومثل هذا التعب يمكن علاجه في قليل من الزمن كما يمكن قياسه بما يفقد صاحبه من قوة ووزن

أما الاجهاد العصبي فلا يزال مشكلة تحير العلماء ، وهو لا يقاس الا بأعراضه

ان الجهاز العصبي يتأثر بمؤثرات شتى ، وهي تفعل فعلها باستمرار ونحن أيقاظ ، وكذلك لدرجة ما حين ننام نوما مضطربا

وتختلف درجة التأثر باختلاف الاشخاص ، فما يسبب التعب عند شخص ما قد يؤدي الى راحة شخص آخر . بل كذلك عند الشخص الواحد قد يكون ما يجهده في ظرف ما ، باعثا سليما له في ظرف غيره ، تبعا لحالته الجسمانية أو الذهنية . ومن ثم يجب على كل انسان أن يعرف بالتجربة ما يؤدي الى الاجهاد عنده فيمتنع عنه

ونحن نعرف لاول وهلة انا في حالة اجهاد حين نرى انفسنا سريعي الانفعال ، فتزعجنا الصغائر التافهة مثل اغلاق باب أو تحريك كرسي فجأة . فاذ ذاك تكون حساسيتنا قد زادت عن حدها ، ونعجز عن تركيز أفكارنا أو بذل خير جهودنا . وكثير من الناس في

هذه الحالة ينسون الاسماء التى ألفوها أو يرتكبون فى أعمالهم أخطاء ما كانوا ليقترفوها لولا ذلك الاجهاد

والاجهاد العصبى يكون عادة أسرع عند ذوى الاحساس المرهف، فهم أكثر من غيرهم حاجة الى الاستجمام بين حين وآخر

ولقد حللنا برامج النشاط اليومى لآلاف من الناس ، كبارا وصغارا ، فألفينا اسباب الاجهاد العصبى كما يلى :

اننا تحت ضغط ظروف الحياة الحديثة نستيقظ صباحا ، ونستمر نباشر حياتنا بمعدل سرعة متفاوتة حتى نأوى الى فراشنا ليلا . أى اننا نظل فى نشاط عصبى متواصل مدة تتراوح بين ١٢ و١٥ ساعة . وبعد انقضاء ساعات العمل نعود الى نشاطنا المنزلى . فبدلا من أن نجد فى البيت الراحة بعد التعب ، نلقى فيه مزيدا من الجهد . وان هذا الحرص على النشاط المستمر طوال ساعات اليقظة ، هو السبب الرئيسى فى الاجهاد عند نحو سبعين فى المائة ممن فحصنا برنامجهم اليومى ، وهو سبب يمكن علاجه لدرجة كبيرة بفترة راحة قبل وجبة العشاء ، وبراحة جزئية مع التغيير قبل وجبة الغداء

وقد اعتدنا ارسال اطفالنا الى روضة الاطفال حيث ينتظرهم عالم جديد ، وهم لا يزالون فى باكورة الطفولة . وبدلا من مطابقة برنامج التعليم على حالة الطفل ، يحصل العكس ، ويربط الطفل ببرنامج ثابت حافل ، تضاف اليه الموسيقى والرقص والتمثيل وأوجه النشاط الاخرى ، فى وقت يكون الطفل فى أشد الحاجة الى وقايته من الاجهاد الذى يضره فى تلك السن أكثر مما يضر الكبار

ان انتظام العمل أمر جوهرى لتيسير ادائه . والشاب الرياضى الذى يتدرب بانتظام يمكنه أن يقوم بأشق ضروب الرياضة مع بذل قليل من الجهد . كذلك العمل الذهنى أحسن ما يؤدى على هذا الشكل . وليس القلق والسخط من أسباب الاجهاد فحسب بل هما كذلك نتيجة له . فاذا رأينا أنفسنا نقلق لاى شىء ونغضب من الصغائر ، فان ذلك دلالة على اننا فى حالة اجهاد

ومن أسباب الاضطراب العصبى أيضا التسمم الدموى Toxemia وهو تسمم عام ينتج من تسرب منتجات بكتريولوجية أو سموم كيماوية الى الدم . وكثيرا ما ينشأ من احتقانات ناجمة عن التهاب الخياشيم أو جيوب الوجه أو وجود خراج تحت الاسنان والاضراس ومن الاسباب الاخرى بقاء فضلات الطعام من جراء نقص فى الهضم فيسمم بها الجهاز وكذلك السكنى فى جو شديد الحرارة والجفاف

على ان الاعراض الناشئة من التسمم الذى يأتى من عدم الرياضة واستنشاق الهواء كثيرا ما تختلط باعراض الاجهاد . فاما الاعراض الاولى فيمكن ازالتها وشيكا بالرياضة فى الهواء الطلق يعقبها حمام ساخن ، ولكنها قد تزيد بقلة الحركة . واما أعراض الاجهاد

فتزول بالتغيير والاستجمام . واما التعب الناشيء من التسمم الداخلي فيعالج بمعرفة اسبابه والعدول عنها

وكثيرا ما نكون ضحايا للعمل الرتيب « الروتين » فان تأثر نواحي الذهن باستمرار بمؤثرات لا تتغير ، يؤدي الى التعب حتى وان كنا نعيش عيشة هادئة . ونحن جميعا محتاجون الى الفرار من البرامج التي تسير على وتيرة واحدة الى بيئة جديدة ووجوه جديدة . . الرجال من أعمالهم اليومية المعتادة ، والنساء من واجباتهن المنزلية التي يؤدينها يوما بعد يوم . ولسنا في حاجة الى « اجازة » بين حين وآخر فحسب ، بل كذلك الى الفرار من العمل الرتيب فترات من الوقت كل يوم

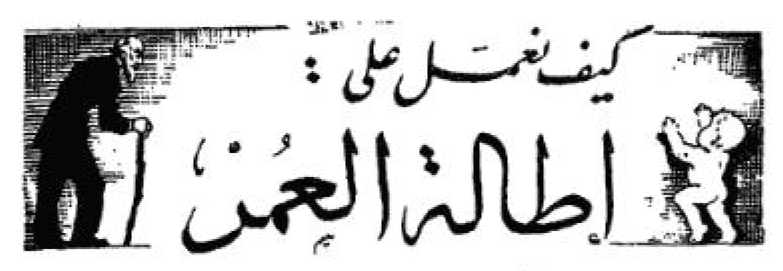
ان جميع أسباب الاجهاد العصبي تقريبا يمكن ازالتها بتنظيم برنامج النشاط اليومي بحيث يناسب حاجات الشخص وقوته . ومن الامثلة على ذلك ان سيدة جاءت بطفلها البالغ الثامنة من عمره الى أحد فصولنا الدراسية الخاصة بالاطفال الضعاف ، لان وزنه كان أقل مما يجب بالنسبة لطوله برغم أنه لم يكن مصابا بعلة ظاهرة . وقد رأينا ان نزيد معدل ما يستوعبه جسده من الحرارة في طعام وجبتي الفطور والغداء ، فلم نقدر ان نزيد وزنه الا بمقدار أوقيتين في الاسبوع . وبعد مضي عشرين اسبوعا لم يزد وزنه سوى أربعة أرطال رغم اتباعه وأمه ارشاداتنا بدقة : ثم حصل كسر باحدى ساقيه واضطر الى ملازمة الفراش ستة أسابيع ، واذا به يعود الى الفصل بعدها وقد زاد وزنه خمسة أرطال . ومن ذلك أدركت أهمية منع الاجهاد عن الاطفال ونظمت لهم فترتي راحة قبل وجبتي الغداء والعشاء كل يوم . وقد وجدت أن لذلك فائدة كبيرة في جميع حالات نقص الوزن . وقد يضاعف مقدار الغذاء دون جدوى ، لان وزن الجسم لا يعتمد على مقدار الغذاء بقدر ما يتوقف على هضمه وامتثال الجسم له . وقد ثبت ان الاجهاد يحول دون ذلك

وكانت احدى المدارس الثانوية للبنين تتبع برنامجا يتطلب من التلاميذ نشاطا عصبيا مستمرا من وقت الاستيقاظ من النوم الى وقت يأوون الى الفراش . وقد أمكنني أن اقنع « الناظر » بأن يقتصد من كل حصة مدة عشر دقائق لتجتمع من ذلك فترة نصف ساعة يمضيها التلاميذ في الاستلقاء قبل تناول الغداء . وقد أفادوا من ذلك صحة وقوة

وخرج ٢٥ طالبا ناقصي الوزن من طلبة كلية دارتموث في رحلة الى الجبال عند نهاية الاسبوع . ولما عادوا اتضح انهم زادوا في المتوسط ١٢ رطلا . وفي نفس الوقت ذهب ٢٥ طالبا ناقصي الوزن من نفس الكلية الى منازلهم . ولما عادوا وجدناهم قد نقصوا ١٢ رطلا . ففي الحالة الاولى كان الطلبة يتعبون في النهار تعبا جسمانيا طبيعيا يعوضه نوم الليل . وفي الحالة الثانية كان الطلبة يبذلون جهدا عصبيا مستمرا في الزيارة والاستقبال وغيرهما ، فسبب ذلك اجهادا لهم ونقصا في وزنهم

بقلم الدكتور وليم امرسن

(ملخص عن كتاب « الصحة لمن يشاء »)



رأى الدكتور احمد شفيق باشا

الاستاذ بكلية الطب ومدير مستشفى فؤاد الأول

ليس المهم ان يزداد عدد المواليد فى الأمة ويتضاعف النسل ، وانما المهم أن تنشىء أفرادا أقوياء البنية ، صحاح الجسم والعقل كيما تسعد شيخوختهم على حساب شبابهم

ومن حسن الحظ أن الطب الوقائى تقدم فى السنوات الأخيرة تقدما مرضيا بحيث يكفل القضاء على الأمراض التى تهدد الشيخوخة أو على الأقل يسيطر على المضاعفات التى تنشأ عنها وفى مقدمتها : تصلب الشرايين نتيجة الاجهاد الجسمانى ، وضغط الدم نتيجة التوتر العاطفى ، وتضخم الكبد نتيجة الافراط فى الطعام لا سيما فى البلاد الحارة ، ثم الزهرى والسرطان و « الأكلامسيا » أى تشنج الحمل

ونحن اذا كافحنا الداء من حياة شخص ما بمجرد ظهور أعراضه ففى وسعه ان ينجو ويسير نحو الشيخوخة السعيدة بخطى حثيثة . ومن واجب الطبيب أن يكتشف المرض فى بدايته أى قبل أن يزمن ويتخذ له أوكارا يهاجم منها الجسم فتصبح شيخوخة فى جميع أعضاء الجسم الهامة وغير الهامة وبذلك يضعف تغذية خلايا الجسم فتضمر وتضمحل

ان الحياة العصرية بما فيها من السرعة والاجهاد فى العمل والتكالب على الماديات والافراط فى المجون والسهر تؤثر على استمرار الحيوية وتدفقها فى الجسم . والشيخوخة تدب فينا من يوم أن نولد ولكنها تتخذ أشكالا عدة فى كل دور من أدوار الحياة ، واذا لم يسلح المرء نفسه بأسلحة من العناية الصحية ويدخر كميات من النشاط ويحتفظ بشطر من الحيوية دب اليه الوهن والانحطاط سريعا ، فعملية الكبر تسير اذن فى طريقها الطبيعى وفى وسع المرء ان يتجاوز المائة سنة اذا لم تتدخل فى سير حياته تغييرات سابقة لأوانها

على ان بعض الأبحاث الطبية الجديدة قضت على معظم الامراض التى تهدد الشيخوخة ففى بلاد السويد والدنمرك لا يوجد مرض اسمه « الزهرى » واذا ظهر مثلا عن طريق أحد البحارة الوافدين من الخارج فيجب التبليغ عنه فى الحال وعزل المريض كما يبلغ عندنا عن الدفتريا والحميات الخبيثة . ومنذ سنوات نادى البحاثة متنكوف بأن السيطرة على الميكروبات التى تتولد فى الأمعاء وتقصر العمر يمكن التغلب عليها عن طريق تناول

الألبان الخميرية التي تحول بين الجسم وبين امتصاصه العفونة ، بل لقد ذهب الى أبعد من هذا وهو أن تناول هذه الخمائر من أسباب اطالة العمر لا سيما في مناطق جبلية كالبلقان مثلا . وسعى فيرونوف الى اطالة الحياة واقامة الصحة من التدهور نتيجة عبث الشيخوخة بوساطة الهرمونات ، وقد كللت مجهوداته بالنجاح ولمستها بنفسي في كثير من الحالات مثل ضغط الدم الذي يهدد الجسم بأضرار وخصوصا في سن اليأس عند الرجل والمرأة

وعلى كل حال فان من رأيي ان اطالة العمر ليست مسألة طبية محضة بل يدخل فيها عدة عوامل مثل : النشأة من عهد الولادة وأسلوب الحياة والمعيشة الطبيعية النزيهة البريئة، وحالة السكنى والغذاء ونوع العمل الذي يزاوله المرء ومدى الاحتفاظ بالنشاط البدني والذهني ونوع الرياضة التي يحتاج اليها الجسم واسلوب الراحة والاستجمام ثم يأتي أخيرا ضرورة الابتعاد عن الانفعالات النفسية

والشواهد على ذلك متعددة ففي الريف المصري عشرات تجاوزوا سن المائة وهم ينعمون بشيخوخة سعيدة وشباب دائم متجدد ولو عنينا بمكافحة الامراض المتوطنة في الريف لتضاعف عدد المسنين الى مئات

احمد شفيق

رأى الدكتور مصطفى الديوانى

اخصائى الاطفال بكلية الطب

كلما سألت شخصا في أي بلد من بلدان العالم عن مجريات الحياة ، أجابك في لغته الخاصة « انها سائرة » . فكأن الجميع متفقون على تشبيه الحياة بعجلة تدور وأجسامنا الفانيه بآلات ركبت عليها ، تسيرها أو تسير معها الى حيث يوجهها خط الحياة . ومن يدرس تفاصيل الجسم الآدمي من الوجهتين التشريحية والفسيولوجية ، يدرك أن هذه الآلة التي تعمل وتفكر وتنتج بلا انقطاع لسنين عديدة قد تعدو المائة ، أحوج ما تكون الى أن يتعهدها الذي وهبت له ــ وهو الانسان نفسه ــ بكل عناية ورفق . وبقدر العناية التي يغدقها الانسان على الآلة البشرية المعقدة ، يطول عمره أو يقصر وتسعد حياته أو تشقى. حقيقة انه لكل أجل كتاب ولكن ما الطب الوقائي والعلاجي الا وسيلة من الوسائل التي يلهم الله بها بعض عباده ، لينقذوا أخوانهم من براثن موت محقق . وفي اعتقادي أن علماء الطب الحديث في مختلف فروعه ، قد أدوا الى البشرية خدمات جلى تضعهم في مصاف الانبياء والرسل . تأمل معي قرص السلفانايد العجيب ، وفكر فيما فعله البنسلين واذكر كيف فتك الزهري في غابر الزمان ثم كيف روضه العلماء كما تراض الأسود والفيلة الضخام . ويجب ألا تنسى الانسولين وعجائبه في علاج مرض البول السكرى ، وتقدم فن الجراحة الذي أنقذ أرواحا لا حصر لها . من هذا نستنتج أن اطراد تقدم الطب

العلاجى عامل هام فى اطالة حياة كان مقدرا لها أن تقصر لو تصادف وجودها فى عصر غير الذى اكتشف فيه الدواء المناسب

ولقد وهب الله لكل مجموعة منا مزاجا خاصا ، فهناك شخص يأخذ الحياة ببساطة يبتسم للصعاب والعقبات ولا يبالى بما يعرض له من مسئوليات ونكبات . لا يقطب جبينه الا عندما يحاول اجهاد فكره فى اختراع دعابة يتسلى بها على الآخرين ، يستلقى على ظهره فوق أمواج الحياة فى تراخ محبوب ناظرا الى زرقة السماء فى غير تحد ، ضاربا بيديه أو رجليه بين حين وآخر ليتقدم خطوة الى الامام أو يتأخر خطوة الى الوراء . وهناك شخص ينظر الى الحياة بمنظار أسود لا يبتسم الا ما ندر ، وآخر يميل الى العزلة والهدوء والسكون ، ورابع يفرط فى اللهو والشراب ويصل فيهما الليل بالنهار ، فلا يعطى لجسمه الراحة الكافية فتدب الشيخوخة فى جسمه قبل الأوان . وغنى عن القول ان لذوى المزاج الهادىء المعتدل فرصة أكبر لحياة أطول وأكثر هناءة . فعلينا جميعا أن نجتهد فى ادخار بعض نشاط الشباب لنستعين به فى سنين المشيب والوهن . ولا يتأتى ذلك الا بمراعاة الاعتدال والحد من الانغماس فى بهيميات الحياة وماديانها

اننى اعتقد اعتقادا جازما ان هدوء البال واسلوب المعيشة عاملان هامان فى اطالة الحياة. كنت عند ما أمر بالقرية الانجليزية أثناء رحلاتى فى انجلترا أعجب كيف يموت الذين يعيشون فى جوها الهادىء الجميل فينظر الى سائق السيارة ويقول مداعبا : « انهم يبذلون أقصى جهدهم .. انهم يعيشون الى ما بعد الثمانين .. » وكنت عند ما أشاهد ما يتمتع به أهالى البلقان من صحة وفيرة وقامة مديدة يقال لى ان هذا يرجع علاوة على مناخ الجبال الى غذائهم المفضل وهو « الايران » أى الزبادى المضروب فى الماء ، والمعلوم ان جراثيم التخمر فى هذه الالبان تقاوم جراثيم التعفن الموجودة بالامعاء فتعمل على تحسين الصحة وبالتالى تؤدى الى اطالة العمر . أما الناس الذى يقطن المناطق الحارة والاستوائية فهو لا يملك الا أن يموت نتيجة الجو الحار المرهق والأمراض التى ينقلها الذباب والبعوض . فخلصوه منها وحسنوا وسائل معيشته يعش طويلا وطويلا جدا

صدقونى ان حظنا من الحياة « قسمة ونصيب » لماذا تفاوت الذى قدر له أن يولد فى جحيم الاستواء بالذى قسم له ان يوجد فى جنات الشمال . وهل يستوى أبناء الملوك وأبناء الصعاليك . ولماذا يموت الفقراء بالآلاف بينما تقل الوفيات بين ذوى اليسار . ولم نلوم من يموت مبكرا اذا كان بعائلته علة وراثية لا قبل له بتفاديها كضغط الدم وتصلب الشرايين ، بل الا يحدث أن يموت الانسان رغم تمتعه بكل العوامل التى تطيل العمر

ان واجب الانسان أن يعيش هادئا معتدلا متمتعا ما أمكن بكل وسائل المدنية من وقاية وعلاج ، وبكل ما فى الطبيعة من جمال ورياضة ، مبتعدا عن كل ما يسبب الانفعالات النفسية . وبعدها فليأت الموت اذا شاء فانه حق على الجميع

مصطفى الزيوانى

بعد الموت

هل يمكن اعادة الحياة ؟

منذ ٣٥ سنة اذ كنت فى نيويورك قرأت فى احدى الجرائد ان الدكتور « بو » الجراح الشهير كان يعمل عملية جراحية فى مستشفى كبير لاحد المرضى فى أحد أعضائه الباطنة ـ ولا أتذكر الآن أى عضو هو ـ والذى أتذكره جيدا انه فيما كان يعمل العملية مات الجريح اذ وقف عمل القلب والرئتين بتاتا . فلا تنفس ولا خفقان . فارتبك الجراح وحاول اعمال الرئتين باستعمال التنفس الصناعى فلم ينجح . ومات المريض

ولكن صعب الامر على الطبيب الجراح جدا . وأخيرا عمد الى تجربة اذا لم تنجح باسترداد الحياة للمريض فلا تميته مرة ثانية . هو مائت فى كلتا الحالتين أو هو حى فى الثانية

شق طريق كفه الى القلب . وجعل يضغط على تجاويف القلب الواحد بعد الآخر حسب ما يرشده علمه فى فسيولوجيا القلب . وما زال يعالج نبض القلب معالجة صناعية حتى عاد للقلب خفقانه الطبيعى كعادته . وبحركتين فى التنفس الصناعى أعاد حركة التنفس أيضا . وعاد هو الى انجاز العملية الجراحية فاتمها الى أن ضمد الجروح الداخلية والخارجية . وشفى العليل شفاء تاما . وشاع خبر الحادثة وذاع معها الاعجاب بمهارة ذلك الجراح

هذا حادث فريد . مات شخص موتا تاما فردت له الحياة . ومنذ ذلك الحين كان العلماء يتساءلون هل تمكن اعادة الحياة للاعضاء الحيوية اذا كان الانسان يحتضر أو اذا مات تحت عملية جراحية أو فى حالة مرضية غير قاتلة ، أى فى حالة ان أعضاءه كلها لا تزال سليمة وانما توقفت وظائف بعضها لأسباب طارئة ؟

وقد ثبت للاطباء ان الموت لا يحدث لجميع الاعضاء الحيوية فى الحال بل هو يحدث تدريجيا . يبتدىء بتوقف ضربات القلب والتنفس ثم يليه بالتتابع توقف سائر وظائف الاعضاء عن أعمالها الى أن يتم الموت نهائيا بعد حين

أى انه بين توقف نبض القلب والتنفس وبين الموت البيولوجى النهائى فترة من الزمن تبقى فيها الاعضاء الحيوية تعمل عملها الى حين على الرغم من ظهور علامات الموت . ولذلك كانت عقول العلماء مشغولة فى هذا السؤال ، وهو : هل يمكن وقف عملية الموت التدريجى هذه قبل ان تبطل وظائف جميع الاعضاء الحيوية ؟ وهل يمكن استنباط وسيلة أو وسائل لاستمرار هذه الأعضاء فى عملها بحيث يتدارك الموت وتستأنف الحياة ثانية

ولطالما استطاع بعض الجراحين ان يردوا الحياة للمرضى الذين ظهرت عليهم علامات الموت واضحة فى أثناء العمليات الجراحية ، ولم يبق شك فى مفارقتهم الحياة ، وكان استرداد

الحياة لهم على أثر ظهور الوفاة توا باستعمال التنفس الصناعي . ولكن الى الآن لم يهتد الاطباء الى طريقة علمية لاستعادة الحياة بعد انقضائها برهة طويلة

على أن بعض الباحثين حاولوا مرارا كثيرة أن يكتشفوا الوسيلة العلمية الاكيدة ومارسوا التجارب المختلفة فى بعض الحيوانات . فكانوا ينجحون فى بعض الأحوال . بيد انهم لم يمارسوا هذه التجارب فى الانسان . على ان العلامتين الروسيين كوليابكو وترافكوى أقدما على هذا العمل الخطير وحصلا على نتائج حسنة

فى أغسطس سنة ١٩٠٢ نجح كوليابكو فى انعاش قلب طفل فى شهره الثالث اذ مات فى حمى ذات الرئة (بنيمونيا) نجح فى اعادة نبض القلب بانتظام بعد عشرين دقيقة من توقف نبضه . وبقى القلب يعمل عمله ساعة بعد انتعاشه . وكانت تجارب هيمان وابنه وتومبسون وباربوم وآخرين من أطباء روسيين وغير روسيين فى هذا الصدد ذات نتائج مبشرة بالنجاح . وأهم عمليات تأجيل الحياة عملية الاستاذ فيودور اندريف الروسى

كتب الدكتور فلاديمير نيجوفسكي الطبيب فى معهد الجراحة العصبية الروسى تقريرا قال فيه : ان جماعة من البحاثة العلماء فى هذا المعهد بادارة الاستاذ الدكتور بوردلكو ركزوا كل مباحثهم فى هذه القضية . ونحن نعلم ان حلها يستغرق سنين . ولا بد ان يواجه العاملون خيبات وأغلاطا . ولكننا شعرنا أننا اذا استطعنا أن نؤجل الموت فى بعض الاحوال ونطيل حياة الانسان لا يذهب جهادنا فى هذا السبيل عبثا

وقد ثبت لنا أن هذه القضية التى نحاول حلها هى قضية بيولوجية عمومية لا يمكن ان تنحل عن طريق فرع طبى واحد بل بتعاون جميع الفروع . وكانت جماعتنا التى تصدت لهذا المشروع تمثل جميع فروع الطب . وقد تخصص الدكتور فلاديمير نجوفسكى لفرع الفسيولوجيا المرضى والدكتور اركادى لدراسة وظائف الاعضاء الحيوية . وماريا جابيفسكايا وماريا شوستر تخصصتا للكيميا الحيوية Biochemistry وماريا تلشيتفا لفرع تأثير الادوية فى وظائف الاعضاء وانضم اليهم يوستونيا سميرتسكايا الجراح الفسيولوجى

قال المقرر : ابتدأنا منذ ثمانى سنين نجرب تجاربنا . وقبل الحرب درسنا عدة مؤلفات بهذه الفروع لمؤلفين روسيين وأجانب . وأجرينا أكثر من ٣٥٠ عملية فى الكلاب . وكنا نسجل كل ما نلاحظه من التغيرات فى وظائف مختلف الاعضاء فى اثناء النزع والاحتضار حتى الموت ثم ما كان يلى هذه من انتعاش الجسم

وكان علينا ان نصطنع جهازا خاصا لاحداث دورة دموية صناعية فى تلك الحيوانات بعد ان استنزفنا دماءها كلها من عروقها . وكان علينا ان نبسط الطريقة باستعمال الهيبرين — وهو من خلاصة الكبد — وهو الوسيلة الفضلى لتعديل الدم

قتلنا بعض أصدقائنا الكلاب المساكين تدريجيا دقيقة بعد دقيقة وثانية بعد ثانية . وكنا نسجل جميع ظاهرات الموت الكلينيلى . وبعد ان أعددنا جميع المعدات لاستعادة الحياة

شرعنا نسجل جميع علامات الانتعاش والعودة الى الحياة • ويسرنا ان نقول ان العودة الى الحياة ثبتت لنا بازدياد القوة النسلية

ان هذه الاختبارات العملية افادتنا جدا وجرأتنا على أن نشرع باجراء عملياتنا في البشر. فجيء لنا باطفال خرجوا من الارحام ولا حراك فيهم . وبعضهم ماتوا على أثر الولادة . وفي معظم الحالات كان سبب الموت الاختناق (اسفكسيا) ولما عجز الدكتور المولد عن معالجة الاختناق وثبتت له أدلة الموت شرعنا نحن نعمل عملنا

كنا غالبا نستطيع رد الحياة لهؤلاء الاطفال . ولكنهم لسوء الحظ لم يعيشوا أكثر من بضع ساعات . وعاش أحدهم ٢٤ ساعة . وأظهر لنا تشريح الجثث ان أولئك الاطفال ماتوا من عطل في بعض أعضائهم كتمزق انسجة الدماغ أو نمو الرئتين الى دون الحد الكافي بحيث تستحيل الحياة في هذه الحالات . ولولا هذا العطل لامكن أن يعيشوا العمر كاملا

وأصبحنا نعتقد انه حينما تكون الاعضاء سليمة غير معطلة تمكن اعادة وظائف الاعضاء الى عملها بكل تأكيد . وفي حالة تسبب الموت عن نزف الدم الكثير أو الصدمة العصبية أو الاختناق كانت طريقتنا في رد الحياة حسنة النتيجة

ذهبت فرقة العاملين في معملنا الفسيولوجي الاختبـاري في معهـد الاختبارات الطبية السوفياتي الى الجبهة الحربية مزودة بتعليمات السلطة العسكرية لكي تختبر النتائج التي حصلنا عليها بعد تجارب عدة سنين . وأخذنا معنا الجهازات العادية التي يستطيع أي طبيب ان يستعملها في اية ظروف وأحوال وهي مؤلفة من وعاء يحتوي على دم مشبع بالجلكوز (سكر العنب) واناء من الادرينالين معاً بالاوكسيجين في حرارة ٣٧-٣٨ درجة من مقياس سنتيغراد . ومع ذلك الادوات اللازمة وشرعنا نعمل عملنا في كل جريح

بواسطة هذه الاجهزة حقنا الشرايين بالدم الى جهة القلب بقوة ضغط ١٦٠ الى ٢٠٠ ملليمتر زئبقي . وبدفعنا الدم في الشرايين اقفلنا صمام الاورطي النصف قمري — أي المشابه لنصف القمر شكلا — ودخل الدم الى الاوعية التي تغذي عضلات القلب . ولما شرع القلب يعمل عمله جيدا بحسب وظيفته . نزعنا الجهاز الدافع وشرعنا نحقن الأوردة بالدم ونخفف الضغط حسب المقتضى . وفي الوقت نفسه أجرينا عملية التنفس الصناعي بواسطة المنفاخ لان الطريقة المعتادة لاجراء التنفس الصناعي لم تكن تأتي بفائدة . وقد ادخلنا انبوبة المنفاخ قدما (دغري) الى القصبة (انبوبة التنفس التي تصل بين الحنجرة والرئتين)

عالجنا على هذا النحو ٥١ شخصا جريحا وهم في حالات الموت الكلينيكي أو في حالات الحشرجة أو في الدرجة الثالثة من الصدمة والاختناق . وكان مصيرهم الى الموت مؤكدا . وقد شفي شفاء تاما اثنا عشر جريحا منهم ونقلوا الى المستشفى العادي . وثلاثة عادت لهم الحياة ولكنهم ماتوا أخيرا بذات الرئة (بنيمونيا) وبغنغرين الغاز . وعادت الحياة الى ٢٢ شخصا عاشوا ثلاثة أيام وعاد اليهم وعيهم . وحيي ١٢ جريحا بعض الحياة أي أن وظائف أعضائهم الحيوية ، أي القلب والرئتين تحسنت بعض التحسن . وأخفقنا في حادثتين

هذه حالات أشخاص من غير تسمية أسمائهم لانهم كثيرون وانما نذكر فيما يلي اسماء أشخاص آخرين ممن نجح فيهم عملنا

جيء بالرفيق نيكولاي ك. الى المستشفى وفي أسفل وركه الايمن جرح عميق وعطب في العظم وقطع في الشريان . وقد أصيب بعض أعضائه الاخرى باضرار . فادخلناه الى غرفة التضميد وهو في حالة سيئة جدا . لم تجد فيه المعالجات العادية للصدمة . وقد حقنه الاطباء بالكافور والمورفين والكافيين ودفأوه ولكن بلا جدوى أيضا الى أن قال رئيس الجراحين انه مائت لا محالة . ولا فائدة له من أية عملية

لم يشعر بنبض المريض وانقطع التنفس الطبيعي وكان الجريح يتجرع الهواء من فمه كأنه يتثاءب . ولما لم يبق رجاء في جميع أسلحة المعمل الجراحي انبرينا نحن وحقنا الشرايين بالدم المهيأ لهذا الغرض . فعاد النبض ينبض . ولما زاد الدم وصار يتدفق من الشريان المقطوع عصب الجراح الشريان المقطوع لكي يمنع نزف الدم . ثم شرع يعمل عمليته ، وتحمل الجريح العلمية بلا مضض

وبعد يومين بترت فخذه فتحمل عملية البتر بلا خطر . وأخيرا نقل الى غرفة أخرى في المستشفى لكي يستتم شفاءه

وهنا حالة أخرى وهي اعادة الوظائف الحيوانية في الجسم الى عملها في أثناء النزع الكلينيكي . جيء بالجريح ايفان ك الى المستشفى وهو في حالة صدمة مريعة . فلم تنجح فيه تجربة نقل الدم لان جميع أوردته كانت مسدودة . وكان النبض متوقفا بتاتا . فقرر الطبيب فصد الاوردة . وفيما هو منهمك بالجريح حدث الموت رويدا في خمس دقائق

عند ذلك انبرت فرقتنا للعمل حسب طريقتها المجربة . فعاد للجريح وعيه بعد ست دقائق وطلب ماء . وأجاب سؤال الطبيب عن اسمه . وثمة رأى الجراح ان العملية صارت مستطاعة . وجعل يبحث في حالة الاحشاء وما أصيبت به من أضرار . وعاش الجريح بعد ذلك ثلاث ساعات و٢٣ دقيقة ، ثم مات بسبب جرح بليغ في البطن وداخل الصدر . فيستفاد من هذه الحالة ان استعادة الحياة ممكنة اذا كانت الاعضاء لا تزال سليمة

وكانت أغرب الحالات وادهشها حالة فالنتين شيربيانوف التي ثبتت فيها جميع أدلة الوفاة منذ ثلاث دقائق ونصف دقيقة قبل ان نشرع بعملنا . وبعد عمل دقيقة واحدة عاد القلب يختلج ثم ينبض . وبعد ثلاث أخرى عاد التنفس طبيعيا . وهكذا أوقف النزع وتأجل الموت . وبعد ساعة رأينا علامات الوعي في الجريح . وشفي الجريح

جميع هذه العمليات الاختبارية والتجريبية هي البداءة في فن « تأجيل الموت » . فقد أعدنا الحياة للشخص بعد ٦ دقائق من ثبوت علامات الموت . ولنا الامل اننا سننجح باعادتها بعد مدة أطول من الوفاة . ومن يدري ماذا تكون الاسرار التي يعلنها هذا البحث في أمر الحياة والموت

م . ح



بقلم الأستاذ سامى الجريديني

قد يظن الكثيرون أن النظام النازى ـ وقد غلب على أمره عسكريا ـ لنظام سهل الاقتلاع من جذور الحياة الألمانية

وليس الأمر لسوء الحظ كذلك

فقد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن النازية ليست الا مظهراً من مظاهر الروح الألمانية ونظرها الى الحياة وهى تختلف اختلافا كلياً عما تواضع الناس عليه منذ فجر الحضارة حتى الآن

وقد يطول بنا المقام اذا ذهبنا الى بعيد لتعرف أصول هذه الفكرة الألمانية كيف نبتت وماذا كان غذاؤها حتى أصبحت شيئا قويا يحسب حسابه

أهى لأن الشعب الألمانى قد ضاقت به الأرض واضطره الزمن الى التوسع أم لأنه فى موقعه الجغرافى من أوربا وفيما فى أرضه من فحم وحديد قد جمع ما جعلته الصناعة آلة للتسلط . أم هو دم توتونى يزعمونه خير الأصول أعدته الطبيعة للتحكم فى أقدار البشر . أم هى فلسفة مركزة على القوة العسكرية صادفوا بها بعض النجاح المادى فيما مضى فاستمرأوه وأخذوا القاعدة وأطلقوا فيها الحكم واطردوا الباب ؟

نكتفى فى هذا المقال بإيجاز بعض ما أجمع عليه كتاب غير مغرضين وقوم لهم من مكانتهم العلمية والاجتماعية ما يجعلهم بمعزل عن التحيز ذريعة الى الوصول الى تعرف أهداف النازية وأساليبها وماذا كان يمكن أن يكون فعلهم لو تمت لهم الغلبة فى هذه الحرب

١ ـ الهدف النازى

ليس لألمانيا من هدف أصغر من التسلط على أوربا كلها ذريعة من بعد ذلك الى الاستئثار بأمور الدنيا

هذا هدف لهم قديم لم يجهروا به الجهر كله الا على أيام هتلر . فقد قام هذا فيهم من أصل وضيع لا يمت الى عظمة ألمانية بسبب ولكنه مصاب بداء العظمة فما كان إلا أن تقمص الأغراض الألمانية منذ القدم حتى يومه وبالغ فى الدعوة اليها فرأى فيه الألمانيون زعيما سلسوه القياد

ولم يكن لمثله أن يقود شعبا عسكريا مشبعا بالتقاليد لو لم يمثل هدفهم وآمالهم أعظم تمثيل

واقد ازداد القوم ايمانا بدنو ساعة تحكمهم فى أقدار العالم عند ما أنسوا ضعف دول أوربا وانحلال المبادىء الديموقراطية فيها وتفشى المبادىء الاشتراكية فى روسيا وتسلطها عليها ووقوف انجلترا وأميركا منها على حذر وخوف

وقد كتب رجل من أساتذتهم الحاليين كتابا دعاه انحلال الغرب (The decline of the west) طبعه فى ١٩١٨ ـ كتابا ضخما ثقيلا خلص فى نهايته الى مثل هذا القول الغريب (لقد كتب على الامم الديموقراطية أن تزول لأنهم وضعوا كل ثقتهم فى الاوهام وخصوصا أوهام الحق والعدل. وليس فى العالم الا حقيقة واحدة هى القوة فاذا أرهفت السمع سمعت وقع أقدام القياصرة آتية تمتلك العالم)

ولم يجمع قوم أمرهم إجماع الالمانيين على هذا الهدف

وأيدوه بخرافة قال بهـا من قبل موسيقارهم واجنر وأثارها فرنسى اسمه جو بينو (Gobineau) وانجليزى اسمه تشمبرلن (A. S. Chamberlain) وهو من غير آل تشمبرلن المعروفين . على أن زعيمها كان أستاذاً ألمانيا اسمه جنتر (Gunther)

ومغزى هذه الخرافة أن منشأ الحضارة فى البلاد الواقعة شمال البلطيق وأن الجنس الجرمانى هناك هو العنصر الوحيد الذى حافظ على نقاء الدم الآرى النورديكى الطاهر

وأن ليس من حضارة ذات قيمة الا اذا اشتقت من هذا العنصر . وأن هذا العنصر تمثله ألمانيا الحديثة وأن عليها واجبا مفروضا مكتوبا هو تزعم العالم وسيادته

وزاد على ذلك معتوه اسمه روزنبرج ظهر على أيام هتلر فقال إن العنصر الالمانى لطهارته لا يخطىء ولا يعمل إلا ما هو عظيم وان الاقيسة الادبية التى جاءت بها الاديان والتقاليد لا تسرى عليه وان ما به فائدة العنصر الجرمانى فهو القاعدة الواجبة الاتباع

وهم حتى يجعلوا هدفهم ممكنا أخضعوا كل شىء لديهم للسلطة العسكرية

فالنظام ـ نظام الثكنات ـ هو معبودهم . يطبقونه فى العلم وفى الادب وفى السياسة وفى الاقتصاد فكانت النتيجة المنطقية لهذا أن وصلوا الى القول بزعيم واحد يستمد منه كل سلطان لا يخطىء ولا يتناوله الشك

« الفوهرر » . هذا إلههم . ومنه تتوزع الاعباء وما أكثرها على « فوهررات » من تحته مهما سفل

ولو كان هذا التوحيد أو الايمان بالفوهرر عاماً يتناول جميع المخلوقات الارضية لقلنا هذا إله زور قد جاءنا فى آخر الايام

ولكنه إله من طراز غريب . انه إله الجرمانيين . فهم أسياد الأرض وما سواهم ففى ظلمات من درجات العبودية بعضها فوق بعض. لا يجديهم ايمانهم بالفوهرر ولا يرفعهم الى التقرب منه إلا دم قد يختلط من قريب أو بعيد بنقط من الدم الآرى

ثم أردفوا الهدف الأصلى بدعامة أخرى وهى إحلال القوة محل القانون

فهم يقولون ويكتبون فى غير استحياء أو خجل إن القانون هو ما عبر عنه الضمير النازى الألمانى وأن القوة هى وسيلتهم وأن كل شىء جائز فى سبيل تسلط ألمانيا ـ الكذب وإخلاف العهود والعبث بالمعاهدات ـ كل هذا حلال وحق اذا نطق به ذو الدم الآرى

وليس ما قدمنا إلا جزءاً صغيراً مما تقوله النازية فى أهدافها وقد ضربنا صفحاً عن تبيتهم للاديان يهدمونها ولا يقيمون لهم معبوداً الا الفوهرر. ويسلطون العلوم الطبيعية على هدم ما تقدم من الرقى العالمى فى الأخلاق توصلا الى الأخذ بمبادىء جديدة تبرزهم على المخلوقات كلها

ما أشبه فوهررهم بفرعون انه علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ـ وقال ما علمت لكم من إله غيرى. واستكبر هو وجنوده فى الأرض وها هى آخرته

٢ ـ أساليب النازية

أما وقد علمنا الهدف النازى وما يرمى اليه القوم حق لنا أن نشرح شيئاً قليلا من أساليبهم التى زعموا أنها توصلهم الى هدفهم

اننا نخشى التطويل فى شرح أساليبهم على اننا نلخصها بما كنا نرى أثره طوال سنى الحرب وما سبقها

فمن أساليبهم تحبيب الجرمانية الى جميع الجرمانيين المتوطنين خارجاً عن ألمانيا

فهم اذ يلوحون الى سكان فى النمسا أو تشيكوسلوفاكيا أو رومانيا أو هنغاريا انهم سلالة شعب الآلهة المختار خلقوا ليسودوا العالم ـ يهيجون العاطفة الانسانية المركزة على الانانية وحب الاستعلاء. وكذلك فعلوا فى أوربا وفى الاميركتين. أما فى أميركا الشمالية فلم تعرهم الجالية الاميركية من أصل ألمانى أذناً صاغية على كثرة عددهم الا نفراً قليلا لا يكاد يعد على أصابع اليدين والرجلين. والسبب فى إفلاحهم فى غير أميركا الشمالية أن عنصرهم كان يمكن أن يعد فى مستوى أعلى من الوسط الذى كانوا فيه. ولا يصح هذا على الولايات المتحدة حيث المتاع المادى والمعنوى مباح لجميع الناس وحيث لا سلطان الا القانون

ثم لجأوا الى أسلوب مالى اقتصادى يستأثرون به بخيرات البلاد الصغيرة المجاورة كلها يأخذون محصولها ولا يؤدون ثمنه الا « ماركات »

وجعلوا لكل دولة ماركا ولما لم يكن لهذا المارك قيمة فى الخارج أعطوا الدولة الدائنة بضاعة ألمانية مزجاة لا نفع فيها عندهم وعند الجار الدائن الا الى حد محدود كآلات تصوير والعاب أطفال وما اليها بل كانوا يأخذون البضاعة من البلاد المتعاملة معهم كهولاندا أو بلغاريا أو رومانيا أو السويد

ويبيعونها وهى على الطريق لبلد آخر يحتاج اليها يقبضون منه الثمن عملة أجنبية يريدونها فى شراء ما هم بحاجة اليه

وصرفوا اقتصادهم كله الى خدمة الآلة الحربية . المصارف والمصانع والمناجم ، كلها ترمى الى تكبير آلة الحرب وشحذها

فانهم وضعوا القاعدة التالية هدفاً فى أسلوبهم الاقتصادى ، تبقى المانيا وشعبها المختار الدولة التى تستأثر بالصناعات الثقيلة وشىء من الصناعات الخفيفة التى لا يستطيعها غيرهم ويؤيدون ذلك بما عرف عنهم من القدرة العلمية فى الأمور الفيزيكا والكهرباء وأما ما بقى من أوربا فخادم يحرث الأرض وعامل يعمل فى الصناعات الصغيرة التى لا تزاحم الصناعة الالمانية

وكان لهم مشروع اقتصادى شيطانى يرمى الى استعمار افريقيا كلها . فيصرفون أهلها الى تشجير البلاد الشاسعة وتحريشها ثم الى استغلال ما فى بطن الارض يرمون بهذا الى جعل القارة مخزناً للمواد الأولية والغذائية للعنصر السيد

واكتفوا بمشروعهم هذا باشراف عسكرى قوى صغير إما بمطائر طائرات أو ثكنات جند موزعة فى مواقع استراتيجية بحيث لا يقطنون هم افريقيا ولا يلدون فيها ولا يتناسلون ويبقى الأسود والأسمر والأحمر فى مراتب حقيرة فى خدمتهم

٣ — ماذا تكون النتيجة لو غلبوا انجلترا

ما تقدم بيان مختصر لهدف النازية وأساليبها

ولكن كل هذا كان وقفاً على أمر واحد لا ثانى له ، هو تنحية انجلترا عن معارضة بغيتهم . إما بالدهاء وهذا ما حاولوه ففشلوا أو بالقوة وهو ما قضى عليهم وعلى أهدافهم وآمالهم فلا تقوم لهم قائمة بعد .

لو استطاعوا أن يزيلوا انجلترا لملكوا العالم وفى العاجل القريب لأن انجلترا المهزومة المغلوبة على أمرها تكون محطة لهم للهجوم على أميركا ولا تستطيع أميركا مهاجمة أوربا إن لم يكن لها قاعدة أو قواعد بالقرب من القارة وخير هذه القواعد انجلترا كما ظهر فى هذه الحرب

لو تمكن النازيون من كسر الأسطول لهبط فى الحال مقام انجلترا الى مثل جزيرة من جزر اليونان ، فان هذه الجزيرة التى تأوى ٤٥ مليوناً تأتى بأكثر من نصف طعامها من الخارج ويقوم كيانها على تبادل التجارة مع الخارج فاذا ذهب الأسطول أو عجز عن المحاربة لمات كثير من السكان جوعاً وهاجر من استطاع الهجرة

وليس هذا فقط بل ان انكسار الأسطول البريطانى يزيل الحصار الذى كان يمكن أن يضرب حول أوربا النازية ويفسح المجال لانتشار تجارتها مع آسيا وافريقيا فتتم الغلبة على العالم

ومهما تفلسف علماء الكلام فنصر المانيا كان أدنى من قابى قوس وان الذى نجا العالم من شر الغلبة المجرمة هو ثبات الجزيرة البريطانية وعدم إحنائها ركبتها لهذا البعل الجديد

ورب قائل يقول ربما كان الخير كل الخير أن تسود المانيا فانها نوت أن تنظم وأن تضع العالم فى خدمة النظام . وأما إمكان سيادتها فما لا جدال فيه فان تاريخ البشرية مملوء بحوادث وفترات من الزمن كانت الغلبة فيها لمبادىء فاسدة ولرجال مجرمين

وانما الحكم على هذه السيادة يكون بما يمكن أن تجنيه على البشرية من خير

ولا شك أن النازية أداة عبودية لمصلحة المانيا مضحية بحريات البشر التى ورثوها وضحوا لأجلها بالشىء الكثير ومخربة للامل البشرى بأن الانسانية واحدة وأن لكل امرىء ما سعى فانه اذا كان الغرض أن السيادة فى العالم لهؤلاء الآريين النورديين والعبودية على اختلاف درجاتها للآخرين فأى معنى بعد هذا للحياة هؤلاء الخدم وكيف يرجى تقدم في نظام عالمى محكوم فيه مقدماً على بعض بالسيادة وبعض بالعبودية ، فالجزر البريطانية التى وقفت فى وجه طغاة المانيا واستلت سيفها فى وجههم نجاء العالم لتجدتها عليهم لم تكن لتجرأ على هذا النضال لولا حب للحرية والاستقلال يتغلغل فى الدم فان دفاع بريطانيا كان كما وصفه الزعيم العظيم تشرشل فى سبيل الحياة أو الموت لا وسط بينهما

فاذا كان العالم قد نجا من عظمى مصائبه فأحر به أن يتعظ وأحر بالدول الكبرى التى وقع على أكتافها عبء مسئولية تنظيم العالم أن تعمل لغيرها كبعض ما تعمل لنفسها وأخلق بالدول الصغرى أن تفهم حقيقة أمرها . وتعرف حدها . فانه ما تغنى على ما كانوا يسمونه ديموقراطية قبل هذه الحرب وما شجع الفلسفة الألمانية وقواها مثل الالتجاء الى علم الكلام والاخذ بالفقه حيث يجب الاخذ بالامر الواقع وصرف الحكومة الى أنها تخدم مصالح الافراد لا الى أنها مظاهر تبين القشور وتخفى اللب

اذا كان لهذه الحرب أثر فى تركيز جهود الحكومات ــ فى البلاد الصغيرة على التخصيص ــ الى العمل على تحسين حالة الشعب المادية والعلمية ضاربين صفحا عن أبهة الاساوب وخداع اللقب ــ اذن لكان لنا أن نحمد شرها

وأما اذا كان كل ما يعنينا غرض شخصى تضيع عنده العقول أو سياسة قائمة على التفريق بتفضيل فئة على أخرى أو موجهة وجهة تأباها الحقيقة العصرية والعلم الحديث أو أن تكون ادارته فى يد هذه الدولة الكبرى الآن ثم فى يد تلك غداً فما لا شك فيه أن مثل هذه الأوضاع فى الشعوب تغرى دولاً أخرى أن تحذو حذو النازية وأن تزج العالم فيما لا نهاية له من الويل والدمار

سامى الجريديني



ان الموسيقى تزيد انتشارا وتغلغلا فى حياتنا القومية ، وليس ببعيد ذلك اليوم الذى تصبح فيه حاجة من حاجاتنا الضرورية مثل الغذاء والسكنى والكساء

ازداد الاهتمام فى السنوات الاخيرة بنشر الموسيقى وادخالها فى مختلف الامور ، ومن ذلك استخدامها كوسيلة من وسائل العلاج

وقد غالى البعض فى هذا الامر الاخير ، فنسبوا الى الموسيقى انها تشفى من جميع الامراض ، وذلك قبل أن يجرى الاطباء من التجارب ما يمكنهم من الوصول الى نتائج حاسمة

والصعوبة التى تواجه الاطباء فى هذا المجال ، هى ان الموسيقى أكثر الفنون التصاقا بالشخص وتعبيرا عنه . وقد ثبت ان الحواس الخمس ذات ارتباط وثيق بصحة الانسان وهناءته ، ومن بينها السمع أشدها دقة وأكثرها تأثرا . ولا ريب ان الموسيقى هى أحب المؤثرات الصوتية الى الناس ، يتلقاها جهاز الاذن الرقيق فتحملها اهتزازات معقدة التكوين الى المخ والجهاز العصبى ، وعندئذ يكون تأثيرها كتأثير كوكتيل قوى .. فهى تقدر ان تعشك وتنشطك ، أو تهدئك وتسكنك ، وتقدر ان تحلق بنفسيتك فى الاعالى مسرعة مندفعة ، أو تهوى بها الى هوة سحيقة لا تلوى على شيء

وقديما عرف للموسيقى أثرها فى ايجاد الفرح والعزاء ، وبث الامل والرجاء ، فعند اليونان القدماء كان « بيثاجوراس » أول من كشف هذه الميزة الخفية لها وكان ينصح لتلاميذه بأن يزيلوا آلام الجسم والنفس بما كان يسميه « العلاج الموسيقى » . ويحدثنا « هومر » عن سحر الموسيقى وكيف وقفت نزيف الدم القتال عند « أوليسز » . وكان الاطباء العظام كثيرا ما يلجأون الى معجزة الموسيقى حين تفشل وسائلهم الاخرى فى العلاج ، وقد وصف « جالن » عزف المزامير لتخفيف الآلام ، وكان « ماثيوس » يخفف الحمى بالغناء ، كما كان « ايسكولابيوس » يعالج الصمم بقرع الطبول

ومنذ تلك العصور أخذ كثير من المفكرين المتعاقبين — ومن بينهم ليوناردو فنشى —

يستكشفون طبيعة الموسيقى . واعترى الموسيقى كذلك تطور عظيم ولا تزال يستحدث فيها الكثير كل يوم

ولم يقتصر الاهتمام بالموسيقى على الفنانين وحدهم ، بل أخذ علماء الصوت يلتفتون اليها ، ويجرون التجارب والمقاييس ليدركوا تأثيرها من النواحي الجسمانية والنفسية والكيماوية . وقد لخص الدكتور ادوارد بودولسكى نتائج تلك البحوث والتجارب فى رسالة كتبها بعنوان : « الطبيب يصف الموسيقى »

وبواسطة المؤثرات الصوتية فى السمع تسنى للعلماء ان ينظموا حركة الهضم ويؤثروا فى التنفس ويزيدوا أو ينقصوا من النشاط العضلى ، كما يمكنهم بها أن يعدلوا من حجم الدم وسرعة النبض ومعدل الضغط ويرجئوا الشعور بالتعب أو يعجلوا به ويزيدوه . ومن ثم يرى علماء النفس ان فى الامكان ايجاد أساس جسمانى « فيزيولوجى » لتولد الاحاسيس ولضبط الافرازات الداخلية

وقد ثبت ان الاصوات الصارخة تولد الاحماض وتنتج الزيوت من نباتاتها وتبعث الغازات ، وتحول النشاء الى سكر وتقتل أنواعا معينة من الجراثيم وتكثف البروتينات وتحطم الزجاج أو تغلى البيض . بل دلت تجارب أخرى أن سيأتى يوم تعالج فيه حصى المرارة باذابتها بالاصوات !

وعلى الرغم من هذا التقدم البعيد المدى فى البحوث المتعلقة بالصوت ، ينبغى أن لا يبالغ الجمهور فى الاعتماد على العلاج بالموسيقى . فالواقع انه فى تاريخ الطب كله لم تكسب وسيلة من وسائله شهرة واسعة على أساس قليل من التجربة ، كما كسبه ذلك الضرب من ضروب العلاج . والعادة انه حين تظهر فى عالم الطب عملية جراحية من نوع جديد ، أو دواء لم يكن للناس عهد به ، يكون ذلك قائما على آلاف من التجارب أجريت على الفيران والارانب والكلاب والاناسى ، ذلك لان صناعة الطب لا تمشى فى الظلام . أما فى حالة العلاج بالموسيقى فقد كانت الحاجة عاجلة والحماسة شديدة ، فجاء كثير من ذلك العلاج على غير أساس ، ولسوف تنقضى سنوات طويلة فى البحث والتجربة ، حتى تعرف بالضبط حدوده وما يمكن أن يصل اليه من النجاح

ومع ذلك ، والى أن يحين هذا الاوان ، ينتشر استخدام الموسيقى كوسيلة لتخفيف الآلام وازالة الشعور بالانقباض . وقد أخذ عدد من المستشفيات فى اتخاذ الموسيقى لهذه الغاية ، مثل مستشفى فورد ومستشفى الكسندر بلير فى ديترويت ومستشفى وولتر ريد فى واشنجتن ومستشفى جامعة كليفلند .

وقد سارعت مدارس الموسيقى والموسيقيون المحترفون الى التمشى مع هذه الحركة فوضعوا برامج ملائمة

وفى مقدمة الرواد فى هذا المجال ، المرحومة هاريت أير سيمور ، التى كانت مؤسسة ومديرة « المؤسسة الوطنية للعلاج بالموسيقى » ، ومكانها الآن فى قاعة ستينواى بنيويورك .

وقد بدأت فى خلال الحرب العظمى الاولى ، فقضت سنوات فى البحث والدراسة بامريكا وأوربا ، وانتهت الى وضع برنامج دقيق يشمل أنواعا معينة من الاغانى والآلات الموسيقية لسد حاجات طوائف شتى من المرضى ولمساعدة الاطباء فى علاجهم الطبى . وكانت المسز سيمور تهتم بعدة عوامل : مثل شخصية الموسيقيين العازفين ، وحسن اختيار القطع الموسيقية والتقارب النفسانى وغير ذلك مما يختلف عن الحفلات الموسيقية العامة أو المنزلية

وقد تطوع عدد كبير من الطلبة للعمل تحت اشراف تلك السيدة فى مختلف مستشفيات نيويورك بعد ان دربوا تدريبا خاصا . ثم اقتدى بهم غيرهم فى المدن الامريكية الاخرى فألفت فيها فرق موسيقية للعزف فى المستشفيات ترويحا عن المرضى ومعاونة على علاجهم . غير ان المسز سيمور كانت منذ البداية بعيدة عن الغلواء ، مبرأة من الزعم بأن الموسيقى شفاء لكل مرض ، ومع ذلك فقد شهد الاطباء والممرضات منذ بدء استعمال تلك الطريقة بأن مرضاهم تسترخى أعصابهم ، ويهدأ نومهم ، ويزيد اهتمامهم بالحياة والعالم ، عقب كل حفلة موسيقية يستمعون اليها

ومنذ وفاة المسز سيمور وتزايد عدد الجنود الجرحى ، حمل الرسالة خليفتها المستر ايرل جاريت بالتعاون مع سيدات الصليب الاحمر ، فهم يقيمون مئات الحفلات الموسيقية كل اسبوع فى المستشفيات ، غير ان الطلب يفوق العرض بمراحل . ومن رأى البريجادير جنرال رالف دى فو الضابط المدير لمستشفى هالوران العمومى ، ان الموسيقى سوف تكون فى مقدمة وسائل النقاهة فى المستشفيات العسكرية

وكثيرا ما تعزف الموسيقى للمريض فى اثناء اجراء عملية جراحية له بتخديره تخديرا موضعيا أو فى عموده الفقرى ، فهو يستمع اليها بواسطة سماعتين توضعان على أذنيه ، فتخفف عنه وقع الشعور بأن الاطباء يعملون بمباضعهم فى اجزاء من جسمه .

وقد لوحظ فى السنوات الاخيرة ، ان كثيرا من الخيرين البواسل الذين يجودون بجانب من دمهم للمرضى ، يصابون بالاغماء أثناء عملية نقل الدم . وقد رأت مراكز الصليب الاحمر فى بروكلين وبوستن وبفالو ، ان عزف الموسيقى فى أثناء تلك العملية يذهب بمخاوفهم الوهمية . وكان أحد الاطباء النفسيين قد اقترح ذلك فدهش الجراحون من حسن نتائجه

وتذاع القطع الموسيقية المختارة بواسطة جهاز خاص يوضع فى المستشفى . ولقد ابتكر الدكتور ألمر س. بست كرسيا موسيقيا لعيادة طبيب الاسنان ، يجلس عليه المريض فيستمع الى موسيقى مطربة تغطى على صوت الخلع والحفر والمسح وما أشبه مما قد يجرى على أسنانه

وقد لجأت الى الموسيقى الدكتورة لوريتاس . بندر ببلدة بلفى والدكتورة ايراء م. التشولر بمستشفى الواز والاطباء النفسانيون بمستشفى جون هوبكنز وغيره من المستشفيات ، لكى يخلصوا من انفعالات الاطفال المرضى ويهدئوا من سورة الكبار المرضى

بعقولهم . وكانت بأحد المستشفيات امرأة روسية شابة خيل اليها أن الناس جميعا متآمرون على قتل طفلها ، ولم تهدأ ثائرة هذه الهستريا عندها حتى عزفت لها قطع موسيقية روسية مما اعتادت سماعه فى عهد طفولتها . وأصيب شيخ اسكتلندى الاصل فى حادث سيارة ففقد ذاكرته فقدانا تاما حتى لقد جهل زوجته ، ولم يستمد ذاكرته الا حين أخذت جماعة من الحسان يعزفن له أغانى اسكتلندية قديمة . وآلاف من الكائنات البشرية المعذبة من أمثال هذا وتلك يولدون من جديد بفضل الموسيقى ، وخصوصا اذا أمكن اشراكهم أنفسهم فى العزف أو الغناء

ان كثيرا من مديرى المستشفيات يطلبون التوسع فى استخدام الموسيقى ، ويؤثرون ان يشترك فيها المرضى أنفسهم ولو بمجرد التوقيع على سررهم أو الهمهمة بحناجرهم . ومعظمهم لا يضنون بالانفاق السخى من ميزانياتهم المحدودة فى سبيل الموسيقى لو أمكن التقدم فى استخدامها كعلاج ، وفى ذلك يقول الدكتور ويلم فان دى ورل مؤلف كتاب « الموسيقى فى المعاهد » : ان استخدامها فى العلاج مسألة طبية كما أن استخدامها التجارى مسألة فنية

ولما وجبت مضاعفة الانتاج فى أمريكا لسد حاجات الحرب ، كان للموسيقى أثر بارز فى هذا المجال ، وقد عمد اليها أكثر من ثلاثة آلاف من المصانع الحربية فصارت تذيع القطع الموسيقية بالراديو أو الفونوغراف اثناء العمل ، فتبعث فى العمال روح النشاط والسرور . ولم يقتصر الامر على المصانع الحربية وحدها ، بل استخدمت الموسيقى أيضا فى المعامل المدنية والمغاسل والمطاعم . وقد لوحظ أن أحسن أنواع الموسيقى فى هذا المجال هى الموسيقى الهادئة المتزنة . اما الموسيقى الصاخبة مثل الجازباند فانها بعد ان تثير الحماسة فى العمال يعقبها رد فعل من الخمول . وقد قام ريتشموند كاردنل مدير ابحاث الموسيقى والاستاذ هارولد بوريس ماير بمباحث وتجارب واسعة النطاق لمعرفة تأثير الموسيقى فى انتاج العمال ونشاطهم ، فاتضح لهما انها قد أنقصت حالات انصرافهم قبل الميعاد بمعدل ٦٦ فى المائة ، وهبطت بحالات الغياب عن المصانع بنسبة ٨٧ فى المائة ، وزادت الانتاج بنسبة ١١ر٤ فى المائة . وفضلا عن ذلك صحب زيادة الانتاج نقص ملحوظ فى الشعور بالتعب والدوار وتحدث العمال معا أثناء العمل وتكرار نظرتهم الى الساعة . وقد كان لهذه النتائج شأن فى وقت انصرفت الجهود كلها الى الانتاج بأقصى سرعة وأكبر قدر لسد حاجات الحرب .

على ان الخبراء قد وجدوا ان من المحال وضع قواعد حاسمة بهذا الشأن فان الظروف تختلف باختلاف الصناعات وباختلاف الرجال والنساء الذين يعملون فيها . والثابت على أى حال هو ان للموسيقى أثرا حسنا ملحوظا فى نشاط العمال ونقص شعورهم بالتعب وميلهم الى التراخى والخمول ، والعادة ان اذاعة القطع الموسيقية فى أحد المصانع تشغل نحو ساعتين ونصف ساعة فى اليوم ، على فترات طول كل منها يتراوح بين عشر دقائق

وعشرين دقيقة . وكثير من المصانع تشجع عمالها على تكوين فرق موسيقية ، أو فرق غنائية ، فقد ثبت ان الغناء يساعد على الهضم وينشط الحركة الدموية ويزيد ما يستمده الجسم من الاوكسيجين بالتنفس

وقد يظن القارىء ان الموسيقى اذا ساعدت عمال المصانع على عملهم ، فقد تشغل الذين يشتغلون بأذهانهم اذا استمعوا اليها . وقد ثبت عكس ذلك وصارت القطع الموسيقية تذاع فى كثير من المكاتب المزدحمة بالموظفين ، مثل مكاتب مجلة ريدز ديجست وشركة توماس للنشر وكذلك فى بعض البنوك وبعض المكاتب الهندسية التى يجتمع فيها نحو خمسمائة من المهندسين والرسامين لوضع التصميمات الخ . وانما يجب أن تختار القطع الموسيقية التى تذاع فى أمثال تلك المكاتب بحيث تكون هادئة ووسطا بين البطء والسرعة حتى تلائم الاعمال الذهنية

اننا فى هذا العصر الذى انتشر فيه الراديو وكثرت اسطوانات الفونوغراف يمكننا ان نحصل على الموسيقى حين نشاء وحيث نشاء . ولسنا نملك الفرار من تأثيرها حتى ولو أردنا ذلك . وانت أيها القارىء سواء كنت صاحب عمل أو موظفا ، وانت أيتها القارئة سواء كنت ربة بيت أو ذات مهنة أو عمل ، تستطيعان ان تريحا أعصابكما ، وتبعثا النشاط فى الجسم والذهن ، وتشعرا بالعزاء والهناءة ، بقليل من الموسيقى المناسبة تستمعان اليها

(عن مجلة الغد « تورونتو »)

البترول فى امريكا

من بين المسائل التى تشغل بال الولايات المتحدة الامريكية فى الفترة الراهنة مسألة البترول . وقد كتب المستر هارولد ايكس وزير الداخلية فى احدى المجلات الامريكية مقالا بعنوان « البترول يفرغ من أيدينا » صور فيه الاخطار التى تحيق بالولايات المتحدة اذا لم تكن لديها مقادير وافية من البترول، ثم قال : «ان الاحتياطى الموجود فى أمريكا الآن لا يكفى لاكثر من أربعة عشر عاما فاذا لم تعد العدة له من الآن فسوف يصبح من المتعذر عليها أن تشترك فى حرب أخرى فى المستقبل . ومن ثمة كان لزاما عليها ان تختزن مقادير من البترول فى بلادها ، وأن تضمن موارد كبيرة منه فى الخارج ، كما تعمل على توفيره فى المراكز الاستراتيجية من ناحية أخرى »

« مجلة الايكونومست »

التحرر من العار

بقلم العلامة الايطالى ـ الامريكى بورجيزى

الاستاذ جيزيى انطونيو بورجيزى عالم ايطالى ناهض النظام الفاشيستى فى ايطاليا وهو فى عنفوان قوته وجبروته فاضطر ان يغادر بلاده الى الولايات المتحدة فى سنة ١٩٣١ . وبعد سبع سنوات تجنس بالجنسية الامريكية .. وهو الآن استاذ بجامعة شيكاجو . وقد كتب الموضوع التالى عن ميثاق الاطلنطى وتنظيم العالم بعد الحرب ، وفيه كثير من الصراحة والجرأة

أعلن الرئيس روزفلت ، قبيل سفره الى يالتا ، عن رغبته فى لم شعث ميثاق الاطلنطى الذى كان له النصيب الاوفى فى وضعه ثم تمزيقه . .

بيد أن ميثاق الاطلنطى كان شيئا واهنا منذ نشأته . صحيح أنه أنكر كل رغبة من جانب الدول المنتصرة فى التوسع الاستعمارى أو غيره ، وانه حرم كل تغيير فى حدود البلدان لا يكون متفقا مع رغبات الشعوب . ولكنه فى الوقت نفسه قدس « الحقوق العليا » التى للدول القائمة « فى داخل حدودها » ثم تبع ذلك تصريح تشرشل القائل : « سوف تحتفظ بحقوقنا » ، وتوقيع ستالين للميثاق مع اشتراطه ضمنا بأن الحدود فى نظره هى كما كانت فى سنة ١٩٤٠ أو فى سنة ١٩١٤ ، كما يحلو له . وقد أكد الميثاق « القضاء الابدى على النير النازى » غير انه نص على احترام « حق كل شعب فى اختيار شكل الحكومة التى يريد أن يعيش فى ظلها » ، وبذلك برر قيام حكومتى بتان وفرانكو فى ذلك الحين ، ومهد الطريق لاى نوع جديد من الفاشية يمكن أن يقوم فى أحد البلدان المحررة . وذكر الميثاق كذلك عدالة توزيع التجارة والمواد الخام على جميع الدول « سواء كانت كبيرة أو صغيرة ، منتصرة أو مغلوبة » ، ولكنه أضاف حاشية تقول : « مع رعاية الالتزامات الحالية » ، وفى ذلك علامة مرور خضراء للاحتكارات الموجودة والقابلة للاتساع .. ورسم الميثاق فى آفاق بعيدة « ايجاد نظام دائم للسلام العام » ، وفى انتظار تحقيق هذا الامل ، بعد سنوات أو بعد أجيال ، يكون هناك عالم المنتصرين وعالم المهزومين ، ويكون لبوليس الدول المنتصرة حق الاشراف على تلك الأمم التى قد تنذر بالعدوان فى خارج حدود بلادها ، (ولعل العدوان الذى فى داخل حدود البلاد مثل ابادة الاقليات أو المعارضين السياسيين يكون مما لا شأن لنا به)

هكذا كان ميثاق الاطلنطى : فلا عجب ان يضعف مثل هذا البناء الواهى أمام بضع هزات تصيبه

أما النقص والغموض اللذان اعتورا « الحريات الاربع » فانهما لم يلفتا الانظار وما كانا بمقصودين ، فان تلك الحريات الاربع قامت على الجهل بالتاريخ أكثر مما قامت على الدهاء الدبلوماسى ، وانما رحبت بها الشعوب التى تتكلم بالانجليزية ذلك الترحيب ، لانها كانت ترديدا لشعور عريزى عندها بأن الحرية أمر بديهى سواء كانت منقسمة الى أربع حريات أو أكثر . .

ولكن شعوب أوربا لن تقنع باربعين نوعا من الحرية حتى تكسب ضربا منها لم تشمله حريات روزفلت الاربع ، وأعنى بها حرية تقرير المصير . فاذا عدلنا عن كلمة «الحرية» الى كلمة « التحرر » رأينا الاوربيين فى حاجة الى التحرر من « العار » ، أى من الشعور بالنقص الذى يزيد بالخضوع الاضطرارى للسلطان الخارجى

ان عقلية الشعوب التى تتكلم بالانجليزية لاتقدر هذا الامر حق قدره ، فانها على عكس أبناء عمومتها وأعدائها الالمان ، لم تحاول قط ان تصبح جنسا ممتازا يسيطر على جميع الشعوب . بل انها أحجمت عن اتخاذ أية خطة لفتح العالم . ولكنها على عكس أبناء عمومتها ومنافسيها الالمان ، قد نجحت فعلا فى أن تصبح شعبا ممتازا وجنسا سيدا ، ولست تجد انجلوسكسونيين فى حالة عبودية بأى مكان ، فحيثما حلوا أصبحوا أوصياء يحكمون شعوبا خاضعة ، أو عاشوا على الاقل اندادا للامم التى يباشرونها حفظاء على كرامتهم القومية . وليس ثمة من أقلية تتكلم بالانجليزية ، وتستحق الذكر خاضعة لقوانين أجنبية

اذا ذكر الاوربيون الحكم الاجنبى فانهم لا يتصورون بالضرورة حكما قائما على الشنق والسجن والنهب والسلب . بل انهم قد يتصورون امكان قيام سيادة مشوبة بعطف أبوى وربما يذكرون أمثلة على ذلك . غير ان الحكم الاجنبى يؤدى الى الهلاك سواء كان قاسيا أو لينا ، ويكفى انه يفقد الشعب المحكوم كرامته وثقته بنفسه ، ويعوده الشعور بضرورة البقاء فى مستوى لا يسمو الى الحكم الذاتى ، فهو يمزج جرعة من الشعور بالانحطاط بمشروب الكراهية العاجزة ، وهو ينسى مزايا الانتخابات العامة فى حين لا يتعلم صعاب الاضطلاع بالمسئولية . وعند ذلك الشعب تذوى بذور الخلق والابتكار الذهنى ، وتنضب موارد الاقدام الاقتصادى ـ فانه ، كما قال أحد علماء الاقتصاد فى القرن الثامن عشر : لا يكاد الحيوان أو الانسان يفقد حريته ، حتى يصبح لزاما على سيده أن يطعمه

ان شعوب أوربا كلها قد مرت عليها فعلا تجربة العبودية القومية . وهى لم تعلم بها من الاقوال ولا من الكتب ، ولكنها شهدتها بنفسها ولمستها عن كثب ، ولا تزال تكره ذكراها القريبة من الاذهان ، وتفزع من خوف عودتها يوما من الايام . وهذا شعور واضح فى الطبقات العليا من القوميات الاوربية ، كما هو كامن فى ضمائر الطبقات الدنيا منها وهذا هو الذى دعا شعوب أوربا الى بغض الالمان . وكل أمة أخرى قد تحاول ان

تحل محل الالمان وتمثل دورهم ، مهما يكن حكمها لنا عطوفا ، تكون مكروهة كذلك وسيكون لامريكا نصيبها من بغض أوربا اذا مدت يد العون لاخضاعها

ولقد قاس وودرو ويلسن عمق هذه المسألة وقدر أهميتها ، ولذا وضع مبدأ « حق تقرير المصير »

ولقد أدرك بلا ريب أن زيادة تأكيد المشاعر القومية هي من أكبر عوامل الفوضى في العالم . ولكنه أدرك أيضا انه لا بد من ترك المجال لتلك المشاعر في دائرة المدنية وان الاستمرار في ضغطها انما يؤدي الى الانفجار

هذا الذي ألهمه ويلسن ، وتلك غايته . ولقد فسرت هزيمته بأمرين : أحدهما انه لم يعش حتى يتاح له احكام غايته . والثاني انه كان متعلقا بالاحكام الى حد الغلو . وواضح ان كلا الامرين يناقض الآخر . ومأساة الفترة الحالية من تاريخ أمريكا هي ان جميع أصحاب الرأي والسلطان من الجماعات والاشخاص ، من الرئيس فنازلا ، قد اختاروا الرأي الاخير . والذين كانوا متصلين في شبابهم بويلسن وأعماله قد أجهدوا أنفسهم لكي يبينوا لنا أنهم قد نضجت عقولهم منذ ذلك .. ولم يترك كتابهم سبيلا لكي يقنعوا أنفسهم ويقنعونا بأن ويلسن كان على خطأ ، وان خصمه الالد ، كليمنسو « الواقعي » ، كان على صواب اذ كان يفسد عليه خططه النظرية ، وان العقل البشري والعدالة الاجتماعية وتاريخ المدنية ـ كل أولاء تنكر شرعية مبدأ ويلسن الذي يقول بحق الشعوب في تقرير مصيرها . وسنرى ثمار هذه الآراء

ثمار « الواقعية »

ما دامت حالة آسيا في غموض فان تلك الثمار يمكن تبينها في أوربا . والمثل البارز فيها هو بولندا ، ففي مسألتها يمتزج الجد بالهزل

وانه لمن المؤلم المضحك معا أن الحرب الاوربية التي بدأت رسميا لاجل بولندا ، قد انتهت ـ بعد الانتصار ـ باخضاع بولندا ! وان انجلترا التي كانت قد مضت في التسامح حتى بلغت الى ميونخ ، ووصلت بعد تردد الى براغ ، قد وقفت عند دانزج ، ودافعت عن قدسية المعاهدات وعن سيادة الأمم ، ثم جردت سيفها من غمده وخسرت ثم كسبت . ولقد حاربت بولندا ولا تزال تحارب ، في صف انجلترا وفي صفنا . وها نحن أولاء ننتصر . وساق النتيجة ان اتفاقية هتلر ـ ستالين التي قسمت بولندا قد مزقت . ونال ستالين كل ما يصبو اليه . وقد أخذ بولندا في طريق تقدم جيوشه صوب برلين ، وكان ذلك أمرا يدعو الى الغبطة ! غير ان ما أخذته جيوشه باسم الدول المتحالفة ، قد أصبح الآن شيئا له ، ناله من بريطانيا وأمريكا ـ وهذه مأساة لا شك فيها !

والمسألة التي تواجهنا الآن ليست المفاضلة بين الحماية الروسية والسيطرة النازية على

بولندا ـ ولا مراء أن الاولى خير من الثانية ـ وليست المسألة كذلك هى هل يأتى نشر البلشفية فى بولندا بتقدم اجتماعى واقتصادى للفلاحين واليهود فيها ـ وهو أمر جد محتمل . وليست أيضا فى كون لفوف وفلنو ستكونان من نصيب روسيا أو بولندا . النتيجة هى عدم وجود نتيجة وانما هناك حقائق جامدة . وستأخذ روسيا لفوف وفلنو لانه لا بد من ذلك . اننا نهدم هتلر فى حين نهب الشرعية للفكرة التى يمثلها . والحق للقوة !

اننا اذا اعترفنا بأننا لا نستطيع عمل شىء حيال ذلك ، واذا أبدينا الاسف وقلنا اننا لا نملك الرغبة ولا القوة للتدخل فى بولندا ، وانه يكون من الجنون ومن الاجرام ان نعلن أو نعد حربا عالمية ثالثة ضد روسيا ـ فاننا نكون على الاقل شرفاء . وانما يبدأ الشر حين نحاول أن نغرى أنفسنا بالاعتقاد ان نص ميثاق الاطلنطى ـ دعك من روحه ـ لا ينقض الآن فى بولندا . وهذا هو ما فعلناه بالضبط فى يالتا

ليس فى الاعتراف بالضرورات ما يحط الانسان أدبيا . ولكن يكون الانحطاط الادبى والفوضى حين تغطى الضرورات بستار من السفسطة

وهم « الصلح القاسى »

حين تفرغ الدول من مسألة بولندا تصبح مسألة ألمانيا فى مقدمة المسائل

وفى حالة ألمانيا قد حددت المسألة بانها لا تعدو الصلح الرحيم أمام الصلح القاسى غير ان وضع المشكلة على هذا الشكل هو تزوير لا شك فيه

ان ذنب الأمة الالمانية فى مساعدة النازية على تولى السلطان ، هو ذنب عظيم لا ينكر . غير ان تلك الامة لم تستأثر بهذا الذنب وحدها ، فانها لم تعوزها الامثلة والمغريات من حولها . وقد كانت الكنائس وبيوت المال والامراء والشعراء وعلماء الشرق والغرب ـ يقدمون القرابين الى تلك الخطيرة الناهضة لتعاليم المسيح

أما الرأى القائل بأن ألمانيا على أى حال ـ سواء كانت نازية أو غير نازية ـ قد تأصل فيها الشر ، وان الروح العسكرية ومبدأ العنف هما من خصائص شعبها ، هذا الرأى لا يحمله أصحابه أنفسهم محمل الجد ، وانهم ليعلمون فى قرارة نفوسهم انهم انما ينتقمون من فكرة اضطهاد اليهود ـ والجزاء من جنس العمل ـ وهذه ليست أصلا من اختراع الالمان . وذلك بتحميل أمة واحدة كل ذنوب الجنس البشرى وكل مساوئه وخطاياه . ونتيجة محاولاتهم هذه ستكون طفلا وليد الحرب لا يرضى ان يتبناه أحد مسيحى أو يهودى أو أى انسان متمدن

ليس هناك شعب مختار من الله ولا شعب ممقوت من الله على وجه الارض . وليس هناك فرد أو جماعة تعلو على الذنب والتكفير عنه

ومهما انحط مستوى التفكير فى هذه السنين فان أمثال هذه الحقائق ما كانت لتستحق

الذكر لو أن أية حقيقة من نوع ما كانت تقف خلف خدع الدعاية

والحقيقة ان الشعب الالمانى يكون ، ويحتمل أن يكون ، أقوى وأكبر جماعة فى أوربا غربى روسيا . ومن ثم ينشأ احتمال عودة ميول السيادة — مهما تكن الفكرة التى خلفها — الى ألمانيا اذا أمكنها ان تخرج متحدة من كارثة النازية . وبديهى اننا لا نريد ذلك . وعلى هذا يجب ان يكون الصلح قاسيا بغير حد

ولكن هل صحيح انه كلما كانت أمة من الأمم أكثر عددا وأعظم عملا من جيرانها فانها لا تلبث ان تطلب لنفسها السيادة فى مجال تفوقها النسبى ؟ كلا . ان هذا ليس صحيحا

ان تفوق الولايات المتحدة بالنسبة لنصف الكرة الغربى هو أشد كثيرا من أى تفوق كان لالمانيا أو يمكن أن يكون بين دول القارة الاوربية . ومع ذلك فان الولايات المتحدة قد فرضت على نفسها حدودا لارضها وسلطاتها ، قبل ان تظهر سياسة حسن الجوار بزمن طويل

فهل الامة الالمانية بالغريزة عاجزة عن بلوغ مثل هذا النضوج ؟ أهى أمة كتبت عليها اللعنة الى الابد ؟ ومن الذى كتبها عليها ؟ أهو « الكبير » الذى لن تحيط بعقله أذهاننا ، أم « الثلاثة » الكبار ؟ ولكن اللعنة ليست من اختصاصهم ، فان مهمتهم لا تعدو ازالة الفاشية الالمانية من الوجود ، أو على الاقل : عدم تكرار ما فعلوه مدة جيل مضى ، وهو معاونة تلك الفاشية . .

والواقع انه كان أمام الدول الديموقراطية طريقان لاحتضان الفاشية ومساعدتها على البقاء . واحدى هاتين الطريقين كانت ارضاءها ورشوتها فى اثناء طفولتها ومنحها الثناء والغذاء والاقاليم . وقد اتبعنا هذه الطريق حتى وصلنا الى ميونخ والى أبعد منها . ونجحنا نجاحا باهرا .

أما الطريق الاخرى فهى ان تدفن الفاشية وكل منشآتها الضرورية تمهيدا لان تبعث فى المستقبل وهى أكثر حيوية من قبل . ويمكننا أن نفعل ذلك اذا حققنا ما قاله هتلر ليله ٣٠ يناير الماضى اذ قال : « ان أى وعد تدلى به الدول الديموقراطية لا قيمة له . فانها عاجزة عن الوفاء بعهودها » . فما علينا الا أن ندلى بالبراهين على صدق الفاشية والنازية اذ كانتا تزعمان ان الحرية والعدالة ليستا الا قناعا يخفى وراءه الطمع وحب السيطرة

وعلى هذا الاساس يكون أقسى صلح يفرض على ألمانيا هو أرحم صلح بالنسبة للنازية بناء على ذلك اذا لم تكن ماديا قادرين على ان نجتث الامة الالمانية من جذورها لتفنيها — ولعلنا لا نستطيع ذلك — واذا كانت مدنيتنا المسيحية المزعومة لا تعيش بعد هذا العمل الوثنى ، فان تصرفنا مع ألمانيا يجب ان تكون له هذه الوجهات الثلاث المتلاحقة :

أولا — النصر والتسليم بلا قيد ولا شرط . وليس هذا صلحا ، لا قاسيا ولا رحيما . بل انه يكون ، وينبغى أن يكون ، محو النازية من ألمانيا

ثانيا — الفترة التى تقع بين النصر والصلح . ويمكن أن توصف هذه الفترة بانها هدنة

أو وقف القتال . وفى خلالها يجب أن تحتل أراضى ألمانيا بجيوش الدول المتحالفة لا بجيوش دول على حدة ، وان تدار شؤون ألمانيا ادارة عسكرية بواسطة اشراف مشترك من الحلفاء لا بواسطة انتدابات دولية مفردة

ان الهدنة ليست مسألة مفاوضات ولكنها مسألة تنفيذ التسليم بلا قيد ولا شرط من جانب الالمان ، والانتصار المقيد بشروط الشرف والحكمة من جانبنا

ثالثا ـ الصلح مع الامة الالمانية التى صهرتها الحرب فتخرج أمة جديدة وتعود الى المساواة والحرية فى جمعية الامم . ولست أعنى صلحا رحيما ولا قاسيا ، ولكن « الصلح » وكفى

وتكون الصلة بين المرحلتين الاولى والثانية من هذه المراحل الثلاث هى عزمنا الاكيد على أن لا يكون لنا أى عمل مع أية هيئة تخلف النازية ـ بحجة الشرعية أو النظام ـ وتكون الصلة بين المرحلتين الثانية والثالثة هى الحرص على تفادى كل قول أو عمل من شأنه أن يخل بحقين ثابتين للامة الالمانية : وهما حقها ، بعد بعثها ، فى استعادة تكوينها الاقتصادى ، وحقها فى تقرير مصيرها بنفسها حين يمكنها ذلك بحرية ودون ضغط

ان الأمر يحتاج الى تصريح يمثل هذه الغايات النهائية باعتبارها شروطا فرضناها على أنفسنا ، وهو ما أعوز ميثاق يالتا بشكل يدعو الى الذعر . وليس يكفى فى ذلك تصريحات عامة غير مقيدة مثل قول تشرشل يوم ١٨ يناير الماضى : « نحن لسنا جلادى أمم ولا قصابى شعوب » . فقد أدلى بتصريحات أسمى من ذلك يمثل هذا الاسلوب لامم أخرى فى خلال هذه الحرب ، ولكنها لم تحترم قط

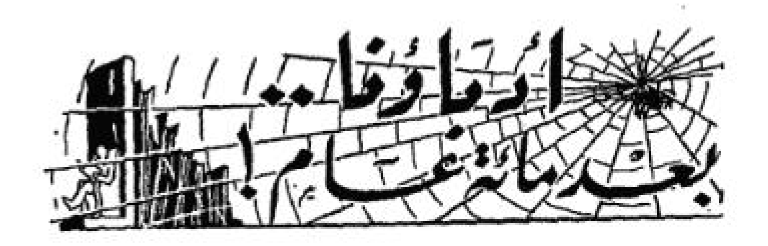
كذلك لا يجدى نفعا صقل ميثاق الاطلنطى أو طلاؤه فان هذا الميثاق قد تلف بحيث لا يجدى معه أى اصلاح . وانما يحتاج العالم الى تصريح مقيد بعد ان يوضع بدقة ولا يكون فيه منفذ للتلاعب . يريد العالم تصريحا بأن جميع الامم لها حقوق معينة لا يمكن أن تفقدها ، ومن بينها حق الحياة وحق الحرية وحق السعادة والرخاء ، على أن تكون هذه الحقوق ثابتة مرعية لكل الشعوب وجميع الناس فى انحاء المعمورة ، سواء منهم اليونانيون أو الهمج أو اليهود أو الالمان ، أو المنتصرون أو المغلوبون

وان رسالة أمريكا لهى ان تعيد هذه الحقيقة الى الوضوح بحيث لا تحتاج الى برهان

اذا اضطررت الى كذاب فلا تصدقه ولا تعلمه أنك تكذبه فينتقل عن وده ولا ينتقل عن طبعه « معاوية »

العربة الفارغة أكثر جلبة من الممتلئة « برنارد شو »

رب مزاح فى غوره جد « مثل عربى »



بقلم فضيلة الاستاذ الشيخ محمود ابو العيون

ان مؤرخ الجيل لا يستطيع أن يضع صورة صحيحة للاشخاص الذين يعيش معهم فى البيئة والزمان والمكان ، فان المؤرخ فى هذه الحالة تتأثر نفسه بمؤثرات أوحت بها الظروف والحوادث والروابط والعصبية والجوار ، وبما يضعه الاشخاص حول أنفسهم أو يضعه الجمهور لهم من صور مدخولة ، هى على الاقل بعيدة قليلا أو كثيرا عن مقوماتهم ومشخصاتهم الصحيحة ، والمعاصرة حجاب ، أما بعد انقراض الجيل ، فكلما قدم العهد كان التاريخ أقرب الى الحقيقة

ونحن نجيب عما طلبه الينا « الهلال » عن هؤلاء بعد مائة عام بقدر ما يهدينا اليه البحث من تحليل آثارهم وأهدافهم فى الحياة ، كأنه التاريخ يقص ذلك القصص

١ - محمد حسين هيكل

يقول عنه التاريخ : انه نشأ فى أسرة ريفية كريمة ، وتعلم وتثقف فى الادب والقانون واشتغل بالسياسة ، وكتب فى السيرة النبوية ، وفى التاريخ الاسلامى ، وفى الرواية القصصية والتمثيل ، وهو فى كل كتاباته جيد الاسلوب ، رصين العبارة ، وكان فى السياسة طويل الباع ، قوى النزعة الحزبية ، لا يريم عن رأيه ونزعته مهما لاقى فى سبيل ذلك من العنت والارهاق ، وقد وصل بجهده الى رياسة حزبه السياسى ، ومن طريق الحزبية الى الوزارة ، ثم الى رياسة مجلس الشيوخ ، وهو يميل الى الحكم ، ويحن اليه ، ثم هو كاتب فى السياسة أجود منه كاتبا فى الادب ، وهو فى تأليف التاريخ باحث متعمق ، ولكنه قد يخطىء الصواب وان كان الخطأ قليلا ، ولعل ذلك نشأ من حرية الفكر ، وجرأة البحث الذى اعتاده ، وترعرع فيه ، وجرى عليه كأمثاله من شباب ذلك العهد ، وهو من الافراد القلائل الذين ثبتوا على مبدئهم السياسى طوال حياته ، بخلاف كثير من أهل عصره الذين نشأوا فى السياسة الحزبية ، وتلونوا بألوان شتى جريا وراء فائدتهم ، ونفعهم المادى

٢ ـ عباس محمود العقاد

انه نشأ نشأة عصامية ، اشتغل بالادب والسياسة والاجتماع ، وألف في كل ذلك مؤلفات قيمة يرجع اليها العلماء الباحثون ، لا سيما في التاريخ الاسلامي الذي كتب فيه بعد كهولته ، على طراز لم يسبقه فيه كاتب ، وهو شاعر وناثر ، مجيد في كليهما ، ولعله أكثر أهل عصره من الكتاب والشعراء جودة ومتانة فيهما معا . وكان الى ذلك خطيبا مفوها يمتلك النفوس ويلهبها بسحر بيانه

ويقول عنه التاريخ كما نقول نحن عنه انه كاتب جبار ، ومفكر له ميزة البحث والتحليل والدقة في كل ما يكتب ، وانه يمتاز بقوة الجدل والحوار

ويقول التاريخ عنه : انه قليل الصحاب ، وقليل الثقة بالناس ، وقليل المبالاة بالرأي العام ، وانه عنيف في خصومته ، ولهذا كان يخشاه حتى الادنون منه ، والاقربون اليه ، وانه في كهولته كان أكثر تدينا من شبابه ، ولعل ذلك مرجعه الى حرية الفكر ، وحرية العقيدة ، فلما قرأ وكتب في السيرة والتاريخ الاسلامي وضح الايمان في كتابته ورأيه

وقد كان كثير الانتاج في التأليف ، وفي كتابة الرسائل في الصحف والمجلات ، فلا تخلو أكثرها من مقالات يومية واسبوعية ، وقد كان يعكف على ذلك أبدا . وعاش عيشة الراهب في الصومعة ، لم يتزوج ، ولعل ذلك يرجع الى انه منصرف كل الانصراف الى الاطلاع والكتابة والبحث والتأليف . وقد كان له خلق سياسي متين

٣ ـ طه حسين

يقول عنه التاريخ ما قاله في أبي العلاء المعري من ناحية العقيدة والرأي والنبغ في عصره ، ويقيم له الناس احتفالا عاما يمثلون فيه آراءه وحياته ومؤلفاته ، ويقولون عنه : انه رجل كفاح ونضال وثورة في كل ما يكتب من أدب وسياسة واجتماع ، وهو خصم عنيد جبار ، أسلوبه الادبي فيما يؤلف فيه من سياسة وسيرة واجتماع وأدب من الطراز الاول ، فاذا ما تبسط فانك تحس بالبساطة والتكرار في الادب والنقد اللاذع الذي يمليه املاء ، ولعل التكرار يرجع الى أنه يملي ولا يكتب ، أو انه خاصة له ـ لا ندري ـ وهذا لا يغض من شأنه في الادب والكتابة

وكان لا تطيب له الاقامة كثيرا في حزب سياسي واحد ، واذا انتسب لحزب فانه يناصره بكل قوة من كفاح ونضال ، ويعلل التاريخ تنقله من حزب الى حزب بأن الحزبية التي كانت في جيله ، هي على اختلاف أسمائها ليس لها أصول ثابتة ، ولا قواعد مرسومة ، بل كانت كلها تقريبا ذات برنامج واحد ، وانما اختلافها تابع لاشخاص زعمائها ، فكان طه حسين يهزأ بها جميعا في قرارة نفسه ، ولكنه مع ذلك لا بد أن يكون في واحد منها ، فطورا هنا ، وطورا هناك !

على انه ما كان يحفل بمظهره الذى انتهى اليه من المكانة ، وسمو المنزلة فى نفوس أهل عصره ، بل كان يؤرخ نشأته الاولى عاطلة من كل حلية كما يرى ذلك فى كتابه « الايام »
وقد كان كثير التعاظم والكبرياء ، لا يتملق ، ولا يذل لسلطان ، ولا يلتمس من أحد شيئا يمكن أن يصل اليه بجده ونشاطه ، ولا يسمو الى منزلة الا رآها دون ما هو جدير به من المنازل

٤ ـ ابراهيم عبد القادر المازنى

انه كاتب خفيف الروح طلق العبارة ، حسن الديباجة ، وكان يجيد القول فى الادب والاجتماع والسياسة والصحافة ، وانك اذا قرأت له كتابا كحصاد الهشيم فانك لاتطرحه حتى تتمه صفحة صفحة ، لاسلوبه الاخاذ ، ومسامرته الحلوة ، ومنطقه السليم . وقد كان يمتاز عن كثيرين من أدباء جيله بأنه كان يجيد القصــة ، ويطبعها بطابع عصره ، ويحدثك فيها عن نفسه ، كأن حوادثها وقعت له ، واشتركت فيها أسرته من أم وزوجة وولد وخادم وجار ، فيروعك جمالها ، وتبهرك رقتها ، كأنك تقطف من زهور مختلفة فى بستان نضير
وكان كثير التفاؤل ، واذا كان القدر الالهى قد أصابه بالظلع ، فان الظلع لم ينقص من نفسه شيئا ، وان أهل جيله كانوا يرون فيه خلقا سويا ، وكان يعرف فيه زهادته للدنيا ، واستصغارها فى نفسه ، شأنه فى ذلك شأن المتصوفة ، وان كان ليس متصوفا

٥ ـ احمد امين

وناهيك باحمد أمين ! انه كان جيد القول فى الفلسفة والتاريخ والادب والاجتماع ، وان ضحى الاسلام وفجره وظهره قد فتحت للناس فتحا جديدا فى البحث والتحليل ، وكان لا يعنى بجودة الاسلوب الا بقدر ما كان يعبر به عن نص الغرض فيما يكتب ، وان «فيض خاطره » كان سجلا لا يغيض معينه ، ولا ينضب نبعه ، كأنما هو يغترف من بحر ، وكتابته كلها فى المجلات تدور على الادب الواقعى ، ولا يغض من كتابته ، أو ما يسجله من النصوص التاريخية أن يضل قلمه حينا ، فانه فى ذلك ذو ندرة وقلة ، والكمال لله وحده

٦ ـ خليل مطران

كان ثالث ثلاثة مات اثنان من قبله هما شوقى وحافظ ، وبقى هو بعدهما حينا يفيض على الجيل بهرا وجمالا ، شعره الموسيقى الشادية، والسحر الحلال، وانأناشيده الاجتماعية كانت أناشيد الجيل ، يهزج بها الفتيان فى معاهدها ، والفتيات فى خدورها ، وكان جيد النثر يصوغه فى القرطاس كما تصاغ القلادة من الياسمين على نحور الغيد ، وبعد انتقال صاحبيه الى الدار الآخرة أصبح غريبا فى عصره ، فلم يكن له ضريب ولا شبيه كانه

اليتيمة فى العقد ، وقد كانت اخلاقه غضة ، وسمره عذبا ، وبداهته حاضرة ، وقوله فصلا، ونظن : ان جيله قصر فى الوفاء له فلم يرفعه الى منزلته القصية التى كان جديرا بها

٧ ـ خليل ثابت

انه الجماعة فى فرد ، فلو انك قسمت مواهبه واخلاقه وسجاياه لوسعت جماعة بجملتها ، فهو كاتب متعمق يحلل الوقائع بميزان دقيق كالكيمياوى يحلل الشىء الى عناصره ، كل عنصر متميز بنفسه ، كأنه ذات مستقلة ، ويجعلك تلمس المعنى كأنه مادة محسة ، وله عبارة سهلة محببة على قدر المعنى المراد لا فاضلة ولا مقصرة ، وكان يكتب فى صحيفة تسمى المقطم كانت فى جيله تكاد تكون الصحيفة الرسمية لحكومة ذلك العهد، وقد اختص بكتابة الافتتاحية فى الصحيفة فكانت مقالته مجموعة من الموضوعات اليومية يحررها بذلك القلم الفنان الذى يبدع فى القول بالنقد والتحليل حتى لا يدع مجالا للاسترابة والشك فى كل معنى مراد

٨ ـ انطون الجميل

يقول عنه التاريخ أكثر مما يقوله عن غيره من نوابغ الجيل فى الادب والسياسة والاجتماع والاقتصاد والصحافة فهو رجل من الطراز الاول فى كل ذلك ، وقد كان ينشر فى صدر حياته مجلة الزهور ، فكانت ديوان النثر الفنى ، والشعر العربى الرائع ، وكان عضوا بمجلس الشيوخ ، فكان اذا خطب قيد الانظار ، وبهر العقول لحسن بيانه ، ودقة احصائه للدانق والسحتوت ، وله طابع فى الكتابة خاص يعرف بغير توقيع لروعته وأدبه ومناجاته للضمائر والعواطف . وقد فتح فى صحيفة الاهرام التى كان يرأسها فتحا جديدا فى السياسة العملية ، وفى الصناعة ، وفى الاقتصاد ، وفى الادب ، حتى كان كبار الكتاب فى ذلك الجيل يتسابقون الى الكتابة فى تلك الصحيفة التى كانت أكثر الصحف رواجا وذيوعا . وقد كانت له فكاهة حلوة ، وجو مؤنس ، وخلق نادر حتى كان يجتمع اليه بدار الاهرام جمهرة من أصحاب الكفايات فى الفنون والعلوم والآداب ، يجمعهم الوفاء ، وتضمهم المودة ، يسمرون فى كل معنى لطيف ، وهو بينهم كقطب الدائرة

٩ ـ محمود ابو العيون

سيقول عنه التاريخ : انه شخصية خرافية !

وكتبه فى ٢٥ ابريل سنة ٢٠٤٥

محمود ابو العيون



اذا دأبت على المران بانتظام وحكمة فانك تقدر
أن تزيد معدل سرعتك فى القراءة بنسبة كبيرة

ان التقارير الواردة من مكتبات الكليات تبرز حقيقتين :

أولا ــ ان الناس عادة يبطئون فى القراءة دون ضرورة ولا يتقنونها

ثانيا ــ انه بعد التدريب الجاد مدة بضعة أسابيع يمكن القارىء البطىء ان يضاعف من سرعة قراءته وان يزيد من اتقانها

ان الفرق واضح بين القارىء المجيد والقارىء الردىء . وتستطيع أن تمتحن نفسك وتقف على عاداتك فى القراءة اذا قرأت ما يلى :

القارىء الردىء

يقرأ ببطء ، عادة من ١٠٠ الى ١٥٠ كلمة فى الدقيقة

يفهم ما يقرأه ببطء ودون اجادة ، ويفوته ان يدرك كثيرا من الحقائق البارزة

يضطر الى اعادة ما قرأه من كلمات أو جمل لكى يدرك معناها تمام الادراك

يقرأ كلمة كلمة ، وفى بعض الاحوال المتطرفة فى البطء : يقرأ مقطعا مقطعا

يضطر ان يحرك عينيه ست أو سبع مرات لكى يستوعب بنظره سطرا من الكلمات المطبوعة

يقرأ بعينيه وشفتيه ولسانه وحنجرته وأوتار صوته

يقرأ دون اهتمام ولا يعنى الا بمهمة « هضم » الكلمات

يسمع (فى أذنه الداخلية) الكلمات التى يقرأها

لا يحسن تركيز فكره فيما يقرأه فهو ملتفت الى ما قد يحيط به من ضجة أو مناظر أو حوادث

يهتم بأن يقرأ كل مقطع بكل كلمة فى كل صفحة مطبوعة

يتعب بسرعة لان القراءة عنده عملية مؤلمة وكثيرا ما تكون محيرة . وقد لا يستطيع ان يقرأ أكثر من اثنتى عشرة صفحة فى نصف ساعة فى وقت واحد

لا يبقى فى ذهنه الا جزء صغير مما قرأه

القارىء المجيد

يقرأ كالريح : ٦٠٠ كلمة أو أكثر فى الدقيقة ـ فى مجلة عادية أو جريدة يومية ـ من المقالات أو الروايات ، وعلى الاقل من ٤٠٠ الى ٥٠٠ كلمة فى الدقيقة من الموضوعات الجافة ، والعادة أن يقرأ أسرع من ذلك

يدرك معنى ما يقرأ توا وبالضبط ، ولا يفوته شىء ذو أهمية

لا يعيد القراءة الا نادرا وانما يدرك المعنى الكامل للكلمة أو الجملة من أول نظرة

يمكنه ان يستوعب سطرا مطبوعا بحركتين أو ثلاث من عينيه

يقرأ بعينيه وعقله فقط

يقرأ بنشاط ـ فهو يفكر مع المؤلف ويفسر ويتخيل صورا ويتفق توا مع ما يقرأه أو لا يتفق

يكون أشبه بالاصم حين يقرأ ـ فكل حواسه منصبة على أفكاره السريعة

يركز فكره تماما مع الاستغراق الكلى فيما يقرأه

يتخطى الكلمات غير المهمة

لا يكاد يتعب من القراءة . ويمكنه أن يكمل قراءة كتاب فى جلسة واحدة وكثيرا ما يفعل ذلك

يتذكر ـ مدى الحياة أحيانا ـ تأثير ما قرأه وما فيه من آراء مثيرة

***

والآن ما الذى جعل القارىء الردىء فى تلك الحالة المؤلمة ؟ وكيف نفسر براعة القارىء المجيد ؟

ان جانبا كبيرا من الجواب عن هذا السؤال ماثل فى « حركة العينين » . فالقارىء الردىء لا يستخدم عينيه كما يجب ، فهو قد كون لنفسه عادات سيئة فى هذا المجال

ان العينين تكونان طول وقت القراءة فى حالة حركة مستمرة . ولكن فى اللحظات التى تستوعب فيها الكلمات فعلا تكون العينان فى حالة سكون أو على الاصح فى حالة إحداق

ولزيادة الايضاح نقول : انه لمواصلة القراءة يجب ان تتحرك العينان . ولكن فى خلال القراءة تقفان عن الحركة

وحين تتحرك العينان لا تبصران شيئا ، فالقارىء يكون أعمى تماما مدة جزء ضئيل من ثانية . وانما يقرأ فى فترات تقف العينان فيها عن الحركة

ويكون التقلب المستمر بين حركة العينين واحداقهما سريعا لدرجة انه يمكن قياس كل تقلب بمقدار جزء من خمسة وعشرين جزءا من الثانية . ويبلغ من سرعة تحرك العينين وضآلته ان القارىء لا يشعر بما تفعله عيناه

والقارىء المتوسط الاداء يستوعب سطرا مطبوعا طوله نحو أربع بوصات فى أربع أو

خمس مرات يحدق فيها . ويمكن القارىء الشديد البراعة ان يستوعبه فى ثلاث مرات . أما القارىء الردىء فانه يحتاج الى ست أو تسع مرات من الاحداق ، وربما الى أكثر من ذلك

ويديهى ان القراءة لا تؤدى بواسطة العينين وحدهما ، بل بالعقل كذلك . فاذا كانت عيناك لا تغذيان عقلك الا بكلمة كلمة مما تقرأه ، فانك تدرك ما فى صفحة مطبوعة ادراكا متقطعا لا اتصال بين أجزائه ، ذلك لان الفكرة انما تؤدى فى جمل لا فى كلمات مفردة

فليس هناك مثلا معنى يدرك من كلمة « ذات » اذا أدركت وحدها . ولا تؤدى كلمة « ساطع » الا معنى ضئيلا . كذلك كلمة « صباح » اذا كان لها معنى أكثر من الكلمتين السالفتين فانها يكمل معناها اذا ضمت اليهما وكونت معهما جملة

ان القارىء الذى يقرأ كلمة كلمة يرغم عقله على الابطاء فى الفهم لان عينيه تغذيان عقله باستمرار بكلمات تكاد تكون خالية من المعنى . فعقله يتلقى كلمة « ذات » وعليه ان ينتظر حتى يجيئه الباعث الثانى ماثلا فى كلمة « صباح » ثم الدافع الثالث وهو كلمة «ساطع» حتى يجتمع عنده شىء يشتغل بادراكه

أما القارىء المجيد فان عينيه تغذيان عقله فى باعث واحد ، بفكرة كاملة فيدرك لاول وهلة معنى جملة « ذات صباح ساطع » . فليس هناك توقف عن الفهم ولا انتظار لما سيجىء ولا انقطاع لعملية الفهم . والاهم من ذلك كله انه ليس هناك تضييع للوقت

ويقول ج. ا. بريان الخبير بتحسين عادات القراءة ان القراء ينقسمون الى ثلاثة أقسام : القارىء المحرك « الموتور » ، والقارىء المستمع ، والقارىء النظرى

فالقارىء المحرك « الموتور » هو الذى يحرك شفتيه

والقارىء المستمع يستمع الى الصفحة التى يقرأها ، فهو ينطق بالكلمات فى ذهنه وان تكن أداة النطق عنده صامتة

أما القارىء النظرى فانه لا يقول شيئا ولا يسمع شيئا ولكنه يرى كل شىء ، فالصحيفة بالنسبة له هى لوح يرسم عقله صورا فوقه ، فهو لا يرى كلمات مطبوعة ولكن عملا وحركة ، وهو لا يسمع صوت الكلمات التى أمامه بل صوت الاشياء التى تصفها تلك الكلمات

والقارىء النظرى هو الذى أتقن بالفعل فن القراءة . ويمكننا القول بانه من بعض الوجوه لا يقرأ مطلقا ، ولكنه يتشبع بما يقرأه كما تتشبع الاسفنجة بالماء

أما القارىء الردىء فانه يتسكع أمام ما يقرأه ، وهو يقرأ الكلمات ، كلمة بعد كلمة ، فى عناد واصرار ، بدلا من ان يتخطى الالفاظ القليلة الاهمية مثل حروف الجر والعطف والضمائر وأدوات التعريف

وأنت اذا أسرعت فى القراءة فانك تحمل عينيك على ان تبصرا الجمل والآراء وان تتخطيا كل شىء غير ذى أهمية

ولكي تسرع في القراءة ينبغي لك أن تقلل من عدد المرات التي تحدق فيها ببصرك . فانت لا تقدر ان تسرع بينما تركز بصرك خمس أو ست مرات في سطر صغير . وعليك أيضا ان تمنع شفتيك وأوتار صوتك من الحركة لانك لا تجد وقتا لكي تنطق كلمات مفردة

وأنت حين تسرع لا يمكنك طبعا ان تعيد ما قرأته . بل تستمر في القراءة قدما

أما اذا قرأت ببطء فانك تميل الى « سماع » الكلمات التي أمامك حتى وان لم تكن تنطق بها فعلا . واما اذا أسرعت فانك تمهد السبيل لقلب الاستماع ابصارا

وسرعة القراءة في حد ذاتها جديرة بان تذهب بعادات القراءة الرديئة اذا مورست تلك السرعة زمانا كافيا

والقارىء المجيد لا يكاد يرى كلمات قليلة الاهمية مثل : الى وفي ومن وهو واداة المستقبل الخ . فهو بدلا من ان يقرأها يفرض وجودها

كذلك يكون وقته أثمن من ان يحدق في نهاية الكلمات الطويلة ، فهو بغير حاجة الى ان يقرأ كل حرف من حروفها

وانما تتناول العينان « المنظر العام » للكلمات وتتركان أجزاءها

انك حين تقرأ كلمتي « قلعة طائرة » لست ترى لفظين ذوي حروف متفرقة وانما ترى بذهنك صورة طائرة ضخمة

أما اذا اختلط عليك الامر وتعذر الفهم عند الاسراع في القراءة فهذا دليل على انك قد غلوت في الاسراع ، فانت في هذه الحالة لا تقرأ مطلقا وانما تقطع بنظرك مسافات

والقاعدة هي أن تسرع في القراءة الى درجة تتخطى بها راحتك بمدى قصير . ولكن سرعان ما تجد الراحة مع هذه السرعة وعندئذ تزيد من معدلها قليلا حتى تعتاد هذه السرعة الجديدة وهكذا

واذا دأبت على هذا المران بانتظام وحكمة فانك تقدر ان تزيد معدل سرعتك في القراءة بنسبة ترتفع من ١٠ الى ١٠٠ في المائة مع الزمن

بقلم نورمان ليويس

ملخصة من كتاب « كيف تسرع في القراءة »

تظهر الشجاعة بألا نعمل في الخفاء الا ما يمكننا عمله أمام كل الناس « نيتشه »

مثل من باع بلاده وخان وطنه مثل الذي يسرق من مال أبيه وأخيه ليطعم اللصوص فلا أبوه يسامحه ولا اللص يكافئه « نابليون »

حبك للشيء ستر بينك وبين مساويه ، وبغضك له ستر بينك وبين محاسنه «افلاطون»



مأساة تمثيلية لتولستوى

عرض وتلخيص : الاستاذ حلمى مراد

سلطان الظلام - أو سلطان الخطيئة - هى قصة الانسان الخالد ، الانسان الفانى ، حين يسلم قياده الى الشيطان !..

قصة الانثى الخاطئة حين تغرى بالاثم وتدفع اليه !.. الانثى التى اخرجت آدم من الجنة وما تزال تخرجه منها .. كل يوم !

قصة الصراع الازلى ، الأبدى ، بين نوازع الشر والخير فى الانسان .. بين قسوة الشهوة حين تعصف ، وتخاذل الضمير حين يضعف ..

قصة الضعف الانسانى فى أبشع صوره وأحط مراتبه ، والرذيلة العاتية فى عنفوان قوتها وسطوتها !..

بل قصة الحب حين يدفع الى الجريمة ، والجريمة حين تقود الى جرائم !..

***

ولكن القصة لا تتركنا فى هذا « الظلام » طويلا !.. فانها ليست قصة بقدر ما هى صرخة فى وجه الفساد ودعوة الى الصراط المستقيم. ومن ثم لا تكاد ترينا الفضيلة مهيضة الجناح حتى تعود فتنبت لها أجنحة ، فيقوى ساعدها ويشتد !.. ومن قلب الظلام الحالك تبرق لنا ومضة من النور تظل تقترب وتتسع حتى تشع ضوءها الغامر على ما حولها فتبدد حلكته . واذا بنا نرى بوضوح امكان وقوع التوبة والتكفير حتى من أدنأ الساقطين . وكما أرانا شكسبير فى مأساة « ماكبث » يرينا تولستوى فى هذه المأساة - وبنفس التوفيق - كيف تطارد الجريمة مرتكبها وترهق ضميره ، وكيف أن اسوأ عقاب للخطيئة هو انها تقود الى خطايا وخطايا أخرى متزايدة ، وتغرى الخاطىء بالامعان فيها ، دفاعا أو حرصا منه على ثمار خطيئته الاولى !..

***

أما اشخاص القصة أو «أبطالها» الرئيسيون فأربعة،كل منهم نموذج فذ لطراز خاص ،

من البشر ، يتباين خلقهم وخلقهم بقدر ما تتباين الخلائق والاخلاق فى الدنيا :

فهذه « انيسيا » الزوجة الشابة لزوج عجوز ، ترينا فى نفسها مثلا حيا للمرأة الطائشة التى تنسى فى سبيل ارضاء غرائزها العاتية كل شيء .. فتحب ، وتخون ، وتجرم .. ثم تصحو من سكرتها فاذا بها تحس ـ كما تحس الفلاحة فى « ماكبث » ـ انها قد نالت كل ما طمعت فيه ، ولكنها لم تعرف الشقاء الا منذ أن نالت هذا الذى نالته !.. ثم ينتهى أمرها الى أن تحسد ضحيتها فى غياهب قبره ..

وهذا « نيكيتا » نموذج للفتى العابث الذى يتلهى بالتغرير بالفتيات ، فلا يكاد يوقع بضحيته حتى يتركها لينشد ضحية أخرى .. ولكنه ليس « عريقا » فى الاثم كصاحبته ففى باطنه تربة كانت تصلح لانبات « بعض » الخير لو تعهدتها بالزرع أم غير أمه ، أو استؤصلت منها آفتها الكبرى : ضعف الارادة وسرعة الانقياد .. ولولا هذا لما رأيناه يتردد بين الفعل ونقيضه ، ويتأرجح بين ارضاء شهواته وارضاء ضميره .. فهو يقبل الجريمة مشمئزا منها ! ولا يساهم فى ارتكابها ولكنه يشارك فى ثمراتها !.. ولا يفتأ هكذا فريسة لمواصف النفس والحس حتى النهاية ..

أما أمه « ماتريونا » فهى ميدان واسع لدراسة عنصر الشر والانانية فى الامومة ، فهى تشجع ابنها على الفسق أملا فى الفوز له بالزوجة الغنية .. صفقة رابحة ! ثم تغريه بقتل طفله ، فى استهتار و « سهولة » مفجعة !..

وعلى النقيض منها زوجها العجوز الطيب « أكيم » الذى يضيق بآثام ابنه فيهجر البيت ويفضل عناء الفاقة على الاستمتاع بأموال « ملوثة » ! وهو يمثل فى الدراما عنصر الجمال الخلقى المصفى ، والبصيص الوحيد من النور وسط الظلمة الكثيفة . ولعل من سخرية تولستوى الرائعة أن ينسب هذا الخلق الرفيع الى رجل يسند اليه المجتمع أحط الاعمال . فان أكيم حين يعجز عن العثور على عمل آخر شريف ، يقبل أن يعمل فى تنظيف المجارى!

ولنتابع فصول المأساة من البداية

— ١ —

يرفع الستار .. فاذا نحن فى كوخ فلاح روسى يدعى « بيتر » . وهو عجوز ثرى ، يمتلك مزرعة ، لكنه مريض يدب الى القبر . ماتت زوجته الاولى فتزوج من فتاة تفيض شبابا واشراقا ونضارة ، هى « انيسيا » . لكن الشابة لا تلبث أن تضيق بزوجها الشيخ ، فتستجيب لحب آثم يزينه لها فتى يعمل فى مزرعة زوجها هو « نيكيتا » . وهو شاب عارم الجسم مكتمل الحيوية . وعابث بفطرته ! يحب الغوانى وشراب « الفودكا » بقدر مايحتقر عمله . أراده أبوه الطيب القلب « أكيم » أن يتزوج من ضحيته الجديدة « مارينا » ، الفتاة اليتيمة التى كان قد أغواها حديثا، لكن عشيقته انيسيا زوجة صاحب المزرعة العجوز تأبى أن تدعه يفلت منها .. فهى تهدده بأن تنتحر اذا هجرها وتزوج . وهو يطمئنها ويؤكد لها انه لن يتخلى عنها ، وحتى لو أرغموه على الزواج فسيظل يتردد عليها !..

لكنها تأبى قبول هذا الحل ، فهى لا تقنع بفضلات حبه ، وانما تريده لها وحدها والا فسوف تضع حدا لحياتها !.. ويفعل التهديد فعله فيتراجع الفتى ، بانتظام ، قائلا انهم حقا يريدونه أن يتزوج من الاخرى ، ولكن .. من قال انه يقبل ؟ كلا ، انه لن يفرط فى حبيبته انيسيا !.. ويتجه اليها مبتسما ، فيضىء البشر وجهها وتقبل عليه تتعلق برقبته ، وتقبله فى دلال وهى تسأله : « اذن فستبقى لى وحدى ؟.. وستداوم على حبى ؟ »

وهنا تدخل أمه ماتريونا فتفاجئهما فى هذا الوضع ، ولكن لا يبدو انها اجفلت أو أحست بالخجل أو الارتباك .. فانها ــ على العكس من زوجها ــ نموذج لعنصر الشر فى الأمومة ، أبعد ما تكون عن التعلق بأهداب الشرف أو الفضيلة . فهى لا ترى بأسا أو غضاضة فى أن يحب ابنها زوجة رجل غنى ، ما دامت فى ذلك منفعته ! ومن ثم نراها تقول له مداعبة : « آه ، انت تمزح مع انيسيا الحسناء ؟ ولم لا ؟.. انها من أجمل وأنضر الغانيات ، أما زوجها .. فأمره هين ! انه عجوز مريض ، ثم ان هناك طرقا تضاعف من سرعة المرض !.. والناس لا بد سيموتون يوما ، فلم لا نعينهم على ذلك ونسهله لهم أحيانا ؟ »

ثم ترسل ابنها نيكيتا لاحضار شىء ، وتسر لانيسيا بخطتها : « لو نفحتنى ببعض المال فسأدبر أن يعيش نيكيتا معك على الدوام ! اليك مسحوق أحضرته من البلدة .. وهو قوى المفعول ! اعط العجوز منه سبع جرعات .. فتصبحين حرة فى الزواج من عزيزك نيكيتا »

انيسيا : أوه ، أوه .. يا لرأسى !.. وهل يخلط المسحوق بالماء ؟

ماتريونا : بل الافضل بالشاى ، الذى يحبه زوجك !

انيسيا : أوه ، أوه .. رأسى يكاد يطير ! ولو رأى أحدهم المسحوق ؟

ماتريونا : ــ وهى ترسم على صدرها علامة الصليب ــ لن يسمح الله .. لن يسمح الله .. واذا وقع المحظور وتنبه أحد فقولى انه مسحوق لابادة الصراصير !

وتخرج انيسيا .. ثم يدخل الاب الطيب آكيم ، فيبدأ مع ابنه نقاشا حادا تشترك فيه الأم . هو يعنف ابنه لوفضه الزواج من اليتيمة التى أغواها . وهى تدافع عن الابن زاعمة أن الفتاة التى يريدها له « ملوثة » .. فيجيب الاب بأن ابنهما هو الذى لوثها . ولكن الابن يتدخل فى المناقشة منكرا فعلته ، فيناشده أبوه «يمكنك اخفاء الامر عن الناس . أما عن الله ؟.. قل الحق ، ألم يصبها منك .. شىء ؟ » . فلا يتردد الابن فى الانكار « كلا يا ابتى .. وأقسم » . وتفاجأ الام بأكذوبة ابنها لكنها تمالك نفسها فتستدير لزوجها مهللة « أجاءك القول ؟.. خذ هذا التبغ لغليونك » . وتجوز الخدعة على الاب فيتمتم وهو يلوك مقاطع الكلمات بين فكيه فى خجل وتردد كعادته « أوه .. حسنا . فى هذه الحال ، أعنى .. هذا حسن فيما أظن » .. ثم يخرج الوالدان ويبقى نيكيتا وحده فيؤنبه ضميره ، ويهمس لنفسه « اننى معبود الفتيات ، هذا حق . ولكن حين يتورط

الرجل معهن ويضطر لان يقسم بالباطل .. فان الامر يغدو بغيضا ؟ »

— ٢ —

.. فاذاكان الفصل الثانى فقد مضت ستة شهور ، واذا بيتر صاحب المزرعة مشرف على الموت .. فان الجريمة قد أفرخت ، والسم الذى سقته له زوجته العاشقة — على جرعات — قد فعل فعله فى احشاء التعس ، فهو يئن ويتلوى ويعانى آلاما مروعة تستحق قلب الزوجة الآثمة ، لا اشفاقا عليه وانما اشفاقا على نفسها وأعصابها التى أرهقها احتضاره الطويل وعذابه الفظيع ، وخاصة لحرمانها من مشاركة عشيقها لها فى تحمل عبء الجريمة .. فقد كتمتها حتى عنه ، خضوعا لمشورة أمه التى حذرتها من اطلاعه على سرهما لان الفتى « رقيق القلب ، ولا يستطيع قتل كتكوت ! » . وتتفاقم آلام الزوج المحتضر وتتصاعد أناته وحشرجته ، حتى لتوشك المرأة أن تخور وتضعف عن اعطائه بقية الجرعات ، لولا أن الام الشريرة تلاحقها بالحث والتشجيع .. فتسقيه جرعة أخرى وقد تزايد عذابها .. وخاصة لان جريمتها توشك أن تذهب بلا ثمرة ، فان ثروة العجوز ما تزال مخبوءة فى مكان مجهول ، وهى تخشى أن يموت قبل أن تهتدى اليها .. وتسمعه يرسل فى طلب أخته فيسقط قلبها خوفا من أن يكون المنكود معتزما أن يهب الاخت كل ثروته .. فتسمعها تهمس للام فى انزعاج « لقد بحثت فى كل مكان فلم أعثر على الكيس ! »

— وهل اعطيته المسحوق فى الشاى ؟

— صه !.. نعم سقيته منه جرعتين . لماذا بربك جعلتنى أفعل ذلك ؟

— أنا ؟.. سأقسم اننى لا أعلم عن الامر شيئا واذن فبيتر المسكين فى النزع ! عليك باستدعاء القسيس ليمنحه البركة الاخيرة . انها لازمة لخلاصه

— لقد ارسل فعلا فى طلب الكاهن .. وفى طلب اخته أيضا !

— اخته ؟.. ويحك ! .. ولا تستطيعين العثور على المال ؟ اذن فلا بد من عمل شىء

ثم تجمد المرأتان هلعا ، فقد ظهر بيتر على عتبة الباب ، وهو يغمغم لاهثا « انى احترق فى الداخل . ما أصعب الموت ! » .. فلا تكاد ماتريونا تسمعه حتى تقبل عليه هاشة وتتكلف معانقته « هاك . هاك الفراش يا عزيزى . انها ارادة الله .: ثم ، أتعلم .. ان زوجتك امرأة عاقلة وستهيىء لك دفنا لائقا وتقيم على روحك الصلوات » .. ثم تهمس لانيسيا فرحة « ها هو كيس نقوده حول رقبته .. لقد لمسته اصابعى عفوا .. عودى به الى فراشه واعطيه بقية المسحوق بسرعة .. قبل وصول اخته ! » ثم تستدير للمسكين « تعال يا بيتر ايجنافتش فلكم انت منهك ، دع انيسيا تدثرك فى فراشك .. انها جوهرة ! »

وفى الوقت الذى يخرج فيه العجوز متحاملا على ذراعى زوجته ، يدخل عشيقها نيكيتا عائدا من عمله فى الحقل فتبادره أمه « احذر يا نيكيتا من أن تدع النقود لانيسيا .. فى حالة حدوث شىء ! خذ الكيس بنفسك »

نيكيتا : وفيم يعنينى مالها ؟ دعها تحرسه لنفسها

ماتريونا : ولكن النساء كما تعلم يا عزيزى متلافات ، لا يحسن استثمار الأموال
نيكيتا : أوه ، حسنا .. سآخذه .
وفيما هما يتجادلان تندفع انيسيا من غرفة المريض مولولة « أوه .. يا لرأسى .. غدوت أرملة بائسة .. فقد مات زوجى العزيز الجميل المحبوب ! » أما ماتريونا فانها تشمر عن ساعديها فى همة ، متسائلة « أين الماء ؟.. ايتونى بالماء .. فعلى أن أدخل للمعاونة فى اعداد الجنازة ! » .

— ٣ —

.. فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى الشتاء.. وقد مرت على ذلك كله تسعة شهور ، تزوج خلالها العاشقان .. لكنهما أبعد ما يكونان عن السعادة ، فقد علم نيكيتا بقصة السم الذى دسته زوجته للعجوز ، فصار ينظر اليها فى ظل اثمها ، ويحس نحوها بالمقت والازدراء . وبدافع من طبعه الفطرى استدار عنها ينشد السلوى فى مغازلة النساء الاخريات .. فاذا هو قد ارتمى هذه المرة فى احضان أكولينا ـ ابنة المتوفى من زوجته الاولى ـ واذا هو يبعثر عليها قدرا كبيرا من مال زوجته .. واذا هذه تقاسى فى صمت مرارة رؤيته يبدد على امرأة غيرها مالها الذى من أجله باعت روحها للشيطان وقتلت زوجها . ثم لا يقف نيكيتا عند حد اذلالها وانما يمضى فى غيه فيقسو عليها ، ويضربها أحيانا وهى صاغرة ، يستعبدها حبها له فلا تقوى على التمرد . ونراها تشكو لاحدى جاراتها عاجبة من ضعفها الذى يجعلها تنكمش أمامه « كدجاجة غريقة » فتسألها الجارة لماذا اعطته مالها ولم لا تقاضيه !.. وتنسى الزوجة حذرها لحظة فينفلت منها القول بانها « لا تجرؤ » على الالتجاء للقضاء ، ولكنها تستدرك : « فما عاد الانسان يجنى ثمرة من العدالة فى هذه الايام ! » .
ويفتح الباب فيدخل منه أكيم باحثا عن ابنه لكى يأخذ منه مبلغا يشترى به جوادا بدل جواده الذى شاخ،ولكنه لايجده وتقول له انيسيا انه قد ذهب الى المدينة . ثم يعود الابن بعد قليل ثملا ومعه حبيبته أكولينا فيعطى اباه عشر روبلات ليشترى بها الجواد، ويعرض عليه وعلى زوجته ـ فى صفاقة ـ الهدايا التى ابتاعها لحبيبته ، فيشمئز الاب .. وتثور الزوجة .. ثم تشتبك الغريمتان فى شجار وسباب : هذه ترمى الاخرى بأنها ساقطة تسلب الزوجة زوجها .. وتلك تجيب بانها على الأقل لم تقتل زوجها ! فتثور انيسيا وتهدد الفتاة بالقتل ويثور نيكيتا ويهدد زوجته بالطرد .. ويثور الاب بدوره فيقذف بالعشر روبلات فوق المائدة مخاطبا ابنه : « هيه .. خذ مالك .. فانه ملوث ! أما أنا فذاهب بعيدا .. لن أطيق البقاء فى مكان كهذا ، مع وحش غرر يتيمة .. انك تعيش فى حمأة الخطيئة يا نيكيتا . الخطيئة تلازمك كظلك وستنتهى بك الى الضياع .. أواه ، لم أعد أطيق البقاء »
ويهم بالخروج فيعترضه ابنه مهدئا ، ولكنه يصيح « دعنى أذهب .. اننى افضل النوم فى العراء على البقاء معك تحت سقف واحد .. انى أحس هنا بشىء يلدغنى ! » ثم يفتح

الباب .. ولكنه يستدير لنيكيتا مرة أخيرة قبل أن يذهب « عد الى صوابك يا نيكيتا .. فان الله لا يعبأ بغير الروح ! » ..

— ٤ —

ثم يرفع الستار عن الفصل الرابع فاذا الخريف التالى قد حل ، واذا نحن فى كوخ أكولينا حيث تدور أحاديث نفهم منها ان الفتاة مقبلة على الزواج من شاب يطمع فى « دوطتها » ولا يريدها لذاتها !

ويمتلىء الكوخ بنسوة القرية وعجائزها قد جئن يهنئن العروس .. لكن العروس محتجبة عن الظهور ، الامر الذى يوقظ فى النسوة فضولهن فيتناقشن فى أمرها ، هامسات غامزات .. فتقول احداهن « سمعت أن بها آلاما فى المعدة ! » وتسأل الاخرى فى تخابث « أتعرفن معنى هذا ؟ » وتهمس بكلمة لا تكاد الثالثة تسمعها حتى تستنكرها ، كغير المصدقة ! .. ثم اذا بوالد العريس المنتظر ينتحى بالام ماتريونا ناحية كى يفضى اليها بشكوكه التى بدأت تستيقظ ، فيقول فى لهجة المهموم « الله يعلم ماذا هنالك .. هناك ولا ريب أمر جلل » فتتكلف الدهشة وتمازحه « أمر جلل ؟ مطلقا ! ان ابنك سيحصل على زوجة حلوة « شريفة » فاضلة .. بدوطة « محترمة » ١٥٠ روبلا ! فماذا تريد أكثر من هذا ؟ » .. لكن قلق الرجل لا يزايله ، وانما يتحايل على توجيهه وجهة أخرى فيبدى اشفاقه من أن تكون وعكتها عرضا من أعراض صحة معتلة فتنبرى له الام مستنكرة « هى معتلة ؟ انها أصح وانضر ما تكون . كل ما بها انها ثقيلة السمع بعض الشىء .. ولكن لا تنس أن للشمس أيضا عيوبها ، وما احتجاب الفتاة اليوم الا من تأثير عين حسود اصابتها ، هذا كل ما فى الامر »

ويتبين الاب عقم المناقشة فينهيها . وفيما الكل منشغلون باتمام معدات الزفاف تدرك أكولينا ساعة الوضع فتلفظ عارها خفية .. ويبدأ دور التخلص سرا من الطفل فى أسرع وقت قبل أن تفوح رائحة الفضيحة .. فيطلب نيكيتا من زوجته أن تحمله الى المستشفى ، لكنها تأبى ، وتجد فى هذا المأزق فرصتها للتشفى فتقول « كلا .. انها قذارتك وعليك أنت أن تنظفها بنفسك . ثم ان المستشفى مكان عام مزدحم بالناس . أوتريد أن ينفضح الامر ؟ .. لخير لك أن تأخذ الطفل الى « البدروم » وتحفر له حفرة ! »

— يا الهى ! أما من طريق آخر ؟

— كان يجب أن تفكر فى هذا منذ تسعة أشهر !

ولكن الفتى يتردد فى ازهاق روح طفله فتدخل أمه ماتريونا وتضم صوتها الى صوت انيسيا ، وتناشده بدورها — فى استهتار مفجع — أن يتشجع : « ليس من سبيل آخر أمامك ثم انه لم يصبح بعد انسانا .. ليس هو سوى مخلوق حديث لا أهمية لوجوده اطلاقا .. هيا تناول فأسك وأنا سأحمل لك المصباح !.. هيا يا عزيزى أتم مهمتك كرجل ، فان الارض الطيبة لا تشى أبدا !.. ولا تنس أن من يبغى امتاع نفسه عليه أن يستر سقطاته »

ويتخاذل الفتى ، وتضنيه الحيرة .. أما زوجته فتستيقظ فيها أنوثتها الذليلة ومقتها الرهيب لطفل زوجها ، طفل غريمتها .. وتغلبها الشماتة بالزوج المعذب الذى يجنى ثمار خيانته لها ، ولم لا يتعذب .. مثلها ؟ ان وقر جريمتها ما يزال يسحقها ، وتزداد وطأته ثقلا على ضميرها يوما بعد يوم . انها تحيا فى شبه جحيم ، فلم لا تجر معها الى الجحيم زوجها الذى أثمت من أجله فخانها أمام عينيها ؟ « فليصبح هو الآخر قاتلا ! عندئذ سيعرف كيف يؤلم هذا .. سأجعله يخنق مخلوقه القذر . لقد عانيت طويلا من هواجسى ، وكأن عظام بيتر جاثمة فوق صدرى !.. فليجرب هو وليقاس بدوره عبء هذا الاحساس .. »

وتنحاز الزوجة الى رأى الام ، فتحرضه الأثنتان على قتل الطفل ، فيضعف نيكيتا وينقاد « حسنا يا والدتى .. احملى المصباح وتعالى .. »

ماتريونا : ولا تنس أن « تعمد » الطفل .. قبل أن تدفنه !

— ٥ —

فاذا كان الفصل الخامس فنحن فى ليلة عرس آكولينا وقد اعدت العدة للاحتفال به فى الكوخ . وبينما الكل فى هرج وصخب نرى نيكيتا قد خارت قواه النفسية تماما تحت عبء آثامه ، وراح شبح الماضى يطارده فيترك الفرحين فى أفراحهم ويتجه الى مخزن الحنطة ، حيث يحاول شنق نفسه ولكن الحبل ينزلق منه .. وبينما هو على أهبة القيام بمحاولة أخرى تلحق به أمه ماتريونا ــ بعد أن أعياها البحث عنه ــ فيسرع الى اخفاء الحبل ويضطجع على التبن

ماتريونا : نيكيتا ! ماذا تفعل هنا والضيوف ينتظرونك ؟

ــ أماه ! ماذا فعلت بى ؟ .. انى ضائع معذب ..

ــ هراء ! كل شىء على ما يرام . وآكولينا ستزف بعد دقائق وما من أحد قط سيعرف

ــ نعم .. ولكن ماذا فى البدروم ؟

ــ (ضاحكة) فى البدروم ؟ ماذا .. بطاطس وكرنب ولا شىء غير هذا . لماذ تدأب على تذكر الماضى ؟

ــ آه لو استطيع النسيان !.. ولكن مستحيل . حتى الخمر فقدت تأثيرها على .. فالطفل دائما امامى ، أراه وأنا آكل أو أشرب أو أنام .. وأسمع صوته يصرخ فى سمعى بصوت مبحوح : « لماذا فعلت بى هكذا ؟ »

ــ أوه ، دع عنك هذه الهواجس فليس لدينا وقت للسخافات . لقد بدأ الضيوف يقلقون ويتساءلون عن رب البيت ، والسبيل الوحيد لاسكات ألسنتهم الثرثارة هو ظهورك ومم تخاف ؟ انك تعرف المثل القديم القائل « لن يرتاب أحد فى اللص الذى يبدو جريئا معتدا بنفسه ! »

وتدخل عليهما انيسيا موفدة من الضيوف للبحث عنه .. فتجرب حظها وحيلتها : « انظرى اليه كيف يتمرغ فى التبن ! هيا بنا الآن . لا تكن احمق والحق بالآخرين

آه لو رأيتهم ! انهم جمع منتقى ، مرح صاخب . النساء يغنين والرجال سكارى ، وكل شيء رائع .. »

فيقول نيكيتا وكأنما قد استقر عزمه على شيء « حسنا .. سألحق بكما »

ويمضي في أثرهما الى حيث التأم الجمع ، فتبدو على الضيوف الدهشة لدى رؤيته حافي القدمين ، ولكنه لا يعبأ بل يمضي حتى يتوسط المكان فيتلفت حواليه : « أبي أكيم .. أنت هنا ؟ يا رجال القرية .. أنتم هنا ؟ حسنا ، هأنذا أمثل أمامكم .. « أنا الخاطيء » ويجثو على ركبتيه ..

انيسيا : نيكيتا ، يا حبيبي .. ماذا بك ؟ أوه يا لرأسي !

ماتريونا : لقد أسرفت في الشراب يا نيكيتا . انهض وعد الى صوابك ..

نيكيتا : دعيني .. اتركاني كلتاكما ! وانت يا أبي اصغ الى .. وأنتم يا أهل القرية ، انصتوا الى أنا الخاطيء » ـ ثم يستدير نحو العروس وينحني تحت قدميها : « لقد أثمت في حقك يا أكولينا ، فأبوك لم يمت قضاء وقدرا ، بل مات مسموما .. أنا الذي سممته !..

فتهتف العروس ـ ضحيته ـ وقد أخذتها الشفقة به « انه يكذب . انني أعرف من فعلها» فيقاطعها منسحقا « بل أنا الذي سممته يا أكولينا .. وأنا الذي اغريتك فسامحيني » ..

ويستريح الاب لاعتراف ابنه فيحثه في غبطة على الاستطراد « تكلم يا ابني .. اذكر كل شيء . طهر نفسك واعترف لله . أما الناس فلا تخشاهم .. فان الله هو وحده الجدير بان تتوجه اليه .. »

ويستطرد نيكيتا كالمحموم الذي يريد أن يفرغ ما بجوفه « يا لى من نذل .. أنا الذي سممت الاب ، وحطمت الابنة .. كانت في قبضتي فحطمتها .. هي وطفلها ! »

أكولينا : لا تصغوا اليه ، لا تصدقوه ، أنا التي ..

نيكيتا ـ مقاطعا ـ بل لقد فعلتها بمفردي .. سامحيني يا أكولينا ـ وهو ينحني تحت قدمي والده ـ وأنت أيضا يا ابني .. سامحني ! لقد حذرتني من البداية فأبيت الاستماع اليك . فاغفرلى أنا النذل ! »

أكيم ـ وقد أشرق وجهه ـ الله هو الذي سيغفر لك .. انك لم ترحم نفسك ولكن الله سيرحمك . الله .. الله وحده الجدير بأن تتوجه اليه

أكولينا : سأقول الحقيقة .. اسألوني عن ..

نيكيتا : لا داعي لكل هذا يا أكولينا .. أنا الذي دبرت كل شيء .. أنا الذي فعلتها بنفسي .. وهأنذا على استعداد لملاقاة عقابي .. والتكفير عن اثمي

(ستار)

حلمي مراد
المحامي



هكذا تحطمت عاصمة الأمويين من جراء المدافع والقنابل الفرنسية ! والحى الذى تراه فى الصورة هو الحى التجارى فى دمشق بعد أن أصبح أطلالا وأنقاضاً

الجنرال باجيت القائد البريطانى فى الشرق الأوسط ، يتحدث إلى دولة السيد سعد الله الجابرى والمستر ترانس شون وزير بريطانيا فى سوريا ولبنان

مأساة سوريا ولبنان

تعهدت فرنسا فى عام ١٩٤١ بمنح لبنان وسوريا استقلالهما ، وقد ضمنت أمريكا وبريطانيا هذا التعهد . . ولكن فرنسا أبت إلا أن تنقض هذا العهد ولما يمض على انتهاء الحرب فى أوروبا أكثر من عشرين يوماً ، وأصرت على الاحتفاظ بالامتيازات التى كانت لها قبلا فى هذين البلدين ، ولجأت الى وسائل القوة والعنف

لقد نسيت فرنسا أن الشرق العربى لم يعد اليوم لقمة سهلة لينة . . ونسيت أن فى وسعه أن يقف فى وجه العدوان والطغيان بفضل التعاون والوحدة والتضامن

وقد اجتمع مجلس جامعة الدول العربية فى قصر الزعفران دورته الأولى يوم ٤ يونيو وقرر اتخاذ التدابير اللازمة وفقا للمادة السادسة من ميثاق الجامعة لدفع الاعتداء الفرنسى كما قرر أن الحكومة الفرنسية مسئولة عما وقع فى سوريا ولبنان من قتل وتخريب وخسائر



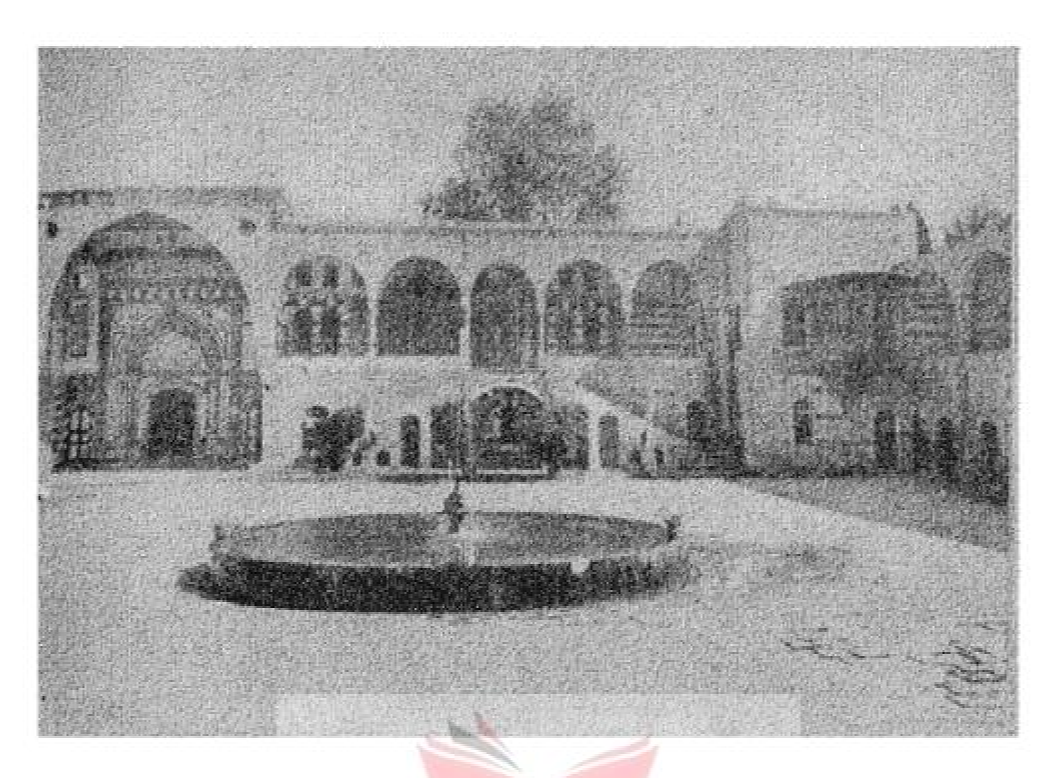
بارك الله في همة الفرنسيين !
حتى البرلمان لم ينج من قنابلهم
فقد سلطوا عليه مدافعهم من
مسافات قريبة فدمروا معظم
مبانيه ونهبوا أثاثه ورياشه

احتل الفرنسيون دار البرلمان
السورى بعد أن ضربوه
بالقنابل، وأقاموا كتيبة من
الجنود السنغاليين لحراسة
أبوابه ومنافذه



فى قصر الزعفران

انعقد مجلس جامعة الدول العربية فى قصر الزعفران يوم ٤ يونيو للتشاور فى حوادث سوريا ولبنان . وقد كان اجتماعاً موفقاً تجلى فيه روح التضامن والتعاون بين الشعوب العربية وحكوماتها . وقد ظهر فى الصورة دولة محمود فهمى النقراشى باشا وهو يلقى كلمة الافتتاح



مبنى خاص بأسرة الأمير يعرف بالحريم ، يمتاز بأنه أجمل أجزاء القصر وأحسنها تنسيقاً

بيت الدين

أوفدت الحكومة المصرية بعثة لاصلاح قصر « بيت الدين » بلبنان برياسة الأستاذ الفنان سحاب الماس رئيس المكتب الفني للقصور الأثرية

وهذا القصر مبنى جميل مشيد فوق الجبل بلبنان تحيط به أشجار غزيرة الخضرة شاهقة الارتفاع وقد بناه الأمير بشير الشهابي منذ مائة وخمسين سنة — أي بعد خمسين سنة تقريباً من تاريخ بناء قصر العظم بدمشق . وقد كان الرائد الأول في بناء القصر توفير الجمال لاقامة الأمير وعائلته

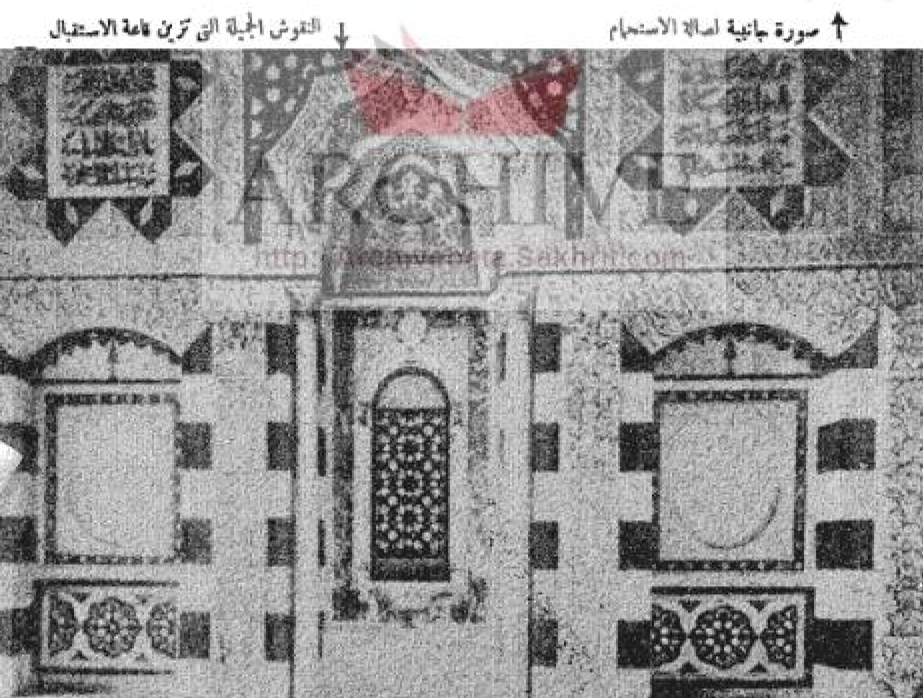
وتتكون زخارف بعض القاعات من مرامر متعددة الأنواع طازجة الألوان كسيت بها الحوائط وبلطت بها الأراضي ، وقد نضدت بحيث تحدث نظماً زخرفية هندسية من أساليب تاريخية مختلفة أشهرها الموريسكي والبيزنطي والقوطي والنهضي الأوربي

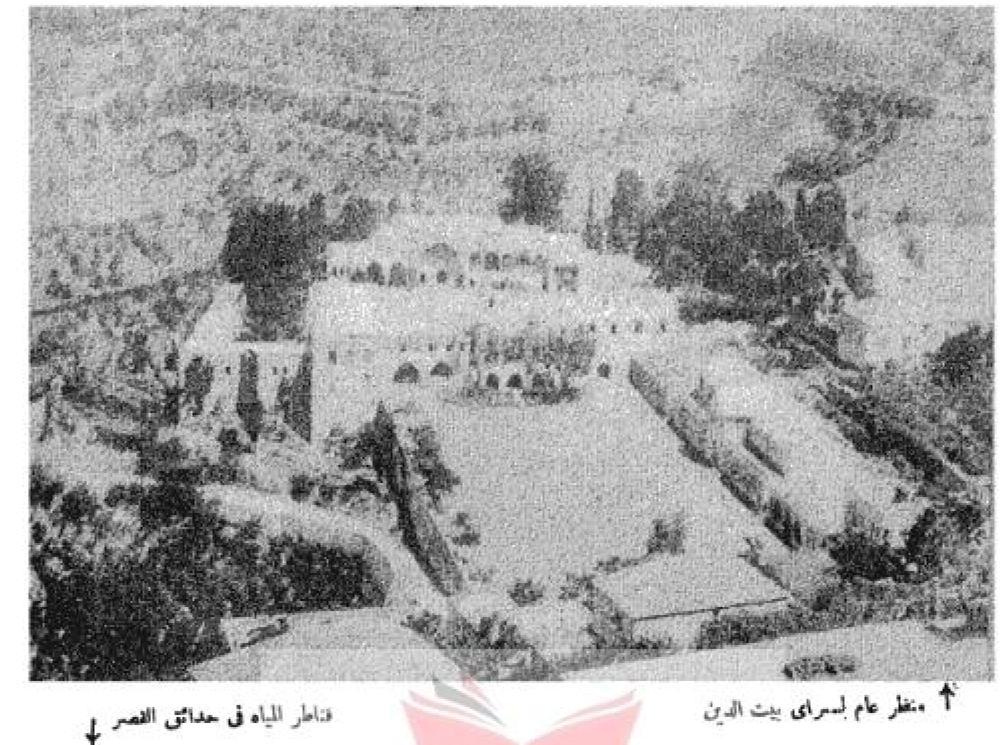
وبالقصر حمامات جميلة البناء بديعة الزخرف ، كما أن به جزءاً خاصاً بالأسرة يعرف بالحريم

وحديقة القصر غنية بالأشجار المثمرة ، ويرى الزائر في ركن مقبرة لزوجة الأمير بشير ، كما يرى مساقط المياه تنحدر رائعة في غزارة

↑ صورة جانبية لصالة الاستحمام

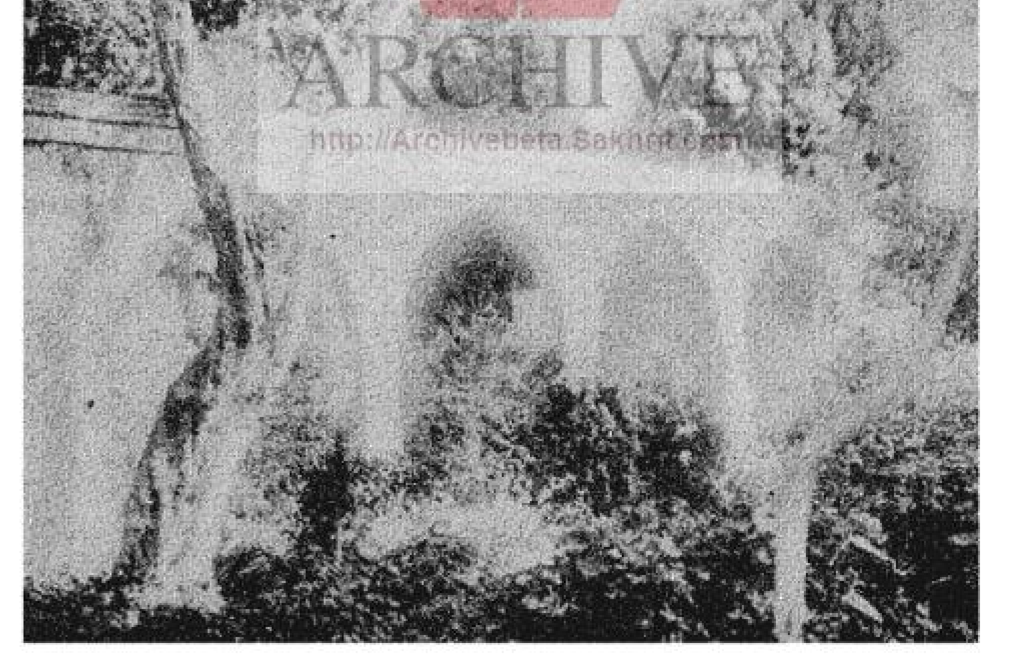
النقوش الجميلة التي تزين قاعة الاستقبال ↓






↑ منظر عام لسراي بيت الدين

قناطر المياه في حدائق القصر ↓





بقلم الأستاذ نقولا الحداد

نهر طويل عريض تكتنفه غابتان غضتان عظيمتان ، تشامخت فيهما الادواح وتعاقدت الاغصان وتصافحت الافنان . وكان عند شاطىء النهر شجرة باذخة وقد وقفت على غصن منها حدأة سمينة نشيطة ولديها عش تداعب فيه فراخها

لفتت نظرها أفعى رقطاء غليظة طويلة كانت تتلوى وتطوى وتشرئب الى العش كأنها تتحفز للصعود اليه لتلتهم فراخه . ولكنها لا ترى سبيل الصعود موصولا ولا الوصول مأمولا

فجزعت الحدأة وخافت على فراخها ان تقع فرائس لهـذه الافعى فربطت جأشها ، وجنحت الى الحيلة وقالت : انى أشكر لك أيتها الحية العظيمة عظيم الشكر عفتك عن فراخي الضعيفة التى قد لا تكفيك وجبة واحدة . وأود أن أكافىء عفتك هذه بنصيحة ثمينة جدا لعلك تشكرينها لى

قالت الافعى : خير ان شاء الله

قالت الحدأة : انك تزحفين فى هذه الغابة من مكان الى مكان ويندر أن تصيبى صيدا لان أفاعى كثيرة غيرك قد نظفت الغابة من الصيد قبلك وهجرتها ، واليوم رأيت أفعى هنا تاعن الحظ قائلة : « ماذا دهانى حتى تركت غابتى البكر التى لا أعدم فيها صيدا وأتيت الى هذه الغابة اللعينة القاحلة التى قضيت فيها يوما كاملا طاوية لا أجد ما يسد الرمق . فلأعد الى غابتى الخصيبة الغنية التى لا منازع لى فيها » ـ ثم انطلقت تسبح الى الغابة الاخرى ، فاذا كنت تذهبين الى هناك تجدين من الصيد ما يكفيك ويكفيها ويزيد

قالت الافعى : أيمكن ألا يكون لها منازع هناك ، ان غابة عظيمة كتلك مقصودة

قالت الحدأة : كنت أطوف فوق أفنان تلك الغابة كثيرا فلم أر غير تلك الافعى

قالت الافعى : اذا صدقت وصحت نصيحتك أكافئك خير مكافأة . ولكنى لم أتعود السباحة فأخاف الغرق

قالت الحدأة : ان تلك الزميلة أضعف منك وأصغر بدنا وهى تعبر النهر بلا عناء ،

ومعذلك سأرفرف فوقك . فاذا شعرت بتعب فامسك ذيلك بمنقاري وارفع بعضك واساعدك على العبور . هلمي

وعبرت الافعى النهر تحت رعاية الحدأة وانسابت بين الدوح . وعادت الحدأة الى شجرتها فرأت غرابا على شجرة أخرى يتلفت هنا وهناك متحينا الفرصة للانقضاض على عشها . فتجلدت هذه واعتصمت بالحيلة وقالت : مرحبا مرحبا بالجار . اني شاكرة لك عظيم الشكر حراستك فراخي فى غيابى . اذن فأنت مدعو لوليمة معي اليوم فى عبر النهر فى الغابة الاخرى . فهلم

قال الغراب : وما معنى الوليمة فى الغابة الاخرى

قالت : لقد قدت الآن الافعى التى كانت هنا الى تلك الغابة لكي تنازع الافعى التى هناك مستعمرتها . وستقتتلان شر قتال حتى الموت . ومتى ماتتا كانتا لنا وليمة مدة اسبوع . فما قولك

قال الغراب : اذا صح ظنك فهى أطيب وليمة . هلمى بنا

وطارا الى الغابة الاخرى عبر النهر . وما تشوفا كثيرا حتى رأيا الافعيين ملتفتين كل منهما على الاخرى وهما تشتجران . وكان فحوى الشجار هكذا :

ــ بأي حق تأتين الى مستعمرتي ؟

ــ أما كنت أنت اليوم فى الغابة الاخرى فلم أمنعك . لان الغابتين مشاع للجميع . هما ملك الله ونحن نرعى ونصطاد فى ملك الله

ــ لا أدعك تسرحين وتمرحين هنا فى مستعمرتي . فقد احتكرت الصيد وحدي هنا قبلك منذ زمان

وما زالتا تتصارعان حتى تمكنت احداهما من امساك ذيل الاخرى والتهامه . فتسنى للافعى الاخرى أيضا أن تمسك ذيلها . وجعلت كل منهما تلتهم الاخرى وتبتلعها من ذيلها حتى أصبحتا دائرة كبرى على الارض بقدر عجلة عربة الدبش . وصار انه كلما أمعنت كل منهما فى ابتلاع الاخرى من ناحية ذيلها ضاقت الدائرة . وما زالت كل منهما تمعن فى الاخرى والدائرة تضيق رويدا حتى صارت بقدر عجلة الاوتوموبيل . ثم بقدر الغربال ثم بقدر المنخل . ثم بقدر الرغيف . ثم بقدر كعكة العيد . وبقدر البندقة . بقدر العدسة . ثم نقطة فاختفت

وكان الغراب والحدأة على فننين يشاهدان مدهوشين الى أن قال الغراب : تبا لك يا حدأة . جئت بي الى هنا لوليمة ، فاذا الوليمة تأكل بعضها بعضا . كيف هذا ؟ عمرك الله هل رأيت مشهدا عجيبا كهذا ؟

قالت الحدأة : رأيت . رأيت مشاهد كثيرة مثله

فاجفل الغراب وقال : مستحيل . كيف ؟ متى ؟ أين ؟

قالت : اما رأيت مقامرين ؟ هذا يكسب من ذاك . ثم يكسب ذاك من هذا . ومتى كان الواحد يكسب كان الآخر يخسر . يتعاقب الكسب والخسارة الى ان تتلاشى فلوسهما وتفنى ثروتهما

قال : ولكن أين تذهب الفلوس ؟

قالت : تذهب لصاحب المقمر وللساقي ولبنت العنب ولبنت اللهو والطرب الخ . أليست هاتان ثروتين التهمت كل منهما الاخرى ؟

قال : حقا ما تقولين . وماذا مثل هذا أيضا ؟

قالت : أو ما رأيت أخوين يتنازعان ميراثا . فتنقضي السنون والقضية في المحاكم بين القضاة والمحامين الى أن تفنى التركة بين رسوم قضايا واتعاب محاماة . أليست التركة حصتين من ميراث التهمت كل منهما الاخرى ؟

قال : حقا ما تقولين أيتها الحدأة الحكيمة . ثم ماذا تعرفين من أمثال هذا النزاع الجنوني

قالت : حسبك هذه الحرب العالمية . كل خصم يحاول ان يلتهم الخصم الآخر . ولا يزالان يتلاقمان الرجال والمال ويتبالعان المجهودات والابطال الى أن يفنى المال والرجال . فالخصمان أرقمان كل منهما يبتلع الآخر الى أن يفنى كل منهما في الآخر

قال : حقا . ان الجنس البشري الذي يتبجح بأنه أرقى من الحيوان وأعقل قد جن في هذه الحرب

قالت : هكذا يا عزيزي . اذا كنت أنت وأنا خصمين يغزو كل منا فراخ الآخر ورزقه تفنى أخيرا الغربان والحدآت . أفلا ترى أنه خير لنا أن نقطع عهدا بيننا بأن نبقى صديقين لا عداء ولا عدوان ؟ أم تريد أن نكون عدوين يغزو كل منا الآخر

فقال الغراب متنهدا تنهد الصعداء : معاذ الله يا عزيزتي هل نحن بشر حتى نجن هذا الجنون !

نقولا الحداد

لا تركل ما تراه عيناك ولا تسمع كل ما تسمعه أذناك « شكسبير »

خير الاخوان من لم يتلون وان تلون الزمان « بيرون »

كيف تضاعف الأمم ثرواتها

بقلم هرولد كلارك الأستاذ بجامعة كلومبيا بنيويورك

(قضى كاتب هذا المقال عشرين عاما فى دراسة هذا الموضوع الاقتصادى الخطير، زار فى خلالها خمسين أمة، ووقف على اسباب غناها أو فقرها)

من الناس من يظن أن الامة تستطيع ان تضاعف ثروتها بالاقتراض من أمة أخرى. ومنهم من يعتقد ان الفقر فى الامة يعزى الى قلة المال، وان الوسيلة الوحيدة لتوفير الرخاء والثراء فى بلد، زيادة قوة الشراء فيها. ومن هؤلاء من يجوب أقطار الارض للعثور على أمة، قريبة أو بعيدة، تستطيع أن تمد أمته بالوسائل الفعالة التى بها تضاعف ثروتها، وعلى الاخص المال. على أن أقوى دليل على فساد هذه المزاعم، الحالة الراهنة فى اليونان حيث توجد مليارات مكدسة من الريالات. وما نفع هذه المليارات، طالما كان البلد خلوا من السلع ومواد الشراء؟ ان زيارة قصيرة لليونان الجائعة ترسم لك صورة جلية لهذه الحقيقة. وليست اليونان أول أمة فى التاريخ اكتظت خزائنها بالمال، وخلت مخازنها من السلع، وبطون سكانها من الخبز. يلوح لنا أن الانسان بطبيعته المتمردة يأبى ان يتعلم من دروس الماضى. ليس ثمة من ينكر أن قوة الشراء الكافية أمر لا مناص من وجوده، ولكن هذه وحدها لا تجلب الرخاء. لقد أتيحت لى الفرصة فى خلال عشرين عاما أن أزور خمسين دولة ـ الفقيرة منها والغنية ـ وقد عدت الآن من هذه الرحلة الطويلة، لاضع أمام القراء بايجاز ما عن لى من الآراء، وما اعتقد انه أصل الداء:

يقول لنا الكثيرون ان المصادر الطبيعية للبلد ـ تربته ومعادنه وزيوته وغاباته ـ سبب غناه وفقره. ليس هناك من ينكر أن للمصادر الطبيعية أهميتها، وان الامة الغنية بها يسهل عليها مضاعفة ثروتها بوساطتها، بعكس الفقيرة. ولكن .. هل يدلنا الاحصاء والواقع على أن المصادر الطبيعية للثروة فى أمة سبب ثرائها؟

اذا سئلت عن أغنى دولة زرتها فيما يختص بهذه المصادر، فاننى أضع بغير تردد كلومبيا ـ فى أميركا الجنوبية ـ فى أعلى القائمة، اذ بها ملايين من الاراضى الزراعية التى تعد تربتها أجود ما فى الطبيعة، وبها مصادر معدنية وخشبية بكميات وافرة، وبها زيوت تجرى تحت أرضها انهارا، وجوها أبدع ما فى العالم، ويوشك ان يكون ربيعا طول السنة. والقوة المحركة للآلات فيها أبخس ثمنا منها فى أى بلد آخر. ورغم هذا وذاك

فان مستوى العيش فيها لا تحسد عليه ، وفى كثير من المواضع يمكن وصفه بأنه منخفض جدا ، والكثير من القرى فيها يشكو سكانها من سوء التغذية ، بالرغم من خصب الاراضى المحيطة بها ، وقدرتها على انتاج جميع أنواع الخضر المعروفة . ويستطيع سكانها ، اذا شاءوا ، أن يكون غذاؤهم ، لا كافيا وحسب ، وانما يمكن ان يكون نموذجا لاحسن غذاء مثالى فى العالم . ومن الطبيعى أن يسارع أحدنا فيرمى هؤلاء السكان بالكسل والتواكل ، غير ان هذا التعليل يفتقر الى العمق فى التفكير

وما يقال عن كلومبيا فى هذا الشأن يمكن أن تجد له نظيرا فى ولاية فلوريدا فى بلادنا ، حيث التغذية فى بعض أنحائها تكاد تكون مثالية ، وفى البعض الآخر سيئة . فهل يعزى هذا الى تكاسل هؤلاء ونشاط أولئك ؟ كلا ، فقد اتضح أن سكان هذه الجهات مهاجرون من ولايات أخرى ، لم يألفوا زراعة الخضر الشتوية ، غير ان فى بعض هذه الجهات هيئات محلية قامت بارشادهم وتعليمهم ، وفى البعض الآخر لم توجد مثل هذه الهيئات . ولنعد الآن الى كلومبيا فنقول ان سكانها ليسوا بكسالى ، ولكنهم يجهلون الوسائل الفنية والمعلومات الزراعية التى تعينهم علىاستثمار تربتهم الخصبية، اذ ينقصهم التعليم والارشاد. وهذا موطن الداء . فى كل أمة تتوافر فيها مصادر الثروة الطبيعية ، ولا تتوافر فيها المعرفة والارشاد والوسائل الفنية ، يقل دخل الفرد فيها ، ويهبط مستوى المعيشة

ولننتقل بالقارىء الى بلد فى شمالى غربى أوربا ، على النقيض من كلومبيا ، توشك ان تكون مصادر الثروة الطبيعية فيه فى حكم العدم ، واعنى بها « نروج » فليس فى بلاد النرويج معادن ، وتكاد تكون خالية من الغابات ، والفترة الزمنية التى تصلح فيها الزراعة قصيرة جدا ، ولا توجد بها قوات طبيعية لادارة الآلات ، والتربة فقيرة لا خصوبة فيها . فاذا كان هناك بلد يمكن ان ينتظر ان ينخفض فيه مستوى المعيشة الى حد أدنى ، فانه يكون هذا البلد بغير نزاع . ولكن بالرغم من هذا فان دخل الفرد فى نروج من أعلى الارقام بين أغنى بلدان العالم

وهناك بلدان تحلو الموازنة بينهما ، وهما المكسيك، جارتنا الجنوبية وصديقتنا، وزيلاندا الجديدة . فبلاد المكسيك ، بالرغم من حاجتها الى وسائل الرى والصرف، وفيرة الخيرات، غنية المصادر الطبيعية ، غاباتها واسعة الارجاء مترامية الاطراف ، ومنابع الزيت فيها فياضة، وقواتها جسيمة ، ومناخها منوع بديع ، وعاصمتها تمتاز بجودة الهواء واعتدال الطقس ، حتى قيل انه لا توجد عاصمة أخرى فى العالم تماثلها من هذه الناحية . على انه بالرغم من هذه المزايا كلها ، فان سكانها يعيشون على مضض من العيش ، وفلاحيها فى كثير من أرجائها لا يأكلون سوى الفول والذرة وهما الطعام الرئيسى الذى كان يعيش عليه السكان قبل الفتح الاسبانى . ويعزى السبب فى ذلك الى الجهل بالوسائل الفنية الحديثة . والدليل على ذلك أن المدارس فى بعض المناطق التى يعوزها الماء ، استطاعت أن تعلم

الفلاحين طرق الزراعة الحديثة التى تتطلبها طبيعة البلاد ، فتمكنوا من توصيل المياه من الجبال لرى الاراضى، واكثروا من زراعة الخضر والفاكهة وبذلك تحسنت التغذية وارتفع مستوى المعيشة

ولنقطع الآن مرحلة حول الارض تبلغ نصف محيطها ، لنصل بالقارىء الى زيلندا الجديدة . هذه أيضا بلاد خصبة التربة ، معتدلة المناخ ،كثيرة الغابات ، تتوافر فيها القوات الطبيعية لادارة الآلات ، ولكنها علاوة على ذلك لا يفوق سكانها فى الخبرة الفنية الزراعية فى العالم بأسره سوى أمة واحدة . أى ان زيلندا الجديدة اجتمعت فيها مصادر الثروة الطبيعية ، والتدريب العلمى الفنى ، فأصبحت فى نظر الخبراء اليوم أغنى بلدان العالم قاطبة ، فيما يختص بدخل الفرد ومستوى العيش

وتسهل الموازنة بين البرازيل وولايات أميركا المتحدة ، اذ ان كلا منهما غنى بالمصادر الطبيعية . فولايات أميركا المتحدة مفهوم أمرها . أما البرازيل فأرضها خصيبة تدر الخيرات اذا ما استثمرها الاهلون ، والمعادن الدفينة فى جوفها ذخيرة لا تفنى ، وبها أكبر غابات العالم وأوسعها نطاقا ، وقواتها الطبيعية لادارة الآلات لا يكاد العقل يدرك مداها . ولكن مستوى العيش فيها رغم ذلك منخفض . فلم ذلك ؟ لان سكانها تنقصهم الكفاية الفنية ، وتعوزهم الدراية بأحدث الاساليب العلمية . يقولون أن المناخ هناك لا يحث على النشاط . هذا صحيح ، بيد ان قوما يجهلون أثر الاملاح وتعاطى فيتامين «ج» بكميات وافرة ، لا بد أن يكونوا عصبيى المزاج . فالملح وفيتامين «ج» يذوبان فى الماء بسهولة ، فلا يستطيع الجسم الاحتفاظ بهما طويلا . فاذا لم يكن هناك من سبيل لاستعاضتهما بشىء آخر ، فلا بد من أحد الامرين : اما الخمول والكسل ، واما المرض . ينسى الكثيرون ان بالعلم والمعرفة تستطيع الجماعات والامم التغلب على العوامل الطبيعية التى تعوق نجاحها . فهاكم كندا ـ تلك البلاد الغنية ـ ماذا كانت تكون حالها فيما لو استسلم الاهلون لبردها القاتل ، ولم يحصنوا أبدانهم بارتداء الملابس الدافئة ، وتشييد البيوت الكثيفة الجدران ، والاكثار من الوقود ؟ وهل من العدل ان نعير الشعب البرازيلى ونلومه لاهماله فى تكييف أحواله تكييفا يلائم مناخ بلاده، طالما كان يجهل الوسائل العلمية الفنية التى بها يهزم جنود الرطوبة والحر وسوء الاحوال الجوية ؟

ولم نذهب بعيدا للعزف على هذا الوتر ؟ فهذه الولايات الجنوبية فى بلادنا ، قد شيدت بيوتها بكيفية لا تتفق وطبيعة المناخ . وذلك لان سكانها كانوا فى الاصل مهاجرين من انجلترا حيث يشتد البرد وتكثر الرطوبة، وحيث المنازل منخفضة وملاصقة بعضها لبعض . فلما ان استقر بهم الحال فى ولاية فرجينيا ، بنوا بيوتهم على الطريقة الانجليزية . غير أن البيوت الحديثة فى هذه الولايات الجنوبية ، قد رسمت على أساس يتفق ومناخ هذه المناطق، فجعلت أكثر الحجر خالية من ثلاث جهات، وامتدت النوافذ من السقف الى أرضية الحجرة أو كادت ، ووضعت فى السقف آلات التهوية . ولم تكن التغذية كذلك ملائمة للمناخ فى

تلك الولايات ، وكانت الملابس اصلح لانجلترا منها لهـذه المنطقة من أميركا ، فعمد المستنيرون من الاهالى الى تغيير ألوان الغذاء والملبس تغييرا يتفق والمناخ والمبادىء العلمية السليمة ، وبقى الجهلاء منهم على ما كان عليه أجدادهم . من هذا يتضح أن البرازيل ليست أجدر باللوم منا نحن الاميركان . من العبث ان نحاول ، بالمال أو أى شيء آخر ، ان نعالج الحالة الراهنة فى البرازيل ، طالما كان أهلوها يجهلون الوسائل العلمية . بهذه الوسائل تصبح البرازيل من أغنى بلدان العالم

ان ولايات أميركا المتحدة غنية بمصادر الثروة . ولا ينكر أحد ان هذه المصادر عامل هام من عوامل رخائها ، ولكن لا ينكر أحد كذلك أن هناك بلدانا أخرى فى العالم غنية بمصادرها الطبيعية ، ولكنها رغم ذلك فقيرة فيما يختص بدخل الفرد . فى ولايات أميركا المتحدة مناطق ينخفض فيها مستوى العيش الى درجة لا يحسن السكوت عليها ، وتنفق الدولة عليها الملايين من الريالات لتحسين حالها ، بيد ان انفاق هذه الملايين بهذه الكيفية، بمثابة القائها فى بئر . هناك وسيلة واحدة لزيادة الدخل ورفع مستوى العيش ، الالمام الاهلين بالعلم والمعرفة والوسائل الفنية . لقد تبرع سكان نيويورك بمبالغ طائلة لفلاحى بعض الجبال فى أميركا ولكن هذا لم يجدهم نفعا . هناك وسيلة واحدة : المعرفة . وخير دليل على ذلك فلاحو الجبال فى سويسرا . ان تربة الاراضى الجبلية فى سويسرا أقل خصبا منها فى الاراضى الجبلية التى يعين فلاحيها سكان نيويورك ، ومع ذلك فان دخل الفلاح السويسرى أعلى بكثير . السبب ؟ المعرفة والعلم

ولنتنقل بالقارىء الى بلدين آخرين فى أوربا : يوغوسلافيا ونروج . ففى يوغوسلافيا نجد مصادر الثروة لا بأس بها ، ونجد مستوى المعرفة والوسائل العلمية والفنية فى غاية من الضعف والانحطاط ، ونجد دخل الفرد ضئيلا منخفضا . وفى نروج على النقيض من ذلك ، نجد مصادر الثروة الطبيعية فى حكم المعدومة ، فالتربة فقيرة الى أقصى ما يتصوره العقل من الفقر ، والفترة الزمنية التى تصلح الزراعة فيها قصيرة الى أبعد حد ، ومعادنها قليلة جدا أو لا وجود لها على الاطلاق ، ومناخها تدر من سائر بنى الانسان من يود أن يعيش فيه . ولكنا نجد فيها المعرفة العلمية الفنية متقدمة الى أقصى ما بلغه الانسان من تقدم ونجد دخل الفرد أعلى ما بلغه الفرد فى جميع انحاء العالم

وتتكرر هذه « الدراما » بجميع تفاصيلها فى رومانيا وسويسرا ، ففى رومانيا نجد تربة خصبة ، ونجد غابات وزيوتا ، ومناخا معتدلا ، ونجد كمية المطر صالحة للزراعة . ولكن أنظمة التعليم فيها ليست على ما يرام ، والالمام السكان بالمبادىء الفنية العلمية محدود . والنتيجة التى لا مفر منها : انخفاض فى مستوى المعيشة وهبوط فى دخل الفرد . أما فى سويسرا ، فنجد التربة جدباء ، والاراضى الصالحة للزراعة محدودة ، والمناخ قاسيا شديد البرودة ، والمعادن قليلة . ولكن نظم التعليم فيها بديعة تدعو للاعجاب ، وسكانها من أشد سكان العالم دراية بالمبادىء العلمية الفنية ، والماما بالوسائل الصناعية الحديثة الراقية ،

ويقال بحق ان سكان مدينة زوريخ أمهر صناع فى العالم . والنتيجة التى لا مفر منها : ارتفاع لا مثيل له فى دخل الفرد

ويزعم البعض أن هناك سلالات بشرية تفوق سواها فى ذكائها الفطرى ، وبذلك تبلغ بهذا الذكاء درجة من مستوى العيش عالية . ولكن ألم يقض علم النفس الحديث على هذا الزعم ؟ ألم يكن دخل الفرد فى دانيمرك منذ مائة عام فى مؤخرة القائمة بين سائر ممالك العالم ؟ فكيف أصبح اليوم فى أعلى القائمة ؟ هل تغيرت السلالة هناك ؟ يقولون ان الآلات لازمة لمضاعفة الثروة . هذا صحيح ، ولكن صحيح كذلك أن المتعلمين يستطيعون الحصول على الآلات ، وغير المتعلمين لا يحسنون استعمالها ، حتى لو أتيح لهم الحصول عليها . أليست الحقيقة تنحصر فى هذه العبارة : لا سبيل لمضاعفة الثروة فى بلد بغير التعليم بشرط أن يكون كافيا أولا وملائما لطبيعة البلد ثانيا ؟

ان المصادر الطبيعية لا تغنى الامم ، ولا غزو الشعوب الضعيفة ، ولا اقتراض الملايين من أمة غنية ، ولا الذكاء الفطرى ، ولا المناخ ، ولا شىء من هذا وذاك يضاعف الثروة . الحل الوحيد : التعليم العام الذى يتفق والبيئة ، والتعليم الفنى الخاص ، الزراعى منه والتجارى والصناعى ، للمشتغلين بالزراعة والتجارة والصناعة

الابتسامة

- الابتسامة لغة لا يفهمها سوى النساء — مدام أليوت
- الحب دمعة وابتسامة ، دمعة من سماء التفكير وابتسامة فى حقل النفس — هوجو
- الابتسام اصطلاح فى لغة الحب معناه فى موقف الوداع : الى اللقاء الى اللقاء — لابريد
- الابتسامة خطيئة اذا لم يخالطها الحب — شكسبير
- ابتسامة المرأة شعاع من أشعة السماء — فولتير
- تظهر محبة الرجل بالكلام أما المرأة فبالقبلات والابتسام — مثل صينى
- المرأة المبتسمة كالغرفة الدافئة التى تستميل الانسان حين يدخلها فيشعر برفاهيتها حتى ينسى كونه غريبا — كاترين
- الرجل يطلب ثلاثة أشياء من المرأة : الفضيلة فى قلبها والوداعة على وجهها والابتسامة على ثغرها — معاوية
- ما تريد نيله بالارهاب يسهل عليك بلوغه بالابتسام — ستيوارت
- الازهار سفر قد وضعه الله ليتعلم الانسان اللطف والتسامح ، الا ترى أن الانسان يطأها تحت قدميه وهى لا تزال ترمقه بابتسامة جميلة — منتجمرى

بين روسيا والحلفاء

بقلم الأستاذ ابراهيم زين الدين

الخلاف بين روسيا السوفياتية وبين الحلفاء قديم عتيد يرجع تاريخه الى سنة ١٩١٧ حينما استولت الثورة البلشفية على مقاليد الحكم ، ولقد استطاعت هذه الحرب أن تخفى وراء أهوالها مظاهر هذا الخلاف ـ ولكن الى حين ـ فما أن انطوت صفحتها فى أوربا ، حتى نشرت فى أعقابها صفحات هذا الخلاف من جديد

وهو خلاف ذو مظهرين، احدهما خارجي تتمثل فيه المشاكل الخاصة ببولندا، والبلقان، وميناء تريستا ، ومعاملة ألمانيا ، ومناطق النفوذ ، ومجلس الامن ، والوصاية الدولية ، ومستقبل القوميات المحكومة الخ

أما المظهر الثانى ـ وهو المظهر الخفى ـ فيتصل بما يسمى فى وجهة نظر الديموقراطيات « بالخطر الشيوعى » ، و « مناطق النفوذ »

والادراك السليم لهذا الخلاف ـ فى مظهريه ـ يستدعى عرض العلاقات بين روسيا السوفياتية وبين الحلفاء من سنة ١٩١٧ الى الآن . وسيكون من شأن هذا العرض ، أنه سيطالعنا بتواريخ هذه الخلافات وعللها واسرارها . وهى العناصر اللازمة لادراك حقيقتها ادراكا صحيحا . وهى أيضا العناصر الصالحة لاستخراج الحلول السليمة

وقد مرت هذه العلاقات بأدوار خمسة هى :

الدور الأول

بدأ فى سنة ١٩١٧ وانتهى فى سنة ١٩٢٢ ، وفى أوله قامت الثورة البلشفية ، وألف لينين برياسته حكومة شيوعية تمارس مبادىء ونظريات كارل ماركس ، حيث ألغت الملكية الفردية ، وجعلت وسائل الانتاج والاستهلاك فى يد الدولة تباشرها وتباشر معها تحقيق مطالب الشعب ، بأن تعطى لكل فرد بقدر حاجته . وفصلت الدين عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة ، وجعلت الزواج والطلاق عقدين مدنيين ، وتكفلت بتربية الاطفال وتنشئتهم الى آخر ما هو معروف من هذه المبادىء

ورأت الديموقراطيات ـ وعلى رأسها انجلترا وفرنسا ـ أن فى قيام مثل هذه الحكومة ـ وهذه مبادؤها فى الحكم ـ خطرا يهدد النظم القائمة ، ويهدد سلام أوربا ، وسلام العالم،

وان من الواجب اذن مناجزتها قبل ان يستفحل شرها ويمتد الى خارج حدودها

وبدأت هذه المناجزة سريعا ، فان انجلترا وفرنسا قد ألبتا العناصر المعادية لحكومة لينين وأمدتها بالعتاد والمؤن والمال والرجال ، ووجهتها لمحاربة الشيوعية فى عقر دارها ، وهكذا نشبت الحرب الاهلية الروسية التى امتدت الى سنة ١٩٢٠ وانتهت بفوز البلشفية بعد جهاد عنيف مرير

والى هذا فقد شن الحلفاء على روسيا حربا معنوية قوامها الاذاعة والنشر تعملان لتشويه السمعة الشيوعية وتصويرها بأقتم الالوان

وبجانب هذه الحرب المعنوية قامت حرب أخرى اقتصادية ، حاصر فيها الحلفاء روسيا حصارا منيعا حرمها من أى اتصال بالخارج ، فلا هى استطاعت أن تستورد ما كانت تحتاجه ، وكانت فى أشد الحاجة اليه لتعمير بلادها التى خربتها حربان متتاليان ، الحرب العظمى والحرب الاهلية ، وللسير فى مشاريع التنظيم الاقتصادى التى كانت قد بدأتها فعلا . ولا هى استطاعت أن تصدر محاصيلها الفائضة عن حاجتها

وقد استهدف النظام الشيوعى بسبب هذا الحصار — وبسبب الحرب الاهلية من قبله — الى كثير من الاخطار ، لولا أن حكمة لينين ، وحماسة أنصاره قد تفادت هذه المخاطر وتغلبت عليها

الدور الثانى

بدأ فى سنة ١٩٢٢ وانتهى فى سنة ١٩٣٣ ، وفى أوله بدأت سياسة التقرب بين روسيا وألمانيا فعقدتا معا معاهدة صداقة وتجارة عرفت باسم معاهدة « راباللو »

وفى هذا الدور ظلت العزلة قائمة بين روسيا والحلفاء ، وظل هؤلاء فى حصارهم لها ، وحاولت انجلترا من جديد اثارة حرب أهلية ثانية فى روسيا ولكنها لم تصر طويلا على هذه المحاولة

وبفضل معاهدة راباللو استطاعت روسيا أن تستورد من مصانع ألمانيا كثيرا من الآلات وأدوات التعمير ، وأن تسير قدما فى بناء كيانها الاقتصادى طبقا لمناهج الثورة ، كما استطاعت أن تصدر كثيرا من محاصيلها الفائضة عن حاجتها

ولكنها ظلت مع ذلك تعانى كثيرا من الضيق بسبب هذا التضييق الذى فرضته عليها الديموقراطيات عمدا وبأصرار ، أملا منها فى أن يكون ذلك من شأنه تأليب الناقمين على هذا النظام تأليبا يؤدى الى قيام حرب أهلية تكتسح الشيوعية وحكومتها . ولكن حكومة موسكو — وقد فطنت الى هذا الاتجاه — قد قاومت هؤلاء الناقمين مقاومة عنيفة حاسمة ، خلصت بها من بعضهم ، واستخلصت البعض الآخر

الدور الثالث

بدأ فى سنة ١٩٣٣ وانتهى فى سنة ١٩٣٨ ، وهو دور التقرب من الديموقراطيات ، فان هذه وقد أدركت ان السياسة التى انتهجتها مع روسيا لم تفلح ، وانها انتهت فى أكثر الظروف الى نتائج عكسية ، وان كل أمل فى انهيار النظام الشيوعى قد انهار ، وان هذا النظام الذى كتب له الاستقرار ، بدأ يظهر كعامل دولى ذى خطر ، فقد بدأت توجه سياستها وجهة جديدة تتفق وهذه الظروف الطارئة

وساعد على هذا التوجيه أن حزب العمال كان قد ولى الحكم فى انجلترا ، وسياسته ازاء روسيا الشيوعية مخالفة لسياسة حزبى المحافظين والاحرار ، الا أن هذه السياسة الجديدة لم تلبث الا قليلا بسبب اختفاء العوامل التى أفضت اليها . ولكنها عاودت الظهور من جديد ، بظهور عوامل أخرى منها ظهور موسولينى وهتلر على مسرح السياسة الاوربية ، وانشاء النظام الفاشستى فى ايطاليا ، والنازى فى ألمانيا ، ومهاجمتهما لنفوذ الديموقراطيات ، وتحديهما لعصبة الامم

ورأى ستالين فى هذه الاحداث الجديدة فرصة يوجه فيها سياسته وجهة جديدة دعت اليها مصلحة روسيا . ووجهة نظره فى هذا حكيمة وسليمة ، فقد رأى أوربا ينتظمها فى هذا الحين فريقان من الامم ، الفريق الاول ــ وتمثله ألمانيا وايطاليا ــ وهو فريق الامم المغلوبة ، وهذه كانت تسعى الى نقض معاهدة فرسايل ، ولا يكون هذا الا باثارة حرب جديدة . والفريق الثانى ــ وتمثله انجلترا وفرنسا ــ وهو فريق الامم الظافرة . وهذه كانت تسعى الى تدعيم معاهدة فرسايل ، وهى لا تطمع فى مزيد مما كسبته بهذه المعاهدة ، واذن فهى لا تسعى الى الحرب ، وانما تسعى الى منع نشوبها

وظاهر أن مصلحة روسيا فى اجتناب الحرب كانت تتفق مع مصلحة دول الحلفاء ، وان خطر النازية والفاشية انما كان يهدد روسيا كما يهدد انجلترا وفرنسا ، كما يهدد التوازن الاوربى والسلام العالمى . وهكذا وحد الخطر المشترك بين وجهات النظر التى كانت مختلفة ومتشابكة

وتنفيذا لهذا الاتجاه فقد دخلت روسيا عصبة الامم فى سنة ١٩٣٤ ، وقال الشيوعيون المتطرفون المناوئون لستالين يومئذ ان فى هــذا الاتجاه انحرافا عن مبادىء الماركسية ، واستعادوا ما قاله لينين عن عصبة الامم حيث وصفها بأنها « وكر اللصوص » ورد ستالين عليهم فقال انه قد قبل أن يتعاون مع هؤلاء اللصوص ليرد عن روسيا وعن الثورة ، وعن مبادىء كارل ماركس خطر قطاع الطرق ، يقصد « النازيين »

ولروسيا فى عصبة الامم عهد يستأهل التسجيل ، فقد حاولت منذ اللحظة الاولى أن تحمل انجلترا وفرنسا على ايجاد جبهة متحدة ضد الخطر النازى ، ولكن هاتين الدولتين لم تشاءا أن تتورطا فى هذا التوجيه ، واعتقدتا أن السياسة السلبية قد يكون من شأنها ابعاد

الخطر النازى عنهما أو ارجاؤه الى وقت بعيد ، وان من الممكن مع هذا الحصول على السلم بأى ثمن

واعتقدت موسكو أن فى هذا الموقف تحريضا غير مباشر لالمانيا على روسيا ، وجاءت الاحداث بعد ذلك فأكدت لموسكو صحة هذا الاعتقاد . وهنا يبدأ الخلاف الحقيقى بين روسيا والحلفاء ، هذا الخلاف الذى يعتبر بحق خميرة هذا النزاع الحالى ، ومبعثه الشك المتبادل بين الفريقين من قديم

ففى سنة ١٩٣٥ غزا موسولينى الحبشة ، وكان فى هذا خرق لعهد العصبة وتحد لها وانذار بتكرار هذه السابقة الخطيرة ، وحاولت روسيا أن تحمل الحلفاء على اتخاذ اجراء ايجابى ضد ايطاليا ، ولكنها لقيت فى هذا معارضة منظمة — ومن فرنسا بنوع خاص — وأخيرا ولما وافقت العصبة على فرض العقوبات الاقتصادية على ايطاليا ، استطاع لافال وكان على رأس حكومة باريز ، وكان يرى مهادنة ايطاليا ، ان يجعل هذه العقوبة المفروضة حبرا على ورق

وفى سنة ١٩٣٦ نشبت الحرب الاسبانية الاهلية بين حكومة مدريد الشيوعية وبين قوات الجنرال فرانكو تؤيده ألمانيا وايطاليا ، فكان طبيعيا مع هذا أن تتدخل روسيا لتأييد حكومة مدريد ، وحاولت أن تحمل انجلترا وفرنسا على التدخل صونا لعصبة الامم ودرءا لهذا الخطر المتحدى ، ولكنهما آثرتا الا تفعلا ، ووقفت روسيا وحدها وجها لوجه أمام ألمانيا وايطاليا . وانتهت هذه الحرب بفوز الجنرال فرانكو وزوال الحكومة الشيوعية من اسبانيا

ورأت روسيا فى موقف انجلترا وفرنسا من هذين الحربين ما دعاها الى توجيه سياستها وجهة جديدة . وهكذا انقضى عهد التعاون مع الديموقراطيات ليبدأ عهد آخر جديد بسياسة جديدة مغايرة

الدور الرابع

بدأ فى سنة ١٩٣٩ وانتهى فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٤١ وهو عهد التحول الذى أشرنا اليه ، وفيه عقدت روسيا مع ألمانيا ميثاق (ستالين — ريبنتروب) تحت ضغط الظروف التى طرأت

ففى ١٥ من مارس سنة ١٩٣٩ دخلت جيوش هتلر مدينة براج عاصمة تشيكوسلوفاكيا، وكان فى هذا تهديد مباشر لروسيا ، وبالرغم من يأسها من التفاهم مع الديموقراطيات ، فقد ألقت بآخر أمل لها وعرضت فى ١٨ من مارس سنة ١٩٣٩ أن يجتمع مؤتمر تمثل فيه انجلترا ، وفرنسا ، وروسيا ، وتركيا ، ورومانيا للتفاهم فى هذا الموقف الخطير ، ولكن انجلترا أجابت على هذا العرض بأنه سابق لاوانه ، واقترحت الاكتفاء بأن تعلن فرنسا ، وانجلترا ، وروسيا ، وبولندا استنكارها لهذا الغزو ، ووافقت روسيا — مرغمة — على هذا الحل النصفى ، ولكن بقى الامر مع ذلك عند حد العرض والقبول دون التنفيذ

وفى ٢٢ من مارس سنة ١٩٣٩ دخلت جيوش هتلر مدينة ميمل ، وفى هذا اعتداء مباشر

على سلامة بولندا التى ضمنت انجلترا وفرنسا استقلالها ، وفيه تهديد لروسيا ولدول البلطيق ، وهكذا فقد كان الموقف يدعو الى وحدة الرأى ووحدة العمل ، ولكن تشمبرلين أعلن فى ٣١ من مارس ـ ودون ان يستشير روسيا ـ ضمان انجلترا لاستقلال بولندا وحدها

ورأت موسكو أن فى هذا الاعلان ، على هذه الصفة التى أهمل بها ضمان استقلال دول البلطيق ، استمرارا للسياسة القديمة التى رأت فيها موسكو تحريضا لالمانيا عليها مقابل ألا تمس ألمانيا مناطق نفوذ انجلترا

وفى ٧ من ابريل سنة ١٩٣٩ غزا موسولينى البانيا وكان فى هذا تهديد لدول البلقان كلها ، ولكن تشمبرلين ـ دون أن يستشير روسيا كذلك ـ أعلن ضمان انجلترا لاستقلال رومانيا واليونان دون غيرهما من دول البلقان . وانما كان يجرى فى هذا على نفس السياسة التى اتبعها يوم أعلن ضمان استقلال بولندا ، وهى السياسة التى كان يظن بهـا امكان (تجزئة السلام) ، ولكن روسيا أدركت من هذين الموقفين ، ومن موقف انجلترا وفرنسا فى غزو الحبشة وفى الحرب الاسبانية ، ان هاتين الدولتين تسعيان الى السلامة ولو على حساب روسيا ، وانهما بهذه السياسة تطلقان يد ألمانيا فيما عدا مناطق نفوذهما

ومع هذا فقد حاولت روسيا للمرة الاخيرة اقناع انجلترا بتأليف تحالف دفاعى منها ، ومن روسيا ، وفرنسا لضمان استقلال الدول القائمة بين بحر البلطيق والبحر الاسود فتدخله دول البلطيق كلها ، وبلغاريا ، ويوغسلافيا ورومانيا واليونان ، ولكن لندن وباريز أهملتا هذا العرض الى حد عدم الرد عليه ، بل ان تشامبرلين رفض ـ ساخرا ـ اقتراحا عرض عليه فى مجلس العموم بأن يعمل على الاتصال بستالين شخصيا كما اتصل بهتلر

وأخيرا ـ ولما تحرجت الظروف ـ ولما أدركت انجلترا أن سياسة (تجزئة السلام) لم تفلح أوفدت رسلها الى موسكو (لتقريب وجهات النظر المختلفة) وبدأت المفاوضات فعلا فى موسكو فى شهر اغسطس ، ولكن وجهات النظر كانت متباعدة ، وأصرت بولندا من ناحية أخرى على عدم السماح للجيوش الروسية بالمرور فوق أراضيها ، وهكذا أوقفت المفاوضات

ميثاق ستالين ـ ريبنتروب

أوقفت المفاوضات بين موسكو ووفد لندن فى ١٧ من اغسطس سنة ١٩٣٩ ليعلن بعدها بيوم واحد ـ وفى موسكو نفسها ـ حيث كان وفد لندن ما يزال مقيما بها ، ميثاق عدم اعتداء بين ألمانيا وروسيا

وقامت صحف الديموقراطيات تعلن أن ستالين قد خان قضية حلفائه ، وانه انما يسعى الى حرب يستطيع بعدها أن يغزو أوربا ويبذر فيها بذرة الشيوعية . وردت صحافة روسيا فقالت ان هذا هو السبيل الوحيد الذى كان على روسيا أن تسلكه اذ رأت الديموقراطيات تطلب السلامة لنفسها على حساب روسيا

الدور الخامس

بدأ فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٤١ ، وفيه زحفت جحافل هتلر على روسيا وبدأ عهد التعاون من جديد مع الحلفاء ، وفى مساء نفس اليوم الذى بدأ فيه هذا الزحف أذاع تشرشل بيانا قال فيه : « . . وانى الآن أعلن بأن سياستنا تتلخص فى كلمة واحدة وغرض واحد هو تحطيم هتلر وكل مظاهر النظام النازى ، وكل انسان وكل بلد يحارب ضد النازية سيلقى منا المساعدة . . وسنقدم كل ما نستطيع من المساعدة لروسيا »

وقد برت انجلترا بوعدها كاملا غير منقوص وساهمت الولايات المتحدة بنصيب عظيم فى مساعدة روسيا ، وهذه بموقفها الباسل فى هذه الحرب ، قد ردت الى الحلفاء جميلهم ، اذ شغلت عنهم معظم قوات ألمانيا وعادها وساهمت فى النصر بنصيب موفور

ولكن هذا التعاون الحربى قد سار مستقلا عن التعاون السياسى ، فظلت مسائل الخلاف معلقة ، بل لقد كان من شأن هذا التعاون الحربى ، ومن شأن الاشتراك فى النصر ، انها تفاقمت وزادت حرجا

وهذا التفصيل الذى قصدنا اليه فى هذا المقال يطالعنا بعناصر هذا الخلاف واسبابه ، وهو كما رأينا خلاف يتصل بالجوهر ، وبالاساس ، أكثر مما يتصل بهذه المظاهر الخارجية التى تترامى الينا أنباؤها كل يوم

وليس الحل بمستعص اذا حسنت النيات ، واذا روعيت الحقوق ، واذا طبقت المبادىء والمثل المثلى ، واذا احترمت حقوق الامم ، كبيرها وصغيرها على سواء ، وفى ذلك خير روسيا وخير الحلفاء وخير الانسانية كلها

ابراهيم زين الدين
المحامى

نكسة

قال الطالب الفتى لاستاذه الشيخ : قد كان فلان أبيا حميا ذكيا مرتفعا عما يؤذى كرامة الرجل الكريم ، فلما بلغ السبعين ابتذل من نفسه ما لم يكن للابتذال سبيل اليه

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : ردته السن الى طفولة العقل ، وحفظت عليه رجولة الجسم ، فأدركه شىء يشبه النكسة

(عن كتاب « جنة الشوك » للدكتور طه حسين)

تطور نظرية المسئولية ..

من الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

لا مراء فى أن ألمانيا سوف تؤدى أفدح ثمن أدته أمة للتكفير عن أخطائها . ولكن الشعب الالمانى حرى بأن يكفر عما ارتكبه زعماؤه وقادته الذين أبدهم بكل موارده وقواه فى سياسة التدمير والسفك التى لم يشهدها التاريخ فى أظلم عصوره

انتهت الحرب العالمية الاولى فى الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ بعقد هدنة كمبيين Compiègne بين الحلفاء الظافرين والمانيا المهزومة . وذلك بعد مفاوضات تمهيدية قصيرة ، عرضت المانيا خلالها عقد الصلح على أساس المبادىء التى أعلنها الرئيس ولسون ، وقبلت الدول المتحالفة هذا العرض مع بعض التحفظات

وقد احتوت هدنة كمبيين شروطا ، اعتبرت يومئذ شديدة قاسية وخلاصتها أن تتخلى المانيا عن سائر الاراضى المفتوحة ، وان ينسحب الجيش الالمانى الى ما وراء الرين ليحتل الحلفاء ضفته الشرقية وان تسلم المانيا كميات كبيرة من العتاد والطائرات وان تسلم قسما كبيرا من اسطولها مع سائر الغواصات وان تطلق سراح جميع الرعايا والأسرى التابعين لدول الحلفاء

على ان ما أصاب المانيا من جراء هزيمتها فى سبتمبر سنة ١٩١٨ لا يعتبر شيئا مذكورا بالنسبة لما أصابها من جراء هزيمتها فى سنة ١٩٤٥ ، فبينما عقدت هدنة كمبيين والجيش الالمانى يرابط فى شمالى فرنسا على مقربة من باريس والوطن الالمانى سليم لم تصبه ويلات الحرب ، وبينما استطاعت المانيا ان تفاوض وان تحصل على هدنة شريفة ، اذا بالمانيا فى سنة ١٩٤٥ ترغم بعد ان اجتيح الوطن الالمانى كله من الشرق والغرب ، وعمه الدمار المطبق ، ومزق الجيش الالمانى فى كل ساحة ، على ان تخر جاثية ، أمام الحلفاء الظافرين وان تسلم لاعدائها دون قيد ولا شرط ، وان تخضع راغمة ذليلة لحكم الاحتلال الاجنبى

ولهذا التطور فى طريقة معاملة المانيا المهزومة اسباب تاريخية ونفسية . فقد استطاعت المانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى أن تقوم بدعاية قوية مضطرمة لتلقى فى روع الشعب الالمانى حقيقتين أو نظريتين خطيرتين

الاولى — ان المانيا لم تخض الحرب العالمية الاولى الا دفاعا عن نفسها وكيانها ، وانها لم تكن فى خوضها أكثر مسئولية من أعدائها

والثانية – ان المانيا لم تهزم فى هذه الحرب ، ولكنها سقطت صرعى الخيانة التى ارتكبتها الجبهة الاشتراكية الداخلية ، وان لواء النصر لبث معقودا للجيش الالمانى الى ما قبيل الهدنة بأسابيع قلائل

مسئولية الحرب

فاما عن مسئولية الحرب فالمعروف ان معاهدة فرساى التى اختتمت بها الحرب العالمية الاولى ووقعت فى ٩ يونيه سنة ١٩١٩ قد فرضت على المانيا بسائر شروطها المرهقة ، باعتبار أن المانيا هى المسئولة وحدها عن اثارة الحرب ، وعليها أن تتحمل سائر التبعات المترتبة على ذلك . وقد عارضت المانيا منذ الساعة الاولى فى هذا الاتهام المطلق على لسان وفدها فى مؤتمر الصلح ، فقد قال رئيسه الكونت بروكدورف رانتساو فى خطابه الذى ألقاه يوم افتتاح المؤتمر فى ٧ مايو سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« لسنا ننكر فداحة عجزنا وعظم هزيمتنا ، فنحن نعرف ان قوى الاسلحة الالمانية قد حطمت ، ونشعر بقوة البغض الذى نلاقيه هنا . ولقد سمعنا الطلب الفياض بالشهوة الذى يريد الظافرون ان نؤديه باعتبارنا مهزومين ومذنبين ، فهم يطلبون الينا أن نعترف بأننا المسئولون وحدنا عن اثارة الحرب ولو صدر مثل هذا الاعتراف من فمى لكان كذباً، هذا مع اننا أبعد من أن ننكر تبعاتنا فى الحرب العالمية وفى الطرق التى سارت بها

« على أن المانيا لم تنفرد وحدها بارتكاب الخطأ فى الطرق التى سارت بها الحرب فقد ارتكبت مثلها باقى الامم

« وليست الجرائم التى ترتكب خلال الحرب مما يغتفر ، ولكنها ترتكب خلال صراع فى سبيل الكيان القومى فى ساعات الشهوة ، التى تجعل ضمائر الشعوب أقل شعورا »

وقد احتفظت ألمانيا المهزومة بوجهة نظرها ، فمنذ سنة ١٩٢٠ تحاول السياسة الالمانية فى ظل جمهورية فيمار ان تمحو عن المانيا هذه التبعة من الناحية النظرية والتاريخية ، وان تثبت أن المانيا لم تخض غمار الحرب الكبرى الا دفاعا عن نفسها ، وان روسيا القيصرية وفرنسا بالاخص كانتا تعملان لاثارة هذه الحرب وتعقدان فيما بينهما المحالفات والمواثيق السرية ضد المانيا . وظهرت جهود السياسة الالمانية فى هذا السبيل واضحة فيما نشرته الصحافة الالمانية الكبرى ، ولا سيما البرلينر تاجبلاط عميدة الصحف الديمقراطية يومئذ، من بحوث ومقالات ترمى الى اثبات هذه الحقيقة ، وفيما صدر من المؤلفات التاريخية والسياسية العديدة الخاصة بالحرب الكبرى واسبابها ومقدماتها

وكان لهذه الحملات البارعة المدعمة أحيانا بالوثائق السياسية وخصوصا بما اذاعته الحكومة البلشفية يومئذ من وثائق الحكومة القيصرية وقع عميق فى الرأى العام الدولى ولم تلبث جهود السياسة الالمانية أن أثمرت باثارة العطف على المانيا ، والتنديد بصرامة معاهدة فرساى ، ولم تلبث أن جنت المانيا ثمار جهودها بتخفيض التعويضات ثم بالغائها

وتحرير منطقة الرين المحتلة واسترداد المانيا لمكانتها الدولية القديمة شيئا فشيئا . ثم كانت الخطوة الحاسمة عقب استيلاء النازيين على الحكم ، وذلك باعلان المانيا الغاء شروط معاهدة فرساى المتعلقة بنزع سلاح المانيا واسترداد المانيا لحريتها الكاملة فى تنظيم قواتها الصناعية

وكانت المانيا الجمهورية تلجأ فى جهودها الى سلاح الاقناع والدعاية ، ولكن المانيا النازية آثرت مذ شعرت بقوتها المادية ، أن تعمد الى سلاح الوعيد والعنف فى تحطيم مابقى من النصوص الاقليمية التى فرضت عليها ، وهكذا ظفرت المانيا بتحطيم معاهدة فرساى شيئا فشيئا باعتبار أن الاساس الذى بنيت عليه انما هو أساس ظالم وباطل ، وبذلك خسر الحلفاء ثمار النصر الذى أحرزوه فى الحرب العالمية الاولى

وحاولت المانيا فى نفس الوقت أن تلقى فى روع الشعب الالمانى ان المانيا لم تهزم ، ولكنها طعنت من الوراء بخيانة الجبهة الاشتراكية الداخلية ، فاضطرت الى طلب الهدنة بينما كان الريختر « الجيش الالمانى » فى أوج ظفره ونصره على مقربة من باريس واسبغ النازيون على هذه النظرية لونا قويا حتى أضحت عقيدة ثابتة فى المانيا النازية

ولما بدأت المانيا الحرب العالمية الثانية أعلن النازيون ان الجيش الالمانى يبدأ معاركه الجديدة حيث وقف فى سنة ١٩١٨ ويستأنف انتصاراته التى ارغم على تركها

وهكذا أدركت الدول المتحالفة خلال هذه الحرب فداحة الاخطاء التى ارتكبتها فى الحرب العالمية الاولى ، وفداحة الآثار السياسية والنفسية التى ترتبت عليها ، والتى استغلتها المانيا أبرع استغلال وأشده ، وأدركت ان هدنة كمبيين كانت خطأ سياسيا وعسكريا لا يغتفر ، وان معاهدة فرساى كانت وثيقة سيئة قصيرة النظر لم تحقق شيئا من الآثار التى علقت عليها

واذن فلم يكن ثمة بد من أن يعتبر الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية بهذه الاخطاء وان يحرصوا كل الحرص على اجتنابها ، ولن يكون ذلك الا باحراز نصر حاسم مطلق لاشك فيه ثم بوضع سلم مستقر وطيد الدعائم

وقد كان ذلك أساس القرار الخطير الذى اتخذته الدول المتحالفة فى مؤتمر الدار البيضاء منذ سنة ١٩٤٢ وهو وجوب متابعة الحرب حتى تسحق الاسلحة الالمانية سحقا تاما ، وحتى ترغم المانيا على التسليم بلا قيد ولا شرط ، وهو قرار مضت الدول المتحالفة فى تنفيذه باصرار لا مثيل له ، فلم تقبل ان تدخل مع المانيا فى أية مفاوضة للصلح أو الهدنة ، ولم تقبل ان تعدل موقفها بأية صورة . وكان مما شهدناه من احتدام المعارك فى سائر الميادين ، ومن اصرار المانيا على المضى فى المقاومة ، ومن اصرار الحلفاء من جانبهم على المضى فى القتال حتى احتلت أراضى الوطن الالمانى كله ، وسحقت جيوش الريخ فى كل ساحة ، وارغمت المانيا فى النهاية على قبول التسليم المطلق الذى فرضته الدول المتحالفة

وهكذا تغدو هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الثانية هزيمة تامة مطلقة يشهدها الشعب الالمانى المحطم فى أروع صورها وتبدو آثارها المادية واضحة فيما أصاب المانيا من الدمار

المطبق وفيما تعانيه من مذلة الاحتلال الاجنبى الشامل ، وفى حرمانها من كل مظاهر الحرية والاستقلال السياسى . ولن يتاح بعد ذلك لاية دعاية قومية ان تمحى فكرة الهزيمة من نفس الشعب الالمانى ، ولن يتسع المجال للتحدث عن مناعة الجيش الالمانى واستحالة هزيمته أو غير ذلك من الخرافات التى عملت النازية على بثها لاحياء قوة المانيا المعنوية . وستبقى آثار الهزيمة بالعكس ماثلة فى نفس الشعب الالمانى مدى أجيال

***

ولما كانت المانيا النازية هى التى وضعت خطط الحرب العالمية الثانية ، وعملت على اثارتها عن سبق اصرار وعمد ، فهى المسئولة دون غيرها عن كل تبعاتها ولن يكون ثمة مجال للبحث فى مسألة المسئولية أو مداها كما حدث فى فرساى ، ولن يتاح لالمانيا انتتنصل من هذه التبعات كما فعلت بعد الحرب الكبرى

ويترتب على ذلك انه يجب على المانيا ان تتحمل هذه المرة نتائج هزيمتها كاملة مطلقة ، وان تتقبل كل ما يفرض عليها من الشروط والمغارم الفادحة فى الصلح القادم دون جدل أو مناقشة ، وسيكون للحلفاء الظافرين هذه المرة من الوسائل الناجعة ما يمكنهم من ارغام المانيا المحتلة على تنفيذ النصوص المفروضة ، وستوجه جهود الشعب الالمانى ومصايره وفقا لارادة الظافرين ، ولاصلاح ما ارتكبته المانيا النازية فى القارة الاوربية من صنوف العبث والتدمير

ولا مراء فى أن المانيا سوف تؤدى أفدح ثمن أدته أمة للتكفير عن اخطائها . ولكن الشعب الالمانى حرى بأن يكفر عما ارتكبه زعماؤه وقادته الذين أيدهم بكل موارده وقواه فى سياسة التدمير والسفك التى لم يشهدها التاريخ فى أظلم عصوره ، والتى ليست فى الحقيقة سوى رمز لفلسفة القوة والعدوان المتغلغلة فى صميم العقلية الالمانية

محمد عبد الله عنان

لا تضعوا الحكمة فى غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم
الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك « على بن أبى طالب »
لا تقطع صديقا وان كفر ولا تركن الى عدو وان شكر « عمر بن عبد العزيز »



اذا أقدمت على الزواج وأنت تشعر أنه أهم خطوة تخطوها فى حياتك ، وانك على أهبة لان تستعين بكل موارد العلم والدين لكى تصل به الى جادة النجاح، فانك لا بد ملاق هذا النجاح فى حياتك الزوجية

لقد أوشك صرح حياتها الزوجية أن يتحطم ، وهى لا تدرى سببا لذلك ، فانها حين اقترنت بزوجها كان الناس جميعا يعجبون للتوافق بينهما ، حتى لكأن كلا منهما قد خلق للآخر . والآن لما اشتد الخلاف بينهما صارت تقول لنفسها انه ليس الرجل المناسب لها!

فبالله أما خطر لها قط ان تسأل نفسها أهى المرأة المناسبة له ؟

ان العثور على الزوج الأمثل ليس أهم العوامل فى جعل الزواج سعيدا موفقا . بل يجب أن تجعل الزوجة نصب عينيها أن تكون هى الزوجة المثلى له . فانها اذا لم تكن كذلك لا تلبث حتى تجد نصبا وكدرا بعد أشهر قليلة من الزواج

والآن لنبحث عن أسباب فشل الزواج عند الكثير من الناس : فى معظم الاحوال يكون السبب الرئيسى هو ما يمكن أن يسمى « بمركب النقص الروائى » ، وهو ما تخلقه الروايات السينمائية والمجلات القصصية وأمثالها فى نفوس الشباب ، اذ تصور لهم الحب كأنه شىء خفى يطرق قلب الانسان من حيث لا يدرى . فمتى بدا الحب وظهر الشريك فيه فان الحياة تجرى نهرا مطردا من السعادة . واذا لم يتحقق ذلك فيكون معناه أن أحد الطرفين فى الزواج لم يوفق الى الشريك الملائم ، وانه أخطأ الاختيار

والواقع ان الزواج لا يمكن أن ينجح الا اذا حقق رغبات الطبيعة البشرية ، وهى رغبات لا يشبعها ذلك المركب الروائى وحده .. وليس ثمة من خفاء فى حاجاتنا الاساسية التى ننشدها من الزواج . فاذا جعلها الازواج والزوجات نصب أعينهم فقد كفلوا لانفسهم دوام الزواج ونجاحه .. فما هى تلك الحاجات الاساسية ؟ انها ثلاث :

أولا ــ ان كل امرأة ــ وهذا يصدق أيضا على كل رجل ــ تود أن تشعر بأن الغير يقبلونها وانها ليست منبوذة من المجتمع بل مرضيا عنها . ويصح ان نعبر عن ذلك بقولنا انها تريد ان تشبع بواعثها الاجتماعية أو « غرائز القبيلة » الكامنة فى نفسها ، فهى تطلب اعتراف المجتمع بوجودها وقبوله اياها

ثانيا ــ انها فضلا عن شعورها بأنها فرد فى جماعة ، تود ان تكون بالنسبة لفرد واحد

فى المجتمع ، شيئا لا تكونه له اية امرأة أخرى ، فهى تحب ان تشبع دوافع الجنس وتسد حاجتها الى الحب بالمعنى المعروف

ثالثا ـ انها تتوق لان تشعر بانها ليست عضوا فى المجتمع وزوجة لرجل معين فحسب ، بل لها كذلك قيمتها فى حد ذاتها . فهى تطمح لان تصبح شيئا مذكورا وان تكون لها ميزة أو مزايا كفرد قائم بنفسه ، وبذا ترضى أنانيتها وتعبر عن نفسها

فاذا أشبعت المرأة هذه الحاجات الثلاث ـ اعتراف المجتمع بها وحب الرجل لها والتعبير عن نفسها ـ فان صحتها العقلية تكون كاملة سليمة ، وتكون حياتها غنية سعيدة

أما اذا فشلت فى اشباع واحدة أو أكثر من هذه الحاجات الثلاث ، فانها تكون شقية تعسة ، تشعر بالضيق وتسخط على حظها فى الحياة ، وتكون فريسة للمنازعات النفسية . ولما كانت الطبيعة الانسانية لا تدع الانسان يلوم نفسه ، فان الزوجة فى هذه الحالة تلقى اللوم كله على عاتق زوجها

وهكذا تجد ان الزواج السعيد هو الزواج الذى يلقى فيه كل من الزوج والزوجة مخرجا لتحقيق تلك الحاجات الرئيسية الثلاث ، فلا يجوز لأحد الطرفين ان يعمل على حرمان الآخر من واحدة منها ، بل يجب عليهما كليهما ان يعملا على قضاء تلك الحاجات، بفضل الزواج ، بشكل أوفى مما كانت تقضى من دونه

واذا شهدنا زواجا غير موفق فيجب ان نحلل العقبات التى تعترض نجاحه ، ولاتلبث ان نجد أن أحد الطرفين قد حيل بينه وبين اشباع واحدة أو أكثر من تلك الحاجات الاساسية . وأحيانا يكون الطرفان كلاهما قد حدث لهما ذلك فى آن واحد !

والآن كيف يمكن قضاء تلك الحاجات الاساسية الثلاث على أكمل وجه ؟

ان الحاجة الاولى أيسر ما تقضى بقدر معقول من الحياة الاجتماعية . وكثير من الازواج قليلو العناية بهذا الامر ، فلا يلبثون حتى يشملهم الملل وتصبح حياتهم العائلية رتيبة مضجرة . والواقع ان الملل هو أكبر عدو للزواج ، ومن الخطأ ان يمكنه الزوجان من حياتهما العائلية ولا يعملا على منعه وازالته

أما الحاجة الاساسية الثانية ، وهى الحب أو الحياة الجنسية المعقولة، فان قضاء هذه الحاجة مرتبط بقدر من المعلومات لا يحصل عليه أكثرنا فى البيوت ولا فى المدارس . ولكن يمكننا الآن أن نصل الى هذه المعلومات من كتب ورسائل عديدة

وحياة الحب المرضية تتوقف بعد ذلك على المثل التى يضربها الكبار . ونحن للاسف نلقى كثيرا من الكبار يمارسون عادات لا تليق الا بالاطفال . فالطفل لا يعنيه سوى ارضاء مطالبه دون ابطاء ودون نظر الى ما قد يقف فى سبيلها من صعاب أو ما تسببه للغير من مضايقات . وكثير من الرجال يحرصون على هذه الانانية الباقية من عهد الطفولة حتى بعد الزواج ، فيكون اتصال أحدهم بزوجته مجرد مظهر لحبه نفسه ، لا لحبه تلك الزوجة ان الزواج يجب أن يكون شركة ذات نصيبين متساويين تماما ، ويكون الزوجان كلاهما

مسئولين عن بقاء تلك الشركة . غير انه فى حالات الزواج الذى يتم فى وقت الحرب ويبقى الزوجان مفترقين وكل منهما فى ناحية ، تقع معظم المسئولية على الزوجة وحدها ، فهى تستطيع ان تعمل على حفظ الزواج أكثر من زوجها الذى فى الجيش على بعد آلاف من الاميال . وقد ينتهز كثير من الزوجات هذه الفرصة للاطلاع فى الكتب على ما يخص الحياة الجنسية ، وبذا تكتسب دراية بالأسس الجنسية للزواج

والآن نعالج الحاجة الثالثة من حاجات الانسان الاساسية ، وهى الحاجة الى التعبير عن النفس . ان كثيرا من الزوجات لا يدرين انه ينبغى لهن ان يباشرن وجوها من النشاط تثبت وجود احداهن « كفرد » الى جانب كونها زوجة وربما أما . ولن تجد المرأة صعوبة فى ايجاد تلك الوجوه من النشاط اذا صحت نيتها على ذلك

غير ان بعض النساء يفرطن فى الطرف الآخر ، ويغالين فى التعبير عن أنفسهن فيغفلن واجباتهن كزوجات

والقاعدة ان كل امرأة متزوجة يجب أن يكون لها مجال للنشاط فى خارج بيتها ، منعزل عن واجباتها كزوجة وأم ، ويجب أن يكون لها فى ذلك المجال عمل يشعرها بالاداء الشخصى والرضا عن النفس

فاذا نظرنا الى الزواج على هذه الأسس ، رأينا انه يجب ان يشمل ثلاث حلقات متصل بعضها ببعض : فالزوج تكون له حلقته الخاصة به وتشمل مصالحه ومسراته التى لا تشاركه زوجته فيها وان كانت تعطف عليها ، وقد تكون تلك متصلة بعمله أو بناديه أو بألعابه الرياضية . والزوجة بدورها لها أيضا حلقتها التى يعطف عليها زوجها ولكنه لا يشترك فيها . وفى الوقت نفسه يكون لكلا الزوج والزوجة حلقة واحدة مركزية مشتركة بينهما وتكون من الاتساع بحيث تساوى الحلقتين السالفتى الذكر ، وتشمل نواحى نشاطهما المشترك كزوج وزوجة

ويجب أن يكون الزوج والزوجة قد بلغا الى النضج العاطفى ، فلا يصح لهما أن يتركا مسائلهما لسورات الغضب ، ولا يجوز لاحدهما أن يلقى اللوم على شريكه . بل يجب أن ينظما أوقاتهما بحيث يتاح لكل منهما قضاء حاجاته الاساسية الثلاث ، ويجب على كل منهما أن يتيح للآخر فرص النشاط فى حلقته الخاصة به وفى الحلقة المشتركة بينهما

فاذا لم يكن زواجك كما تحب أن يكون ، فما أيسر ان تنظر اليه من وجهة النظر هذه ، وعندئذ تكشف الناحية التى خاب أملك أو أمل شريكتك فيها

بقى أن أقول انك اذا أقدمت على الزواج وأنت تشعر انه أهم خطوة تخطوها فى حياتك ، وانك على أهبة لأن تستعين بكل موارد العلم والدين لكى تصل به الى جادة النجاح ، فانك لا بد ملاق هذا النجاح فى حياتك الزوجية

(عن مجلة « ساينس دايجست »)

الجماهير كالأطفال

بقلم الدكتور يوسف مراد

مدرس علم النفس بجامعة فؤاد الأول

عند ما يوجد الفرد فى وسط جمهور يفقد الى حد ما قدرته على النقد والتفكير الذاتى ويصبح أكثر تأثرا بما يشاهده ويسمعه وتزداد قابليته للايحاء والاستهواء . وفقدان القدرة على النقد يعتبر ارتدادا الى طور أدنى من أطوار النمو ، ولهذا قيل بحق أن الجماهير كالاطفال

أشد ما يميز الجماعات بعضها من بعض طبيعة العلاقة التى تربط بين أفرادها . فهناك علاقات قوية ثابتة تنشأ اما عن العنصر أو الدين أو اللغة أو تشابه العقائد والاغراض والمثل العليا ، كما ان هنـاك علاقات ضعيفة عابرة ترجع الى ظروف طارئة أو بواعث عرضية خارجية ، سريعا ما تتغير وتزول وبزوالها تنحل الجماعات وتتفكك . والعلاقة التى تربط بين أفراد جمهور من الجماهير هى من النوع الثانى . فالجمهور بطبيعته سريع التكوين ، كما انه سريع الانحلال ، وان كان يبدو أحيانا كأنه وحدة متضامنة الاجزاء فان هذا التضامن لا يرجع الى عقيدة قوية ثابتة وغرض واضح مقصود لذاته ، بل الى عوامل خارجية وبواعث حسية تثير الوجدان والنشاط الحركى اكثر من اثارتها للتفكير والروية

والجمهور فى أضعف صورة له يتكون من أفراد تجمعهم الظروف دون ان تخلق بينهم أية علاقة ايجابية ، بل يبدو كل فرد من أفراده كأنه مستقل عن غيره ، قاصر مجهوده على ان يتحاشى كل ما يمس فرديته . ولكن مهما كان الفرد سلبيا فى موقفه ازاء الآخرين فان لمجرد التجمع أثرا فى نفسيته وسلوكه ، وسيختلف هذا الاثر شدة وضعفا بقدر قابلية كل فرد للايحاء وميله الى الاندماج فى الآخرين أو الانفصال عنهم . وعلى الرغم من أثر العدوى الوجدانية والحركية التى تنتشر بسهولة بين أفراد الجمهور، فان الصورة التى سيتخذها تتوقف خاصة على طبيعة كل فرد وسماته الخلقية أكثر من توقفها على العوامل التى أدت الى التجمهر

غير أن الفوارق الفردية التى تميز بين أفراد جمهور واحد والاختلافات التى نشاهدها بين جمهور وآخر لا تحـول دون وصف الجماهير بوجه عام ودراستها لبيـان صفاتها

السيكولوجية المشتركة . وعلى الرغم من أن التعميم فى العلوم الاجتماعية أمر عسير ، فانه من الممكن تقرير بعض القضايا العامة المسلم بها ، وأهمها ان الفرد عند ما يوجد فى وسط جمهور يفقد الى حد ما قدرته على النقد والتفكير الذاتى ويصبح أكثر تأثرا بما يشاهده ويسمعه وتزداد قابليته للايحاء والاستهواء . وفقدان القدرة على النقد يعتبر ارتدادا الى طور أدنى من أطوار النمو ، ولهذا قيل بحق ان الجماهير كالاطفال

***

يمكن اعتبار القابلية للايحاء النقطة الاساسية التى تدور حولها حياة الطفل النفسية . ولا يخرج الانسان من طور الطفولة الا بعد أن تأخذ القدرة على النقد والتفكير فى النضوج أى عند ما تخضع الميول الغريزية والعواطف لحكم العقل ، دون أن تفقد من فاعليتها ومن تأثيرها فى توجيه العقل ومده بالشحنة الوجدانية التى لا بد منها لكى يواصل العقل عمله . والقدرة على التفكير المنظم والاستدلال المنطقى لا تظهر الا متأخرة ، فى الطور الاخير من أطوار النمو والترقى النفسى

واذا كانت نفسية الجماهير شبيهة الى حد كبير بنفسية الاطفال ، فيجدر بنا ان نرسم الخطوط الرئيسية لنفسية الاطفال وعقليتهم وان نعين المستوى الذى يصلون اليه ، فيصبح من اليسير كشف سمات الجماهير وبيان صفاتها ، هذا مع الاشارة الى أوجه الاختلاف الموجودة بين الجماهير والاطفال

يمكن اجمال مختلف الاطوار التى تمر بها الحياة النفسية فى نموها وسعيها نحو التكامل فى ثلاثة أطوار : أولا — السلوك الآلى الذى يشبه الى حد ما الحركة الميكانيكية ، وتتخذ عادة شكل الاستجابة المباشرة لمنبه حسى . ويتوقف نجاح الاستجابة الآلية ، سواء كانت بالاقدام أو الاحجام تبعا لطبيعة المنبه ، على ما زود به الكائن الحى من أعضاء سليمة صالحة ومن قدرات طبيعية . ولكن الاستجابة الآلية ، أى تلك التى لا تفتقر الى التفكير لكى تتم ، ليست شبيهة بالحركة الميكانيكية الا فى ظاهرها ، فهى تنطوى على جانب ذاتى هو ما يمكن تسميته « بالبطانة الوجدانية » من لذة أو ألم . وقد يتضخم التأثر الوجدانى ويتخذ شكل الانفعال فى حالة شدة المنبه الخارجى أو جدته أو « فجائيته » أو عدم ملاءمته للقدرات والاستعدادات الطبيعية . فالظاهرة الجديدة التى تشاهد فى حياة الطفل الصغير أثناء نموه هى التأثر الوجدانى الشديد أو ما يعرف بالانفعال كالخوف والغضب . ويدخل الطفل فى الطور الثانى من أطوار نموه النفسى عند ما يتعلم استخدام الحركات الانفعالية كأداة للتعبير ، والغرض من التعبير الانفعالى ليس توصيل معنى مجرد بل التأثير فى الآخرين بحيث يشاركون المنفعل فى حالته النفسية

وتمتاز الحياة الانفعالية لدى الطفل بالشدة والعنف وسرعة الانفجار وسرعة انتشار الآثار الانفعالية ، وترجع كل هذه الخصائص الى عدم نضوج القدرة على الكف والضبط

وعدم اكتمال القدرة على التفكير الموضوعي وتصور المعاني المجردة والتبصر . وهذا الاكتمال يفيد الطور الثالث والاخير فى حركة النمو والترقى

ولا بد من أن نلاحظ أن الانتقال من طور الى طور لا يعنى زوال الخصائص التى تميز أحد الاطوار السابقة ، بل اندماجها وتكاملها مع الخصائص الجديدة . فحياة البالغ ، من الوجهة النفسية ، تقتضى تضامن النواحى الثلاث التى ذكرنا ، أى الحركة الآلية والتأثر الوجدانى والعاطفى والتفكير

ويمكن التعبير عن هذه المراحل الثلاث بأسلوب فسيولوجى اذا اعتبرنا مراحل نضوج الجهاز العصبى وتآزر مراكزه وتكامل وظائفه . فمرحلة الحركة الآلية تكون مقصورة الى حد كبير على الجزء الأسفل من الجهاز العصبى ، أى النخاع الشوكى والنخاع المستطيل حيث توجد مراكز الحركات المنعكسة . والمرحلة الثانية تقابل منطقة الدماغ المتوسط الموجودة مباشرة تحت القشرة المخية أو اللحاء والتى تتكون خاصة من عدة نوايا أهمها ما يعرف بالتلاموس Thalmus أو السرير البصرى حيث توجد مراكز الانفعال ومراكز ضبط الجهاز العصبى السمبتاوى المسيطر على الحياة الوجدانية

أما المرحلة الثالثة ، وهى مرحلة التصور الذهنى والتفكير والتعقل والتبصر وسائر الوظائف العقلية العليا من حكم وتمييز ونقد فلا تأخذ فى الظهور الا عند نضوج المراكز اللحائية فى القشرة الدماغية وأهمها مراكز الحركة الارادية والضبط الارادى التى تخضع لسيطرتها الى حد كبير مراكز الانفعال والحركات المنعكسة . وفى هذه المرحلة يصبح فى قدرة الشخص ضبط نفسه والحد من عنف الانفعال وسورته

وقد دلت الدراسات التشريحية والفسيولوجية على أن نضوج المراكز اللحائية ، والذى يبدأ فى أواخر السنة الاولى ، لا يتم بصورة اجمالية الا حوالى السنة الثامنة ، ولا يمكن أن يكون للتربية أثر الا اذا سارت عملية النضوج العصبى سيرها السوى الطبيعى

وعلى ذلك يمكن التقرير بأن الطفل ، نظرا لعدم اكتمال النضوج فى المراكز العصبية العليا يكون خاضعا خاصة لتأثير الميول الغريزية ولسلطان الانفعال والعواطف . وفى ضوء ما سبق يصبح من اليسير ان نفهم وأن نفسر سمات الطفل وأخلاقه . فهو من الوجهة العقلية « امعى » أى سريع التصديق لعجزه عن نقد الآراء وتمحيصها . ومن الوجهة الخلقية خاضع لمبدأ اللذة ولما سمى « بمركزية الذات » egocentric أى انه يقيم الاشياء والامور لا بالقياس الى ما هى عليه فى الواقع ، بل بالقياس الى ذاته وما يمكن أن يتمتع به من لذة . ومن وجهة النشاط يغلب عليه النشاط الحركى المتميز بالتكرار ، كما يغلب عليه اللعب والاهتمام بالمحسوسات والمغريات الحسية التى تثير الوجدان

واضافة الى ذلك يترتب على عدم اكتمال النضوج عدم الاستقرار والثبات وسرعة التهيج الانفعالى وعدم الشعور بالتناقض والنسيان السريع والتطرف والاسراف ، أى كل ما يمكن نعته بعدم الاعتدال والتوازن

وثمة ميل قوى فى الطفل الى أن يحاكى شخصية من هو أكبر وأقوى منه ، بل الى تقمص هذه الشخصية ، وهى عادة شخصية أحد الوالدين . ويرجع ذلك الى شعور الطفل بنقصه وقصوره ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى الى نزوعه الطبيعى نحو التعالى والسيطرة وتحقيق النموذج الاعلى لجنسه

***

كل هذه السمات ـ ولم نذكر الا أهمها ـ تتسم بها الجماهير . ولكن يوجد فارق جوهرى بين الطفل والجمهور ، وهو أن الاول لا يزال الا فى مرحلة متوسطة من مراحل النمو سوف يجتازها للوصول الى النضوج والى تكامل جميع مقومات شخصيته من حركية ووجدانية وعقلية ، بيد أن الثانى سيظل فجا غليظا فهو كالحيوان الذى استؤصلت قشرته المخية أو كالمريض الذى تعطلت فيه بعض المراكز العليا للضبط الارادى والتوجيه والتعديل ، فيصبح ـ نتيجة لتحرر المراكز العصبية المتوسطة والدنيا من قيود الكف والتعديل ـ سريع التهيج الانفعالى ، يبكى ويضحك بطريقة تشنجية عنيفة ، متنقلا من البكاء الى الضحك لاتفه الاسباب ، سريع التأثر بكل ما يوحى اليه ، محاكيا بطريقة عمياء كل ما يشاهد من حركات ، مرددا كل ما يطرق أذنه من أصوات وعبارات

ولا بد من ان نشير هنا الى ما يميز بين الجمهور وبين المجتمع المنظم، مع العلم بأن المجتمع المنظم نفسه يظل خاضعا الى حد كبير لسلطان العاطفة وتأثير الايحاء ، مفتقرا الى رؤوس مفكرة مدبرة تديره وتوجهه ، أى الى زعماء وعباقرة يمتازون بحصافة الرأى وقوة الخلق والقدرة على المبادأة والابتكار ، يمتازون خاصة بالقدرة على محاربة الرجعية التى هى من أخص خصائص المجتمعات أو بما يسمى تجاوزا « العقل الجمعى »

ويرجع ميل المجتمع الى المحافظة والتمسك بالتقاليد وبالماضى الى سلطان العاطفة ولذلك يكون الزعيم الحاذق هو من يعرف كيف يؤثر فى العواطف ويثيرها لتمهيد السبيل لقبول الآراء والافكار الجديدة

أما الجمهور فهو أكثر مرونة وتقلبا من المجتمع المنظم لانه يخضع خاصة لتأثير الانفعال وهو بطبيعته عابر متقلب ، أقل ثباتا واستقرارا من العاطفة . واذا كان يسود الجمهور عند ما يندمج أفراده اندماجا قويا نوع من الروح الجمعية الناشئة من الاثر المتبادل بين الافراد ، وخاصة الاثر الوجدانى ، فان هذه الروح سريعة التغير والانقلاب ، لا تبالى بالتناقض والمبالغة

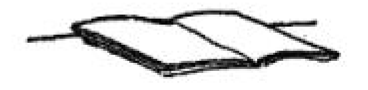
وقد تؤدى الظروف الى اندماج أفراد الجمهور فيما بينهم اندماجا قويا ، غير أن هذا الاندماج لا يكون عميقا ثابتا لان الباعث عرضى خارجى لا يثير الا رغبة عاجلة أو غرضا عابرا . واذا كانت الافراد هى التى تكون الجمهور غير ان صفات الجمهور ليست نتيجة لصفات كل فرد على حدة ، بل هى صفات جديدة ناشئة من التجمهر نفسه ، وهو الجمهور

« ككل » الذى يؤثر فى كل فرد من أفراده ويخلق فيه اتجاها جديدا لا يقوى عادة على مقاومته . فاندماج الفرد فى الجمهور يؤدى الى اضعاف القدرة على النقد والتفكير الموضوعى والضبط ، فتتلاشى العادات السامية التى يطلب اكتسابها مجهودا فكريا وخلقيا كبيرا ، ويقل حرص الشخص على التمسك بأساليب النظام وأوضاع الادب ويحل محلها الميول الغريزية الغليظة وأساليب العنف والقوة الغاشمة ويصبح « لقانون الادغال » المرتبة الاولى فى توجيه السلوك واثارة الحركات والتصرفات

ويشاهد هذا المسلك العنيف فى الجمهور عند حلول كارثة فجائية كحريق أو زلزال أو غارة جوية ، فتفقد الاعتبارات الاجتماعية والخلقية من ايثار وتضحية وتعاون ومجاملة من قيمتها وتأثيرها وتنشط غريزة حفظ البقاء فى أقوى مظاهرها الحيوانية وتزداد شدة الانفعال ويتركز اهتمام كل فرد حول ذاته دون أن يبالى بما قد يصيب غيره من أذى

وحتى فى الظروف التى لا تدعو الى الهياج الانفعالى الجمعى ، يكون التعاون بين الافراد ضعيفا سطحيا . وهذا مما يلاحظ أيضا على الاطفال عند ما يجتمعون فانهم لا يفهمون بعد معنى التعاون الايجابى ، فكل طفل يتكلم ويلعب كأنه وحده . فقد يهيأ للمشاهد أن الطفل يصغى الى ما يقوله رفيقه ، والواقع انه لا يهتم بما يسمع بقدر اهتمامه بما قاله وبما سيقوله هو . فكل ما فى الامر اننا بصدد مجموعة أحاديث فردية لا محادثة . وهذه الظاهرة ليست مقصورة على الاطفال ، بل كثيرا ما نلاحظ أثناء اجتماعات الكبار الذين يجتمعون بقصد المداولة والمناقشة ، فيتصنع كل من الحاضرين الاصغاء الى ما يقوله غيره ، ثم يقاطعه بلفظ « ولكن » مستأنفا حديثه السابق ، جاريا وراء فكرته دون ان يعير آراء الآخرين أى اهتمام صادق . وكثيرا ما تنحط اللجان والمؤتمرات الى مرتبة الجمهور الغفل فيكثر التناقض وتتغير الآراء وتتكرر الوعود وتتتابع الجلسات دون الوصول الى نتائج مرضية حاسمة ، بل كثيرا ما تتفاقم الامور وتسوء

يوسف مراد



قصة فتاة ..
فى جيش المقاومة السرية

بقلم فتاة بريطانية من الهابطات بالمظلات

فى فجر يوم من أيام شهر يناير سنة ١٩٤٤ هبطت أرض فرنسا بعد أن غادرتها منذ ثلاث سنوات ونصف سنة ، وكنت قد مضيت شهرين وأنا أترقب هذه الفرصة بعد تدريبى الخاص . وكانت مهمتى هى أن أهبط من الطائرة مع طالب من باريس ، أعد ليكون معلما لقوات المقاومة السرية . وقد درسنا كلانا خرائط المنطقة وراجعنا تفاصيل الاعمال التى سنقوم بها ، بكل دقة وعناية

وقد انتهت رحلتنا الجوية الاولى بالفشل ، فقد عجزنا عن القفز بمظلات الهبوط لانتشار الضباب الكثيف . وفى رحلتنا الثانية قضى قائد الطائرة عشرين دقيقة فى محاولة الاتصال بالقوم الذين سننزل بينهم ، بينا جلست وزميلى على حافة فوهة الهبوط بالطائرة ، نرقب ظلها وهى تحلق فوق الحقول والاشجار والمنازل ، والريح الباردة تنفح وجهينا

واذا بفوهة الهبوط ينفرج غطاؤها ، فيصيح بنا الطيار قائلا : « اهبطا » . ولم تمض لحظة حتى رأيتنى معلقة بالمظلة وسابحة فى الجو

وبينا كنت أطوى مظلتى ألفيتنى محاطة بطائفة من رجال يبسمون لى ، وقد حيونى ورفيقى تحية حارة ، ثم قادونا الى مزرعة مجاورة . ومكثنا هناك حتى الصباح ثم سرنا وسط حقول متجمدة حتى وصلنا الى قرية

وبعد ساعات قليلة قدمت الى « رئيسى » فأخذنى الى مزرعة منفردة فوق تل وقد جعل بها مثواى . وقد رحب بنا صاحب المزرعة وأسرته ، ومكثت معهم طول الشهور الخمسة التى سبقت يوم الثورة . ولم يفكروا قط فى تغيير مكان اقامتى حرصا على سلامتهم ، مع انى لو قبض على لكانوا فى خطر شديد . وان هم الا أسرة من آلاف الاسر الفرنسية التى آوت الثوار الى يوم الثورة

وكانت مهمتى تنحصر فى القيام بأعمال البريد لرئيسى وحفظ الاتصال بينه وبين قواد المناطق ، فكان على أن أحمل الرسائل والنقود والاوامر ، وكان على كذلك ان أصحب المعتقلين السياسيين الذين يتاح لهم الفرار من الجستابو ، وأن أقود طيارى الحلفاء الذين كانت الاسر الفرنسية تأويهم وتعاونهم ، الى أماكن يستقبلهم فيها دليل فى جبال البرينيه وكنت كلما عجزت عن حفظ الاوامر المكتوبة بالحفر عن ظهر قلب ، أحملها مكتوبة

على « ورق التواليت » . وقد فتشني الالمان مرتين ، ولكنهم فى كلتا المرتين أزاحوا جانبا ذلك الورق بشيء من الارتباك مع انه كان ذا قيمة كبيرة لهم لو أنهم عرفوا حقيقته

وفى أول مرة ركبت سيارة اوتوبيس وجدت نفسى أقول بالانجليزية : « من فضلك Please » فارتعت من هذه الغلطة ، ولكن لحسن حظى لم يسمعنى أحد . وهذا مثال على الخطأ السخيف الذى يمكن أن يرتكبه الانسان فى وقت القلق والتوتر . وقد مضيت شهرين قبل أن أخلص من الشعور بأنى ألفت الانظار حيث ذهبت

وكان على أن أطابق بين ثيابى ومظهرى ومسلكى وبين البيئة المحيطة بى ، واحيانا كنت أوجد فى مزرعة وأحيانا فى دكان صغير ، وأخرى فى بيت أناس من طبقة عالية ، ولعل أهلى لو رأونى راكبة بالدرجة الثالثة بأحد القطرات وقد ارتديت معطفا قديما واقيا من المطر وأرخيت قلنسوة على جبهتى ، ما كانوا ليعرفوننى . وكنت أحيانا أتظاهر بشيء من البلاهة وأنا أقضم قطعة ساندويتش ، وأخرى أظهر بمظهر فتاة من تولوز ، فأرفع شعرى كومة فوق رأسى ، وألبس قرطا كبيرا فى أذنى وأرتدى فستانا قصيرا . على أن ثيابى المحببة الى ، كانت المئزر الازرق والحذاء الخشبى اللذين كنت ألبسهما فى المزرعة

ولقد سئلت مرارا عن أحرج ساعة مرت بى : وانى أذكر يوما كنت مسافرة بالقطار مع جان ـ كلود ، وقد حمل كلانا حقائب فيها الاجهزة اللازمة لتحضير المفرقعات . ولم يكد القطار يغادر المحطة حتى نادانى جان ـ كلود الى الطرقة وأسر الى أن الجستابو يفتشون العربات

مكثت أترقب حتى دخل أحدهم المقصورة التى كنت بها ، فأخذ يوجه الى الركاب أسئلة كثيرة ، ثم أمرنا أن نفتح حقائبنا . وعندئذ رأيت من طرف خفى زميلى جان ـ كلود يتحسس مسدسه فى جيبه الخلفى فخفت العاقبة . ولكن فى تلك اللحظة طلبت امرأة من الركاب معها طفلان صغيران ، الى رجل الجستابو ان لا يفتح كل الحقائب لان اعادة ترتيبها تأخذ جهدا كبيرا . ومن عجب ان الرجل جاملها ، فأشار الى حقيبتين اثنتين فقط واكتفى بتفتيش ما فيهما . ولحسن الحظ لم تكن احداهما لى . وقد شعرت بعد خروجه بركبتى ترتعشان ، وبالعرق البارد يتصبب من ظهرى

وبعد يوم ٦ يونيو انضممنا جميعا الى قوة المقاومة السرية . ومكثت أنا أحفظ صلتى « بالعالم الخارجى » بواسطة السيارة أو الدراجة ، وكنت أقطع مئات الاميال دون أن يلتفت الى الحراس الالمان . ولقد هاجم العدو فرقتنا بعد حين ولكنا هزمناه وحملناه خسائر فادحة . وكان البطل البارز بيننا فى ذلك اليوم طيارا من نيوزيلند مكث مدة مع قوات المقاومة السرية ، فكان يطلق طلقات مفردة من بندقية من طراز برن فلا تطيش طلقة منها

وانما كان شر ما فى حياة رجال المقاومة ما يشعرون به من الملل ، فهم أناس اجتمعوا من مختلف الطبقات والطوائف ، وصاروا يعيشون معا عيشة خالية من وسائل الراحة ولا يجدون شيئا يفعلونه بين وجبات الطعام وبين القيام بأعمال العصابات . غير انهم جميعا من

المشهود لهم بالجرأة والشجاعة ، وكان الالمان يخشونهم ، فكانوا لا يهاجمونهم الا بقوات أكثر عددا من قواتهم ، وأسلحة أجدى من أسلحتهم

وجدير بى أن أقص نبأ فرقة من قوات المقاومة السرية كانت مؤلفة من ثمانين رجلا ، وقد فقدت منهم عددا من الاصدقاء الحميمين : ففى ذات يوم هاجمهم عند الفجر ١٢٠٠ جندى ألمانى ، أى بمعدل ١٥ الى ١ ، فأحاطوا بهم ولكنهم دافعوا عن انفسهم حتى نفدت آخر رصاصة عندهم ، وكان أقوى ما عندهم من أسلحة أربع بنادق من طراز برن Bren مقابل المدافع الضخمة والمترليوزات . وقد قتل خمسة عشر شابا من فرقة المقاومة فى أثناء القتال ، فما كان من الالمان الا أن انقضوا على الباقين ، سواء منهم الجرحى والاسرى ، وأعملوا فيهم القتل ، ولم ينج الا ثلاثة استطاعوا الفرار . وبعد أسابيع من ذلك كنت ترى فى المكان أجزاء من العظم والمخ ، لان الالمان كانوا يقتلون فرائسهم بمؤخرة البنادق ! ولا يزال أولئك الضحايا السبعة والسبعون يرقدون فى قبر يشملهم ، فى جانب خرب من مكان تلك الواقعة أثر الحريق ، وقد وضعت صلبانهم وشرائطهم المثلثة الالوان ، مع أسلحتهم وقبعاتهم المحروقة ، فوق ذلك القبر الحزين

(عن جريدة ديلى تلغراف بلندن)

الزواج فى مصر

أصدرت أخيرا وزارة المالية الاحصاء السنوى العام لسنة ١٩٤١-١٩٤٢ نقتبس منه المعلومات التالية :

ـ كانت القاهرة فى سنة ١٩٤١ أكثر جهات المملكة المصرية عقود زواج ، وكان أقلها مديريتى جرجا وقنا ، فقد تزوج من أهالى القاهرة ٣٧ر٩ فى كل ألف ومن أهل جرجا وقنا ٩ر١٩ فى كل ألف ؛ وكانت أكثر مديريات الوجه البحرى زواجا القليوبية وأقلها الغربية، وأكثر مديريات الوجه القبلى الفيوم وأقلها قنا وجرجا

ـ وكان أكثر الشهور زواجا فى القاهرة سبتمبر وأقلها فبراير

ـ وتزوج ٣ سن كل منهم ٨٠ سنة فأكثر زوجات من هذه السن . وتزوج رجلان سن كل منهما أكثر من ٨٠ سنة فتاتين سن كل منهما دون العشرين

ـ وتزوج من المصريين ٣٤ بفرنسيات و٤٢ بايطاليات و٣٢ ببريطانيات و٧٩ بيونانيات وتزوج مصرى واحد بأمريكية

ـ وتزوج بمصريات ٧٣ بريطانيا و٥٠ فرنسيا و٣٥ ايطاليا و٤ من الروس و٧٥ يونانيا وامريكيان اثنان فقط

ـ وتزوج من المسلمين ٣ باستراليات و١١ بقبطيات

من أروع الآثار الاسلامية فى القاهرة

خانقاه بيبرس الثانى

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

الأمين بدار الآثار العربية

خرج العرب من صحرائهم غزاة فاتحين لكى ينشروا الاسلام ، وسرعان ما أخضعوا لسلطانهم أمما لها فى الحضارة ماض مجيد ، وما كادوا يضعون عن كواهلهم عتاد الحرب ، ويخلدون الى السكينة والسلم حتى تدفقت عليهم الثروة من كل حدب وصوب ، وبدأت البيئات الجديدة التى استقروا فيها تعمل عملها فى نفوسهم ، وهموا يخرجون عن بداوتهم القديمة ، ولكن أبا بكر وعمرا كانا لهم بالمرصاد فكبحا جماحهم ما استطاعا الى ذلك سبيلا ، وجاء عثمان وكان حييا لينا لم يرزق قوة ابى بكر ولا حزم عمر فافلت الزمام من يده ، واندفع المسلمون الى الترف يأخذون منه بأوفى نصيب ، واغراهم على ذلك ما وجدوه فى تقاليد الفرس والروم مما جعلهم يحرصون على الاستمتاع بالحياة ومتعها ، فتأنقوا فى مأكلهم ومشربهم ، واسرفوا فى ملبسهم

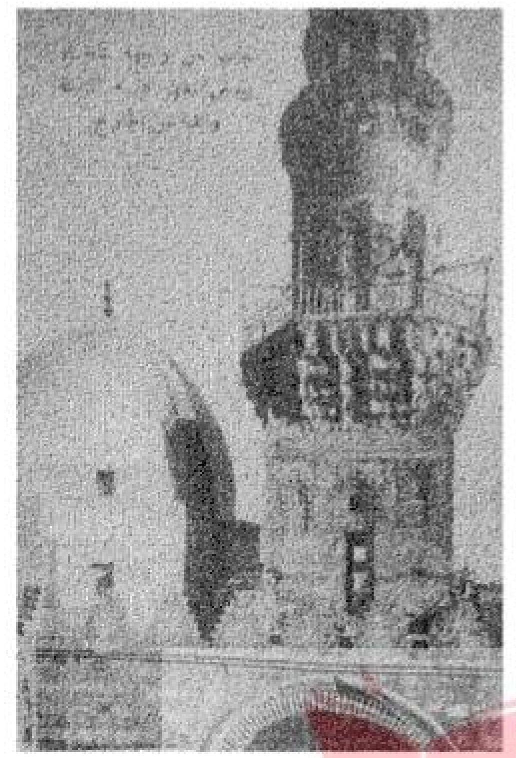
ولكن جماعة من المسلمين زهدوا فى هذه الحياة الاجتماعية الجديدة الحافلة بألوان اللهو ، ورغبوا فى حياة تسودها البساطة ، يعتزلون فيها الناس ، وينقطعون الى الله بعيدا عن زخرف الدنيا وزينتها ، متقشفين فى مأكلهم وملبسهم ومسكنهم ، فأقاموا لانفسهم أبنية اشبه بأديرة الرهبان من المسيحيين اطلق عليها اسم الخوانق

والخانقاه — مفرد خوانق — كلمة فارسية تعنى دار الصوفية ، وقد ظهرت لاول مرة فى مصر على عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى حول فى سنة ٥٦٩ هـ الدار الفاطمية المعروفة باسم « دار سيد السعداء » الى خانقاه ووقفها على الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة وقد أتى الزمن عليها

وخانقاه بيبرس الثانى (١) هى الثانية من هذا النوع فى مصر ، وتعتبر من أروع العمائر الاسلامية وأفخمها ، ولم يعد المقريزى جانب الحق عند ما وصفها بقوله : « انها أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا ، وأوسعها مقدارا ، واتقنها صنعة » . لها واجهة تعاون على ابداعها حذق المهندس المسلم مع براعة الصانع المصرى فخرجت من بين أيديهم قطعة من الفن

---

(١) تقع فى شارع الجمالية



يغمرك جمالها كلما تأملت فى دقائقها، تنتهى من أعلى بشرفات مدرجة ، ويزدان سطحها بتجويفات قليلة الغور توجها مقرنسات جميلة وتخترقها نوافذ مختلفة الحجم ، ويجرى عليها طراز عريض من الكتابة النسخية يدور مع الواجهة حيثما دارت ويتضمن آيات من القرآن الكريم من سورة النور ثم اسم منشئها ركن الدين بيبرس

وتصميم الخانقاه من الداخل كتصميم المدارس الاسلامية فى العصور الوسطى اذ يتوسطها صحن مكشوف تحيط به ايوانات أربعة أكبرها ايوان المحراب ، وعلى يمين الصحن ويساره تقوم صوامع الصوفية

ويتصل بهذه الخانقاه مدفن يعتبر من أروع المدافن الاسلامية فى مصر، يتكون من غرفة مربعة الشكل لها واجهة من الخشب يتجلى فيها فن النجارة الاسلامية بأحسن صورة وفيها كتابة نسخية تتضمن تاريخ الفراغ من البناء وهو سنة ٧٠٩ هـ

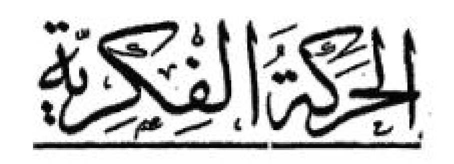
ويتجلى جمال الفن الاسلامى وجلاله فى محراب هذا المدفن ، ثم فى جدرانه التى كسى الجزء الادنى منها بالواح من الرخام المختلف الالوان وزين بفسيفساء رخامية تلمس فيها جميعا أصول الجمال الفنى من تماثل وتنوع وتكرار

ويغطى هذا المدفن قبة شاهقة ، رشيقة التكوين ، محمولة على مقرنسات جميلة من أربعة صفوف بعضها فوق بعض ، تخترقها نوافذ ذات زجاج مختلف الالوان تنفذ خلالها خيوط من الضوء تضفى على المكان رهبة وهدوءا . ويرقد تحت هذه القبة السلطان بيبرس الذى يعطينا تاريخه صورة واضحة المعالم عن ذلك العصر الذى سيطر فيه على مصر أولئك الارقاء الذين انقلبوا من مماليك اشتروا بالمال الى سادة حكموا هذه البلاد طوال قرنين من الزمان ، فلقد اشترى السلطان قلاوون المملوك بيبرس من اسواق الرقيق بالقوقاز ، وعنى بأمره وظل هذا يرتقى حتى أصبح باشنكيرا ثم رقى الى وظيفة «استادار» وتحركت الاطماع فى نفس بيبرس فاحتال على الاستئثار بالسلطان دون الناصر محمد بن قلاوون الذى كان صغير السن ، ونجح فى ذلك وأصبح سلطانا على البلاد ولكنه كان مكروها من الشعب لاغتصابه الملك ولانخفاض النيل على عهده



جانب من أرضية القبة بخانقاه بيبرس يظهر فيه الرخام المختلف الالوان وقد رتب على شكل محاريب تتجه نحو القبلة

واجهة المدفن الملحق بخانقاه بيبرس الثاني يتجلى فيها جمال الفن الاسلامي بأوضح صورة



الاسلام وحضارة العرب

كتب أحد أساتذة جامعة تورنتو فى كندا مقالا عن أثر الاسلام فى مدنية الغرب ، نجتزىء منه ما يلى :

لقد وصلت الثقافة الاسلامية الى أوربا عن طريق اسبانيا وصقلية وسوريا ، وليس من شك فى ان حضارة الغرب مدينة للاسلام فى كثير من حقول الثقافة وميادين العلم ، فى الادب والفلسفة والعلوم والرياضيات والطب

ان الادب الالمانى والفرنسى ولا سيما الشعبى منهما لا يزال يزخر بكثير من القصص الشرقية . وقد اقتبس الشاعر المشهور دانتى كثيرا من كتابات ابن سينا والغزالى وابن رشد . وقد اشتهر كتاب كليلة ودمنة فى أوربا وترجم كتاب « السندباد » الى اللغات الاسبانية والانجليزية واللاتينية . وفى القرن الثامن عشر ترجمت كتب « ألف ليلة وليلة » وكثير من القصص الفارسية والتركية . وهنالك من يقول انه لولا هذه القصص لما استطاع الروائى الانجليزى دانو من خلق شخصية روبنسون كروزو ، والروائى سويفت من ابتداع شخصية جوليفر . وفى سنة ١٧٧٤ نشر السير وليم جونس تعليقاته اللاتينية على الشعر العربى والفارسى . ومنذ ذلك الحين بات للشعر العربى والفارسى تأثيره المباشر على غوته وشيللر والروائيين الالمان ، وفى القرن التاسع عشر ترجم فتزجيرالد رباعيات عمر الخيام الى الانكليزية

وقد كان تأثير الموسيقى الاسلامية على الموسيقى الغربية عمليا ونظريا كما كان للاسلام تأثيره العظيم على القانون والتصوف فى الغرب

واذا ذكر جابر بن حيان ذكر توا التطور الذى حدث فى علم الكيمياء فى الغرب ولا سيما فى وسائل التبخير والتقطير واذابة المعادن والتبلور وغيرها . وتأثر طب الغربيين فى القرون الوسطى بما كتبه المسلمون وخاصة فيما يتعلق بتشخيص الامراض والعلاج ووصف الادوية وتهيئتها ، وقد ترجمت مصنفات كبير أطباء المسلمين «الرازى» الى اللاتينية فى القرون الوسطى وكذلك مؤلفات « ابن سينا »

وليس من ينكر فضل « الخوارزمى » فى تقدم علم الجبر وفضل « ثابت بن قره » فى علم الفلك و « ابن خلدون » فى علم الاجتماع

التأنيب وعلاقته بالعمر

يؤمن أكثر المعلمين ايمانا راسخا بقيمة التأنيب وفضله ، ويعتقدون انه باعث قوى يدفع التلاميذ الى الاجتهاد والتقدم . ورغم هذا فقد أجريت فى العشر سنوات الاخيرة عدة تجارب تبين منها ان التأنيب باعث لا يتميز بنفعه ، بينما المدح أو الثواب بصفة عامة أكبر أثرا وأقوى استنهاضا للهمم

وقد أجريت التجربة التالية فى احدى المدارس الامريكية :

أعطى اختبار فى الحساب لمائتين وأربعة وثلاثين تلميذا من الفرق الدراسية الثالثة والسادسة والتاسعة والثانية عشرة (يبدأ الطفل فى أمريكا بالفرقة الاولى فصاعدا) . وقسم المختبرون الى فئتين احداهما للتجربة والاخرى للمقارنة وأجرى على كل منهما الاختبار مرتين . وفى أثناء الاختبار الثانى وجه الى فئة التجربة تأنيب شفوى على سوء عملها وضعف ما قام به أفرادها فى الاختبار

الاول . فظهر ان الفئة التى وجه اليها التأنيب والتوبيخ قد ساء عملها فى الفرقة الثالثة وتقدم عملها فى الفرقة السادسة ولم يتغير عملها الا قليلا فى الفرقتين التاسعة والثانية عشرة . وفى تجربة أخرى تشبه هذه التجربة — طلب فيها القيام بعمل حركى — تبين ان التوبيخ أدى الى تحسين العمل فى أفراد الفرقتين الثالثة والسادسة وأضعفه قليلا فى الفرقة التاسعة ، ولم ينتج عنه سوى تغير يسير فى الفرقة الثانية عشرة

ورغم أن هذا يدل على اختلاف أثر التأنيب تبعا لاعمار الاطفال وتبعا لمادة التجربة ، الا أن النتائج تدل بصفة عامة على انه لا ينبغى اعتبار التوبيخ طريقة مجدية فى دفع التلاميذ الى تحسين عملهم فى المدرسة عن مجلة « علم النفس »

التعاون الدولى

لدعم الحياة الاقتصادية والاجتماعية

كان قادة الامم فيما سبق يحصرون تفكيرهم فى دائرة محدودة هى دائرة التدبير السياسى مجردا عن أى اعتبار آخر ، ولكنهم فى هذا العصر أخذوا يوسعون من دائرة تفكيرهم وتدبيرهم اذ ظهر لهم ان التطور السياسى لا يمكن ان يؤتى ثمره ولا أن يؤدى الى النهوض بحياة الامم الا اذا كان مقرونا بالتطور الاقتصادى والاجتماعى حتى تكون الامة فى نهوضها وفى تطورها وحدة متماسكة لا يتخللها الضعف فى أية ناحية من نواحيها .

لهذا يهتم رجال السياسة ومن بأيديهم مقاليد الامور فى الامم بوضع المسائل الاجتماعية والاقتصادية نصب أعينهم فيما يرمون من اصلاح ويقصدون من قيام التعاون الدولى بين الامم لتحقيق حياة السعادة والرفاهية للانسانية عامة . وقد بدا هذا الاهتمام واضحا فى الوثائق التى أذيعت عن أعمال مؤتمر « دمبارتن أوكس » الخاص بانشاء هيئة دولية لتوطيد السلم والامن ، اذ تضمن الفصل التاسع من المقترحات التى وضعتها الحكومات المشتركة فى الباحثات مايجب من التدابير للتعاون الدولى الاقتصادى والاجتماعى فأناط بالهيئة الدولية « أن تيسر الحلول للمسائل الاقتصادية والاجتماعية الدولية وسواها من المشاكل الانسانية ، وان تعمل على احترام الحقوق الانسانية والحريات الاساسية » على أن تكون مسئولية الاضطلاع بهذا العمل من حق المجلس العام ، ومجلس اقتصادى اجتماعى يعمل باشراف المجلس العام أيضا

قردة الطب

يقول الدكتور عمر شوقى فى مقال له عن التدخين : كما أن الزهرى يلقبونه « قرد الطب » لانه يقلد كل مرض فى الانسان ، كذلك الدخان يمثل نفس هذا الدور لانه :

١ — قد يسبب ذبحة صدرية تسمى « ذبحة المدخنين » لها آلام وأعراض الذبحة الصدرية نفسها ، بيد ان الاولى قد تستمر مدة طويلة وهى تظهر غالبا عند المدخنين ما بين سن الخامسة والاربعين والخامسة والخمسين

٢ — كثرة ادخال « النيكوتين » الى الجسم يسبب الامساك المزمن بالقباض فى أية جهة من المصران ، وقد يكون ذلك فى جهة المصران الاعور فيحدث اشتباه فى أمره بأنه الزائدة الدودية وعند ترك الدخان تتلاشى هذه الاعراض

٣ — يسبب خفقان فى القلب ولا سيما عند الرجال المصابين بالنورستانيا والسيدات المصابات بالهستريا

٤ — يحدث صداعا

٥ — يزيد العصير المعدى وهذا ينجم عنه الحموضة والتجشؤ مع آلام فى المعدة عقب الاكل وهذه الحالات تدفع صاحبها بتأثير الوهم للتدخين

٦ — يسبب سرعة النبض وقليلا ما يسبب بطئا فى النبض وقد وجدوا أن الجنود الذين

يريدون الهروب من الجيش يعمدون الى أكل الدخان فيزيد النبض

٧ ـ يحدث تصلبا في الشرايين ولا سيما شرايين القلب والاطراف

٨ ـ ينجم عنه التهاب مزمن في المعدة وفقدان الشهية للطعام وتغير طعم الفم مع احداث رائحة كريهة فيه وكسوة اللسان بطبقة تشبه الصدأ مع ميل الى القيىء وشعور بانتفاخ البطن

٩ ـ يكثر التفكير القاتم المظلم ، ولذلك لا يخلو نوم المدخنين من الانزعاج

وقد دلت اعترافات الاغلبية من المجرمين انه عند الشروع في ارتكاب جريمته قد يصيبه التردد ولكنه لا يكاد يدخن سيجارة حتى يقدم على ارتكابها فورا

في التربية

يقول برنارد شو في كتاب جديد أصدره أخيرا بعنوان « الدليل السياسي للرجل العادي » ضمنه آراءه في التربية : « لا تزال المدارس سجونا يبعث الآباء بأطفالهم اليها لكيلا يكونوا عقبة في الطريق . » وان أدل شيء على العجز عن تغيير نظمنا تغييرا يتمشى مع حقائق التطورات الاجتماعية والطبيعية هو نظامنا المدرسي

« ينبغي أن تنظم حياة الطفل في مراحلها المتعاقبة بشكل يكفل خلق رأي اجتماعي قوي بين الاطفال . ويجب ان يغرس التعليم في نفسية الطفل معنى الحرية والاستقلال بالرأي والاعتداد بالنفس كما يجب ان يحقق له الربح المادي ، الجوائز والكتب والاوسمة والشارات . بهذه الصورة وحدها يمكن تدريب الاطفال على أن يكونوا مواطنين صالحين وناخبين أكفاء

« ولا بد من الغاء الامتحانات المقرونة بتحطيم الغير واحباط مساعيهم . ولتكن المنافسة بين الجماعات لا الافراد ، لان ذلك مما يحث أعضاء كل جماعة على أن يتبادلوا معلوماتهم ويساعدوا بعضهم بعضا »

آرثر ادنجتن

لقد ساهمت بريطانيا بنصيب كبير في الخطوات الواسعة التي خطتها المدنية في السنين الاخيرة من حيث الاختراع والبحث والاستكشاف . ومن علماء الانجليز الذين كان لهم الفضل في تقدم علم الفلك والرياضيات السر آرثر ادنجتن وقد اذاعت الصحف أخيرا نبأ وفاته . وليس من شك في ان العلم قد خسر بوفاته خسارة جسيمة

ولد ادنجتن في كندال بانجلترا عام ١٨٨٢ وتعلم في كلية أوين وفي منشستر وفي كلية ترنتي بجامعة كمبردج . وفي سنة ١٩٠٧ حاز جائزة سمث اعترافا بنبوغه وفضله . وانتخب بعد ذلك زميلا في جامعة كمبردج ، ثم عهد اليه بمنصب المساعد الاول في مرصد جرينتش الملكي . وفي عام ١٩١٣ صار أستاذا لعلم الفلك في كمبردج ثم عين مديرا لمرصدها كما انتخب عضوا في الجمعية الملكية . وقد ظفر بجائزة هوبكنز وبالمدالية الذهبية من الجمعية الفلكية ومدالية بروس ومدالية هنري درابر وهي المدالية التي تمنحها الاكاديمية الوطنية للعلوم . وقد كان فوق ذلك محل عطف الدولة فمنحته لقب «سير» وأحاطته بالرعاية والتقدير . ولا ريب في أن هذا العطف من جانب الدولة وتلك الجوائز العديدة تدل دلالة واضحة على فضله وعلمه وجهوده

ولعل من أبرز ما امتاز به ادنجتن تقديره لاهمية النظرية النسبية لا سيما في أول ظهورها ، فقد شغف بها وبحثها ودرسها درسا عميقا ، فتمكن من اخراجها في صورة تعد واضحة اذا قورنت بالصورة التي جاء بها غيره من كبار العلماء الرياضيين . ولم يقف عند هذا الحد ، بل استطاع أن يضيف الى هذه النظرية اضافات هامة وضعها في رسالة ظهرت عام ١٩٢١

الكتب الجديدة

الفاروق عمر

للدكتور محمد حسين هيكل باشا

مطبعة مصر . فى ٣٤٨ صفحة

رحم الله عمر ، ورضي عنه ؛ لقد ظل اسمه وسوف يظل أبد الدهر علما فى التاريخ على العدل والنزاهة والحزم وحسن الرأى وصدق الارادة والتجرد لله ولدينه

وقد شاء الدكتور هيكل باشا أن يقدم هذه الشخصية الفذة لشباب اليوم ، عسى ان تكون حافزا لهم على تأثر خطواته والنسج على منواله ، فوضع هذا الكتاب النفيس فى اسلوب رصين ممتاز ، جمع بين قوة البيان ودقة البحث ، فكان آية فى عالم التأليف وثروة فكرية تعتز بها المكتبة العربية

والكتاب فى جزءين تناول المؤلف فى فصول الجزء الاول ، وعددها اربعة عشر فصلا صورا من حياة عمر فى جاهليته ، وفى العهد الاول من اسلامه ، حين صحبته رسول الله ، وحين مقامه الى جانب أبى بكر ابان خلافته ، وحين آلت اليه امارة المؤمنين ، بعد ان قضى الصديق على الردة فى بلاد العرب ، فمهد بذلك لوحدتها السياسية ، ثم مهد للفتح وللامبراطورية بغزو العراق والشام

وقد عرض الجزء الاول كذلك كيف تابع عمر هذه السياسة من يوم استخلف ، فوثق أواصر الوحدة العربية فى شبه الجزيرة ، وأزال ملك الاكاسرة من العراق وملك القياصرة من الشام ومد وحدة العرب من خليج عدن الى أقصى الشمال من بادية السماوة

اما الجزء الثانى فانه يتناول ما حدث بعد فتح العراق والشام الى مقتل عمر ، ويعرض الالوان المختلفة لهذا العهد فى السياسة والاجتماع والفقه ، وينتهى بخاتمة رائعة تصور الامبراطورية الاسلامية فى نشأتها وتطورها وتفاعل عناصرها

والحق ان الكتاب بجزأيه مجهود جبار ، ولسنا نشك فى ان رجال التاريخ والادب والفلسفة والاجتماع سوف يقدرونه حق قدره

ظهر الاسلام

للاستاذ احمد أمين بك

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر فى ٣٨٩ صفحة

هذا الكتاب هو الحلقة الثالثة من سلسلة البحوث الشائقة التى عنى باخراجها الاديب البحاثة الاستاذ احمد أمين بك . وقد بدأها بكتاب « فجر الاسلام » ثم اتبعه بكتاب « ضحى الاسلام » ولا حاجة بنا لتعريف المؤلف للقراء فهو معروف برشاقة اسلوبه وجمال عرضه واشراق ديباجته

وموضوع الكتاب موضوع جديد طلى طريف ، فقد تناول فيه الحياة الاجتماعية والفكرية منذ عهد المتوكل حتى آخر القرن الرابع الهجرى . وقد قسمه الى عدة أبواب تشتمل على بحوث دقيقة مستفيضة عن سكان المملكة الاسلامية ومذاهبهم وأديانهم ومظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية والفلسفية فى كل من مصر والشام والعراق وفارس ابان ذلك العصر

وليس من شك فى ان هذا السفر الشامل يعد ثروة جديدة لقراء العربية يضاف الى سابق انتاجه فى الادب والتاريخ ، كما انه مجهود علمى جليل جدير بالتقدير والثناء

المكرميات

للاستاذ احمد قاسم جودة

مطبعة حسنى . فى ٢٢٤ صفحة

مجموعةرائعة ممتعة من خطب وبيانات ومقالات المجاهد الكبير مكرم عبيد باشا من فجر الثورة حتى اليوم ، يجد فيها القراء لمحات وضاءة عن حياة رجل السياسة ، ورجل النضال ، ورجل المحاماة ، ورجل البيان ..

يقول جامعها انه شغل بجمعها ثلاثة أشهر ، ولا عجب فى ذلك فخطب مكـرم تملأ عشرات الكتب ، ومعظمها من القطع النموذجية فى قوة الخيال وروعة المنطق وجمال الاسلوب وسـحر البيان . وأغلب الظن ان الحيرة أدركت الاستاذ قاسم جوده وهو يفكر أيها يأخذ وايها يدع ، وهو يقول فى تقدمة هذا الكتاب :

« انه الدعاية الحزبية أو السياسية لجماعة بعينها أو لحزب بعينه أو لمكرم باشا نفسه ، لم تكن قط عاملا من العوامل التى حفزتنى لاصدار هذه المجموعة ، وانما أردت أولا وآخرا أن اجمع شتات ثروة وطنية وتاريخية وأدبية خليقة أن تكون فى مكتبة كل مصرى ، بل كل عربى تنبض فى عروقه دماء الحرية وتضطرم نفسه بنداء الحق الذى لا تقف فى وجهه قوة .. لذلك سجلت ما يهم كل مصرى ، وكل وطنى وكل عربى كائنا ما كان لونه السياسى أو الحزبى . يستوى فى ذلك أصدقاء مكرم باشا وخصومه اجمعون »

وقد تصدر هذا الكتاب بمقال عن مكرم الاديب بقلم معالى حفنى محمود بك ومقال آخر للاستاذ قاسم جودة عن مكرم الانسان ومقال ثالث للاستاذ عباس محمود العقاد عن المدرسة القتالية ختمه بهذه العبارة :

« وكذلك نرى أن هذه « المكرميات » هى من ثمار الادب المطبوع فى بابه وأسلوبه . لانها أدب الاديب الذى نشأ نشأة مكرم وتلقى تراث المدرسة القتالية فى أوجها ، وطبع عـلى العمل الدائم والشواغل الكثيرة ، وكل أدب مطبوع فهو أدب صاحبه لا يتكرر لغيره ، وكذلك هـذه الخطب والفصول الشائقات التى نقرأها فى هذه المكرميات »

على ضفاف دجلة والفرات

للاستاذ طاهر الطناحى

نشرته دار المعارف فى ٢٤٠ صفحة

ربما كانت الدولة العباسـية اسطع الدول الاسلامية تمدنا واقواها صولة ونفوذا وأوسعها جاها وأعزها سلطانا واغناها علما وأوفرها بذخه واكثرها ثراء

فى كتاب « على ضفاف دجلة والفرات » متن واف لتاريخ بنى العباس بقلم الكاتب البحاثة الاستاذ طاهر الطناحى . ولـكنه يختلف كل الاختلاف عن المألوف فى علوم التاريخ . فهو سلسلة من القصص عن الحوادث البارزة فى تاريخ بنى العباس تنتظم فيها خمس عشرة حلقة وكل حلقة قصة قائمة بذاتها محورها علم من أعلام هذا التاريخ وما حف حوله من رجال السياسة الدهاة . وقد تبسط المؤلف فيما اشتغلوا فيه من تصاريف الشئون وما خفره دهاؤهم من الاحابيل والمكايد وما أحاط بهم من الفتن وما اقتحموا من الحروب الأهلية فى سبيل تنازع الخلافة التى هى بؤرة الحكم الاعلى ومصدر الامر المقدس

القصة الاولى قصة ابى العباس المنتزع الخلافة من مروان بن محمد على آخر خلفاء بنى أمية فابتدأت دولة العباسيين بدوال دولة الامويين

والقصة الاخيرة قصة الامين المأمون ابنى هرون الرشيد . وفيها استلمت الدولة الفارسية سلطة الخلافة من الدولة العباسية بشخص المأمون الذى كانت أمه فارسية

وبين هاتين القصتين ثلاث عشرة قصة متتالية عن الاعلام الذين تعاقبوا فى ٦٦ سنة فى حكومات

الدولة العباسية وعما كان لهم من اليد فى بنيانها وما شيدوه من عظمتها ومجدها وابهتهـا وما نشروه من علومها وفنونها

وفى كل قصة من هذه القصص احداث وأحاديث منحصرة فيها بأسلوب قصصى فكه جدا ومسل . فلا تنتهى من قصة حتى تتخطى الى قصة أخرى مشوقا . ومتى انتهيت منها جميعا والتفت بذكراك الى ما قرأت شعرت انك قرأت تاريخ بنى العباس مفصلا واستوعبته بلا عناء

ليس فى هـذه القصص شىء من مخترعـات الخيال ولا فيها شخصيات غريبة عن التاريخ ولا اندمج فيها حوادث غير موجودة فى التاريخ . بل هى كلها تواريخ أفراد هذه الدولة الاعلام . ولكن هو الاسلوب القصصى الذى اخرجها من شحنات التاريخ الجامد الى طراز الرشاقة القصصية

هو اسلوب جديد فى كتابة التاريخ لم يسبق الاستاذ الطناحى أحد اليه . فحبذا لو يتناول الاستاذ جميع مراحل التاريخ العربى الاسلامى فى سلسلة من الكتب القصصية على هذا النحو فيجعل دراسة هذا التاريخ مستحبة عند القراء عموما والطلبة خصوصا نقولا الحداد

الصهيونية

للدكتور سعدى بسيسو

فى ٢٦٦ صفحة

نشط الصهيونيون فى الدعاية التى لا تقوم على غير الاباطيل ، فى اكتساب الرأى العام فى أوربا والولايات المتحـدة الى جانبهم ، والظفر بالانصار فى البرلـمان البريطانى والكونغرس الامريكى ووزارات الخارجية والمؤتمرات الدولية وقد ساعد على ذلك فقدان أسباب الدعاوة العربية ـ لا سيما فى بريطانيا العظمى وأميركا ـ وقلة ما يكتب وينشر عن النهضة العربية وواقع الامر فى فلسطين

لذلك عنى الدكتور بسيسو بدراسة «الصهيونية» وبحثها بحثا علميا ، وتحليل ادعاءاتها ومزاعمها، والرد على أقاويلها ومفترياتها وإيضاح أخطارها ومطامعها فى فلسطين . وهو يقول فى مقدمة هذا السفر الجامع : « فعسى ان يجد فيه القارىء العربى مادة نافعة تجعله يدرك بوضوح جناية الصهيونية على فلسطين العربية وما سببته لها من نكبات وجرته عليها من ويلات ، فينهض للعمل على تحرير فلسطين وتخليصها من براثن الانتداب ومخالب الصهيونية ، اذ ان فلسطين فى حاجة ماسة لجهود العرب كافة فى الشرق والغرب ، وهى ملكهم عامة وأمانة فى أعناقهم أجمعين »

وقد وفق المؤلف فى الاحاطة بحقيقة الصهيونية وجلاء الغامض فيها توفيقا يدعو الى التقـدير والثناء

صديق العائلة

للدكتور مصطفى الديوانى

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

ليس المؤلف طبيبا بارعا فحسب ولكنه أديب موهوب ، لذلك جمعت مؤلفاته وكتاباته بين دقة البحث العلمى وتبسيط الكاتب الاريب وهو يقول فى تقدمة هذا الكتاب :

« لقد قصدت ان يكون صديق العائلة بحق ، يرجع اليه أفرادها كلما عرضت لهم صعوبة فى توجيه أطفالهم فى نواحى الحياة المختلفة ، ولقد تعمدت التفصيل فى المشاكل الجنسية عند الطفل وفى وسائل تحديد النسل لانها فى اعتقادى عقدة صعبة الحل على الوالدين »

ويحوى الكتاب الى جانب هذه الموضوعات الهامة تفصيلات شاملة عن تغذية الطفل وبعض أمراض الاطفال الكثيرة الانتشار . وقد وفق المؤلف كل التوفيق فى بلوغ هدفه وخلق صديق وفى نحن فى أشد الحاجة اليه فى الشرق العربى

حياة الوصى الأمير عبد الاله

لشيخ العراقيين الاستاذ رضا آل كاشف

مطبعة دار النشر والتأليف . فى ١٨٥ صفحة

قرظ الامام الاكبر الشيخ محمد الحسين آل كاشف هذا الكتاب فقال : « لا شك ان شرف الكتاب بشرف موضوعه . وقيمته على مقدار قيمة مباحثه . اذن فما أحرى هذا الكتاب بالشرف وهو يترجم للسادة الاشراف ويعطر الارجاء بعبير ذكرى كل غصن من الدوحة النبوية والشجرة العلية المباركة التى جاءت رحمة للعالمين . وكان من أغصانها الفارعة وثمارها اليانعة صاحب النهضة الملك الحسين بن على وأنجاله وأحفاده مثل الملك الجليل وسمو الوصى الذى تنبئك عن شمائله رقة شمائله ، وعن شرف عنصره جمال منظره ، وعن سمو خصاله محاسن أعماله »

وقد قسم المؤلف كتابه الى جزأين ، تناول فى الجزء الاول تاريخ حياة سمو الوصى منذ يوم ولادته حتى نودى به وصيا على عرش العراق سنة ١٩٣٩ ويتضمن الجزء الثانى أعمال سموه منذ عهد وصايته حتى اليوم

محمد طلعت حرب

مطبعة مصر . فى ١١٥ صفحة

للدكتور ابرهيم عبده والاستاذ على عبد العظيم

« قضى طلعت حرب الى رحمة الله ، ولكنه ببنك مصر وشركات مصر قد أصبحت ذكراه جزءا هاما من حياة كل مصرى ، لا ينساها الا اذا استطاع ان ينسى وجوده المادى والمعنوى على السواء ..

« وليست هذه الذكرى جزءا هاما من حياة هذا الجيل فحسب ولكنها ستمضى عبر الاجيال القادمة ما بقى بنك مصر وما بقيت شركات مصر وما بقى كتاب النهضة الاقتصادية الوطنية مبسوطا لمن أراد أن يضيف اليه من البناة والمنشئين سطورا أو صفحات ... »

والكتاب الذى تقدمه للقراء يحيط بجهود هذا المصرى العظيم ويصور خدماته تصويرا صادقا ، وضعه المؤلفان فى مناسبة مرور ربع قرن على اجتماع أول جمعية تأسيسية لمساهمى بنك مصر وفاء لرجل وقف حياته لخدمة الشباب وضرب لهم أروع الامثلة لخدمة البلاد

القومية والعروبة

للاستاذ نقولا زيادة

مطبعة اللواء بالقدس . فى ١٠٥ صفحات

هذا الكتاب دراسة دقيقة للادوار التى مرت بها القوميات فى الغرب حتى تكونت الامم الغربية العظمى ، وكذلك الامة التركية الحديثة ، ثم الادوار التى مرت بها الامة العربية حتى صارت ذات كيان قومى، وقد كان لها يوم مجيد وتاريخ حافل بالعظائم . ثم بين المؤلف ما ينقص هذه الامة من المؤهلات والاسباب لتعود الى ماضى عزها ومجدها

وليس من شك فى أن مثل هذه الدراسة القيمة تؤدى الى تفادى الاخطار التى وقع فيها الغير فى أدوار نموهم القومى ، وتسديد الخطى فى طريق النهضة القومية الصحيحة ، ولا سيما وأننا اليوم فى جو يقظة اجتماعية وبداية وعى قومى جديد

والاستاذ نقولا زيادة خريج جامعة لندن ، ويقوم بمهنة التدريس فى الكلية العربية والمدرسة الرشيدية بالقدس وله بحوث كثيرة موفقة فى الادب والاجتماع والتاريخ . وهو فوق ذلك من الشباب الفلسطينى الذى يتأجج وطنية وغيرة ، ولعل ذلك يتجلى فى الفقرة التالية التى نقتبسها من خاتمة كتابه

« نحن أمة ، وعلى هذا لنا الحق كل الحق فى أن تكون لنا على نفوسنا وفى بلادنا سيادة تامة، ولنا الحق كل الحق فى أن تقرر مصيرنا وشؤوننا على ضوء تاريخنا وعلى ضوء ما نقتبسه من مدنية

العالم الحاضر . وبذلك نتمكن من القيام بواجبنا نحو العالم الحر فنخدم الحضارة العالمية الحديثة على نحو ما خدمناها في سالف العصور

« قال النبي: من رأى منكم خطأ فليقومه بيده، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان . فهل لى ان أدعو أبناء قومى وبنى أمتى الى أضعف الايمان ؟ »

زوبعة الدهور : وجوه وحكايات

للاستاذ مارون عبود

منشورات دار المكشوف . فى ٢٧٤ صفحة

كتابان جديدان للاديب النقادة الاستاذ مارون عبود ، أحدهما عن ابى العلاء المعرى عرض فيه الى الكثير مما يتصل بالمعرى ، لا سيما الآراء السرية التى شاعت فى عهد الفاطميين وكان لها أثرها فى فلسفته ، وقد تضمن الكتاب آراء وملاحظات حصيفة عن عصر الاسرار ، ودعوة ابى العلاء ، ومدرسته ومعتقداته . واستطاع المؤلف بأسلوبه اللاذع الساخر أن يشرح المعضلة العلائية شرحا خالف فيه الكثيرين ممن عرضوا لابى العلاء

والكتاب الثانى « وجوه وحكايات » هو لون من القصص اللبنانى ، يصور الكثير من العادات والاخلاق اللبنانية . والاستاذ مارون من الادباء اللبنانيين الموهوبين الذين يعرفون الخصائص اللبنانية حق المعرفة، فهو اذا كتب عنها فعن خبرة ودراية

ذكرى الافغانى

للاستاذ عبد المحسن القصاب

مطبعة الرشيد ببغداد . فى ١٦٦ صفحة

توفى السيد جمال الدين الافغانى عام ١٨٩٧ فى الاستانة ودفن بها . وقد بقى رفاته بها منذ ذلك الحين حتى عزمت الحكومة الافغانية على نقله الى مسقط رأسه الافغان . وفى طريق نقله اجتاز العراق فاستقبله الشعب العراقى استقبالا فائق النظير ، عبر فيه أجمل التعبير عما تكنه الامة العربية من تقدير واعجاب نحو هذا المصلح الكبير

والكتاب الذى بين أيدينا سجل واف لانواع الحفاوة التى أظهرها العراق نحو رفات الافغانى، وقد جمع الكلمات التى ألقيت فى الحفلات والمقالات التى نشرت فى الصحف . والافغانى — كما يقول المؤلف — واحد من أولئك الابطال العالميين الذين يفلتون من الطبيعة ، فيغيرون مجرى الحياة ويحولون سير التاريخ ، ويكونون من أمتهم كل شىء . فمن حق الشعوب الاسلامية كافة أن تجعل منه منارا تهتدى به ومرشدا تسير وراءه . وليس أدل على يقظة الامم وحسن تبصرها من تقدير العاملين لخيرها ، الساعين لعزها

الانجليز كما عرفتهم

للاستاذ أمين المميز

مطبعة سكك حديد العراق . فى ٣٠٩ صفحات

من أقوال الفرنسيين المأثورة « من المستحيل أن تكره شخصا اذا عرفته معرفة حقة » وما يصدق على الاشخاص يصدق على الشعوب ، فلو عرفت شعوب الارض بعضها بعضا حق المعرفة ، وأدرك الشعب الواحد المثل العليا والشعور والافكار والميول للشعب الآخر ، واطلع على آلامه وآماله وطرق حياته لساد التفاهم والتآخى

والكتاب الذى بين أيدينا محاولة ناجحة لتعريف القارىء العربى بالانجليز وعاداتهم وتقاليدهم وحياتهم السياسية والاجتماعية

وعلى الرغم من ان هذه الدراسة ليست الاولى من نوعها — كما يقول فخامة السيد توفيق السويدى فى مقدمة هذا الكتاب — الا أن محاولة المؤلف لجمع شتات الخواص والميزات للشعب الانجليزى وعرضها على القارىء العربى بأسلوب سهل وبصيغة واضحة لمن أحسن المحاولات الموفقة الجديرة بالتقدير والتشجيع

العصر العباسي الأول

للدكتور عبد العزيز الدورى

مطبعة التفيض الاهلية . فى ٢٨٠ صفحة

هذا الكتاب مجموعة محاضرات ألقيت على طلاب دار المعلمين العالية فى بغداد تتناول التاريخ السياسى والادارى والمالى للعصر العباسى الاول

ورسالة هذه المحاضرات — كما يقول المؤلف — هى تعويد الطلاب على طريقة البحث العلمى فى مجابهة معضلات التاريخ

وقد إعتمد الدكتور الدورى فى ابحاثه على أوثق المصادر التاريخية وأصدق المراجع

مشكلة الفلاح

للاستاذ صادق سعد

لجنة نشر الثقافة الحديثة . فى ٨٠ صفحة

هذا البحث محاولة جدية لدرس مشكلة الفلاح تقوم على أسس اقتصادية علمية ، ومحاولة لوضع الخطط العامة للاصلاحات التى يجب ان تضطلع بها الحكومة حتى يرتفع مستوى المعيشة لثلاثة أرباع المواطنين المصريين

وقد قالت لجنة نشر الثقافة الحديثة فى تقدمة هذا الكتاب « انه صفحات حرة علمية وتجربة ثقافية غير مغرضة ومعول يشارك فى هدم الاضاليل الشائعة »

الشعراء الفرسان

للاستاذ بطرس البستانى

دار المكشوف . فى ٢٣١ صفحة

للشعر الجاهلى فى مختلف أغراضه وابوابه نفحات من البطولة والكبر تفرده عن سائر الشعر العربى فى مختلف العصور . حتى ان ابا تمام الطائى عند ما عنى بجمع أشعار المتقدمين ، اطلق على مختاراته اسم « ديوان الحماسة » مع أنها تشتمل على فنون من غير هذا الباب . وكذلك البحترى حذا حذوه فأعطانا « حماسة » ثانية تضم فى طياتها أغراضا شتى من كلام العرب

فكأن الشاعرين العباسيين نظرا الى الشعر القديم، وقد أرادا الاختيار منه ، فألفيا الفروسية تبرز فى جميع أقسامه ولا يستثنى من ذلك الغزل والشكوى والحكم . فلم يجدا لمجموعتيهما اسما أفضل من الحماسة تعبر بمعناها ليس عن الباب المستقل بها فحسب ، بل عما عداه من الابواب والاغراض التى تنبعث من اجزائها نفثات الشعراء الفرسان

والكتاب الذى بين أيدينا دراسة عميقة مستفيضة صيغت فى اسلوب قوى رصين للشعراء « الفرسان » أو بعبارة أخرى لشعراء العصر الجاهلى

فى قرى الجن

للاستاذ جعفر خليلى

مطبعة المعزى . فى ١٦٠ صفحة

عرض شامل لبعض الخرافات التى لم يزل يعتقد بصحتها كثير من السذج على الرغم من النتائج الوخيمة التى تنجم عنها ، وقد تطرق المؤلف الى ما سماه « حكومة الجن » ونظمها ومؤسساتها ، فوصفها وصفا مسهبا وقارن بين نظمها ونظم « حكومة الانس » التى تتأخر عنها فى مراحل الحضارة والمدنية بأشواط . وقد وفق الى تصوير تلك الحكومة الخيالية تصويرا رائعا حتى بات يخيل للقارىء انه حقا وسط بلاد الجن وبين صفوف سكانها

وهكذا تمكن الاستاذ خليلى من تشخيص كثير من الامراض الاجتماعية والادواء المزمنة الفاشية بين الكثيرين باسلوب قصصى شائق جذاب

ثلاث عقبات فى الطريق الى المجد

للاستاذ ا. جمال الدين

دار الطباعة الاسلامية . فى ١٢٣ صفحة

موضوع هذا الكتاب دعوة شباب مصر وشاباتها ، طلبتها وموظفيها ، عمالها وفلاحيها، الى التفكير فى شؤون المجتمع المصرى . وقد أهدى المؤلف كتابه الى « شباب هذا الجيل وشاباته المختارين لحمل رسالة مصر العظمى والذين عليهم أن يذللوا العقبات الثلاث ، الفقر والجهل والمرض حتى يسيروا قدما فى طريقهم الى المجد »

وقد وفق المؤلف فى تصوير هذه المشاكل الاجتماعية الثلاث ، وفى توضيح الاخطار التى تهدد المجتمع المصرى من جرائها ، كما أفاض فى وصف أنجع السبل لعلاجها

مرايا الناس

للسيدة وداد سكاكينى

اذا أجاد المصور التصوير كاد الرائي يسمع الرسم ينطق . بل يراه يتنفس بصدر يتحرك ويرنو بعينين ساحرتين يغض الناظر طرفه عنهما مهابة ذلك السحر ويتوهم ان الرسم يتتبعه ببصره كأنه يستهويه

واذا أجاد المثال فى صنع التمثال أوهم المشاهد انه يرى الصنم خطيبا عن منصة يهول على الحضار بوقفته ونظرته ولفتته

أجل يستطيع ذو الفن ان يوهمك بالمجاز حقيقة وبالصنم جسما متحركا . وقد يريك فيه لمحة من عواطف

ولكن عمرك الله هل رأيت شعرا منثورا يصور لك الطبيعة صورا متتابعة كأنك تستعرضها استعراضا سينمائيا ، ويرسم لك الاخلاق رسوما بارزة كأنها اشباح ملموسة ، ويمثل لك العادات والتقاليد تماثيل عبر تقف أنت لديها مستعبرا ؟

هذا ما صورته ورسمته ومثلته السيدة النابغة وداد سكاكينى فى كتابها النفيس «مرايا الناس»

حقا انك ترى فى قصص هذا الكتاب مرايا الكثير من عادات قومنا وأخلاقهم وآدابهم . ترى فى هذه المرايا طيوف الغيرة والحب والتقوى والولاء والفضيلة والرذيلة والبخل والكرم والمروءة واللؤم الى غير ذلك من اخلاق البشر ، ترى جميع هذه الصفات موصوفة وصفا عجيبا حتى لكأنك ترى الشخص الواحد بجميع صفاته وأخلاقه وآدابه ماثلا لعينيك كأنك ترى المعانى الذهنية صورا حسية

اننا نرجو أن يستفيض قلمها الحساس بفوج آخر من هذا الطراز الممتاز ن . ح

قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة

لشيخ الاسلام ابن تيمية

دار المنار . فى ١٥٥ صفحة

أصدرت دار المنار الطبعة الرابعة من هذا الكتاب لشيخ الاسلام ابن تيمية وقد عالج فيه كثيرا من المسائل الدينية التى اضطرب فيها المتأخرون وبين مذهب السلف الصالح فيها كالتوسل والاستغاثة والدعاء والسؤال والشفاعة والقسم على الله ببعض مخلوقاته والاستسقاء والزيارة والخوارق وحدود التوحيد والشرك وحق الله على عباده وحقهم عليه والفرق بين المخلوق والخالق والقول فى التشريع ومراتب الحديث والمحدثين

بين الهلال وقرائه

حزب العمال

(القاهرة – كلية العلوم) ابرهيم عزيز

كيف نشأ حزب العمال فى انجلترا وما هى اهم مبادئه ؟

(الهلال) قرر مؤتمر نقابات العمال فى سنة ١٨٩٩ تأليف لجنة للنظر فى توحيد النقابات والجمعيات التعاونية وغيرهما من المؤسسات التى تهتم بشؤون العمال . وقد كانت هذه المؤسسات كثيرة العدد منها ما كان يدعو الى مبادىء اشتراكية أو يسارية منذ أواخر القرن الماضى وأهمها جمعية « الفابيان » التى تأسست سنة ١٨٨٣ وكانت تضم بعض المفكرين من الطبقات الوسطى ومن اتباع مذهب «جون ستيوارت ميل» فأعضاء هذه الجمعية هم من المؤمنين بمبادىء كارل ماركس ولكنهم لم يأخذوها على علاتها لهم لا يدينون بالمبادىء الثورية ولا يتخذونها وسيلة لتحقيق أهدافهم . كما ان بعض الجمعيات الدينية عملت على انعاش الوعى الاجتماعى فتولدت لدى نقابات العمال فكرة التدخل الفعلى فى السياسة فنشأ حزب مستقل للعمال بزعامة « كير هاردى » وهو من أقدم نواب العمال فى مجلس العموم . وفى الوقت الذى تأسس فيه هذا الحزب توحدت جهود الهيئات الاشتراكية ثم بدأ نشاط «سيدنى وبياتريس ويب» فى اثارة وعى العمال وتنظيم نقاباتهم وبث الدعوة لاحداث نظام اجتماعى واقتصادى جديد . وفى سنة ١٩٠٣ توحدت جميع هذه المؤسسات وتألفت «لجنة تمثيل العمال» التى أصبحت فى سنة ١٩٠٦ حزب العمال كما هو اليوم

والمبدأ الاساسى لحزب العمال البريطانى هو تأسيس دولة اشتراكية فى انجلترا تحل محل الدولة الرأسمالية القائمة، وهذه الدولة الاشتراكية تستولى على جميع وسائل الانتاج والمرافق العامة بعد ان تدفع لاصحابها تعويضا مناسبا، أو بعبارة أخرى يدعو الى الاستثمار المشترك الذى تقوم به الدولة بدلا من الاستثمار الفردى الذى يقوم به الافراد أو الشركات الرأسمالية

أما فى السياسة الخارجية فان الحزب يدعو الى لزوم تفاهم بريطانيا مع الدول الاخرى بالطرق السلمية والابتعاد عن سياسة التعدى . واذا ما ظهر للحزب ان أية حكومة انجليزية خالفت هذا المبدأ فانه يقاومها بكل قوة ويعمل على اسقاطها

السرطان

(الخرطوم) نجيب محمود

ما هى أعراض مرض السرطان ، وهل هو من الأمراض المعدية ؟

(الهلال) يمكن تلخيص أعراض السرطان التى يتاح للمريض ملاحظتها فيما يلى :

١ – عقدة قابلة للنمو

٢ – قرحة لا تبرأ أو تبرأ ثم تنتكس

٣ – نزف أو افراز من أى عضو من أعضاء الجسم وبخاصة الاعضاء التناسلية النسوية أو من المستقيم أو من الجهاز البولى لاحد الجنسين

٤ – خال أو شامة، ولا سيما الشامة السوداء ذات الشعر التى تنمو وتنزف أو تبدو عليها أعراض التهيج

٥ ـ ظهور أعراض سوء الهضم بغتة بحالة مبهمة عند من لا يشكون علة أخرى من العلل

وليس ثمة دليل على كون الداء من الامراض المعدية ولم يثبت بعد أنه ناشيء عن جرثومة معينة

النياشين المصرية

(العراق) حافظ عواد

أرجو افادتي عن أهم النياشين المصرية

(الهلال) نيشان محمد علي : أنشيء لتخليد ذكرى مؤسس الاسرة العلوية المالكة ، وهو في المقام الاول بين النياشين المصرية . فلا يمنح الا لذوي الجدارة الفائقة ، أو لمن يؤدون للدولة خدمات استثنائية

نيشان اسماعيل: أنشيء لتخليد ذكرى المغفور له الخديو اسماعيل باشا ، وهو في المقام الثاني بين النياشين المصرية . ويخصص لمكافأة من أدوا للبلاد خدمات جليلة . وهو على أربع طبقات

نيشان النيل : يمنح مكافأة للذين يمتازون بتأدية خدمات نافعة للبلاد، وهو على خمس طبقات

نيشان المعارف : يمنح للذين أدوا خدمات ممتازة للعلوم والمعارف ، وهو على ثلاث طبقات

نيشان الصناعة والتجارة : يمنح للذين أدوا خدمات ممتازة للصناعة والتجارة وهو على ثلاث طبقات

نيشان الزراعة : يمنح للذين خدموا الزراعة المصرية خدمات جليلة وهو على ثلاث طبقات

نيشان الكمال : أنشأه المغفور له الملك فؤاد الاول وهو على أربع طبقات وخاص بالسيدات

الصهيونية

(القاهرة) قاريء

كيف نشأت فكرة الصهيونية، وهل بين اليهود من يعارضون هذه الحركة ؟

(الهلال) يعتبر تيودور هرتسل الصحافي النمساوي الواضع للحجر الاساسي الاول في بناء الصهيونية . فقد ذكر في كتابه «الدولة اليهودية» في سنة ١٨٩٥ أن خلاص اليهود لا يتم الا بالمهاجرة وتأسيس دولة يهودية مستقلة في أرض جديدة . ولكنه كان يرى أن تقتصر الهجرة على أولئك الذين لا يطيقون البقاء في البلاد التي يسكنونها ، أو الذين يرغبون في الرحيل عنها

ولما عقد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ وافق على نظرية « الدولة الجديدة » كما تصورها هرتسل وقرر أن مركز « دولة اسرائيل » الحديثة يجب ان يكون في « أرض اسرائيل » القديمة ، أي فلسطين . وسميت هذه الحركة التي ترمي الى جمع اليهود في فلسطين العربية باليهودية

ويقول الدكتور سعدي بسيسو في بحثه عن « الصهيونية » ان كثيرين من اليهود قاوموا الحركة الصهيونية وناوأوها منذ نشأتها . وقد بلغ عدد هؤلاء المعارضين أكثر من ١٥ مليون يهودي بينما لم يبلغ اتباعها منهم مليونا واحدا . فنسبة الصهيونيين لم تزد عن ٦ ٠/٠ من مجموع عدد اليهود

فيرى اليهود المتدينون ان الرجوع للقدس فكرة دينية محضة ، وان انشاء مملكة اسرائيل لا يجوز البدء به بحسب التعاليم التلمودية الا من قبل المسيح وليس قبله أو على يد شخص آخر

ويرى يهود أوربا الغربية وامريكا ان تأسيس دولة يهودية في فلسطين يؤدي حتما في البلاد القاطنين فيها الى ايقاظ روح العداء بين الطوائف الاخرى نحوهم . وما أغناهم عن هذا بعد أن أصبحوا يتمتعون بالحقوق والامتيازات المعترف بها للرعايا الآخرين

مسئولية الوزراء

(بغداد) د . م . ا

ما هى مسئولية الوزراء المصريين أمام القانون وما هى الجزاءات التى يمكن توقيعها عليهم ؟

(الهلال) الوزير مسئول مدنيا كأى فرد عادى اذا قام بعمل نشأ عنه ضرر لاحد الافراد . وهو مسئول جنائيا اذا ارتكب فى محل عمله أو فى خارجه جريمة من الجرائم المنصوص عليها فى قانون العقوبات أو فى القانون الخاص بمحاكمة الوزراء . كما أنه مسئول سياسيا عن أعمال وزارته التى يقوم بها بنفسه أو بواسطة مرءوسيه . والمسئولية السياسية جزاؤها الاستقالة، والمسئولية الجنائية جزاؤها يلحق بالشخص فى جسمه أو ماله . والمسئولية المدنيـة جزاؤها تعويض من أصابه الضرر

وقد نص الدستور المصرى على أن « لمجلس النواب وحده حق اتهام الوزراء فيما يقع منهم من الجرائم فى تأدية وظائفهم ، ولا يصدر قرار الأتهام الا بأغلبية ثلثى الآراء . ولمجلس الاحكام المخصوص وحده حق محاكمة الوزراء عما يقع منهم من تلك الجرائم . ويعين مجلس النواب من أعضائه من يتولى تأييد الاتهام أمام ذلك المجلس »

كما نص عـلى أن « يطبق مجلس الاحكام المخصوص قانون العقوبات فى الجرائم المنصوص عليها فيه . وتبين فى قانون خاص أحوال مسئولية الوزراء التى لم يتناولها قانون العقوبات »

والقانون الخاص الذى يعنيه الدستور هو قانون « محاكمة الوزراء » الذى يراد به النص على جرائم معينة لا يرتكبها الوزراء عادة الا بسبب ما لهم من نفوذ وسلطان

وقد نص فى مشروع وضع لهذا الغرض ولم يصدر على عقوبات مختلفة بعضها الاشغال الشاقة، وبعضها الحبس مع الغرامة ، كما أضيف الى تلك العقوبات الحرمان من المزايا الوطنية

الجنون

(حلب ــ سوريا) زكريا الرفاعى

لقد أصيب طالبان من طلاب كليتنا بالجنون وبنوبات عصبية شديدة تركا الكلية بسببها . فهل يعزى سبب ذلك الى الاجهاد والاعياء الدماغى ؟ والا فما سبب جنونهما ؟

(الهلال) ثبت ان الاجهاد العقلى لا يؤدى الى اضطرابات عصبية ، ولكنه يساعد على ظهورها اذا تهيأت الاسباب لوجودها . ولقـد اختلفت الآراء فى اسباب الجنون ، ولكن نظرية فرويد العالم النفسانى الشهير يغلب ان تكون صحيحة فى كثير من الحالات التى يصاب بها الشباب

يرى فرويد ان الغريزة الجنسية مصدر جميع الغرائز ، بل جميع الدوافع التى تحمل الانسان على العمل ، وهو يعزو جميع الاحـلام وجميع الأمراض العقلية والعلل العصبية ــ مهما كان نوعها ــ الى عدم ارضاء هذه الغريزة . وهو يقول : « ان ارضاء هذه الغريزة بالطرق المعقولة من اسباب تنمية الجسم والعقل ، وتقويم الاخلاق وتقوية المواهب الانسانية بوجه عام . أما كبتها أو سوء قيادتها ، فيؤدى حتما الى اضطراب عصبى وأمراض عقلية قد يصعب علاجها ، وتكوين عادات سيئة قد يكون من المستحيل التخلص منها



جامعة الأمم العربية
في الميزان الدولي

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

الميزان الدولي هو ميزان الواقع

والواقع الذي يقرر استقلال الامم هو في الاعم الاغلب قوتها التي تحمي بها نفسها من الدول الكبيرة ، أو قلة الطمع فيها ، أو صعوبة الاتفاق بين الطامعين فيها على خطة واحدة

وليس في الامم العربية أمة تضارع الدول الكبيرة في القوة العسكرية ، وليست هي بالتي يزهد فيها الاقوياء ، اذا تمكنوا من الاستيلاء عليها

فالعوامل التي تعمل لمصلحة الامم العربية في الميزان الدولي هي صعوبة التفاهم بين الدول الكبرى على تقسيمها ، وما يقترن بهذا التقسيم من اثارة الخلاف على مسائل التقسيم والتوزيع برمتها . وقد كان هذا الميزان أيضا قائما على صورة أخرى قبل الحرب العالمية الماضية . فان أمم الجامعة العربية التي كانت ولايات عثمانية في ذلك الحين ، كانت مطمعا لثلاث من الدول الكبرى على الأقل ، وهي روسيا وفرنسا وبريطانيا العظمى

فكانت روسيا تتطلع الى فلسطين وتتعرض لشؤونها باسم الدفاع عن الكنيسة الارثوذكسية ، وكانت فرنسا تتطلع الى لبنان وما يتصل به من البلاد السورية ، وكانت بريطانيا العظمى تتطلع الى شواطىء الخليج الفارسي وتود أن تثبت أقدامها في وادي النيل

فلم تستطع واحدة منها أن تحقق غرضا من أغراضها فيما عدا الاحتلال البريطاني لمصر وهو موضوع تم التفاهم عليه بين الدول الاوربية في صفقة جامعة

اما الامم التي لم تتفاهم الدول الاوربية في شأنها فلم يتغير مركزها قبل الحرب العالمية الماضية ، ولم يكن بقاؤها على حالها خوفا من قوة الدولة العثمانية ولا حرصا على حقوقها أو حقوق أبناء الامم العربية ، وانما كان كما قدمنا مظهرا من مظاهر الخلاف بين الدول الكبرى على التقسيم والتوزيع

فلما انتهت الحرب العالمية الماضية وخرجت منها روسيا مضطربة والنمسا منحلة والمانيا مغلوبة وايطاليا في حالة القلق والتردد ، تيسر الاتفاق بين بريطانيا العظمى وفرنسا على مسائل الانتداب في لبنان وسورية والعراق وفلسطين ، وتغير في الميزان الدولي وضع هذه البلاد . فالضمان الذي تكفل ببقاء تلك الامم — من أمم الجامعة العربية — على حالها قبل الحرب العالمية الماضية هو الضمان الذي يمنع المساس بمراكزها في الآونة الحاضرة ، ويزيد عليه

بعض الاعتبارات الاخرى التى لم تكن قائمة يومئذ أو لم يكن لها من الشأن الخطير فى السياسة العالمية مثل شأنها الآن

ومنها ان رقعة البلاد العربية هى ملتقى القارات الثلاث ، فهى من ثم ملتقى المواصلات البحرية والبرية والجوية التى تربط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وليس من مصلحة الدول الكبرى ان تكون هذه الرقعة فى قبضة دولة واحدة تعزلها عن سياسة الدول الاخرى . ومنها ان النفط ينبع فى بعض هذه البلدان أو يمر منها ، وهو حاجة عالمية لا يسهل التسليم فيها لدولة واحدة

ومنها ان المركز الحربى الذى تشغله بلاد الامم العربية من أهم المراكز الحربية فى الكرة الارضية ، فمن اللازم ان يصان هذا المركز الخطير من موجبات القلق والثورة أو من الاحتكار الذى يطلق يدا واحدة ويغل سائر الايدى ، كما يصان من التوزيع الذى يؤدى الى الاحتكاك فالاصطدام . وهذا عدا البواعث الاقتصادية العامة التى تستدعى فتح هذه السوق الواسعة للتصدير والتوريد ، وتأبى على الدول أن تسمح باغلاقها فى وجه فريق دون فريق . فالواقع الذى يقرر للامم العربية مركزها فى الميزان الدولى هو صعوبة التفاهم على تقسيمها أو السيادة عليها

واذا ذكرنا هذه الصعوبة ، فمن الواجب الا ننسى ان روح الاستقلال النامية فى هذه الامم ، تعتبر سببا من أقوى الاسباب التى تقيم الصعوبات فى طريق التقسيم والتوزيع ، وان اقتران هذه الروح المستقلة النامية بروح التضامن العربى ، يعزز مكانة الامم العربية جميعا ، ويميل بالدول الكبرى الى تفضيل سياسة المجاملة والحذر على سياسة القمع والعدوان

وينبغى أن نذكر دائما أن الميزان الدولى يتغير حينا بعد حين وجيلا بعد جيل . ومن أمثلة ذلك ما قدمناه عن اختلاف هذا الميزان من أثر الحرب العالمية الماضية ، وما ترتب على هذا الاختلاف من امكان التفاهم بين فرنسا وبريطانيا العظمى ، بعد ان كان التفاهم متعذرا مع اشتراك الدول الاخرى فى هذا الميزان . فلو ان روسيا — مثلا — خرجت منتصرة من تلك الحرب لما تفاهمت الدول على مبدأ الانتداب كما تفاهمت عليه فى حالة انهزامها ، ولجاز كثيرا ان يتغير التقسيم او لا يحدث على الاطلاق

وكذلك يجوز فى المستقبل ان يتغير الميزان الدولى على وجه من الوجوه بظهور عامل جديد أو اختفاء عامل قديم ، فاذا وقع هذا فقد يتبدل الموقف تبدلا يرضينا أو يناقض ما نرومه ونترقبه فى الآونة الحاضرة ، وان كنا نرجو ان تصدق الدلائل التى ترينا اليوم ان المستقبل للحرية ، وان زيادة الامم المستقلة أقرب الى الاحتمال من نقصها فى الزمن المقبل القريب

أما والحالة على وضعها الذى نراه ، فوزن الامم العربية فى الميزان الدولى هو وزن الامم التى يراد استقلالها لانه اسهل من استعبادها ، ويحسب الحساب لصداقتها وعداوتها ، لانها تحتل معابر العالم التى تدور حولها مصالحه فى حالتى السلم والحرب ، وفى جميع احواله

الوفاق والخلاف بين الاقوياء . وهى الى هذا وذاك صاحبة أصوات ستة من خمسين صوتا فى جامعة الامم المتحدة ، فهى بهذه الاصوات تملك الترجيح بين الآراء والخطط ، وتستحق الرعاية فى مواقف الحرج بين أقوى الاقوياء . واذا جاز ان تتفاهم الدول الكبرى على مواطن النفوذ فى كل قطر من الاقطار العربية ، فهى لا تستطيع بذلك ان تلغى ارادة الحكومة الوطنية، ولا ان تحرمها كل ما تملكه من وسائل الرفض والقبول، ووسائل التمييز والترجيح فى كثير من الشؤون الهامة . وتزداد قدرة الحكومات الوطنية على هذه الخطة كلما تراجعت الامور الى قرارها فى حالة السلام وانتظمت الهيئات الدولية التى يناط بها سماع القضايا القومية والفصل فى مظالم الشعوب .

واذا صحت بوادر التفاؤل فالواضح لنا الآن ان فرص الحرية تزداد وان فرص الاستعباد تنقص على تعاقب الايام . وان أمم الشرق العربى قد يكون لها دور فى تثبيت الديمقراطية ، تحتاج اليه أمم الغرب نفسها على ما لها من القدم الراسخة فى الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية . لان الحكم الديمقراطى لا يستهدف اليوم لخطر أعظم ولا أقوى من خطر المذاهب المادية الهدامة وفى مقدمتها الماركسية ، وكثيرا ما تقف العقيدة الديمقراطية عزلاء فى وجه المذاهب المادية التى تهددها بين الغربيين . اما فى الشرق العربى فهذه العقيدة الناشئة تعززها العقائد الروحية العريقة التى تزعزعت بين كثير من الطوائف الغربية ، ومن مصلحة الاقوياء فى أوربا وأمريكا أن يتاح للشرق دوام الايمان بالحرية الديمقراطية كما تتاح له العصمة من الفاقة وسوء المعيشة . فان هذا الشرق اذا انقلب على الديمقراطية، وضعفت فيه الثقة بالعدل الاجتماعى فلن ينقلب وحده ، ولن يقف اثر انقلابه عند حد من الحدود فى القارتين الاسيوية والافريقية ، وليس وقوع هذا المحظور بالخطب الذى ينجو العالم كله من عقباه

ان جامعة الامم العربية عنوان صادق للاتجاه الجديد فى ميزان العلاقات الدولية ، ومن كان يمارى فى الاتجاه الجديد الذى تتجه اليه الانسانية فى العصر الحاضر ، فعليه ان يرجع خمسين سنة فقط الى الوراء لينظر أين كان مكان الامم التى لم تملك من الثراء والسلاح الا بمقدار ما تملكه الامم العربية اليوم . وليحسب الفارق بين ذلك المكان ومكان الجامعة العربية فى العصر الحاضر ، فانه فارق لا يستصغره على خمسين سنة الا رجل لا يحسن القياس

نعم اننا لا نملك من الصوت فى سياسة العالم ما يملكه الامريكيون والانجليز والروسيون، فهل معنى ذلك ان الانسانية لم تتقدم فى المعاملات الدولية ، ولم يطرأ عليها تغيير فى آداب السياسة العالمية ؟ .. كلا . . وانما معناه ان الدنيا لا يزال فيها الاقوياء والضعفاء ، ولا يزال فيها السابقون والمتخلفون ، وسبيلنا اذا أردنا ان تبطل شكوانا من هذا التفاوت ان ننشد القوة وان نتقدم الى الطليعة . اما أن تزول الفوارق بين بنى الانسان جماعات وافرادا فلا سبيل اليه ، ولا حيلة للمؤتمرات ولا للمعاهدات فيه

عباس محمود العقاد

مركب النقص ..
فى حياتنا الاجتماعية

بقلم الاستاذ محمد فريد أبو حديد

النفس البشرية من أعجب أسرار هذا الكون الغامض . وقد حاول الانسان ان يفهمها منذ القدم ، ولكنه لم يصل بعد فى فهمها الا الى مبادىء أولية سطحية . ومع ذلك فان فهمه الضئيل لهذه المبادىء الاولية ، لا يزيد على ان يكون تأويلا ، يختلف فيه أفراد الباحثين والعلماء اختلافا عظيما ، يكاد يجعلنا فى شك عظيم من حقيقتها

ولكن هناك حقيقة لا ينبغى لاحد ان يشك فيها ، وهى ان تلك النفس البشرية كيان بديع بعيد الاغوار ، له قدرة عجيبة على تسجيل التجارب التى تمر بالانسان وفيها مرونة لا حد لها تجعلها قادرة على الاحتيال لملاءمة الظروف التى تحيط بالفرد بطرق لا حصر لها بعضها طرق مباشرة وبعضها طرق ملتوية

***

وهناك فى الادب الانجليزى قصة رمزية أرى من المناسبة أن أشير اليها هنا، لانها تصور النفس البشرية ، ومقدرتها على تسجيل التجارب التى تمر بالانسان وهى قصة « صورة دوريان جراى » للمؤلف القصصى الكبير الانجليزى « يوسف كراد » . وهى تتلخص فى ان شابا من أبناء الأعيان ، وهب الله له صورة من أجمل صور الخلق الجسمانى وقد رسمت له صورة عجيبة ، أودع فيها الفنان الذى رسمها كل فنه ، فصارت كأنها كائن حى ، لا يمكن ان يفرق أحد بين دقائق ملامحها ودقائق ملامح الفتى . وكان فى تلك الصورة سر عجيب وهو انها تسجل الانفعالات النفسية التى تعترى صاحبها ، فكان الشاب كلما أتى فعلا من الافعال تغيرت ملامح الصورة العجيبة تغيرا مناسبا لفعله . فاذا ارتكب عملا من أعمال القسوة ، اعترى الصورة تغير فى صورة شفته السفلى مثلا ، فالتوت التواءة صغيرة ، تنم عن أثر من القسوة . واذا ارتكب عملا من أعمال الخيانة ، اعترى صورته تغير آخر عند العينين ، فصارت نظرتهما زائغة بعض الشىء وهكذا . فما زال الشاب يقارف ما يقارف من الحياة ، وصورته تتغير فى كل مرة بعض التغير ، مع بقاء جسمه على ما كان عليه من جمال الخلقة ونضرة الشباب ، حتى آل أمر الصورة أخيرا الى ان صارت شوهاء ممسوخة منكرة وصار الشاب نفسه لا يحب النظر اليها ، وصارت حياته جحيما، حتى لم يقو على البقاء فيها

***

وليست هذه الصورة الا رمزا للنفس البشرية ، التى لا يخلو عمل من الاعمال من ان

يترك فيها أثره . فهى سجل لكل مايختلج فى الانسان من العواطف وما يمر به من الانفعالات والرغبات والاعمال .

وقد وافق علماء النفس على هذه النظرة فى مجمل مذاهبهم ، فهم يقررون ان النفس الانسانية تدخر ما يمر بها من التجارب . ولكنها تلقى تلك الذخيرة المدخرة فى كثير من الاحيان فى أغوارها الباطنة ، حتى تبعدها عن ادراك العقل الواعى ، فلا يذكرها الانسان فى حياته المعتادة مع انها تكون باقية هناك فى طى الخفاء تعمل وتوجه أفعاله ولا تخمد أبدا . فهذه الآثار الباطنة التى تتسرب الى أعماق النفس البشرية ، هى السر الذى يكمن فى أعمال الافراد ، وهى المحرك الاكبر لهم فى مواقف الحياة . فالافراد يختلفون فى أعمالهم وتصرفهم اذ وجدوا فى ظروف واحدة ، وهم انما يختلفون مع ان ظروفهم واحدة لان تلك الدوافع الباطنة ، تختلف باختلاف الآثار النفسية المدخرة من الماضى فى الاعماق الخفية البعيدة عن ادراك العقل

والمجتمعات مثل الافراد ، تصدر فى أعمالها عن دوافع كامنة ناشئة من الآثار النفسية الماضية المتخلفة عن القوى الباطنة فى الافراد . فالمجتمعات ليست الا مكونة من اعداد عظيمة من الافراد يعيشون فى بيئات واحدة ولظروف المجتمع تسبب فى نفوس الافراد الذين يعيشون فيه آثارا متشابهة . ولهذا كانت لكل مجتمع صفات نفسية عامة تميزه عن غيره ، وقد توفرت طائفة من العلماء على دراسة نفسية المجتمعات ، كما توفرت طائفة أخرى على دراسة نفسية الافراد من الانسان والحيوان . فالمجتمع من الناحية النفسية ، لا يختلف عن الفرد فى أنه كائن يصدر فى حياته عن الدوافع النفسية الكامنة التى تعمل فيه طى الخفاء . وقد حاول علماء النفس منذ القدم ان يسبروا تلك الاغوار البعيدة من النفس البشرية بطرق مختلفة ، حتى انتهى الامر بهم أخيرا الى ان أخضعوا بحثهم للوسائل العلمية ، واستطاعوا ان يكشفوا كثيرا من الاسرار العجيبة ، ولكنهم لم يقدروا بعد على ان يكشفوا تلك الاسرار كشفا واضحا ، لان النفس الانسانية أخفى من أن يتناولها البحث المادى ، ولهذا كانت بحوثهم معرضة للغموض الكثير . فهم يستعملون فى تعبيرهم أنواعا من التصوير المجازى ، تجعل أقوالهم شبيهة بالرموز التى يستعملها الصوفية والفنانون ، كلما دق عليهم المعنى ، وتعذر عليهم التعبير عنه بلغة الكلام العادى

فمن الطبائع البشرية التى يكثر علماء النفس من التحدث عنها بلغتهم الغامضة ، مايسمونه « بالعقد النفسية » أحيانا و « مركبات النقص » أحيانا . وهم يقصدون بهذا التعبير الغامض معنى بسيطا ، وان كان من الصعب تصويره باللغة المعتادة ، وسنحاول التعبير عنه فى لغة ساذجة

الانسان كائن حى يعمل على حفظ نفسه بكل وسيلة وهبتها له القدرة الالهية . فهو اذا تعرض فى ناحية من جسمه لميكروب قتال من ميكروبات الامراض ، سارع الدم الى ارسال الكرات البيضاء التى فيه ، لكى تقاتل تلك الميكروبات ، وتدفع غائلتها عن الجسم . وعند ما

تشتد حرارة الجسم على أثر حركة عنيفة، تمد غدد العرق الى افراز سائل مائي، وهو «العرق» لكي يتبخر على سطح الجسم ويعيد الحرارة الى اتزانها . واذا حدث التهاب فى بعض أغشية الجسم ، أسرعت بعض الافرازات الى تغطية الجزء الملتهب حتى تحميه من التلف . هذه كلها حيل وهبتها القدرة الالهية للجسم ، لتمكنه من الاحتمال على البقاء فى الحياة . وقد وهبت القدرة الالهية كذلك للانسان مقدرة أخرى على الاحتيال على البقاء اذا قابلته ظروف شديدة تسبب له اضطرابا عصبيا خطيرا ، فاذا كان الانسان يستطيع ان يتغلب على الصدمة التى تصيبه، انتهى الامر بأن تسجل النفس هذه التجربة القاسية فى سجلها، وتبقى ذكرى تلك الحادثة ماثلة فى السجل العقلى ، وتحدث فيه أثرها العظيم ، الذى نعبر عنه فى كلامنا المعتاد فنقول ان فلانا رجل مجرب أو انه قد حنكته التجارب ، أو أنه رجل خبير بالحياة الى غير ذلك من العبارات الغامضة ، التى تدل على أنه تعرض فى الماضى لصدمات نفسية أكسبته خبرة ، وسجلت اثارها فى ذاكرته لكى يكون عالما بطعمها ومعناها ، اذا تعرض فيما بعد لظروف مماثلة لتلك التى مرت عليه

وأما اذا لم يستطع الانسان تحمل الرجة العصبية ، فانه يحاول عند ذلك ان ينجو من الموقف بطريقة أخرى . فاذا تطاول النضال بينه وبين الموقف الشديد ، وشعر بأنه عاجز عن الاستمرار على ذلك النضال ، وأنه لا بد له من الخضوع والانهزام ، فانه لا يجد بدا من اخفاء شعوره فى طى النسيان — أو الى كبت شعوره كما يقولون — مع الشعور بالهزيمة . وهذا الكبت ما هو الا محاولة من الانسان ، لكى يسهل على نفسه التخلص من الموقف الشديد . ولكن ذلك الشعور المكبوت ، وان كان ينزوى فى الاعماق ، ويختفى عن الذاكرة ، لا يخلو من احداث أثره فى الاعماق النفسية ، بل هو لا يموت أبدا ، ويبقى هنا فى طى الخفاء ، يعمل عمله ويوجه أعمال الانسان فى وجهة خاصة يلونها بلونه . ومن هنا يقال ان النفس قد حدثت بها التواءات ، أو كما يقولون « عقد نفسية » أو «مركبات نقص»

وليس يعنينا هنا أن نطيل الحديث عن هذه العقد أو المركبات ، وعن حقيقة معناها ، وحسبنا أن نقول انها لا تزيد على أن تكون اضطرابات خفية فى الحياة العصبية ، تؤثر على مجرى الحياة بمقدار ما طرأ على الاعصاب من الخلل . وقد حسب بعض العلماء انه من الممكن مداواة هذا الشذوذ بوسائل مختلفة ، أهمها أن نكشف الغطاء عن سبب ذلك الشذوذ بأن نعرف السبب الذى أحدث الهزة العنيفة ، أو النزاع الرهيب بين الميول والارادة . وهم يحسبون انهم اذا كشفوا عن موطن الخلل ، وعرضوه للعقل الواعى وواجهوه بصراحة ، أمكن ان يتحول الشخص مرة أخرى نحو المسلك الطبيعى ، حتى ينتهى به الامر الى استعادة سلامته النفسية بعد حين

ومهما يكن من أمر هذه الآراء ، فانه مما لا شك فيه أن الحوادث التى تمر على الانسان فى حياته ، وتهز نفسه ، وتؤثر فى وجدانه ، لا تمر به عفوا بغير أن تترك فيه أثرها . فالميراث النفسى الذى يتراكم عند الانسان فى حياته ، لا يكون على الاكثر من مخلفات ميراث

الاجداد ، بقدر ما يكون من أثر ظروف الفرد نفسه وحياته الخاصة

وقد أدى بحث العلماء الى بعض نتائج يبدو لنا انها أصبحت ثابتة ، رغم كل الاختلاف الذى يقع بينهم فى شأنها . فانهم يكادون يجمعون على أن الرغبات الجنسية ذات أثر عظيم فى حياة الفرد ، وان كبت هذه الرغبات الجنسية يسبب للفرد أنواعا من الاضطراب، يظهر فيما بعد فى حياته فى مظاهر شتى . فقد يظهر فى شكل مرض عصبى ، وقد يظهر فى شكل نوع من الضعف الاجتماعى ، فيسبب للمرء شعورا بالنقص يلازمه فى كل أعماله فى الحياة .

وكذلك يكاد العلماء يجمعون على أن علاقة الفرد بالمجتمع ، ذات أثر عظيم فى حياته . فاذا هو لم يستطع أن يحل فى مكانه من المجتمع ، وينسجم معه لسبب من الاسباب ، أدى ذلك الى خلل نفسانى عميق الاثر ، يلازمه فى كل حياته ويجعله كما يقولون فردا « غير اجتماعى » ــ أو عدوا للمجتمع ، فى صورة من الصور الكثيرة التى يظهر فيها هذا العداء

فاذا كان شخص مصابا بعيب جسمى مثلا ، وكان هذا العيب مانعا له من أن يحتل مكانه فى المجتمع كفرد عادى ، اعترته هزة عاطفية شديدة ، وتغلغلت فى أعماق نفسه ، حتى تلون حياته المقبلة كلها ، بغير أن يشعر بحقيقتها ولا بآثارها . فقد ينطوى الفرد على نفسه ، ويبعد عن المجتمع ، وقد يحاول ان يداوى موقفه الشاذ ، بأن يبحث عن ميدان يبرز فيه ، ويظهر امتيازه . فاذا كان له فى الفن استعداد اتجاه ، وعكف على اظهار نفسه فى ميدان الفن ، واذا كان له فى الذكاء امتياز استخدمه، وجعله مطية يطمح بها الى السيادة على سواه ، وكثيرا ما أدى الشعور بالنقص الى تعمد التسلط والطغيان ، وهناك أمثلة واضحة على ذلك مثل تيمورلنك الذى كان فى أول حياته شابا ضعيفا، يصاحبه عيب جسمى منذ الصغر . فالشخص الذى يشعر بأن فيه عيبا يمنعه من احتلال مكانه يعتريه شعور خفى بالنقص ، يحمله على توجيه سلوكه فى الحياة توجيها خاصا ، بغير أن يحس بعقله الواعى انه يقصد ذلك

وقد تحدث الالتواءات النفسية فى الافراد بغير وجود عيوب فيهم تمنعهم من الانسجام مع المجتمع . وذلك اذا حال بينهم وبين ذلك الانسجام ، سبب من الاسباب كائنا ما كان . وقد يكون المجتمع نفسه هو السبب فى وجود العلاقة الاجتماعية المضطربة اذا كانت نظمه مختلة ، أو اذا كان خاضعا لقيود عتيقة تتعارض مع حاجات الحياة الواقعية . فاذا كان المجتمع منقسما الى طوائف غير متساوية فى الحقوق والواجبات ، تسيطر واحدة منها على الجميع ، وتبسط سلطانها على جمهور الناس ، وتوقع به المظالم بغير قيد على سلطتها ، فان الفرد الذى يعيش فى مثل ذلك المجتمع يجد نفسه مضطرا لكبت شعور الكراهة للظلم ، أو مضطرا للانطواء على نفسه ، مباعدا ما بينه وبين مواطنيه . وقد لا يستطيع هذا ولا ذاك ، فيعمد الى الثورة على ذلك المجتمع ويأبى الخضوع لمظالمه ، وفى كل هذه الحالات تنشأ فى نفسه التواءات أو عقد ، تؤثر فى الخفاء فى مسلكه بغير وعى منه ، وهذه

هي التي يمكن ان نسميها « مركبات النقص الاجتماعية » أو « العقد النفسية الاجتماعية » فاذا كنا نرى فى مجتمعنا طوائف من الناس تعتزل الحياة وتزهد فيها ، وتلتمس حياة الرهبنة مثلا ، أو تعمد الى الحياة الصوفية ، فان لذلك دلالته الكبرى . فمثال هذا الاعتزال عن الحياة ، لا يكثر فى مجتمع الا اذا كانت ظروفه تعوق الناس عن الانسجام فيه . ومن الواجب على المجتمع الذى تكثر فيه الرغبة فى اعتزال الحياة ، أن يبحث عن سبب الخلل النفسانى الذى يدفع الأفراد الى ذلك الاعتزال ، لانه قد يؤدى الى آثار أخرى تلحق بالمجتمع أعظم الاضرار . فقد يؤدى ذلك الخلل نفسه الى أن تصبح الحياة مزدوجة قائمة على النفاق ، وان يجتهد الأفراد فى احداث الانسجام بينهم وبين المجتمع فى الظاهر ، مع بقاء تباعدهم عنه فى الباطن . وفى مثل هذا المجتمع تنشأ الخيانة ، وتوجد « الطوابير الخامسة » كما تكثر الجرائم التى تدل على عداوة المجتمع ، مثل الاعتداء على الاموال والأنفس ، ويكثر التبذل الاخلاقى ، وتحدى النظم الخلقية المعترف بها . وذلك لان الخلل الذى اصاب علاقة الفرد بالمجتمع يؤدى الى تحطيم كل الروابط التى تربط بين الفرد ومجتمعه ، وعدم الاعتراف بها فى صور من الصور المتعددة التى تتمثل فى الحياة

وقد يظهر الخلل الاجتماعى فى صور أخف من تلك التى أشرنا اليها فيما سلف . ولنضرب لذلك مثلا واضحا فيما تقع عليه أبصارنا كل يوم . فاذا نحن جلسنا فى عربة ترام أو عربة أوتوبيس ، كان من السهل علينا أن نرى اشخاصا يسترعون الانظار بأحاديثهم وضحكاتهم العالية ، أو فكاهاتهم الماجنة . وكثيرا ما نرى منهم من يبصق على الارض بغير احتراس ، أو يدوس على أقدام الغير بدون اعتذار ، فاذا وجه نظره الى ذلك أجاب متحديا بلفظ نابٍ

فهذه المسالك كلها تدل على أن الافراد غير منسجمين مع المجتمع الذى يعيشون فيه ، ولا يسالمونه ولا يعترفون بحقوق أعضائه الآخرين عليهم . وأهم شىء فى نظرهم أن يسترعوا الانظار أو يجدوا لانفسهم مكانا فى المجتمع ولو بالعنف

وقد يظهر الخلل الاجتماعى فى صورة أخرى ، نضرب لها مثلا آخر نراه فى مجتمعنا ، ولا سيما فى هذه الايام ، فانا نشاهد الكثيرين من الافراد ، يحاولون أن يقحموا أنفسهم فى الصدر فى المجالس ، ويحاولون بتصرفاتهم أن يظهروا للغير أنهم من الطبقة الممتازة . وهذا السلوك كثير الوقوع فى المجتمعات التى توجد فيها طبقات مختلفة ، بينها فروق اجتماعية واسعة . فعند ما تحدث التقلبات الاقتصادية السريعة كتلك التى حدثت فى أثناء هذه الحرب تتغير الحالة المالية لكثير من الافراد ، حتى يصبحوا أهلا لان يعتبروا من أعضاء الطائفة الممتازة ، بعد أن كانوا من أهل الطبقة الدنيا . فهم يحاولون بسلوكهم دائما أن يقاوموا الشعور القديم الخفى فى أعماق نفوسهم بأنهم من الطبقة الدنيا ، ويعملون جهدهم على الظهور بمظهر طبقتهم الجديدة الممتازة ، وهؤلاء يكونون فى العادة أشد الافراد مغالاة فى التمتع بامتيازات الطبقة التى أصبحوا منها ، وقد جرت العادة أن حدوث مثل

هذا الانتقال السريع فى أفراد الطبقات ، مع وجود الفواصل الاجتماعية الكثيرة بين طبقات المجتمع ، تؤذن باضطرابات اجتماعية خطيرة . فاذا نحن تأملنا فى حال مجتمعنا الحاضر من هذه الناحية ، كان علينا أن نحذر كل الحذر من المستقبل ، ونتخذ العدة لمقاومة الفروق الاجتماعية بين طبقات الامة

وهناك مثل آخر نشاهده فى سلوكنا الاجتماعى ، فكثيرا ما نرى من الشبان والشابات من يعمد الى التحلل من القيود الاخلاقية ، التى كانت من قبل موضع الاحترام . وهؤلاء لا يقنعون بالتحلل فى صمت وهدوء ، بل يجاهرون بالتحدى والعصيان

وهذا السلوك واضح الدلالة على أن هؤلاء العصاة ، يريدون أن يظهروا نوعا من العداء للمجتمع ، لانهم لا ينسجمون معه . وهذا العداء ما هو الا نتيجة لشعور كامن فى الفرد ، بأنه منبوذ ، وهو شعور ناشىء من نضال عنيف بين التقاليد المتمكنة من النفوس ، وبين الميول الناشئة من ظروف الحياة الجديدة . وهذا يدل على أن المجتمع متقيد بقيود تقليدية ، مع تغير الظروف التى كانت سببا فى وجود هذه القيود التقليدية . ولا بد أن ينبهنا هذا المظهر الى ضرورة اعادة التوازن بين التقاليد الاجتماعية والظروف

***

وقد قدمنا فيما سبق ذكره أن أكثر ما يحدث الاضطراب النفسى نتيجة لخلل فى العلاقات الجنسية أو فى العلاقات الاجتماعية . فاذا كان المجتمع خاضعا لتقاليد شديدة ، تؤدى الى كبت الشعور الجنسى كبتا شديدا ، أو الى تقييد الحياة الاجتماعية تقييدا شديدا ، فيتعرض ذلك المجتمع لانواع مختلفة من العقد النفسية التى تظهر لها آثار عجيبة ، يخيل الى الانسان انها لا علاقة لها بالشعور الجنسى ، ولا بالقيود الاجتماعية مع انها فى الحقيقة ليست الا نتائج مباشرة لها وان أسدل عليها ستار خداع يخفى حقيقتها

فاذا كان المجتمع ينظر الى العلاقة الجنسية نظرة الريبة ، ويتشدد فى علاقة الرجال بالنساء ، كما هو الحال فى البلاد الشرقية الى عهد قريب — ان لم يكن الى اليوم — فان أفراد ذلك المجتمع يكونون مضطرين الى كبت الشعور الجنسى ومحاولة اخفاء وجوده عن العقل الواعى ، ولكن وقع ذلك الشعور الجنسى لا يلبث أن يظهر تحت مظاهر خداعة شتى . فتصبح نظرة الرجال الى النساء فى مثل هذا المجتمع نظرة غير مباشرة . فقد خلق الله الرجال والنساء لكى يحب كل جنس منهما الآخر ، ويتزاوجا ليحفظا الجنس البشرى . فشعور المحبة من أحد الجنسين نحو الآخر ، انما هو شعور طبيعى له وظيفة مقدسة ، ولا يمكن ان يقاوم . كما أنه من الواجب أن تنظر اليه نظرة صريحة ، عالمين بوظيفته الحيوية الخطيرة . فاذا اضطهد هذا الشعور ، فان الافراد يضطرون الى توجيهه الى مسائل شتى . ففى ناحية من النواحى يصبح الشعور الجنسى المكبوت ، عبارة عن قوة دافعة خفية ، تعمل على اختلاس اللذة الجنسية فى الخفاء ، ولا تلبث هذه القوة أن تظهر بآثارها

الاجتماعية الخطيرة . وليست تجارة الرقيق الابيض « الدعارة » سوى نتيجة لسوء اتجاه الشعور الجنسى المكبوت . والمجتمع الذى يشيع فيه سوء الظن بالعاطفة الجنسية ، يصبح فيه سوء الظن شائعا بين الجنسين . فيشيع بين الرجال نوع من شعور الصائد المعتدى ، ويشيع بين النساء نوع آخر من شعور الخداع ، الذى يؤدى الى الخيانة عند ما تتاح فرصة اختلاس اللذة الجنسية

وقد يتجه الشعور الجنسى المكبوت اتجاها آخر ، مخالفا لذلك الاتجاه الذى ذكرناه . فبعض المحرومين من النساء والرجال يحاولون التسامى بشعورهم الجنسى ، ويعمدون الى تبرير انحرافهم الجنسى تبريرا عقليا بطرق شتى . وقد يؤدى ذلك التسامى بالشعور الجنسى الى الاندفاع نحو الهيام الشعرى الباكى ، الذى يتغنى بالحب تغنيا عقيما مثل غناء المجنون بليلى وغناء قيس بلبنى . بل قد يتعدى ذلك الى التغنى بالحب المجرد ، بغير توجيه الى شخص معين ، وقد يتجه الى التغنى بحب ذات عليا ــ مثل الذات الالهية أو نحوها ــ كما هو واضح فى شعر أمثال ابن الفارض

فهذا النوع من فيض الشعور خاص بالمجتمع الذى يسىء الظن بالشعور الجنسى ، وهو نوع من الستار الذى تضعه الطبيعة البشرية فوق الحقائق الخفية ، لكى تمكن الافراد من التنفيس عن القوة الكامنة المكبوتة

وأمثال هذه الاغانى الحزينة المنبعثة من الشعور المكبوت ، تؤدى دائما الى اشاعة أنواع من الشعور الكاذب فى المجتمع ، وتلون الثقافة الشعبية فى مجموعها بلون خداع من العفة الحزينة . وهى تقتل فى ذلك المجتمع شعور الحياة الحقيقى ، ولا بد من مقاومته والكشف عن سر مبعثه وعلاجه بالطرق الطبيعية . فالمجتمع لا يمكن أن يصلح للحياة ، الا اذا كانت مجريات حياته تتجه فى اتجاهها الطبيعى الصريح السليم . ولا يستطيع شعب أن يحيا اذا كان مكونا من أمثال مجنون ليلى ، وقيس لبنى ، بل يحيا اذا كان مكونا من النفوس الطبيعية الصريحة ، مثل خالد بن الوليد الذى لم يتردد فى اظهار محبته للمرأة ، فى ظروف شديدة كانت تدعو الى التردد والحذر

***

وهناك مثل آخر من الشذوذ الذى يعترى المجتمع من جراء التقاليد الشديدة الوطأة . فالخمر مثلا تحرم تحريما شديدا فى البلاد الاسلامية ، ولكن الخمر كانت منذ أقدم العصور تدعو الانسان اليها ، وليس التحريم الشديد للخمر الا دليلا على وجود الميل الانسانى الشديد نحوها . فكل تحريم يدل دلالة قاطعة على وجود ميل انسانى شديد نحو الشىء المحرم . ولكن ذلك التحريم لم يمنع المسلمين منذ أقدم العصور من شربها فى الخفاء مع الشعور بالجريمة . فكان الذى يشرب الخمر يشعر بأنه قد أتى أمرا محظورا ، ويحاول تبرير جريمته بعقله ، فيعمد الى التسامى بالخمر الى مرتبة معنوية ليست لها فى الحقيقة . ولهذا نجد فى الأدب العربى بابا عظيما للخمريات ، لا نجد مثله فى أى أدب آخر ، وقد

شاع ذلك النوع من التبرير الخداع فى الثقافة الشعبية ، فكثيرا ما نجد مجالس الخمر مصحوبة بأنواع من الفن كالغناء والرقص ، وكثيرا ما قرنت الخمر بالحب فى الشعر . وحسبنا أن نذكر أشعار عمر الخيام لكى نعرف الى أى مرتبة عليا من التقديس أوصل الادب الشرقى شيئين حرمتهما التقاليد وأساءت بهما الظنون ، وهما الخمر والحب . وقد يطول بنا القول ، اذا مضينا فى التحدث عن هذه الناحية من النفسية الاجتماعية ، فحسبنا هذا ولننتقل الى موضوع آخر له أعظم الاهمية فى الحياة الاجتماعية عندنا

***

ان الحالة الطبيعية للفرد أن يكون عضوا فى المجتمع يحس بأنه يؤدى فيه واجبه كاملا، ويحصل على حقوقه كاملة ، على أساس التكافؤ والتعادل . ويكون الفرد فى هذه الحالة جزءا عضوا من جسم المجتمع منسجما معه ، شاعرا بأن كيانه مستمد من كيان ذلك المجتمع ، وحياته مرتبطة بحياة ذلك المجتمع

فى مثل هذه الحالة يكون مسلك الفرد متصفا بالاتزان المنبعث عن شعور بالكرامة . فهو يعرف حدوده ، ويلزمها لزوم الرجل الحر . فاذا أدى واجبه ، واطاع القوانين التى تحكم المجتمع ، فعل ذلك راضيا رضاء منبعثا عن الاختيار الحر ، ويكون فى مسلكه دائما ناظرا الى ضرورة وجود الانسجام بينه وبين من حوله من الاكفاء . فاذا اختلت علاقة الفرد بالمجتمع لسبب من الاسباب ولم يعد مكانه منسجما مع وضع المجتمع ، احدث الاختلال فى نفسية الفرد ، وصار يلتمس الوسائل الملتوية لاحتلال مكانه ، بشكل من الاشكال الشاذة . وعند ذلك لا يكون رائده فى مسلكه المعاملة الصريحة الناشئة عن الاختيار الحر ، بل يعمد بغير وعى الى شق طريقه فى المجتمع ، اما بطريق الاحتيال والتصرف الخفى غير الصريح ، واما بطريق القناعة بمكانة وضيعة ، يرضى فيها بمركز اجتماعى ضئيل ، لا يليق بعضو حر من الذين يقومون بالواجب مختارين ، وينالون الحقوق كاملة بغير تكلف . وعند ذلك ينفرط ما بين الفرد والمجتمع من الرباط ، فيصبح الفرد لا يعبأ بشىء من القوانين والتقاليد ، ويفقد تدريجا شعوره بالكرامة الاجتماعية فيأتى من الاعمال ما يحتقره المجتمع ، وينزل فى علاقته بمواطنيه ، الى مرتبة تشبه مرتبة العبيد . فلا يبالى ان يأتى بالمنكر المستهجن من السلوك ، ولا يقيم وزنا لآراء الغير . ومن السهل ان نلاحظ هذه الظاهرة عندنا فى كثير من الاعمال ، التى سنذكر منها طرفا فى هذا الحديث . ومن أكبر الدواعى التى تؤدى الى هذه النتائج ، وجود الفروق الكبرى بين طوائف المجتمع فى توزيع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية ، فان أفراد الطوائف المحرومة لا تلبث ان تحس انها منبوذة لا حرج عليها ، ولا ينتظر منها أن تقاس بمعايير المجتمع . فالطائفة التى تفقد الانسجام مع المجتمع ، تصدر فى سلوكها عن شعورها بالذلة وانعدام الكرامة ، ويظهر هذا الشعور فى مظاهر شتى ، فافرادها لا يعبأون بأن يأتوا من الحركات

ما تشمئز منه نفوس سائر المجتمع ، فهم مثلا يبصقون فى الطرق بغير مراعاة لاحساس الغير ، ويلتصقون بالغير فى المجالس العامة والمركبات العامة ، مع وجود أنواع القاذورات على أجسامهم وملابسهم ، ويبولون فى الطرق أو على الاكوام فى القرى ، ويتفوهون بالالفاظ التى تأباها الاذواق الى غير ذلك

وهم يرضون بأنواع من المعاملة ، ليس فيها مراعاة للكرامة ، فيقبلونها ولا يرون بها بأسا ، بل لقد تصبح تلك المعاملة شائعة ، حتى لا تجد الطبقات الاخرى بأسا بها ، لانها صارت معتادة . فجندى البوليس عند ما يسوق أحد الباعة فى الطريق ، ويدفعه دفعا عنيفا ويضربه بجمع يده على رأسه ، أو يقذف ببضاعته على الارض ، ويدوس عليها ، ثم يذهب به الى قسم البوليس ليوقع به عقوبة الحبس أو الحجز ، بغير اجراء قانونى ، وتصرف شائع نحس جميعا بأنه قد فقد خطورته فى أعين الجميع ، لانه صار تصرفا عاديا متوارثا من جيل الى جيل

والمجتمع الذى توجد فيه مثل هذه الطوائف التى فقدت كرامتها ، يشعر أفراده بغير وعى منهم بأن مجتمعهم أقل من المجتمعات الاخرى ، ولذلك يقل عندهم تقدير ما عندهم من الصفات ، وان كانت فى ذاتها صفات طيبة ، وتقل ثقتهم بانفسهم ، ويقبلون ما يرد اليهم من تقاليد المجتمعات الاخرى بغير مناقشة ، ويفضلون آراء الغير على آرائهم . وما ذلك الا لانهم يشعرون بالنقص فى أنفسهم ، ومن أول نتائج الشعور بالنقص فى المجتمع ، انه يكون من الصعب جدا على أفراده ، أن يجتمعوا على رأى أو أن يتفقوا على عزيمة واحدة . ولذلك سببان الاول انهم لا يثقون بأنفسهم ، ولا يظنون انهم يستطيعون شيئا ، ويكونون فى أعماق ضميرهم شاعرين بأنهم لا يليقون بطبيعتهم لشىء أكثر من أن يخضعوا لرأى يفرض عليهم . والسبب الثانى أن مثل هذا المجتمع الذى يشيع فيه الشعور بالنقص ، يحاول أفراده أن يعوضوا عن نقصهم بأنواع من الشعور المضاد لشعورهم بالنقص ، فيكثر فيهم الشعور الكاذب بالتفوق ، ولا يرضى بعضهم أن يخضع لارادة عامة ، لانهم لا يفرقون بين الخضوع للارادة العامة ، والخضوع لارادة شخص آخر . فكلهم يطمح الى أن يكون هو السيد وهو المطاع ، ولا يرضى بما يرضى به الرجل الحر الذى تعود حياة الكرامة ، من الخضوع للفكرة التى يتفق عليها الجميع ، ويرضاها عن طواعية رضاء الحر الذى يعرف كيف يؤدى واجبه مع ثقته من الحصول على حقوقه كاملة

هذه بعض ملاحظات عابرة عن السلوك الاجتماعى الناشىء من الشعور الخفى بالنقص . ولست أزعم بأنها مباحث علمية مقررة ، فما هى الا محاولات يراد بها تفسير مظاهر اجتماعية شائعة . ولكن علم النفس الاجتماعى مثل سائر أبواب علم النفس ، لا يزال يخطو أولى الخطى نحو البحث . ولعل هذه الملاحظات تكون حافزة لنا على التبصر فيما حولنا ومحاولة فهم البواعث على سلوكنا

محمد فريد أبو حديد

العيوب اللغوية والكلامية

بقلم الدكتور أمير بقطر

ان الفأفأة والتأتأة واللعثمة ليست عادة عيوبا تشريحية،
وانما هي في غالب الأحايين علل شخصية سيكولوجية،
أسبابها الخوف وجهل الوالدين بطبيعة الطفل

ترجع العيوب اللغوية والكلامية ، طورا الى الوراثة وطورا الى البيئة ، وفى بعض الاحايين الى كلتيهما ، فالطفل الذى يتأخر فى الكلام عن السن المعتادة ، يغلب أن يكون ذكاؤه محدودا ، ويبقى ذكاؤه محدودا طول حياته . والطفل الذى يولد فى أسرة اجتماعية راقية يكون فى الغالب أكثر ثروة فى مفرداته اللغوية من الطفل الذى يولد فى أسرة اجتماعية وضيعة . والظاهرة الاولى وراثية فى الغالب ، والثانية بيئية . وقد أجمع علماء النفس على ان الطفل العادى فى البلاد الانجلوسكسونية يبدأ الكلام فى سن عشرة شهور بكلمة ، ومن ثم تزداد مفرداته اللغوية تدريجيا فتبلغ اربع كلمات فى سن ١٢ شهرا و١٧ كلمة فى سن سنة و٣ شهور ، و٣٣ كلمة فى سن سنة و٦ شهور ، و١٤٢ كلمة فى سن سنة و٩ شهور ، و٢٧٢ كلمة فى نهاية السنة الثانية ، و١٥٩٠ كلمة فى نهاية السنة الرابعة و٢١١٩ كلمة فى نهاية السنة الخامسة ، و٢٢٨٥ كلمة فى نهاية السادسة وهكذا .

ولاسباب مجهولة ، منحت الطبيعة الانثى جهازا تشريحيا جعلها تفوق الذكر فى القوة الكلامية . فقد وجد ان الانثى بين الشهر الثامن عشر من عمرها والعام الخامس ، اكثر وضوحا فى كلامها من الذكر ، وأطول جملا ، ووجد انها تتفوق على الذكر فى كل شىء يتعلق باللغة ، من نطق ومفردات وتفهم المعانى وطلاقة ووضوح الى سن العاشرة وفى كثير من هذه المزايا الى سن متأخرة

أما العيوب الكلامية كالفأفأة والتأتأة واللعثمة واللكنة فيصاب بها من ٣ ٪ الى ٤ ٪ من الاطفال فى أوربا وأميركا ، على ان عدد المصابين بها من الذكور فى المدارس الابتدائية هناك يبلغ ثلاثة أمثال المصابات به من الاناث . وما يقال فى هذه يقال فى عيوب الكلام الانفية (الخنف) والحلقية وغيرها

وقد وجد بالاحصاء والملاحظة ان الاطفال الذين يكونون أكثر اتصالا بوالديهم أو مرضعاتهم أو الكبار بوجه عام ، أكثر تفوقا على أمثالهم ممن يتصلون بالاطفال

أكثر من اتصالهم بالكبار . لذلك نجد الطفل الوحيد فى الأسرة غنيا فى مفرداته اللغوية ، سليما فى نطقه ، واضحا ، فى أغلب الاحايين لاتصاله بالكبار . وعلى النقيض من ذلك نجد الطفل الذى تكثر أمه من المواليد أقل ثروة فى مفرداته اللغوية وأكثر تأخرا فى سلامة النطق وجودة الكلام ، لاتصاله باخوته واخواته أكثر من اتصاله بوالديه . ويستثنى من ذلك الحالات التى يدخل فيها عامل الذكاء ، اذ يغلب ان يكون الأطفال فى الاسرة التى تكثر فيها المواليد ، أقل ذكاء منهم فى الاسرة التى تقل فيها المواليد

ومما يعزز نظرية التفوق اللغوى والكلامى وعلاقته بمركز الطفل فى الاسرة ، ان التوائم أضعف المواليد لغة وكلاما من الاخوة غير التوائم ، وان التوائم المتماثلة – أى المولودة من بويضة واحدة – أضعف لغة وكلاما من التوائم الاشقاء – أى المولودة من بويضتين أو أكثر – وذلك لان التوائم أقل اختلاطا بغيرهم من الأخوة الاطفال من سواهم. وان التوائم المتماثلة ، تتفق عيوبها الكلامية ويكونون عادة أكثر اتصالا بعضهم ببعض من التوائم الاشقاء ، اذ انهم يكونون على الدوام وبغير استثناء من جنس واحد ، ذكرا أو انثى بعكس التوائم الاشقاء فانهم يكونون فى الغالب ، وليس على الدوام ، من جنسين مختلفين وعلى ذلك يمكن ترتيب الأطفال وفقا لمقدرتهم اللغوية والكلامية كالآتى :

(١) الطفل الوحيد (٢) الطفل الذى له أخ أو أخت أو أكثر (٣) الطفل التوأم الشقيق « fraternal » (٤) وأخيرا وهو أضعفهم جميعا الطفل التوأم المتماثل « Identical »

ومن السهل اتقاء الضعف اللغوى والكلامى فى الاطفال التوائم وذوى الاخوة والاخوات بوضعهم فى بيئة يتصل بهم فيها الكبار أو بارسالهم الى روضة من رياض الاطفال الراقية، بشرط الا يكون الضعف ناتجا عن عيوب تشريحية أو أمراض جسمية

ومما يجدر التنويه به ان الفأفأة والتأتأة واللعثمة ليست عادة عيوبا تشريحية ، وانما هى فى غالب الاحايين علل شخصية سيكولوجية ، اسبابها الخوف وجهل الوالدين بطبيعة الطفل . مثال ذلك ان الطفل الأيسر يكون عرضة للانتهار والتخويف والسخرية من الجميع ، وبذلك يتلعثم لسانه كلما شرع فى الكلام . وقد وجد بالاحصاء ان هناك تلازما كبيرا بين اليسر والتلعثم أو الفأفأة أو التأتأة . ولعلاج هذه العيوب ، ينبغى أولا استشارة الطبيب ، فقد تكون هناك أمراض عضوية يجب قبل كل شيء العناية بها . وبعد ذلك يلزم ان يمهد السبيل للطفل فى حياته المنزلية والمدرسية، حتى يشعر بالطمأنينة وحسن المعاملة والراحة ، ويمتنع كل ما يعرضه للخوف والتعب والهزء وليعلم الآباء والأمهات والمعلمون ان اليسر فى الاغلبية الساحقة من الاطفال أمر طبيعى لا عيب فيه ، يرجع الى تركيب المخ ، ولا سبيل فى هذه الحالة الى حمل الطفل على استعمال يده اليمنى طالما كان تركيبه الفيسيولوجى لا يسمح بذلك . وأخيرا يجب ان يتولى علاج الطفل ذى العيوب الكلامية واللغوية طبيب نفسانى ، اذا لم يفلح فيه علاج آخر

وللكلام علاقة وثيقة بشخصية صاحبه . والطفل الذى يكثر من الثرثرة والكلام غير

المفهوم « babbling » منذ نعومة أظفاره ، يشب عادة ثرثارا كثير الكلام . كذلك الطفل الذى يكثر من الابتسام والضحك والصياح والصراخ والبكاء ، يشب ميالا لكثرة الابتسام والضحك والصياح والجلبة

وعلاقة الكلام بالشخصية لا تنحصر فى ثروة المفردات اللغوية أو سرعة الكلام أو طول الجمل والعبارات أو انتقاء الالفاظ ، وانما تتعداها الى حاجة صاحبها الى الكلام ، وتألمه اذا ما قيدت حريته فيه ، وأهم من هذا كله كيفية الكلام والتشديد على بعض الكلمات دون سواها ، ونبرات الصوت ، ورفع الصوت فى كلمات دون سواها وكل هذه تظهر شخصية الطفل منذ صغره

وكلام الطفل مركز فى ذاته ، يدور محوره حول نفسه . فاذا استمعنا الى اطفال يتحدثون معا ، تبين لنا انهم يتحدثون كثيرا ، ولكنا اذا أصغينا الى ما يقولون اتضح لنا انهم لايحادثون بعضهم بعضا الا قليلا ، ولكن كلا منهم فى الغالب يحادث ذاته . وذلك على النقيض من الكبار الذى يكون فيه حديث الواحد مثيرا لاجابة الآخر ، أو نتيجة له . وحديث الطفل ثمرة وجدانه وفيض عاطفته ، فى حين ان رياء الكبار ، وما تعودوه من تقاليد وآداب ومجاملات و « اتيكيت » يخفى الوجدان ويسدل الستار على حقيقة العاطفة

ويقول العالم النفسانى السويسرى «بياجيه» ان سبب هذه الظاهرة فى الاطفال — أى انصباب الكلام على ذواتهم — ان غريزة الاجتماع لا تنضج قبل سن السابعة أو الثامنة . والحديث الاجتماعى أو المتبادل لون من ألوان التعاون ، لانه أخذ وعطاء ، وهذا التعاون لا يمكن ان يدرك كنهه الطفل قبل هذه السن

وقد درس علماء النفس فى أمريكا ألوف الاطفال فى مدارس الحضانة والرياض وخارجها ودونوا كل ما فاه به هؤلاء الاطفال فى خلال عدة أيام ، واستنتجوا من هذه الدراسة :

أولا — ان الاطفال أنانيون

ثانيا — انهم ميالون لحب السيطرة فقد اتضح ان نسبة كبيرة من كلامهم أوامر مشددة — ونواه — لزملائهم

ثالثا — ان محور الكلام يدور حول ذواتهم

رابعا — انه قلما يبدو فى حديث الاطفال ما يدل على التواضع اذ وجد ان فى كل اربعمائة جملة ينطق بها الطفل توجد جملة واحدة تنبىء بميله الى التواضع أو الاقلال من أهميته .

ويقول العالم النفسانى السويسرى « يونج » ان الطفل لا يستعمل كلمة « أنا » الا حينما يميز بين ذاته والآخرين ، وانه سرعان ما يدرك انه « هو » غير سواه ممن حوله ، حتى ينطق بكلمة « أنا »

ويزعم البعض ان التفكير والكلام شىء واحد ، بدليل ان من الناس من يفكر بصوت مسموع ، فيحدث نفسه كأن أمامه صديقا يحدثه . كذلك وجد أن عضلات الحنجرة تتحرك تحت الاشعة حتى فى حالة صمت صاحبها ، أى ان هذه الحركة غير الظاهرة كلام

صامت أو تفكير . غير ان المشاهد كذلك ينفى هذا الزعم ، اذ ان الاطفال والكثيرين من الكبار ، تجول فى رؤوسهم أفكار لا يستطيعون التعبير عنها بالكلام وهذا دليل على ان الفكر شيء والكلام شيء آخر . ومن المتفق عليه الآن أن العيوب الكلامية واللغوية يتسبب عنها عيوب فى التفكير ، اذ من المستحيل ان يكون هناك فكر بغير كلام أو لغة . ولو كان الامر كذلك لكانت القردة والكلاب والفيلة والخيول تفكر

ومن العبث ان تحاول الام تعليم طفلها الكلام قبل ان تنضج العضلات والاعصاب والاعضاء اللازمة لجهاز الكلام . ولا يكفى أن تنضج هذه الاعضاء بل ينبغى فوق ذلك ان تتناسق وظائفها . وما يقال عن الكلام يقال عن المشى والسباحة والزلق على الجليد والقراءة . فالام التى تظن انها تستطيع ان تعلم طفلها المشى قبل الاوان بالمران ، تحاول العبث ، فالمشى يحتاج الى العضلات والاعصاب التى يتطلبها التوازن أولا والحركة ثانيا . كذلك العوم والانزلاق على الجليد « Skating » . ومن الغريب انه وجد ان السن التى يكون فيها الطفل مستعدا لتعلم العوم هى ستة شهور لا ست سنوات ، والتى يكون فيها مستعدا للانزلاق على الجليد ١١ شهرا لا ١١ سنة . اما القراءة فلا يكون الطفل مستعدا لتعلمها عادة قبل سن السادسة . وهناك علامات يمكنك ان تحكم بها اذا كان الطفل مستعدا لتعلم القراءة أم لا ، وهذه العلامات هى :

١ ـ ان يستطيع معرفة وجوه الشبه والاختلاف بين الاشياء

٢ ـ ان يميز الاشياء الناقصة فى الصورة كصورة رجل بغير أنف ، أو صورة كرسى بغير ساق

٣ ـ ان يستطيع تسمية أشياء مأخوذة من صميم بيئته فى حدود سنه

٤ ـ ان يستطيع معرفة ما فى صورة أو رسم بعد التأمل فيه بضع ثوان . كأن يقول هذا حصان يجر عربة الخ

وكما ان محاولة تعليم الطفل القراءة قبل استعداده يسبب عيوبا كلامية قد تبقى معه طول حياته ، كذلك الاخطاء التى يقع فيها المعلم مع الطفل المبتدىء قد تبلغ هذه الخطورة بالمتعلم . فالمعلم الذى يكثر من اصلاح الخطأ ، ويرغم الطفل على التكرار ، ويضع امامه مادة فوق متناوله ، وانتهاره اذا أخطأ ، واطالة الفترة المخصصة لكل درس ـ كلها تسبب عيوبا كلامية . وقد أصبح تعليم القراءة فنا يختص باتقانه معلمات من الطراز الاول . واذا ما أتيح لمعلم قديم من معلمى الاطفال ان يشاهد معلمة حديثة فى مدرسة حديثة فى نيويورك تعلم الاطفال المبتدئين القراءة ، توارى خجلا ، وأيقن انه جنى على ألوف من تلاميذه الصغار ، وسبب لهم آلاما وعيوبا لغوية لا حد لها . والقراءة عملية شديدة التعقد ، ولذا تكون آخر ما يتعلمه الطفل فى المسائل الآتية على الترتيب وهى : الرقص أولا ، يليه الرسم ، فالكتابة ، فالقراءة فى نهاية الامر

أمير بقطر

نساؤنا والأمومة !

بقلم السيدة بنت الشاطىء

« ... إلى التى أعدها للامومة الصالحة ، وأرجو أن تفخر بأمومتها »

فى مصر فئات ثلاث من النساء ، تقف اثنتان منها فى طرفين متباعدين ، وبينهما فئة ثالثة ، تقف متماسكة فى مركزها المتوسط بين هذه وتلك ..

ولكل فئة من هؤلاء موقفها الخاص من الأمومة ، وأسلوبها فى حمل عبثها وأداء رسالتها

أما الفئة الاولى ـ ولمن يشاء أن يسميها العليا أو الارستقراطية ـ فهن النساء المترفات الغنيات ، ومن لحق بهن من مدعيات الترف ، أو تشبه بهن من بنات الطبقة الوسطى . ومن الخطأ أن يحسب هؤلاء فى عداد الأمهات ، أو يحصين عند ذكر صانعات الأبناء ، فما تكاد الواحدة منهن تضع وليدها حتى تسلمه أيد أجنبية لمرضعات ومربيات ، هن غريبات عنه دما وخلقا وعقلا ونفسا ، واذا استطعن أن يقضين حاجته المادية القريبة من طعام وشراب ويقمن على رياضته وخدمته ، فانهن لا يملكن ـ بحال ما ـ تغذية طفولته بحنو الأمومة ، وامتاع روحه بدفئها ونعيمها ، مهما يكن حظهن من الثقافة والكفاية

***

ولئن مضى ناس يزنون الامور بميزان المنفعية ، ويرون أن الوالدة كانت مضطرة الى ارضاع طفلها فى عصور البداوة ، حين لم يكن من المستطاع تهيئة غذاء صحى كاف للطفل من سبيل آخر ، أما الآن وقد تقدم العلم واستطاع أن يجفف الالبان ويحفظها نقية معقمة، فلم تعد ثمة ضرورة تلزم الوالدة بارضاع الوليد ، متى رأت أن منفعتها الذاتية تقضى بغير ذلك ، كأن توفر على نفسها جهد الارضاع ، وتصون جمالها من ارهاقه ، وتحمى وقتها من الضياع فى غير ضرورة . على أن هؤلاء النفعيين ، ينسون أن مقياس المنفعية هو مقدار جدواها على نفس الانسان ، وما يحدث عنها من شعور الارتياح أو اللذة كما يقولون ـ فلو اننا جاريناهم فى مذهبهم ، واستعرنا أسلوبهم، لوجدنا وراء المنافع المادية الظاهرة ، لذائذ أخرى معنوية يجب أن تدخل فى الحساب . فالام حين ترضع طفلها وتتعب لراحته ، وتنفق من أعصابها وقوتها وقتها لتقيم حياته ، لا تفعل ذلك بغير ثمن . ولسنا نعنى بالثمن هنا ، ذلك الاجر المدخر الذى قد ينتظره بعضهم من الصغير حين يكبر فيرعى والديه فى شيخوختهما،

ويؤدى اليهما ما دفعاه له فى صغره ، فذلك ثمن محجب فى الغيب لا ضامن له ، وهو بعد مؤجل لا يرضى الذين يلتمسون المنفعة العاجلة . وانما الذى نعنيه هنا ، ان الأم تقبض ثمن خدمتها للطفل كافيا معجلا ، حين تتمتع برؤية هذا الانسان الصغير ، وهو يستكن فى حضنها ويستدر الحياة من نبعها المبارك الالهى ، الذى ينبثق من صدرها . ان الطفل الرضيع يأجر أمه ، اذ يستثير أعمق ما فى أمومتها من حنان ، وأنبل ما فى انسانيتها من عاطفة ، وأجمل ما فى نفسها من معنى ، وأقوى ما فى قلبها من حب ورحمة . وليس فى الدنيا أجمل من الصورة التى خلدها الفن للام ورضيعها ، وهما يتبادلان النظرات والابتسامات ، ثم تغمرهما معا نشوة مضيئة فاتنة يشعران فيها بالقرب الروحى العذب ، والحنان الغامر . .

ان الوالدة التى تحرم وليدها لبنها ، تقضى بيديها على هذه الصلة القوية التى تربط الام بابنها ، فينشأ شبه غريب عنها ، ويجد أثر الالف والملازمة والارتياح النفسى ، لامرأة أخرى سواها ، فكأنها لم تعد أن تكون وعاء لحمل الطفل . حتى اذا فصل انقطع ما بينهما ، ولم تبق لهما الاصلة ان سمعتها أذنا الطفل ، فما وعاها قلبه ، ولا تفتحت عليها عيناه !

ولعلنا لو مضينا نبحث فى أسباب وجود طبقة متحللة من أبناء الذوات ، لا تحتفظ بمقومات الأسر ، ولا تنقل خصائص السلالات من جيل الى جيل ، لوجدنا أن دفع الأبناء الى مراضع ومربيات أجنبيات عنهم ، مسئول الى حد بعيد عن هذه النقائص . فالطبيعة كونت الطفل من الام وفيها ، وغذته منها وبها ، لكى تتابع حفظ النوع وتحمى خصائص السلالة ، فأين يتحقق هذا فى طفل أسلم الى غير منبته جسما ، وغير أصله دما ونفسا وخلقا ومزاجا وعاطفة ؟

هنا أتجه الى ضمير المرأة « الراقية » وكل امرأة تعتد بنفسها وتعتز بشخصها ، وتدعى لنفسها خصائص مميزة ، أتجه الى ضميرها لأسألها كيف ترضى أن ترضع طفلها لبان من لا تحمل هذه الخصائص التى تعتز بها ؟!

ألا أكون قد أسديت اليهن معروفا ان أنا طالبت بتدخل التشريع لحماية بناء الأسر ، وحفظ الحق الطبيعى للطفل فى لبن أمه ؟

أحسب أن نعم

***

هذا حديث الفئة الاولى التى تقف فى أحد الطرفين المتباعدين ، وفى الطرف الآخر تقف فئة النساء الفقيرات المعوزات ، وهن ــ كأخواتهن الارستقراطيات ــ غير محسوبات فى عداد صانعات الابناء وان اختلفت الاسباب التى تدعو الى اسقاطهن من الحساب . وأنا أستغفر هؤلاء الراقيات ، من هذا الجمع بينهن وبين الفقيرات ، وأستأنف الحديث فأقرر أن المرأة المصرية الفقيرة ، لا تتردد فى بذل النفس بذلا فدائيا كريما فى سبيل صغارها ، ولكن تعوزها كل الوسائل لأداء حق الطفل من الرعاية ، وكفايته من الغذاء ، وحمايته من المرض أو الموت . والاطباء عندنا يرصدون حالة الطفولة البائسة فى شىء من الجزع ،

وينبهون من حين الى حين . الى خطر الفقر والجهل عليها ، وجنود الاصلاح الاجتماعى عندنا ، يشفقون من مصير الامة ، وهذا سوادها يستفرخ صغاره فى بيئة قذرة مريضة محرومة ، فيذهب الموت بأكثرهم ، وللباقين الفقر والجوع والحرمان

ولسنا فى حاجة الى وصف شقاء هذه الفئة ، فما يستطيع قلم أن يرسم صورة له صادقة معبرة ، ولكنا نراهم فى كل وقت ، وفى كل مكان من الوادى ، يدبون على الارض تحت أرجلنا ، هياكل ضئيلة ضالة ، وحطاما بشريا متصدعا مهزولا . .

***

وتبقى الفئة المتوسطة ، وهن نساء الطبقة التى لم يذلها الفقر والعوز ، ولم يفسدها الغنى والترف . وقد كانت هذه الفئة عندنا حتى الامس القريب ، قوام الحياة المصرية ، والمصنع الذى يورد للوطن حاجته من النساء والرجال . واستطاعت نساؤها أن يحملن الامانة على مر الايام ، وان ينقلن الشعلة من جيل الى جيل ، وكن ـ فى الغالب ـ أمهات من طراز ممتاز رغم شيوع الامية فيهن

وكثرتهن الكاثرة ، كانت بعيدة عن أضواء المجتمع ، وبنجوة من التيارات العنيفة الصاخبة التى تموج بها الدنيا خارج البيت ، والضجيج اللاغب الذى يصم الآذان فى معترك الحياة . وقد أتاح لها هذا البعد أن تستمرىء طعم الحياة البيتية ، وتفرغ لوظيفة الأمومة ، فظلت عاكفة على تربية أبنائها راضية النفس ، مرتاحة القلب ، هادئة البال ، مهما يقل حظها من الثقافة والعلم

ثم . . سارت عجلة الزمان ، وعلت فى أفق الوادى صيحات الحرية والنهضة والمساواة ، فأفزعت هذه الأنثى الوادعة ، وهزت كيانها فى كثير من العنف . فراحت نساء هذه الطبقة المتوسطة ـ التى هى قوام الشعب ـ يصغين الى تلك الاصوات وهى تهتف بهن أن يخرجن الى نور الطريق ، ففعلن . . فكاد ذلك يكون آخر العهد بالامومة الصادقة الصالحة التى صورتها لنا أمهاتنا وجداتنا ، وهن منصرفات بأبنائهن عن الدنيا ، مشغولات بتربيتهم عن المجتمع والناس ، عاكفات على صنعهم عكوف الفنان على تمثاله فى محراب الفن ومعبد الجمال

لم يكن لهؤلاء علم بالجبر والميكانيكا واللوغاريتمات التى تدرسها بناتهن اليوم ، ولم يكن يدرين ما الكيمياء ، وما الهندسة والطبيعة والحساب ، لكنهن كن يفقهن كيمياء الطعام ، ويعرفن هندسة البيوت ، وطبائع الازواج والاطفال ، وحساب المنازل

ولست أدافع عن أميتهن وأنا أستعد لأداء الامتحان لدرجة الدكتوراه فى الآداب ، ولكنى أقول ان واقع الحياة لا تجدى فيه كثيرا تلك الثقافة النظرية التى شحنوا بها أدمغتنا فى المدارس ، نحن والبنين سواء بسواء . .

ان أمية أمهاتنا لم تحل بينهن وبين ادراك واجبات الامومة ، وفهم طبيعتها ، وحمل رسالتها ، واتقان صنعتها ، على حين لا تعين الثقافة النظرية فتاتنا الحديثة على أداء وظيفتها

فى الحياة ، ان لم تفسد استعدادها لها ، وتنفرها منها

وتحضرنى الآن قصة ذلك النوتى الذى ركب تلميذ زورقه ، ثم راح يسأله فى عرض البحر ان كان قد تعلم الجغرافيا ؟ أو التاريخ ؟ أو الهندسة ؟ وهو يجيب فى كل مرة «لا» فهز التلميذ رأسه وهو يقول فى اشفاق : اذن لقد ضاع نصف عمرك ! ولم يكد يتم عبارته حتى هبت الريح ، وهاج اليم ، واضطرب الزورق حينا فوق الأمواج الثائرة ثم انقلب براكبيه فسأل النوتى التلميذ : أتعلمت السباحة يا هذا ؟ فأجاب : لا . فقال له النوتى معقبا : اذن لقد ضاع عمرك كله !

***

والفتاة الحديثة غير مسئولة عن هذا النقص فى اعدادها للامومة ، لانها حين استجابت لدعوة الداعين الى تعليمها ، دفعوا بها الى مدارس أنشئت ارتجالا على غرار مدارس البنين ، واستعيرت لها نظمها ومناهجها من غير تقدير للفروق الاصيلة بين طبيعتى الفتى والفتاة ، ومكان كل منهما فى المجتمع ، ووظيفته فى الحياة ، وعانت الامة من آثار هذا الشذوذ والخلط ما عانت ، حتى اذا شكا الشاكون من أبنائها ، راح المشرفون على تعليم البنات يسكتون الشكوى بانشاء بضع مدارس للثقافة النسوية ، لا يتجاوز عددها أصابع اليد ، مع تطعيم برامج المدارس الثانوية ، ببعض مواد نسوية هزيلة ، تدرس اضافية على هامش المنهج الاصلى الذى يتحد فى مدارس البنين والبنات جميعا ، وينتهى بامتحان موحد ، وشهادة متساوية

فلما لج الشاكون فى المطالبة بثقافة نسوية عالية ، أنشئت أربع معاهد فنية للتدبير والرسم والموسيقى والالعاب ، لكننا ما لبثنا أن رأينا طالبات هذه المعاهد جميعا ، يوجهن نحو الاحتراف توجيها خطرا مكشوفا ، فقد نص فى لائحة المعاهد على أن الغرض منها « اعداد معلمات لتدريس هذه المواد فى مدارس البنات » من غير اشارة — ولو عابرة — الى البيت والزوجية والأمومة

هنا تعرض لنا مسألة « الاحتراف » ، وهى من أخطر المسائل الاجتماعية للمرأة الحديثة ، لانها تمس حياتها فى الصميم ، وترتبط بكل المشكلات التى يثيرها الانقلاب الاجتماعى الحاضر

وللاحتراف عندنا حديث يطول فلا يتسع له المجال اليوم ، وأنا أدعه الى فرصة أخرى وأكتفى بالحديث عن تلك البدعة الجديدة التى ظهرت فى أفقنا ، وهى احتراف المتزوجات والأمهات لغير ضرورة . انها بدعة خطرة على المرأة ، وعلى الرجل ، وعلى المجتمع ، لان هذه الحياة المزدوجة تتلف أعصاب المرأة ، وتأخذ من أنوثتها ورقتها وجمالها على حسابها وحساب البيت

على أنه اذا كانت الضرورة الاجتماعية تدفع الى الجمع بين الاحتراف والزواج فى بعض الأعمال كالطب ، أو كانت ضرورة العيش تدفع بعض الفقيرات الى احتمال هذا العبء ، فلسنا نفهم معنى احتراف سيدات غنيات ، وأخريات لهن أزواج قادرون على

احتمال نفقتهن واعفائهن من العمل الخارجى ، كى يفرغن لادارة البيت وتربية الأبناء .

ولقد ظل احتراف الفتيات عندنا محتملا ، حتى رفع عنهن القيد الذى كان يلزمهن بترك الخدمة متى تزوجن ، ومن ذلك الحين بدأت المسألة تمس الأمومة من قريب ، وتجنى عليها جناية واضحة ، وتلك كبيرة فى حق الوطن

واذا بلغ بنا الامر أن تشكو المفتشات والناظرات فى وزارة المعارف من اللوائح «الظالمة» التى تمنحهن فى أيام الوضع اجازة اجبارية ــ بلا مرتب ــ قدرها شهر ونصف ، ويطالبن باباحة عودتهن الى العمل على أثر الوضع ، وأن تشكو معلمات التربية البدنية من حظر الجمع بين الزواج والوظيفة ، مع أن عملهن يقوم ــ أكثر ما يقوم ــ على الوثب والقفز والحركة العنيفة ، اذا بلغ بنا الامر هذا المبلغ ، فقد أمسى خطرا على الكيان الاجتماعى لهذا البلد المتطلع الى حياة كريمة

ويتحدثون هنا عن دور الحضانة التى انتشرت فى أوربا تبعا لازدياد حركة خروج النساء الى المعامل والمصانع ، والتى أنشأت حكومتنا عددا منها للعاملات الفقيرة ، وواحدة فى وزارة المعارف ، تضم أطفال المفتشات والناظرات بوجه خاص ، ولست أجد ما أصف به تلك المحاضن ، أبلغ من ذلك التقرير الذى نقله « الدكتور أحمد زكى » عن كبير من أطباء الغرب ، طالب فيه بالغاء المحاضن مؤكدا « ان ترك الطفل بين أغراب عمدا ، قسوة لاتأتيها أم عاطفة ، وشبه ترك النساء للاطفال فى المحاضن بترك صاحب السيارة سيارته فى موقفها من الشارع حتى يعود ، أو تركها فى الجراج حين لا يكون فى حاجة اليها . فالمحاضن عنده تشبه مواقف الحمير ، واذا ارتقت أصبحت مثل « الجراجات »

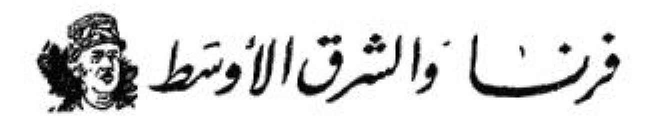
***

وبعد فان أقسى ما نشكوه فى الحركة النسوية المعاصرة انها غفلت عن خطر الأمومة فى حياة المرأة ، والأمة ، والانسانية جميعا ، فأغفلت توجيه الفتاة الجديدة نحو مكانها الطبيعى فى البيت ، واعدادها لوظيفتها الاولى فى الحياة ، ولم تمثل غايتها الاصيلة وهى تدفع بها الى المدرسة لتتعلم ، أو تخرجها الى الميدان لتحترف

ولئن كان هذا من آثار فتنتنا العمياء بمظاهر المدنية الغربية ، فان الغرب قد رجع من زمن غير بعيد عن هذا الضلال ، وراح يكافح فى رد المرأة الى مكانها الطبيعى فى البيت ، وقد كاد يفلح لولا هذه الحرب التى أكلت الرجال فأخرجت النساء الى المعامل والمصانع ثم الى ميادين الحديد والنار

واليوم تثب مشكلة اعادة النساء الى دورهن فى مقدمة مشكلات ما بعد الحرب ، فتشغل القادة وتقلق بال الزعماء ، وتسمع أحدهم يقرر « اننا لو عجزنا عن رد المرأة الى البيت ، لكانت تلك مأساة البشرية ، ولخسر العالم بهذا ، أقسى مما خسر بالحرب »

شوشاى بنت الشاطىء



بقلم الأستاذ محمد رفعت بك

ستكون بلاد الشرق الاوسط حقولا للتجارب تفيد منها الشعوب اذا صمدت وتمسكت بوحدتها ومصالحها، وهذه الحقول قد تنبت فيها أغصان الزيتون او اسنة الرماح ، وفقا للخطة التى تسلكها الدول الكبرى

يرجع تدخل فرنسا فى شؤون الشرق الاوسط الى نهاية القرن الثامن عشر ، حين تغفل نابليون بونابرت البحرية الانجليزية ، وقام بحملته على مصر ليقطع طريق انجلترا الى مستعمراتها فى الشرق ، وليؤسس لفرنسا فى الشرق الاوسط على حساب تركيا الضعيفة سلطانا استعماريا يعوض على فرنسا ما فقدته من مستعمراتها فى أمريكا وفى الهند .

فلما تنبه نلسون أمير البحر الانجليزى الى حقيقة أغراض بونابرت ، سارع فحطم الاسطول الفرنسى الذى حمل نابليون ورجاله الى الشرق ، وأخذت انجلترا تضيق عليهم الحصر البحرى من جهة ، وتؤلف المحالفات ضد فرنسا من جهة أخرى ، حتى يئس بونابرت من نجاح مشروعه العظيم فى الشرق ، وفر هاربا من مصر عقب ارتداده عن حصن عكا ، لتلحقه البقية الباقية من الحملة الفرنسية بعد ثلاث سنوات وثلاثة اشهر من تاريخ نزولهم بالبلاد .

***

ومع أن الحملة الفرنسية كانت عقيمة من حيث نتائجها الحربية ، فانها من الوجهة السياسية تعتبر بداية عهد جديد ، تفتحت فيه أعين الدول الى الاهمية الاستراتيجية والتجارية التى لبلاد الشرق الاوسط باعتبارها طريق الاتصال بالهند والشرق الاقصى من السويس والقاهرة والاسكندرية فى مصر ، ومن نهر الفرات وحلب واسكندرونه فى سوريا .

أما انجلترا ففطنت على الفور الى أن للشرق الاوسط مركزا حيويا بالنسبة لمستعمراتها فى الشرق ، وانه اذا فاتها فى مصر أو فى سوريا عدو لها تعرضت مصالحها للخسارة أو للضياع بتاتا . ولذلك لم تأل جهدا منذ ذلك الوقت فى انتهاز كل فرصة لتوطيد مركزها فى البحر الابيض المتوسط بصفة عامة وفى شرقيه بصفة خاصة .

أما فرنسا فظلت طوال القرن التاسع عشر تحن الى ذكرى الحملة الفرنسية وبطولة

نابليون فى الشرق ، وتعمل على توثيق أواصر القربى الروحية والثقافية والاقتصادية بينها وبين شعوب الشرق الاوسط ، حتى جاء الاتفاق الفرنسى الانجليزى سنة ١٩٠٤ فخيب أمل المصريين نهائيا فى قيمة الصداقة الفرنسية ، ثم جاءت الحرب العالمية الاولى فمهدت لفرنسا من جديد طريق التسلط السياسى فى شرق البحر الابيض المتوسط

***

وكانت فرنسا تعتبر نفسها نصيرة المسيحيين الكاثوليك فى بلاد الدولة العثمانية ، كما كانت روسيا تعد نفسها حامية الكنيسة الارثوذكية فيها . وقد تجلت حماية فرنسا للكاثوليك فى الشرق الاوسط بصفة فعلية فى لبنان ، حيث كانت الحروب الاهلية والمذابح لا تنقطع بين سكان الجبل من الدروز والمسيحيين الموارنة والمسلمين . وحدث فى عام ١٨٦٠ أن وقعت مذبحة قتل فيها عدد عظيم من المسيحيين ، فأرسلت فرنسا حملة حربية احتلت الجبل، واضطر الباب العالى بضغط من الدول الى اصدار دستور ينظم حكومة لبنان وفيه نص على أن يكون حاكمها مشيرا مسيحيا يعاونه مجلس مكون من اثنى عشر عضوا يمثلون الطوائف الثلاث المسيحيين، والدروز، والمسلمين . وقد استقرت الامور نوعا على أثر تنفيذ هذا النظام الشبيه بالاستقلال الذاتى ، وتحسنت موارد البلاد وزاد عـدد سكانها فلجأت طائفة نشيطة منهم الى الهجرة الى مصر والولايات المتحدة وجنوبى أمريكا ، وبقيت فرنسا ترنو ببصرها نحو سوريا ولبنان حتى وقف مسيو بوانكاريه رئيس الحكومة الفرنسية فى مجلس الشيوخ الفرنسى ذات يوم من أواخر سنة ١٩١٢ يقول : « ان لفرنسا فى سوريا ولبنان مصالح قد صممنا العزم على احترامها والمحافظة عليها » مشيرا بذلك الى خطر امتداد النفوذ الالمانى فى تلك الاصقاع

***

ولما قامت الحرب الكبرى الاولى ودخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا ، سارعت فرنسا الى تأييد مطالبها فى الشرق الاوسط ، فاتفقت مع بريطانيا بمقتضى المعاهدة السرية المعروفة باسمى المفاوضين الانجليزى والفرنسى على التوالى « سيكس ــ بيكو » فى عام ١٩١٦ على خطة مقتضاها أن تكون لبنان وسوريا بعد الحرب فى منطقة النفوذ الفرنسى وفلسطين والعراق فى منطقة النفوذ البريطانى

وتحرجت الحال فى سوريا فى أول سنى تلك الحرب ، اذ انتقم الاتراك من الوطنيين السوريين واللبنانيين الذين دأبوا على الاتصال بفرنسا لتحقيق أمانيهم الوطنية ، واتهمتهم تركيا بالخيانة العظمى ، فأعدمت منهم عددا كبيرا كانت دماؤهم أول ما غذى شجرة الحرية والوطنية فى سوريا الحديثة

وأخيرا قام الجنرال اللنبى بحملته ضد الاتراك فى الشرق ، فطاردهم من فلسطين أولا ودخل سوريا وانضمت اليه قوات العرب بزعامة الامير فيصل الذى دخل دمشق

ظافرا ، وأسس فيها سنة ١٩٢٠ حكومة ملكية عربية مستقلة ، ما كادت تضطلع بالاعمال حتى انبرت فرنسا تطالب بتنفيذ الاتفاق السرى بينها وبين بريطانيا ، فدخلت جيوشها سوريا واضطر الملك فيصل وأعوانه الى الجلاء عن البلاد . وفى سنة ١٩٢٢ وافقت عصبة الامم على انتداب فرنسا لسوريا ولبنان . ومع أن نظام الانتداب قد غير الأساس الذى كان يقوم عليه الاستعمار قديما، فجعل واجب الدولة صاحبة الانتداب العمل على مساعدة الشعب المنتدبة له ، وتهيئته لحكم نفسه ، وتقديم حساب عن كل ذلك الى لجنة الانتدابات بالعصبة - مع كل ذلك سارت فرنسا فى سوريا ولبنان وفق سياستها الاستعمارية التقليدية ، التى ترمى الى خدمة فرنسا الكبرى ، وادماج العناصر الوطنية داخل دائرة الجنسية الفرنسية المرنة ، فتغذى بها ثقافتها وجيوشها ، وتخرج فرنسا من ذلك كله قوية عزيزة الجانب ، شعارها دائما المبادىء التى ورثتها عن الثورة الفرنسية وهى الاخاء والمساواة - دون الحرية التى لم تسمح منها بقليل أو كثير للشعوب التى انتدبت لها. بل اختصت بها فرنسا وحدها - ودون الاستقلال أو الحكم الذاتى الذى لم تخط خطوة واحدة فى سبيل تحقيقه لبلد تحت سلطانها

***

ولما دخل الفرنسيون سوريا راعوا قبل كل شىء مبدأ التفرقة بين الشعوب الوطنية ، فكونوا جمهورية أكثريتها مسيحية فى لبنان ، يمكن ان توازن بها دولة سوريا ، وأوجدوا دويلات محلية مستقلة عن سوريا كجبل الدروز واقليم العلويين وسنجق اسكندرونه . كل ذلك لان الشعور بالاستقلال وبالوحدة العربية فى سوريا كان قويا ، وكانت فرنسه تخشاه بدرجة جعلتها تقسو فى مناهضة الحركة ، ففقدت بذلك المكانة الممتازة التى كانت لها قبل الحرب لا فى سوريا وحدها بل فى لبنان أيضا

ومما زاد السخط على فرنسا سياستها الاقتصادية العقيمة التى انتهجتها فى تلك البلاد ، فقد كانت ثمة رؤوس أموال كثيرة جاء بها السوريون واللبنانيون بعد الحرب من بلاد المهجر ، وخاصة من أمريكا ، وكان يمكن استغلالها فى اقامة المشروعات العامة وانشاء الصناعات الكبرى التى تصلح فى تلك الاصقاع مثل صناعة الجلود والصابون والاسمنت والحرير وحفظ الفواكه والعطور . ولكن فرنسا عرقلت هذه المساعى ، ولم تعمل على حمايتها أو تشجيعها بل على العكس من ذلك فتحت الابواب لبضائعها ، واختصت رجالها وشركاتها وجمعياتها التعاونية بكل موارد الرزق ومصادر الاستيراد ، وأعفت بضائعهم من الضرائب فضلا عن احتكارها بعض السلع وتعسف البلديات فى فرض اسعار بعض الحاجات الضرورية

***

وقد ظنت فرنسا انها بذلك تستطيع أن تطبق على شعوب شرقى البحر الابيض المتوسط نفس الاساليب والقواعد التى سارت عليها فى أملاكها بآسيا أو بافريقية ، ونسيت ان شعوب

البحر الابيض المتوسط شعوب راقية لها لغة وأديان الهية وفنون وأدبيات ، ولها تاريخ مجيد ومدنية اقتبست منها المدنية الحديثة نورا وعرفانا ، ولها آثار تحفزها الى العمل على استرداد مجدها الغابر . وقد كافحت هذه الشعوب أفرادا وجماعات عند ما أعلن العرب ثورتهم على الاتراك وضحوا وأبلوا بلاء حسنا لينعموا بالاستقلال الذى وعدوا به لا ليشقوا بالاستعمار الفرنسى

لذلك لم يكن غريبا ان تقوم الثورات ضد المستعمرين آونة بعد أخرى ، وان تفشل الدولة الحاكمة فى محاولتها كسب موافقة الشعب على بقاء الانتداب الفرنسى . وكانت فرنسا جريا على عادتها تعين حكاما عسكريين على هذه البلاد ، فلما قامت ثورة الدروز سنة ١٩٢٥ وتحرج مركز الفرنسيين حتى اضطروا الى ضرب دمشق بالمدافع مدة ثمان واربعين ساعة ، ثار الشعور العربى بل والغربى أيضا ضد تصرفات فرنسا ، فدعا ذلك لجنة الانتدابات فى عصبة الامم ان تنحى باللائمة عليها . لذلك عدلت فرنسا عن الحكام العسكريين وعينت من السياسيين ده جوفنل وبونسو وده مارتل على التوالى ، واستطاعت بذلك ان تخمد حركة الثوار مؤقتا ، ولكنها فشلت فى تنفيذ المادة الاولى من وثيقة الانتداب التى تقضى باصدار دستور نظامى لحكم البلاد

***

وفى سنة ١٩٣٦ قامت اضطرابات جديدة ، تضامن فيها السوريون واللبنانيون على أساس ان تحترم سوريا استقلال لبنان . وذلك على اثر الحركة التى ظهرت فى مصر سنة ١٩٣٥ وانتهت بتكوين الجبهة الوطنية المصرية وعقد محالفة الصداقة مع بريطانيا ، فقبلت فرنسا أن تنظم علاقاتها مع سوريا ولبنان على أساس استقلالها وارتباط كل منهما بمعاهدة تشبه المعاهدة التى تربط بريطانيا بالعراق أو بمصر

وقد عرضت فرنسا المعاهدتين على البرلمان الفرنسى لاقرارهما ، فلم توافق عليهما لجنة الشؤون الخارجية بالشيوخ ، وعادت الاضطرابات ثانية فى سوريا . وقد ساعد على تفاقم الحال ان فرنسا من تلقاء نفسها ، ومن غير ان تستشير سوريا نزلت لتركيا عن سنجق اسكندرونه (١٩٣٨-١٩٣٩) عربونا للمودة بينهما ، بحجة ان ٤٠ ٪ من سكانها من الاتراك وباقى السكان خليط من العرب وغيرهم . وكانت اسكندرونه داخلة منذ ١٩١٨ فى حدود سوريا الشمالية الغربية ، ويعد ميناؤها من أهم موانىء البحر الابيض المتوسط . وقد عز على سوريا أن يقتطع منها هذا الميناء على غير رضا منها ، وبعد ان ضمت اليها الاجزاء الاخرى التى كانت فرنسا قد فصلتها عن سوريا ، ولا تزال سوريا تئن من هذا الجرح الى الآن

***

ولما قامت الحرب العالمية الثانية ، بدت أهمية سوريا ولبنان من الوجهة الحربية فى وقت

كانت فيه دولتا المحور تهددان مصر غربا وأقاليم الشرق الاوسط شمالا ، وكان الحلفاء يستمدون من حيفا وطرابلس البترول اللازم لهم من آبار الموصل بالعراق . فقرروا تحرير سوريا ولبنان من قوات حكومة فيشي التي كانت تحتل البلاد ، وقام الشعب يؤيد الانجليز والفرنسيين الاحرار . فتم بذلك تحرير البلدين سنة ١٩٤١ واعلنت فرنسا الحرة بموافقة بريطانيا والولايات المتحدة استقلال الجمهوريتين الناشئتين

غير ان نيات فرنسا الحقيقية ما لبثت ان ظهرت في نوفمبر سنة ١٩٤٣ على أثر ما وضح من جهود الجمهورية اللبنانية الجديدة في سبيل تحقيق سيادتها ، ومناصرة حركة الوحدة العربية ، مع عدم الاعتراف لفرنسا بحق الانتداب . فاعتقل المندوب الفرنسي رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الحكومة وعددا من الوزراء والزعماء . ولما علت صيحة الاحتجاج على هذا الاعتداء الصارخ من جانب مصر وسائر الدول العربية ، اضطرت فرنسا الى الافراج عن المعتقلين بعد فترة وجيزة . ولكن جو العلاقات بين فرنسا والشعبين ظل ملبدا مكفهرا كما كان

***

ولما تحررت فرنسا أخيرا ودقت أجراس النصر في أوربا اندفعت فرنسا بغريزتها التقليدية نحو المحافظة على امبراطوريتها ، وأوجست شرا من تكوين جامعة الامم العربية، التي كان لسوريا فضل السبق في التبشير بها ، فجعلت تعزز قواتها في سوريا ولبنان ، واهمة انه متى جاء الوقت المناسب أملت ارادتها بالقوة على الجمهوريتين . وبينما كانت المفاوضات جارية بشأن انشاء الجيش الوطني ، وتسلم بعض المصالح التي كانت تباشرها فرنسا ، اذ ثار الشعور الوطني ضد تصرفات فرنسا ، وسرعان ما أعاد الفرنسيون مأساة سنة ١٩٢٥ فتعرضت دمشق وحلب والمدن السورية الاخرى لفتك المدافع الفرنسية من جديد ، كأنما كان الحلفاء يسلحون الفرنسيين الاحرار لاعلان الحرية داخل فرنسا وللبطش بها في الخارج !

ومن سوء طالع فرنسا ان جاء اعتداؤها على استقلال البلدين في الوقت الذي دعتهما فيه الدول الكبرى الى مؤتمر سان فرنسسكو لتنظيم السلام واقرار الحريات ، فكانت هذه الدعوة بمثابة تأكيد لاستقلالهما . ولعل الميثاق الذي اقترحه مندوبو الامم المتحدة في سان فرنسسكو أن يكون تأييدا جديدا لحق هاتين الدولتين في الاستقلال والمساواة في السيادة مع سائر الدول ، لا فرق بين كبيرها وصغيرها ، فقد جاء في المادة السابعة من الميثاق :

« ليس في هذا الميثاق ما يبيح للامم المتحدة ان تدخل في شؤون دولة ما اذا كانت هذه الشؤون من مستلزمات سلطانها الداخلي . . . »

وجاء في المادة ٧٨ ما يحمي الدولتين من طغيان فرنسا :

« لن يطبق نظام الوصاية على الامم المتحدة — التي اشتركت في الميثاق — وستكون العلاقة بينها قائمة على احترام مبدأ المساواة في السيادة »

هذا فضلا عما جاء فى ميثاق الاطلنطى ، وغيره من المواثيق التى ارتبطت بهـا دول الحلفاء ، انهم لا يرمون فى هذه الحرب الى تحقيق مآرب اقليمية خاصة

***

وليس من شك فى ان قيام جامعة الامم العربية ، وامتحان الشعوب الاسلامية وغيرها من شعوب جنوبى آسيا وشرقيها وجنوبى البحر الابيض المتوسط فى أتون هذه الحرب ، قد بعث فى هذه الشعوب روحا متوثبة جديدة ، لا بد أن تقودهم عاجلا الى آفاق جديدة فى ميادين السياسة والقوة والعلم ، وستضطر معها الدول الغربية حتما الى النزول عما تزعم من وصاية أو قوامة على هذه الشعوب

ولا بد أن يكون الكفاح بين هذه الشعوب وبين الدول صاحبات المصالح عظيما ، ففى هذه الاقاليم التى تتقابل فيها القارات الثلاث وتتحكم شعوبها فى أهم مراكز المواصلات العالمية وطرقها — زيادة على ما ظهر فيها وما بطن من كنوز معدنية وآبار زيتية — فى هذه الاقاليم لا يمكن أن تنفرد دولة كبرى مهما بلغت بتحقيق مطامعها ، لا سيما وقد برزت روسيا الآن فى الميدان ، وهى أقرب الدول الكبرى الى تركيا وبلدان الشرقين الاوسط والاقصى، ويهمها أن ترعى مصالحها كغيرها ، وفى تلك الاصقاع ستتضارب مصالح فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا ، وستكون بلاد الشرق الاوسط حقولا للتجارب تفيد منها الشعوب اذا صمدت وتمسكت بوحدتها ومصالحها ، وهذه الحقول قد تنبت فيها أغصان الزيتون أو أسنة الرماح ، وفقا للخطة التى تسلكها الدول الكبرى

ولا عجب فى ذلك فقد تحولت نقطة الارتكاز من فردون غربا فى الحرب العالمية الاولى، الى العلمين شرقا فى الحرب العالمية الثانية ، وأكبر الظن أن ميدان الشرق الاوسط سيظل محور الارتكاز فترة أخرى طويلة

كل هذه الاعتبارات لا بد أن تؤدى الى أزمات ومنازعات ، علينا نحن العرب أن نعالجها بالحذر والاحتراس حينا ، وبالصبر والجد والمثابرة أحيانا . وليس من سبيل الى الفوز الا بالكد والتضحية التى قد تتقاضانا العرق والدم والدمع السخين

محمد رفعت



أول سيدة .. في البرلمان الانجليزي

آثرت « ليدي استور » ان تخلد الى الدعة والراحة بين زوجها وأبنائها ، بعد ان أمضت تحت برج البرلمان الانجليزي خمسة وعشرين عاما ، تعمل عملا جاهدا وتبلى بلاء عنيفا ، حتى لقبت « بأم البرلمان » كما ظفر بلقب « أبي البرلمان » السياسي، الخطيب ، العريق « لويد جورج » . فلم تشهد الانتخابات الانجليزية التي جرت في الشهر الماضي هذه السيدة التي تقدمت الى كل انتخاب ، ودخلت في كل برلمان ، طوال ربع القرن الاخير

كانت « ليدي استور » أو « نانسي استور » أول سيدة تدخل البرلمان الانجليزي ، فكان دخولها هذا فتحا مبينا في الحركة النسائية من ناحية ، وكان حدثا خطيرا من أحداث الحياة السياسية والاجتماعية في انجلترا من ناحية أخرى

حق المرأة في الانتخاب والنيابة

كان الرجال يعدون قاعة البرلمان ميدانا كميدان الحرب والقتال ، لا ينزل اليه الا الرجال من دون النساء . بل اذا جاز للنساء ان يعددن الرجال الذاهبين الى الحرب ، بما يهيئن لهم من مؤونة الطعام والكساء ، فما يجوز لهن ان يعددن الرجال الذاهبين الى البرلمان ، بتزويدهم بأصواتهم يوم الانتخاب !

ولعل النساء كن يشاركن الرجال في هذا الرأي ، ويؤثرن العزلة في بيوتهن على النزول الى ساحة الحياة العامة .. الا نفرا قليلا منهن اجتمعن في بداية الثلث الاخير من القرن الماضي في مؤتمر نسائي بمدينة لندن ، وقررن فيه المطالبة بمنح المرأة حق الانتخاب

فراح الرجال ينظرون الى هذه الحركة نظرة التنديد والانكار ، أو نظرة السخر والاستهزاء ، بينما مضت النساء في طريقهن يسعين الى الظفر بحق الانتخاب الذي يمكنهم من المساهمة في الحياة السياسية والاجتماعية مساهمة فعالة . فعقدن المؤتمرات وأقمن المظاهرات ، وكتبن وخطبن ما ملأ الاذهان والاسماع ، وخرجن بحركتهن في كثير من الحين عن جادة القصد والاتزان ، فهاجمت جماعاتهن أندية الرجال الذين يحملون عليهن ويناصبونهن العداء ، وجرمن كثيرا من جرائم النهب والغصب والحرق والاعتداء، وتدخلت الشرطة فساقت جماعات منهن الى ساحة القضاء وغيابة السجن أحيانا .. كل ذلك من قبيل الدعوة لهذه الحركة ، وتنبيه الاذهان اليها ، وتأليف القلوب عليها ، حتى غدت بعد حين مثار التفكير والجدال بين الافراد والجماعات ..

وكانت النساء حريصات على ان يؤكدن للرجال انهن يطالبن بحق الانتخاب لا بحق

النيابة ، وأن سعيهن يقف يوم يباح للمرأة ان تساهم بصوتها فى انتخاب النواب ، وأنهن لا يردن الاسراف والغلو والطموح الى مقاعد النواب ذاتها .. ولعلهن كن يصدقن القول حينذاك ، ولكن الارجح انهن كن يخدعن الرجال ، ويأخذن - أو يسترجعن - حقهن منهم شيئا فشيئا ، وأنهن كن يضمرن المطالبة بحق النيابة الى ما بعد ظفرهن بحق الانتخاب

وظلت هذه الحركة أربعين أو خمسين عاما دون أن تبلغ غايتها ، اذ ما الذى يحمل الرجل على أن يسوى بينه وبين المرأة فى الحقوق السياسية ، بينما هى لا تكافئه فى الحياة الاقتصادية، فهو الذى يكفلها ويعولها بنتا وزوجا وأما ؟؟ .. فلما قامت الحرب الكبرى الاولى وأرسلت المرأة الى ساحتها تعمل أكثر ما يعمله الرجل ، وتنال مثلما ينال من الاجر ، وتهيأ لها بذلك - لاول مرة فى التاريخ - استقلالها الاقتصادى ، ظفرت فى يسر وسهولة ، ودون مناوءة وانكار ، بهذا الحق الذى سمت اليه طويلا ، فشهدت الانتخابات الانجليزية التى أجريت عقب الحرب الماضية فى سنة ١٩١٩ ، المرأة الانجليزية تسابق زوجها أو ابنها الى صندوق الانتخاب، لتؤيد بصوتها الحزب، أو المرشح الذى تراه أصلح للنيابة وللوزارة

ولكن المرأة لم تقف - كما تظاهرت من قبل - عند حد الانتخاب ، بل انتهزت الفرصة وقررت لنفسها حق النيابة ، اذ تقدمت السيدة نانسى استور للنيابة عن دائرة بليموث ، فظفرت بالنيابة ، فكانت السيدة الاولى فى البرلمان الانجليزى

خمسة وعشرون عاماً فى البرلمان

دخلت ليدى استور مجلس العموم فى سنة ١٩١٩ امرأة شابة فتية ، رهيفة نحيفة ، وضيئة المحيا حلوة البسمات .. وظلت تحت برجه تعمل وتكافح خمسة وعشرين عاما حتى تركته أخيرا بعد ان سرى البياض فى شعرها ووسمتها السنون بتجاعيدها ، ولكنها زودتها بخفايا السياسة الانجليزية وأسرارها

كان زوجها نائبا عن دائرة بليموث فى مجلس العموم ، ثم ورث عن أبيه لقب اللوردية ومعه مقعد فى مجلس اللوردات . فخلت من بعده دائرته الانتخابية ، فتقدمت اليها زوجته الامريكية الحسناء نانسى استور ..

وكانت سيدة أمريكية حقا : فيها من أمريكا كثير من مرحها وشبابها ، ومن تسرعها ورعونتها ، ومن بساطتها وسذاجتها .. فكان من العسير ان تندمج مع المجتمع الانجليزى وما فيه من تكلف وتحفظ ، ومن جمود وتأدب ، وقد صدمته ، أول ما جاءته ، بضحكاتها العالية ، ونكاتها المتواصلة ، ومرحها الدافق ونشاطها النابض . ولكنها لم تلبث ان بهرت هذا المجتمع ، بما شهد فيها من كرم القلب ورضى الخلق ، فأنس اليها وقدرها تقديرا .. فلما سنحت فرصة الانتخابات انتهزتها وتقدمت الى أبناء « بليموث » وبناتها تطلب أصواتهم، فلم يضنوا عليها ..

كانت غريبة عن الدائرة ، ولكن لم يكن ثمة أحد من أبنائها لم تربت على كتفه يوما ، أو

لم تدعه الى تناول الشاى مرة ، أو لم تمد اليه يد المعونة حين أعوزته .. وكان لها فى قلوب الناس مكانة لا تدانيها مكانة من تقدموا لمنافستها فى الانتخابات . وكان لها من البراعة واللباقة ما أفسد على هؤلاء المنافسين خططهم وجهودهم ، فقد اتهموها بأنها « أرستوقراطية متغطرسة » وأنها تأنف من العمال وتزدريهم ، حتى انها عادت ذات يوم الى بيتها ويداها مرفوعتان أمامها تقززا واشمئزازا ، فصاحت بخادمتها : اخلعى عنى هذا القفاز ، فقد صافحت اليوم العمال ! وأذاع خصومها هذه الفرية بين الناخبين ، فلاقت منهم اذانا صاغية، وحسبوا بذلك انهم أصابوها بضربة لا تقوم لها من بعدها قائمة . وسمعت ليدى أستور القصة ، فابتسمت مطمئنة ، فقد كان لها من لباقتها ما تفند به فرية خصومها .. فأقامت اجتماعا انتخابيا كبيرا ، ثم وقفت على المنصة أمام جمهور الناخبين ، وتقدمت فى حركة مسرحية بارعة ، تتكلف الغطرسة وتصطنع الكبرياء ، ومدت يديها بعد ان رسمت على وجهها أمارات التأفف والاشمئزاز ، وهى تقول : أيتها الخادمة .. اخلعى عنى هذا القفاز فقد صافحت اليوم العمال ! .. وضج الجمهور بالضحك ، وفوتت على منافسيها ما أرادوه بها ! ..

كانت لباقتها هذه تسعفها دائما .. والى بديهتها الحاضرة وحاضرها السريع يرجع كثير من السبب فى انتصاراتها الانتخابية المتتالية وفى مقعدها بمجلس العموم خمسا وعشرين سنة . وقفت ذات مرة فى اجتماع انتخابى تتحدث الى الجماهير ساخرة من النظرية التى تقول بتساوى الافراد ، منكرة الرأى الذى يقول به المجتمع اذ يفرق بين أبنائه ، فصاح فيها أحد العمال : « ان أطفالى لا يقلون ذكاء عن أطفالك ! » . فأجابته فى لباقة حازمة : « أى أطفالى تعنى ؟ ان أطفالى أنفسهم غير متساوين ، فبعضهم آية فى الذكاء ، وبعضهم فى غاية من الغفلة ! »

وهكذا فازت هذه الفاضلة ، البارعة ، فكانت أول امرأة تدخل مجلس العموم . واحتفل المجلس بمقدمها احتفالا طيبا ، فسارت يحف بها لويد جورج من جانب ، ولورد بلفور من جانب ، حتى بلغا بها مقعدها ، فجلست تتلفت حولها فى حيرة واستحياء ، اذ تجد نفسها وحيدة فريدة بين ستمائة من الرجال . وقالت فيما بعد — فى مقال كتبته توديعا لحياتها البرلمانية الطويلة — « لقد كنت أول امرأة تقتحم على الرجال محرابهم المقدس وأحسست الرجال من حولى ينظرون الى نظرة يستنكرون بها وجودى بينهم .. فكدت ان أبكى فى هذه اللحظة المروعة .. وهممت أن انصرف . ولكنى لم أجرؤ حتى على الانصراف ، فقد بدت لى فكرة المرور أمام كل أولئك الرجال الشاخصة أبصارهم الى فكرة بغيضة ومخيفة »

ولكن مشاعر الخجل والحياء ، والدهشة والحيرة ، التى استولت على ليدى استور فى هذه الساعة الحرجة لم تمنعها من أن تلقى على الاعضاء كلمة تحية وعهد .. ولم تنكر فيما بعد ما كان يساورها حينذاك من عوامل الخوف والرهبة اذ تقول : « لو رأى الاعضاء ركبتى

ساعتئذ وهما تهتزان وترتجفان لادركوا حقيقة شعورى . . والحق انى أدركت يومها فضل الثياب الطويلة التى ترتديها النساء »

على ان هذه المرأة الحيية المتهيبة لم تلبث ان اندمجت فى هذا الوسط الرجالى ، ولم تلبث ان ارتفع صوتها متسائلا ومناقشا ومعقبا، ولم تلبث ان ملأت جو مجلس العموم بنكاتها اللطيفة وتعليقاتها الساخرة بين تبرم الاعضاء المتذمرين الذين يصيح أحدهم بعد أن ضيقت عليه خناق الجدال والنقاش : « عودى الى أمريكا . . فمنها جئت واليها تعودين ! » فترد عليه فى صوت هادىء ساخر : « ان أمريكا لم ترسلنى الى هذا المجلس . . بل أرسلتنى اليه دائرة بليموث الانجليزية ! »

وسرعان ما غدت ليدى أستور من أكثر « أعضاء » المجلس سؤالا واستجوابا ، ومن أقدرهم على المناقشة والتعقيب ، تعينها على ذلك ثقافة واسعة وخبرة كبيرة ، وتسعفها — عند ما يتحرج الامر — بديهة حاضرة وعبارة لبقة . فقد وقفت ذات يوم تتحدث عن عضو خرج من المجلس فاختلط عليها الامر وراحت تتحدث عنه كأنه ميت مع انه كان ما يزال حيا يرزق ، فنبهها أحد الاعضاء الى ذلك ، فلم تتراجع بل قالت : « انى أعتبر من يترك هذا المجلس ميتا » ، فأراد أحدهم ان يحرجها قائلا : وماذا عن زوجك لورد استور ؟ ألم يترك هذا المجلس منذ سنين ؟ » . فأجابت فى بساطة عجيبة أثارت ضحك الاعضاء : « ان اردت الحق يا صاحبى . . فان لورد استور ميت سواء فى داخل المجلس أو فى خارجه ! »

وضاقت يوما بأعضاء مجلس العموم ، الذين كانوا كثيرا ما يتجمعون عليها ويتكتلون ضدها ، فتقف بمفردها تجاههم جميعا ، تناقشهم وتفحمهم بالحجة حينا وبالسخرية حينا — ضاقت بهم يوما فقالت فى سخرية لاذعة : « انى أعرف معرفة تامة شؤون الاطفال » . فقال بعضهم : « طبعا ، لان لك أطفالا » . فقالت : « لا ، بل لانى أقابل ستمائة طفل كل يوم فى البرلمان ! »

أثرها فى الحياة الانجليزية

لم تنزل ليدى أستور ميدان الحياة العامة، ولم تدخل البرلمان الانجليزى، انتصارا لحزب سياسى معين أو تأييدا لمبدأ اجتماعى خاص . . بل لتثبت للملأ ان الحياة العامة لا تحول بين المرأة وواجبات الزوجية والامومة . فأثبتت هذا واضحا ، اذ كانت ناجحة موفقة فى حياتها الخاصة مثلما كانت فى حياتها العامة

أما فى الحياة العامة فحسبك دليلا على نجاحها ونفوذها انها تنتمى الى حزب المحافظين دون ان يمسها — طوال ربع قرن — ما أصاب هذا الحزب فى خلاله من كثير من الضربات والهزائم . فقد احتكرت دائرتها الانتخابية هذا العهد الطويل ، ولم يثبت أمامها أى منافس مهما تكن قوته وقوة الحزب الذى يسنده . وقد يرجع ذلك الى شخصيتها القوية ، وأخلاقها القويمة وصلاتها الطيبة بطبقات الناس جميعا

وقد ساعدت ليدى استور فى داخل البرلمان على اصدار كثير من التشريعات الاجتماعية القيمة ، ولا سيما ما يتصل منها بشئون المرأة والاسرة والحياة الاخلاقية

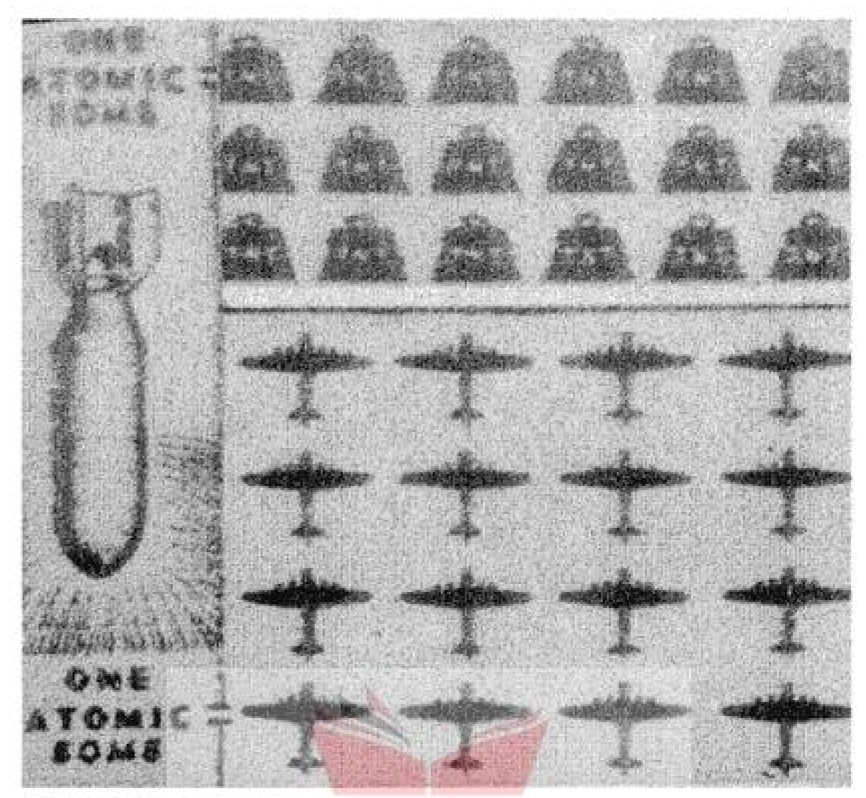
وهى بعد هذا شخصية بارزة من شخصيات المجتمع الانجليزى ، لها صوتها فى كل منتدى ، وكل مؤتمر ، وكل صحيفة

أما فى حياتها الخاصة فهى أم مثلى لبنة من الاولاد تنسى معهم أنها العضوة المحترمة فى مجلس العموم، وانها المساهمة بأوفر قسط فى السياسة الانجليزية، وانها حاملة لواء الحركة النسائية ، ولا تذكر الا انهـا أم عليها ما على كل أم من فروض وواجبات .. واذ ترى أولادها حولها يزدحم فى صدرها ما يزدحم فى صدر كل أم من عوامل الحنان والاعجاب ، فتهمس فى أذن زائرها : ما رأيك فى ابنتى ؟ وهى تعرف الجواب سلفا ولكنها تريد ان تمتع الاذن بالثناء على ابنتها . وتهمس الزائرة : انها جميلة رائعة . فتقول ليدى استور مغتبطة « انتى لا أرضى ان تسمع هـذا الثناء .. ان الغوانى يا عزيزتى يغرهن الثناء .. أنظرى كيف ألبسها من الثياب أبسطها وأرخصها .. لانى لا أحب ان يتسرب اليها الغرور .. وهذه هى الطريقة المثلى فى التربية ! »

وهى زوجة مثلى .. وضعت يدها فى يد لورد استور الصحفى الانجليزى الكبير وعاهدته على ان تشاطره الكفاح فى سبيل ارائهما السياسية والاجتماعية مدى الحياة ، فوفت بعهدها وكانت له خـير عون وأوفى شريك . وأية زوجة أوفى وأخلص من ليدى استور التى سئلت أخيرا عن سبب تنحيها عن ميدان السياسة والحيـاة العامة ، التى أثرت فيهـا طويلا وخطت فيها مستقبـل المرأة الانجليزية ، فقالت : « لان زوجى شاء لى ان أترك مجلس العموم . ورغم اننى كنت شديدة الرغبة فى ان أبقى فيه أعمل وأجاهد ، الا اننى نزلت على مشيئته لاننى زوجة طيبة وطيعة »

(عرض وتلخيص الآنسة لطيفة الزيات)

– بلاغة المرأة فى دموعها — سان أفرمون
– البيت السعيد يستلزم زوجا أصم وزوجة عمياء — الفونس دراجون
– المرأة حيوان طويل الشعر قصير الفكر — شوبنهور
– النساء لا يحببن العقل ولا الفاكهة الناضجة — بلزاك
– المرأة الجميلة تسر العين والمرأة الصالحة تسر القلب ، احداهما جوهرة والاخرى كنز
– بعض النساء مثل الزهور الصناعية ، قد يسرك مرآها من بعيد فاذا اقتربت منها وشممتها سقطت من عينيك



في حجم البيضة ولكن قدرتها على التدمير والتخريب تعادل ٢٠ ألف طن من المفرقعات ! وزيارة واحدة منها كزيارة ألفي قلعة من القلاع الطائرة مليئة بالمهلكات



البروفسور « فرز » أحد الأبطال الأنجليز الذين ساهموا في صنع القنبلة الذرية التي ما كاد اليابانيون يتذوقون « حلاوتها » في هيروشيما حتى استسلموا

القنبلة الذرية

إن اكتشاف القنبلة الذرية يعد حدثاً علمياً خطيراً ، ويتساءل الناس هل يكون هذا الاختراع خيراً على البشرية أم وبالا عليها يهددها ويعمل على فنائها

إنه مصدر للنقمة ومصدر للنعمة على السواء ، فهو للفتك بالناس إذا شاءوا ، وهو لادرار الخير العميم اذا شاءوا

ترى أي الطريقين يسلكون ؟

القنبلة الذرية ..

بقلم الأستاذ محمد عاطف البرقوقى
ناظر المدرسة التوفيقية

هل هى قنبلة الحرب أم قنبلة السلام ! فلم يكد الحلفاء يعلنون أمرها حتى طلبت اليابان الاستسلام ، حقا ان الحق للقوة .. بل ان الحق للعلم الذى يخلق هذه القوة . وقد آمن السياسيون برجال العلم وأهميتهم فى الحرب ، فحجزوهم عن ميادين القتال فى هذه الحرب لاول مرة ، بعد أن قتل أحد علماء الذرة فى ميادين القتال فى الحرب الماضية ، وهو العالم الانجليزى موزلى ، وفى هذه الحرب تبارى علماء الدول المتحاربة فى الاختراعات المهلكة ، يجرون الابحاث والتجارب فى معاملهم ، ويفاجئون الاعداء باختراعاتهم الفذة العجيبة . وهكذا تميزت هذه الحرب بمفاجآت العلوم ، حتى ظهرت هذه القنبلة الذرية ، فكانت الاختراع الذى ختم الحرب ، وأعلن بداية السلام ، فما سر هذا الاختراع ؟

الذرة

والذرة هى أصغر جزء يمكن أن تصل اليه بحيث يبقى هذا الجزء محتفظا بخواص العنصر ، والمواد الموجودة فى الحياة عديدة ومختلفة الحالات والاشكال ، وقد افلح العلماء منذ القرن السابع عشر الى ارجاع المواد جميعا الى ٩٢ ذرة ، فالماء حسب العلم الحديث ليس عنصرا بل مركبا من الهيدروجين والاكسجين ، ويمكن تحليل الماء الى عنصريه بامرار التيار الكهربائى فيه ، وهو يتركب من ذرتين من الايدروجين وذرة من الاكسجين ، ولا يختلف اثنان فى أن مواد البترول وشمع البرافين والنافتالين وزيت التربنتينا انما هى مواد مختلفة ، ولكنها من الناحية الكيماوية تتركب كلها من عنصرين هما الكربون والايدروجين ، بدليل انه اذا أحرقت هذه المواد جميعا فى قدر كاف من الهواء فانها تبدو أنها تتلاشى جميعا ، والواقع انه ينتج عن احتراقها غازان لا لون لهما هما ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء ، وهذان الغازان هما نتيجة اتحاد الكربون والايدروجين بالاكسجين الموجود فى الهواء ، والسر فى اختلافها يرجع الى اختلاف عدد كل من ذرات الايدروجين والكربون فى كل منها ، فكلمة « باب » وكلمة « أب » يختلفان فى المعنى على الرغم من انهما مكونان من حرفين هما الالف والباء ، واختلاف عدد كل من الحرفين فى كل منهما غير معنى الكلمتين

ويمكن أن تقارن الذرات فى عالم المواد بالحروف الابجدية فى عالم اللغة ، فكما أن فى

اللغة العربية ٢٨ حرفا يمكن أن تكون منها الالوف من الكلمات المختلفة ، كذلك يمكن من ٩٢ ذرة تكوين الالوف من المواد

ويمكن تصور الذرة ولو بالتقريب فى أن أصغر جزء يمكن أن تراه العين يتكون من آلاف الملايين من الذرات

داخل الذرة

هذه الذرة على صغرها استطاع علماء الطبيعة أن يحطموها ويعرفوا تركيبها الداخلى ، ففى سنة ١٨٩٧ أثبت العالم الانجليزى تومسون أن ذرات جميع العناصر يدخل فى تركيبها أساس واحد ، هو الذى نسميه الكهرب ، فانه قد وجده فى جميع الغازات المختلفة عند خلخلتها وامرار الكهرباء فيها ، فمهما تغيرت الغازات المخلخلة من أكسجين الى ايدروجين وغيرهما فانه ينبعث منها جميعا الكهرب مما يدل على أنه يدخل فى تركيبها جميعا

واصل العلماء بحث خواص الكهرب وقدروا كتلته بأنها ١/١٨٤٠ من كتلة ذرة الايدروجين وقدروا شحنته السالبة فما أدق العلم .. هذه الذرة التى لا يمكن أن ترى بالعين يصل العلم الى جزء صغير منها وتقدير كتلته بالدقة

شغل العلماء من بعد ذلك بتركيب الذرة ومعرفة ما بداخلها ، فأثبت العالم الانجليزى رذرفورد سنة ١٩١١ ان بالذرة نواة بها معظم كتلة الذرة ، وبالنواة بروتونات ، والبروتون له كتلة وشحنة ، واقترح رذرفورد بعد حصوله على معلومات متعددة ان الذرة يمكن أن يكون نظامها كنظام المجموعة الشمسية ، النواة وسط الذرة ومكدس بداخلها البروتونات ويدور حولها كهارب فى أفلاك كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس

وفى سنة ١٩٣٢ تمكن العالم الانجليزى شادويك ــ ممن جاء ذكر اسمه فى صدد القنبلة الذرية ــ من الكشف عن نوع آخر من الكهارب وهو البروتون المتعادل ، وفى سنة ١٩٣٨ أثبت العالم الامريكى اندرسون وجود الكهرب الثقيل

الطاقة

وقبل أن نتكلم عن الطاقة المختزنة فى نواة الذرة يصح أن نمهد لها بكلمة عامة عن معنى الطاقة وأنواعها المعروفة للآن

ولله در العلماء ، يستخدمون كلمات تظهر فى اللغة كأنها مترادفات ، ولكنها فى العلم مختلفات ، وفى هذا الصدد نذكر كلمات القوة والقدرة والطاقة والشغل والجهد ، فهى من الناحية اللغوية متشابهة ، ولكنها فى العلوم متباينة وهناك علاقات رياضية تحددها معادلات تبين الفروق بينها ، ولكننى هنا اكتب للجميع مع مراعاة الدقة والوضوح ، فالماء الموجود أعلى خزان اسوان له طاقة لو فتحت له العيون لتدفق بسرعة هائلة ، ويمكن لذلك الاستفادة من طاقته هذه ، والرصاصة التى تخرج من البندقية انما هى كتلة صغيرة تتحرك

بسرعة ، ولذلك فان للرصاصة طاقة فى قتل الانسان وهدم المنازل والمنشئات ، وهناك مصادر للطاقة مثل طاقة الريح والمد والجزر وطاقة الشمس والطاقة التى يمكن استخلاصها من حرق الفحم والزيت وزيت البترول وغيرها ، وقد استطاع العلماء تحويل أى نوع من الطاقة الى أى نوع آخر يكون مطلوبا ، مثل تحويل طاقة الحركة الى حرارة وكهرباء وبالعكس وذلك لتسيير القاطرات وادارة الآلات وتوليد الكهرباء ، ولكن للحصول على نوع من الطاقة لا بد من استخدام طاقة معروفة من قبل ، فمثلا لتوليد الكهرباء لا بد من استخدام طاقة الحركة أو طاقة كيماوية ، ولكن الغريب فى طاقة الذرة انها طاقة طبيعية

طاقة الذرة

وجد العلماء أن بعض العناصر مثل اليورانيوم والراديوم وغيرهما من المواد تطلق دقائق أو اشعاعات بعضها ذات كتلة معروفة وسرعة هائلة تقرب من سرعة الضوء التى هى أكبر سرعة معروفة فى العالم ، أى أن هذه المواد تكون بمثابة مدافع تطلق دقائق ذات طاقة كبيرة طبيعية ، لا تحتاج من الانسان أن يستخدم أى نوع من أنواع الطاقات المعروفة مثل الفحم أو الزيت أو الكهرباء أو المفرقعات ، فهى مصدر طبيعى كبير للطاقة ، وسرعة انطلاق هذه الدقائق تبلغ نحو مليون مرة من سرعة الرصاصة ، وبناء على علاقة رياضية تكون طاقتها قدر مليون مليون من طاقة أى كتلة أخرى مساوية لها ولكن بسرعة الرصاصة ، والطاقة المنطلقة من ذرات اليورانيوم المحطمة تفوق خمسة ملايين ضعف طاقة حرق الفحم اذا تساوت الكتلتان ، هذا مع العلم بأن الطن من الفحم يكفى لتسخين ١٠٠ طن من الماء من درجة ١٥° مئوية الى درجة الغليان . وللاشعة السينية طاقة تستطيع بها أن تخترق لوحا من الحديد سمكه قدم ، وتستطيع بطاقتها أن تحرق جلد الانسان اذا استخدمت خطأ وهى مع ذلك لا ترى ، وطاقتها متحولة من طاقات أخرى ، فلا بد من توصيل الكهرباء لطرق انبوبة الاشعة السينية ، ولكن اليورانيوم والراديوم وغيرهما تشع اشعاعات لها طاقة كبيرة ، احداها الاشعة المسماة الاشعة الجيمية تفوق طاقة الاشعة السينية بكثير ، فطاقة الاشعة الجيمية التى تنبعث من نواة الذرة طاقة عجابة وأكثر نفاذا من الاشعة السينية . وان الطاقة المختزنة فى رطل واحد من اليورانيوم يعادل طاقة ٦٣٠٠ طن من زيت البترول فما هى طاقة نرجو أن تستخدم فى شؤون السلم ، وأرجو أن تنبهنا هذه القنبلة الذرية نحن المصريين الى أهمية البحث العلمى والثروة المختبئة من ورائه

محمد عاطف البرقوقى



تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك ، فأنعم برتبة الباشوية على سعادة الدكتور علي توفيق شوشة باشا . وقد أقامت جماعة أنصار العلم الحديث حفلة تكريم له بهذه المناسبة في دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة . وقد ألقى الشاعر الكبير علي الجارم بك هذه القصيدة في تهنئة صديقه . فقال :

نغم الشعر في ربا جناته … أسكت ابن الغصون في دوحاته
مال سمع الدنيا اليه وأصغت … هاتفات المنى الى هاتفاته
وتر صاغه الاله وألقى … نغمات الفردوس في نغماته
ولهاة من السماء تمنى … كل طير لو أنها من لهاته
صنته أن يهون والفن يسمو … حين تسمو به نفوس حماته
وتقلدته حساماً لمصر … تتوقى الخطوب وقع شباته
وهززت الشباب للسبق فانثا … لوا سراعاً على هدى مشكاته
ما مدحت الكريم إلا لأدعو … بمديحي الى كريم صفاته
أنا بالمجد مولع وبأهليه … وبالباقيات من ذكرياته
أعشق النبل في جلالة معنا … ه وأهوى الاقدام في عزماته
قد رأيت العلاء في اسم « علي » … ورأيت « التوفيق » خير سماته
فشدا باسمه قريضي كما يشدو … طليق الجناح في روضاته
واذا كرم الرجال ابن توفيق … فقد كرموا النبوغ لذاته

***

بسمات الربيع في بسماته … وسنا الصبح من سنا قسماته
كوكبي الذكاء لو صدع الليل … الجلى بنوره ظلماته
باحث لا يصيد في مهمه العلم … سوى الشاردات من آبداته
رأيه مجهر فما غاب أمر … كيفما دق عن مدى نظراته
لمحات كأنها خاطف البر … ق وأين البروق من لمحاته
لن رمى الشك رأيه فر حيرا … ن يجر الذيول من شبهاته
ما رأى عبقر ولا جن واديه … كهذا الذكاء في معجزاته

***

وشباب كأنه ناضر الريحا … ن في حسنه وفي نفحاته

صانه النبل أن يمس له ذيـــل وأدى الايمان فرض زكاته
غرس الله نبته فنما نضـــراً وآتى الشهى من ثمراته
يعتلى العبقرى ناجية العز م حثيث الخطا الى غاياته
لا يرى الطرف منه إلا غباراً عجز الطرف أن يرى قصباته
يتمنى الشيوخ لو بذلوا العمـــر لقاء القليل من ساعاته
عمر المرء بالجليل من الاعـــمال لا بالكثير من سنواته
بؤرة الضوء كم بها من شعاع ملأ الأفق فى جميع جهاته
ورحيق الازهار كم ضم من رو ض شذى الشميم فى قطراته

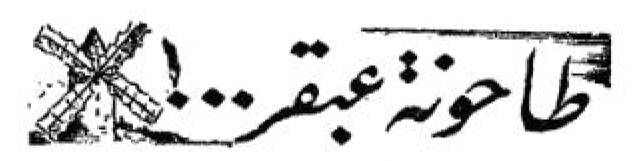
* * *

جمع الفضل حين فرقه النا س فآواه بعد طول شتاته
دائرات المعارف اجتمعت فيـــه ففتش عنهن فى صفحاته
كم لغات جرى بها لفظه العذ ب سليما كأنها من لغاته
هو فى الطب من كبار نحاته وهو فى النحو من كبار أساته
وهو فى حلبة البيان أديب تلمح السحر فى رقى نفثاته
وهو ان شئت حافظ لغوى كلمات القاموس من كلماته
نسخة للسان فى صدره الوا عى منها طبعها على طبعاته
أنا أخشى جداله كلما صا ل عنيف الجدال فى صولاته
«مجمع الضاد» يرفع الرأس فى زهـــو بآرائه وصدق أناته
حسب دهر جنى على الناس أن كا ن على بعد من حسناته

* * *

معمل للفضل وهو فتح مبين بعض ما نال مصر من مأثراته
فتكات الميكروب ألقت سلاحاً للسريع السديد من فتكاته
يصرع الموت ثابت العزم مقدا ماً جريئاً فى عزمه وثباته
كم حبا الناس من حياة ، أمد الـــه للمجد والعلا في حياته
نال أسمى الالقاب والفضل فضل كيفما قد رفعت من درجاته
ورضاء المليك أنفس ما يد عو ويرجوه قانت فى صلاته
ملك من جبينه تشرق الدنيا وكل العطاء بعض هباته
عاش للملك والجلال ، وعاشت مصر فى عزه وفى مكرماته

على الجارم



بقلم الأستاذ كامل كيلانى

لما بلغ الشيخ « أبو الغصن » جزيرة «عبقر» عاصمة بلاد الجن سمع من غرائب الاخبار وعجائب الاسماء ما لم يكن ليخطر له على بال

لعلك تسأل : من هو « أبو الغصن » ؟ فاعلم ــ علمت الخير ــ « انه شيخ الفكاهة الشرقية الباسمة الساحرة ، ورمز الدعابة الفلسفية الجادة الساخرة : « عبد الله جحا » . »

وكان أعجب ما أدهش « أبا الغصن » وحير عقله ما قصه عليه صاحبه « أبو شمشم » سلطان « عبقر » . وهما يجولان معا فى حديقة الحياة ، قال : « منذ آلاف السنين وفد على جزيرتنا جدك الاعلى « جحوان الاكبر » ، وطاف معى ــ كما طفت ــ أرجاء هذه الحديقة . وكان يمتاز بمثل ما ميزك الله به ، من طلاقة وسماحة وصفاء سريرة . وقد أسعدته تلك الخلال النبيلة ، وكانت مصدر الاعجاب به فى عالمكم الانسى ، وعالمنا العبقرى

ولم يسحر لبه من بدائع هذه الحديقة ــ على كثرتها ــ الا بعض هذه الطواحين الصغيرة التى تراها أمامك ، الى جانب دوحة الفنون العالية . ولم يختر هدية غيرها على وفرة ما عرضناه عليه من طرائف عبقر ونفائسها ، فعاد بها مبتهجا محبورا

فقال الشيخ « أبا الغصن » : « لقد نما الينا تاريخ الامير « جحوان الاكبر » ولم نعثر فيه لتلك الطاحونة على أثر »

فقال شيخ عبقر : « أما الطاحونة فلا سبيل لكم الى استعادتها مرة أخرى . وأما أثرها فلا يزال ماثلا الى اليوم والى أبد الآبدين فى عالمكم الارضى »

فقال « أبو الغصن » : « لا أكاد أفهم مما تقول شيئا وما أدرى لماذا آثر جدى أن يختار تلك الطاحونة ــ دون غيرها ــ ولا كيف فقدت منه بعد أن تم له الظفر بها ! »

فقال شيخ عبقر : « أما ميزة هذه الطاحونة فهى أنها تخرج لصاحبها كل ما يريده منها، متى طلب اليها ذلك . فاذا سرت فى الصحراء ، وأجهدك العطش أو الجوع ، وقلت لها : أخرجى ماء عذبا ، أو شواء شهيا ، أو ما شئت من طيبات الاطعمة ، ولذائذ الاشربة أسرعت بتلبية رغبتك ، وظلت تقذف بطلبتك حتى تأمرها بالكف عن ذلك »

فزادت دهشة « أبى الغصن » ، وقال :

« فكيف أضاع الامير « جحوان » هذا الكنز النفيس ؟ »

فقال « أبو شمشم » : كلا لم يضعه ، ولم يفرط فيه ، بل حرص عليه ــ طول عمره ــ وأحسن استغلاله . فلم يقصر فى نفع أهله وعشيرته وأصحابه وكان لا يطلب من طاحونته

الا خير ما يعود على الجنس الانسانى بالسعادة والنفع العام ، كان يأمرها أن تخرج الاقوات للجائعين ، والاكسية للمحرومين ، طلب اليها ذات يوم أن تخرج له أدوات يفلح بها الارض فأخرجت له الفأس والمحراث والمنجل وما الى ذلك ، مما انتقل اليكم بفضل هذه الطاحونة ، ولم يكن لبنى الانسان عهد بمثل هذه الا لات النافعة من قبل

على أنه يؤسفنى يا « أبا الغصن » أن أبناء جنسك الآدمى قد أبى عليهم ما ركب فى طباعهم من اللؤم والتخالف وحب الاذية والقطيعة الا أن يتخذوا من تلك الآلات النافعة — التى أعددناها لمعونتكم — وسائل للحرب وتخريب الحياة . فجعلوا منها سيوفا ومعاول لدك صروح العمران على من فيها من الآدميين

فقال « أبو الغصن » : « ان فينا وفيكم الاخيار والاشرار ، والهداة والعصاة ، والابرار والفجار ، فقال شيخ عبقر متجهما : « ان أشرارنا — على جبروتهم وقوتهم — لأبر وأرحم من بعض أشراركم ، على تخاذلهم وهوان أمرهم :

فأنتم الناس — على ضعفكم — صرتم لأمثال الأذى مضربا
لم ترحموا طيرا على غصنه رتل لحنا شائقا معجبا
ولم تغيثوا بائسا معدما ولم تقيلوا عاثرا مذنبا
وكم أكلتم لحم اخوانكم ميتا ولم ترعوهم غيبا
فلا تعيبونا بأدوائكم فقد غدا من عابنا أعيبا

فقال « أبو الغصن » أنا أعرف مما يعزز كلامك ويؤيده ، ومما يدحض رأيك ويفنده ، شيئا كثيرا ! فلترجىء هذا الحوار الى فرصة أخرى فانى شديد الرغبة فى أن تخبرنى كيف فقدت طاحونة « عبقر » بعد أن ظفر بها « جحوان الاكبر »

فقال « أبو شمشع » : « لم يكد يموت جدك الاعلى حتى ورث ابنه « الحارث بن جحوان » أملاكه الطائلة وضياعه الواسعة ، وكنوزه التى لا تنفد . ولم تعد له بتلك الطاحونة من حاجة ، ونسى أنها سبب الثراء ، ومصدر الخير . ومرت السنون متعاقبة ، دون أن يشعر « الحارث بن جحوان » بحاجة اليها

***

وكان للحارث خادم غبى اسمه « أبو جهلان » وقد نما اليه طرف من أخبار هذه الطاحونة ، وعرف من خصائصها شيئا وغابت عنه أشياء . وكان قد وعد أصحابه أن يعد لهم نزهة — فى يوم عرسه — على سفينة من سفن سيدة الكثيرة وعن له أن يهيىء لاصحابه مفاجأة سارة ، فاختلس طاحونة « عبقر » على أن يرجعها الى مكانها بعد انتهاء النزهة . ولما حان وقت الغداء ، وكان المركب يتهادى — بالخادم وأصحابه فى عرض البحر — مدت المائدة ، وتلمس المدعوون الملح فلم يجدوه . وأدركوا أن الطعام لا يستساغ بغيره . ورأى « أبو جهلان » الفرصة سانحة لاظهار المفاجأة فقال : « ان لدى من الملح ما تريدون ، وانى موافيكم منه بأوفى نصيب » ثم وضع الطاحونة على المائدة ، وقال لها : « أخرجى

ملحا ، فأخرجت الطاحونة ملحا ، وما فتئت تخرج الملح بلا توقف حتى امتلأت المائدة. وتحير « أبو جهلان » وأصحابه فلم يدروا ما يصنعون ، ولم يعرفوا أن الطاحونة لن تكف عن اخراج الملح الا اذا أمرت بذلك . وظلت الطاحونة تخرج الملح حتى امتلأت المركب به . وما زالت منذ آلاف السنين تخرج الملح بلا انقطاع الى اليوم . وهذا هو السبب فى ملوحة البحار فى عالمكم الارضى »

ولم تنقطع رحلات الأفذاذ والموهوبين ـ فى عصر من العصور ـ الى جزيرة « عبقر » بعد أن عاد منها « جحوان الاكبر » وقد سافر اليها كثير ممن خلد التاريخ أسماءهم ، وظفروا بمثل ما ظفر به الامير « جحوان » . فلما عادوا بها الى عالمنا الارضى استغل الناس هدايا « عبقر » وفق ما ركب فى طباعهم من نزعات الخير ونزعات الشر . وقد رأينا مصداق ذلك فى المطبعة التى أهدتها جزيرة « عبقر » الى « جوتنبرج » أحد الراحلين اليها فى القرن الخامس عشر

فرأينا طائفة من آلات الطباعة ـ فى بعض الدور ـ ترمى بسموم وتقذف بحمم ، وتخرج أفانين من التدمير الفكرى ، والتخريب الخلقى ، والافساد العقلى ، والضغائن والاحقاد ، وأبصرناها ـ فى دور أخرى ـ دائبة على اخراج أفانين من الثقافة والنور ، وطاقات ورياحين الآداب ، وأزاهير الفنون وثمار الفلسفات والرياضات ، وما الى ذلك من مذكيات النهضة الحق ، وباعثات النور ، وجالبات الحياة

كامل كيلانى

ـ ليست الحياة بأنفاس تتردد وزفرات تتصاعد .. انما الحياة ذكريات حية بعد الوفاة .. ذكريات مجيدة مشرقة وذكريات بشعة مزرية — المنفلوطى

ـ ما أعجب الحياة من لغز معمى — سبنسر

ـ الانسان الكامل هو الذى يصنع حياته بنفسه — شوبنهور

ـ الذين لا يعرفون قيمة الحياة لا يستحقونها — بيكون

ـ الحياة الحب .. والحب الحياة — شوقى

ـ ان الحياة قصيرة فيجب ألا تكون ضئيلة — دزرائيلى

ـ يا معشر الكتاب لا بد أن نبدأ فنحيا .. قبل أن نكتب عن الحياة — بلزاك

الأمبراطورية البريطانية..
ليست وليدة المصادفة!

ان النظرية التى انتشرت فى عهد الملكة فكتوريا والتى تقول بأن الامبراطورية البريطانية وليدة المصادفة ، هذه النظرية لا يقبلها علماء الجغرافيا ولا الساسة ، فانهم يرون ان تلك الامبراطورية هى على العكس من ذلك ثمرة خطة موضوعة أو عدة خطط متتابعة ، تهدف الى غاية محدودة : هى توطيد السيادة البريطانية فى القارات الخارجة عن أوربا ، بحسبانها سيادة بحرية تجارية

وانك تجد فى كل مرحلة من مراحل تكوين الامبراطورية البريطانية حقائق وعوامل جغرافية تلعب دورها وتبدى أثرها بشكل ظاهر . واليوم يبدو ان الوقائع الجغرافية قد عادت لترسم منهج التقدم من جديد

ان أول علاقة تجارية للانجليز كانت مع الفلاندر أقرب اجزاء القارة الاوربية الى انجلترا ، حيث كان النشاط التجارى والصناعى أكثر منه فى بريطانيا ، ثم مع اتحاد « الهانزا » الذى كان يشمل مساحات واسعة من شمال أوربا

وفى بداية القرن الخامس عشر أسست فى لندن « شركة التجار المغامرين » Company of Merchant Adventurers لكى تنافس اتحاد الهانزا وتنازعه احتكاره للتجارة فى بحر الشمال والبلدان الواقعة على بحر البلطيق . ولم يبلغ ذلك القرن ختامه حتى كان التجار الانجليز والتجارة الانجليزية قد وطدوا أقدامهم فى جميع تلك المناطق

على أن أحسن الفرص لاحت للتجار الانجليز حين فتح البحارة البرتغاليون والجنويون ــ نسبة الى جنوا ــ عند نهاية القرن الطريقين البحريين العالميين : طريق رأس الرجا الصالح الى آسيا ، والطريق الغربى عبر المحيط الاطلنطى الى قارة لم تكن معروفة بعد . ومنذ ذلك أصبحت المحيطات هى طرق العالم الرئيسية ، وصار لدول أوربا الواقعة على شواطئها الغربية ميزة على غيرها بفضل موقعها الجغرافى

ولما وطد التجار والمستعمرون الانجليز أقدام دولتهم بتأسيس قواعد لها على جوانب المحيطات البعيدة ، ظلت انجلترا طوال قرنين تقريبا وهى فى حرب مع الدول الواقعة على شواطىء أوربا الغربية ــ وهى اسبانيا والبرتغال وهولندا وفرنسا ــ ناظرة فى ذلك الى غاية واضحة وهى ضمان كل ثمرة تجنيها من ذلك الموقع

وبعد أربع سنوات من رحلة كولمبس الاولى الى أمريكا ، وحين كان الناس لا يزالون يحسبون جزر الهند الغربية اجزاء من آسيا ، ابحر كابوت Cabot غربا من بريستول

بترخيص من هنرى السابع « لكى يكتشف أقطارا غير معروفة ويرفع عليها علم الملك » . ـ وكان الشرط ان يستحوذ جلالته على الخمس من كل ما يكسبه ـ . ولم تضم جزيرة نيوفونلاند الى بريطانيا الا بعد نحو قرن من ذلك . ولكن فى خلال تلك الفترة كانت هذه الجزيرة مع مساحات أخرى على شاطىء افريقيا الغربى قد أصبحت اجزاء أساسية من نظام التجارة البريطانية فيما وراء البحار . وهكذا ثبتت انجلترا أقدامها على الجانب الآخر من المحيط الاطلنطى ، جغرافيا وان لم يكن سياسيا

وعند انتهاء القرن الخامس عشر ، أى فى سنة ١٦٠٠ بدأت « شركة الهند الشرقية » East India Company أعظم الشركات ذات الامتياز قدرا وأطولها عهدا ، تاريخها الطويل الذى استمر قرنين ونصف قرن من الزمان ، ووضعت أول علاقة استعمارية بين بريطانيا وآسيا

وهكذا لم يمض قرن ونصف قرن على استكشاف الطرق البحرية العالمية ، حتى كان التجار الانجليز قد كسبوا لدولتهم نقط ارتكاز مناسبة فى القارات الثلاث : أفريقيا وآسيا وأمريكا . وكانت هذه القواعد مع الطرق البحرية التى بينها ، هى «هيكل» الأمبراطورية البريطانية . ونحن اذا نظرنا الى الجهود الجبارة التى بذلت فى تلك السنوات الاولى لتكوين الامبراطورية دون كلل أو نكوص ، لم نجد فيها أى أثر « للمصادفة » المزعومة

وقد بنى ذلك « الهيكل » على الطريقين البحريين الرئيسيين . وقد أدت ضرورة ضمان شواطىء انجلترا الغربية وموانئها لتجارة الاطلنطى الى اتمام غزو ايرلندا دون رحمة ، أولا فى عهد اليزابث ثم فى عهد كرومويل . ولا شك أن موقع انجلترا الجغرافى كانت تزول ميزته اذا استطاعت اية دولة أخرى أن تضع قدمها فى تلك الجزيرة التى تطل على مواقعها الغربية

والآن نقفز فى بحثنا الى ختام القرن الثامن عشر ، فنجد ان جغرافية الامبراطورية البريطانية لا تزال تعتمد على ذينك الطريقين البحريين نفسيهما ، عبر المحيط الاطلنطى وحول أفريقيا . غير أن الحروب الطويلة الامد مع الدول المنافسة ، وخصوصا فرنسا ، قد أدت الى امتلاء ذلك « الهيكل » لحما بالاستحواذ على اقطار فى آسيا وأمريكا ، فقد أصبحت الآن مساحات شاسعة من الهند فى قبضة شركة جون وتحت حكمها . ولكن فى أمريكا الشمالية نشبت ثورة المستعمرات على أثر انتهاء الحرب مع فرنسا ، فأدت الى انكماش الممتلكات البريطانية واقتصارها على الاراضى التى حول خليج سانت لورنس وشواطىء خليج هدسن وجزيرة نيوفوندلاند . وفى الوقت نفسه ، فى جنوب غربى المحيط الهادى ضمت الى بريطانيا مساحة من الارض على شواطىء استراليا التى كانت قد استكشفت منذ حين

وبدأ القرن التاسع عشر باستئناف الحرب مع فرنسا التى كان يتزعمها نابليون بونابارت وقد أراد هذا أن يستعيد لبلاده مستعمراتها التى وراء البحار والتى استحوذت عليها

بريطانيا فى القرن السابق ، وكان من أعز أمانيه تحطيم سلطان بريطانيا فى الهند بحسبانها مصدر الثروة « التى جعلت من أصحاب الدكاكين الذين على الجانب الآخر من قناة المانش منافسين ذوى خطر . . »

ولما تمت الهزيمة على نابليون ، بفضل قوة بريطانيا البحرية وبفضل ذهبها ، كانت الصناعة فى انجلترا قد تقدمت تقدما سريعا فى حين تأخرت فى فرنسا ، وبذا امتلأ « هيكل » الامبراطورية البريطانية بمزيد من اللحم ، فقد استحوذت بريطانيا على ثلاثة مراكز جديدة زادت من سيطرتها على الطريق الموصل الى الشرق ، وتلك المراكز هى : رأس الرجاء الصالح وموريتيوس وجزيرة سيلان

وفى البحر الابيض المتوسط ـ الذى لم يكن بعد قد أصبح فى حد ذاته طريقا رئيسيا للتجارة ولكن مع ذلك لا يمكن تركه لكى تسيطر عليه فرنسا ـ ضمت جزيرة مالطة الى جبل طارق الذى كانت بريطانيا قد استولت عليه منذ قرن . وفى جزر الهند الغربية تم الاستيلاء على ترينداد وتوباجو . وفى أمريكا الجنوبية أخذت غنيا البريطانية . وقد شهد النصف الاول من القرن التاسع عشر توغل البريطانيين فى آسيا حتى وصلوا الى الصين ، وانتقلوا من المحيط الهندى شرقا الى المحيط الهادى ، وضمت نقط ارتكاز جديدة الى هيكل الامبراطورية بالاستيلاء على سنغافورة وعدن وجزر فوك ونيوزيلاند وهونج كنج

ولما بدأ الجهاد الشاق حوالى سنة ١٨٨٠ ، فيما عدا روسيا كانت دول أوربا قد أصبحت تمتلك خطوطا حديدية محكمة ، وكانت الصناعة التى انتجت هذه الخطوط على أهبة لفتح عوالم أخرى جديدة ، ومنذ ذلك بدأت الدول الصناعية الحديثة تنفس على بريطانيا ممتلكاتها فيما وراء البحار ، وبدأ الاستعمار الاقتصادى الحديث الذى يهدف الى فتح أقطار مغلقة لم تستغل بعد لكسب المواد الخام منها ووضع الخطوط الحديدية فيها لتيسير الوصول الى أجزائها . وفيما يتعلق بافريقيا قد فازت بريطانيا بالاحتفاظ بممتلكاتها بل أضافت اليها جديدا فى الواقع

وبدأت المرحلة النهائية فى التوسع الاستعمارى البريطانى عند ختام الحرب العظمى الماضية ، اذ انتهى تحدى المانيا للامبراطوريات الصناعية الموطدة الى هزيمتها وتوزيع مستعمراتها بين الدول الغالبة ، وقد قبلت بريطانيا الانتداب على أفريقيا الشرقية الالمانية ـ التى تسمى الآن قطر تنجانيقا ـ وبذا سدت الثغرة الوحيدة الباقية فى نطاق الممتلكات البريطانية الممتدة من النيل (كذا !) الى الكاب . وهكذا خرجت الامبراطورية البريطانية من الحرب العظمى الاولى أكبر وأقوى من قبل ، على الاقل من حيث امتداد الممتلكات وكثرة عدد الرعايا من الشعوب

بيد ان الحكم البريطانى فى بعض هذه الممتلكات قد أضحى أقل تركيزا من قبل . فصارت المستعمرات الحرة « الدومنيون » تكون مع بريطانيا ما يسمى « بعصبة الامم البريطانية » . أما بقية اجزاء الامبراطورية ، من الهند وافريقا والهند الغربية وجزر المحيط

الهادى ـ تلك الاقطار التى يقطنها شعوب غير بيضاء ـ فانها لا تمدها بريطانيا بعد ناضجة للحكم الذاتى . وتشرف الحكومة البريطانية على هذه المستعمرات من لندن بوساطة اشكال شتى من الحكومات المحلية فيها . على ان السياسة الاستعمارية التى تلتزمها الحكومة البريطانية فى لندن ، مهما كان مظهرها ، فانها تخضع للغاية الرئيسية وهى نفع أصحاب رؤوس الاموال البريطانيين ، وهى الغاية التى لقيت أعلى تعبير لها فى قرارات مؤتمر أوتاوا

وقد انتهت الحرب ،ومن المؤكد أن بريطانيا قد خرجت منها ـ بفضل تماسك امبراطوريتها ـ واحدة من أربع دول عظمى تسيطر على مصائر العالم . غير ان هناك فرقا بين الامبراطورية البريطانية وحليفاتها يلفت نظر العالم الجغرافى لاول وهلة : ذلك ان كلا من الولايات المتحدة الامريكية واتحاد الجمهوريات السوفيتية وجمهورية الصين هى وحدة جغرافية مكونة من كتلة من البلاد واحدة لا تفرقها ممتلكات اجنبية . أما الامبراطورية البريطانية فانها موزعة بين سبعة بحار وممتدة من القطبين الى خط الاستواء ، وليست بوحدة جغرافية متماسكة ، وانما يربط أجزاءها بعضها ببعض بطرق بحرية طويلة هى فى الوقت نفسه طرق عالمية لجميع الدول

وقد يسأل سائل : لماذا تتحدى الحقائق الجغرافية وتفصل أقطار معينة فى أفريقيا أو فى المحيط الهادى عن جاراتها وتربط بجزيرة قصية فى شمال غربى أوربا ؟ اذا كان هذا التكوين تقصد به فائدة دولة واحدة بالامبراطورية ـ ناهيك عن طبقة واحدة داخل تلك الدولة ـ فانه لا يمكن تبريره بأى مبرر فى القرن العشرين . ولكن هناك حجة قوية واحدة لبقاء الامبراطورية البريطانية كما انتهى اليه تطورها فى خلال أربعة قرون : وهو كونها قائمة ، وكونها « تعمل » الى حد بعيد ، وكونها حتى اذا قل آداؤها عنه الآن فهى خير من عدم وجود نظام أصلا يجمع أجزاءها المتباعدة

ان هذه الحرب قد أكدت فى الاذهان تلك الحقائق الجغرافية التى عفا عليها النسيان ، ومنها مثلا ان هناك وحدة طبيعية بين جميع الأقطار الواقعة على المحيط الهندى ، وان تقدمها الاقتصادى لا يمكن أن يتم الا بزيادة ارتباطها بعضها ببعض . ويبدو ان ادارة الاقطار ووضع الخطط لها هما أمران يتعلقان بالاقتصاد وبالجغرافيا معا . وقد بينت الحرب كذلك أجلى بيان ان مسألة الدفاع عن الامبراطورية انما تحل بنجاح اذا كانت الشعوب التى بقيت خاضعة للامبراطورية يتاح لها من الأسباب ما يجعلها تعتقد ان رخاءها فى المستقبل مكفول ببقاء الوحدة البريطانية ، وبكلمة أخرى : اذا سمح لها بأن تكسب حريتها وتستمتع بها . ومن ثم يجب أن تكون هناك سياسة ايجابية لتطور العلاقات بين بريطانيا والاقطار الخاضعة لها

(عن مجلة فابيان كولونيال)

تحويل الأزهر إلى جامعة مدنية

بقلم فضيلة الشيخ محمود أبو العيون

ألقى الى « الهلال » هذا الموضوع لاكتب فيه ، وقد ترددت كثيرا فى أن أكتب أو لا أكتب ، لان الرأى فيه جلى وواضح . اذ لا معنى أن تخطر هذه الفكرة فى وقت جنحت فيه الامم التى تغلغلت فى المادة ، وظاهرت المدنية الى أقصى حدودها ، وأوسع معانيها جنحت تلك الامم الى التدين ، والاخذ بأسباب العقائد الروحية

ولكن خطرت هذه الفكرة ، ونادى بها بعض شيوخ دار الندوة « البرلمان » وقدم بها اقتراحاً لمجلس الشيوخ . اقترح عضو الشيوخ «تحويل الازهر من جامعة دينية الى جامعة عربية مدنية ، تقوم برسالة التعليم الحديث لكل أبناء الشعوب العربية ، على أن يكون فيها قسم خاص لدراسة الفنون الشرقية ، كى تقف حائلا فى سبيل الجامعة العبرية التى تعتبر خطرا شديدا على الثقافة العربية »

وجب اذن أن تكتب ، وأن نبين للناس أن هذا الاقتراح لا يتوائم والوضع الصحيح لحياة البلاد من ناحية الثقافة الروحية والادبية

***

ان الجامع الازهر الذى أمضى عشرة قرون من الزمان يؤدى رسالة الاسلام ، والثقافة العربية للشرق ، ولكل الامم التى تدين بالدين الحنيف ، وقد حفظ فى العصور الوسطى هذا التراث فى وقت ذهبت فيه ريح الخلافة العباسية ببغداد ، وتمزقت رايتها وتفرق علماؤها أيدى سبا ، وانطفأت شعلة العلم والعرفان فى تلك الاقطار التى اقتحمتها خيول التتر ، وعبرت الانهار على جسور من نفائس الكتب وأعلاقها ببغداد وبقى الازهر فى مصر معقود اللواء ، يحج اليه العلماء ، ويلوذون بحصنه الحصين ، فى ظل ملوك مصر الغر البهاليل . بقى الازهر يؤدى رسالته المدنية والدنيوية ، يرمقه المسلمون ، ويرسلون اليه بعوثهم من جميع الاقطار العربية وغير العربية ، وفيه يجدون المعونة والكفالة والملجأ الرحيم

والمرتقب أن يقوم الازهر فى المستقبل القريب بانقلاب عظيم ، ويلعب دورا خطيرا فى وضع دستور شرعى للبلاد ، وقانون يحتكم اليه المسلمون بدل القوانين الاجنبية الحالية فقد جاهر رجال القانون المقارن عندنا وفى البلاد الاخرى بأن الفقه الاسلامى مصدر من مصادر التشريع ، اعترفوا بذلك وسجلوه فى مضابط مؤتمراتهم . وقد آن الاوان أن يعلن الازهر كلمته ، ويقول للناس : تعالوا الى فقهى ما يسع كل أقضيتكم ويحقق العدالة

الاجتماعية فيكم بأوسع معانيها ، تعالوا الى فعندى المعين الذى لا يغيض أبدا . وان الفقه الاسلامى الذى نظم شئون الدول الاسلامية فى أزهى عصورها ، والذى كان يحتكم اليه الرعية غير المسلمين فى تلك الدول ، ويطمئنون اليه فى أنظمتهم وأحوالهم الشخصية ، هذا الفقه سيعود سيرته الاولى ، وسيكون منه دستور شرعى للبلاد ، والازهر سيبقى حامى حمى ذلك الدستور وملاذه الاقدس

هذه هى الفكرة المرجاة ، والامل المرتقب ، وهذا هو الازهر وحاله من الاجيال القديمة الى العصور الحديثة . واذا كان قد أصابه ضعف فى بعض نواحيه ، فان ذلك لا يضعف من شأنه كمعقل اسلامى ، وجامعة دينية هى الوحيدة بين الجامعات فى العالم

ان فخر مصر ومجدها بهذه البنية ، لا يدانيه فخر ولا يضاهيه مجد . وقد عقد لها لواء الزعامة فى الشرق خاصة لوجود الازهر الراسخ القدم فيها ، ولاحتضانها اياه ، وكفالتها له . نعم وقد كاد الازهر يصبح بفضل البعوث التى تحمل رسالته الى بلادها ، وتنشر النور والعرفان فى مغداها ومراحها بين الشعوب الاسلامية ـ كاد يصبح جامعة اسلامية عامة ليس ملكا لمصر وحدها ، بل لجميع دول الاسلام

***

ونقول : انه قبل أن تنشأ فى مصر دور التعليم النظامية ـ الخاصة منها والعامة ـ وقبل أن تنشأ الكليات الجامعية ودور التخصص فيها من هندسة وطب وزراعة الى ما اليها من فروع الدراسة ، كان الازهر يقوم بقسط كبير من هذه الدراسات . وقد روى التاريخ أن الموسيقى نفسها كانت تدرس فى الازهر ، وكان كثير من العلماء له نبوغ فى علم التشريح ، وكثير من فروع الطب ، وعلى أية حال فقد كان الازهر يقوم بوظيفة التعليم عامة فى مصر ، وفى الاقطار المجاورة . أفيكون جزاؤه بعد هذا الجهد والبلاء فى خدمة العلم والثقافة هذا الجحود والنكران للجميل ؟ واذا كان الازهر يزال ويستبدل به جامعة مدنية ، فمن للدين ينشر قواعده ويقيم بنيانه ويحمى ذماره ؟ واذا لم يكن للازهر ذلك التاريخ المجيد فى الرسوخ فى القدم ، وفى العلم ، وفى المحافظة على الدين ، والعربية ، وفى الدفاع عن كرامة الاوطان ، والتضحية فى سبيلها بكل عزيز وغال .. اذا لم يكن للازهر ذلك الفخر العتيد والمجد التليد ، فأين يكون الفخر والمجد ؟ وأى مؤسسة فى البلاد قديما وحديثا قامت ببعض ما قام به الازهر من العمل لخير هـذه الامة ، وللبلاد الاسلامية فى الدنيا

ان للازهر رسالة روحية لم يقم بها غيره ، ولم يقو على الزمان سلطان أقوى من سلطانه وقدرته وتحكمه فى المقدرات المعنوية والروحية والسلطة الزمنية للبلاد . والازهر ككل الكائنات فى الوجود تجرى عليه السنن الالهية من القوة والضعف ، والافول والازدهار ، والاقبال والادبار . فاذا كان القدر الالهى قد أصاب المسلمين بالمحن والارزاء وقضى على

الاسلام بالذبول والفتور ، وامتحن أهله فى ايمانهم ، وفى مواطن العقيدة من نفوسهم ، وأصيبوا فى ذلك مصيبة الثكل فى العزيز المرجى والامل الموموق .. اذا كان القدر الالهى قد ضرب ضربته ، فالازهر قد أصيب فى تلك الممعمة المهيضة بقليل أو كثير من التصدع ، ولم يستطع أن يقف موقف الخصومة واللدد ، والشجاعة المبرزة فى هذه الفتن

***

ولكنا نستطيع ان نقول للناس بحق ان الأزهر فى هذه الفتن الصماء استطاع ان يحافظ على كيانه ، وان يدفع عن نفسه يد الاغبار والتحول ، وان يحافظ على كثير من رسومه وتقاليده ، وهو فى ذلك يرصد الحوادث ، ويرقب الفرص ، ويرسل البعوث الى الاقطار الاسلامية ، فى الهند والصين والحبشة واليابان وغيرها ، وان يؤدى رسالته فى تلك البلاد النائية ، ولولا قيام تلك الحروب الضروس لكان لمبعوثى الازهر شأن كبير فى اليابان حسب خطة موضوعة !!

اما بعثة الصين فقد أدت رسالتها على وجه مرض ، وقدر الصينيون أثرها ، فأرسلوا بعثات من الطلبة الى الازهر ، وقد شمل جلالة الملك تلك البعثات بالعطف الشامل ، والرعاية السامية ، وهم الآن فى بحبوحة من العيش الرغيد ، والحياة الرتيبة كما ان غيرهم من بعثات الاقطار الاخرى ينالون ذلك الحظ

***

ولا نريد أن يفهم من ذلك أنا ندفع عن الأزهر اثم القعود عن الجهاد ، والدفاع عن عزة المسلمين وشرف الاسلام ، والدعوة الى النهوض والتضحية الكريمة ، والاستشهاد .. كلا وألف مرة كلا ، فالازهر ملوم ومقصر فى واجبه كممثل للاسلام ، وحصن للمسلمين . ولكن هذه الظاهرة ، ظاهرة الضعف والهزيمة لا تجعلنا ننكر سابق جهاده واعزازه واضطلاعه برسالته قديما ، فى زمان تفككت فيه الروابط والعصبيات الاسلامية ، فمتن الروابط ووصل العصبيات ، وأقام نفسه مقام الوصى الوفى ، والمرشد الامين

وبعد فحق على المسلمين فى الشرق والغرب — لا على أبناء مصر وحدهم — أن يرعوا الازهر وأن يحرصوا على كيانه ، وان يدفعوا عنه دفعهم عن عقائدهم وأرواحهم وأن يكون له منهم حراس أمناء ، فلا يستبد به غاشم ولا يجرم عليه جارم ، ولا يستغله مأجورو السياسة ، وعصبيات الاحزاب ، فما دخلت السياسة الحزبية عملا الا أفسدته ، ولا نظاما الا شوهته . وقى الله الازهر شرها ، وجنبه سوءها وأصلح حال أهله ، ووفقهم الى خدمة الحق والدين لذات الحق ولذات الدين

محمود أبو العيون

الاكتفاء الذاتي..
.. في الأمور الاقتصادية

بقلم الأستاذ سامى الجريديني

دعنا نتصور رجلا يعيش وحده ، يعمل بيده وبعقله ، كل ما يحتاج اليه من طعام أو لباس أو قراءة أو ما جاوز ذلك من الاشياء الكمالية

فهل يستطيع البقاء ؟

ان تاريخ البشرية لافصح جواب على هذا

لو كان فى الامكان أن يعيش ابن آدم فى عزلة عن جاره ، لا يأخذ منه ولا يعطيه ، لفهمنا أنه يمكن لجمعية من الجمعيات البشرية ان تنحو هذا النحو

فقد كانت روح التعاون متغلغلة فى أعماق النشوء البشرى من البسيط الى المركب ، وان لم تكن قد وضعت لها المبادىء التى ينادى بها الآن معظم العاقلين

ولم يكن هذا التعاون عن خلق عظيم ، بل كان عن حاجة ملحة سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية . والعالم الحيوانى ملآن بالتناقض فان فيه مبدأ التعاون كما أن فيه مبدأ التنازع وكان لسوء حظه أن غلب مبدأ التنازع مدة طويلة جدا لم تنته بعد . ذلك لان المرء شرير بالفطرة وأنانى نفعى ، فهو لا يلجأ الى التعاون الا اذا رأى باب الانانية لا يجدى ولا ينفع . ولقد كان للتقدم الصناعى أثر حاسم فى فتح أذهان الناس الى رؤية ضرر التزاحم الاعمى ، والى النظر الى التعاون نظرة أعم وأوسع

فتسهيل المواصلات ، وجعل العالم قريبة أجزاؤه بعضها من البعض الآخر ، وتجمع الكتلات البشرية فى مناطق الصناعة ، وامتداد رقعة تبادل التجارة ، كل هذا أدى الى مواجهة حقيقة ناصعة الظهور

وهى ان فى العالم متسعا للجميع ، وان النظام الخلقى والاقتصادى القائم على ما كان عالما زراعيا،لم يعد له اثر أوكاد ينعدم الاثر . فذهب الناس فى مجابهة هذه الحال الجديدة مذهبين

أحدهما يقول بتعاون الدول لوضع نظام يضع حدا للمنافسة غير المجدية ، وجعل العالم كله وحدة اقتصادية ، وتيسير المواد الاولية للجميع ، وقد كان صوت هذا الفريق خافتا لا يكاد يسمع له ركز

وكان أصحاب المذهب الثانى وعلى رأسهم كثير من دول أوربا وأميركا — والدكتاتورية منها على وجه التخصيص — يقولون بانزواء كل دولة وانكماشها على نفسها ، تستغنى عما

يأتيها من الخارج ، وتجعل نفسها ان كانت زراعية بحكم الطبيعة صناعية غصبا عن الطبيعة

فكان مبدأ الاكتفاء الاقتصادى الذاتى .. وهو شر ما ابتليت به حضارة ما ، وأول أسباب هذه الحروب التى تأخذ بعضها برقاب بعض . ويسمونه بالافرنجية autarchy

ذلك لان أصحاب هذا المذهب لا يرمون الا عن قوس واحدة ، هى اذكاء روح القومية ونفخها فى لهيب الشعوب حتى تضطرم ، فيشعلون نارها لحرق المبادىء الاقتصادية على مذبح الفتح والاستعمار وتحكم فريق من الناس بفريق آخر . خذ ايطاليا مثلا ..

هذا بلد ينقصه الحديد والفحم ، وينقصه القمح أيضا

ولكنه غنى بالايدى العاملة ، وبزراعات أخرى غير القمح ، وبصناعات البناء والحفر ، وما الى ذلك مما جعل الايطاليين متفوقين فيه

فأقامت مصانع وجلبت الحديد والفحم من الخارج ، وحولت الايدى العاملة الى أراضى بور يستصلحون ما أفسده الدهر منها وتم ذلك

ولكن على حساب من ؟ على حساب الشعب ..

فالقمح الذى استغلوه كان أغلى سعرا من القمح الذى كانوا يستوردونه من كندا

والطائرات والسيارات كانت أغلى مما يستوردونه من الولايات المتحدة

وكانت النتيجة أن نصف مليون من العمال ، وعشرات من أصحاب رؤوس الاموال ، أفادوا من الحالة وملأوا جيوبهم ، ولكن الاربعين من ملايين الايطاليين ملأوها لهم على حساب فقرهم . وخذ مثلا آخر تراه فى مصر ..

فقد أراد لنا بعض الناس أن تحمى الحكومة بعض الصناعات

وهذا أمر لا بأس به اذا اقترن بالحقيقة المصرية ، وهى ان هذه البقعة من الارض يخترقها النيل من الجنوب الى الشمال يجب أن تكون زراعية قبل كل شىء

وان الاقتصاد الحقيقى يقوم على انماء الثروة مهما يكن نوعها ، فتحسين الزراعة والبلوغ به القمة من حيث الكم والكيف هدف أساسى

ولكنه هدف لا ينافى العمل الصناعى ، على ان تكون الصناعة مما توحى به طبيعة البلاد وروح الاقتصاد

فكل صناعة تمت الى الزراعة بسبب قريب أو بعيد يجب تشجيعها ، انتاج الماشية ومعامل انتاج مستخرجاتها كالالبان ، ومصانع تقام لاستخراج السماد أو لاستحضاره ، كلها صناعات تعود بالخير على الكافة لملاءمتها لطبيعة الاشياء . وقس على ذلك الصناعات التى تستهلك القطن ، ولسنا فى مقام تعداد الصناعات ولكننا فى أمر وضع المبدأ السليم ، وما قد يتفرع عنه من الافادة من ماء النيل ، سواء فى مساقطه كتوليد الكهرباء من خزاناته ، أو من برباته عند ما تسير المراكب فيه صاعدات ومنحدرات للسياحة والنزهة

واما أن يخطر على بال زيد من الناس ــ هيأت له ظروف الحرب الاثراء من صناعة طارئة ــ ان يقوم وتقوم معه جماعة مثله تطلب من الحكومة أن تحمى ما أصيبت به البلاد من

صناعات ، فأمر لا يقبله العدل لانه يتنافى مع مصلحة الشعب المصرى ، ولا يريده أبسط المبادىء الاقتصادية عملا

فاذا ضربنا مثلا أو مثلين ، فليس القصد ان ندل عليهما بالذات ولكن لاظهار الحقيقة الاقتصادية . خذ الكبريت مثلا . .

فقد امتنع الاسوجى منه بسبب الحرب ، وحل محله كبريت دعوه وطنيا ، فصار سعره أعلى من سعر ما كان يأتى من الخارج ، وصنفه أردأ بكثير من الصنف الاجنبى

صحيح أن أصحاب مصانعه أثروا وملأوا جيوبهم ، وصحيح ان بعضا من العمال وجد عملا ومالا . ولكن على حساب من ومن جيب من ؟

على حساب الشعب كله . . أى على حساب المستهلك

ان فرض حماية على أمثال هذه الصناعات لآية من آيات الظلم الاجتماعى ، وهو الظلم الذى لا تراعى فيه مصلحة المستهلك وهم سواد الامة

وليس الامر مقصورا على الصناعة بل يجب أن تتعداه الى الزراعة أيضا

فالقول بحماية الفاكهة المصرية مثلا ، قول يخالف المبدأ السليم فى الاقتصاد

لانه لا معنى ان يؤدى المستهلك ثمنا باهظا فى بضاعة رديئة لانها وطنية ، بينما البضاعة الاخرى التى تأتى من الخارج أحسن وأرخص . فان الوطنية اذا اتخذت قياسا للامور ، لا يجب أن تنصرف الى الواحد الذى يستفيد ويهمل العشرة الذين يغرمون

فكون البن البرازيلى يحرق ويرمى به فى البحر فى كثير من الاوقات ، محافظة على سعره بينما بلاد أخرى تتمنى أن تذوقه . وكون البرتقال الفلسطينى يداس بالاقدام ويطمر ، بينما رجل الشارع يؤدى ثمن البرتقالة المصرية عشرين ضعفا مضافا الى ثمنها الحقيقى .

كل هذا دليل على أن الانظمة الاقتصادية مختلة التوزيع ، وان هناك عاملا فاسدا يعمل لترويج مصلحة فردية على مصلحة شعبية

فتشجيع شىء على انه وطنى ويفيد منه أقلية ضئيلة على حساب الكثرة ، ليس من الوطنية فى شىء وهو فساد صارخ على تشويه الحياة الاقتصادية

ولكن الناس يؤخذون بالالفاظ ، وتسحرهم جوامع الكلم ، وهى شىء جميل يصح أن يجعل موضوع امتحان فى اللغة أو الادب ، وان يعلق فى اطار على الحائط ، ولكنه اذا أخذه بعض الهيئات التى استمرأت الحكم ، أو التى تطمع فى الحكم ، وبوقت فيه وجعلته سلاحا لترويج مادياتها باثارة العاطفة القومية ، فانه ينقلب شرا مستطيرا ان لم يكن فى العاجل ففى الآجل

ولسنا من أعداء الرأسمالية ، ولكننا لا نعطف على الرأسماليين ، الذين يعمون عن الحقائق الاقتصادية ، والذين يضحون بكل شىء فى سبيل تحكيم المال فى الامم

فالقومية التى نادى بها الاوربيون فى ثوراتهم الماضية ، لم تكن فى الواقع ونفس الأمر الا سلاحا على الملكية ، وعلى طبقة الاشراف الذين كانوا يحتكرون السلطان والمال

فلما انقلب كيانهم ، حل محلهم قوم ليسوا ملوكا وليسوا أشرافا ، وأثبتوا انهم أشد منهم طمعا فى المال وفى السلطان ، اذ ستروا كل هذه المطامع برداء القومية

فصار اذا أجمع أصحاب الاموال المكدسة ، ورأوا ان يحتكروا صناعة فى بلدهم ، أو يستغلوا اقليما أو قارة غير أوربية بأكملها ، لتأتى فائدة أموالهم أضعافا مضاعفة ، لم يكن لهم مندوحة حتى يجيشوا بالجيوش ويبعثوا الاساطيل فى خدمة مآربهم ، الا اذكاء العاطفة القومية . وقد كانوا فيما سلف يذكونها دينية ، ويلوحون بالمجد وبالشرف الوطنى وبالسيادة القومية ، فتساق الاغنام فى خدمة أغنيائهم وافقار أنفسهم وهم لا يدركون

ولكن الرجل العادى قد تعلم ــ علمته الحرب الماضية وعلمته الحرب الحالية ــ انه العمدة فى الحرب فلماذا لا يكون العمدة فى السلم

والرجل العادى لم يعد ذلك الجاهل الذى كان اذا قيل له أن فى بقعة فى زوايا الارض قوما لا يعبدون ما يعبد ولا يصلون مثل ما يصلى ، ثارت ثائرته وظن نفسه وكيلا عن الله ، فحمل سيفه مجاهدا فى سبيله . ولم يعد ذلك الذى كان اذا قيل له أن القوم فى الواق الواق قد أهانوا كرامة وطنك ، ولم يؤدوا الجزية فهيا الى حربهم ترك الاهل والعمل وتنكب قوسه وحمل سيفه

وانما أصبح يعطف على الرجل العادى الآخر فى البلاد التى يرومونه محاربا فيها ، ويسأل حكومته ان كانت على حق فى شهر الحرب ، وفوق كل هذا وذاك يطلب ضمانا لنفسه ولاهله أن يعيش ويعمل وان يضمن له ذلك

وعلى هذا قامت المبادىء الاجتماعية والاشتراكية ، التى تكاد ان تعم العالم الآن ، والتى أصبحت ترى فى الامور الاقتصادية الطريق الى اشباع الشعب ثم اسعاده . وترى انها كلها فى هذا العالم وحدة لا يصح تجزئتها ، فيكون الاقتصاد سبيلا الى السلام ، عند ما يصبح ضامنا لرجل الشارع قوت يومه ولباسه وسكنه وتعليمه

لذلك نرى علماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع بل كل المثقفين العالميين ، ينظرون الى مبدأ الاكتفاء الذاتى فى الشؤون الاقتصادية نكبة نكبت بها الانسانية ، وان لا أمل لمثل هذا المبدأ أن يعيش وعلى الاخص فى هذا العصر الذى أصبح بطياراته وسياراته ولاسلكيه بقعة واحدة لا قيمة معها لبحر أو لجبل . ولكن المرء بطىء الفهم ، يكره الانتقال من حال الى حال ، فهو لا يزال تحت تأثير الماضى بتعاليمه وعقليته ، ولكنه لا يحتاج الى زمن طويل حتى يدرك الامور على حقيقتها

وأهم ما سيدركه عند ما ينظر الى العالم النظرة الواسعة التى تجعله مسكنا واحدا لقوم أصبحوا متقاربين ان عليه هو ــ الرجل العادى ــ ان يجعل الاعمال الحكومية تسير سيرة الاعمال الخاصة ، أى لمصلحة الشعب لا لمصلحة وهم يسمونه تارة «سيادة دولية» وأخرى « سياسة عليا »

سامى الجريدينى

الباكستان ..
أو دولة اسلامية فى الهند

بقلم السردار إقبال على شاه

ان حركة الباكستان هى حركة يقوم بها مسلمو الهند الذين يبلغ عددهم أربعة وتسعين مليون نسمة أو يزيدون ، ويرمون بها الى انشاء دولة اسلامية فى داخل تلك البلاد . وهم بذلك ينكرون أن المسلمين والهندوكيين يكونون أمة واحدة ، ويأبون ان يحكموا حكما قائما على الانتخابات العامة والأغلبية التى تسفر عنها ، كما يرفضون فكرة ايجاد اتحاد بين ولايات الهند كما تضمنه « قانون حكومة الهند » الصادر فى سنة ١٩٣٥

وقد ابتدع رحمت على كلمة الباكستان منذ نحو اثنتى عشرة سنة باتخاذ الحروف الاولى من أسماء الولايات التى يكون فيها المسلمون أغلبية ساحقة ، فمثلا حرف ب يمثل ولاية بنجاب ، والالف أفغانه ، والكاف كاشمير ، والمقطع (ستان) يمثل باخوستان والسند

واتخذت «الرابطة الاسلامية» ــ الهيئة السياسية المنظمة الوحيدة المعترف بها للمسلمين فى الهند ــ الباكستان غاية لها فى سنة ١٩٤٠ ، وأخذت منذ ذلك تطالب بتحقيقها فى جد ومثابرة ، متحدية « حزب المؤتمر » الذى يدعى انه الهيئة الوحيدة التى تمثل الامة الهندية . وهكذا تجد زعيمين فى الهند : غاندى للهندوكيين ، والسيد جناح للمسلمين

□

ان مطالبة مسلمى الهند بأن يكونوا أمة قائمة بذاتها لم تنقطع قط ، ففى سنة ١٠٣٠ كتب البرونى Albercussi عن الفوارق العظيمة التى بين الهندوكيين والمسلمين فى الهند وقال : « انهم لا يجوز لهم ان يتصلوا بأحد من غير دينهم ، وذلك يجعل الهوة سحيقة بين الفريقين ولا يدع سبيلا الى التوفيق بينهم » . وبعد ما يقرب من ألف سنة أى فى سنة ١٩٤٢ خطب السير حسن سهروردى فى لندن ، فبين البون الشاسع بين المثل العليا لكل من الطائفتين ، وقال : « ان التعاون الاجتماعى هو أساس الحكم الديموقراطى . ولكن المسلمين ينادون بالمساواة بين جميع أتباع الاسلام حتى ولو كانوا أصلا من طائفة المنبوذين الذين يزدريهم البراهميون المتكبرون »

كذلك يختلف الهندوكيون والمسلمون فى كل شأن من شؤون الحياة . فالاولون يعبدون الاصنام والآخرون ينكرونها . والاولون يؤلهون البقرة والآخرون يذبحونها ويأكلون لحمها . والاولون يؤمنون بالمقاومة السلبية ، والآخرون يميلون الى الحرب والقتال . والهندوسى يتوارث خدمة الاسياد أبا عن جد ، بينما المسلم لا ينسى ان أجداده كانوا

يحكمون الهند منذ قرن واحد من الزمان . كذلك يختلف الفريقان فى السياسة وفى العمل وفى الصلات الاجتماعية . والديانة فى الهند هى الاساس لكل فكرة وكل مسلك ، وهى التى تحول دون نشوء الفكرة القومية وتوحيد الطوائف كأمة واحدة . وقد ذهبت سدى جهود المخلصين الذين سعوا فى هذا السبيل

وقد قامت الاضطرابات الطائفية ولا تزال تنذر بالقيام فى أى وقت ، لان الانجليز رأوا أن يتخلوا عن السلطة الى أكثرية دائمة من الهنود ، ليس مبعثها النظام الحزبى كما فى انجلترا ولكن منشأها الدين . ولما كانت نسبة الهندوكيين الى المسلمين كنسبة ثلاثة الى واحد ، فان الحكومة فى نيودلهى تكون مؤلفة من الاولين بصفة دائمة . فكان لا بد من قيام الاضطرابات لان المسلمين لم يستطيعوا أن يقبلوا سيطرة الهندوكيين عليهم ، ولم يروا فى حكومة المؤتمر ضمانا لحقوقهم

□

وعلى ذلك شاب تاريخ الهند منذ سنة ١٩٢١ تلك الاضطرابات الطائفية المخجلة . ففى سنة ١٩٢٢ هاجم الهندوكيون مواكب المسلمين فى بنغال وبنجاب . وبعد سنتين من ذلك وقعت مأساة كوهات . وفى سنة ١٩٢٥ وقعت اضطرابات كثيرة فى دلهى وناجبور ولاهور، حتى وصل لهيبها الى بلاد نظام حيدراباد الهادئة فحدثت حوادث خطيرة فى جلبارجا . وفى خلال الثلاث أو الاربع السنوات التالية كانت كلكتا وبومباى موضعا لامثال تلك الحوادث . وكانت الاضطرابات تنشب لادنى سبب ، ومن الامثلة على ذلك ما وقع فى كلكتا اذ حوصر جواد جامع فى ركن شارع من شوارعها ، فذاعت اشاعة عن وقوع اضطرابات بين الهندوكيين والمسلمين ، وما لبث كل من الفريقين ان شرع يفتك بالآخر دون رحمة ، وحطمت المعابد والمساجد وسخر كل فريق بزعماء الفريق الآخر وما يعبد. وفى سنة ١٩٣٠ وقعت مدينة كنبور فى أيدى الثوار وظلوا يحكمونها ثلاثة أيام . وفى سنتى ١٩٣٣ و١٩٣٤ قامت الاضطرابات فى مدينة بنارس المقدسة وفى لاهور ومدراس وسند . وأصل تلك الاضطرابات العنيفة التى عمت الهند هو خوف المسلمين من ان يقعوا تحت سيطرة الهندوكيين

وقد ظلت الحال على هذا المنوال حتى قدم السير ستافورد كريبس مشروعه ، فرفضه السيد جناح لانه لم يحو قبولا صريحا لفكرة الباكستان

والآن لا غاية للرابطة الاسلامية سوى قيام دولة اسلامية فى تلك الولايات والمناطق التى يؤلف المسلمون فيها غالبية ساحقة ، وهى تشمل منطقة الحدود الشمالية الغربية وبنجاب والسند وبنغال .

وتعد الرابطة الاسلامية نفسها ممثلة لاكثرية المسلمين فى الهند ، فيرد المؤتمر — الذى يسيطر عليه غاندى — بأن كثيرا من المسلمين بين أعضائه على أساس الانتخابات العامة ، وهو يقصد بذلك الانتخابات التى أجريت فى سنة ١٩٣٧ . غير انه فى تلك الانتخابات لم

يضمن المسلمون لانفسهم سوى ٢٦ مقعدا من ٤٨٢ مقعـدا كانت محجوزة لهم . أما الانتخابات الفرعية التى تمت بعد تلك السنة فان نتائجها تلفت النظر حقا : ففى منطقة الحدود كسب أنصار الباكستان ثلاثة مقاعد من أربعة ، وفى البنغال اثنى عشر مقعدا من ثلاثة عشر ، وفى بنجاب كل المقاعد الاثنى عشر . وبالاجمال فازت الرابطة الاسلامية فى ٤٦ انتخابا فرعيا بالاقاليم من ٥٤ ولم يفز المؤتمر الا فى اثنين منها . وفى الجمعية التشريعية المركزية كسب أنصار الباكستان اربعة مقاعد والمؤتمر واحدا فقط

ان الاكثرية الساحقة من مسلمى الهند تعد السيد جناح زعيما لها وتتخذ الباكستان غاية لا تحيد عنها . ولا يعدو الباكستان ان المناطق الاسلامية فى اقليم الحـدود الغربية الشمالية والبنجاب والسند وبنغال تصبح ولايات ذات استقلال داخلى وكيان مستقل ، وتقوم فيها حكومة ديموقراطية مناسبة لتعاليمها الدينية ، وتتحد تلك الولايات فيما بينها اتحاد الولايات المستقلة . وعلى التحديد : تصبح بنغال ولاية مستقلة ، وتتكون من الحدود والبنجاب والسند ولاية مستقلة أخرى ، وتتحد هاتان الولايتان على أساس المساواة ، وتكونان على استعداد لعقد المعاهدات والاتفاقات مع الولايات الهندوكية المستقلة أيضا والمسماة فى مجموعها « هندوستان » ولن تكون هناك حكومة مركزية فى الهند . ويمكن الباكستان ان يتفق مع بريطانيا العظمى على طريقة العمل معها ، وهو مستعد ان يضمن مصالح الاجانب جميعها ، سواء كانت سياسية أو تجارية ، ويكفل للاقليات الهندوكية جميع الحقوق المعترف بها فى الدول المتمدنة

□

ويقول زعماء الرابطة الاسلامية ان الحكومات التى قامت من المؤتمر كانت غير عادلة نحو المسلمين ، وقد بينوا أن هؤلاء ، فى مدراس ، تحت حكم المؤتمر ، قد أعطوا من المقاعد البرلمانية أقل مما يخوله لهم تعدادهم ، فمثلا فى كومول يبلغ تعدادهم ١٣٫٢ ولكن مقاعدهم التمثيلية كما لو كان تعدادهم ٧٫٧ فقط . وفضلا عن ذلك أبعد المسلمون عن مجالس تسوية الديون ، وفى ذلك ضرر بالغ لهم لانهم أول فرائس المرابين الهندوكيين. كذلك فرضت الانشودة الهندوكية الدينية المسماة « باندى ماترام » كصلاة تتلى عند افتتاح المجلس التشريعى مع أن المسلمين يعدونها تقديسا للاصنام . وغير ذلك كثير مما زاد شعور العداوة بين الهندوكيين وأنصار الباكستان

ويقال ردا على حركة الباكستان ان الولايات الاسلامية اذا فصلت عن بقية الهند أضر ذلك بالاقتصاد القومى للبلاد كلها ، وان منطقة الحدود الشمالية الغربية والسند تعتمدان على معونة الحكومة المركزية ولا يمكنهما ان تكفيا نفسيهما . ولكن انصار الباكستان يردون على ذلك بان الحالة الاقتصادية لا تلبث أن توازن نفسها لان نفقات الدفاع الحربى سوف توفر ، اذ لا يوجد خطر جدى من ان يهاجم الروس الهند أو ان يغزوها الافغان . كذلك اذا أصبحت المرافق الاقتصادية فى تلك المناطق بأيدى المسلمين فان مجال العمل يتسع هناك

باستغلال الموارد الطبيعية فى تلك النواحى حيث يوجد زيت البترول وغيره من مقومات الثروة المعدنية

أما الولايات الاسلامية القائمة فان انصار الباكستان لم يتدخلوا فى شؤونها . وقد نصح السيد جناح ، فى خطبة حديثة له ، لاهالى كشميرى بالولاء للمهراجا ، كما أكد للسيخ الذين يكونون أقلية فى بنجاب بأن لا حاجـة بهم للخوف والقلق اذا حكمتهم حكومة اسلامية لانها سوف تحترم حقوقهم وترعى مصالحهم

وفى الحق ان الدعوة الى الباكستان قد أحدثت يقظة ونهضة بين مسلمى الهند ، وهم لن يعودوا الى فكرة السواراج « الاستقلال » القديمة لانهم يعدونها من وحى الهندوكيين، وكل مسلم الآن يرتاب فى أى شىء يكون مبعثه المؤتمر

▭

على انه والحق يقال لم يضع السيد جناح حتى الآن برنامجا محددا للحكم ، تكون غايته الاصلاح والتجديد بعد الحرب ، وخصوصا الاصلاح الريفى . وهذه المسألة الاخيرة لا بد ان تواجه ذلك الزعيم لان ٧٠ فى المائة من أهالى الهند من الزراع ، فلن تنجح اية خطة سياسية لا تجذب الفلاحين اليها ، أولئك الذين لا يعنيهم الا أن يفلحوا الارض ويحصدوا الثمر ، تاركين السياسة لاهالى المدن . ولا ريب ان عدم وجود خطة محددة لتلك الغاية قد أدى الى فوز حزب زامندار ـ وهو حزب أصحاب الاراضى الزراعية فى البنجاب ـ على الرابطة الاسلامية هنالك ، فان فلاح البنجاب قد يعرف هدف الباكستان وقد ينجذب اليه ، ولكنه وهو عملى بطبيعته ، يهمه ان يعرف الفائدة التى يجنيها من تغير نظام الحكم اذا نجحت تلك الحركة . كذلك حزب المؤتمر الهندوكى لم ينجح كثيرا فى « الاقاليم المتحدة » لانه فى خلال السنوات الثلاث التى قامت فيها حكومته لم يشعر الفلاح الصغير بأى تحسن فى حاله

ان المسألة الهندية لن يحلها المؤتمر ولا الرابطة الاسلامية الا اذا وضع السيد جناح ومستشاروه خطة واضحة للنهوض بالريف ، والا اذا استطاع أحد الاحزاب الهندية أو ائتلاف بين هذه الاحزاب ان يحسنوا حالة الفلاحين الذين هم السواد الاعظم فى الهند . وكثير من الرقباء يحسبون ان المسألة كلها ستعود فتقع على عاتق انجلترا حيث تعقد مؤتمرات جديدة حول المائدة المستديرة فتضع مشروعات متعارضة وأخيرا بعد ان اتفق الهنود على أن يختلفوا ، قد يقبلون ما تهيئه لهم انجلترا . وأملنا الوحيد انه متى انتهت الحرب يقبل أصحاب الرؤوس المفكرة فى انجلترا والهند على دراسة مسألة الباكستان بحذافيرها ، ويحاولون أن يوفقوا بينها وبين ما يريده حزب المؤتمر

(عن مجلة فورنايتلى)

قرار التاريخ يحاكمون هتلر

اعضاء المحكمة { الاسكندر المقدونى — جانكيز خان
فردريك الأكبر — نابليون بونابرت }

المكان : فوق جبل الأولب — الزمان : الوقت الحاضر

كاتم سر الجلسة : سكرتير جبل الأولب

كاتم السر : أيها السادة : ان هذا الاجتماع يعقد تلبية « للامر الاعلى » ، لتبحثوا ، ولتقرروا – فى ضوء ما مر بكم من العبر والتجارب ، وما اديتم من أعمال وما استهدفتم له من أخطاء – ما ينتحله « أدولف هتلر » من الاعذار والاسباب تبريرا للحروب التى أثارها والسياسة التى انتهجها ، ليدفع عن نفسه « العذاب الابدى » الذى يراد به أن يصلاه أبدا

الاسكندر : اظن أن لى ان أبدأ المناقشة ، بصفتى أكبركم . . أعنى أكبركم سنا فقد ولدت قبلكم جميعا

لقد اخترنا لنبحث أمر هذا الرجل الذى أراد أن يفعل مثلما حاول أن يفعل ثلاثة منا وهو أن يقهر هذا الذى يسميه الناس بالعالم – وهم انما يعنون « الارض » فحسب . أما رابعنا – هذا الرجل الضئيل المسمى بفردريك الاكبر – فانك وان لم تقهر أكثر من مملكة ضئيلة الشأن صغيرة الحجم ، الا انك دعيت معنا لان هذا الرجل – هتلر – يدعى أنه اتخذك مثالا يتأثره ويحتذيه ، وانه جعل منك « الاب » الذى يستلهمه ويستوحيه . وانى أرى أن تبدأ أنت فتقدم لنا رأيك فى هذا الرجل . .

فردريك : قد أكون – بالقياس اليكم – فاتحا صغيرا لم يقهر من هذه الارض الا ركنا بسيطا ، ولكنى من المرجح اننى كنت أعظم قائد فى عصرى فى وضع الخطط وتسيير الجيوش . فمن هذه الناحية لا يمكن أن يكون هتلر صادقا فى أنه سار على نهجى ونسج على منوالى . . لقد أفسد هذا الرجل جهازا حربيا ضخما هائلا لو اننى كنت أملك مثله لكنت اليوم ضريبكم وقرينكم فى فتح آفاق الارض وقهر شعوب العالم . ولقد واتى الحظ هذا الرجل فى هذه الحرب مرارا ، فكان فى كل مرة يتخذ قرارا خطأ لا يجدى معه الحظ والتوفيق ، فهو جندى فاشل لم يتتلمذ على كما يدعى ، ولا صلة بينى وبينه من الوجهة الحربية الفنية

الاسكندر : ليس هذا ما نريده فى هذا الاجتماع . فلسنا نبحث فيما اذا كان هذا الرجل

ـ أدولف هتلر ـ قائدا محنكا قديرا ، أم جنديا جاهلا عاجزا . انما نريد أن نبحث حروبه من وجهة أغراضها وأهدافها ـ كما بحثت من قبل حروبنا فوجدوا أنها كانت تهدف الى غايات سامية بررت ما أريق وأزهق فيها من دماء وأرواح ، وكفتنا شر التعذيب والتنكيل الى أبد الآبدين . ولو لم تكن لحروبنا غايات نبيلة لاخذنا بويلاتها وجرائرها ، وصب علينا العذاب من أجلها صبا

فأنا مثلا برئت من جريرة الحرب ـ أو غفر لى ما اقترفت من الآثام حين أجريت دماء البشر سيولا ، وحين غزوت البلاد وقهرت أهليها ، وحين فتنتنى القوة فنصبت نفسى على الناس الها .. غفر لى هذا كله لاننى انما أردت بهذه الحروب أن أخدم أسمى وأعظم حضارة عرفها الناس فى تلك العصور . لقد كنت تلميذ معلم الانسانية الاول ارسطاطاليس وكنت أحمل بيدى شعلة الثقافة والحكمة اليونانية ، فأردت أن افتح العالم لانشر فى أرجائه فلسفة استاذى وحضارة شعبى .. وقد فعلت . فحملت اسباب المدنية ، وحملت المثل العلياء الى شعوب الارض التى قهرتها، وبذلك تركت فيها آثار الحضارة الاغريقية السامية، وتركتها ثابتة راسخة لم تقو على محوها بعد ذلك أيادى الزمن ولا أحداث التاريخ

كانت حكمة اليونان وثقافتها مقصورة على شعب واحد ، فاذعتها وأشعتها بين سائر الشعوب ، ووصلت شرق العالم بغربه بصلات وثيقة من الفنون والآداب والفلسفات ..

جنكيزخان : كلامك يا اسكندر حق لا شك فيه . فبعدك بخمسة عشر قرنا قمت افتح العالم ، فقهرت جزءا كبيرا من تلك الامبراطورية التى أنشأتها ، فوجدت آثار الحضارة اليونانية التى حملتها الى كل مكان وطئته جيوشك . وجدت هذه الآثار بادية فى الشرق والغرب ، على حدود الهند وعلى ضفاف الدجلة وفى أرجاء أوربا . ولم يستطع رجالى ، الفرسان الذين اجتاحوا العالم كما تجتاحه العاصفة العاتية ، ان يقتلعوا تلك الاسس الراسخة التى أرساها الاسكندر وأرسى معها حضارة الاغريق

أما أنا فلم يكن من ورائى مثل ومبادىء أريد أن أنشرها ، ولم يكن لقومى حضارة أو ثقافة أريد أن أذيعها .. ومع ذلك فقد كان لى غرض عظيم ، هو أننى وجدت العالم فى حال من الفوضى والشقاق والنزاع ، لا ينفك يحارب بعضه بعضا بدافع من تنافس ملوكه وامرائه على الحكم والسلطان . فأردت ان اقضى على هذه الفوضى بأن أنشىء امبراطورية عالمية تنتظم جميع آفاقه وارجائه ، واتولى بنفسى الاشراف عليها وتوجيهها يعاوننى فى ذلك نفر من ضباطى يحلون محل أولئك الحكام والامراء المتنازعين

هذه الغاية ـ احلال النظام محل الفوضى ، واثارة حرب تقضى على ما بعدها من الحروب ـ هى التى شفعت لى وانقذتنى من العذاب ..

نابليون : أما أنا فالذى شفع لى ونجانى هو أننى نشرت فى أثناء حروبى وحملاتى مبادىء الثورة الفرنسية .. لقد سيرت جيوشى فى أرجاء العالم فوجدتها تئن تحت وطأة الملوك

والحكام الطغاة ، ووجدت الناس يعيشون فى ظلام النظام الاقطاعى القاسى . فحملت اليهم مبادىء الحرية والاخاء والمساواة ، وبذلك قضيت على هذا الرق الاقطاعى ، وخلصت العالم من أوهام العصور الماضية ، التى كانت تخيل الى الناس أن الملوك ظلال الله فى الارض ، وفتحت عيون الناس على وجه جديد من وجوه الحياة يعرفون فيه ان لهم حقوقا يجب أن ينالوها . .

وقد فقدت الامبراطورية التى أنشأتها وما زلت حيا ، ولكن آثارى فى ارجائها باقية الى الابد . . فقد حاول الحكام الطغاة من بعدى أن يعودوا الى سيرتهم الاولى فى حكم الشعوب واذلالها ، فلم يجدوا الى ذلك سبيلا . فقد حسرت اللثام عن أعين هذه الشعوب المقهورة ، فرأت وعلمت أن لها حقوقا اسمها « حقوق الانسان » ، فاستمسكت بها وأبت ان تفرط فيها ، بل حرصت ــ على مر الايام ــ أن تستزيد منها وتتوسع فيها

فردريك : وأنا أيضا كانت لى غاية بررت حروبى ، وغفرت آثامى ، وجنبتنى نار العذاب . . ولكن من العجب أن هذه الغاية ذاتها قد انتحلها هذا الرجل ــ هتلر ــ فكانت فى يده اثما يجازى عليه ، لا فخرا يكافأ له . .

هذه الغاية هى « البروسية » . لقد أردت أن أجعل من الشعب خادما للدولة ، يعمل ويضحى لها ، وينكر نفسه فى سبيلها ، غير ناظر الى فائدة مادية يجنيها من وراء هذه التضحية وهذا الايثار ، وأنا نفسى كنت اشعر ، وكنت أقول عن نفسى ، أننى أول خادم للدولة . لم أجعل نفسى سيدا لها يسخرها فى أغراضه وغاياته ، بل وضعت نفسى خادما لها يكرس نفسه لخدمة أغراضها وغاياتها . . فانظروا كيف فعل هذا الجندى هتلر بمبادىء « البروسية » ، حين جعل الدولة مطية له يذهب بها أين شاء ، ومن حوله « قمصانه » تهتف له « هايل هتلر » بينما هو يسير فى أرجاء الارض يذل شعوبها ، وينهب أقوامها ، ويستنزف دماءها ، يعاونه جمع من القواد والاعوان خلوا من النبوغ مثلما خلوا من الانسانية . .

ان « البروسية » ، التى شفعت لى وبرأتنى ، هى التى تحكم عليه وتدينه ، فشتان بين من يتخذ الدولة سيدا يخدمها ، وبين من يتخذها خادما يتحكم فيها !

واذن فانى أعطى صوتى ضد هتلر وأطلب ادانته

الاسكندر : لقد أخذنا اذن صوت واحد منا ، وهو صوت واضح جلى يطلب الادانة ، فلنتقدم نحن أيضا بأصواتنا ، بعد ان ألخص لكم ما قيل

اننا جميعا نعلم أن فتح العالم وقهر شعوبه جريمة . . جريمة يزيد فى نكرها واثمها مايقترن بها من أعمال القسوة والغدر والعدوان ، وما الى ذلك من الرذائل والآثام التى لا مناص منها لمن يقترف هذه الجريمة . . وعقوبة الجريمة هى العذاب الابدى يقاسيه المجرم أبد الابدين ، الا اذا كان ثمة سبب خاص يبرر الجريمة ويشفع لمن اقترفها . .

وقد كان لكل منا ما يبرر جريمته . كان لى ما أردته من نشر الحضارة الاغريقية وربط الشرق بالغرب برباط من هذه الحضارة العظيمة . وكان لجنكيزخان ما أراده من احلال النظام محل الفوضى ، وانشاء امبراطورية عالمية موحدة تقضى على ما بين الملوك والأمراء من أسباب النزاع والقتال . وكان لفردريك رغبته فى أن يجعل الافراد خداما للمجموع يعملون ويضحون فى سبيله ، لا أن يجعل من المجموع خادما للافراد يستبدون بأمره ويستأثرون بخيره ، وهو ما سماه « البروسية » وكان لنابليون ما اذاعه فى العالم من مبادىء الثورة الفرنسية التى فتحت عيون الناس واذهانهم على ضروب من الحريات والحقوق

ولست أرى فى سياسة هتلر ولا فى حروبه شيئا من هذه الغايات .. فهو لم ينشىء ولم ينشر أية حضارة ، بل على النقيض من ذلك هدم ودمر الحضارة القائمة . لقد كان معولا فى هدم الحضارة الالمانية الصحيحة ــ هذه الحضارة التى تتمثل فى شعر جيته وهايني ، وفى فن دورر وهولبين ، وفى فلسفة هوتن وكانت . لقد حارب المفكرين والعلماء الذين آثروا حقيقة البحث والعلم على ان يأتمروا بأمره ويرضخوا لمشيئته . وجعل من دور العلم ومنشئات الحضارة ثكنات يبعث منها الجنود ليجعلوا من العلم اداة للتدمير ، ومن الحضارة وسيلة للعدوان

وهو لم يرد أن ينشىء امبراطورية عالمية لانقاذ العالم من الحروب .. بل أراد أن ينشىء نظاما يكون وسيلته واداته فى تسخير شعب فتنه وأغراه بأن سماه « الشعب السيد » مع أنه فى واقع الامر أحاله الى شعب عبد يأمره فيطيع ، ويسوقه فينساق الى حيث يعتدى على الشعوب الاخرى فيذلها وينزل بها بجائحة خاصمة

وهو لم يحمل الى الشعوب التى قهرها مبادىء الحرية بل سلبها ما كان لها من قبل من وجوه الحرية ، واتخذ من حوله هيئة رهيبة تذيق هذه الشعوب ألوان القسوة والنكال ، حتى ضاقت به ذرعا فقامت فى وجهه متمردة ثائرة

واذن فأنا لا أرى ما يبرر جريمته ، وأطلب اداته

جنكيزخان : وكذلك أنا

نابليون : وأنا أيضا .. فأنا لا أطيق هذا الدعى الابله ..

السكرتير : لقد اجمعتم جميعا على رأى واحد هو ادانة أدولف هتلر .. لم تجدوا أى عذر يبرر هذه الحروب اللاهبة التى أثارها . وسأرفع قراركم هذا الى القاضى الأعلى ، الى الحكم العدل .. (عن صحيفة ميلاس الانجليزية)

الإله المجهول

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

يعد سقراط الفيلسوف الاعظم بين فلاسفة اليونان والرومان . وهو اثيني المولد ، وقد عاش سبعين سنة حتى آخر القرن الخامس قبل المسيح . وكان ضليعا بالعلوم الرياضية والطبيعية والفلكية حسب علم عصره . ولكنه لما رأى الأخلاق فاسدة ، وسلوك الشعب منحطا ، وعقيدته الدينية خطأ ، وجه معظم همه الى الفلسفة الادبية . فكان يكرز بمبادىء الفضيلة والمحبة والتقوى والانسانية ، حتى انه أهمل نفسه لكى يؤدى رسالته هذه على أحسن مثال . ولعله لاح فى باله انه مدعو من قبل اله الكون الاعلى لهذه الخدمة الانسانية

كان رث الثياب واحيانا حافى القدمين . وعلى الرغم من ضعة مظهره ، كان يلتف حوله طلاب المعرفة من كل طبقة وسن بكل احترام وتوقير ، لانه كان يسحرهم بحكمته وعلمه وسمو مبادئه ونقاء تفكيره . فكانوا يسائلونه فى كل موضوع فيفتنهم بأجوبته الصائبة ومنطقه العجيب وفلسفته العميقة

***

وكان الرومان واليونان فى عصره ، ومنذ قرون يعبدون الاوثان ولا يعرفون الله . لا يعرفون الا ابولون وزفس وجوبيتر وغيرهم من عشرات الآلهة التى كانوا يتخذونها من ظاهرات الطبيعة كالسماء والاجرام والنور والبرق والرعد الخ . وكانوا يمثلونها بتماثيل واصنام فى الهياكل ويعبدونها عن طريق هذه الاوثان

على ان سقراط كان يرى بنور بصيرته الثاقب ان وراء هذه الظاهرات الطبيعية قوات تحركها . بل وراء هذه القوات قوة قصوى تحرك الاكوان جميعا . ولذلك كان يجحد هذه الاوثان ويحقرها فى نظر الناشئة ، ويصرف افكار الناس ولا سيما الشبان عنها . فكان تعليمه موغرا لصدر السلطة الحكومية ضده . فلم تتورع الحكومة عن استدعائه للمحاكمة ، واليك تحرير الخبر . .

***

كان سقراط يسير فى الشوارع واعظا ويعلم ان الفضيلة هى مصدر السعادة والسلام للجنس البشرى كله . وكان تلاميذه يتبعونه مستمعين متعظين . وفى ذات يوم مر أمام البنثيون ، وهو هيكل الهياكل أو دار مجموعة هياكل الآلهة . فدخل اليه ودخل وراءه تابعوه ، وطاف بهم امام أصنام الآلهة الى أن وقف أمام جوبيتر « كوكب المشترى » اله

السموات والارض ، وسأله : لماذا لم تملأ الارض آدميين حتى اليوم ؟

وبالطبع يجاوب الصنم بلسان الكاهن أو الكاهنة الذى يقف الى جانب الصنم أو وراءه

فقال جوبيتر : سل مارس « المريخ » اله الحرب . أنا أنمى وهو يهلك

فقال سقراط : هذا جواب حق . هلم يا تلاميذى الى المريخ لنرى ماذا يقول

وتقدموا جميعا الى صنم المريخ فسأله سقراط . لماذا تهلك كل من يخلقه جوبيتر اله السماء والارض ؟

فأجاب المريخ : عجبا ! ألست اله الحرب ؟ أوليست وظيفتى سفك الدماء والقتل والابادة ؟

ــ من جعلك الها ؟

ــ البشر ألهونى ، وجعلوا الحرب وظيفتى ، فتوليتها منذ قتل قايين هابيل ، وقد قمت بهذه الوظيفة الخطيرة خير قيام

ــ حقا لم يقم أحد بوظيفته كما قمت أنت . انك تستحق وساما مجيدا جزاء هذه الامانة . ليت البشر يتعلمون الامانة منك

ــ لو تعلموها لعجزت عن القيام بوظيفتى ، لان خياناتهم وشرورهم هى عدتى فى وظيفتى . . أى وسام استحق أيها المعلم

ــ تستحق وسام المجد مغموسا بالدم . . الا تستريح حقبة من الزمن ؟

فقال المريخ : سل سيدنا ابولون كبير الآلهة : متى يمنحنى زمن عطلة عن العمل

واتجه سقراط بتلاميذه الى ابولون وسأله : حتى متى تنزل الشقاء بالجنس البشرى ؟ هل لك لذة فيه

فأجاب ابولون : لست أنا الذى ينزل الشقاء بالجنس البشرى ، بل الجنس البشرى اختار شقاءه لنفسه ، فارسلت اليه المريخ لكى يشقيه شر اشقاء

ــ أليس لهذا الاشقاء آخر ؟

قال : سل هيليوس اله الشمس متى تبرد حرارته . فثمة الفناء وبه آخر الشقاء

فتوجه سقراط الى هيليوس اله الشمس وقال : متى تبرد الشمس ويزول الاحتراق

قال : اذهب الى لونا الهة القمر فهى عندها جدول أعمار الاجرام . لان القمر أول من برد من أولادى

فذهب سقراط الى لونا الهة القمر وتلاميذه يحفون حوله وسألها : هل تستطيعين ان ترينا الليلة بدرا كاملا

قالت : قابلنى فى المساء فأريك فى كبد السماء نصف قمر وبعد اسبوع أريك بدرا كاملا

فقال سقراط : بورك بك المجد لقدرتك

ثم اتجه الى هيفاستوس الهة البرق والرعد وسألها : الا يمكن أن ترينا الآن بروقا وتسمعنا رعودا

فقالت : فى الصيف أعد برنامج الشتاء ولا أغير شيئا من منهاجى

ـ عذر مقبول

واتجه بتلاميذه الى نبتون اله البحر وسأله : أرجو منك ان تهدىء البحر شهرا كاملا

فقال نبتون : لست أغير منهاجى لاجل خاطر أحد . ما دبرته طبيعتى لا ينقض

ـ سبحان طبيعتك المنظمة . من سماك نبتونا ؟

ـ آدم سمانى . لانه بعد ان سمى الحيوانات والنباتات طفق يسمى الآلهة

ـ ماذا كانت لغة آدم ؟ اليونانية أم اللاتينية ؟

ـ لست أعنى آدم العبران بل اعنى آدم اليونان والرومان

ـ من جعلكم الهة ؟

ـ آدم ألهنا

ـ اذن فكان آدم قبلكم

نعم نحن بنات أفكار آدم.

ـ مرحى مرحى

وخرج سقراط يقود تلاميذه فمروا بهيكل دلفى ، حيث استقبلتهم الكاهنة العرافة.

فسألها سقراط : ما وراء الكاهنة العالمة من نبوءات

فقالت : سيموت سقراط بغير سيف . وبشير دام بل بخلود الآلهة

ولما خرجوا سأله تلاميذه : ماذا تعنى الكاهنة بهذا القول ؟

قال : لا تعنى ما تقول ولا تقول ما تعنى . والا فليست عرافة . ليست هذه الكاهنة العرافة الا ترجمان هذيان الآلهة . وما نطق أحد من أولئك الآلهة حكمة صادقة الا نبتون اله البحر اذ قال : « نحن بنات أفكار آدم » ، لان هؤلاء الآلهة ليسوا الا تخيلات الشعراء فى دور الجهالة حين كانوا لا يفهمون ما سبب تغير جرم القمر وهياج البحر ووميض البرق وقصف الرعد الخ . فألهوها وعبدوها وبنوا لها الهياكل ونحتوا الاوثان، وقدموا لها القرابين والذبائح . فكانوا اذن يؤلهون أوهامهم ويعبدون خرافاتهم ويمجدون سخافاتهم ويسبحون لترهاتهم . ليس لهذه الآلهة يا أولادى من وجود الا فى أدمغة عبادها ، وقيمتها دون قيمة هذه التماثيل الصماء العمياء التى تمثلها . بل لهذه التماثيل شىء من قيمة الفن وروعته . فاصرفوا نظركم عن هذه الآلهة الخرافية واتجهوا الى اله واحد أحد أعلى غير منظور يدبر هذا الكون

فسأله بعضهم : أين هذا الاله الذى تقول به ؟

ـ هو فى الكون يملأه ويدير حركاته

ـ عجبا . لا نفهم كيف يكون وكيف يملأ الكون . لكل اله ظاهرات تدل عليه . فالبحر مثلا يدل على وجود نبتون . والقمر يدل على وجود لونا وهلم جرا . فما هى الظاهرات التى تدل على هذا الاله العظيم

ـ جميع حركات هذه الاكوان تدل على وجوده لانها به توجد وتتحرك وتحيا ، هو يديرها حسب نواميسه

ـ ولكننا لا نراه كما نرى البحر والقمر والبرق الخ .. فكيف نؤمن به ؟

ـ هو اله روحاني يختلف عن هذه الآلهة الكاذبة أو المختلقة . هو روح غير منظور

فتعجبوا من قول سقراط هذا وقالوا : اذن كيف عرفته اذا لم تكن قد رأيته ؟

ـ عرفته من أعماله العجيبة فى حركات هذه الاجرام وفى حركات الاجسام وفى نمو الاحياء الخ .. كل هذه تدل على وجوده.

فازداد تعجبهم وقالوا : أخبرنا كل ما تعرفه عنه وعن صفاته

قال : لا أعرف عنه غير ما ذكرته لكم .. صفاته مجهولة وقد يأتي بعدى من يعرف عنه اكثر منى . كلما تقدم الزمان تكشفت صفاته للانسان.

فقالوا : ما اسمه

قال : لم يسمه أحد . هو اله مجهول ولكنه موجود . فثقوا انه عظيم القدرة ، وهو مصدر الفضيلة والحكمة .. فاياه اعبدوا . وهو يعاقب ويثيب ، اما هذه الاصنام التى شاهدتموها فلا حول لها ولا طول .. يمكنكم ان تحطموها فلا تستطيع أن تنتقم منكم.

***

فلما بلغ الى الحكومة ان سقراط يستهوى الشبان الى تعاليمه هذه ، وانه يحرضهم على شجب الآلهة بدعوى انها آلهة كاذبة . اتهمته بأنه كافر بدين الامة جاحد آلهتها .. ثم أضافت الى هذه التهمة تهمة أخرى بأنه يطعن بشكل الديموقراطية التى تدعيها الحكومة. وكان حقيقة يقول ان الديموقراطية فى عصره كانت زائفة ، لان موظفي الحكومة الكبار يعينون تعيينا . وكان يجب ان ينتخبوا انتخابا كما ينتخب أعضاء مجلس الشيوخ . فالحكومة اذن ليست ديموقراطية

واستجوبته هيئة العدل ، فاعترف بصحة التهم الموجهة اليه . فطلب اليه ان ينقض أقواله ويعلم خلاف المبادىء التى كان يعلمها .. فأبى اباء قاطعا ، فسجنوه امهالا له عسى أن يرعوى

فتقدم اليه تلاميذه الذين كانوا يجلونه اجلالا عظيما ، واشفقوا ان تنطفىء شعلة الفضيلة بموت سقراط ، ومن بينهم ارسطو وافلاطون ، ورجوه رجاء حارا أن يعد هيئة العدل بالعدول عن تعاليمه ، والا حكم عليه بالاعدام لا محالة .. فاصر على تعاليمه

قالوا له : ان حياته ثمينة جدا ، وان الشعب محتاج اليها لكى يستقى من علومه وحكمته وفضائله .. فيجب ان يوافق على طلب المحكمة لكى تسلم حياته

فأجاب : اذا مت عاشت الحقيقة .. واذا عشت ماتت الحقيقة . فلامت لكى تحيا الحقيقة،

فان حياتها أثمن مليون مرة من حياتي . انى أموت قرير العين باحياء الحقيقة .. فتقرر أعدامه حتما

***

يرى القارىء ان كاهنة دلفى صدقت فيما تنبأت عن موته .. لا بسيف ولا بمرض بل،
يرى القارىء ان كاهنة دلفى صدقت فيما تنبأت عن موته .. لا بسيف ولا بمرض بل،
بسم ، فقد حكم عليه أن يموت بسم ورق الشوكران «Conium» وهو نبات مخدر فاعطى القدر الكافى من عصير الكونيوم لقتله . فكان يشرب العصير جرعة بعد جرعة ، ويكتب ماذا كان تأثيره عليه وعلى اعصابه ودماغه . وبقى يكتب حتى غاب عن الرشد .. ثم مات.

وقيل فى تاريخ الطب أن ما كتبه سقراط وهو يحتضر عن تأثير الشوكران فى جسمه واعصابه ، كان أول فصل فى الاقرباذين ، أى كتاب العقاقير الطبية

وكان سقراط أول من ذهب ضحية مناداته بالفضيلة والحكمة واخلاصه فى الحرص على الحقيقة . وربما كان أول من اكتشف الله مدبر الكون الاعظم وأول من قال بوحدانيته وروحانيته

***

نعم ان موسى علم بوحدانية الله ، ولكنه لم يكرز بروحانيته ، بل كان ينبىء شعبه انه كان يجتمع بيهوه « رب الجنود » فى رأس جبل سينا وغيره ، ويأخذ منه التعليمات اللازمة لشعبه وشرائعه ووصاياه . فكأنه كان يصوره لهم بشكل انسان عظيم ، يتكلم ويرضى ويغضب وينتقم ويقويهم على أعدائهم . وقد كتب الله باصبعه على اللوحين الحجريين اللذين نحتهما موسى وصايا العشر . وكان موسى يلقبه «يهوه» رب الجنود أى قائد الجيش . وكان يهوه يخص نفسه بشعبه بنى اسرائيل ، دون سائر القبائل والشعوب المجاورة والمعاصرة لهم . وكان يعترف بوجود آلهة أخرى لهم كالبعل وداجون وعشتاروت الخ . ولذلك كان فى يقين بنى اسرائيل انه أقدر من آلهة الكنعانيين والعمونيين والحثيين الخ

أما اله سقراط المجهول فكان الها واحدا أحدا روحانيا يدير الكون بأسره فهو كاله المسيحيين واله المسلمين

***

بعد موت سقراط بنى تلاميذه هيكلا فى اثينا للاله المجهول الذى كان يكرز به سقراط . ولعل الرومانيين بنوا هياكل له أيضا

بعد نحو أربعة قرون كان بولس الرسول فى اثينا متغيظا من انها مكتظة بالاصنام ، وكان يعلم بوجود الله الروح السرمدى . فاستغرب القوم تعليمه ورأوا انه يهذى بأمور غير معقولة . فأخذه قوم من الفلاسفة الابيكوريين والرواقيين الى أكمة المريخ ، المسماة اريوس باغوس التى كان يقيم عليها مجلس القضاء وسألوه أن يخبرهم كيف يكون الاله اذا لم يكن صنما .. ما هو التعليم الجديد الذى يتكلم به ؟

فوقف بولس فى وسط أكمة المريخ وقال :

« أيها الاثينيون . . بينما كنت اجتاز وانظر الى معبوداتكم وجدت مذبحا مكتوبا عليه « لاله مجهول » فالذى تتقونه وانتم تجهلونه هو هذا الاله الذى أنادى لكم به . هو رب السماء والارض ، لا يسكن فى هياكل منصوبة بالايادى ولا تمثله تماثيل . هو اله غير منظور . هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شىء . يطلبونه لعلهم يتلمسونه فيجدونه مع أنه ليس ببعيد عن أحد لاننا به نحيا ونتحرك ونوجد »

والارجح ان هذا المذبح الذى يشير اليه بولس هو الهيكل الذى بناه تلاميذ سقراط للاله المجهول .

فما نقص بولس الا أن يقول هذا هو الاله المجهول الذى كان يعلم به سقراط منذ أربعة قرون .

واقتنع كثيرون من الاثينيين بتعاليم بولس ، وتركوا عبادة الاصنام وآمنوا بالله ايمان بولس به

ذلك الاله المجهول الذى اكتشفه سقراط بقوة عقله وحدة بصيرته ، أصبح الآن معروفا عند جميع الشعوب تقريبا ، ومعظمهم يتفقون على صفاته

***

ترى مما تقدم ان « فكرة الاله » ابتدأت بتأليه الظاهرات الطبيعية ونحت التماثيل الممثلة لها . فكانت متعددة ، وكان موسى أول من قال بوحدانية الله ، فكانت أولى وصاياه العشر « أنا هو الرب الهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » وانما لم يكن موسى أول من قال بروحانية الله بل كان يصوره لقومه بشكل انسان عظيم

ومع الزمان صارت نظرية الاله ترتقى فى نظر البشر ، حتى جاء سقراط فجرد الله عن كل مادة وقال انه روح غير منظور لا يستطيع الانسان أن يتصل به بحواسه أى لايراه ولا يسمعه بل يتصل به بالفكر والضمير . وما زالت نظرية الله ترتقى حتى عصرنا الحالى فأصبحت روحية بحتة مالئة الكون

فبقى عجيبا ان البشر الذين اتفقوا على وحدانية الله وروحانيته وسرمديته ، عجزوا عن ان يتفقوا على كيفية عبادته ، ويتحدوا فى دين واحد

عسى ان يحقق المستقبل هذه الامنية لشعوب الارض . فقد تقل بتحقيقها الخصومات والحروب

نقولا الحداد

الزوجات يطالبن بحقوق جديدة

ظفرت المرأة في السنين الاخيرة بكثير من الحقوق الاجتماعية والسياسية ، حتى كادت تساوي الرجل في كثير من النواحي العامة . ولكنها لم تقنعها نالت وما زالت تطالب بحقوق أخرى

كانت الفرص المتاحة فى أثناء هذه الحرب لاستغلال جميع قوى النساء – التى ظلت الى ما قبل الحرب كمينة دفينة – فرصا متعددة النواحى ومطلقة من كل القيود . فقد شغلت النساء مراكز ذات مسئولية وخطورة فى جميع ساحات الحرب . وانطلقن – وصادفن تشجيعا يغريهن بهذا الانطلاق – الى ميادين كانت تعد حقا وقفا للرجال وحدهم يستأثرون به دون النساء . فاخرجت النساء من بيوتهن ، وأعفين من مهمة العناية بأطفالهن ، ليقمن عن الرجال بكثير من أعمالهم ويمكنهم من أن يفرغوا لاعمال أخرى أثقل عبئا وأشد خطرا . وهكذا ألقى بالنساء – على حين غرة – فى عباب الحرب الزاخر ، واستطعن شيئا فشيئا أن يبرزن ما فى وسعهن من قوى محتملة . وبذلك نجحت المرأة نجاحا تاما فى التجربة التى أجرتها هذه الحرب لتهيىء لها مكانها الى جانب الرجل – شريكة مستقلة بأمرها – فى جميع أعمال هذا العالم الذى يقر ويشهد لها بأهليتها وكفايتها

والمسألة الآن هى : هل ترضى هذه الآلاف من الفتيات والنساء اللاتى تطوعن ، أو وجهن ، لاداء هذه الاعمال المغامرة ، الممتعة ، المربحة – أن ينزلن عما تهيأ لهن من مزايا الاستقلال المالى ، ومن متع الحرية الشخصية والاجتماعية ، ومن المساهمة الفعالة فى الحياة العامة ، وأن ينزوين فى غمرة الحياة المملة الراكدة التى تحياها « ربة البيت » عادة بين جدرانه الاربعة ؟ هل ترضى المرأة أن تدع جميع هذه المتع والمزايا لتحمل على كاهلها أعباء وأحمالا من الروابط المنزلية التى ترهقها وتضنيها لانها لم تألفها وتتقيد بها ، ولتقبع فى داخل دائرة ضيقة راكدة من الاصدقاء والمعارف لا تتغير وجوههم كثيرا ، ولتعيش عيشة مادية ضيقة تقيم فيها حسابا لكل قرش يخرج لها من جيب زوجها ؟!

والجواب عن هذا : انه اذا لم تطرأ على حياة النساء المتزوجات تغييرات واسعة النطاق عميقة التأثير ، فان الفتيات سيزددن ميلا وانصرافا عن التقيد برباط ينال من حريتهن ، ويضعف من طموحهن ، ويجعلهن – من الوجهة المالية – عالة على أزواجهن

ان الغرض الكامل من الزواج هو اذابة ما فى الرجل وما فى المرأة من الرغبات والشهوات الجنسية والعقلية والروحية فى بوتقة واحدة يخرج منها مزيج تصاغ منه حياتهما المشتركة .

فالحياة المنفردة المنعزلة التي يحياها كل منهما على حدة ، يجب أن تندمج مع الاخرى لتكونا حياة مشتركة سعيدة يتبادلان فيها الرغائب والمنافع . فكيف يمكن أن يتحقق هذا الغرض وتقوم هذه الحياة ، وكيف يمكن أن ينشأ بين الرجل والمرأة الحب الصادق والثقة الوطيدة ، اذا كان فى أساس هذه العلاقة فجوة واسعة من الجفوة والنفور بين جنس الرجل وجنس المرأة ؟

وكثير من النساء يقبلن الزواج على انه الطريقة الممكنة الوحيدة التى أوجدتها الحضارة لحل مشكلة حاجة الرجل الى المرأة ، وحاجة المرأة الى الرجل ، الا انهن مع ذلك يرين أن ثمة شيئا من الاصلاح لا بد منه ليكون للزوجة من الحياة الزوجية نصيب أوفى وأجدى. وهذه وجوه وجوانب من هذا الاصلاح المنشود :

١ ـ نقابة الزوجات : هناك قوانين غير مكتوبة تحكم العلائق المألوفة المعهودة بين الزوج وزوجته . فلماذا لا تكتب وتقيد هذه القوانين ؟ لماذا لا تصبح كل امرأة ، يوم زواجها ، عضوا فى « جماعة النساء المتزوجات » ـ هذه الجماعة التى يجب أن يوسع نطاقها حتى تضم كل سيدة متزوجة ، ويجب أن تمنح سلطة تشريعية نافذة ، حتى تصير أكبر وأقوى « نقابة » لرعاية حقوق الزوجات . وتستطيع هذه الهيئة عندئذ أن تتناول جميع المشاكل العديدة المعقدة التى تهم الزوجات وتتصل بالحياة الزوجية ، سواء ما كان منها خطيرا كعمل المرأة فى البيت ، أو كان بسيطا كالوجه الذى تقابل به المرأة زوجها عند عودته الى البيت من عمله !

وكذلك يكون من شأن « جماعة النساء المتزوجات » هذه ، أن تبحث وتناقش التشريعات الرجعية العقيمة الخاصة بالامور التى تعنى المرأة أكثر مما تعنى الرجل ، نعم ، ان ممثلاتنا فى البرلمان يكافحن كفاحا جاهدا جريئا فى سبيل بنات جنسهن لتحريرهن من ربقة القيود، ومن عبء الاثقال ، المفروضة عليهن . ولكن هذا العمل العظيم فى حاجة الى هيئة ضخمة منظمة ـ هى « نقابة المتزوجات » ـ تتولاه ، فتفرغ وتنصرف الى تحقيق هذه الاصلاحات الاجتماعية المتصلة بالحياة الزوجية

٢ ـ الغاء الحروب : وسيكون أول هم لهذه الجماعة التى تضم النساء المتزوجات جميعا هو مشاركة ما بقى فى الانسانية من عناصر سليمة فى البحث عن نظام من نظم الاتحاد الدولى ، يكون دستوره وتكون غايته ضمان السلم وتدعيمه ، لا فى جيلنا فحسب ، بل فيما يليه من الاجيال والعهود كذلك

سيقول قائل : وما شأن الزوجات بشؤون الحرب والسلام ؟ فنقول : ان الحرب تلقى أكبر همها ، وأنكى رزئها ، على النساء لا على الرجال . فأيسر على المرء أن يموت من أن يموت له زوج أو ولد . وأيسر عليه أن يذهب الى ساحة القتال يحارب ويقاتل ، ويستهدف للموت وللاذى ، من أن يقبع فى داره فى قلق مضن ، وفى عزلة كئيبة ، وفى صبر نافذ ، يفكر فى أهله الذين يحاربون .. هل ماتوا أم ما زالوا أحياء ، هل يعودون سالمين أم

جرحى مشوهين ، ومتى يعودون ـ بعد سنة أم بعد السنين الطوال ؟

ثم ان أغلبية النساء لا تعنيها كثيرا مسائل الحدود والتخوم بين الدول والأقطار ، ولا مؤامرات السياسة وأحابيلها المعقدة ، ولا مسألة « المجال الحيوى » ولا مبادىء الاجتماع والاقتصاد ، بل حتى ولا الوطنية ذاتها ـ قدر ما يعنيها أن تعيش فى سلام ، فى جوار الزوج الذى تحب ، ومع الولد الذى تعز ، فى أرجاء البيت الوادع الهانىء .. ولهذا كانت النساء أشد رغبة من الرجال فى الغاء الحرب واقامة السلام ، ولهذا يجب أن يكون أول ما تهدفه « جماعة المتزوجات » هو تحقيق السلام بين الدول والشعوب

٣ ـ تحديد النسل : واذ كانت النساء هن اللاتى يتولين تعمير الدنيا بأهلها ، فمن حقهن أن يكون لهن صوت فى مستقبل هذه الدنيا ومستقبل سكانها

أى أن مسألة النسل لا يصح أن تكون حقا وامتيازا للرجل يتصرف فيها كيف شاء ، دون أن يكون للمرأة معه أى رأى أو خيار ـ بل يجب أن تعطى المرأة الحق فى ان تمنع الرجل من زيادة عدد سكان الدنيا زيادة هائلة تؤدى الى تنازعهم وتحاربهم ، وافناء بعضهم بعضا لكى تكفى مواردها من يبقى منهم بعد الحرب حيا

٤ ـ مرتبات للزوجات : يجب أن تعطى الزوجة مرتبا لقاء قيامها بأعباء الزوجية

ورغم أن هذا الرأى سيقابل بالانتقاد والاستهجان من الازواج جميعا ، ومن الزوجات العجوزات أيضا ، بدعوى أنه يتنافى مع ما يجب أن يكون بين الزوج والزوجة من التعاون والتآلف ، وبدعوى أنه ينال من شعور الثقة والمحبة الذى يجب أن يتبادله الزوجان معا .. رغم هذا فان الزوجات الحديثات ينتظرن تحقيق هذه الغاية ، التى تعد ثورة حاسمة فى تاريخ الحياة الزوجية

والواقع أن « عمل » الزوجة هو أقدم عمل فى التاريخ ، وهو أثقل عمل فى الحياة ، وهو العمل الذى لا ينتهى أبدا ، ثم هو العمل الذى لا يقابل بعرفان الجميل حقا . فمن الواجب أن تعطى من تؤدى هذا العمل المرهق المتشعب ، تعويضا يشعرها بأن لعملها خطرا وقيمة . ونحن نعيش فى نظام اقتصادى يزدرى ما هو رخيص ، ويعلى ما هو غال ، فيجب أن يقدر عمل الزوجة تقديرا حسنا ليعرف الرجل ، ولتعرف المرأة أيضا ، أنه عمل له أهميته ومكانته

والمرأة حين تتزوج تفقد استقلالها الاقتصادى الذى كانت تملكه حين كانت تعمل وتكسب وهى معفاة من عبء الحياة الزوجية . فيجب ألا نقضى على هذا الاستقلال كل القضاء ، بل نستبقى منه جزءا يحفظ للزوجة كرامتها ، اذ نقرر لها مرتبا تتصرف فيه كيف ترى

٥ ـ اجازة اسبوعية للزوجات : الزواج هو ـ بطبيعة الامر ـ الغرض النهائى لكل امرأة عادية . ولكنها مع ذلك تريد ألا يكون هذا الزواج مقبرة تدفن فيها جميع مواهبها

وملكاتها . فيجب أن نجد طريقة تتمكن بها المرأة من أن تظهر مواهبها وتنميها وتستثمرها فى أثناء حياتها الزوجية

ان المرأة تريد أن يكون بيتها ، وزوجها ، وولدها ، فى الطليعة والمقدمة ، وهى من ورائهم تلبى رغائبهم وتحقق مطالبهم . ولكنها لا ترضى فى هذا السبيل أن تقضى على شخصيتها وتقبرها فى البيت المزوى المخبوء ، لا ترضى أن تصبح مجرد ربة بيت لا يعنيها سوى بيتها ، ولا مجرد أم لا تتحدث الا عن أولادها

ولكن هذا هو المصير الذى تنتهى اليه أكثر الزوجات اللاتى كن قبل الزواج يبشرن بمستقبل حى نشيط ، واللاتى كن على نصيب وافر من المزايا والملكات . ولكن الزواج غمرهن بمسئولياته ومشاكله ، فأغرقهن فى بركته الراكدة . وهذا ما تريد الزوجات الحديثات أن يتفادينه ، والسبيل الى ذلك أن تمنح الزوجة اجازة يوم كل اسبوع ، تفرغ فيه من شؤون البيت والزوج والاولاد ، وتتصرف فيه الى تعهد موهبتها وابراز نشاطها . ولا يتحقق هذا الا اذا أكثرنا من دور الحضانة التى تعفى المرأة من مهمة الاولاد بعضا من الوقت تنفقه فى شؤونها الخاصة . والواقع أنه لا يجوز لمجتمع متحضر أن يقضى على المرأة النشيطة أو الموهوبة أن تدع نشاطها يركد ، وأن تدع موهبتها تذوى ، بل عليه أن ييسر لها طريق ابداء جميع قواها واستثمارها لخيرها ولخير أسرتها ولخير المجتمع أيضا

(خلاصة مقال فى مجلة «ورلد ريفيو» بقلم مارى هايد)

درس فى الأدب

كانت ترسل هدايا كثيرة مع الخدم للكاتب الانجليزى المعروف « ديان سويفت » ولكنه كان لا يعطيهم شيئا على سبيل المكافأة . وذات يوم جاءه غلام يحمل سلة بها هدايا كثيرة وطرق الباب بشدة وقال للكاتب : خذ هذه السلة التى أرسلها اليك سيدى .. فاستاء من هذه المعاملة الجافة وقال للغلام : قف أيها الولد لكى ألقنك درسا فى الادب حب أنك أنت سويفت وأنا الخادم .. ثم وقف أمام الغلام ورفع قبعته وانحنى قليلا وقال : لقد أرسلنى سيدى اليك بهذه الهدية المتواضعة وهو يرجو تشريفه بقبولها . فأجاب الغلام : شكرا يا ولدى وبلغ سيدك امتنانى وخذ هذه العملة فهى لك

الانفعالات النفسية عند الحيوانات !

لبعض الحيوانات أدوار فى حياتها ، تعصف فيها بأدمغتها عاصفات انفعالية ، تفوق عاصفات البشر النفسانية . وقد تخرج بعض الحيوانات عن طبائعها المعتادة بسبب طارىء غير عادى على حياتها ، فتثور أو تحنق أو تغير أو تحرد أو تحقد الى غير ذلك من الطباع التى لانظنها فى غير البشر

فى حديقة الحيوانات فى جامعة كاليفورنيا قرد يدعى كيوبد ألف قردة تدعى سيك ، فعاشا بضع سنين فى قفص واحد زوجين ، وظهر عليهما انهما سعيدان جدا . بعد حين نقل ناظر الحديقة القردة الى قفص آخر بعيد عن قفصها ، وجيء بقردة أخرى بدلها تدعى توبسى الى قفص القرد كيوبد . ففى بادىء الامر نفر كيوبد منها وبقى مجافيها مدة ، ثم جعل يألفها فيغازلها ويؤالفها . وفى ذات يوم قيد كيوبد وتوبسى من منزلهما الى منزل آخر ، ومرا أمام منزل سيك رفيقة كيوبد السابقة . فما ان وقع نظر كيوبد عليها حتى هاج وسخط وصرخ ، ثم التفت الى صديقته الثانية توبسى ، ثم عاد ينظر الى الاولى سيك ، وشرع يعض ساقه عضا شديدا حتى جرحها تجريحا ، واسال الدم منها غزيرا . فأخذوه الى مستشفى الحيوانات حالا حيث ضمدوا جراحه ، ثم أعادوه الى منزله وأعادوا اليه رفيقته الاولى سيك . فكانت تؤاسيه وتهدىء ثورة أعصابه وتسكن روعه حتى اطمأن تماما وعادت اليه وداعته الاولى . ويقول مدير الحديقة الذى برع بمعالجة سكان الحديقة انه لولا اعادة رفيقته اليه ، لقتل نفسه عضا وتجريحا

اذا حبس بعض الحيوانات الداجنة منعزلا أصيب بالالم العصبى . والشاهد على هذا ان أحد دارسى طبائع هذه الحيوانات ، عزل بعض الفراخ التى نقفت من بيوضها حديثا « كتاكيت » ، ووضع كل فرخ فى قفص على حدة . ووضع له الحب أو الغذاء ، ووجه اليه النور حسب الاقتضاء ، ولم يدعه يرى أحدا من أخوانه ، حتى ولا الاستاذ المختبر نفسه . فى الاسبوع الاول كانت هذه الفراخ المنفردة كثيرة التصويت ، وفى الاسبوع التالى صار كل منها كثير الحركة يفر من زاوية الى زاوية فى القفص . ثم يطارد الذباب ويبعثر طعامه من الحب والخليط فى الصحاف ، ويثب كأنه يطير من جنب الى جنب . مثل هذه الحركات لم يحدث من الفراخ الاخرى التى لم تعزل عن أخواتها . ولما وضعت هذه الفراخ المنفردة التى صارت عصبية المزاج مع أخواتها الاليفة ، أجفلت وجزعت وكانت تبتغى الفرار من بينها . فكان القفص الذى يجمع الفريقين فى اضطراب مريع

وربيت ببغاء فى قفص مع كرة مصنوعة من نسيج أبيض وأزرق . ولم تكن لتهدأ الا

الى جنب الكرة المعلقة المتأرجحة ، فكانت تداعبها ، كأنها طير ذو ريش وزغب ، ثم تضع رأسها وضعا بحيث تصدمه الكرة فى خلال تأرجحها . كانت تعامل الكرة كأنها رأس ذكر أليف ، وتجامله وتعاطفه كأنه حبيبها الذى أغرمت به . وكانت تود أن تكون الكرة معلقة دائما بحيث تكون على مستوى رأسها . حتى اذا كانت أوطأ من رأسها كانت تضطرب جدا . واذا رميت الكرة الى أرض القفص صمتت هى وعكفت الى احدى الزوايا حزينة كأن أحد رفاقها مات . وكذا تفعل الببغاوات حين تموت واحدة منهن . وقد يطول المأتم عندهن يوما ويومين

بعض علماء النفس يعزون الظاهرات الشاذة فى بعض الحيوانات الى النبضات الجنسية « النسلية » بناء على نظرية فرويد . ذلك حين يتعذر على الحيوان الوصال الجنسى ، فتسوء تصرفاته جدا ويصبح كالمجنون . فمن ذلك ان ببرا ـ وهو نوع من السباع الهندية أبيض مخطط ـ كان سجينا فى قفصه ، فكان يقضى لبانته الجنسية ضاما الى صدره قرمة شجرة موجودة فى قفصه ، وذلك متى اشتدت غلمته وهاج شبقه حتى يكاد يجن جنونه

واذا حدث ما أهاج شبق بعض الحيوانات ، بدت منها أفعال تصرف بها ذلك الهياج وتسكن الاضطراب . فقد لوحظ ان بعض أشباه الانسان وغيرها من الحيوانات الثدوية الضخمة اذا أهاجتها حركات الحيوانات المجاورة لها ـ فى حديقة الحيوانات ـ أو اذا كايدها الزوار المتفرجون تهيج فيها النعرات الجنسية هياجا يتجاوز حد المألوف

وكان أحيانا انه اذا خابت النعرة الجنسية فى هذه الحيوانات ، ولم يتيسر لها الوصال كانت تصرف عاطفتها الجنسية بأفعال أخرى غير جنسية . ومن ذلك انها تقاتل حيوانات أخرى وان تكن غير معادية لها . وقد لوحظ أن بعض ذكور الطيور اذا خابت فى حبها تصرف شوقها فى بناء عشوش لا حاجة بها اليها ، أو فى المبالغة بالتباهى بجمالها كالطاووس حين ينصب ذيله وينشره

وفى بعض الأحوال اذا أهيج الحيوان للقتال ولم يجد ما يقاتله قاتل نفسه . فالكلب اذا لم يجد ما يداعبه داعب ذيله . ومن ذلك ان شمبانزيا كايده الزائرون جدا فصعد على عمود وجعل يخبط رأسه بشدة فى السقف . والجرذان اذا خابت مسعى عضت ذيولها . ويقال ان الأفعى اذا غضبت ولم تجد ما تلدغه عضت بطنها . وشوهد ضبع مخطط يعض كفه حتى أدماه . وكاتب هذه السطور رأى قردا فى حديقة الحيوانات يعض طرف ذيله حتى قطعه . تفعل بعض الحيوانات هكذا من جراء كيدها وغيظها . والطفل اذا لم ينل مرغوبه جعل يقضم ظفره . والبالغون يمضغون « اللادن » أو يدخنون أو يعضون قلم الرصاص تصريفا لغمهم وهمهم وغيظهم

واطفال الشمبانزى ترضع أصابعها كما تفعل اطفال البشر

اذا حدثت مشاجرة بين العصافير فى اثناء بناء العشش ارتدت الى المغازلة والتودد . واذا

لم تنل العصفورة العروس وطرها من حبيبها فى أول حبها ذهبت الى أمها متغيظة كأنها تشكو الحبيب أو تستفتيها فى أمر حبها

اذا حدث حادث مريع لبعض الحيوانات جعل طباعها دمثة بعد الحادث . روى بافلوف مربى الكلاب فى لينين غراد قال : كانت كلابه تختصم كثيرا فيما بينها وهو يعانى فى مصالحتها . وحدث فى لينتغراد طوفان غير عادى حتى كادت الكلاب تغرق فى حجراتها . فاطلقها لكى تسبح الى مكان أمين مسافة ربع ميل . وكان البرق اللامع يخيفها ، والرعد القاصف يروعها ، والمطر الهاطل يزعزع أفئدتها . ولما وصلت الى المكان الامين سكنت ثوراتها ، وبقيت أشهرا فى دعة وطمأنينة وسلام ، ولا خصام بينها خلافا لعادتها . وكان الكلب الواحد اذا رأى قطرات الماء تكف من خصاص الباب أو من تحته ، يتذعر مهتاج الاعصاب اذ يتذكر يوم الطوفان ، وهطل الامطار ، بقى اثر هذه الصدمة العصبية عند الكلاب مدة طويلة ترتعد كلما حدث ما يذكرها بها

***

وكثيرا ما تحدث الصدمة النفسانية نوعا آخر من الداء العصبى الذى يصاب به البشر فيما كانت دجاجة تنقد حبها جىء بخنزير ووضع أمامها ، فصدت عن الاكل حالا . ولم تعد تأكل حتى بعد ان أخذ الخنزير من قبالتها . بل بقيت مضطربة منزعجة ، ولم يمكن تمليقها وحملها على الاكل الا حين وضع لها طعامها فى مكان آخر غير ذلك المكان فأكلت . فكان المكان الاول فى نظرها مسكن الجن

اذا منعت دجاجة عن قيادة فراخها وتفقدها وتعليمها كيفية النقد والشرب بالطريقة المعتادة وفى المكان المعتاد ، تحطمت أعصابها وعانت من الهياج العصبى ما يعانيه البشر

أضاف مربى الفراخ الى فراخ دجاجة «٤٠» فرخا فى بدء حياتها ، لكى تعولهن مع فراخها وتعلمهن النقد وتعنى بهن بمقتضى غريزة الامومة . ولكن كانت هذه المهمة فوق طاقتها بل مستحيلة عليها . فلما تعذر عليها الامر أصبحت مريضة العصب ، ولما ضاق ذرعها استعفت من المهمة بتاتا ، وهجرت الفراخ جميعا ، وجافتها مجافاة الحنق ، وتركت تلك الفراخ لرحمة القضاء والقدر ، وهى لا تدرى كيف تقتات .. فحار المربى بأمرها .

الحيوان حتى الانسان يربى أو يدرب على نوع من السلوك فى ظرف خاص بذلك السلوك ، ثم يدرب على نوع آخر فى ظرف آخر ، أى لكل نوع من السلوك ظرفه الخاص ولكن اذا طرأ ظرف متوسط بين الظرفين بحيث يتعذر على الحيوان أن يميز بين هذا وذاك، كان الاجهاد العصبى صعبا جدا عليه حتى انه لا يستطيع ان يفعل أى واحد من الامرين

كان بافلوف الروسى مربى الكلاب ، قد عود بعض كلابه ان لا تنتظر طعاما ، الا متى رأت على شاشة ظل دائرة تامة . وما دامت ترى شكلا بيضيا « اهليليجا » يجب أن تعلم انه لا طعام لها. فلا تذهب الى مائدتها . ثم جعل يحول الاهليلج الى شكل دائرة تدريجيا .

فلما قارب شكل الاهليلج بشكل دائرة غير تامة حارت الكلاب فلم تعد تستطيع ان تقرر ما اذا كان الطعام قد أعد لها ، وما اذا كانت تدعى لمائدتها أو لا . فتهيج بعضها وأصبحت كأنها مصابة بماليخوليا وبعضها اضطربت اضطراب الجنون . بعض الحيوانات البليدة البلهاء كالقطط مثلا قلما يؤثر في أعصابها هذا التغير في الظروف

ولاية نيويورك تربي أسرابا عديدة من القطا المطوقة « اشباه الحمام » في حظائر كبيرة ، ولكنها تخسر نحو ثلث نتاجها لسوء نموها بسبب الانحطاط النفساني ــ اذا صح هذا الوصف للحيوان ــ فالذكور التي تخفق في الجهاد لاجل المزاوجة تعجز عن المزاوجة الطبيعية بتاتا ثم تموت بسبب هذا العجز . وقد عولج هؤلاء الذكور ببعض أنواع الاتوار « هورمونات » ــ وهي مفرزات الغدد الصم ــ فعادت لها قوتها النسلية وصلح حالها .

سمك القاروص المسمى ذئب البحر قليل الاجتماعية . يعني ان أفراده لا تتآلف . ولذلك تكمن كباره في البرك الكبيرة أو البحيرات أو الشواطىء حيث يكثر نبات البحر حتى متى مرت صغاره انقض عليها والتهمها . ولكن اذا أزيلت تلك النباتات ، وأصبح الماء صافيا ، ولم يعد في وسع هذه الحيوانات ان تترصد صغارها ، ألفت بعضها بعضا ولم تعد الكبيرة تلتهم الصغيرة ، وأصبحت كلها فرائس للصيادين البشريين فقط

لبعض الحيوانات غرام وانتقام ، بعضها تعشق وتغير وتحقد وتقاتل بسبب عشقها وفي سبيل معشوقاتها . والكلاب أكثر الحيوانات محبة وولاء وعشقا

وقد روى شخص مثقف ثقة ان عنده كلبا مهذبا ، وفي منزل على سطح منزله كلب جسيم شرس . وهناك كلبة جميلة لطيفة تساكن هذا الكلب الشرس ولكنها قلما تألفه . وكان كلب صاحبنا يصعد أحيانا الى السطح فترحب به الكلبة فيطارده ذلك الكلب المتوحش غيرة منه ، حتى يضطره أن ينزل عن السطح . وما لبثت تلك الكلبة اللطيفة ان نفرت نفورا شديدا من رفيقها ، وصارت تنزل حينا بعد آخر وتثب على باب صاحبنا كأنها تدفعه بيديها . فلا يلبث كلب الدار أن يحس بها ويعلم بقدومها ، فيتسرع الى الباب ويعوي عواء خافتا كأنه يبكي ، ويأبى ان يسمعه ذلك الكلب الخصم ، حتى اذا فتح الباب اندفع هذا الى هذه وهذه الى هذا بدعابة شيقة ، ثم يفترقان

فـفراق يكون فيـه دواء أو فراق يكون فيه الداء

وكادت الغيرة تقتل ذلك الكلب الوحشي ، فترصد غريمه ذات يوم وعضه عضة نجلاء في كتفه ، اقتضت ان يعرض على الطبيب البيطري . وكاد الجرح أن يفسد فسادا مميتا ، فحفظه الطبيب عنده تحت المعالجة حتى شفي . والعجيب ان تلك الكلبة الوديعة ، كانت تنزل كل يوم وتهز الباب ، فيفتح لها لكي تتفقد حبيبها ، واذ لا تجده تعود آسفة حزينة وما كان أعظم اغتباطها حين سمعت نباحه ، بعد عودته من المستشفى معافى . فنزلت والتقى الحبيبان في ساعة فرح لا مزيد عليه . لم تعد تلك الكلبة تطيق مصاحبة ذلك الـكلب المتوحش . والغريب انه احتمل جفاءها على مضض ولم ينتقم منها

وكان لصياد كلب صيد جيد حسن التربية ، ولصديقه كلبة كذلك . ومنزلاهما فى بلدة واحدة على بعد ربع كيلومتر ، فكان الكلبان متعاشقين . ولدت الكلبة ، وفى مدة نفاسها كانت تلازم جراءها . وكان عاشقها يزورها كل يوم مرتين أو ثلاثا ، وبين شدقيه ملء فمه قسم من طعامه ، على الرغم من انها ليست فى حاجة الى الطعام لان صاحبها يكفيها طعاما . لذلك صار صاحب الكلب يزيد جراية كلبه حاسبا حساب عشيقته

وأخذت من كلبة جراؤها التى ولدت حديثا فانزعجت جدا وهاج غضبها ومرض عصبها . وفى ذات يوم استفقد أهل المنزل طفلهم فوجدوه يرضع من ثدى الكلبة وهى منطرحة على جنبها تسهل له الرضاعة . فكانت رضاعة الطفل خير علاج لهياج أعصابها

وللحمام ألفة غرامية نادرة فى غيره من الحيوانات . فذكر الحمام الداجن وغير الداجن أمين لزوجته ، ليس فى فصل اللقاح فقط بل مدة الحياة كلها تقريبا . فاذا فرق النوى بينهما ثم التقيا بعد حين عرف كل منهما الآخر وعادا يتساكنان ويتآلفان . وذكر الحمام يعاون زوجته فى بناء العش ، وفى حضانة البيض ورعاية الفراخ . هذه ظاهرة مشاهدة كثيرا فى الحمام

***

واما ولاء الكلاب فحدث عنه ولا حرج . والكلب أصدق ولاء من الانسان ، ولولائه قصص كثيرة . كان لرجل كلب موموق جدا ، ومرض الرجل مرضا خطرا جدا فكان الكلب ملازما باب غرفته لا يأكل ولا يشرب . وفيما كان المريض يحتضر كان أهله مضطربين جدا ، وكانوا يركعون عند سريره مصلين . وكان الواحد منهم يضع يديه على حافة السرير ورأسه بين يديه . فكان الكلب يفعل كذلك ايضا فيقعى لدى السرير ويضع يديه على حافة السرير ورأسه بينهما

وكان الكلب يلازم غرفة الميت على هذه الصورة الى أن أخذ الفقيد الى المدفن فرافق الكلب الجنازة حتى القبر ، ورام ان يبقى مقيما لدى الضريح فأخذوه عنوة

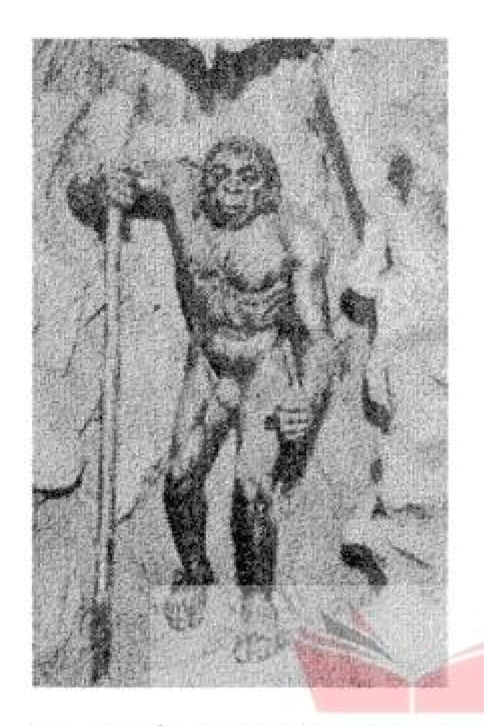
والغريب انه كان يفهم أن أهل الفقيد ينوون أن يزوروا الضريح اليوم مثلا فيثور حتى يأخذوه معهم . هذا ولاء ليس مثله ولاء عند البشر الا بين الاهل الاخصاء

وكان لرجل شغل يومى فى مكان بعيد ، بحيث لا يصل اليه الا فى القطار الحديدى ، فتعود الكلب أن يودع سيده فى المحطة ثم يأتى الى المحطة فى ميعاد وصول القطار فيستقبله فيها

بعد حين مات الرجل . . ولكن الكلب بقى يأتى كل يوم الى المحطة لكى يستقبل سيده فيبحث عنه بين الركاب حتى اذا لم يجده عاد خائبا حزينا . وطال عهده فى هذه الزيارات الخائبة حتى مات غما وصياما

ن . ح

متحف الحضارة المصرية



هذبت الطبيعة صورة الانسان على مر الأيام ، فهل هذبت من نفسه وسمت بحيوانيته ، لقد أضحت قوى الطبيعة له ذليلة تيسر له سبل العيش فهل تيسرت باستغلالها أم تعقدت؟

كان جلالة الملك قد أبدى رغبته منذ سنة ١٩٣٩ فى أن يرى لمصر متحفاً للحضارة القومية على نمط المتحف الذى شاهده فى سويسرا ، وقد سلم جلالته حينئذ لسعادة فؤاد أباظة باشا باعتباره رئيس الجمعية الزراعية الملكية مذكرة تحوى ملاحظاته الكريمة بخصوص إنشاء مثل هذا المتحف

وقد جاء فى ديباجة هذه المذكرة أن مصر تمتاز على بلاد العالم بأنها تحوى من آثار الماضى ما يمت الى مختلف أطوار الحضارة وألوانها منذ فجر التاريخ حتى اليوم . فيحسن أن تجمع هذه الآثار المبعثرة وترتب ترتيباً منطقياً فتصبح صورة حية ناطقة للحضارة المصرية . ثم أشارت المذكرة السامية الى أن يبدأ العمل باختيار مشاهد تمثل أطوار الحضارة فى مصر وأن يعمل لها نماذج مصغرة تكون فى مجموعها صورة أولية للمتحف المقبل

وقد أسرع سعادة فؤاد أباظة باشا فى تنفيذ الرغبة الملكية وباشر فى دراسة المشروع بالتعاون مع وزير المعارف وأمناء المتاحف المختلفة ونخبة من علماء الآثار والتاريخ . وقد تقرر تخصيص مبلغ عشرة آلاف جنيه لاخراج الموضوع الى حيز الوجود

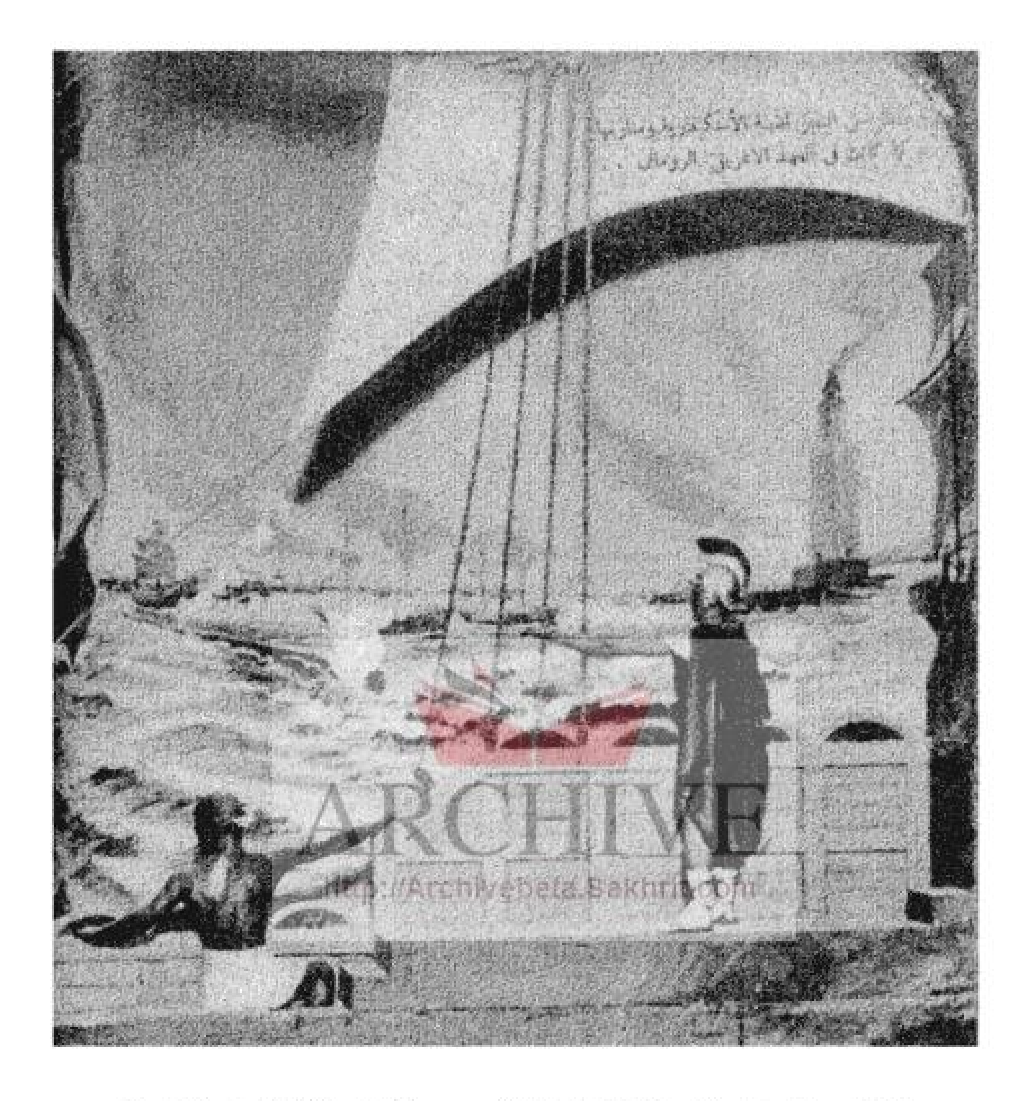
وقد خصص المشرفون على المتحف قسما يمثل مصر ما قبل التاريخ تتمثل فيه الحياة على ضفاف النيل فى العصر الحجرى والعصر البرونزى

ويلى ذلك القسم الخاص بالعهد الفرعونى وفيه لوحات بديعة للحياة المصرية فى ذلك العهد فى نواحيها المختلفة من زراعة وتجارة وصناعة وصور حية للطقوس الدينية الرهيبة وحفلات الفراعنة الفخمة

أما العصر الاغريقى الرومانى فيمثله نموذج دقيق لمدينة الاسكندرية وآخر لمنارتها الشهيرة فضلا عن صور بعض علماء جامعتها الذائعة الصيت

أما عهد الاحتلال العثمانى فتمثله مشاهد حية كثيرة كالاحتفال بعيد وفاء النيل ومراسيم الزفاف ومما يلفت النظر فى هذا القسم تنوع الملابس وجمالها . ثم يأتى عهد المماليك مع روائع آثاره من جوامع وقصور

ونظراً لوفرة الآثار الخطية التى تركها مؤرخو الحملة الفرنسية نجد المشاهد الممثلة لها غنية بتنوعها ودقتها

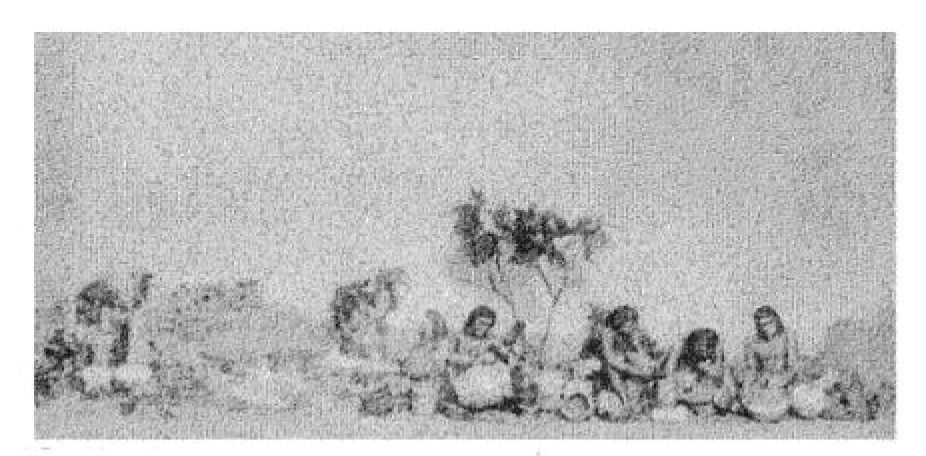


أما العصر الحديث فقد أفردت له قاعة خاصة لم يفرغ بعد من تنظيمها ، ولكنها عامرة بطائفة من الصور والتماثيل التى تصور المجهود الجبار الذى بذله العاهل الكبير للنهضة بمصر ورفعها الى مصاف الدول الحديثة الكبرى

ومن هذه الصور ما يمثل الجيش المصرى بملابسه الجميلة وأسلحته وراياته والاعمال العمرانية الكبرى والرى والصرف والصناعة والتعليم

كذلك أفرد جناح للخديو اسماعيل الذى أسدى للحضارة فى مصر أجل الخدمات

وأخيراً لم ينس القائمون على شؤون المتحف تمثيل القطر الشقيق فى مختلف علاقاته الثقافية والاقتصادية بمصر

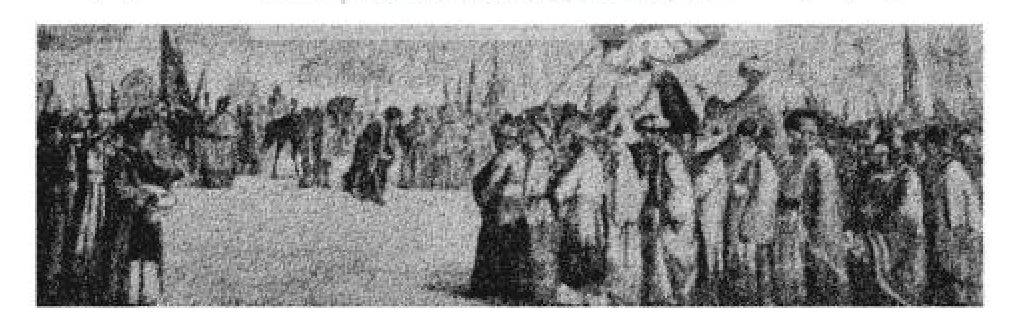


لم يعتمد المصريون القدماء على الزراعة فحسب كمورد من موارد الثروة ، ولكنهم عنوا بشؤون الصناعة فحذقوا كثيراً من فنونها . ولعل ذلك من أهم أسباب الرخاء الاقتصادي في ذلك الحين . . فهل نقتدى بهم



رمسيس الثانى وهو فى قاعة الملك وعلى رأسه تاج الوجهين القبلى والبحرى وبيده الصولجان ، وقد أحضر اليه الأسرى لتقديم فروض الطاعة والولاء.

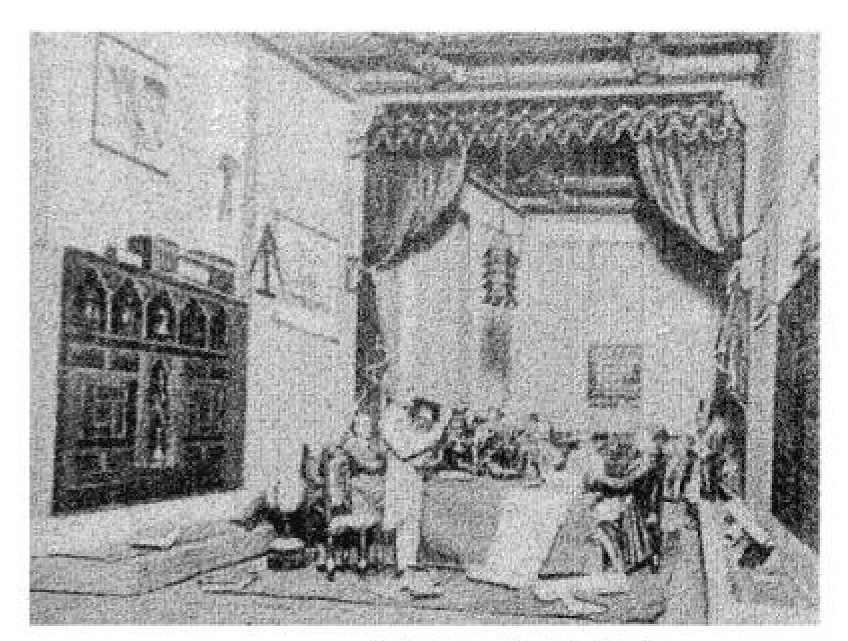
عمد الأقباط فى مصر فى أوائل العهد المسيحى إزاء ما لاقوه من عنت واضطهاد إلى إقامة الشعائر الدينية والمراسم فى سراديب كانوا يحفرونها تحت سطح الأرض والصورة تمثل حفلة عرس فى أحد هذه السراديب



موكب الخليفة يدخل مدينة القاهرة فى أوائل العهد الاسلامى تحف به مظاهر الأبهة والعظمة والجلال



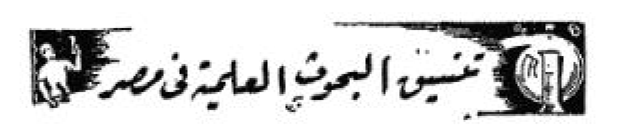
صورة رائعة لفتح الخليج المصرى فى عهد المماليك . . وقد قدم الأعيان وذوو الجاه من جميع الجهات للاشتراك فى الاحتفال



اجتماع المجمع العلمى المصرى إبان الحملة الفرنسية فى دار السنارى ، وهى دار أثرية باقية حتى اليوم فى حى السيدة زينب



تمثال رائع لمحمد على باشا فى صدر القاعة المخصصة لداهل مصر العظيم الحافلة بدلائل النهضة الحديثة فى مختلف الصناعات



بقلم الدكتور احمد زكى بك

مدير مصلحة الكيمياء

ان موضوع انشاء معهد للبحوث العلمية فى مصر ، على الرغم من صلته القريبة بالعلم والعلماء ، ذو صلات وجوانب متعددة بالحياة المدنيــة التى نحياها . وذو ارتباط بقلب كل مصرى نال من تلك الحياة المدنيــة حظا كبيرا ، أو حظا صغيرا حقيرا ، أو لم ينل منها شيئا . لانه يتضمن خطوة لا بد أن نخطوها اذا ما أردنا أن نظفر من مدنية هذا العصر بحظ أوفر مما حظينا . وفضلا عن هذا وذاك فالمتتبعون لتطور الآمال فى المحيط العلمى، من بحث وعمل ، يدركون ان هذا العنوان أصبح بين البحاث عبارة لغوية تركزت فيها آمال المعامل المصرية ، وعنوانا للتنسيق الواجب بين جهود العلماء

ان المرء أول ما يتطلع فالى الجامعتين : جامعة فؤاد الاول فى القاهرة وجامعة فاروق الاول فى الاسكندرية . ويمكننا أن نسقط الثانية من الحساب الآن ، لانها حديثة التكوين لم تتهيأ لها أدوات التدريس جميعا فكيف بأدوات البحث وأجهزته ، وهى ان فاتها ان تدخل فى الحساب اليوم ، فستدخله حتما بعد بضع سنوات قليلة ، وسيكون لها ميزة من جدتها اذا هى عرفت كيف تستغل هذه الميزة . وهذه الميزة هى انه لا ماضى لها : فلا عرف لها ولا تقليد ، وهى تستطيع ان تقتبس من النظم ما تشاء ومن أحدث الخطط ما تهوى . أما جامعة فؤاد الاول فهى على الرغم من سنواتها العشرين فتية فى الجامعات وهى فى أمر البحوث العلمية أفتى . وقد يدخل الانسان فى تفصيل ما صنعت كلياتها فى أمر البحوث ، وهو واجد منها من سبق ، وواجد منها من تخلف . ولكن الانسان اذا اتخذها مجموعة واحـدة لم يجد فى بحوثها كما أو كيفا ما يستدعى مجهودا كبيرا فى التنسيق . فالتنسيق لا يكون الا والابحاث وفيرة وشتيتة . وليس فى شىء مما أقول نيل من جامعتنا الفتية التى نعتز بها جميعا ، فهى ان قصر باعها عن نيل أكبر حظ من البحوث العلمية ، فقد أدت فروضا عظمى فى النواحى التعليمية ، فاخرجت لنا ما أخرجت من شباب متوثب الى العلم ، شباق الى بحوثه ، يتربص بالعلم ان تكون له أكتاف غير تلك الاكتاف ، وحماة غير هؤلاء الحماة ، لكى يكشف عن حقيقة ما أسدته اليه الجامعة من تكوين وما حبته من مواهب

وبعد الجامعة تأتى الدوائر الحكومية العلمية، مثل مصالح:الطبيعيات، والكيمياء ، والمناجم والمحاجر ، والميكانيكا والكهرباء ، ومصائد الأسماك ، والموازين والمكاييل ، ومعامل وزارة

الصحة ، ثم هناك ادارات حكومية أخرى مثل مجلس مباحث القطن والطب البيطرى ووقاية المزروعات وتربية النبات والحشرات . كل هـذه وأمثالها مواطن للعلم ومظان للبحوث وقد انتجت بحوثا نافعة درت على البلاد الخير العميم فى اقتصادها وفى صحتها ولكن الذى أتته هو دون الكفاية بكثير لسبب بسيط واحد وهو أنها لم تنشأ للبحوث وانما للادارة ، ادارة عجلة الحياة المدنية

على ان الحاجة أصبحت ماسة الى ايجاد معهد علمى ينسق هذه الجهود ، وهذا المعهد الذى نطالب به هو « معهد فؤاد الاول للبحوث العلمية » . فمن المعلوم ان بلدنا زراعى ، عماد ثروته الارض ، وستظل هى عماده لسنين واحقاب ، ولن يقول أحد ان الزراعة فى غير حاجة الى تدعيم . فالتربة تنتظر الفحوص أو تنتظر الزيادة منها، وكذلك المحصولات من حيث ملاءمتها للتربة ومن حيث استنبات الجديد منها ذى الغلة الكثيرة أو ذى المقاومة الكبرى ، والمخصبات التى هى غذاء هذه النباتات فى حاجة أيضا لزيادة فى البحث ، وكذلك وقاية النباتات وأمراضها، وحفظ ثمار الارض ومحاصيلها بما يوائم ظروف التجارة. ومن الفحوص الزراعية ما يتصل بما يعيش على التربة من حيوان ودراسة الانسال والادرار والصناعات اللبنية . وبذكر حيوان الارض نذكر حيوان البحر ، فتربية الاسماك وتكثيرها وحفظها وتمليحها وتعليبها ، كل هذا يخضع للفحوص العلمية

ومن الناحية الصناعية تحتاج الصناعات القائمة الى تدعيم يجارى مقتضيات العصر الذى لا يأذن لبضاعة ما ان تظل على حال واحدة من الجودة عدة أعوام . وهذه الصناعات القائمة حتى فى عمل يومها الجارى ، تصطدم بمشكلات لا يكون حلها الا عند فروع العلم المختلفة ، وعند أهل هذه الفروع من العلماء

وهناك من البحوث العلمية ما يتصل اتصالا وثيقا بالصناعات جميعها دون أن يتصل باحداها اتصالا خاصا . ومن ذلك بحوث الوقود من صلبة وسائلة وغازية . ومن ذلك بحوث المعادن من حيث أنها الاحجار التى تبنى بها أجهزة الصناعة جميعا ومنها تصاغ أوعيتها ، ومن بحوث الحرارة وبحوث الكهرباء ، ثم بحوث أخرى تتصل بالوحدات القياسية وتقديرها وتعميمها واقتباس الاجهزة لهذا القياس وهذا التقدير

وفيما عدا ما تقدم توجد البحوث الانسانية الاخرى ، بحوث الصحة والمرض ، فيما يتصل برفاهة الانسان فى حياته العادية ، وفيما يتصل بها فى حياته العملية ، فى الحقل وفى المصنع ، من حيث ان العامل بعض اداة الانتاج ، يقل الانتاج ويسوء بمرضه ، ويزيد ويحسن على صحته وقوته . ومن بحوث الصحة ما يتعلق بالاغذية الانسانية ، من طبيعية واصطناعية ، وهى بحوث أسدت الخير العميم الى الامم الغربية والسلم قائمة ، ووقتهم فى هذه الحرب شرور الجوع وأعقابه بما هيئت لهم من طعام ، ألف العلم بين عناصره ووازن حتى كفى على قلته بحاجة الجسم للغذاء

وغير البحوث الزراعية والصناعية والصحية توجد بحوث الدفاع، وهذه بحوث تستطيع

ان تنتظر حتى يأتى الزمن بالذى نرجو من تطورات . ثم لا ننسى البحوث التى تتصل بالعمارة ، من البناء الى الخامات والتصميمات ومن بحوث الطرق وهى مسالك المدنية الجديدة التى لا غنى لامة عنها وعن تجويدها وصيانتها لتسهيل التجارة وتقريب البعيد وتيسير حمل الثقافة ووسائل الرفه والمدنية الى كل ركن من اركان البلاد ، ومن تلك بحوث المجارى والقمامات والمخلفات ونحو ذلك

ومن هذا يتضح ان العلم يتغلغل فى كل مرفق من مرافق الدولة واداراتها ، فما الذى أغفلناه من تلك المرافق بعد ما سردناه ؟ البوليس ؟ القضاء ؟ قلم الجوازات ؟ فحتى هذه يلاحقها العلم ببحوثه ، بحوث الجرائم وطرائق كشفها ، وبحوث التزوير فى الاوراق ، فان العلم لم يبق فى هذه الناحية حجرا الا قلبه ، وتوسل المجرمون اليوم بوسائل العلم فقام العلم يناهضهم سلاحا بسلاح

فماذا يصنع معهد التنسيق العلمى فى كل هذه البحوث والمرافق ؟ يشرف عليها جميعا ، ولكنه اشراف بالمعنى اللغوى وليس بالمعنى القانونى الذى اتخذته هذه الكلمة حديثا ، وأول شىء نعنيه هنا هو علاقة المعهد المقترح انشاؤه بالجامعتين

ان الجامعات خلقت للتعليم ثم للبحث الحر الطليق . على ان أثمن ما ورثته الجامعات من القرون الماضية هو الاعتراف لها بالاستقلال فى شؤونها حتى فيما قد يتراءى أحيانا انه لا يلتئم مع الصالح العام ومع الافكار السائدة عند الجمهور . هذا مع الزعم بأن الجامعات تسبق زمانها دائما وانها تطلع من جديد الحكمة والحق والعلم على ما لا يطلع عليه جمهور العامة الا بعد سنين . وفى البحث خاصة يفرض فى استاذ الجامعة انه عند ما يتخير موضوع بحثه لا يتخيره لانه انفع فى الحياة ولا لانه أكثر ادرارا للمال ولكنه يتخيره لانه أكثر التئاما مع نفسه من بين مسائل المعرفة التى قد لا تتصل بالارض أبدا . نعم ان أساتذة الجامعة وبحاثها هم فى جمهرة الباحثين أشبه بالشعراء فى جمهرة الكتاب . فالشاعر لا يجود الا فى الذى يمس فى الساعة الراهنة شغاف قلبه ، ومن أجل هذا تعطى له الحرية المطلقة ان يغنى على ليلاه ، وان يبكى صباه أو ينعى صعلوكا أو ملكا ما دام ان كل هذا ينتج شعرا رائعا رفيعا . وكذلك استاذ الجامعة يطلب المعرفة للمعرفة ، وليس للمادة ، فاذا هو درس تفاعلا كيمائيا فانما يدرسه ليعلم منه كيف تتفاعل الاشياء ، لا ليعلم كيف تتركب صبغة زاهية ثابتة تخرج الى السوق فتأتى له بالمئات والالوف من الجنيهات . وهو اذا درس ظاهرة طبيعية فانما يدرسها ليعلم كيف تطبع المواد . وهو اذا درس وظيفة من وظائف الاعضاء فانما يدرسها ليشبع نهمه العلمى فيعرف كيف تهضم المعدة أو كيف يقوم الطحال بوظيفته، لا ليستفيد من ذلك فى حفظ صحة أو تصحيح علة

فهذا سبيل الجامعات ، استقلال فى الرأى ، واستقلال فى تخير البحوث ، واعتزاز بالكرامة . ومن الخير ترك الجامعات تجرى فى سبيلها المقدور ، ولكن الجامعات عليها واجب نحو الامة لا يمكن ان يمنع منه استقلال أو اعتزاز بكرامة ، ذلك هو تخريج الشباب

القادر على البحث المدرب واعداده فى كافة نواحى المعرفة المختلفة . والجامعات تعنى على ما هو معروف بالعلوم البحتة اكثر من عنايتها بالعلوم التطبيقية واذا هى تناولت العلوم التطبيقية فيما يتصل بصناعة أو زراعة فانما تتناول منها الاسس العامة لا الامور الخاصة التى تتصل بتفصيلات صناعة بذاتها أو زراعة بعينها ، ولن يطلب الى الجامعات تدريب على البحث فى غير ذلك . ولكن معهد فؤاد الاول العلمى المقترح انشاؤه سوف يوجه البحاث الى زيادة فى التخصص تبعا لحاجات دوائر البحوث فى البلاد وان يكلف الجامعات ببحوث خاصة يدرب عليها أكبر عدد ممكن من الشباب . اما عن صلة المعهد بالادارات والمصالح الفنية والعلمية فى الحكومة ، فانه يعمل جهد طاقته على ان يحميها وينميها وقد تبلغ حمايته لها ان يحتويها جناحه فلا تستظل بغير ظله

ولست أفضح سرا اذا ذكرت ان عرقلة البحوث العلمية لدى الهيئات المصرية جميعا ، وعرقلة التقدم الفنى فى مصر ومن ورائه الوقوف بالثروة المصرية عن التقدم ، ترجع اسبابه الى ان أولى الامر فينا لا يؤمنون ايمان العجائز بالبحوث العلمية الا اطراء على الاوراق أو رنينا فى قاعات الخطابة ودور النيابة . ومن سوء حظ مصر أن تكون حالها السياسية على ما نعلم ، فقد حدث من جراء سوء هذه الحال ان كانت الشغل الشاغل لاكبر الرؤوس فينا واعظم الكفايات ، فلم تعد فى تلك الرؤوس بقية تبذل للبحوث ، وكان من نتيجة النضال السياسى ان لم تبق لاولياء الامور ساعات تأذن لهم بتدبر العلم وتدبر خطره من مرافق الدولة وموقعه من صوالح الجمهور ، وهو لو اتسع لهم الوقت فتدبروه وقدروا أثره فى الاجسام والنفوس والاموال لعلموا انه أكبر اداة سياسية تحل بها أعقد الامور ، ولكنه اداة بطيئة العمل . ولنتصور لو اننا منذ ربع قرن انصرفنا عن بعض السياسة الى تدبير أمورنا بالعلم الى زيادة انتاجنا وتنشئة مواردنا وعلاج أمراضنا وخروجنا بأهلنا من حال الفقر والجهل الى بعض حال من الاستغناء والعلم ، اما كان حالنا فى الميدان السياسى أقوى ، وضلعنا فيه أشد ، وكان لنا فى الميدان الدولى من احترام الامم حظ أوفر ؟

ان العالم اذا قال البحث انصرف ذهنه توا الى البحث المبتكر الذى لا يسبق صاحبه اليه أحد ، وهذا النوع من البحث هو المطلوب فى الجامعات ، وعليه تمنح الدرجات . ولكن اذا انتقلنا الى البحث العلمى ، لا سيما البحث الصناعى ، وجدنا محصولا هائلا تقدمتنا به الامم ، ولكن ليس فى مصادر العلم منه الا القليل ، وكثيرا ما تكون هذه القلة مقصودة للتضليل ، حتى الصناعات ذات الاجهزة المقررة المصممة التى تباع لكل من يستطيع ان يدفع ثمنها ، هذه الاجهزة قد لا تخرج لك البضاعة المطلوبة الا بعد بحث ومران ، مثال ذلك : صناعة الزجاج ، فلو ان لديك كل اجهزتها من أفران ومضاغط ومنافخ وقوالب ، وتلك المكنات المعقدة الاخرى التى تصنع زجاج النوافذ ، وكان لك الى جانب هذا كله العمال المدربون ، لما كفى ذلك من أبحاث تجريها فى عجائن الزجاج لتعطيك أحسن عجينة لاحسن زجاج من أى نوع خاص تطلبه من انواعه ، ولن تكون هذه الابحاث مبتكرات ،

فقد سبقنا اليها الآخرون حتما وذكروا منها القليل الذى لا يغنى . وحتى الابحاث المنشورة والمكشوفة كثيرا ما يعجز من يريد ان ينتفع بها الا اذا أعاد ما نشر وكرره وملك ناصيته . وهذا يحتاج الى وقت غير قصير ، ومثل هذه الابحاث ، من كشوف كشفها القوم وخبأوها ، ومن كشوف مفضوحة تتطلب الحذق والزمن ، كل هذه ليست دون كشوف مبتكرة جهدا ، ولا أقل منها تدليلا على كفاية . وسيتولى المعهد فيما سيشرف عليه من بحوث ابحاثا مبتكرة ، وهذه صفة من الصفات الفارقة بين عمل تأتيه الجامعات وعمل يصدر عن المعهد ، وعدا البحوث سيقوم المعهد حتما بجمع المعلومات العلمية من شتى انحاء العالم وسوف يكون له اداة سريعة تأتى فى أقصر وقت بالشوارد من أى بلد وبأية لغة

ونحن نعلم ان البحث العلمى لا يكون من غير مصادر ، ونعلم العنت الذى يلقاه الباحث فى الوقت الحاضر كلما طلب مصدرا فلا يجده ، أو وجده ناقصا . ونعلم فوق هذا وذاك ان الادب اذا احتاج فى بحثه الى مصادر ، وكذلك اذا احتاج القانون أو التاريخ أو غير ذلك من العلوم الادبية ، فقد يكتفى الباحث فيها بالذى يجد من ذلك دون ان يقف على بغيته وقوفا تاما . أما فى العلم فالحال غير هذا ، فالعلم كالبيت يبنى طوبة فوق طوبة . ولا بد فيه للباحث من ادراك السابق حتى يأتى باللاحق . وغير ذلك فالبحث العلمى بطىء يأكل الاعمار ، وقد يرضى المرء ان يضيع عمره فى جديد ، ولكن يقصم ظهره ان يفنى من عمره السنوات ثم يبين له ان غيره قد كشف ما قد أراد كشفه قبل ذلك باحقاب

فمن أعمال المعهد وأهدافه الرئيسية انشاء أكبر مكتبة علمية فى الشرق ، لا يأتيها المستحدث فى العلم فقط ، بل كذلك سجلات العلم الهائلة فى شتى العلوم . وبسجلات هذه المكتبة يغذى المعهد بالاعارة كل ما يجرى فى البلاد من بحوث

بقى ان أذكر أن فكرة تنسيق البحوث العلمية لا يمكن ان ينتحلها فرد واحد أو جماعة فهى فكرة من تلك الفكر التى تنشأ على الزمن فى أكثر من زمان ومكان ثم تشيع فيؤمن بها الناس سريعا ، لانها تأتلف والحاجة العامة وتمتزج مع المزاج العام الحاضر ، وليس من همنا ان ننسبها الى مصادرها حتى لو كان لها مصادر محدودة معروفة ، ولكن هذه الافكار عند ما تنضج ويتم تكوينها ، تأخذ فى التبلور على أيدى الرجال الذين شاء القدر أن تكون أزمة الامور عند ذاك فى أيديهم ، والقدر لم يكن ليشأ ، الا اذا مهد لمشيئته رجال ذوو فكر واسع وعزيمة ماضية

أحمد زكي



قصة مصرية

البطل!

بقلم الأستاذ زكى طليمات
مدير معهد فن التمثيل العربى

استدارت المائدة حتى كادت تملأ متوسط البهو الأنيق بقصر الوجيه « همام بك أبو السعد » ، وتكدست عليها ألوان الطعام حتى ليعجب الناظر اليها كيف يتأتى أن تختفى كمياتها والجالسون اليها غير كثيرين

أحقا اننا فى الشرق انما نعيش لنأكل ، لا أن نأكل لنعيش ، وان الطعام لدينا متعة ولذة وليس حاجة وضرورة !

أقول أن الجالسين حول المائدة عددهم غير كثير .. رجال وسيدات يختلفون فى الاعمار ولكنهم يتفقون فى أن كلا منهم راغب فى الاستمتاع ، وكانت ألسنتهم تعمل فى صياغة الكلام أكثر مما تطحن أضراسهم الطعام ، ما عدا رب القصر ، فقد كان مقبلا على التهام ما تكدس أمامه فى شهية تبعث الشهية فى الصادف عن الأكل ، بيد انه كان يعطى المجال حقه ، ضرس تمضغ فى هوادة وتؤدة ، وأخرى تمطى فى لباقة عبارات فكهة تحمل لذعة « المخلل » البلدى الذى يتوسط المائدة ، فتخرج ندية مبتلة مجلجلة من بين شفتين غليظتين تحملان طابع النهم والتطرف — وقد رقص فوق الشفة العليا شارب غزير الشعر مفتول الطرفين

رب القصر همام بك جالس الى جانب زوجته « دنيا هانم » وهى تلمع فى حلى خاطف ولباس أنيق محسود لانه ينضم على جسد منحوت ينبض بفيض من الشباب والفتنة ، وفى طرف آخر استقر « عبد الغفور بك » وزوجته « زكية هانم » وعليهما مسحة ملحوظة من الطمأنينة والهدوء والاتزان . هما يمثلان الزوجية الحقة التى لا تشكو تنافرا فى الميول والسن ، وعبد الغفور هذا هو زميل همام منذ الشباب وصديقه الأول

وأمام همام جلس « الاستاذ فريد » شاب تجاوز من عمره منتصف العقد الثالث ، حليق الشارب ، أزهر اللون نحيل الجسم فى غير هزال ، ممشوق القد فى غير صلابة ، أكل وجهه من شعر رأسه فبرز له جبين واضح المعالم يحمل سيماء التأمل

وبين من ذكرنا تناثر عدد قليل من رجال وسيدات يحاول كل منهم أن يدفع بابتسامته واشتراكه فى الحديث ضريبة هذا العشاء الفاخر

أجل كان الجميع يتبادلون أنخاب الحديث والفكاهة فتارة فى أخبار الهدنة وانتهاء الحرب وأثر هذا فى الاقبال على الزواج لزيادة النسل ، وتارة أخرى فيما عسى أن تكون عليه أسعار الاقمشة والجوارب وأدوات الزينة بعد أن انقشعت غمة الحرب ، هذا والاستاذ فريد لا يشترك معهم الا بعبارات قليلة ، اذ كان يتناول الطعام فى بطء وتأمل وكأنه يحاول أن يستخرج منه مذاقا غير ما قدر له من مذاق

وقطع همام بك الحديث اذ أقبل الخادم يحمل صفحة واسعة تنوء بما تحمل من الخضر الطازجة ، خس وخيار وطماطم وجزر وفجل .. وصاح بالخادم أن يبدأ بتقديم اللون الجديد من الطعام الى الاستاذ فريد . ثم أردف بقوله :

ـ عليك يا فريد بالجزر والفجل والطماطم ، انها تحتوى على كميات طيبة من فيتامينات منعشة منبهة قوية .. عليك بها فلعلك تفيد منها أوقيتين لحم تزيد فى نمو جسمك

فالتفت عبد الغفور بك الى صديقه وهو يقول :

ـ وما دخل الفيتامينات ونمو الجسم ، الاستاذ فريد استكمل جسمه لانه جاوز العشرين من عمره

فاردفت زوجته زكية :

ـ الحق يا همام بك انك تبالغ فى تأثير الفيتامينات ، ولم يبق الا أن تصفها للعاقر حتى تحمل !

وأجاب همام :

ـ بس أنا متألم لان فريد جسمه صغير ، وعوده نحيف، والسيدات لايلتفتن الا للرجل الملىء الجسم ، المفتول الذراعين ، وليس لمن يشبه فى نحافته (خيال المآته) !

وضحك الجالسون وعقبت دنيا هانم على كلام زوجها بأن الاستاذ فريد ابن خالتها العزيز يشبه ـ مع عدم المؤاخذة ـ طائر البشروش ، فابتسم فريد بدوره ، وأراد همام أن يفيض فى شرح فوائد الفيتامينات ، فصاح عبد الغفور بالخادم :

ـ ضع الصحن أمام البيك وليتبه الامر ، همام بك بطل فى كل شىء حتى فى أكل الفيتامينات

فضحك همام والحاضرون وانطلق يقول :

ـ طبعا بطل ، ضع الصحن أمامى ، وان كنت فى غير حاجة الى أكل ما فيه ..

وأشعل فريد سيجارة ولما ينته من الطعام ، فكان أن انهال عليه همام بك معددا مساوىء التدخين ، وكأن فريدا هدف قائم يحرك دائما فى همام شهية اطلاق تهكماته وتعليقاته

وأعلن الخادم قدوم المطربة « سهام » فاشرقت وجوه الحاضرين ، وهب همام بك منطلقا الى خارج البهو ثم عاد وهو يحمل المطربة على ذراعيه وخلفه أفراد التخت ، فصفق له الحاضرون واختلطت الاصوات فى طلب الادوار الغنائية من المطربة

بيت سعيد لياليه أفراح ، أو هو بيت يحاول أصحابه أن يجعلوا الفرحة فيه لا تنقطع

عن الزغردة خشية أن ترتفع أصوات أخرى لا يودون سماعها .. كان قصر همام بك معقد السمر المشتهى فى كل مساء ، طعام فاخر ، وطرب ولعب ورق وسرور

***

وهمام بك رجل جدير بالاعتبار ، لان كل ما يبدو منه وما كان عليه قبل زواجه ، يثير التطلع ويبعث على التأمل

استحق لقب البطولة فى عالم « الصرمحة » منذ شبابه الاول اذ كان يكلتيه للهو ومجالس الشراب ومغامرات النساء ، شباب تقضى فى فتل الشارب وتصفيف الشعر واستجابة داعى الغرام ، ورجولة كانت المتعة الحسية لها شغل وغاية ، اسراف فى الشراب والسهر ، واغراق فى كل ما يجاوب رغبات الحس

وهكذا أصبح همام بك معتبرا بين أقرانه الرجل (الراسى) المتمرس بأحوال النساء وله الشهرة البعيدة فى خلع اضراسهن ..

وخلع ضرس المرأة فى لغة البطل همام ، هو السيطرة على المرأة واخضاعها مع بقائها على حبها لك .. ماض حافل بالمغامرات النسائية بقيت آثاره تملأ أدراج مكتب البطل ، فهى غاصة بمجموعات لصور فوتوغرافية لأوانس وسيدات الى جانب أشتات من خصل شعر وورود ذابلة ورزم خطابات ما برح العطر يفوح منها ، كانت كلها محجبة عن الانظار ثم صارت معرضا لمعارفه منذ أن انتهى به المطاف الى الزواج وتقدمت بطولته الى الامتحان الأخير ، وكأنه لا يجد من حاضره وفى زواجه ما يفتخر به ويزدهى

تزوج همام بك وهو ينازل الخمسين ، من فتاة تصغره بثلاثين عاما وقد شفع له فى هذا الزواج ، أمام نفسه وأمام الناس ، بطولته السابقة وما هو عليه من صحة موفورة وقوة عارمة تبدوان فى تماسك جسمه وانتصاب قامته المديدة واحمرار وجهه المستدير ، ثم ما خصه الله به من الوجاهة والغنى واليسار ، وما خلد فى ذهنه من ان الزواج نصف الدين ، وان الزواج شر لا بد منه ، وان لا بد من أن ينجب ولدا يخلفه فى صالح الاعمال

وعلى الفارق بين سنه وسن زوجته « دنيا هانم » فقد كان هذا الزواج مرموقا بعين الحسد من جانب كثير من الناس ، الزوج محسود على اقتنائه شابة بالغة فى الجمال والفتنة ، والزوجة مغبوطة على انها زفت الى رجل موفور الثراء يعرف اقدار النساء ويفتن فى ارضائهن

وفى الحق ان همام أحاط زوجته الشابة بكل أسباب الرفاهية ، وفتح أبواب قصره للاقارب والاصدقاء يسمرون فيه ويحتفلون على وجوه مختلفة ، سجلنا واحدا منها كفرع من فروع تنتهى الى أصل واحد مهما اختلفت ألوانا وتباينت أشكالا

***

أما الاستاذ فريد فهو ابن خالة « دنيا هانم » حرم البطل الهمام ، ويكبرها بخمس

سنوات ، درجا معا منذ الطفولة فتأصلت بينهما زمالة ، فصداقة ، ثم حلت بعدها صداقة مشغوفة ، ثم .. ثم اعتراف من جانب الشاب الى والد الشابة بأنه يهوى ابنته ، والتماس بأن يوافق على قرانهما . ولكن الوالد رفض هذا الالتماس لان فريد لم يكمل بعد دراسته فى كلية الحقوق ، ولان حالته المادية لا تساعده على أن ينهض بتكاليف العيش مع فتاة مترفة منعمة ، فانطوى فريد على نفسه وانقطع عن زيارة البيت ، وانكب على دراستهفحصل على اجازة الحقوق بتفوق ملحوظ فأوفدته الحكومة مبعوثا الى باريس لنيل اجازة الدكتوراه فى القانون

وعاد فريد من بعثته فى الخارج فعلم بأن « دنيا » تتأهب للاقتران من همام بك فكابد وقدة الألم المنطوى فى أعماق نفسه ، أخلاط من غيرة وحسد وخيبة أمل واشفاق على الزوجة ، فقد راعه فيما راعه كيف قبل والد « دنيا » أن تزف ابنته الى زوج يكبرها بثلاثين عاما وكيف أن المال يعمى البصائر ، ولكنه غالب نفسه واستسلم فى النهاية ، ولم يحجزه ألمه عن تهنئة العروسين .. فأكبر فيه همام بك هذه العاطفة وألح عليه فى التردد على قصره ، فحضر حفلة القران وقدم الى الزوجة الشابة هدية ثمينة ، وهكذا قامت بين الزوج الحاضر والخطيب السابق مودة عجيبة ظاهرها صراحة وصفاء ، وباطنها اضطراب وابهام ، فكان قلما ينقضى أسبوع الا ويكون « فريد » بين المدعوين الى السمر والعشاء فى القصر الكبير ، وقلما ينقضى سمر الا ويقوم بين الزوج والخطيب حديث من طراز ما أسلفنا ذكره ، يكون فيه الشاب هدفا لمجون الزوج .. أصبح همام بك يرى فى فريد شخص الغريم المهزوم فى معترك الاقران من أجل حيازة المرأة ، فرؤية فريد تذكره بفتوته الماضية ، وتؤكد له أنه ما زال (البطل) همام بك خالع أضراس النساء !

***

ومضى عام والامور تجرى على هذا المنوال .. الزوج تياه باقترانه من صبية فاتنة ، والزوجة لاهية مفتونة بما يحوطها من أسباب النعمة والرفاهية ، ثم أخذت غيوم قاتمة تبدو فى سماء هذا البيت السعيد ، وذلك ان الزوجة ، على الرغم من بطولة الزوج وافراطه فى تناول الفيتامينات ، لم تتهيأ لان تكون أما . الزوجة الشابة ، وقد تحركت فيها غريزة الامومة التى هى عزاء كل زواج وختامه ، تهمس بالشكوى لاهلها ، واهلها بدورهم يبادلونها الشكوى اذ هم يريدون لها ولدا يرث أباه فى أمواله الطائلة

أما الزوج فقد بدأت الكآبة تشوب وجهه الطليق ، لان الزواج لم يحقق أمنيته فى انجاب ذرية له ، كما أنه أحس بقلق ينساب غامضا خافت الخطا فى أعماق نفسه ، ثم ما لبث أن أعلن عن نفسه متهما صاحبه فى كفايته كزوج قادر على أن يسعد زوجته بالأمومة . وامتدت ألسنة الاهل والاصدقاء الى التعليق على هذه الحال بدعابات لاذعة ،

اذ كيف تأتى أن (البطل) همام الذى لا يشق له غبار فى عالم النساء قد عجز عن انجاب طفل واحد !

وكانت هذه المداعبات تنال من كبرياء همام وتجرحها فى الصميم ، ولكنه كان يداوى ويتظاهر بغير ما فى نفسه ، انه ليتكلف الابتسام وانه ليفتعل الضحك وهو يجيب عن هذه المداعبات تارة بقوله :

ـ أنا لا أريد أن أشرك لى ابنا فى حب زوجتى ، دعونا نتمتع ، وقد يذهب أكثر من هذا فى المغالطة فيهمس فى أذن أصدقائه بأنه هو الذى يحجز زوجته عن الحمل !

***

وعز على همام أن يتهم نفسه بالعقم فسار بزوجته الى اخصائيين فى أمراض النساء فقرروا جميعا بأنها سليمة من كل ما عسى أن يحجزها عن الحمل ، كما أشاروا عليه بتعاطى خلاصات من غدد الفيران والقرود حقنا تحت الجلد لتنشيط غدده التناسلية

وأنجز الزوج ما أشار به الاطباء وهو مستبشر متفائل ، كما زاد فى أكل الجزر والفجل والخيار ولم يتورع عن أن يرسل أذنا صاغية الى الوصفات البلدية ، فقلما كان يخلو أحد ادراج مكتبه من حقاق مملوءة بالمعجنات المتبلة الفائحة العطر

ومرت أسابيع وهو يمنى النفس بالخروج من هذا المأزق ولكن على غير جدوى ، فكان أن عاودته الكآبة من جديد وأحس تدريجيا بنفور من مخالطة الناس ، فقطع ما بينه وبين اقامة حفلات السمر فى قصره ، ثم صار يتجانب الحديث الطويل مع أصدقائه ومعارفه ، وأخيرا أصبح يتهرب منهم بالسفر الى عزبته فى المنوفية بدعوى أنه يباشر اصلاح أرض جديدة اشتراها ، وعلى الجملة فقد تبدل طابع الحياة فى القصر وسرت فيه وحشة وظنون، أجل لقد طغت على همام بك موجة مفاجئة من الغيرة ، فكان لا يني عن سؤال الخدم عن زائرى زوجته ، بل كان لا يتورع أحيانا عن فض الرسائل والمجلات التى ترد باسمها ثم يعاود لصقها وكأنها لم تفتح

واشتدت عليه هذه الحال فأصبح لا ينتقل الى عزبته الا وزوجته معلقة فى ذراعه ، فاذا استقر به الانتقال فى القاهرة عمد الى خارج بيته يقضى سهراته منفردا ليعود الى مخدعه بعد منتصف الليل

حياة جديدة: كلها كآبة وقلق لم تعرفها الزوجة من قبل فرفعت صوتها بالشكوى الى أبيها . وفى الحق انها لم تكن متجنية فى شكواها ، فقد حرمت ما ألفته من حياة السمر والاجتماع ـ وقد كان فى هذه الحياة ما يخفف عليها تحمل زوج يكبر والدها فى السن ويخالفها فى الطبع والمزاج ، كما انها فقدت رجاءها فى الامومة التى هى النهاية الطبيعية لكل زواج

وزاد فى ألمها أن الزوج بدل من سلوكه بعد أن عمد الى السهر الدائم خارج البيت ،

ولا سيما ان الاشاعات أخذت تهمس بأن همام بك قد عاود سيرته الاولى فى غشيان أوكار اللهو والمتعة المحرمة على الزوج ، وتدخل والدها فى الامر واستطاع فى النهاية أن يجعل الزوج يسمح لزوجته بأن تتخلف عن مرافقته فى السفر على ان تنتقل الى جوار والدتها أثناء غيابه فى العزبة

وفى الحق أن « همام » لم يكن بريئا مما يهمس الناس به ، وكان الجواب الذى يرد به على أصدقائه تبريرا لهذا السلوك الجديد واحدا لا يتغير فى معناه وان تغير فى مبناه :

ـ اننى ما زلت رجلا موفور القوة وصاحب مزاج حاد .. وان ما أفعله انما هو استجابة لشىء فى نفسى لا أقوى على دفعه !

فاذا ذكره صديقه عبد الغفور بك بواجبه كزوج أخذ يصيح :

ـ وهل قصرت فى شىء نحو زوجتى ! كل شىء موفور لديها ، سلوها اذا أردتم !

مسكين همام بك . انه ليتكلف ويفتعل ويتفاصح وهو لا يشعر انه انما يحاول أن يستشفى من علته النفسية ، وانه يكمل نقصا فيه بنقص آخر ، وانه يثأر لكبريائه المكلومة باقناع الناس بأنه ما زال (البطل) الذى يخلب ألباب النساء ، وبأن انجاب الذرية ليست دليلا على قوة الرجل فى كفايته كزوج !

***

وتحملت الزوجة هذه الحال بألم أخذت مرارته تخف على مر الزمن ، ولا سيما بعد أن وجدت منفسا فى اقامتها ، فترة بعد الاخرى ، فى منزل والدها حيث والدتها وشقيقاها الصغيران ، وحيث كان يأتى الاستاذ فريد ، فلا يألو جهدا فى تعزيتها وادخال البهجة على نفسها

***

ومرت أشهر والامور تجرى على هذا المنوال الكئيب ، وأخيرا انطلقت البشرى تدوى فى جنبات قصر همام بك معلنة أن الزوجة قد حملت ، وان صاحب القصر سيصبح أبا يشار اليه بالبنان !

سرعان ما تغير همام ! رجع الزوج الشارد الى حظيرة الزوجة آسفا مستغفرا ، وغمرها بفيض من الحب والحنان ، وعاد الى القصر سناؤه وأنسه وسمره . تبدلت الحال وكذلك تبدل همام بك فى ناحية مظهره ، فقد لابسته حالة جديدة من التيه والخيلاء فهو لا يرى الا منتفخا منتفشا يضرب الارض بقدم الظافر المنتصر ، وصار صوته يجلجل فى أنفه ما يقول ، بل ولم يشعر يوم أن جاء اليه صديقه عبد الغفور يهنئه بالحادث السعيد ، انه هوى على صدره بلكمة شديدة وهو يصيح مقهقها :

ـ أرأيت يا سى عبده ، ما أن أردت أن يكون لى ولد حتى حملت زوجتى .. اننى أتصرف فى كل شئونى بارادتى

ولم يستطع عبد الغفور الا أن يقول بدوره :

ـ هذا حق .. طول عمرك بطل !

***

وصار البطل يحسب أيام الحمل ويسير بزوجته من وقت الى آخر الى الطبيب ليحدد ميعاد الوضع ، هذا وهو يفرط فى وعوده لاصدقائه ومعارفه بأنه سيحيى حفلة شائقة تستمر ثلاثة أيام بلياليها يوم أن يخرج الطفل الى النور ، وان الغناء والشراب لن ينقطعا خلالها ، كذلك أوعز الى بعض المجلات بأن تنشر بالخط العريض خبر ترقبه هذا الحادث السعيد !

بيد ان هذا كله لما يكن الا مظاهر سطحية قد يولغ فى ابدائها تغطية لريب دفين يختلج به قلب همام ، وتعمية لألم ينساب فى أعماقه ولا يجرؤ على المجاهرة به ، بل انه ليتغافل عنه أحيانا .. ولكن أنى له هذا وقد انطلق جامحا مستبدا فى باطن واعيته ، يزخر بالشك والتوجس الرهيب !

هل حق ان الجنين الذى فى احشاء زوجته منحدر من أصلابه ؟

ولماذا تأخر هذا الحمل ، ولم يعلن عن نفسه الا فى الزمن الاخير الذى كان يطول فيه تغيبه عن منزله ؟

ثم لماذا أصبح الاستاذ فريد دائم التردد على المنزل وقد ازداد لونه شحوبا على شحوب؟

وفى الحق ان شبح « فريد » كان أقسى ما يطالع همام فى تفكيره ، وعلى الرغم من أنه كان يحاول جهده استجلاء موقف فريد من زوجته فيراجع ملابسات صلتهما القديمة ثم موقفهما الاخير ، وقد أصبح لقاؤهما يوحى بالريبة ، على الرغم من كل هذا فان شخصية فريد بقيت مبهمة غامضة فى نظره !

***

ومرت أيام الحمل كأطياف حلم ثقيل ، وهمام يرزح تحت حمل هواجسه .. ولم يهتد الى حل يريحه مما يعانيه

وأعلن الطبيب ان ميعاد الوضع لن يتأخر عن ثلاثة أيام ، فثارت ثائرة همام حتى صار لا يملك عبارات تنفلت من لسانه معلنة عن شكوكه كلما خلا الى نفسه ، فاستأذن زوجته فى السفر الى العزبة ليستحضر الديوك والخرفان التى ستذبح فى حفلة الوضع

وفى هدأة الريف وسماحته أخذ همام يراجع أمر نفسه فيهدأ أحيانا بعد ان ينظر الى الامور من زاوية حسن الظن بالناس وبنفسه ، ثم تعاوده شكوكه اذ يأخذ بأسباب تجاربه فى أخلاق النساء ، فيصبح نهبة نضال عنيف ، نضال احتشدت فيه اخلاط مستبدة جامحة من غيرة وكبرياء وانانية واشفاق

ورجع فى مساء اليوم الرابع الى القاهرة فاذا البيت شعلة من نور ، وكل شىء فيه يتحرك ويجرى ويلهث ، الزوجة على أبواب الوضع ، والطبيب على رأسها قائم

واستقبله الاهل والاصدقاء بالعناق وأطلقت الزغاريد ، فأحس همام بأنه يفيق أخيرا

من كابوس ثقيل ، ويدأ النشاط يدب فى جسمه المنهوك ، فاذا هو يبتسم واذا قامته المديدة تعاود استقامتها المألوفة

ولم يطل الوقت

جاءت الممرضة تجرى نحوه وأسرت اليه بكلمة فى أذنه فاذا هو ينهض دفعة واحدة ويجرى نحو مخدع زوجته

وأحس الحاضرون بما أرادت الممرضة اخفاءه فانطلقوا يهللون

ولم يطل أمر انتظارهم ، اذ أقبل همام بك مشرق الوجه يفتل شاربه باحدى يديه ويصيح :

ــ ولد .. وولد .. اثنين فى بطن .. أرأيتم ؟!

فصفق الحاضرون وقام عبد الغفور يعانقه وهو يقول :

ــ طول عمرك بطل يا همام

وجلس البطل وسط أصدقائه يتقبل التهانى ويصيح بالخدم أن يعدوا وليمة العشاء ..

وأقبل اذ ذاك الاستاذ فريد فى شحوبه المريب ، فامتعض وجه همام وارسلت عيناه نظرات حائرة ، ولكن سرعان ما تمالك نفسه ، وهم نحو فريد واحتضنه فى عنف شديد ولم يتمالك فريد الا أن يرسل صوته مبتسجدا ، ولكن هذا الصوت كان خافتا الى جانب صوت همام الذى كان يجلجل ويصيح :

ــ أرأيت يا سيد فريد .. اننى قادر على كل شىء .. لقد أردت لزوجتى أن تأتى بطفلين فى بطن واحد ، فكان ما أردت

فضحك الحاضرون .. ولكن سرعان ما سكت همام عن الضحك وعاوده سهوم فأطرق برأسه يفكر ..

ولم يعرف الحاضرون فيما يفكر !

زكى طليمات

ــ الاحزاب السياسية ركبان سفينة واحدة ، ان اغرقها حزب هلك الجميع

دزرائيل

ــ السياسى الناجح هو الذى يقنع الشعب بأنه لا يكون عظيما الا به

تشسترتون

ــ أغلب ساستنا ليست لهم الا بضاعة قليلة من الكلام، ولكنهم برعوا فى استعمالها

دبلن أونيون



بقلم الأستاذ عريان يوسف سعد

سكرتير لجنة الشؤون الاجتماعية بمجلس الشيوخ

يوم يصبح العالم دولة واحدة سينظر الانسان الى الحروب كما ننظر نحن الى القتل بين القبائل المتوحشة

مجلس الأمن

هذا هو شمس العالم الطالعة التى يعلق العالم على اشراقها أمله فى نشر نور السلام ودفء الطمأنينة ، ويعلق على اشراقها رجاءه فى زوال ظلمات الحرب وغولها الذى ملأ العالم بالفساد ، ونشر فى ربوعه الخراب من فجر الانسانية الى الآن

ولكن هل مجلس الأمن هذا هو الشمس التى ستمحو ظلمات الاعتداء والحروب ، أم انه شهاب يضىء فتتجه اليه الأنظار فاذا به تبتلعه الظلمات من جديد

بدأت الحرب فى العالم بين الرجل والرجل قبل أن يعرف العالم المجتمع الانسانى . وكان الرجل يقاتل الرجل حتى يصرع أحدهما الآخر ليفوز بصيد ظفر به أو طعام تهيأ له ، وكان حق الرجل فى قتل أخيه مقررا كحق الدولة اليوم فى ابتلاع الدولة ، أو بعبارة أدق كحقها بالأمس

ثم استأنس الانسان وتكونت له أسرة فقبيلة أو مدينة ، وكان للمدينة الحق فى قتال جارتها ، وللقبيلة الحق فى محاربة غيرها . فانتقل بذلك حق القتال وحق الحرب من الرجل الى القبيلة أو المدينة ، وأصبح اعتداء الرجل على الرجل جريمة لها عقوبة . اما قضاء مدينة على مدينة أو قبيلة على قبيلة فسلمت به الانسانية

ولم تفلح المدن فى وقف القتال بينها وبين بعضها ، حتى اذا اندمجت المدن المتقاربة مع بعضها وكونت المملكة الصغيرة أو الجمهورية ، زالت الحروب بين المدينة والمدينة وساد السلام المدن وانتقلت الحرب الى النطاق الأوسع بين الممالك وبعضها . ولو أن المدن بقيت الى الآن وحدات سياسية كما كانت أول عهد الانسان بالمجتمع لما انقطعت الحروب

ولقد سجل التاريخ حروب مدن اليونان ، حروب اسبرطه واثينا ، وذكر تألب تلك المدن على طرواده كما يذكر تألب الديموقراطيات على المانيا . ولو أن مدن اليونان بقيت وبقى غيرها من مدن أوربا وحدات دولية كما كانت لما انقطعت الحروب بينها فرادى وجماعات

لم يقض على الحروب بين المدن اتفاقات ولا معاهدات وانما قضى عليها فناء شخصية المدينة فى الدولة حين قرب ما بين أجزاء العالم وبعضها بعد ان عرف الانسان السفن الكبيرة واستخدم العجلات والخيل والجمال فانضمت الممالك الصغيرة التى كانت تتألف من مدينة أو مدينة وضواحيها القريبة الى بعضها وتكون منها مملكة واحدة تضم المدن التى يجمعها واد واحد أو تربط بينها لغة واحدة وزالت الحروب نهائيا بين المدن وبعضها أى بين الممالك الصغيرة وبعضها واصبح قتال مدينة مع مدينة أخرى للخلاف على مرفق من مرافق الحياة عراكا تقمعه قوة المملكة وتحاسب القائمين به حسابا عسيرا على أنهم ثوار خارجون على النظام بعد أن كانوا فيما مضى من الزمن يحسبون جيوشا وبعد أن كان قتالهم يعتبر مشروعا

اندماج المدن الصغيرة التى كانت ممالك مستقلة فى بعضها قضى على الحروب بين المدن كما قضى اندماج الانسان فى المدن على الحرب بين الانسان والانسان فاذا حكمنا على المستقبل بتجارب الماضى رأينا فى جلاء ووضوح أن تطور المواصلات وسهولة الاتصال بين أجزاء العالم سوف لا تقف به عند الحد الذى بلغه الآن وهو فى الواقع نفس الحد الذى وصل اليه العالم من قرون عديدة أعنى ارتقاء الانسانية من الفرد المتجول فى الغابات والوهاد يقتل فى سبيل البقاء ولا جناح عليه الى جماعات تقتتل فى سبيل البقاء أيضا ولا يوصف فعلها بالاجرام ، ثم الى مدن تقتتل ثم الى ممالك تقتتل ويوصف عملها بأنه حرب مشروعة لها قوانين تنظمها

اذا سايرنا هذا التطور وسبقنا الزمن قليلا وجدنا ان مصير الانسانية المحتوم ليس تعاقدا بين الممالك على انشاء مجلس للأمن يمنع المملكة من الاعتداء على المملكة وانما مصيرها اندماج الممالك جميعا فى مملكة واحدة فيصبح قيام مملكة على مملكة حربا أهلية تجرد عليها قوة العالم فاذا قمت حوكم من أشعلوا الفتنة كما يحاكم جزء من المملكة اليوم اذا قام على جزء آخر أى ان الحرب ستعتبر ثورة أو حربا أهلية فى جزء من أجزاء المملكة الواحدة

فمن وقتنا هذا بل من قرون عديدة منذ عرفت الممالك والجمهوريات الى ان تتلاشى الممالك والجمهوريات باعتبارها وحدات سياسية والى ان تصبح الممالك والجمهوريات مقاطعات فى مملكة العالم الواحدة من وقتنا هذا الى أن يصبح العالم مملكة واحدة أو جمهورية واحدة لن تنقطع الحروب

فان الدولة التى ستقدم للهيئة الدولية أقوى الجيوش وافتك الاسلحة لا بد وأن تحدثها نفسها بأن تفوز من خيرات العالم بقسط أوفر من غيرها من الدول ولا بد وان ينتهى بها الأمر الى استعمال قوتها فى الحصول على ما تريد بالقوة فان تألبت عليها الدول الاخرى وقعت الحرب التى يحاول العالم التخلص منها والنجاة من ويلاتها

كانت الممالك تضع على حدودها الحراس وتقيم الابراج والرقباء حتى تمنع عن نفسها الغزو وكان اجتياز جند مسلحين حدود دولة معناه التحرش الذى يتلوه وقوع الحرب

كانت لحدود الدول قيمة لان اقامة الحصون على الحدود كان يقى الدولة شر الغزو أو يتيح لها على الاقل فرصة الدفاع

اما الآن بعد ان أصبح الطيران كما نرى وبعد ان أصبحت الجيوش الكاملة تنقل بالطائرات فقد محيت الحدود بوصفها القديم ومحيت قيمة الحصون وأصبح العالم كله في متناول من يملك قوة كافية من الطائرات وفوق ذلك كله فقد تقاربت اطراف العالم حتى لتكاد تمتزج كأنها أجزاء المدينة الواحدة

لو ان النية اليوم تتجه الى اعتبار أجزاء العالم كلها دوائر انتخابية فى دولة واحدة وأصبح العالم كله وله حكومة واحدة وجيش واحد وبحرية واحدة وطيران واحد يجند لها جميعا رجال من كل جنس فلا تجد فرقة ولا أورطة تتألف من عنصر واحد أو جنس واحد

ولو ان العالم كله تبادل سلعه ووحد نقده كأنه دولة واحدة

اذن لاختفى شبح الحرب بين الدول نهائيا كما اختفى بين أجزاء الدولة الواحدة وكما اختفى بين المدن وبين القبائل وكما اختفى بين الافراد

ولكنى أكاد أرى فى المستقبل دولة واحدة فى العالم كله وجيشا واحدا يجند من العالم كله يحافظ على بقايا الرغبة الوحشية فى استعمال القوة للحصول على قسط أوفر من متع الحياة

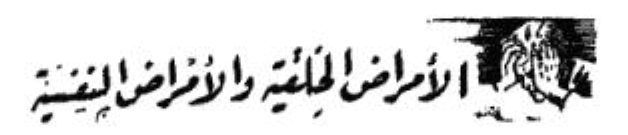
نعم وأكاد اقرأ عبارات الكتاب ـ كتاب ذلك المستقبل السعيد ـ تفيض بالاشمئزاز والألم حين يذكرون كيف كان العالم وهو منقسم على نفسه يلوث بالدم الانسانى بين القينة والفينة دم الشباب الفاره المملوء حياة وفتوة ولا يجد من يقشعر بدنه لان الشاب قتله شاب مثله فيما كان يسمى من قبل « الحرب »

سيتألم الكتاب ويعبرون عن القشعريرة تسرى فى أجسامهم حين يروون ما نسطر نحن من أنباء الفواجع والمجازر على انها روائع البطولة يوضع من أجلها اكليل الغار على الباطش الملطخ بالدم

ولست استنبط هذا من الغيب انما أنا أراه ظلا لما كتب ويكتب كتاب العالم الآن ومن قبل يستنكرون تسلل الانسان الوحش بين الاشجار وفى يده قطعة من الحجر أو الخشب يهوى بها على رأس أخيه ولا جناح عليه ويصفونه بالتوحش لانه قتل أخاه من أجل قطعة لحم اما ان ينسف الرجل بناء فيه مئات الناس فاننا نراه حربا مشروعة

يوم يصبح العالم دولة واحدة سينظر الانسان الى الحروب كما ننظر نحن الى القتل بين الهمج ولكن قبل ان يصبح العالم دولة واحدة ستظل الحروب والفظائع مجدا للأمم كما كان الانسان القوى يقتل من هو أضعف منه فلا يناله من جريمة القتل أذى بل يتوج بالمهابة والمجد واحترام من حوله من الضعفاء

عبد الله يوسف سعد



الأمراض الخلقية والأمراض النفسية

ان المجتمع مسئول عن المصاب بمرض خلقى لانه كثيرا ما يكون فريسة بيئته والمجتمع وحده المسئول عن علاجه

تنتاب المرء فى الحياة ، علاوة على الامراض البدنية ، اضطرابات نفسية لا سبيل للارادة ان تتحكم فيها . فهذا يدمن الخمر ادمانا ، يؤثر بغيره الموت على الحياة . وهذا يستسلم للانفعال والعنف وسرعة التهيج . وذاك مستهتر ، أو يائس ، أو يفكر فى الانتحار ، أو ينغمس فى شهواته الجنسية . وكل من هؤلاء قد يحاول ان ينتزع نفسه من سلطان هذه الآفات بلا جدوى . والناس ينحون عليهم باللائمة ، ولكن العلم الحديث يحكم عليهم بالبراءة بدعوى انهم ، أسوة بالمصابين بأمراض عصبية أو جنونية ، غير مسئولين عن أفعالهم ، وأنهم كسائر المرضى لهم على المجتمع حق العلاج

من الحكم القديمة المأثورة ان الزمان ــ أو الحياة ــ اذا قلب للمرء ظهر المجن ، ولم يجد المرء للتغلب عليه من سبيل ، فاما أن يلجأ الى السباب والشتائم ، واما ان يصيبه وجع فى الرأس ، واما أن يكثر من الدعاء والصلاة ، واما ان يشرب الخمر حتى يسكر ، والا فيجن أو ينتحر . وهذه الحكمة وان كان ينقصها شىء من الدقة ، فانها حقيقة علمية لاشك فيها . ان الحياة جهاد ، والمرء فى جهاده تعترضه عقبات تؤدى الى اضطرابات، يمكن تقسيمها الى أربعة انواع وهى :

١ ــ أمراض بدنية ــ أو عضوية كما يسمونها ــ وأعراضها عادة جسمانية واسبابها جسمانية ، وان تأتى عنها أحيانا أعراض نفسية

٢ ــ اضطرابات نفسية ــ أو أمراض عصبية أو وظيفية كما يسمونها ــ وأعراضها كذلك جسمانية أو نفسية ، ولكن أسبابها غير جسمانية ، ترجع الى نزاع فى العقل الباطن ، سيتضح معناه فيما بعد

٣ ــ أمراض خلقية ، وهى كالاضطرابات العصبية أو الوظيفية أسبابها غير جسمانية ، وترجع الى نزاع فى العقل الباطن أو رغبات مكبوتة لا يشعر بها صاحبها . مثال ذلك الشذوذ الجنسى، والاستسلام للغضب والعنف رغم أنف صاحبه، ونزوع سيدة ارستقراطية من أسرة شريفة الى نشل السلع كلما زارت محلا تجاريا

٤ ــ الشرور أو الآثام ، وهى كل ما يخالف مبادىء السلوك والاخلاق ، وتختلف عن الامراض الخلقية فى كون مرتكبها يأتيها عمدا ومن تلقاء ذاته ، ولارادته التحكم فيها ، ويستطيع ان ينأى عنها اذا شاء

وقد يصعب أحيانا الفصل بين هذه الانواع ، على انها بوجه عام تتميز بعضها من بعض ولكل منها علاج خاص . ويمكن التمثيل على هذه الانواع والتفريق بينها اذا تأملنا في بعض الغرائز الاصلية كالخوف والميل الجنسي والطموح

الخوف (١) أصيب جندي في ساحة القتال بشظية من قنبلة ، فأحدثت تلفا في المخ ، نتج عنه شلل في الساق ، وجن في الوقت ذاته . هذا مرض بدني أو عضوي ، أعراضه جسمانية ونفسية معا

(٢) جندي لم يصب بشيء ، ولكنه يخشى ذلك ، فيحدث في عقله الباطن نزاع أو نضال بين الرغبة في الهرب ، والقيام بواجب التضحية والشهامة وحب الوطن . وبالرغم من انه لم يصب بأذى ، ينتج عن هذا النضال النفساني شلل في الساق ، كالحالة السابقة . هذا مرض عصبي أو نفساني أو وظيفي كما يسمونه ، لان الشلل لم يتسبب من أي خلل في الجسم

(٣) جندي حدث له ما حدث في الحالة السالفة ، الا انه لم يصب بشلل أو أي خلل في عضو من أعضائه ، ولكنه أصبح رغم أنفه وعلى غير ارادته ، مشاكسا ، عنيفا ، محبا للخصام ، كثير المعاكسة لزملائه الى أقصى حد ممكن ، يأتي أعمالا مستهترة تعرض الغير للخطر . هذه الحالة تدل على اضطراب في السلوك ، ومخالفة جريئة غير معقولة للنظام العسكري . الجندي هنا مصاب بمرض أخلاقي

(٤) جندي آخر حدث له ما حدث في الحالة الثانية الا انه لا يصاب بالشلل ولا بمرض أخلاقي كما في الحالة الثالثة ، وانما يهرب من الجيش ويقال عنه انه جبان . هذا مجرد شر أو اثم . ولا يسمى مرضا أخلاقيا كالحالة السالفة لان الهرب حدث عمدا وعن سبق اصرار ، وبارادته لا رغم أنفه

الميل الجنسي (١) امرأة اندفعت في تيار ميولها الجنسية فأصيبت بالزهري ــ وهو مرض عضوي أو جسماني في أصله وأعراضه ــ ولم تعالج علاجا كافيا ، فكمن ميكروب الداء في مخها مما ختم حياتها بالجنون ــ وأعراض الجنون عقلية ، وان كان سببه في هذه الحالة مرضا عضويا . والاعراض العقلية والعضوية هنا تعالج كأنها عضوية فقط

(٢) امرأة سليمة الجسم والعقل تزوجت من رجل سليم الجسم والعقل ، ولكنها كانت تتألم كلما اقترب منها زوجها . وبالرغم من ان الألم هنا كان عضويا ــ في عضو التناسل ــ فان سببه كان عقليا أو عصبيا ، وقد اتضح من التحليل النفساني ، انها في طفولتها كان قد اعتدى على عفافها أثيم ، وقد كان الحادث نسيا منسيا ، ولكن الزواج أخرجه من العقل الباطن وأودعه في العقل الواعي . هذا مرض عقلي محض ــ أو عصبي أو وظيفي ــ كما يسمونه

(٣) امرأة كالحالة السابقة ، أى اعتدى على عفافها فى طفولتها ، ورغم نسيانها الحادث ، فانها أصيبت فى مرحلة المراهقة بداء لم تستطع التخلص منه رغم كل محاولة ، وهو شذوذ جنسى ، عافت بسببه الرجال ، وأحبت النساء ، وما لم تعالج ، قد تفسد غيرها . وهذا بلا مراء مرض أخلاقى ، لانه خارج عن ارادتها .

(٤) امرأة كالحالة السابقة ، ضعيفة الشخصية استسلمت عمدا لشهواتها الجنسية ، واندفعت فيها بارادتها ، هذه الحالة مجرد شر أو اثم ، وليس مرضا خلقيا

الطموح ـ (١) قد يدفع الطموح بصاحبه الى المجازفة والمخاطرة فيصاب بالملاريا أو ذات الرئة أو مرض فى القلب . هذا مرض عضوى أو جسمانى محض

(٢) قد يكون الطموح أساسا لعقدة نفسية ، كالمغالاة فى تقدير الذات ـ أو مركب الكمال ـ كما يسمونه أحيانا ، مما يؤدى بصاحبه الى (النورستانيا) مثلا كما يحدث لرجال الاعمال ورجال الفن . هذا مرض وظيفى أو عصبى

(٣) فى الحالة السابقة قد يكبت الرجل الطموح فتبدو عليه ميول القسوة ، والعنف ، و « السادزم » أى الميل لتعذيب الغير . ويحاول ان يتخلص من هذه الميول بلا جدوى . هذا داء أخلاقى

(٤) فى الحالة السابقة قد لا يصاب الرجل بشىء مما سبق ولكنه توصلا لرغبته فى بلوغ المنزلة السامية التى ينشدها وتحقيقا لمطامعه ، يعمد الى الاختلاس أو التزوير ، أو التدليس . هذا مجرد اثم أو شر ، وليس مرضا خلقيا ، لان صاحبه اراده وتعمده

الامراض العضوية

تعالج الامراض العضوية أو الجسمانية علاجا جسمانيا طبيا ، ولكن هذا لا يعنى به ان الامراض الجسمانية ، لا يكون مصدرها نفسيا . انما الحقيقة على النقيض من ذلك ، اذ ان أفكار الشخص ووجداناته وانفعالاته ، ذات أثر فعال فى التغيرات الفيزولوجية فى الجسم . مثال ذلك أن الامل ينبه الدورة الدموية ويزيد أعضاء الجسم تأدية لوظائفها . ومنظر الطعام يضاعفه نشاط الغدد الغذائية ، فيزداد اللعاب والعصارة المعدية . حقيقة ان فكر المريض لن يشفى قرحة فى المصران الاعور ، بيد أن تشجيع الطبيب وكياسته وحسن سياسته ، كلها عوامل فعالة فى الشفاء . وكثيرا ما يكون الامل والتشجيع وادخال السرور على المريض من الاسباب التى تبعث بالهواء النقى والدم الى أقصى مكان فى رئتيه ، وتنعش دورته الدموية وقد تشفيه أحيانا من داء السل الرئوى . وكثيرا ما يتنافس الجسم والسرطان ، ويحاول كل منهما اغتصاب القوى الغذائية من الآخر ، ولكن حيوية المريض تعلو بالايحاء ، وقوة المقاومة تزداد بالامل والبشر والرجاء ، فيتغلب الجسم على السرطان . ولكن ليس معنى هذا ان يهمل الطبيب علاج المريض بالوسائل الطبية المعروفة ويلجأ الى الايحاء أو الصلاة

أو التشجيع أو غير ذلك . وينبغى الا تنسى كذلك ان الامراض العضوية - أو الجسمانية - كثيرا ما يتأتى عنها أمراض عقلية أو خلقية كما فى بعض حالات الجنون . والمريض فى هذه الحالات يجب أن يعالج قبل كل شىء بالوسائل الطبية المعروفة

« الامراض الوظيفية العصبية »

الامراض الوظيفية تشبه بالعضوية فى كون أعراضها جسمانية ، كشدة التعب ، ووجع الرأس ، وفقدان حاسة النظر ، والشلل ، والرعشة ، الى غير ذلك ، ولكنها تختلف عنها فى أمرين :

أولا - ان الشلل أو فقدان البصر مثلا ، فى الامراض العضوية ناتج عن تغير فى تركيب الجسم ، أى اصابة فى المخ فى حالة الشلل وفى العين أو الاعصاب المتصلة بها فى حالة فقدان البصر . فى حين ان فى الامراض الوظيفية أو العصبية ، لا يوجد تغير مطلقا فى تركيب الجسم ، ولا توجد اصابة فى العضو على الاطلاق . كل ما هنالك ان العضو لا يقوم بوظيفته ، أى ان العيب ليس فى الجسم ذاته ، وانما فى القوة الخفية التى بغيرها لا يؤدى العضو وظيفته ، وهذه القوة هى ما نعبر عنها بالحياة العقلية « النفسية » والوجدانية

ثانيا - ان الامراض العضوية تختلف عن الوظيفية ، ليس فى أصلها وحسب ، وانما ايضا فى آثارها . قد تتشابه الاعراض فى الظاهر ، ولكن الطبيب الاخصائى يستطيع التفريق بينهما

ومن المهم ان نفرق بين الامراض الخلقية والامراض العصبية « الوظيفية » . الامراض الخلقية نحكم عليها بمقاييس السلوك التى يقرها المجتمع ، أما الامراض الوظيفية فنحكم عليها بمقاييس صحية معروفة . حقيقة ان اسباب هذين النوعين من الامراض متشابهة ، وهى العقد النفسية المكبوتة ، ولكن أعراضها تختلف كل الاختلاف . فالامراض العصبية تكون أعراضها بدنية وعقلية « نفسية » كالنوراستانيا والهستيريا ، أما الامراض الخلقية ، فأعراضها اضطرابات فى سلوك الشخص وعلاقاته بالآخرين . مثال ذلك ما شرحناه فى الامثلة السابقة . فالميل الجنسى المكبوت اما ان يؤدى الى هستيريا يتسبب عنها آلام فى عدة مواضع فى الجسم بغير أن يكون لها سبب عضوى ، واما أن يؤدى الى انحراف أو شذوذ جنسى على غير ارادة المريض . فى الحالة الاولى يكون المرض وظيفيا « عصبيا » وفى الثانية خلقيا

الامراض الخلقية

يجب التفريق بين المرض الخلقى والاثم أو الشر . فالرجل الذى يختلس ، أو يسكر ، أو يحقد ، أو يشبع شهواته - عمدا وعن سبق اصرار - ليس مريضا وانما أثيم ، أو شرير أو خاطىء . اما الرجل المثرى الذى يدخل مخزنا تجاريا كبيرا ، ويسرق على غير ارادته ،

وبدافع قوى فى داخله ، سلعة لا تصلح له ولا لقريب له أو صديق ـ هذا الرجل مصاب بمرض خلقى ، يسمونه Kleptomania . وينبغى معالجته أسوة بسائر المرضى

وربما كان مثل الرجل الشمل ، ومدمن الخمر ، اسهل ما يمكن ضربه لشرح الفرق بين المرض الخلقى والاثم . فالرجل الذى يشرب كأسا من النبيذ ، فتلعب الخمر برأسه ، لا يعد مريضا لانه يعمد الى الشرب للتفكهة أو مجاراة لاصدقائه . ويستطيع أن يمتنع عن شرب هذه الكأس اذا أراد . اما الرجل الذى أصبح عبدا للكأس ، فيدمن الشراب ، ويسكر ، وينفق ماله لاجل الراح ، ويخسر صحته ، انما يفعل ذلك مرغما ، ويحاول جهده الامتناع عن هذه العادة فلا يستطيع . فى الحالة الاولى يرتكب الرجل اثما وفى الثانية يقال انه مصاب بمرض أخلاقى وينبغى علاجه . ورجال الشرطة والقضاة عادة لا يفرقون بين هذا وذاك ، فيحكمون على كل بالعقوبة المقررة فى القانون بدعوى ان كلا منهما ارتكب جريمة السكر . أما علم النفس فيفرق بينهما ، ويطالب بمعاقبة الاول وبعلاج الثانى

ولا تحتاج التفرقة بين النوعين خبرة خاصة اذ أن المرض الخلقى ذو صفة قهرية ارغامية، فى حين ان الاثم ذو صفة تعمدية . هذا من جهة . ومن الجهة الاخرى ان الاثم لا يريد صاحبه الامتناع عن اتيانه ، فى حين ان المرض الخلقى يريد المريض الشفاء منه ، اذا علم ان هناك السبيل اليه . والطبيب النفسانى قلما يلجأ اليه الاثيم ، أولا لان الاثيم لا يريد التخلى عن اثمه وثانيا لان الطب النفسانى ليس العلاج الملائم للآثام والشرور

ومن الخطأ الجسيم ان نلوم المصاب بمرض أخلاقى ، اذ ان اللوم يزيد الطينة بلة . ولكن هل يخليه المرض من المسئولية . كلا ، انه مسئول (أولا) بمعنى انه ينبغى له ان يسعى للعلاج (ثانيا) بمعنى انه وان كان لا يستطيع التغلب على ميوله ، فانه فى كثير من الاحوال يستطيع منع هذه الميول من الحاق الاذى بالغير . مثال ذلك انه يوجد مئات الالوف من اللواطيين ، الذين بطبيعتهم يميلون الى ارتكاب جريمة الزنا ضد الغلمان والشبان ، وقد تشتد فيهم هذه الرغبة الجنسية الشاذة الى الدرجة القصوى ، وبالرغم من ذلك تبقى هذه الرغبة فى الداخل ولا تمتد الى الغير ، لانهم استطاعوا بفعل الارادة القوية فيهم جعلها مجرد رغبة لا تخرج الى حيز الفعل . وما يقال عن اللواط يقال عن الميل الجنسى الشاذ الى الفعل العلنى الفاضح المعروف باسم العرض exhibitionism ، أى عرض أعضاء التناسل أو اجزاء الجسم المحرمة أمام الانظار

على انه مهما يكن من شىء فان هناك ملحوظتين ينبغى ذكرهما وهما (أولا) ان الرغبة الشاذة قد تشتد الى درجة لا حول للمريض على التغلب عليها و (ثانيا) ان المجتمع مسئول عن المصاب بمرض خلقى لانه كثيرا ما يكون فريسة بيئته والمجتمع وحده المسئول عن علاجه

(عن مجلة هادفيلد)

فكر في الأمر مرتين !

للروائي الايطالي لويجي بيراندلو

منذ الايام الثلاثة الاخيرة كان ينقص بيت الاستاذ أجستينو توتي الهـدوء والابتهاج اللذان أصبح يعتبرهما حقا له

ولا يستطيع الانسان أن يصف الاستاذ بأنه كان حسن الصورة حتى بالقياس الى سنه التي شارفت السبعين ، كان ضئيلا ضاويا حاسا رأسه الاصلع الكبير ، وكان جسمه غير متناسب على الاطلاق مع ساقيه اللتين كانتا تشبهان ساقي العصفور ، ولم يكن الاستاذ توتي مخدوعا من ناحية حقيقة منظره الخارجي ، ولم يتصور لحظة واحدة ان زوجته الصغيرة مادلينا التي لم تكن قد بلغت السابعة والعشرين تحبه لشخصه فحسب

والواقع أنه قد آثر الزواج من فتاة صغيرة فقيرة يستطيع أن يرفع مكانتها ، فقد كانت ابنة بواب بالمدرسة العليا فأصبحت زوجة أستاذ التاريخ الطبيعي بهيئة التدريس الدائمة ، وكان سيصبح بعد أشهر قلائل مستحقا للمعاش الكامل ، ولم يقتصر الامر على ذلك ، فقد كان رجلا ميسورا اذ جاءته وصية غير منتظرة منذ عامين ، وهبط اليه مبلغ مائتي ألف ليرة كما ينزل المن من السماء ، وذلك بعد موت أخ له سافر الى رومانيا منذ سنوات كثيرة ولم يتزوج

ومهما يكن من الامر فان الاستاذ توتي لم ير أن هذا كله يجعله أهلا لانتظار السرور والابتهاج والهدوء والسكينة في أرجاء المنزل ، كان فيلسوفا ولذا لم يغب عنه أن زوجته الحسناء الصغيرة تحتاج الى شيء أكثر من ذلك

ولو كان وقع على هذه الثروة قبل الزواج لكان من حقه ــ ربما ــ أن يطلب الى مادلينا أن تصبر قليلا فانه لن تنقضي مدة طويلة حتى يمكنها موته من أن تلقى خير العوض عن التضحية التي قامت بها بزواجها من شيخ فان مثله ، ولكن مما يؤسف له ان المائتي ألف ليرة لم تأت الا بعد عامين من زواجه ، وكان عند الاستاذ توتي من الفلسفة ما جعله يتحقق من أن مثل هذا المعاش الذي سيتركه لزوجته ليس تعويضا كافيا للتضحية التي قدمتها بقبولها الزواج منه

ولما كان الاستاذ توتي قد تساهل مع زوجته ما وسعه التساهل وأغضى عنها ورخص لها ، لذلك صار يعتقد أن من حقه عليها أن تملأ بيته دعة ومرحا ، وقد جاء هذا الميراث النفيس ليضاف الى ما عنده

وكان يجعله أكثر انتظارا لذلك وتوقعا له كونه رجلا جم الحنان طيب القلب، لم يكتف بأن يكون محسنا الى زوجته ـ وانما أراد أن يكون كذلك محسنا الى .. نعم الى .. اليه أيضا ، لصاحبه جاكومو الصالح الذى كان أحد تلامذته الواعدين فى المدرسة العليا ، وكان شابا حسن السلوك يغلب عليه الحياء ، ولكنه كان رقيق الشمائل جيلا له عقيصة من الشعر كالتى يراها الانسان فى صور الآلهة

نعم حقيقة أن الاستاذ الشيخ أجستينو توتى قد فكر فى كل شىء ، وقد كان جاكومينو دليزى عاطلا من العمل ، وكان فى حالة شديدة من الانقباض والكمد وكاد يفقد شجاعته وتخور عزيمته ، ولذا ألحقه الاستاذ توتى بوظيفة فى المصرف الزراعى الذى وضع فيه مبلغ المائتى ألف ليرة التى ورثها

وكان فى المنزل كذلك طفل عزيز محبوب ـ كان الاستاذ يتفانى فى ارضائه وتدليله بل كان له العبد المحب الطيع ، وكانت المحاضرات اليومية فى المدرسة العليا تبدو له طويلة الامد غير محدودة لشدة تطلعه الى الساعة التى يستطيع فيها أن يهرول الى المنزل ليلبى نزوات هذا الطاغية الصغير ويجيب مطالبه ، وكان فى وسعه بعد ظفره بالميراث أن يقدم استقالته ويعتزل الخدمة دون ان ينتظر بلوغ معاشه الى أقصاه ، وكان يستطيع حينذاك أن يفرغ للطفل ويوقف وقته جيعه عليه ، ولكنه لم يكن يحب أن يفكر فى ذلك ، وحقيقة أن منصب أستاذ كان دائما يحمله الهم ويجشمه المشقة ولكن ما دام قد نهض بأعبائه فليحمله حتى النهاية المرة ، وسيرتكب خطيئة لو انه ترك حقه فى المعاش الكامل يفلت من يديه ، وقد تزوج لنفس هذا السبب حتى يمكن بعض الناس من أن يفيدوا مما كان مصدر هم دائم له طوال حياته

وقد تزوج تلبية لهذا الدافع وحده ، وهو أن يكون محسنا لفتاة ناشئة فقيرة ، وكان نصف حبه لزوجته حبا أبويا ، وأصبح حبه لها أكثر أبويا بعد أن ولدت طفلها الاول ، وكان يفضل أن يدعوه الطفل « جدى » بدلا من « بابا » فقد كان يؤلمه أن يسمع هذا الزيف من فم الطفل ومن بين شفتيه البريئتين ، وكان على ما يبدو يرى فيها اهانة وانتقاصا من حبه للطفل ، ولكن لم يكن له حيلة فى الموضوع فقد كان عليه ان يقبل نيتى عندما كان يدعوه « بابا » ، ولو ان استعمال هذا اللفظ كان يثير ضحك الناس بطريقة خالية من الرفق والاشفاق ، وكيف يستطيع هؤلاء الناس الاشرار أن يفهموا هذا الحب الرقيق الذى يشعر به توتى ويضمره للطفل الصغير ، وكيف يشعرون بسعادته وارتياحه للنعم التى أغدقها ولا يزال يغدقها على امرأة وعلى شاب لطيف ظريف وعلى الطفل وعلى نفسه أيضا ـ نعم حقيقة على نفسه ـ لانه بهذه الطريقة كان يستطيع ان يستمتع بالسنوات الباقية له فى حياته وذلك بأن يقضيها فى جماعة مرحة باسمة راضية ، وان يكون الى جانبه ملاك صغير فى خلال المرحلة النهائية من رحلته الى القبر

ليضحك الناس ملء أشداقهم ما شاء لهم الضحك .. هؤلاء النظارة الحمقاء .. فمن

السهل ان يضحك الناس على هذا النمط .. ولماذا لا يضعون أنفسهم مكانه ليفهموا الموقف ؟.. هم يستطيعون أن يروا المضحك والاكثر من المضحك وهو الغريب والشاذ وغير المألوف .. لانهم لا يستطيعون التغلغل الى المشاعر .. ولكن ماذا يعنيه ما دام هو سعيدا ..

ولكن لسوء الحظ توالت الايام الثلاثة الاخيرة ..

فماذا عسى أن يكون قد حدث ؟ كانت عينا مادلينا وارمتين وقد احمرتا من البكاء ، وكانت تشكو صداعا شديدا ولا تريد أن تبرح غرفتها

وتنهد الاستاذ توتى وهو يهز رأسه شأن المجرب الطبن والعارف الاريب : « آه من الشباب ! الشباب ! » ثم قال وهو يبتسم ابتسامة حزينة : « انها سحابة صيف .. انها عاصفة عارضة .. »

وأخذ يطوف بالمنزل مستصحبا نينى وهو قلق نافر ملهوف كرب لانه – بعد كل شيء – لا يستحق ان يعامل هكذا من زوجته ومن جاكومينو ، والشبان لا يعدون الايام لان أمامهم أياما كثيرة ، ولكن فقد يوم واحد عند الشيوخ الطاعنين فى السن ضربة قاسية وقد تقضت ثلاثة أيام منذ هجرته زوجته واعرضت عنه وتركته فى حالة سيئة شاعرا بأنه هالك فى عقر داره كالذبابة التى طاح رأسها ، وقد مضت ثلاثة أيام على آخر مرة جرى فى سمعه صوتها العذب وهى تغنى أغنيات قد عرفت كيف تجيد غناءها وتسيطر على أنغامها فى لباقة ورقة ، وتصرمت ثلاثة أيام منذ غمرته بتلك الالتفاتات اليسيرة التى ألفها وتعودها

وكان نينى كذلك جادا عابسا كأنه كان يدرك ان « ماما » ليست فى حالة تسمح لها بالعناية به ، وأخذ الاستاذ ينتقل به من حجرة الى أخرى ، وكان هو نفسه من القصر بحيث كان لا يكاد يضطر الى الانحناء وهو يقتاد الطفل بيديه ، ورفعه ليجلس الى البيان وعزف عليها بعض النغمات ثم تركها متثائبا شاعرا بأنه ممرضا وجلس وأخذ نينى على ركبتيه ليمكنه من ان يلعب لعبة راكب الحصان الخشبى ، ثم انتصب واقفا وقد اشتد شعوره بما يخالجه من الهم وما يحيط به من البؤس ، وقد حاول ست مرات أو سبعا أن يغرى زوجته بالكلام عن سبب ما ألم بها من التعب وما أصابها من الهم « هل تشعرين بهم وتعب؟ هل تشعرين بأنك فى حالة سيئة جدا ؟ »

ولكن مادلينا عجزت عن ان تفضى اليه بشيء ، وبكت وطلبت اليه أن يقفل درف الشرفة الخارجية وان يبعد نينى عنها .. وانها ترغب فى أن تترك منفردة وأن ترقد فى الظلام

« هل تشعرين بصداع ؟ »

مسكينة هذه الفتاة ، لقد أصابها صداع شديد .. لا بد أن الخلاف كان شديد الاحتدام

وذهب الاستاذ توتى الى المطبخ وحاول أن يدنو من الخادم ليحصل على بعض معلومات ، ولم يكن يستطيع مكاشفتها فى صراحة ووضوح لانه كان يعرف أن الفتاة لم تكن فى صفه

ففى خارج المنزل كانت تبسط فيه لسانها بغير تورع وتسخر منه سخرية غير كريمة ولا لائقة ـ كما كان يفعل كل انسان من هؤلاء الحمقى الاغبياء ـ فى نظر الاستاذ ـ الذين كان يجب أن تكون معرفتهم خيرا من ذلك

ولما عجز عن الاهتداء الى شىء من الكلام مع الخادم فقد اتخذ الاستاذ توتى قرارا فيه بطولة وجرأة ، وصحب نينى الى « ماما » وطلب اليها أن تلبس الطفل أحسن ملابسه

فسألته مادلينا « لماذا » ؟

« انى أريد أن أستصحبه فى رياضة قصيرة فاليوم عطلة والطفل المسكين قد أسأمه البقاء فى المنزل »

فلم ترحب « ماما » بالفكرة ، فقد كانت تعرف الاسلوب الخالى من الرحمة الذى كان يتبعه الناس فى الضحك عند ما كان يطالعهم منظر الاستاذ الشيخ وهو يسير مع الطفل يدا فى يد ، بل كانت تعرف أنهم فى بعض الاوقات كانوا يمنون فى الاستهزاء الى حد أن يقولوا فى سخرية متوقحة « ان ابنك يشبهك .. ان الشبه بينكما شديد .. »

فاصر الاستاذ توتى وقال « انها رياضة قصيرة للتسلية والترفيه عن النفس »

وأخذ الطفل الى منزل جاكومينو ليزى

وكان الشاب يعيش مع أخت له تكبره بسنوات قلائل ، وكانت له فى أيامه السالفة بمثابة الوالدة ، وكانت السيدة أجاتا شاكرة للاستاذ توتى عطفه على أخيها ، وفى الوقت نفسه كانت تجهل الجهل كله اسباب ذلك العطف ، وكانت امرأة متدينة تقية ولذا لما علمت جلية الامر صار الاستاذ يبدو لها شيطانا فى صورة انسان فقد استغوى أخاها ومهد له سبيل الخطيئة

وبعد أن دق الاستاذ جرس الباب وقف ينتظر فى الخارج ومعه الطفل ، وطال انتظاره ، وقد جاءت السيدة أجاتا ونظرت من ثقب الباب وهرولت مسرعة ولا شك فى انها ذهبت لاخبار أخيها بأنه بالباب ، وأنها ستعود بعد هنيهة لتقول له انه غير موجود بالمنزل

وأخيرا ظهرت .. وتلقته بفتور شديد وتجهم وعبوس وقد ارتدت ثيابا سوداء وكانت حول عينيها دوائر دكن وبشرة وجهها تشبه الشمع ، وفى اللحظة التى فتحت فيها الباب هاجمته وهى ترتجف من شدة الانفعال قائلة :

« أرجوك المعذرة .. ما معنى هذا كله ؟ أيبلغ بك الامر أن تحضر لتراه فى منزله ؟ وما هذا الذى أرى .. لقد أحضرت معك الطفل ؟ لقد أحضرت الطفل الى هنا أيضا ! »

ولم يكن الاستاذ توتى ينتظر هجوما من هذا النوع ، فعرته الحيرة ، ونظر الى السيدة ثم الى الطفل ، وعلت وجهه ابتسامة ، وتعثر فى الحديث : لماذا ؟ لماذا ؟ وما هذا ؟ .. الا أستطيع الحضور ؟

فابتدرته قائلة فى صوت خشن خال من العطف « ان جالومينو ليس فى المنزل » ..

فقال الاستاذ توتى وقد انحنى انحناءة يسيرة « حسن جدا .. ولكن أنت يا سيدتى ..

أرجو الا يغضبك قولى انك تعامليننى بأسلوب .. كيف أعبر عنه ؟ انى لا أذكر أنى عاملت أخاك أو عاملتك انت نفسك بطريقة تسوغ هذا ؟ »

فقالت السيدة أجانا وقد الانتها كلماته قليلا « هذه هى المسألة بحذافيرها يا أستاذ . صدقنى اننا .. نعم اننا شاكرون جميلك .. ولكن من المؤكد انك لا بد فاهم أن .. »

فابتسم الاستاذ توتى ثانية وأغمض عينه قليلا وقرع صدره قرعا خفيفا عدة مرات بأطراف أصابعه ليوعز اليها بأنه عند ما تصل المسألة الى فهم أى شىء فانها تستطيع أن تترك له الامر

« انى رجل مسن يا سيدتى ، وأنا أفهم .. انى أعرف أشياء كثيرة .. واليك أول هذه الاشياء .. حينما يكون انسان غاضبا ثائرا فيجمل أن تتركه حتى يهدأ .. وعند ما تنشأ أمور تنتج سوء التفاهم فان أحسن سبيل هو توضيحها — يا سيدتى — بكل صراحة وبدون أى مراوغة أو تحايل .. وبدون أن يثور الغضب حولها .. الا توافقيننى على ذلك ؟ »

فأجابت السيدة أجانا وهى مقتنعة مسلمة بهذا الفرض العام « نعم »

واستأنف الأستاذ توتى الحديث قائلا « حسن جدا .. تلطفى واسمحى لى بالدخول. واذهبى بعد ذلك وادعى جاكومينو »

« ولكن اذا لم يكن بالمنزل ؟ »

« دعى ذلك ! لا ينبغى أن تخبرينى أنه فى خارج المنزل ، فجاكومينو بالمنزل ، وعليك أن تذهبى اليه وتدعيه ، وقولى له اننا سنبحث الأمر فى هدوء .. فى هدوء تام ، فأنا رجل متقدم فى السن وأعرف كل شىء عن الموضوع لاننى أنا نفسى يا سيدتى كنت يوما شابا ، اسمحى لى بالدخول »

وسمح له أخيرا بالدخول الى غرفة الاستقبال المتواضعة ، وجلس الاستاذ توتى وأخذ نينى بين ساقيه ، واستسلم لفكرة انعليه ان ينتظر وقتا طويلا قبل ان تتمكن أخت جاكومينو من اقناعه بالظهور

وكان على منضدة فى الحجرة بعض زخارف من الصينى الرخيص اللماع ، وكان الطفل يحاول من الحين الى الحين أن يذهب اليها فكان الاستاذ يمنعه من ذلك ويقول له فى كل مرة « كن ولدا مؤدبا يا نينى » وفى الوقت نفسه كان يكد فكره ويتعب خاطره ليعرف كيف وقع هذا الحادث الخطير فى منزله دون أن يعلم به ، فمدلينا فتاة صغيرة طيبة فما الذى فعلته حتى أثارت الغضب الشديد فى هذا المنزل فانتقل الغضب الى أخت جاكومينو ؟

والى تلك اللحظة كان الاستاذ يظن ان المسألة مسألة خصام وقتى ولكن أخذ قلقه يشتد وساورته الهموم

وأخيرا ظهر جاكومينو .. فيالله .. كان يبدو عليه الهم والاضطراب وفى وجههعبوس وغلظة وخشونة ! وكأنه لم يكفه ذلك .. فقد كان يدفع فى برود الطفل الذى جرى

اليه ومد يديه الصغيرتين لتحيته وهو يصيح « جامى .. جامى »

فقال الاستاذ توتى فى لهجة شديدة وهو دهش متعجب وقد جرح كرامته هذا السلوك « جاكومينو ! »

فأجاب الشاب فى سرعة : « ماذا تريد ان تقوله لى يا استاذ ؟ .. » وكان اثناء الحديث يتجنب النظر الى وجه الاستاذ « انى مريض .. وقد كنت فى الفراش .. والواقع أنى غير صالح للكلام مع أحد .. بل غير صالح لان أرى أحدا .. »

« ولكن الطفل ؟ »

فقال جاكومينو « هاك قبلة له » وانحنى ليقبل الطفل

وعاد الاستاذ توتى الى الحديث وقد هدأت هذه القبلة بعض ما به « وهكذا تشعر بأنك مريض .. وقد خطر بفكرى انك لا بد ان تكون مريضا وهـذا ما حدانى على المجىء اليك .. وتشعر بوجع فى الرأس .. آه ؟ أقعد ولنتكلم .. نينى الا تسمع ذلك .. جامى يشعر بتعب يسير .. أصابه بعض التعب .. يلزم أن تكون مؤدبا يا نينى .. سننصرف سريعا .. » والتفت الى جاكومينو واسترسل يقول « ألم يقل لك مدير المصرف الزراعى شيئا »

فأجاب جاكومينو ـ وقد زاده هذا الكلام اضطرابا « لا ولم ؟ »

فقال الاستاذ توتى وقد ابتسم ابتسامة خفيفة غامضة « لانى تحدثت معه عنك أمس ، ان مرتبك ضئيل يا بنى ، وأنت تعلم ان كلمة صغيرة منى .. »

فتحرك جاكومينو فى مقعده حركة قلقة وضغط على قبضتى يديه ضغطا شديدا الى حد ان أظافره انغرزت فى راحتى يديه

وقال « اشكرك يا استاذ لما فعلت ، ولكنى أرجو ان تسدى الى هذه اليد العظيمة .. وهى الا تتعب نفسك من أجلى ! »

فقال توتى وكانت لا تزال على فمه بقايا تلك الابتسامة الخفيفة « اتمنى ذلك حقا .. يا للشجاعة ! .. لم تعد فى حاجة الى أحد ! ولكن افرض أنى أريد أن أساعدك لانى أحب ذلك وارتاح له ؟ يا ولدى العزيز اذا أنا لم أهتم بك فبمن يا ترى أهتم ؟ انى رجل مسن ياجاكومينو .. انى رجل مسن والرجال المتقدمون فى السن ـ وضع نصب عينيك انى لا أتحدث عن الانانيين منهم ـ الذين اجهدوا انفسهم فى عمل الخير كما فعلت يسرهم أن يروا الشبان أمثالك الاكفاء يتقدمون فى حياتهم بفضل المساعدة التى نقدمها لهم ، والشيوخ يجدون لذة فى سرور الشبان واتساع آمالهم وفى رؤيتهم وهم يشقون طريقهم فى الدنيا ، وأما من ناحيتك فأنت تعلم أنى انزلك من نفسى منزلة الابن .. فبالله ماذا أصابك .. انك تبكى ؟ »

والواقع أن جاكومينو كان قد خبأ وجهه بين يديه .. وظهر من حركاته المضطربة أنه يجاهد ويقاوم نوبة من البكاء كادت تصيبه

ونظر اليه نينى نظرة فيها خوف ثم تحول الى الاستاذ وقال له : « جامى .. تعبان .. »
فنهض الاستاذ وحاول أن يضع يده على كتف جاكومينو فانتفض الشاب كأنه خشى أن يمس الاستاذ جسمه بيده ، وقد لاح فى وجهه تصميم صارم أحال معالمه وشوه ملامحه وصاح هادرا فى غضب :
« لا تدن منى يا أستاذ .. أرجوك أن تعزب عنى .. اذهب لسبيلك .. انك تجعلنى أشعر بآلام الذى يستحق اللعنة .. لست جديرا بعطفك ولا أريده .. فاصنع معروفا وابتعد عنى وخذ الطفل معك .. وانس وجودى »
فذهل الاستاذ توتى وأسقط فى يده وسأله : « ماذا تعنى ؟ »
فأجاب جاكومينو : « أقول لك صراحة أنى شرعت فى الزواج فهل تفهم ؟ لقد شرعت وخطبت »
فترنح الاستاذ توتى كأنه قد ضرب بهراوة على وجهه والقى يديه متعثرا :
« أنت .. خطبت ؟.. »
« نعم يا سيدى وترى أن كل شىء قد تم .. وكل شىء قد تم على أحسن الوجوه .. وانت تدرك الآن أننى لا أستطيع أن أراك .. أنت ترى وتسمع .. »
فسأله الاستاذ فى صوت لا يكاد يسمع « أنت تطردنى من المنزل »
فأجاب جاكومينو فى بطء وتردد وبلهجة حزينة : « لا .. ولكن الاحسن أنك .. أنك تنصرف يا أستاذ .. »
« أنصرف » .. وغاص الاستاذ فى مقعده ، وشعر بأن ساقيه يضعفان عن حمله ، ووضع رأسه بين يديه وتأوه : « يا الهى .. أية نكبة .. وهذا هو التفسير .. فماذا أفعل ؟.. ماذا أفعل ؟ ولكن متى حدث هذا ؟ وكيف ؟ ولا كلمة لى ! ومن هذه التى خطبتها ؟ »
فقال جاكومينو : « لقد حدث هذا منذ زمن قصير ، وهى مثلى يتيمة وفقيرة .. وهى صديقة أختى »
فنظر اليه الاستاذ توتى وقد استولى عليه الذهول ، وكان فمه فاغرا وعيناه شاردتين.. ولمدة دقائق لم يستطع أن ينبس بكلمة ، ثم قال وهو لا يكاد يبين :
« وهكذا .. وهكذا وقع كل شىء على هذا النمط .. ولم تفكر فى أحد ولم تحسب حسابا لشىء .. »
فشعر جاكومينو بتهمة انكار الجميل التى تختبىء وراء هذه الكلمات ، فأجاب وقد سيطرت على نفسه روح تمرد حزين : « أرجوك المعذرة ، أكنت تنتظر أنى أصير عبدا ؟ »
فقال الاستاذ توتى دهشا وقد ارتفع صوته : « انتظر منك أن تصير عبدا ؟ أنا ؟ أتطلب الى ذلك وقد جعلتك سيد المنزل ؟ آه ، حقيقة ان هذا هو أدنأ أنواع انكار الجميل ، أية فائدة تغلنى أفدتها من ذلك سوى سخرية هؤلاء الساخرين الذين لا يستطيعون ان يفهموا شعورى ؟ انى رجل بائس عجوز قد أشرف على نهاية حياته ، ولكننى استطعت أن استنبط

راحة لنفسى ومتاعا من فكرة أنى أترك ورائى أسرة صغيرة سعيدة قد أعددت لها العدة لمواجهة المستقبل وجعلتها تبدأ الحياة بداية حسنة ! انى بلغت السبعين يا جاكومينو وعما قليل ـ ربما بعد أيام معدودات .. سأكون قد بعدت عنكم ، فما الذى جعلك يا بنى تفقد صوابك ؟ انى قد كتبت ضيعتى فى الوصية باسمائكم أنتم الثلاثة فماذا تريد أكثر من ذلك ؟.. انى لم أعرف بعد ولا أريد أن أعرف من هى خطيئتك ، وما دمت أنت قد اخترتها فلا بد أن تكون فتاة متواضعة لانك شاب مهذب .. ولكن فكر فى الامر لحظة .. فكر فليس من الممكن أن تجد فتاة أحسن ـ يا جاكومينو ـ عند ما تنظر الى المسألة من جميع وجوهها ، وأنا لا أقصر الكلام على مسألة انك ستكون فى ظروف حسنة وعيشة راغدة ، بل انك الآن لك أسرتك الصغيرة والشيء الزائد المضاف الى الاسرة هو شخصى وأنا لا يحسب لى حساب .. ومهما يكن من الامر فبقائى قليل ، ففى أى شيء يضايقك وجودى ، انى مثل والدك ، تكلم انى أستطيع .. اذا كان ذلك يجعلك أسعد .. ولكن خبرنى كيف حدث ذلك ؟ وماذا وقع وكيف تحول رأيك فجأة مثل هذا التحول ؟ وضح لى الامر يا بنى .. حدثنى عن المسألة .. »

ووقف الاستاذ توتى وهم بأن يضع يده على كتف جاكومينو ، ولكن الشاب تراجع الى الوراء ، وكادت تعزوه رجفة .. وتحاشى أن يلمسه .. وصاح قائلا : « ولكن يا أستاذ ألا تستطيع أن تفهم .. ألا ترى ان عطفك هذا .. »

« حسن ؟ »

« آه .. دعنى منفردا .. لا تضطرنى الى الحديث .. يا الهى .. كيف لا تستطيع أن تفهم ان هناك أشياء خاصة لا تتم الا فى هدوء .. وانه لا يمكن الاستمرار فى عملها حينما يعلم كل شيء عنها .. وكل انسان يسخر منها ..؟ »

فصاح الاستاذ : « كل انسان ؟ أنا لا أعبأ بهم كما ترى .. »

فعاد جاكومينو يقول : « آه دعنى منفردا وحيدا .. » وحرك ذراعيه حركة عصبية فى ثورة اهتياجه .. « انظر يا استاذ ! هناك شبان كثيرون فى حاجة الى مساعدتك »

فجرحت هذه الكلمات الاستاذ توتى جرحا بليغا ، واعتبرها اهانة شديدة لا لزوم لها موجهة الى زوجته ، فاصفر وجهه ، وأخذت رجفة غضب أصعدت الدم الى وجنتيه ثانيه وقال : « مادلينا فتاة صغيرة ولكنها ولله الحمد متواضعة وحصان رزان .. ومادلينا قد تقضى عليها هذه الصدمة لانها طعنتها فى صميم قلبها .. وكيف تظن أنها تواجهها ، لقد طعنتها فى قلبها أيها الناكر للجميل الجاحد للنعمة ، وفضلا عن ذلك فأنت الآن تهينها وتسبها الا تخجل من نفسك ؟ أتستطيع أن تواجهنى ولا تستشعر الندم ؟ حقيقة تستطيع أن تقول ذلك فى وجهى يا جاكومينو ؟ أتظن أنها تستطيع أن تستبدل شخصا بشخص كأنما الامر هين ؟ تستطيع أن تقول ذلك لوالدة هذا الطفل ؟ فما الذى تفكر فيه ؟ وكيف تجرؤ على الكلام بهذا الشكل ؟ »

فدهش جاكومينو الى حد أنه وجد صعوبة فى الاجابة وقال : « أنا .. ولكن هذا السؤال يجب أن يوجه اليك يا استاذ ، واعذرنى لهذا القول ولكن كيف تستطيع التحدث بهذه الطريقة .. انك لا تجد ؟ »

فألقى الاستاذ تونى يديه ثم ضغط بهما على فمه واختلس النظر اليه ثم هز رأسه بشدة الى الامام والى الوراء وانفجر فى طوفان من الدموع ، وفى هذا الموقف بدأ نينى كذلك يبكى فسمعه الاستاذ وأسرع اليه وعانقه وقال له فى تمتمة : « آه يا بنى المسكين أية صدمة قاسية .. خراب تام يا بنى الصغير .. وماذا يصير اليه حال أمك الآن ! وماذا يصيبك يا بنى وأمك صغيرة وليس لها من مرشد .. آه ياالله .. أى تذل ! »

ورفع رأسه ونظر الى جاكومينو من خلال الدموع المتساقطة قائلا : « انى أبكى لانى ألوم نفسى لوما قاسيا مرا .. فلقد تعهدتك وأخذت بيدك وجعلت لك فى بيتى منزلا ، وكنت دائم الثناء عليك عندها .. وأزلت ما كان عندها من أسباب التردد من ناحية اشتغالها بحبك .. و .. والآن .. انها أصبحت تحبك حبا صادقا .. وهى أم هذا الطفل الغرير . أنت .. أنت .. . »

وخانته قواه ، ثم انبعث يقول منفعلا وقد أخذت باكظام نفسه عزيمة فجائية فظيعة : « احذر يا جاكومينو .. احذر .. انى استطيع ان أقصد منزل خطيبتك مستصحبا هذا الطفل »

كان العرق البارد قد تصبب من جاكومينو ولو أنه كان يشعر بأنه على مثل جمر الغضا حينما سمع توبيخ الاستاذ وتبكيته ورأى حيرته وهمه ، وعند سماع هذا التهديد الاخير وثب الى الامام ورفع يديه المضمومتين باشارة استعطاف : « يا استاذ يا استاذ .. انك لاتريد أن تجعل نفسك « فرجة » .. ولا تريد أن تجعل نفسك أضحوكة »

فصاح : « أجعل نفسى اضحوكة ؟ اتحسبنى أبالى بالضحك والسخرية حينما أرى البلاء النازل والشر المستطير الذى يتهدد امرأة مسكينة ويتهددك انت ويتهدد هذا البرىء الصغير .. تعال يا نينى .. لننصرف .. لنخرج »

فوقف جاكومينو معترضا طريقه : « يا أستاذ .. أنت لا تستطيع فى الواقع أن تفعل ذلك ؟ »

فصاح الاستاذ : « أؤكد لك أنى استطيع .. وسأفعل .. » ونظر اليه نظرة المعتزم المصمم .. « وأكثر من ذلك أننى لكى أحول بينك وبين الزواج أستطيع أن أطردك من المصرف .. انى أمهلك ثلاثة أيام .. »

وأمسك بيد الطفل واتجه الى الباب ثم استدار عند الباب وأضاف قائلا : « خير لك أن تفكر فى الامر مرتين يا جاكومينو ! »

(تلخيص وترجمة الاستاذ على أدهم)

قصر السوفيت

عند ما يتم تشييد « قصر السوفيت في موسكو » سيكون أعلى وأضخم بناء في العالم ، اذ يبلغ ارتفاع هذا الصرح الباذخ الشاهق ١٣٦٥ من الاقدام ، منها ٣٢٨ قدما هي مدى ارتفاع « تمثال لينين » الذي يقوم على سطح البناء تاجا له ورمزا

ويقوم هذا البناء في « طريق لينين » الممتد مسيرة سبعة أميال على ضفة النهر الذي يشق مدينة موسكو . ويضم فيما يضم من المباني الكبرى « مكتبة لينين الكبرى » و « متحف بوشكين للفنون الجميلة » ، و « دار مجلس ممثل الشعب » كما يضم « الكرملين » بقصوره وقلاعه الكبيرة . وستقام في هذا الطريق عدة منشئات أخرى وفق تصميم رسمته الحكومة لتجعل منه طريقا يبز أي طريق تباهي به العواصم الكبرى في أوربا وامريكا

والفكرة في هذا البناء الهائل الباذخ أن يكون عنوانا للثورة السوفيتية والحياة الروسية الجديدة . وقد نشأت هذه الفكرة في سنة ١٩٣٣ ووضعت موضع التنفيذ منذ ذلك الحين ، ولم يقف العمل في بنائه في أثناء الحرب التي كانت تستأثر بكل ما في روسيا من الجهود والقوى

وقد صمم هذا البناء « بوريس جوفين » كبير المهندسين المعماريين في الاتحاد السوفياتي ، واختير تصميمه من بين ألف تصميم تقدم بها المهندسون الروسيون والاجانب

يقوم وسط هذا البناء قبة هائلة — هي نموذج مصغر من الكرة الارضية كلها — تغطي ردهة فسيحة الأرجاء ، متباعدة الاركان ، تتسع لستة وعشرين ألف مقعد ، منها ما يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف لمندوبي مجالس السوفيت المحلية ، ومثلها لموظفي الهيئات التابعة لهذا المجلس ، ومنها واحد وعشرون ألف مقعد لمن يدعى الى مثل هذا الاجتماع من الضيوف

وهذه الردهة دائرة قطرها ثلاثمائة قدم ، ومن حولها حلقة من الردهات والدهاليز تطول بهذا القطر الى أربعمائة وعشرين قدما . وفي هذه الردهة الفسيحة تعقد الاجتماعات العامة ، وتقام « الاستعراضات » الكبيرة ، التي تعد عنصرا من عناصر الحياة السياسية والاجتماعية في روسيا السوفيتية

والى جوار هذه الردهة ردهة أخرى أضيق منها مساحة وان كانت تعد « المركز السياسي » في « قصر السوفيت » فهي تتسع للآلاف الثلاثة الذين يتكون منهم مجلس السوفيت الاعلى ، ومعهم ثلاثة آلاف آخرون من الضيوف والمراقبين . وفي هذه الردهة تعقد جلسات مجلس السوفيت الاعلى

هذا هو الطابق الاول في « القصر » ، أما الطابق الثاني فيضم ردهة صغيرة لاستقبال مبعوثي الدول الاجنبية ، وهي تتسع لخمسين شخصا ، وتتصل بغرفة أخرى مخصصة للمقابلات والمحادثات التي لا تأخذ صفة رسمية علنية . وهذه الغرفة تتصل « بردهة الجوائز » ، أي الردهة التي يجتمع فيها الرجال والنساء عند مجيئهم لمقابلة ميخائيل كالينين رئيس الاتحاد السوفيتي لاستلام ما يمنحون من الأوسمة والمكافآت . وستعيد هذه الردهة الى أذهان الروسيين ذكرى « قاعة القديس جورج » في قصر الكرملين الكبير ، التي كانت تغطي جدرانها لوحات ذهبية تحمل اسماء أبطال روسيا في



رمز الثورة الروسية

وضع تصميم هذا البناء الهائل «بوريس جوفان» كبير المهندسين المعماريين في الاتحاد السوفيتي والفكرة مأخوذة من بناء برج «بابل» الهائل إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة وعندما يتم تشييد هذا القصر سيكون أعلى وأضخم بناء في العالم، إذ أن ارتفاعه يبلغ ١٢٦٥ قدما

حروبها الذهبية . أما في الردهة الجديدة فستقام في أرجائه تماثيل نصفية لأبطال الاتحاد السوفيتي الذين أبلوا في حربه الاهلية ، وفي حربه مع ألمانيا ، بلاء عظيما . وستنقش على جدرانها اسماء « أبطال الاتحاد السوفيتي » واسماء « ابطال الحركة الاشتراكية » وهي الاسماء التي بدئت باسم ستالين حين منح هذا اللقب في سنة ١٩٣٩ في عيد ميلاده الستيني

أما مجلسا السوفيت الاعلى ، وهما مجلس الاتحاد ومجلس القوميات ، فيخص كل منهما بردهة تتسع لالف واربعمائة مندوب ، تتصل بها مقصورة لرجال السلك الدبلوماسي تتسع لمائة شخص ، ويلحق بها عدد من الغرف الصغيرة تتسع كل واحدة لخمسة عشر شخصا ، وتكون مهيأة لكبار الزائرين الاجانب ، ينسحبون اليها اذا أرادوا للمحادثات الشخصية التي كثيرا ما تقرر من المسائل السياسية الخطيرة ما لا تقرره المحادثات الرسمية

والى جوار هذه الغرف مقصف يتسع لمائة شخص ، يتناولون فيه أنواع الشراب ، أما التدخين فممنوع ، حتى لرجال السلك الدبلوماسي ، سواء في الردهة الكبيرة أو في الغرف الصغيرة . وقد أنشئت في احدى جوانب القصر غرف مزودة باجهزة التليفون والتلغراف واللاسلكي ، كما أقيم مركز للاسعاف الطبي العاجل . وأعدت تحت القصر « جراجات » ضخمة تتسع لآلاف السيارات ،

ويضم هذا القصر الكبير جميع المكاتب الخاصة بمجالس السوفيت العليا ، والتي يقدر المساحة التي تشغلها بأربعة وعشرين مليونا من الاقدام المربعة . وأعدت في نواحي القصر « مصاعد » كثيرة تصعد بالزائرين الى قمته العليا حيث يشهدون تمثال لينين الشاهق .. هذا التمثال الذي تعلو قاعدته عن سطح الارض بأكثر من ألف قدم ، والذي يمكن رؤيته على مسيرة خمسة وسبعين ميلا من أية محطة من المحطات العشرة التي تصل موسكو بأرجاء أوسع وأكبر أقطار الارض جميعا . وينبثق من هذا التمثال في الليل ضوء وهاج يضيء أجواز السماء ، فيكون التمثال منارة تستضيء بها الطائرات التي تهبط موسكو وتخرج منها وتمر بها

وسيغطى هذا القصر كله بطبقة من المرمر ذات لون فريد بديع ـ اللون الضارب الى الصفرة تتخلله خطوط وعروق خضراء ـ ولا يوجد هذا المرمر الا في منطقة أرمينيا

و « قصر السوفيت » هذا يعد رمزا للاتحاد السوفيتي ، ولهذا فان جميع مناطق هذا الاتحاد تشارك في تشييده وتزيينه ، كل منها بما يمثل مواردها ومرافقها ، أو بما يمثل ما برعت فيه من الصناعات والفنون . ومنذ بديء في انشاء هذا القصر ، أي منذ اثنتي عشرة سنة ، طرأت على نظام الاتحاد السوفيتي تغييرات سياسية كبيرة ، ادخلت في نطاقه جمهوريات جديدة ، منها أوكرانيا ، واستونيا ، والقازاق ، ولكل من هذه الجمهوريات طابعها القومي وثقافتها التقليدية ، ولكل منها مرافقها الطبيعية الخاصة ، التي ستساهم بها في تشييد هذا القصر وزخرفة غرفه وردهاته ودهاليزه ، حتى يكون عنوانا صحيحا للاتحاد السوفيتي وعناصر الحضارة فيه . وعلى هذا فان جمهوريات الاتحاد الست عشرة ستشترك معا في تقديم جميع المواد التي يقوم منها هذا البناء الذي يفوق كل بناء في العالم ، من صلب ، وخشب ، وذهب ، وبلاتين ، ونحاس ، وبرونز ، ومرمر . وهكذا يعبر قصر السوفيت عن هذه الاخوة التي تسود جمهوريات الاتحاد في التعمير والتشييد

وقد سأل أحد كبار الحكومة السوفيتية المهندس بوريس جوفين ، الذي وضع تصميمه واشرف على تشييده : الا ترى أن هذا القصر سيكلف الحكومة كثيرا ؟.. فقال المهندس : أظنه سيكلفها ما يزيد قليلا ـ أو ما ينقص قليلا ـ عن نفقات اسبوعين اثنين من أسابيع الحرب مع ألمانيا !

(عن مجلة « اتلس »)

العلم والعالم

الجوائز الأدبية

من الظواهر الادبية المألوفة مسألة تقرير جوائز مالية يرصد ريعها على المتفوقين في شتى مذاهب الفن أو في نوع خاص من الانتاج الادبي

ولا يخفى ان هذه الجوائز من أقوى الاسباب في تنشيط الحركات الفكرية وبث روح التنافس بين الادباء وتفرغهم للانتاج الرائع القوى المتسم بميسم الخلود

والواقع أن أكثر الادباء الذين يظفرون بهذه الجوائز لا ينظرون اليها من النواحي المادية قدر ما يشعرون به من نشوة الانتصار والنظر اليهم نظرة اجلال واكبار

ومن الخطأ الظن بأن هذه الجوائز تقتصر على القيم المادية بل الواقع أن بعض الكتاب أصابوا من ورائها شهرة طائرة فذللت أمامهم عقبات النشر وتهافت الناشرون على طبع مؤلفاتهم ونقلها الى اللغات الاخرى واقتباسها للمسرح أو السينما

وفي أوربا طائفة من الجوائز الادبية تعد حافزا قويا لنهضة الادب واطراد نموه وازدهاره

واشهر هذه الجوائز على الأطلاق جائزة نوبل العالمية التي تقررها الأكاديمية السويدية ، فطالما تطلع اليها فحول الكتاب والمؤلفين والشعراء وأرصدوا جهودهم الفكرية في سبيل الظفر بها ، ليس لفائدتها المادية فحسب وانما لانها اعتراف صريح بنزعة الكاتب الى تحقيق المثل الاعلى في انتاجه والخروج برسالته من الحيز المحلي الضيق الى المحيط العالمي ، وبث روح الانسانية المشتركة التي ينشدها انصار السلام ، وهذه الروح هي التي أملت على الفريد نوبل في شيخوخته ان يرصد ريع ثروته الضخمة على الذين يعملون في سبيل الدعوة الى السلام ويجاهدون في الدفاع عن الاخاء العالمي ، رجاء ان يكفر بهذا عما حمله الى الانسانية من الويلات وما أدت اليه استنباطاته العلمية من ابتكار الوسائل والمواد المدمرة التي استخدمت في تخريب آثار المدنية الحاضرة وازهاق الارواح وافناء الشعوب

***

وتمتاز فرنسا بكثرة جوائزها الادبية المعترف بها ومن أشهرها جوائز جونكور ، وتيوفراست رينو دو ، والتحالف الدولي ، والانترانسيجان ، وجائزة الادب الكبرى التي تمنحها في كل عام الاكاديمية الفرنسية

والجائزة الاولى تعد من أكبر الجوائز الادبية وأعظمها أهمية بعد جائزة نوبل وتمنحها في كل عام الاكاديمية التي أنشأها الكاتبان ادمون وجول دى جونكور في القرن التاسع عشر ، وهي تمنح عادة للكاتب القصصي الذي ينحو في فنه منحى « المذهب الواقعي » أي الذي يجتهد في تصوير الحقيقة الواقعة كما تراها العين المجردة ولكن في اطار من الجمال الشعري . وقد منحت هذه الجائزة لطائفة من الكتاب استطاعوا احتلال الصفوف الامامية في الآداب العالمية أمثال : مارسيل بروست وجورج دوهاميل ورولان دورجليس ، والمحكمون في هذه الجائزة يتكونون عادة من نخبة صالحة من رجال الفكر واعلام البيان وغيرهم من الصفوة المختارة الذين تطرح بين أيديهم خلاصة الاعمال الادبية الجليلة والتفكير النبيل الحر

والجائزة الثانية تمنح في الغالب للقصة التي يستطيع كاتبها ان يغلب فيها الجانب الانساني

الشعرى على الجانب الواقعى الشائع

أما الجائزة الثالثة فهى فى الحقيقة أعظم الجوائز الادبية على الاطلاق لانها لا تمنح الا للكاتب القصصى المجدد حقا ، للكاتب الذى يجدد فى الاسلوب وفى طريقة وضع القصة وفى مراميها الاجتماعية والخلقية وفى اللغة الفرنسية ذاتها ، وكثيرا ما تمنح لكتاب متطرفين جدا من حيث مذهبهم السياسى والاجتماعى . والاعضاء المحكمون الذين يمنحون هذه الجائزة لا يهابون الرأى العام ولايخشون سيطرة التقاليد ويعتقدون ان غايتهم هى البحث عن القصصى المجدد الصادق مهما تعارضت نزعاته وميوله وأفكاره مع النزعات والافكار المسيطرة على الادب التقليدى وعلى عقلية الشعب ، والدليل على ذلك ان هذه الجائزة منحت مرة للكاتب لويس فرديناند سيلين عن كتابه « رحلة الى أقصى الليل » وهو قصة تكاد تكون موضوعة فى اللغة الدارجة وتكاد تكون صرخة منطلقة من صدر رجل فوضوى ، ولكن الاعضاء المحكمين تلمسوا حركة التجديد الصحيحة فى الادب بين ثنايا هذه القصة

أما جائزة الادب الدولى الكبرى وقيمتها ثلاثمائة ألف فرنك فهى تمنح لاى كاتب اجنبى يكتب بلغته القومية ، ويصح ان تمنح لاى كاتب مصرى يستحقها ، ومن أروع الاعمال الادبية التى ظفرت بهذه الجائزة قصة لكاتبة مجرية شابة تدعى يولاند فولدس بعنوان : « شارع القط الصياد » وهو اسم شارع معروف فى باريس يأوى اليه الفنانون الغرباء ويعيشون حياة أقرب الى الصعلكة والفاقة

***

وفى الولايات المتحدة عشرات الجوائز الادبية المختلفة لان كل ولاية ترصد جوائزها الخاصة وتقصرها على ابنائها ، أما الانجليز فقلما يأبهون لامثال هذه المظاهر حتى ان برنارد شو لما منح جائزة نوبل رفضها بكل اباء مع ان قيمتها المادية تربى على الثمانية آلاف جنيه ذهبا . والجائزة الادبية الوحيدة المعروفة فى انجلترا هى « جائزة هاوثورن » وقد ظفر بها الكاتب المحبوب شارلس مورجان عن رواية فلسفية دسمة التفكير هى « الينبوع »

ان الادب العربى أحوج ما يكون الى انشاء جمع جوائز أدبية لضبط القيم الادبية الصحيحة من الزائفة، وواجب الاغنياء ان يساهموا بنصيبهم فى هذا السبيل، فليست التبرعات وقفا على تشييد دور العبادة والمستشفيات والملاجىء وتقديم الكؤوس الفضية للالعاب الرياضية وانما يجب ان توجه ايضا الى تشجيع الانتاج الادبى والفنى

على ان ازدهار حركة الفكر فى العالم العربى والاتجاه نحو الانتاج الخصب متوقف على وجود هيئة أدبية ممتازة تقرر منح أمثال هذه الجوائز لان الاديب الطموح سيدرك بأن وراءه ضمائر حية تقيس انتاجه بمقياس النقد النزيه وتتناول أعماله بالدرس والتمحيص لتوازن بين انتاجه وانتاج غيره

السيكلوترون

هذا هو اسم الجهاز الذى وضع تصميمه العالم الامريكى ارنست لورنس والذى تمكن بفضله من تحطيم الذرة واطلاق القوة الهائلة — التى ظلت كامنة فيها حتى اليوم — من عقالها

وعلى الرغم من أن تصميم القنبلة الذرية لايزال سرا مكتوما ، الا أنه يبدو ان الاورانيوم يعالج معالجة خاصة بمثل هذا الجهاز قبل وضعه فى القنبلة

والجهاز كمثرى الشكل ارتفاعه ستة عشر مترا وقطره عشرة أمتار ، وبداخله انبوب كبير مفرغ من الهواء ، ومولد كهربائى استاتيكى يستطيع أن يولد فرقا فى الجهد قدره عشرة ملايين

فولت ، ومغناطيس ضخم تبلغ زنته أكثر من ألفي طن ، كما يوجد به مفرغة للهواء قوية جدا

ويستطاع بهذا الجهاز توليد قذائف من جسيمات صغيرة جدا تندفع بسرعة عظيمة تتراوح بين ثلاثين مليونا ومائة مليون ميل فى الساعة — أى تستطيع أن تعبر الاطلنطى فى أقل من ثانية . وتتركب هذه الجسيمات من الالكترونات والبروتونات والنيوترونات وهى الدقائق الاولى التى تحتوى عليها جميع الذرات . وتخرج القذائف فى ثلاثة أشعة متفرقة تتجه صوب ثلاثة أهداف متباعدة

ويحتوى الغلاف الخارجى للجهاز على هواء ضغطه ١٢٠ رطلا لكل بوصة مربعة ، ويؤدى هذا الغلاف وظيفة عازل اضافى للجهاز . ولعله من العجيب حقا ان جهازا بهذه الضخامة العظيمة لا بد منه لتحطيم ذرة صغيرة جدا لا تستطيع رؤيتها بالعين المجردة

سرعة اللاسلكى

تبلغ سرعة موجات اللاسلكى ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية وبفضل هذه السرعة تدور الموجات — الصادرة من أية محطة من محطات الاذاعة فى العالم — حول الارض سبع مرات فى الثانية الواحدة

وتنساب أشعة الشمس فى الفضاء بسرعة الضوء — وهى تعادل سرعة اللاسلكى — فتقطع المسافة بين الارض والشمس فى ثمانى دقائق وتسع عشرة ثانية ، فى حين ان هذه المسافة لو حاول أن يقطعها قطار سريع سرعته ستون ميلا فى الساعة لاستغرقت منه هذه الرحلة ١٧٥ عاما

وبسبب هذه السرعة ، نجد أنه اذا خطب المرء فى أحد الميادين المتسعة فى انجلترا وكان يستمع له جمهور كبير ، ورئى لاهمية الخطاب اذاعته فى المذياع ، فان المستمع له عن طريق اللاسلكى فى مصر يستمعه قبل المستمع له بدون جهاز فى انجلترا . اذ أن الاول يسمعه بسرعة اللاسلكى الهائلة ، بينما يسمعه الثانى بسرعة الصوت . فالاول يسمعه فى أقل من ١/٧ ثانية والثانية يسمعه بعد ثانية اذا كان واقفا على بعد ٣٤٠ مترا من الخطيب

كتب فى أفلام

قامت المصانع الامريكية أخيرا بمحاولة ناجحة تتلخص فى تسجيل الكتب على افلام دقيقة ، بحيث يحتوى كل فيلم على كتاب كامل . ويمكن وضع الفيلم فى جهاز عاكس يثبت الى جوار السرير فى غرفة النوم أو فى المستشفيات . فاذا شاء المرء ان يستمتع بالقراءة بعد أن يأوى الى فراشه، فما عليه الا أن يدير هذا الجهاز بواسطة زر فى متناول يده ، فتنعكس صفحات الكتاب على السقف واحدة بعد الاخرى . وفى وسعه أن يستبقى صورة كل صفحة ما شاء من الزمن . وهكذا يستطيع المرء أن يقرأ وهو مستلق فى سريره مستمتع بكل أسباب الراحة

تحديد مواقع الطائرات

لجأ العلماء ابان الحرب الى استخدام موجات اللاسلكى — التى تبلغ سرعتها نحو مليون مرة من سرعة الصوت — فى تحديد مواقع الطائرات

وموجات اللاسلكى تنعكس كما تنعكس موجات الضوء ، فاذا أطلقت موجات اللاسلكى فى الجو للبحث عن الطائرات ، فانها تنعكس من جدران الطائرة كما تنعكس موجات الضوء من المرايا ، ويمكن التقاط هذه الموجات المنعكسة من الطائرة والاستعانة بها فى تحديد موضعها

وقد بلغ من دقة استخدام اللاسلكى فى هذا الشأن أن استخدم الحلفاء نوعا من المدافع يمكن باللاسلكى تحريكه وتوجيهه نحو الطائرة المعادية واطلاق قنبلته ، وكل هذا يحدث بسرعة فائقة بطريقة ذاتية

الحركة الفكرية

النهضة العربية

ألقى الدكتور فيليب حتى الاستاذ بمعهد اللغات الشرقية بجامعة برنستون ومدير معهد الشؤون العربية الامريكية خطابا فيما تناول فيه موضوع النهضة العربية ، نقتبس منه ما يلي :

من اليسير دراسة النهضة العربية الحديثة فى ضوء مراحل ثلاث أثرت فى تاريخ الشرق العربى الحديث . أولا : احتكاك العقلية الشرقية بالفكر الاوربى ، ثانيا : قيام النهضة القومية العربية ، ثالثا : السعى نحو التفاهم بين الشعوب الناطقة بالضاد وربطها فى جامعة واحدة

ويعتبر غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨ بداءة الاتصال بين العقلية الشرقية والغربية . لقد ظل شرقنا العربى حتى ذلك اليوم هادئا مستكنا ، ذا تفكير تقليدى واتجاه دينى ، بعيدا عما فى الغرب من افكار حديثة ونزعات علمية وشعور قومى

وما لبث نابوليون أن ادخل الى مصر أول مطبعة عربية وانشأ مجمعا علميا هو الاول من نوعه ، حتى عقبه محمد على باشا فارسل البعوث العلمية الى فرنسا واستقدم البعثات الحربية ، فكانت مصر أول قطر عربى أحكم العلاقات مع الغرب فاستفاق أبناؤها من سبات القرون الوسطى وتلاهم فى ذلك أبناء سوريا التى احتلها ابرهيم باشا باسم والده محمد على عام ١٨٣١ــ١٩٤٠

وما لبثت هذه الحركة الفكرية ان جرت وراءها حركة سياسية قومية ، وذلك باستيحائها من تاريخ العرب المجيد وماضيهم الزاهر ، ما جعل القائمين بها يتطلعون الى مستقبل باهر مماثل

على أن هذه النهضة اتخذت فى مصر شكل مقاومة للاحتلال الانجليزى عام ١٨٨٢ ، ومقاومة للانتداب الفرنسى فى سوريا والبريطانى فى العراق وفلسطين . فنشأ عن ذلك شبه قوميات مصرية وسورية وفلسطينية وعراقية

ومنذ بداءة الحرب العالمية الثانية أخذ الشعور فى جميع البلدان الناطقة بالعربية يزداد نحو ضرورة ضم الصفوف وجمع الكلمة وتوحيد الاهداف . فنشطت حركة « الجامعة العربية » ولم يمض طويل وقت حتى تحققت واننا اليوم نعلق عليها الآمال الجسام

والامريكيون لا يعرفون الشيء الكثير عنا ، وما يعرفونه هو فى الغالب من النوع المغلوط أو الشائن ولا سيما فى هذه الايام بفضل الدعاية الصهيونية وهى من أشد الدعايات فاعلية وتأثيرا

ولا لوم على الامريكيين ان لم يفهمونا أو اذا أساءوا فهمنا فاننا لم نحفل حتى اليوم بتعريف أنفسنا اليهم بالصورة اللائقة

من كفاح الحرب إلى جهاد السلم

قالت جريدة نيويورك تيمس فى معرض فصل رئيسى علقت به على انتهاء الحرب ما يلى :

اتخذت اليابان عام ١٩٣١ من حادثة «مكدن» ذريعة للاستيلاء على منشوريا الصينية ثم نشرت نفوذها فى مساحة شاسعة من البلاد الاسيوية . وقد استطاعت اليابان بقفزات متلاحقة فى الصين فى أعوام ١٩٣٣ و١٩٣٥ و١٩٣٧ و١٩٣٨ أن تسيطر سيطرة كاملة على كافة ربوع الصين الشمالية الشرقية وتبسط نفوذها على وادى نهر يانجتسى الادنى

وفى ديسمبر سنة ١٩٤١ هاجمت ميناء بيرل ، وقد خيل لليابان وقتئذ أن أطماعها فى التوسع

والغزو في جنوب شرقي آسيا واستراليا وجزر المحيط الهادى لا بد ان تتحقق

واليوم وقد ظفر الحق وانتهى كابوس الحرب الذى ظل جاثما على صدر العالم مدة ستة أعوام، وصمتت المدافع وانجز الطيارون الحربيون مهامهم، اضحى واجبا على رجالنا المقاتلين ان يشرعوا فى العمل للسلم وأن يستأنفوا حياتهم العادية ، وأن يتزوجوا ويتناسلوا لتكثر العائلات وتتسع دائرة الانشاء ويعاد بناء صرح المدنية الذى أوشك على الدمار

ولقد سقط المعتدون واحدا بعد الآخر ، فتحررت بحيرة موسوليني ـ البحر الابيض المتوسط ـ وعادت الملاحة فيه حرة كما كانت ، وتقوضت أركان الدولة النازية التى وقف هتلر مرة يفاخر بأنها ستعيش ألف عام ، وانهارت احلام اليابانيين فى قهر آسيا ، بينما انتعشت مبادىء الديمقراطية فى أوربا وآسيا بانهيار الدكتاتورية الغاشمة

وأصبح الآن من واجب الامم الظافرة ، بما فيها ديمقراطيتنا ، أن تعمل على منع تكرار وقوع الحرب مرة أخرى . وهذا يعنى ألا تقنع بالسهر على حراسة الاسلحة المعروفة المروعة ـ بما فيها القنبلة الذرية ـ من الانتقال الى يد غاشمة متهورة وانما عليها أن تعمل على مناهضة الاسلحة الدولية المدمرة وهى الحسد والكراهية والخوف

ولنعمل على تحقيق السلم الذى يبعث الامل فى قلوب الابرياء اينما وجدوا حتى فى الدول المعادية . لنعمل على احراز السلم الذى يختفى فيه كل أثر للخوف من أطماع الغير وجشع الاقوياء

لنعمل على تحقيق السلم الذى تستطيع فيه الانسانية ان تبنى لنفسها حياة أفضل فى ظل حرية أوسع . ولنهنىء أنفسنا اليوم لذلك النوع من السلم ، ولنعلم انه ما من سلم غيره يستطيع أن يدوم وأن ينقذ العالم من المصائب والويلات التى تحل به من حين الى حين

التبادل الثقافي بين الامم

كتب الاستاذ « هولاند شو » وهو من كبار موظفى وزارة الخارجية الامريكية مقالا عالج فيه هذه الناحية نجتزىء منه ما يلى :

تقتبس الامم منذ القدم، بعضها من بعض وتتخذ الآراء المقتبسة أساسا لاختراعات واستكشافات، تقتبسها منها غيرها ، وهكذا دواليك

ففى العهود الغابرة ، استعار الاغريق من المصريين نظاما لمساحة الارض وقياسها ، وقد كان هذا النظام يعوزه الدقة ، فحوله الاغريق بعد جهد علما رياضيا سموه الهندسة ، وحمل الرومان من كل أمة من أمم البحر الابيض المتوسط طرقا وأنظمة فى حرث الارض وعزقها ، والعناية بالمزروعات ، وتربية الحيوانات الداجنة ، وبذلك تعلموا الصناعة الشهيرة التى أطلق عليها الغرب بعد ذلك اسم « الزراعة »

وقد أخفق الصينيون عند ما حاولوا تقليد الزجاج السورى ، ولكنهم بفضل هذه المحاولات تمكنوا من اتقان صناعة الاوانى الصينية وما يتعلق بها من روائع الفن ، وقد استعارت الامم الغربية منهم هذه الصناعة الجميلة

واقتبس الاوربيون صناعة البارود من الصين، ثم اتخذوها أساسا لصناعة الاسلحة النارية . ومن هذه الصناعات نبتت فى القرن الثامن عشر الفكرة الفذة ، التى جاءت الآلة ذات الاحتراق الداخلى وليدتها

وأقل ما تدل عليه هذه الامثلة أن الغرب مدين للشرق بالكثير من آرائه وعلومه ومخترعاته ، وليس هناك ما يحمل الغربيين على التباهى بتفوقهم على الشرقيين ، كما أنه ليس هناك ما يحمل الشرقيين على الشعور بالنقص أمام الغربيين

ولا يمكن أن يكون هناك اتصال بين أمة وأمة ، بغير أن يكون هناك تبادل ثقافى . فالبحار الذى يعود من رحلة بحرية ، يحمل الى أهله وبلاده معلومات عن شعوب غريبة ، وعن سلع

ومحصولات وأماكن لم يسمع بها مواطنوه من قبل . والجندى يعود من ساحة القتال مزودا بمثل هذه المعلومات من بلاد الاعداء

وقد كانت العلاقات بين الامم فى الماضى رغم ضعفها ، يتأتى عنها اضعاف الفوارق والتقاليد وتوسيع المدارك ، والتخفيف من وطأة التحفظ والرجعية . أما اليوم فقد أصبح الاتصال بين الامم بفضل سرعة المواصلات وتعدد أنواعها أضعاف أضعاف ما كان فى الاجيال السابقة ولذلك فاننا نرجو ان تتوطد العلاقات وأن يزداد التبادل الفكرى والثقافى وأن يكون عاملا من أهم العوامل لتلافى الحروب ونشر السلام العالمى

حرية الصحافة العالمية

أعدت اللجنة المؤلفة من ثلاثة صحفيين امريكيين يمثلون جمعية محررى الصحف الامريكية تقريرا عن رحلتهم التى طافوا أثناءها مختلف بقاع العالم للدعاية لفكرة حرية الصحافة

وقد جاء فى هذا التقرير ان اللجنة ظفرت بتوكيدات كثيرة من أقطاب الحكومات الاجنبية بالحصول على المعاونة الكاملة فى هذا السبيل فى أعقاب الحرب . ولكن اللجنة ذكرت فى تقريرها ان كثيرا من الحكومات قد عمدت الى فرض الرقابة على الصحف وتكميم أنواهها لمصالح خاصة تحت ستار المحافظة على الامن

وكان الغرض من هذه الرحلة العالمية حث الحكومات على أن تضع فى معاهدات الصلح القادمة نصا يحرم فرض الرقابة على الانباء ، ويجعل الصحف حرة فى استقاء الاخبار ، كما يسمح للصحافة بتلقى وارسال الانباء فى مختلف الامم الموقعة على ذلك النص

واستطردت اللجنة قائلة فى تقريرها ان محررى الصحف فى معظم البلدان يرغبون رغبة صادقة فى تمكين اسباب الحرية الصحفية ، وفى التمتع بقسط أوفر مما يتمتعون به اليوم فى سبيل الاعراب عن آرائهم

وقد وافقت جمعية محررى الصحف الامريكية على ما اشتملت عليه المذكرة وقررت تأييد الاقتراح الخاص بعقد مؤتمر يدافع عن حرية الصحافة العالمية متى سنحت الظروف

وذكر الصحفيون أيضا انهم شهدوا فى روسيا رغبة عامة فى القيام بمجهود مشترك يساعد على تبادل الانباء فى حرية وعلى تبادل الكتابة والتعليق بروح من الانصاف والتسامح

القيود التجارية

كتب رئيس الغرفة التجارية الدولية بأمريكا مقالا افتتاحيا فى العدد الاخير من نشرة الاقتصاد والاجتماع الامريكية ، جاء فيه :

« ان أهم مشاكل الاقتصاد فى عالم ما بعد الحرب ، هو ازالة الحواجز والقيود التجارية . ولقد اعترف مؤتمر « بريتون وودز » فى أحد قراراته العامة بهذه المشكلة الخطيرة

وكانت التجارة العالمية قبل الحرب قد ساءت وتدهورت كثيرا كنتيجة لتحديد نسب الواردات تحديدا تعسفيا ، وتفضيل منطقة على أخرى فى توزيع المنتجات ، مضافا الى ذلك اتفاقات المبادلة الثنائية واحتكار الواردات . وما لم يعد فتح سبل التجارة الدولية ، فلن يكون هناك استقرار وسيكون الامن العالمى خداعا مموها . ولقد تعهدت الامم المتحدة فى وثيقتين هامتين بازالة الحواجز والقيود التجارية ، الاولى ميثاق الاطلسى والثانية اتفاق الاعارة والتأجير . ولقد حان الوقت الذى ينبغى فيه تحقيق هذه التعهدات وتنفيذها

الكتب الجديدة

ساعات بين الكتب

للاستاذ عباس محمود العقاد

مكتبة النهضة المصرية . فى ٣٨٧ صفحة

هذا هو الجزء الثانى من هذا المؤلف النفيس الذى صدر الجزء الاول منه منذ سنوات وطبع عدة طبعات للكاتب العبقرى وأديب الشرق العربى الاستاذ عباس محمود العقاد

وكلها بحوث قيمة فى العلم والادب والحياة والفن والاجتماع : وللاستاذ العقاد طابع خاص فى مؤلفاته وسائر آثاره فهو يمتاز بعمق التفكير وبعد النظر وبلاغة المنطق ، وهو عالم أديب مفكر يبهرك بسعة الاطلاع وقوة الفكر المنتج الذى لا يقف عند حد ، والذى ينساب كالمطر ويتدفق كالنهر فيخصب وينبت نباتا حسنا

ولعل هذه الفقرة تدل على ما نقول :

« الغرور والأمل صنوان توأمان ، يمد كلاهما صاحبه ويعينه ويجبر كسره ، فلولا الغرور لما كان أمل ، ولولا الأمل لما كان غرور . ويختلف الغرور والأمل كما يختلف الاخوان الناشئان عن دم واحد فى بيئة واحدة — فقد يكون أحدهما وديعا رصينا والآخر جامحا ذا خيلاء ، فهما فى النسب والمولد سواء ولكنهما فى الحظوظ والاخلاق غير سواء »

وفى هذا الكتاب ٥٣ بحثا وضعها المؤلف لا نكون مغالين اذا قلنا انها ٥٣ كتابا وضعها العقاد ، فانت تخرج من كل بحث بزاد وفير لا يقل عن كتاب كامل بما فتحه أمامك من ابواب جديدة من آرائه ونظراته الثاقبة

ويضيق المقام لو أننا عرضنا للقارىء ما فى كل بحث من نفائس الافكار والآراء . وحسبنا ان نقول أن الاستاذ العقاد قد سما بالتأليف والابحاث فى الشرق الى منزلة عالية رفيعة

جان جاك روسو

وآراؤه فى التربية والتعليم

للاستاذ محمد عطية الابراشى

دار احياء الكتب العربية . فى ٣٧٢ صفحة

« كانت آراء روسو منهلا عذبا وعينا ثرة ينهل منها كثير من المربين القدامى والمحدثين . . وهو يعد بحق زعيم المربين ، وامام المصلحين فى التربية والاجتماع ، وبطل الانسانية المدافع عن الحرية . وقد كان لكتابيه « العقد الاجتماعى » و « اميل » شهرة عالمية . فقد اعتبر الاول فى نظر المؤرخين السياسيين « انجيل الحرية » كما عد الثانى فى نظر أساطين التربية « انجيل التربية والتعليم »

والكتاب الذى بين أيدينا يبسط آراء روسو فى التربية ويعرضها عرضا وافيا واضحا فى اسلوب سهل لا لبس فيه ولا خفاء ، متوخيا طريق الاعتدال متجنبا المبالغات الممقوتة . وقد توخى المؤلف تقرير الحقائق وتمحيص الوقائع ونقد ما يستحق النقد من الآراء مسترشدا بروح التربية فى القرن العشرين

والمكتبة العربية ترحب بهذا السفر النفيس وتستزيد المؤلف من أمثاله ، فمن واجب كل مرب — سواء أكان أبا أم مدرسا — أن يكون على اتصال وثيق وعلم تام بمبادىء هذا الفيلسوف ليتخذه اماما مرشدا ، يهتدى به فى تربية الابناء وسراجا منيرا يسير على ضوئه فى تربية عقول النشء وتهذيب نفوسهم

شعر الطبيعة فى الأدب العربى

للدكتور سيد نوفل

مكتبة الخانجى . فى ٣٣٠ صفحة

اعتاد مؤرخو الادب العربى منذ القدم تقسيم فنون الشعر العربى الى حماسة ، وفخر ، ومدح ، وهجاء ، ورثاء ، وغزل ، ووصف . صنع هذا البحترى وأبو تمام فى القرن الثانى للهجرة وصنعه البارودى فى القرن الرابع عشر . وكانوا حين يتحدثون عن الوصف يلمون به مسرعين غير مقدرين لوصف الطبيعة ولا متوهين به . فهل يفهم من هذا أن الادب العربى كان فقيرا فى شعر الطبيعة، وأنه لم يظفر بشىء ذى بال يستأهل وقفة المؤرخين والنقاد ؟!

لقد اثبت الدكتور سيد نوفل فى كتابه الطريف أن الادب العربى من أغنى الآداب العالمية فى هذا الباب

وشرح أثناء بحثه أثر العوامل الذاتية فى الشعراء ومنشأها ، وتوجيهها لشعرهم فى حدود الجو الشعرى العام، مع الربط بينهم وبين السابقين والمعاصرين

وبعد أن انتهى من تصوير الادب العربى قابل بينه وبين الآداب الغربية فى شعر الطبيعة، ورسم الطريقة المثلى لهذا الفن الجميل أمام الشعراء المعاصرين

والحق ان هذا المجهود ضخم تبدو فيه روح الاديب ، وذوق الفنان ، وممارسة الباحث الذى لا يسأم التنقيب والجرى وراء الحقيقة ، وملكة المؤلف الذى يجمع بين المتفرق ويستطيع التصوير الكلى . وهو لهذا حقيق بأن يقول فيه الدكتور هيكل باشا بعد أن تحدث قليلا فى مقدمة هذا الكتاب عن مزاياه :

« ما أشك فى أن قارئه سيجد فيه مثارا لخواطر، ولالوان من التفكير طريفة طرافة البحث الذى عالجه الدكتور نوفل والكتاب لهذا جدير بما أضفى عليه من تقدير ، جدير بأن ينشر أمام الباحثين فى الشعر العربى وفى الادب العربى ، آفاقا جديدة يكشف التعرض لها عن كثير من دخائل نفوسنا ، ويهدينا فى المستقبل الى الجديد الذى نلتمسه »

الأب

للاستاذ وديع فلسطين

مكتبة مصر . فى ٨٥ صفحة

أخرجت لجنة النشر للجامعيين أخيرا مسرحية بليغة للكاتب السويدى الكبير أوجست سترندبرج نقلها الى العربية الاستاذ وديع فلسطين . وقد قدم المترجم للكتاب بنبذة عن حياة المؤلف ضمنها سيرة حياته وأعماله الادبية

ومسرحية الاب تبحث فى بنوة الابناء وهل يمكن التثبت منها . فهى تتناول موضوعا دقيقا جدا لانه يتعلق بحياة كل أسرة . وقد أجاد الكاتب السويدى كل الاجادة فى تصوير مختلف المشاعر والاحاسيس وصور النزاع بين الرجل وزوجه أحسن تصوير وسبكها سبكا يشهد له بطول باع فى كتابة المسرحية ورسوخ قدم فى هذا الفن

ولعل المسرح المصرى ــ والقائمون عليه رجال جمعوا بين الادب والفن ــ يقرأ هذه المسرحية فهى تجمع الى قوتها جمال عرضها ودقة روايتها

ومجهود الاستاذ فلسطين جدير بكل تقدير لان القارىء لا يحس اذ يقرأ « الاب » انه يقرأ شيئا مترجما

ايزيس واوزريس

للاستاذ عبد المنعم محمد عمر

مطبعة كوستاتسوماس . فى ٣٠٢ صفحة

« الادب المصرى القديم غنى بالقصص التى يمكن أن توحى الى الكتاب الكثير من روائع الخيال وبدائع التفكير . وقد كان الاغريق أنفسهم أول من بهرهم جمال الادب المصرى

القديم وأعجبتهم حكمة الاساطير المصرية القديمة، فاقتبسوا منها الكثير ، حتى ان اشهر الباحثين المنصفين الآن يعتبرون أن الفكر المصرى والادب المصرى هما أساس المدنية الاغريقية »

ورغم أن الادب وأساطير الديانة الاغريقية كانت ولا تزال أعذب مورد ثقافى ينهل منه الاوربيون ، غير ان الادباء المصريين المحدثين ، لم يتأثروا كثيرا بالادب الاغريقى ولا بالادب المصرى القديم فندر من ينقل لنا قصة من قصصه أو قصيدة من شعره ، أو من يستوحى أحد هذين الفنين فيوحيان اليه قصة حديثة تبين لنا مبلغ ما وصل اليه الادب فى مصر القديمة من جمال وروعة ، أو توضح لنا حياة هؤلاء السلف وأخلاقهم وما وصلوا اليه من حضارة

وقد شاء المؤلف أن يسد هـذا الفراغ فى المكتبة العربية وأن يعمل على وصل الماضى بالحاضر فاستوحى هذه القصة الطريفة التى تقدمها للقراء من الاسطورة المصرية القديمة «ايزيس وأوزوريس» والتى أناشيدها من بين الاناشيد المصرية القديمة التى تفيض بالمعانى النبيلة

وأسلوب القصة سائغ وسياقها جميل والروح الذى دفع المؤلف لكتابتها طيب مشكور

أدب العلوم

للاستاذ محمد عاطف البرقوقى

مكتبة النهضة المصرية · فى ٢٣٠ صفحة

الاستاذ عاطف البرقوقى عالم وأديب ، عالم تلقى العلم فى أكبر جامعات انجلترا وظفر منها بدرجة شرف فى العلوم الطبيعية ، وأديب نشأ فى جو الادب ، فوالده منشىء مجلة البيان التى تعد مدرسة الادب الحديث تخرج فيها كثيرون من أدباء مصر المعاصرين

لذلك لم يكن عجيبا أن يلمس القارىء فى كتابه عقلية العالم — فى دقة البحوث والعناية بالجوهر والحقائق — وشاعرية الاديب — فى صياغة المعلومات فى أسلوب يمتاز بالبساطة والوضوح يزينه شىء من التأنق والرشاقة

والكتاب مجموعة مقالات ، تناول فيها المؤلف وصف كثير من المخترعات الحديثة مثل التصوير والسينما والتلفزيون واللاسلكى . كما أفرد بابا لفلسفة الطبيعة تكلم فيه عن المادة والقوة والجاذبية والحرارة وعظمة الكون . وبالكتاب باب لتراجم العلماء الافذاذ وآخر عن الحرب وأثرها فى العلوم الحديثة

زمزم الغريقة

للاستاذ محمد كاظم

دار احياء الكتب العربية · فى ١١١ صفحة

غاصت الباخرة المصرية زمزم فى أعماق المحيط وعانى بحارتها المصريون أشد الاهوال بين قنابل الالمان والامواج المتلاطمة والاعتقال فى ألمانيا .. حتى عادوا أخيرا الى مصر ، فاذا بالاستاذ محمد كاظم يلتقى بهم جماعات وفرادى ، ويتعقبهم فى كل مكان ، ويؤرخ حياتهم منذ غادرت الباخرة مصر فى كتابه الطريف « زمزم الغريقة »

وكأنما كان المؤلف أحد الراكبين فيها ، وكأنه كلما وقفت فى ميناء نزل مع بحارتها الى الشاطىء وجاس معهم خلال المدينة وأحصى عليهم دقات قلوبهم فلم يدع جليلا ولا تافها الا سجله . فاذا بدأت فى مطالعة الكتاب شعرت انك تركب الباخرة مع الراكبين وأحسست بالموج يهزها ، وسمعت ما يهمس به الراقصون والراقصات فى حفلاتها .. وعرفت على ساحل البرازيل كيف يبدأ الحب بالنظرة وينتهى بالخطبة . وهكذا ينتقل بك الصحفى المدقق حتى تبلغ أوج السعادة ، ثم يقف بك فى مواجهة الموت أمام بارجة ألمانية تصدت لزمزم بقذائفها وحممها .. ولا يزال يسيطر على عواطفك ويتراوح بك بين اليأس والرجاء ، حتى يعود البحارة المصريون فى النهاية الى الوطن

نظرات فى الحياة والمجتمع

للاستاذ على أدهم

دار المعارف ٠ فى ١٥٠ صفحة

عنوان هذا الكتاب يعطى القارىء فكرة عن محتوياته فهو مجموعة مقالات عالج فيها المؤلف بعض مشكلات الحياة والمجتمع ٠ يقول المؤلف فى تقدمة هذا الكتاب :

« لم أحاول أن أصور الطبيعة الانسانية كما يجب أن تكون لانى لست على بينة من أمرى فيما يجب أن تكون عليه ، ولم أحاول كذلك ان اتحدث عن المجتمع كما يجب أن يكون لانى لم أتشرف بعد بأن أكون من أصحاب المدن الفاضلة ومن أجل ذلك لم أحاول ان اعظ وأصلح ، وانما حاولت أن أصف وأعلل »

والكتاب يمتاز بحلاوة الاسلوب وسلاسة العبارة وروعة المعنى

اصلاح اداة الحكم

للاستاذ محمد عبد الرحيم عنبر

مكتبة النهضة المصرية ٠ فى ١٩٢ صفحة

هذا الكتاب هو الحلقة الاولى من سلسلة « مشاكل مصر القومية » التى اعتزمت لجنة نشر الثقافة الاجتماعية اصدارها فى وقت نحن فى مسيس الحاجة فيه الى معالجة مشاكلنا القومية واستئصال الادواء التى تغلغلت فى مجتمعاتنا

وليس من شك فى أن كل اصلاح اقتصادى أو اجتماعى أو سياسى يتوقف على اصلاح أداة الحكم ٠ فعبثا تحاول أمة النهوض دون أن تكون لديها أداة الحكم الصالحة من نظم ملائمة وموظفين مدربين صالحين

ويقول المؤلف فى تقدمة هذا الكتاب : « لقد عالج موضوع اصلاح أداة الحكم كتاب متمكنون ومفكرون أفاضل ، لا شك أنهم أناروا لى الطريق فأداتونى بهذا الفضل ، غير أننى لاحظت أننا ما زلنا فى حاجة الى المزيد من الكتابة فى هذا الموضوع ، لان ما كتب الى الآن لا يخرج عن النوعين الآتيين : اما أبحاث أدبية لم تلتزم المنهج العلمى بدقته ووضوحه ، واما أبحاث أكاديمية بحته ، يقصد بها غالبا التبحر فى العلم النظرى أكثر مما يقصد بها الاصلاح العملى ٠ ولهذا لم تصل الى الشعب ، أو لم تتأثر بها حياته كثيرا »

ويمتاز الكتاب بتحرى الدقة ويدل على سعة اطلاع المؤلف وتعمقه فى البحث وتلمسه الحقائق وبراعته فى الاستنتاج الصحيح ، يساعده على ذلك غزارة مادته وطول خبرته فى الشؤون الاجتماعية

عبرات وبسمات

للاستاذ محمود ابرهيم الدسوقى

دار سعد مصر ٠ فى ٢٤٠ صفحة

فى هذا الكتاب مجموعتان قصصيتان متباينتان تفردت كل واحدة منهما بلون غالب من ألوان الحياة « فالعبرات » تجرى فى مسيلها سلسلة الفواجع التى تخللت أحداثها ، و « البسمات » تطالعك باشراقة المبدع وطلاقة النفس مرتسمة كلتاهما على وجه الانسانية

وقد شاع فى كل قصة نبض التجربة الخافقة بمشاكل الحياة ، وشع من كل قصة بصيص يكشف عن دفين النفس البشرية

ومعظم هذه الاقاصيص مترجم عن الالمانية ويمثل الذهنية الادبية الالمانية فى تعدد نواحيها واختلاف اشعاعاتها

ومؤلف الكتاب معروف بتمكنه الكامل من اللغتين الالمانية والانجليزية الى جانب تضلعه فى اللغة العربية ، لذلك كانت ترجمته مثلا يحتذى به ، فان حرصه على الاصل لم يحل دون عرض كتابه فى عبارة مشرقة واسلوب رشيق

قصة طروادة

للاستاذ دريني خشبة

دار الكتب الاهلية • فى ٢٥٤ صفحة

الثقافة الاغريقية القديمة من شعر وقصص وفلسفة هى المورد الاول للثروة الفكرية التى عرفها الانسان فى شتى أدوار التاريخ ، وهى المنبع الذى استقت منه الحضارة الحديثة اصول فلسفتها وأدابها وفنونها

والكتاب الذى تقدمه للقراء بعنوان « قصة طروادة » يتضمن خلاصة وافية طلية شائقة لالياذة هوميروس . وقارىء الالياذة يتولاه العجب وتأخذه الدهشة لبراعة هوميروس الاعمى فى الوصف . . فكأس نسطور ودرع هكتور والنقوش الاخاذة التى حفرت فى درع أخيل والستر الازرق الجميل فى قصر ألكينوس ، وشروق الشمس وغروبها وتكاثف الضباب ، والتقع المثار فوق المعمعة . . . كل هذه آيات من الوصف الدقيق الذى يشهد لهوميروس بملكة فنية قوية تتجلى فى أكثر انحاء منظومته ، وتربك المترجم خاصة حتى يستعصى عليه أن يساير هوميروس

وعلى الرغم من ذلك فقد وفق المؤلف فى تصوير العواطف والاحاسيس التى كانت تجيش بصدر هوميروس ، وتمكن من نقل هذه التحفة الادبية الرائعة الى العربية فى اسلوب سلس رصين

واننا نرجو أن يكثر المؤلف من هذه البحوث وأن يوالى نشر روائع هذا الادب العريق

الاصلاح الزراعى

للاستاذ مريت غالى

مطبعة مصر . فى ٩٧ صفحة

« من الواجب أن تعنى كل العناية بافساح مجال العمل أمام المصريين ، خصوصا وان الازمة ستزداد حدة على أثر اقفال بعض ابواب العمل التى فتحتها الحرب الحاضرة ، ولا بد من تنسيق برنامج شامل للمشروعات الكبرى سواء فى الزراعة أو الصناعة أو المواصلات ، وتنفيذه بغير ابطاء ولا تهاون بحيث يمكن من تشغيل اليد العاملة فى أعمال انشائية سوف تزيد المرافق الاقتصادية ، فتوجد عملا ثابتا مستمرا لسكان هذا الوادى »

لهذا بدأت جماعة النهضة القومية باصدار سلسلة من البحوث تعالج مشاكلنا القومية ، والكتاب الذى تقدمه هو الحلقة الاولى من هذه السلسلة ، وهى بحث عن الاصلاح الزراعى فى نواحيه الثلاث: الملكية والايجار والعمل ، ومؤلف هذا الكتاب من خيرة الشبان النابهين ، وانك لتلمس فى كتابه — على صغره — ثقافة غزيرة وتقديرا دقيقا واطلاعا واسعا ، كما تحس فى كل سطر من سطوره روح الاديب وشاعريته

الصين والاسلام

للاستاذ محمد تواضع

دار الطباعة والنشر الاسلامية . فى ١٧٢ صفحة

« من الواجب على المسلمين مهما تباعدت أوطانهم أو نأت ديارهم أو اختلفت أجناسهم وألوانهم أن يشعروا بأنهم أمة واحدة وشعب واحد ، لا تفرق بينهم الحواجز الطبيعية ولا الحدود الجغرافية ولا العوامل السياسية أو المنافع الشخصية ، لان الله أرادهم هكذا أمة واحدة كما قال تبارك وتعالى « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

والكتاب الذى بين أيدينا هو باكورة انتاج قسم الاتصال بالعالم الاسلامى بالمركز العام للاخوان المسلمين . ومهمة هذا القسم الاتصال بنزلاء مصر وضيوفها من العرب والاوطان الاسلامية المختلفة لمعرفتهم والوقوف على أحوال بلادهم وأوطانهم والتعاون معهم على الخير المشترك ثم نشر المطبوعات النافعة فى الشعب المصرى عن أقران [illegible] الاسلامى والبلاد العربية حتى يكون

التعارف فى أوسع دائرة

وليس من شك فى أن هذه فكرة جميلة تنطوى على روح جميل . ولذلك فاننا نرجو لها كل نجاح وتوفيق

والاستاذ محمد تواضع هو رئيس البعثة الصينية فى مصر، وقد عرف بكثرة اطلاعه وغزارة علمه ، وكتابه « الصين والاسلام » مثل عظيم لسعة مداركه وقوة بيانه وقد تناول فيه جميع أحوال الصين الاجتماعية والسياسية والدينية

خالد بن الوليد

للاستاذ عامر محمد بحيرى

طبع مطبعة مكتبة مصر بالفجالة . فى ١٠٨ صفحات

اختار المؤلف لمسرحيته موضوعا قويا من التاريخ ، وشخصية فذة من شخصياته ، فخالد بن الوليد يمثل العبقرية العسكرية ، والفتوة العربية فى عصره ، وقد كانت له اليد الطولى فى تثبيت دعائم الفتح الاسلامى فى أول عهده

وكما وفق المؤلف فى اختيار الموضوع ، فقد وفق كذلك فى ابراز الفكرة وجلاء الشخصيات، واعطاء صورة كاملة للعصر الذى تعالجه فألف من مشاهد التاريخ المعروفة رواية تتوافر لها جميع الشرائط الفنية للمسرحية من حبكة قوية وعقدة فنية جعلها هى الخصومة العنيفة التى وقعت بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ، وهى الخصومة التى لا بد أن تقع بين عبقريتين عظيمتين، وشخصيتين قويتين

وقد صاغ المؤلف روايته فى قالب من الشعر الرصين الذى يوفق بين الاحتفاظ بقوة الاسر وجمال العرض

وقد جعل المؤلف اهداءها الى « سر الوحدة العربية » . وهى اشارة فى محلها وقد جاءت فى وقتها المناسب اذ أن خالدا لم تكن بطولته وقفا على قطر من الاقطار العربية دون . . ، ولكنها البطولة العربية الفذة التى يأخذ جوا فى الخصيب

سير النبلاء

للامام الحجة شمس الدين الذهبى

ضبطه وعلق عليه الاستاذ سعيد الافغانى

صدر أخيرا الجزء الثانى من كتاب سير النبلاء وهو جزء خاص بترجمة أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق وهى أول امرأة برز اسمها فى تاريخ الاسلام، وكان لها الاثر البالغ والصيت البعيد فى حياة العرب السياسية والدينية والعلمية

ويتناول الجزء الاول ترجمة الامام ابن حزم، والجزءان مأخوذان عن النسخة الفريدة المحفوظة بخزانة صاحب الجلالة امام اليمن المتوكل على الله يحى حميد الدين

رحلة بنيامين

ترجمة الاستاذ عزرا حداد

المطبعة الشرقية . فى ٢٠٥ صفحات

ألف هذا الكتاب الرحالة الشهير الربى بنيامين التطيلى النبارى الاندلسى من القرن الثانى عشر للميلاد . وهو يتضمن مشاهدات المؤلف فى رحلته الى ديار الاسلام فى القرن السادس للهجرة وهذه الرحلة تعد من أقدم الرحلات المدونة

فقد جاب الكاتب الغرب والشرق ودون ما شاهده تدوينا تؤيده أغلب المصادر ومع أن نزعته جملته يعنى بأحوال أبناء طائفته فانه أعطانا كثيرا من المعلومات الدقيقة والوصف الصادق عن أسلافنا وعن سائر البلاد الاسلامية

ولقد قام الاستاذ عزرا حداد مدير المدرسة الوطنية ببغداد بنقل هذا الاثر التاريخى الى لغة الضاد عن الاصل العبرى من مخطوط تيسر له الحصول عليه

وقد قدم لهذا السفر النفيس بمقدمة دراسية وافية وعلق على متنه الشروح والهوامش وذيله بالملحقات والفهارس

بين الهلال وقرائه

أراضي فلسطين

(الكويت) محمد حمدان

يزعم اليهود أن فلسطين فى حاجة لسكان آخرين كثيرين ، وان خيرات اليهود قد عمت فلسطين وشملت جميع العرب ورفعت كثيرا من مستوى معيشتهم . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) هذه الاقوال باطلة سقيمة لايقصد بها غير بث الدعاوة الكاذبة والتضليل ففلسطين بلاد صغيرة لا تزيد مساحتها عن ٢٥ ألف كيلومتر مربع — ٢٦ مليون دونم — والاراضى القابلة للزراعة ليست سوى جزء يسير من مجموع الاراضى

وقد قدر الخبراء سنة ١٩٣٠ أن مساحة الاراضى التى يملكها اليهود فى فلسطين قد بلغت أكثر من ١٦ ٠/٠ من مجموع الاراضى القابلة للزراعة فى فلسطين . ومنذ سنة ١٩٣٠ حتى اليوم اشترى اليهود ما لا يقل عن ٧٠٠ ألف دونم ، وبهذا أصبح الصهيونيون — البالغ عددهم ١٠ آلاف شخص تقريبا — يملكون ما يعادل ٣٠ ٠/٠ من مجموع الاراضى الزراعية فى فلسطين ، بينما لايملك المزارعون العرب وعددهم ٦٠٠ ألف شخص سوى ٧٠ ٠/٠ منها . فضلا عن أن الاراضى التى انتقلت لليهود هى أخصب الاراضى وأجودها تربة وموقعا وانتاجا

وأما بصدد مستوى المعيشة هناك ، فقد قال أحد الخبراء حديثا « لو قسمت جميع الاراضى القابلة للزراعة فى فلسطين بين الاهالى العرب لما أصاب كل عائلة منهم مساحة من الارض تكفى لتأمين معيشتها فى مستوى لائق » وقال أيضا : « يبدو للناظر مقدار احتياج الفلاحين الشديد للاراضى من زراعتهم لكل شبر يتيسر لهم منها ، حتى انهم يلجأون الى فلاحة القطع الصغيرة التى يتعذر استعمال المحراث فيها باستعمال الفأس والمجرفة »

تقييد الزواج وتحديد الطلاق

(أسيوط) ناجى عبد الخالق

ما هى أهم البنود التى تضمنها المشروع الذى وضعته وزارة الشؤون الاجتماعية لتنظيم قيود الزواج وتحديد الطلاق ؟

(الهلال) يتلخص هذا المشروع فيما يلى :

١ — لا يجوز للمتزوج أن يعقد زواجه بأخرى الا باذن من القاضى الشرعى الذى يقع فى دائرة اختصاصه مكان الزواج

٢ — لا يأذن القاضى الشرعى بزواج متزوج الا بعد التأكد من ان سلوكه وحالته المعيشية يساعدان على قيامه بحسن المعاشرة والانفاق على أكثر ممن فى عصمته ومن تجب نفقته عليهم من أصوله وفروعه

٣ — لا يجوز للمتزوج أن يطلق زوجته الا باذن من القاضى الشرعى الذى فى دائرة اختصاصه مكان الزوج، واذا وقع الطلاق بدون اذن القاضى ترتب على ذلك ما هو مقرر من الآثار الشرعية وعوقب الزوج بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة شهور وبغرامة لا تتجاوز مائة جنيه أو باحدى هاتين العقوبتين

٤ — لا يأذن القاضى الشرعى لمتزوج بتطليق زوجته الا بعد السعى لتلافى اسباب الخلاف وبعد العجز عن الاصلاح بين الطرفين

ويلاحظ أن هذا المشروع لا يزال قيد البحث ولا ندرى متى يخرج الى حيز التنفيذ

حول تربية الأطفال

(مراكش) قارىء

ما هي أفضل الطرق لتعويد الطفل على الفضيلة ؟

(الهلال) يرى كثيرون من رجال التربية أن كثرة الحديث مع الطفل عن الفضيلة توحى اليه الرذيلة ، وأننا بنهيه عن الرذيلة كثيرا ما نوحى اليه بارتكابها . لهذا يحسن ألا نلجأ فى التربية الى كثرة القول والوعظ والارشاد ، بل نلجأ الى القدوة الحسنة ، والمثل الكاملة التى يراها الطفل فيحاكيها

فلتعويد الطفل الصدقة والاحسان الى الفقراء، لا يرى « روسو » — وهو يعد مؤسس التربية الحديثة — أن نحث الطفل على الصدقة ولا أن نعطى الطفل قطعة من النقود ليعطيها الفقير ، لان الطفل لا يعرف معنى الاحسان ولا يدرك معنى الصدقة ولا يقدر قيمة ما يعطيه . وينصح روسو بأن نحسن نحن أمامه ، ونتصدق على مرأى منه ، ونفهمه أن هذا شىء عظيم لا يقوم به الا الكبار ، كى يحاكينا فيما بعد فى التصدق بطريق القدوة والمحاكاة

عمر الأرض

(القاهرة) نزيه أنيس

كيف قدر العلماء عمر الارض ؟

(الهلال) ان كثيرا من معالم سطح الارض يتغير بمرور الزمن . فلو استطعنا تقدير معدل التغيير الناشىء من عامل معين أمكننا استنباط الزمن الذى انقضى منذ حدوث مقدار معروف من التغيير

فالانهار تحمل الى البحار فى كل موسم من مواسم فيضانها مقادير من الاملاح المذابة من سفوح الجبال عند منابعها مع رواسب أخرى . فأما الاملاح فمعظمها من ملح الطعام تزيد فى نسبة

فى ملوحة البحار تدريجيا ، وأما الرواسب فترسب فى قاعها

ولقد قدر أن ما تحمله جميع الانهار من الاملاح يبلغ حوالى ٣٥ مليون طن فى كل عام ، وأن ما تحتويه منها جميع المحيطات فى العالم يبلغ ١٢٦٠٠ر١٢ مليون مليون طن . فلو فرضنا أن معدل الزيادة فى ملوحة البحار مما تنقله اليها الانهار ثابت على مرور السنين الطويلة الماضية ، نجد أن عمر الارض يساوى ٣٦٠ مليون سنة على الاقل

أما الرواسب فقد قدر سمكها بحوالى نصف مليون قدم ، ولقد لوحظ أنه منذ ثلاثة آلاف سنة زاد سمك راسب النيل فى الوجه البحرى بمعدل قدم فى كل ٥٠٠ سنة وعلى ذلك يمكننا ان نستنبط أن عملية الترسيب بدأت منذ ٢٥٠ مليون سنة

وثمة طريقة أخرى لتقدير عمر الارض تستند الى تفكك ذرات بعض العناصر مثل الاورانيوم والثوريوم

الكتان

(القاهرة) قارىء

هل تصلح زراعة الكتان فى مصر ؟

(الهلال) الكتان من أقدم المحاصيل الزراعية فى بلادنا . وتعتبر مصر أول أمة فى العالم عرفت الكتان وضربت بسهم وافر فى اجادة كل ما يتعلق به من بدء الزراعة حتى نسجه الى أقمشة . ولقد كانت المنسوجات الكتانية المصدرة من مصر موضع اهتمام الاثرياء ، بل الملوك والامراء ولا غرو فى ذلك فان غزل الفراعنة لالياف الكتان ما زال يعتبر أدق ما غزل فى انحاء العالم حتى الآن

وبمرور الايام قلت زراعة الكتان بمصر وحل محله القطن وقد عمدت الحكومة أخيرا — رغبة فى تنوع المحاصيل الزراعية — الى تشجيع زراعته

بايجاد أصناف منتخبة تلائم جو مصر وتقاوم الامراض والآفات

التعليم فى انجلترا وأمريكا

(العراق) م. الخولى

ما هى أوجه الخلاف بين سياسة التعليم فى كل من انجلترا وأمريكا ؟

(الهلال) ان وجوه الخلاف كثيرة ، ففى أمريكا لا يوجد نظام واحد للتعليم فى مختلف الولايات . فلكل ولاية نظامها الخاص وان كانت هذه النظم بوجه عام لا تفتقر الى التجانس فى القواعد الاساسية . والتعليم الابتدائى والثانوى والعالى ميسور لمن يريد ولمن تمكنه مواهبه الاستمرار فيه ، فى حين ان انجلترا لا ينطبق عليها هذا القول الا فى مرحلة التعليم الابتدائى

ففى الجامعات الأمريكية يوجد طالب جامعى لكل ١٢٥ فردا فى مقابل ١ الى ٦٠٠ فى انجلترا . وبينما يزهو الانجليز بالمدارس المخصصة للاشراف كايتون وهرو ، فان أمثالها فى أمريكا تستهدف لحملات شديدة من النقد فهى فى عرفهم لا تتفق ومبادىء الديمقراطية

والمناهج فى أمريكا مرنة ، يستطيع الطالب أن يختار منها المواد أو المجموعات التى تتفق وميوله وكفايته كما يراها الخبراء . أما فى انجلترا فالمناهج جامدة ولا يؤخذ فيها بنظام الا بعد أن يثبت نجاحه

دار الأوبرا

(القاهرة) قارىء

متى أنشئت دار الاوبرا الملكية ، وماذا كان الغرض من انشائها ؟

(الهلال) انتهز اسماعيل باشا فرصة الاحتفال بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ وأمر بتشييدها . فتم بناؤها فى ستة اشهر بعد أن وضع تصميمها المهندسان الايطاليان «أفوسكانى» و «روسى» . وقد استحضر لتنفيذ هذا المشروع اخصائيين فى هندسة البناء وانشاء المسارح

ولم يقف عمل اسماعيل عند تزويد مصر بدار للاوبرا كسائر العواصم الاوربية ، بل ظل طوال حكمه يصرف همته الى أن تكون هذه الدار المدرسة الاولى ، التى يتلقى فيها الشعب المصرى أصول الفن ويتشرب بحبه ، فجعل يجلب لمسرحه الفرق التمثيلية من أوربا ، فرأى المصريون وسمعوا فى العام الاول لتأسيسه — أروع الاوبرات العالمية وأرقى المشاهد الراقصة

وفى عام ١٨٧٨ عرضت فيه أول مسرحية باللغة العربية

مشكلة الدردنيل

(العريش) على الجمل

فيم تتلخص مشكلة الدردنيل بين روسيا وتركيا ؟

(الهلال) فى عام ١٩٢٣ على أثر هزيمة الدول الوسطى — أى دول الحلف الثلاثى — وكانت تركيا احدى هذه الدول ، أسند الاشراف على المضايق للجنة دولية تابعة لعصبة الامم

أما المضايق نفسها فكانت قد نزع سلاحها ، وحددت الحامية التركية فى استانبول بـ ١٢ ألف جندى . وفى سنة ١٩٣٦ عقد اتفاق مونتريه وهو يقضى باعادة السيطرة التركية على المضايق

ويتركز النقاش الدولى الحالى الخاص بالعلاقات السوفيتية التركية حول امكان تعديل اتفاق مونتريه الذى ضمن لتركيا وحدها حق الاشراف على الدردنيل

ولقد اثيرت هذه المشكلة عند ما انهى الاتحاد السوفيتى ميثاق الصداقة والحياد الروسى التركى الذى أبرم فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ بحجة أن من الوجهة العملية منع

قصة مصرية

ولي الله !

بقلم الأستاذ محمود تيمور بك

فى أمسية من أماسى مايو المشبعة بأنفاس الربيع ، جلست الى صديقى « برهان بك » فى حديقته الفيحاء بمغناه الانيق بالجيزة ، نتطارح أحاديث ذات شجون . وكان صديقى من رجال الضبط والأمن الذين تبوأوا مناصب الادارة فى شتى الأقاليم ، حتى أدركته سن الاحالة الى المعاش وهو وكيل لمديرية الدقهلية ، فاستقر به المقام فى ذلك المثنى بعد طول تطواف ، وبعد حياة صاخبة فى مطاردة الأشرار واقرار الأمن فى ربوع البلاد . وعلى الرغم من أن صديقى قد نيف على الستين فانه ما برح محتفظا بطابع الجندى : قامة فارعة ، وصدر عريض ، وساعدان مفتولان ، ووجه يحمله شاربان مسنونان . .

وفرغت جعبتنا من الأحاديث فى جلستنا الممتعة ، فما هو الا أن غشينا الصمت بعض الوقت ، وقد علقت عيوننا بالقمر وهو يتعالى فى الأفق مزهو السمات ، يبعث بضيائه اللألاء خلال الأفنان كأنه ذوب الفضة يتسايل قطرات . .

ولما طاب لى المجلس ، وخشيت أن يمتد الصمت فيسرع الينا الملل يشوب ما نحن فيه من صفو ، اقترحت على « برهان بك » أن يقص على أعجب حادث وقع له فى حياته الادارية العامرة . فتبسم لى الصديق وهو يرقب القمر هادىء النظرات

ثم قال :

يرى الناس أن حوادث الاجرام التى تمر بنا متشابهة فى أكثرها لا جدة فيها ولا غرابة . وقد يكون ذلك الرأى على حق ، ولكن بين ذكرياتى حادثة تتميز عن سائر الحوادث بما كان لها من طرافة ترتفع بها عن المألوف

كنت آنئذ « حكمدارا » لمديرية الشرقية ، أقيم فى المسكن وحدى ، يخدمنى النوبى

« خير » الذى رافقنى فى كثير من تنقلاتى فى البلاد ، وقد عهدت فيــه الامانة والنشاط فحرصت عليه وبررت به . وفى يوم ما استأذننى فى أن يتغيب نهاره وليله لشأن يتعلق بعلاج زوجه ، وكانت مريضة أزمنت علتها ، وطالت شكواها .. وعاد خادمى فى الغد يعد لى الفطور ، فسألته :

ـ ماذا قال لك الطبيب يا خير ؟

فأبطأ جوابه لحظة ، وهو يتشاغل ببعض عمله ، وقال :

ـ لم نذهب الى طبيب يا سيدى

ـ فالى من ذهبت بها اذن ؟

فجعل ينظم وضع الاطباق على المائدة ، وهو يقول فى همهمة :

ـ الى الشيخ الطشطوشى يا سيدى !

ـ ما شأن الشيخ الطشطوشى بمرض زوجك يا خير ؟

ـ أنت تعرف يا سيدى أنى لم أدع طبيبا الا طرقت بابه ، وقد أرسلتنى أنت الى من تثق بهم من الاطباء مع الايصاء بى ، فلم أفز منهم بطائل كما تعلم ..

وأخذت أفت الخبز فى اللبن ، وأتناوله بملعقتى ، ثم قلت :

ـ وهل صادفت بغيتك عند شيخك الطشطوشى ؟

فاعتدل فى وقفته ، وقال فى لهجة جد ويقين :

ـ كانت زيارة موفقة يا سيدى !

فرفعت اليه بصرى أقول :

ـ هل شفى الشيخ الطشطوشى زوجك ؟

ـ لقد خفت آلام الظهر كثيرا عن ذى قبل ، ولم يبق علينا الا أن نزور الشيخ مرة أخرى فيتم الشفاء ..

فتلاعبت بملعقتى وأنا أصعد فيه النظر ، وقد سنحت على فمى ابتسامة ، وقلت :

ـ أعلى ثقة أنت بأن زوجك استشعرت فائدة حقة من هذا الشيخ ؟

فقال فى صوت ملؤه ايمان بما يقول :

ـ ثق يا سيدى ان لهذا الشيخ قوة خارقة فى شفاء المرضى .. الناس جميعا يتحدثون بكراماته !

ـ وأين مكانه ؟

ـ معتكف فى زاوية على أطراف قرية « أبى العرائس » ..

وعلمت ان القرية تنأى عن العمران فبينها وبين الزقازيق ، حيث أنا مقيم مسيرة ثلاث ساعات ، فى السيارة نصف الطريق ، وعلى الركوبة نصفه الآخر ..

وفى مدخل الليل ، وأنا أدخن لفافتى بعد أن تناولت العشاء ، أخذ خادمى « خير » يروى لى أشتاتا من أنباء كرامات شيخه « الطشطوشى » وسماحة نفسه ونبل خلائقه ، فاستثار فضولى بهذه الاحاديث ، وهو يندفع لا يمل ولا تنفد له كلمات ، وأنا أستطيب حكاياته وأنباءه وأستعيده ، اذ كنت مشغوفا بدرس نفسيات الشواذ من الناس فى هذا المجتمع ، ولى ملاحظات واحصاءات شخصية أستلهم فى شأنها تجاربى ..

فقلت لخادمى « خير » أخيرا :

ـ متى تزور الشيخ زيارتك الثانية ؟

ـ يوم الخميس المقبل يا سيدى ..

ـ ربما صحبتك يا خير ..

فنظر الى نظرة حيرة وتساؤل ، وقال :

ـ سلمت يا سيدى !.. هل لك عنده طلبة ؟

فابتسمت ابتسامة اشفاق ، وقلت :

ـ لا يخلو الجسم من علة يا « خير »

ـ أبشرك بأن الشفاء سيتحقق على يديه !

ـ سأجرب طب شيخك فى علاج قدمى ..

أنت تعلم أنى أشكو التواء خفيفا فيها ..

فقاطعنى « خير » قائلا :

ـ من جراء الحادث المعروف ، يوم خرجت تطارد نفرا من المجرمين فى بعض قرى أسيوط فسقطت عن فرسك

ـ الامر كذلك ..

ـ رقية واحدة من شيخنا الطشطوشى ستمسح عنك الألم لا محالة ..

فنفثت دخان لفافتى متضاحكا ، وقلت :

ـ على بركة الله !

وانبلج صبح الخميس ، فصحوت مع الطير ، وتنكرت فى ملابس شيخ بلدة ، وساعدنى على اختفاء شخصيتى أن بشرتى أميل الى السمرة .. واستأذن على « خير » فما أن رآنى حتى بدت عليه دهشة ، فقلت :

ـ انى لا أريد أن أكون نهب عيون الناس ..

فهمهم وهو يكتم ابتسامته :

ـ لك حق .. سعادة « الحكمدار » يقصد الى الشيخ « الطشطوشى » ليعالجه

وخرجت أطلب الطريق الى السيارة فاعترضت عينى كومة ملففة فى السواد ، لا يبدو منها الا عينان تومضان وميضا مضطربا .. فربت كتفها وقلت :

ــ كيف الحال يا حاجة ؟

فتمخضت الكومة عن صوت هزيل مرتجف يقول :

ــ الحال على ما يرام ببركة الشيخ الطشطوشى !

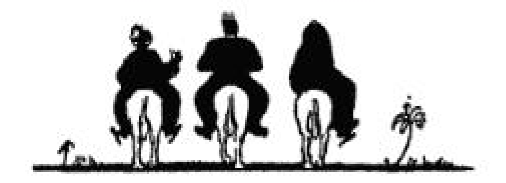
ثم جعلت تتمتم بأدعية وصلوات ..

وجاء « خير » فأخذ بيد زوجه ، وتبعانى الى السيارة فصعدنا فيها جميعا وأبت الكومة الا أن تقتعد أرض السيارة أمامى ، على حين جلس زوجها بجوارى متضائلا منكمشا فى جلبابه القشيب

وانبعثت السيارة تطوى الطريق ، متجهة الى « كفر صقر » والكومة السوداء أمامى صموت تهتز كأنها صرة ملقاة ..

وكان يقطع السكون بين فينة وفينة حديث « خير » فى اطراء الشيخ « الطشطوشى » ورواية ما يتناقله الناس فى شأنه من عجائب الاقاصيص فهو صائم الدهر فنوع لا يطعم الا ما يمسك رمقه ، ولا يدخر من قوت ولا مال ، بل يجود بما يتجمع لديه من الهدايا والصلات على من يلوذون به من البائسين وذوى الخصاصة . وهو يعتكف ستة أيام من الاسبوع فى زاوية مغلقة عليه لايفتحها أحد ، يقوم فيها الليل متهجدا يصلى ويقرأ ويبتهل ، حتى اذا كان يوم الخميس فتح باب الزاوية لقاصديه وزواره ، وجلس اليهم يعالج من شئونهم ، ويدعو الله لهم ، ويمنحهم الخير والبركات ..

وكان « خير » كلما أكمل جانبا من حديثه نظر الى الكومة السوداء ، فاذا بها تومىء برأسها ايماءة التصديق وهى فى صمتها مسترسلة . وما ان وصلنا الى « كفر صقر » حتى أكترينا حميرا ثلاثة أقلتنا تمشى الهوينا مخترقة المروج والحقول فى ليات من الطريق عسيرة . ومما زاد من وعثاء الطريق وقد القيظ ، فقد آذتنا لفحات الشمس



وكنت فى أثناء السير أسرح بفكرى فيما سأصادفه عند الشيخ ، مما يعيننى فى بحوثى النفسية التى شغفتنى حبا ..

ولاحت لنا مشارف قرية « أبى العرائس » فأشار « خير » الى مبنى صغير ناصع البياض تلتف به شجيرات عجاف ، وقال :

ــ تلك هى الزاوية ..

فاتجهنا صوبها ، فلمحت زرافات من الناس بين جالس بالباب وبين مطيف بالزاوية وبين منصرف عنها أو مقبل عليها .. ونزلنا عن المطايا ، وخطونا الى الباب ، ونحن نفسح لنا منفذا بين الجمع ، واستطعنا أن نلج الزاوية ، فاذا برحبتها تزخر بالقصاد والاتباع : أشياخ تتحامل على عكازاتها فى مشقة وعناء ، ونساء يحملن أطفالهن المهازيل فى تلهف وحنو ، وضروب من الناس هذا قد عصب بمنديله رأسه ، وذلك قد لف بالضمادات ذراعه ، وتلك تسبل على عينيها الرمداوين خمارها تحاول شق طريقها فتتخبط . ولم يرعنى فى ذلك كله الا مسحة البشر والأمل تفيض بها تلك الوجوه التى قدمت تلتمس البرء من أدوائها ، أو لتوفى بالنذر جزاء ما لقيت من شفاء ..

وكان المكان رطبا شحيح الضوء أحسست فيه برد الراحة من لفحات الطريق ، وعلى الرغم من تكاثر الناس فيه وازدحامهم به كانت تغشاه سكينة طيبة وهدوء محبب يبثان فى النفس أمنا وطمأنينة . فلم يكن يطرق سمعى فى الزاوية الا همهمات يلقى بها بعض الى بعض فى تهيب وخشية ، والا دعوات الى الله أن يمد فى عمر الشيخ ويديم على السائلين نفحاته الزاكيات !

وكان « خير » وكومته السوداء يتقدمانى ، فما أن مشينا بضع خطوات حتى انفرجت ثغرة رأيت فيها قبرا ظاهرا يبرز منه شاهد بعمامة خضراء ، وعن كثب من القبر مصطبة يتربع عليها شيخ يرتدى البياض الناصع كبير العمامة فضفاض الجبة فى يده مسبحة غليظة الحبات تملأ حجره .. وكان صبيح الوجه ، براق النظرات ، تتهدل لحيته الشهباء على صدره فى مهابة ووقار .

وتدانينا من مجلسه بخطى هينات ، ثم اتخذنا مكانا على مقربة منه نرتقب نوبتنا فى الجلوس اليه .. وغمز لى « خير » بعينه يشير الى القبر ، وهمس فى أذنى يقول :

ـ انه مثابة الشيخ ... يقضى فى غيابه جل وقته !

وبقيت لحظة أردد الناظر متعجبا بين الشيخ والقبر .. وبعد قليل وجدتنى أركز بصرى فى وجه الشيخ ، وأطيل التحديق فى عينيه . وأطرقت أسائل نفسى : « ألى بهاتين العينين سالف عهد ؟ »

ثم رفعت بصرى أعاود التحديق فى وجه الشيخ ، ووجدتنى أتلفت حولى فأرى اتباعه قد تعلقت نظراتهم بوجهه كأنما وصلتهم به أسلاك .. وقد كانوا يرهفون اليه السمع فاغرة أفواههم فى تطلع واجتلاب ، والشيخ يلفظ كلماته رخية فى غنة عذبة وهو يرقى مرضاه ويمسح على رؤوسهم فى تحنن واشفاق . وبين حين وحين ألحظ يده قد امتدت فى خفية ومسارقة الى بعض قاصديه المعوزين يبرهم بالعطايا فى صمت وسكون .. وعدت أتطلع الى الشيخ أرقب نظراته الثواقب ، وامتد بى التطلع والارتقاب ، وشرد ذهنى يتصفح سوالف الذكريات ..

وبغتة سمعت الشيخ يقول :

ــ تقدم . . ما عليك بأس . .

وأقبلت عليه ، واتخذت مجلسى قبالته ، وتلاقت نظراتنا ، ولبثنا وقتا يرنو كل منا الى صاحبه صامتا . . أثمة اختلاجة طرأت على قسمات وجه الشيخ ؟ . . وشاهدت ابتسامة خفيفة تعبر فمه . . أهى ابتسامة غامضة يحاول بها الشيخ اخفاء بعض مشاعره ؟ ورجعت الى نفسى أسائلها : أعلى يقين أنا من أنى لم أشهد هذا الوجه قبل الآن ؟

وانبهتني غمزة غمزنى بها « خير » يشير الى أن أتقدم . وسمعته يقول للشيخ :

ــ ان صاحبى يشكو قدمه ، وقد جاءك يلتمس الشفاء على يديك !

ومددت للشيخ قدمى ، وأنا أهمهم :

ــ منذ أعوام سقطت عن فرسى سقطة ما زلت أجد ألمها فى قدمى حتى اليوم

فمد الشيخ يده ، وتمتم قائلا :

ــ ستشفى باذن الله . .

ثم شرع فى رقيته بهادىء الملامح فى صوته الاغن المعهود ، وما ان انتهت رقيته حتى قال فى نبرات واضحة :

ــ الشفاء منك قريب ، والله على كل شىء قدير . .

ثم أسبل جفنيه ، وكأنما قد غشيه سبات فجذبنى « خير » وهو يقول :

ــ ضع تحت منديل الشيخ ما تجود به نفسك ؟

فأخرجت قطعة من النقود ، ودفعتها تحت ذلك المنديل الاحمر المبسوط عند قدمى الشيخ . ونهضت الى الباب تاركا « خير » والكومة السوداء يقضيان مأربهما عند شيخ الزاوية . .



وخرجت أتفيأ ظل شجرة اجتمع تحتها لفيف من زوار الشيخ يتحدث بعضهم الى بعض ، فجلست قريبا منهم ، وبادلتهم تحية بتحية ، وخضت معهم فى الحديث ، وجعل كل منهم يروى لرفقته غرضه من الزيارة وما أصاب على يد الشيخ من بركة وخير . وسمت نفسى الى أن أتعرف شأن الشيخ كله ، فرحت أسائلهم عن نشأته وحياته ، فانطلق أحدهم يروى حادثا عجيبا وقع منذ عشر سنين ، وذلك أنه كان غير بعيد من القرية قبر متهدم

مهجور لولى من أولياء الله اسمه الشيخ « الطشطوشى » لم يكن يقصد الى زيارته الا نفر قليلون من أهل القرية وما حولها . واتفق يوما أن مر وقت الظهيرة بجانب القبر فلاح مريض نهكته العلة ، وكان الاعياء قد بلغ منه مبلغا ، فأراد أن يتقى لفح الهجير وينعم بقسط من الراحة ، فأوى الى ظل شجيرة خاوية عن كثب من الجدث . وما هى الا أن سمع حركة تضطرب فى أغوار القبر ، فانتفض مذعورا وهم بالهرب ، ولكن تخاذلت قواه ، وسرعان ما أطل رأس من فوهة القبر ، فما كاد يرى الفلاح أمامه حتى اختفى فى مستقره عائدا ، فجمد الرجل المريض مذهولا ، وأراد أن يستصرخ فاختنق صوته فى حلقه ، وتسمرت قدماه فلم يستطع حراكا ، ومرت به فترة كان فيها مأخوذا . وسنحت بخاطره أسطورة كان قد سمعها فى حداثته من عجائز الحى ، وهى أن الشيخ «الطشطوشى» يبعث كل خمسين سنة مرة ، وأن من يسعد برؤيته فى مبعثه ينال ما يطمح اليه هواه ، فأحس بشىء من الطمأنينة والامن يسرى فى أوصاله ، وتطلع الى القبر طويلا ، وبدأت شفتاه تختلجان بألفاظ مضطربة وامتد به الوقت وهو يغمغم ولا يكاد يبين . ولكنه بعد حين ألفى نفسه يرسل الصيحة عالية يقول :

ــ يا ولى الله يا ملاذى ، فرج بحق المصطفى كربتى !

ولبث ينتظر وعيناه لا تفارقان فوهة القبر ، وعاد يتضرع مستنجدا فى تذلل وتخاضع ، قائلا :

ــ بحق المصطفى لا تخيب رجائى ، أنلنى ما أبتغى ، وأشرق بنور طلعتك على !

واندفع فى توسلات متواصلة فى حرارة وعمق ، فألفى القبر يضطرب وما هى الا أن تثاءبت فوهته عن وجه الشيخ ، وشاع الصمت برهة ، والرجل يتطلع الى الشيخ جاثيا . وأخيرا تكلم الشيخ فقال :

ــ ماذا تريد منى يا عبد الله ؟

فهمهم الرجل وقد حسر بصره :

ــ أنلنى بركتك وأبرئنى من علتى !

فتمتم الشيخ بكلمات غوامض ، وقد لوح بيده فى وجه الرجل يمنة ويسرة ، ثم تضاءل وتراجع حتى انطوى خلف الرجام .. فمكث الرجل وقتا ، لا يريم مكانه ، ولا يحيد ببصره عن فوهة القبر ، وهو يرهف السمع ، ولكن الصمت كان قد خيم وشاع .. وهم الرجل بالقيام ، فآنس من نفسه فورة قوة ووفرة نشاط ، واذا به يجد ألم العلة قد تزايل حتى كاد لا يكون له أثر . فهرول نحو القرية ، وفاض سره عن حنايا صدره ، فانطلق يروى ما جرى له فى حمية وحماسة وايمان ، حتى لقد ذهبت به ظنون سامعيه كل مذهب ، وحسبوه قد مسه خبال .. ولم تمض أيام حتى شاع فى القرية أن الشيخ « الطشطوشى »

قد انبعث من قبره وتمثل للناس بشرا حيا ، وتحققت الاسطورة فى مبعث الشيخ كل خمسين سنة مرة .. فلم تتوال أيام حتى كان القبر مزار الافواج صباح مساء ، والشيخ يخرج لهم الفينة بعد الفينة يمنحهم البركة ويطلب لهم من الله تحقيق الرغاب .. وكان بعد ذلك أن أقيم بناء الزاوية حول القبر ، وأصبح للشيخ مكانة يتناقل الناس أخبارها فى القرى دانيها وقاصيها ..

وما كاد محدث الجمع يصل الى هذا من حديثه ، حتى بدا أمامى « خير » وزوجه وهما فى نشوة من الابتهاج تلتمع أعينهما التماع التفاؤل والاستبشار . وقصدنا رباط المطايا ، واعتليناها عائدين .. وفيما كنا نقطع الطريق كان « خير » مسترسلا فى ثرثرة مختلطة من الاسئلة والاحاديث لم ألق لها بالا ، اذ كنت فى واد آخر من الاخيلة والتصورات .. حتى وصلنا الى « كفر صقر » فنزلنا عن المطايا لنركب السيارة ، وسألنى خير وهو منكمش فى ركنه ، والكومة السوداء ملقاة تهتز بين قدميه :

ـ ألم تشعر بفائدة يا سيدى ؟

فقلت على الفور وأنا تائه النظرات :

ـ حقا ان شيخك لرجل مبارك !

فصاح « خير » فى اشراق :

ـ ألم أقل لك ذلك يا سيدى ؟ .. ربما كفت زيارة واحدة ، فان لم تكف فان زيارة ثانية لا تدع للألم موضعا

ولما بلغنا الدار ، وأخذت أخلع ملابسى ، تمثلت لعينى صورة الشيخ لا تبرح .. لقد رأيت هذا الوجه لا ريب .. أين ؟ .. متى ؟ .. ومضيت أستذكر .. أممكن هذا ؟ ..

وما كادت تسنح الشبهة فى خاطرى حتى أقبلت على أوراقى القديمة أفتش فيها عن مذكرات كنت أسجل فيها ما يعرض لى فى عملى من حوادث ذات شأن .. واندفعت أقلب الاوراق وأقرأ ، حتى عثرت على ضالتى ، فانكببت أتفحص وأدقق ، واستخرجت اضمامة من الصور ، وسبحت عينى بين محتوياتها حتى استقرت على صورة لم ألبث أن انتزعتها من الاضمامة ورحت أتأمل سيماها فى جد وتحقيق ، وأنا أوازن بينها وبين صورة شيخ الزاوية .. وطال ترددى بين تصفح الأوراق ومطالعة الصورة وعرض الذكريات وتمثل الشيخ فى مجلسه ..

وأمضيت أياما لا يفتر اهتمامى بهذا الامر ، فرأيت أن أبث العيون فى قرية « أبى العرائس » يستطلعون خبر الشيخ ويسبرون غوره خفية ، وكذلك أرسلت فى طلب بعض ملفات من مديرية « أسيوط » ، خاصة بحادث « العصلوجى » أحد المجرمين الذين اشتبكت معهم فى موقعة دامية منذ عشر سنوات ، كان من أثرها أن اعتلت قدماى ..

وسهرت ليالى أراجع الاسانيد ، واستمع الى ما تأتينى به العيون من أنباء شيخ الزاوية. وكنت كلما تعمقت فى البحث قويت ظنونى حتى أوشكت أن تبلغ ذروة اليقين . . وكنت بين آن وآن أسائل نفسى وأنا أستعيد فى مخيلتى صورة الشيخ : أحق ان وجهه اختلج بعض اختلاجات حين وقع بصره على ؟

وترادفت الايام ، فاذا بى أنتهى فى هذا الشأن الى رأى طبت به نفسا ، وذلك أن ولى الله الشيخ « الطشطوشى » وطريد العدالة « العصلوجى » اسمان على مسمى واحد !

وكنت أعجب أشد العجب ، كيف تسنى لذلك الجانى الاثيم الذى نشر الفزع والرعب حقبة مديدة فى قرى الصعيد أن يسخر من عقول الناس ؟ وكيف تيسر له أن يفر من موطنه ويأوى الى تلك القرية عشر سنوات طوال دون أن يفطن اليه أحد ، وقد غدا قديسا يتوسط بين الله وعباده يدر عليهم البركات ؟!

وضربت المائدة بيدى ، وقمت واقفا وزهو الانتصار يتلألأ فى عينى ، وقد امتلأت غبطة بأنى على وشك أن أضع يدى على ذلك الاثيم الذى طالما نشدته فى كل مكان وبذلت أقصى مجهودى فى هذا السبيل حتى كدت أدركه . ولكنه أفلت ساخرا من يدى ولاذ بالفرار

ودبرت الخطة التى أبلغ بها غايتى

وفى صباح يوم الخميس أعددت العدة لامرى ، وخرجت متخفيا فى زى شيخ من مشايخ البلاد ، فلقينى بالباب « خير » ، وقال لى :

ـ يبدو لى أنك غاد لاستكمال شفائك عند الشيخ . .

فقلت :

ـ الامر كذلك ، وأرجو أن تكون هذه هى المرة الاخيرة التى احتاج فيها الى زيارته

ـ ألا أرافقك ؟

ـ أفضل أن أذهب وحدى . . لقد عرفت الطريق يا خير . .

وصعدت فى السيارة قاصدا « كفر صقر » فلما وافيناها ركبت مطية الى قرية « أبى العرائس » فبلغت الزاوية فى رونق الضحا ، وحثثت خطاى نحو المبنى الابيض وحوله شجيراته العجاف . وتبينت عيونى منبثين فى أرجاء البقعة مندسين فى غمار الزوار . . ودنا منى ملاحظ الشرطة فى لبوس التنكر وهو يهمس قائلا :

ـ كل شىء معد . . ثق أن غريم العدالة لن يجد طريقا الى الخلاص !

فألقيت اليه ببعض أوامرى ، فانصرف عنى ، وتحسست مسدسى لاتحقق منه فى مستقره . وكانت الزاوية على المألوف : تموج بالمريدين والاتباع ، أفواج تذهب وأفواج تؤوب ، فمرقت داخل الزاوية ، واتخذت مكانى بعيدا من الباب ، أرقب الشيخ دون أن تقع عينه على . وهو على مصطبته مهيب الطلعة تحف به جلالة ووقار ، وأطلت التحديق

فيه أحصى عليه حركاته ، وأتفحص سماته . وعجبت : كيف اكتسب ذلك الانسان الاثيم هذا الطابع الرائع من التقى والورع ؟ ومن أين له هذه الهالة من الخشوع والمهابة ؟ انى لاكاد أنكر يقينى وأكذب عينى فيما أعرفه من هذا الجبار العنيد الذى أعيا رجال الامن خبثا وشرا .. لقد كانت عيون الناس محيطة به كأنما شدت اليه بأمراس تستلهم منه الراحة والطمأنينة ، وانه ليتلقاهم بنظراته التى تشع رحمة وحنانا ، ويغدق عليهم أحاديثه التى تقطر وداعة وطيبة واخلاصا . ها هو ذا لا يكاد يمس بأنامله مكلوما يئن من فرط آلامه حتى يعود ذلك المكلوم شخصا تفتحت الدنيا أمام ناظريه فى نضرة واشراق .. وهأنذا كلما تلفت حوالى هالتنى دموع السرور والاغتباط تفيض بها عيون الامهات وهن يضممن الى صدورهن فلذات أكبادهن التى نالت من نفحات الشيخ نعمة الشفاء .. لقد أحسست أن كل قلب فى هذه البقعة يخفق بالحب والولاء ويدين بالفضل واسداء الجميل لذلك الشيخ الصالح الذى يمثل الخير المحض فى صومعته المنعزلة عن عالم الشرور والآثام .. أفى مكنة امرىء أن يرتاب لحظة فى صدق طوية هذا الرجل ونقاء سريرته ؟

وأزف وقت العمل المدبر .. فكان على أن أدنو من الشيخ لاحظى منه برقية تشفى قدمى ، على حين يقف ملاحظ الشرطة خلف الشيخ فينقض عليه وهو يتمتم برقيته حين أرسل بيدى اشارة خاصة اتفقنا عليها ..

وتقدمت بضع خطوات ، ثم وجدتنى أتوقف ، ثم استأنفت سيرى ، وكانت خطواتى ثقالا وئيدة ، وكنت أردد الطرف حولى تطالعنى دائما تلك الوجوه الآمنة المطمئنة ، وتلك الثغور الباسمة المستبشرة ، فاذا بخطاى تزداد تثاقلا ..

وألفيتنى بعد فترة قبالة الشيخ ، وهو ينظر الى فى هدوء ، وقد ارتسمت على فمه ابتسامة لا تخلو من غموض

وطالت وقفتى وأنا حيران الفكر مشتت الخاطر تغتالنى الشكوك ، ولمحت الملاحظ يستعجلنى فى انجاز مهمته ، وسمعت الشيخ يقول بنغمته الرتيبة ذات الغنة العذبة :

ــ تقدم .. تقدم ..

فشخصت اليه بعينى ، وتلاقت نظراتنا وقتا ، ثم أحسست بنفسى أغض من بصرى . وسمعته يقول :

ــ تقدم .. شفاؤك مكفول باذن الله !

وجلست أمامه ، فانطلق يتمتم برقيته ويده تلوح على قدمى .. ومكثت مطرق الرأس خافض البصر غريقا فى أخيلة غريبة كأننى فى غمرة الاحلام ، أتساءل : كيف تكون هذه القرية السعيدة بعد أن يرحل عنها وليها الطيب ؟!

وما ان فرغ الشيخ من رقيته ، حتى وجدتنى أخرج من جيبى قطعة النقود وأدسها تحت منديله المبسوط كما فعلت أول مرة

ونهضت عن مجلسه متخذا طريقى الى الباب . وما كدت أصل اليه حتى شعرت بيد تجتذبنى ، واذا بالملاحظ يهمس فى أذنى ملهوف النظرات :

ـ ماذا جرى ؟ ماذا جد فى الامر ؟

فقلت له وأنا أنظر أمامى نظرات شاردة :

ـ خفف من حدتك .. الامر يتطلب التريث !

وبدأنا سيرنا والملاحظ تضطرب زمجرته المكبوتة على شفتيه، فسمعته يقول بعد خطوات:

ـ هذا المجرم .. هذا المحتال .. كيف تمهله ؟

فأمسكت بيده ، وقد قاربنا رباط المطايا ، وقلت له :

ـ أشعر بأننا كنا على وشك أن نقع فى خطأ جسيم !

ـ كيف ؟ كيف ؟

فضغطت يده ، وقلت :

ـ سأشرح لك الامر جليا ..

وفطنت فى هذه اللحظة الى شىء راعنى حتى أذهلنى : انى أسير على قدمى دون أن أحس ذلك الألم الذى لازمنى عشر سنوات ! .. يا لله ! .. كيف فاجأنى هذا الشفاء ؟ .. وأردت أن أستوثق ، فجعلت أغدو وأروح ، وأضرب الارض فى مسيرى ، فما وجدت للألم من أثر .. وكان الملاحظ ينظر الى حائرا يستبد به العجب ، فألقيت يدى على كتفه، وقد تطلقت أسارير وجهى ، وفاضت بالبشر عيناى وقلت له فى ابتهاج :

ـ انظر .. انظر .. لقد نلت من بركة الشيخ أوفر نصيب !

محمود تيمور



مفاجأة !

بقلم الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

وقفت الفتاة وفى يسراها حقيبتها ، وعلى كتفيها معطف قديم الا انه غير رث ، وقالت للبواب الذى نهض لها وبين يديه السبحة :

« بيت محمود بك ؟ . . »

فهز رأسه ـ أو عمامته الكبيرة المكورة ـ وقال « نعم ، يا هانم »

قالت « اذن أدخل هذه الحقيبة ، أو ناد أحد الخدم »

ووضعتها على الارض ، ودخلت ، وتركته مترددا : أيترك الباب أم ينتظر حتى يظهر خادم ؟ ومن هذه التى لا تخبر عن نفسها ، وتدخل كأن هذا بيت أبيها ؟ وهز رأسه بضع هزات أخرى ، وحمل الحقيبة ، وحطها وراء الباب من الداخل ، وعاد الى دكته . ولماذا يكلف نفسه ما لا يدخل فى عمله ؟

وقالت الفتاة لاول من لقيته من الخدم : « أين الصالون ؟ »

قال : « تفضلى يا هانم » ومضى أمامها مهرولا ، ودفع مصراعى الباب وارتد . ووقف فقعدت فى الصدر وقالت : « عند البواب حقيبة ، هاتها . ثم أخبر سيدك البك ان احدى قريباته تنتظره هنا . واذا سأل عن اسمى فقل له سنية . . . »

« حاضر يا هانم »

وادارت عينها فى الحجرة ، فرأت أثاثا وثيرا ، ومظاهر سعة ونعمة ، ووقعت عينها على صورة ـ على صفة ـ فى اطار فضى ، فأقبلت عليها تتأملها ، من قريب ومن بعيد ، ونظرت الى نفسها فى صقال مرآة ، وجعلت تنقل عينها من المرآة الى الصورة ، ومن الصورة الى المرآة ، ثم تنهدت ، وهمت بالرجوع الى مقعدها ، واذا بالخادم يدخل ويقول : « قهوة ؟ شاى ؟ »

« لا شىء ؟ ماذا قال البك ؟ »

« دقيقة ويحضر »

« طيب ، هات ماء من فضلك ، وشكرا لك »

« ماء ؟ فنجان شاى أحسن ! »

« لا ، لا شىء ، ماء فقط »

« امرك يا هانم »

وانصرف ، وعادت الفتاة الى الصورة والمرآة ، وانها لتنقل عينها بينهما واذا برجل ربعة أبيض الشعر فى ثياب أنيقة ينقر على زجاج الباب ، ويدخل ويقول :

« اهلا وسهلا » ويمد يده وعلى فمه ابتسامة الترحيب ، ولا يكاد يصافحها وتأخذ عينه وجهها حتى يقرها بالنظر ثم يسألها :

« معذرة ، ولكن من أنت ؟ »

« سنية » « سنية من ؟ بنت من ؟ »

« بنتك » « بنتى أنا ؟ »

« نعم بنتك ، وان كنت لا تدرى ان لك بنتا »

« ابنتى التى لا أدرى ..؟ لست فاهما »

« معذرة، فقد فارقتك أمى وهى فى شهور الحمل الاولى ، وأبت ان تطلعك على سرها المضمر لانها عرفت أن قلبك الى غيرها بالحب ، فاستكبرت ان تتألفك بمكنون سرها ، ثم كان ما كان من الطلاق الى آخره »

« صحيح .. ولكن .. »

« اذا كان الشك يخالجك فهذا خاتم خطبتها ، وهذا سوار كنت أهديته اليها ، وهذا كتابها الذى تركته لى ولم أقرأه الا بعد موتها »

« هل ماتت ؟ »

« منذ ثلاثة شهور .. ولولا ذلك ما عرفت ان أبى على قيد الحياة »

« مسكينة ! رحمة الله عليها ! لقد رجوتها والحفت فى الرجاء أن تراجع نفسها ولكنها أبت كل الاباء ، ولم أر لى حيلة الا أن أجيبها الى ما طلبت ، ولكنى شقيت . أما لو انها غالبت نفسها وصبرت ! اذن لسعدنا معا . فما كان ذاك الذى توهمته هى — وأنا أيضا — حبا لغيرها ، الا فتنة عارضة »

« الا تقرأ كتابها ؟ »

ودفعته اليه ، فقعد على كرسى قريب ، واشار اليها فجلست ، وأخرج الكتاب من الظرف ، ولكنه لم يزد على تأمل الخط ، ثم رده اليها وقال : « ليس لى حق .. »

قالت : « اذن اسمح لى أن أتلو عليك منه فقرات »

قال ، ورفع يده كأنما يحاول أن يصدها : « كلا .. ويحسن أن تظل هذه الذكريات الأليمة مطوية »

فوثبت الى قدميها كأنما كان قد وخزها بذبابة سيف . وقالت : « اذا كانت ذكراها تؤلمك الى هذا الحد فلا بقاء لى هنا »

فخف اليها ، وتناول كفيها وابتسم لها — فى عينيها — وقال : « عفوا يا .. حتى اسمك

ينقصني أن أحفظه .. ان الألم مبعثه ان فراقها أشقاني : وانت أيضا ينقصك ان تعرفيني. فانك مفاجأة لى ، بل مفاجآت ، وأنا أيضا مفاجأة لك .. لم يكن يدور لى فى خاطر ان لى بنتا .. ثم انك تقدمين وقد شببت عن الطوق جدا .. سبعة عشر عاما .. أى نعم .. تصوري .. لم يكن لك وجود فيما أعلم كل هذا الزمن .. واذا بك امامي بغتة .. شابة ممتلئة .. حتى لست أدرى كيف أخاطبك .. لساني لم يتعود شيئا .. وقلبي لم يعرف قط شعور الابوة .. اعذريني .. فقد خبت خيبتين .. واحدة حين فارقتني أمك ، برغمي ، والثانية حين تبينت انى مخدوع فيما توهمته حبا جديدا ، وقد وطنت نفسي بعد ذلك ورضتها على الحرمان فسكنت ، أو على الاقل خيل الى انها سكنت واطمأنت ، لانعدام ما يحركها ، ولاعتقادي ان امك ما فارقتني الا عن قلى ، واذا بك تجيئين ، واذا البحر الساكن قد انقلب لجة طامية مزبدة .. أفلا تفسحين لى فى الوقت حتى يتسنى لى أن أعود الى السكينة ؟ »

فقالت وهى ترتد الى مقعدها على مهل ، ورأسها مثنى على صدرها : « أنا أيضا فوجئت. فقد أخفت عنى انك حى ، وكان كل انسان يعتقد انها أرملة ، حتى وهى تجود بانفاسها لم تخبرني بالحقيقة ، واكتفت بأن تقول انها تركت لى صندوقا صغيرا فيه رسالة يحسن أن اقرأها بعناية . وفى هذه الرسالة توصيني بأن اجيء اليك ، وتقول لى انها بقيت على حبك الى اللحظة الاخيرة ، وانها ما فارقتك الا من فرط حبها لك ، وانها لم تطق أن يكون لها شريك أو مزاحم . أليست هذه كلها مفاجآت لى ؟ أتستخف بأن اجيء اليك وأنا لا أدرى كيف أجدك ، ولا أى أب يمكن أن تكون لى ؟ ولكني أطعتها لانها كانت تحبك ، وارادت أن تجمعنا ، وقد يسرك ان تعلم انها كانت حسنة الظن بك ، وانها كانت واثقة انك لم ترتكب اثما ، وانما عجز قلبك عن مقاومة الفتنة ، وكل ما فى الامر انها لم تصبر »

فانحط الى جانبها على المقعد ، ووضع يده على كتفها وقال : « لقد رعتني يا فتاتي حين رأيتك .. شعرك شعري .. ومعارف وجهك هى هى معارف وجهي .. لا يكاد يكون فيك من امك مشابه ، وقد كنت أفضل أن تكونى اشبه بها ، ولكني احسب ان الله قد أراد أن استرد شبابي فى شخصك .. وكنت أظن انى سأحتاج الى رياضة جديدة لنفسي حتى اعتادك ، ولكني أحس الآن كأنى حملتك على ذراعي هاتين وانت طفلة رضيعة . والحمد لله الذى جاد بك على ، فقد كان عودي يجف شيئا فشيئا ، وكنت احس ان حياتي فارغة ، وانه لا غاية لها ، فالآن سيخضر العود الذى كاد ييبس ، وقد امتلأت الحياة وصار لها غاية .. »

وتناول راحتيها ، ورفعهما الى صدره . ولبث هكذا هنيهة ، ثم قال : « الآن قومي معي لاريك بيتك .. وادلك على غرفتك .. التى كانت غرفتها .. كلا .. لم يستعملها أحد غيرها »

ابرهيم عبد القادر المازني



بقلم الأستاذ سليمان نجيب بك

نحن فى شتاء سنة ١٩٤٢ . ظلام الحرب الدامس يغمر القاهرة . وأوامر الحاكم العسكرى تزيد الانفاس ضيقا ، وتكبت المرح فى نفوس هذا الشعب القاهرى المتوكل على الله . هذه الغارات التى أقلقت منامه ، وأجبرته على أن يسارع الى المخابىء متذمرا من برد الليل وخطر الموت، ولكنها لم تنسه المزاح والتنكيت. فقد سمعت أحدهم وهو فى الخامسة والستين يحاول تثبيت طقم أسنانه ، ثم يقول لجاره الايطالى العجوز أثناء غارة شديدة :

ـ وبعدها فى الراجل موسولينى بتاعكم .. فهمه انه يرجع عنا أحسن له .. وشرف أقل واحدة من محاسيب أهل البيت تنضب عليه تجيب له الكافيه وتخلى يومه اسود

... وأصبح الصباح عقب ليل أسود ، طمست قمره آخر ليالى الشهر العربى ، وتجاوبت فى أجوائه صفارات الوقاية ومدافعها وقنابل الطائرات

ودخلت غرفة الافطار فى بيت الامتياز بالقصر العينى لاشرب قهوتى وأسمع الاخبار من أصدقائى وأولادى الاطباء ، فما حالت رتبتى ولا رئاستى دون أن أعاملهم كزميل . وأنا فرح بهذا وفخور بهم . ودخل فى اثرى الدكتور شوقى فلفت نظرى ما قرأته على وجهه البرىء براءة الطفل من مظاهر القرف والمضايقات .. جلس وتنهد وتبرم فنظرت اليه قائلا :

ـ خير يا دكتور شوقى . مالك الدنيا بخير ؟

ـ بخير نعم ولكنى متضايق . قرفان . يائس

ـ مجبتش حاجه من عندك . انت تقريبا دايما كده

ـ كده أو مش كده ، تعليقات سعادتك لها كل احترامى ، ولكنى لا اسمح أبدا ان أكون موضوع تعليقات زملائى ونكتهم. . ان اعصابى تكاد تنفجر

وقمت من مكانى فجلست بجانبه ووضعت يدى على يده بحنو الأب قائلا :

ـ عالج مضايقاتك هذه بالهدوء وسعة الصدر . ولكن لا تحلم باجازة الآن فنحن أمام حوادث جبارة تحتاج الى مجهودنا جميعا

وابتسم زملاؤه واخوانه ناظرين اليه . الى هذا العملاق الذى كان الى ثلاث سنين مضت يقود فريق الكرة فى كليته وفى النادى الاهلى ، وكيف لعبت هذه الصفة دورها فى نجاحه كطبيب . لم يكن ينتظر زميل من اخوانه ولا أنا كاستاذ أن يكون شوقى جراحا

عبقريا ولكن هذا الطفل الضخم الذى قاد فريقه دائما الى النصر ، أوصله خلقه الرياضى وثباته وثقته بنفسه الى دبلوم الطب ودرجة الامتياز . وصل اليها كما قال لى مرة : « بتاكتيك السنترهاف باك » وهو المركز المعروف فى فريق الكرة بأنه مدافع مهاجم فى آن واحد ، والتفت الى قائلا :

ـ يا سعادة البك أنا لا اعرف اللف والدوران . لو كنت فى حاجة الى اجازة لطلبتها . ولو انى لا انتظر عطفا من جزارين كهؤلاء ـ وأشار الى زملائه وهم بين مبتسم ومقهقه

ـ اذن كن صريحا وقل لنا ما يتعبك وليس بيننا غريب أنا كأخيك الاكبر وهؤلاء كأخوتك وزملائك

ونظر الينا ونيته السليمة تتجلى على ملامح وجهه . نظر كأنه يختبر الجو والاسماع التى سيفضى اليها بسره وبكل بساطة قالها . كلمة واحدة

ـ امرأتى

وتعالت الضحكات والتعليقات ، ووقف شوقى ، وبنظرة واحدة اسكت المجموعة كلها وهو يقول :

ـ ولا كلمة اتفهمون أيها الحمقى وغير المهذبين . ولا كلمة حتى تتزوجوا ، وكلكم عازب . ولا كلمة حتى أراكم مثلى « نوباتشية » تقريبا مستمرة هنا ، وزوجاتكم يسكن هناك فى مصر الجديدة عرضة للغارات كل ليلة . حينذاك لكم ان تتكلموا فأرثى لكم وأشاركم آلامكم . وأهدىء من ثورة أعصابكم

ونظر اليه زميله الدكتور حلمى قائلا ان شقيقاته ووالدته بالاسكندرية ، وهى هدف المحور كل ليلة ومع ذلك فهو هادىء مطمئن . وعلق الدكتور شكرى قائلا :

ـ يا أخى عزبة فى قليوب وبيت ريفى لطيف ولا ترسلها الى هناك . ليه ؟ ارسلها فتهدأ هى ونستريح نحن من ثورة أعصابك

وانتهت فترة تناول القهوة ومضى كل لشأنه وواجبه والتقيت قرب الظهر بشوقى خارجا من غرفة العمليات فأخذنى جانبا وهو يقول :

ـ انك استاذى وأخى الاكبر . شكرى كان محقا فى اقتراحه فالواجب أن « اشحنها » الى قليوب وفيفى (اسم زوجته) تجلك وتحترمك . انها لا تريد ان تفارق القاهرة . لقد رفضت اقتراحى بالسفر الى العزبة . وانت خبير بهذا العالم ، عليم بالطرق التى تقنع هذا الجنس اللطيف . فهل لى ان أرجوك ان تكون معى لتتولى اقناعها فنصل الى حل

وقبل أن أعرف ما أنا قادم عليه وجدت نفسى « محشورا » فى مشكلة شوقى ومدام شوقى . ست فيفى الجميلة . أقول هذا رغم الشيب الذى يعلو رأسى والسن التى تقدمت بى ، فهى تمثل الجمال المصرى بأتم معانيه . عيون حباها الله السحر . ووجه حلو ترتاح للنظر اليه من أية زاوية . وقوام تحسدها عليه نجوم هوليوود . ورأس توجه الله بشعر من النوع الاكسترا . واحبت شوقى واحبها لانها من زائرات النادى الاهلى فى مبارياته

واجتماعاته . وتزوجها وهو لا يملك الا شبابه ومهنته الشريفة وهى صاحبة مائة وخمسين فدانا وبيت ريفى فى قليوب ورثتهما عن أبيها

وقالت له بعد ان اقنعتها بحديث أبوى طويل :

ـ أهكذا ولم تمر سنة على زواجنا نفترق . أنا فى العزبة وحيدة وأنت فى بيت الامتياز؟

ولكنى تداخلت قائلا :

ـ تأكدى يا ست فيفى أننى رغما عن الحرب وأوامرها ونواهيها وغاراتها فسأرسله اليك ليقضى أكثر من أربع وعشرين ساعة كل اسبوع . فسافرى وسافرى مرتاحة . قولى له ذلك .. لانه اذا اقتنع نجحت جميع عملياته ، وملأ القصر العينى وبيت الامتياز بالحبور والضحك

***

وسافرت فيفى ورأيت شوقى ثانى يوم وقد عادت اليه طبيعته المرحة ، فلم يلتق بتمرجى الا زغده ، ولا بممرضة الا مازحها . واما مرضاه فقد شعروا جميعا أن طبيبهم قرير العين مبسوط ، يكاد يقول لكل واحد منهم : « أنا موفق . متهنى . أنا سعيد . قولوا لى ماذا ينقصكم لاعيثه لكم ، انت تريد شوربة فراخ . حاضر . وانت عايز فاكهة مثلجة على حسابى .. بكل ارتياح . وانت آه تريد أن أعاقب التمورجى لانه أساء معاملتك البارحة .. على عينى .. أنا مبسوط . أنا مرتاح فيجب ان تكونوا جميعا كذلك »

ثم يقابلنى هاشا باشا ويقول لى : « أنا مدين لك بهذه الراحة النفسية »

ومرت أسابيع ثلاثة أو أربعة لا اذكر ، وايامه صافية رائقة . الى ان طلع علينا ذات صباح وهو يهدر كالنمر ويزوم كالذئب . وتساءلنا فى صمت عما حدث .. ولم نحاول ان نستفسره بل تركناه يتناول قهوته ، وحينما انفردت به قلت له :

ـ هيه يا شوقى خير مبوز ليه ؟

ـ خمن يا سيدى

ـ فيفى تنتظر ولى عهدك

ـ يا ريت

ـ اذن أنت تنتظر توأمين

ونظر الى كأنه يقول لى ما أسخف ما تقول . وقلت :

ـ أنا دكتور مثلك ولست منجما فقل لى ما الذى قلب سحنتك

وكما تسمع صفير الافعى وفحيحها سمعته يقول :

ـ ان فيفى .. ان امرأتى تخوننى

ونظرت اليه لاتحقق من سلامة عقله . وسألته كيف تطرق هذا الشك لنفسه . ولكنه أكد لى ذلك . أكده وهو يقول ان فيفى تجىء من قليوب كل يوم تقريبا وتعود . انه عرف ذلك من توفيق افندى معاون المحطة فى القاهرة فهو يعرف انها امرأتى . وقد قالها

له المعاون بكل بساطة دون ان يدرى ماذا تفعله مثل هذه العبارة فى قلب هذا العملاق
ونظر الى فى حزن قائلا : « ليتنى لم أبعدها عن القاهرة »
ـ ربما جاءت لشراء بعض لوازمها
ـ لوازمها هذه كل يوم ومن الصباح الى المساء . انها تجىء لمقابلة رجل وأنا واثق من ذلك فارجوك مساعدتى . أريد أن يتعقبها انسان
ـ انك مخبول . أتنسى اننى زميلك ورئيسك واننى طبيب مثلك . أم انت تريدنى ان أكون مخبرك السرى
ـ أنا لا اقترح هذا ولكنك انت الذى شجعتها على سكنى العزبة أليس كذلك ؟
قالها وكأنه يحملنى تبعة ما هو فيه ، وما صار اليه ، فنظرت اليه عاتبا
ـ كويس . يعنى أنا أجرمت لانى ساعدتك وذهبت معك الى زوجتك ـ أو هذا جزاء المعروف
ـ سامحنى يا سيدى فالمسألة فى نظرى مسألة موت أو حياة
ـ اسمع يا بنى . ان أشد ما أمقته هو أن اتداخل فى شؤون غيرى . لانى لدغت . تداخلت وساعدت وكانت النتيجة انى أنا الملوم وأنا المسئول
ـ اذن فأنا أبدى شديد أسفى ، وأرجو ان تنسى هذا الموضوع تماما
وافترقنا كل الى عمله . ونسيت المسألة تقريبا الى أن علمت بعد يومين ان شوقى غادر المستشفى فجأة ولم يعد الا ساعة الغداء
وقابلته وأنا اتصنع الغضب ، وسألته أين كان ، فأجابنى بكل هدوء وبساطة ، انه كان فى المحطة وفى شارع قصر النيل ، فى مسألة عائلية لا علاقة لها بعمله ، وسألته :
ـ هل لى أن أعرف أهمية هذه المسألة التى تجبرك على اهمال واجبك ؟
ـ زوجتى فقد كنت . . .
ـ زوجتك ومسائلك الشخصية يا دكتور تحتفظ بها لنفسك . كيف يسير العمل فى ظروف كهذه ـ وهنا خاصة ـ اذا قدم كل انسان سببا لتخلفه عن العمل أمثال هذه الاعذار الواهية . وما هو موقفك ازاء العميد لو سألك أين كنت ولماذا تخلفت ؟
واحنى شوقى رأسه فى أسف . ثم نظر الى فى حيرة وهو يقول :
ـ انى كنت أراقبها . كنت اتعقبها
ـ عذر بديع يا دكتور . دعنى أقدم لك واجب الشكر على « الدربكة والهرجلة » التى سببها غيابك هذا الصباح . وبعد الا ترى ان هذا التجسس على زوجتك اسفاف ونقص
ـ وهنائى وسعادتى وعائلتى يا سيدى
وفى رجاء والحاح وبصوت مبحوح فاجأنى بقوله :
ـ سأتغيب اليوم بعد الظهر ولكنى أعدك انى أعمل عملى مضاعفا غدا وبعد غد . أنا واثق من خيانة امرأتى

ووجدت انه من العبث مناقشة هذا العملاق الطفل . بل بالعكس شعرت بالعطف والحنو عليه فقد كاد يبكى ، ضاعت منه رزانته وتخلف عنه هدوؤه وتعقله . وأصبحت وكأنى أمام بطل فى الفصل الاخير من روايته . بل خيل لى ان زوجته ربما كانت تخونه فأردت ان أسايره فربما تمكنت من أنقاذ هذه العائلة ، فأرد الى شوقى مرحه وراحته

قلت له انى آسف لانه وصل الى هذه المرحلة من رواية الحياة ، وان حالة العمل اليوم تستدعى وجودنا جميعا ، فلا داعى للتخلف اليوم ، واذا علمت شيئا فى المستقبل تعال الى ، وسأكون معك اذا أردت مراقبتها ، ولكن عدنى انك تجابهها بالحقيقة . وكما يرقص القرد الكبير فى حديقة الحيوانات اذا غمرته موجة من الفول السودانى ، رقص شوقى حتى كاد يعانقنى

ومضت أيام ثلاثة جاءنى بعدها وهو يقول :

ـ انها جاءت اليوم وقد تبعتها من المحطة حتى شارع قصر النيل . دخلت دكان المزين سقراط اتدرى ان الفاجرة كتبت لى البارحة تلح فى عودتها الى منزلنا بهليوبوليس . انها على ميعاد بدون شك ، فقد ذهبت لتتجمل وتصفف شعرها . أمامنا ساعة ونصف . هكذا علمت من خادم الدكان بعد ان نفحته بريال

***

وبدأت المطاردة التى أشركنى فيها قلبى الطيب وعواطفى الملعونة . ولمت نفسى ولكن مبدأنا القومى الذى يتلخص فى لفظة « معلهش » اسكتنى وكبت ضميرى . وركبنا سيارة أحد الزملاء ذات المقعدين

وقفنا أمام محل « لاباس » حتى خرجت قرب الظهر ، وتبعنا التاكسى الذى أخذته ، وفى شارع الملكة نازلى وأمام مستشفى الهلال الاحمر تقريبا ، ركبت معها فتاة أخرى فى سنها . وسمعت شوقى يقول :

ـ صديقات السوء . بنات اليوم . هن لا يجتمعن الا على فساد . ومن يدرى أين تذهبان !

وتبعنا السيارة الى عمارة شامخة فى نفس الشارع وقرب المحطة . وفى لحظة كانتا داخل العمارة

وهنا بدأت الرواية يحمى وطيسها . سألنى شوقى كالمجنون « ماذا نصنع ؟ » وقلت له مستعفيا « دع نون الجمع هذه ، وقل عن نفسك ماذا أصنع » . اننى هنا لانقذ الموقف من الفضيحة المنتظرة أو الجريمة اذا غلبته غيرته وركبه تسرعه ، لا ليسألنى رأيى .

وتركنى محشورا فى السيارة ، وقصد بواب العمارة . ولسوء بخته كان هذا الاخير من اخواننا النوبيين الذين يعتدون بكرامتهم . ويعتقد أن الرد على سؤال خاص بسيدة تدخل عمارته معنى لا يستقيم مع الشرف . وعلا صوت عم محمد ، فلحقت به والبواب يقول له بلهجته النوبية :

ـ عاوز ايه . يعنى جصدك ايه . دى عماره شريف . سكانه ناس طيبين . انت بتسأل ليه ؟!

فبادرت وقلت له :

ـ هدئ أخلاقك يا راجل . اليه قصده طيب

ـ يا سلام وحضرتك المحامى بتاعه . يتفضل يسأل هو . يتفضل يطلع وراهم . هنا دكاتره ومحامين وسكان أشراف

ونظرت الى العمارة فاذا بها تسعة أدوار ضخمة كل دور أربعة مساكن . فأخذنى الدوار وجذبت شوقى وتركنا البواب وهو يهز رأسه ويعد سبحته بنرفزة ، مستنزلا علينا لعنات الارض والسماء ، وقلت لصاحبى :

ـ انظر ان بها ستة وثلاثين مسكنا على الاقل . يعنى ستا وثلاثين خناقة . فلننتظر ولنراقب ونحن داخل السيارة

ـ ننتظر يا سيدى . ننتظر . هذا ما كان ينقصك يا شوقى من الزواج

ومرت ساعة طويلة . أطول من أى ساعة أخرى . وفى منتصف الثانية نزلت فيفى وسارت قاصدة ميدان المحطة . ودفعت شوقى فتبعها سائرا على قدميه ثم عاد بعد قليل ليقول لى انها سافرت . رآها بعينى رأسه تركب القطار

ونظرت اليه ونحن فى الطريق الى المستشفى ، وما زلت أرثى له . انه زائغ العينين يصر بأسنانه . ان الغيرة تحرق كيانه . فحاولت ان اهدئه قائلا :

ـ انك مسافر لها يوم الخميس فصارحها . قل لها ما رأيته . سلها فربما كان لها شأن آخر لا تريد ان تطلعك عليه

وهز رأسه قائلا :

ـ أوتظن هذا أجدى . أتشير على بذلك ؟

ـ أشير عليك بذلك ! أوتظن انى مستشارك الفنى فى مصائبك العائلية ! اسمع يا بنى أنا لا صبر لى على هذا . افعل ما يروق لك ، وحذار ان تحادثنى بعد الساعة الا فى عملك وعملياتك

وسافر ، ثم عاد ولم أسأله ماذا صنع . ولكن بإشكاتب المستشفى فاجأنى بطلب قدمه دكتور شوقى طالبا فيه من العميد ان يخاطب وزارة الصحة لتعينه فى وظيفة خارج القاهرة وانه على استعداد للسفر حالا

وناديته فى مكتبى وسألته عن سر هذا « التخريف الاخير » ، وكيف يترك وظيفة يسعى اليها الجميع الى أخرى يتهرب منها زملاؤه . وكأنما كان فى سؤالى ما أثار العاصفة ، ولكنه كتم غضبه وقال لى فى هدوء متكلف :

ـ سألتها ، أأنت مرتاحة هنا ؟ فقالت نعم . الا تزورين القاهرة من آن لآخر ؟ فأجابتنى وظهرها لى : ولماذا وأنا مرتاحة هنا . مرتاحة وهانئة ما دمت انت كذلك . وقد أوشكت

أن أضعها أمام الواقع ، وأسرد لها كيف تبعناها . بل كيف تعقبتها أنا مرات عدة ، وكيف دخلت تلك العمارة أكثر من مرة وصاحبتها التى لم أرها من قبل . ولكنى لم أجسر . واعذرنى يا سيدى . فقد أحجمت لانى أحبها ، لانى أعبدها .. ثم أخاف أن تكون الحقيقة ما أظن ، فأموت خجلا كما مت حبا . ارجو ان توافق الكلية والمستشفى على أمر نقلى . انى سآخذها معى وقتئذ ، فان رفضت غادرت القاهرة أعزب

وهنا شعرت بالعطف عليه . وتضايقت من تصرفاتها ، لانها لم تخبره بسر مجيئها الى القاهرة ، ولكن ماذا تقول له ــ أتقول له اننى اخونك ، وبينما أنت تظننى فى قليوب أنا هنا ، وكل يوم ، لاقابل من أقابل دون أن تعرف . وركبتنى الحيرة فلم أدر ماذا أقول لهذا الزوج المغرم ، الطيب القلب ، الذى يضع حبه قبل كرامته واحترامه لنفسه

وافترقنا فلم أشاهده الا لماما ذلك اليوم . ومر الغد واليوم الذى بعده ، وليلتها اذا تذكر القارىء ، نبحت صفارات الانذار وهاجت طائرات المحور القاهرة والعباسية خاصة هجوما جعل الهدم والحريق والمياه الفائرة من الانابيب المحطمة مأساة فظيعة . واستمرت الغارة أكثر من ساعتين اتصلت فيهما بشوقى وبالمستشفى وأصبح الصباح

***

وبينما أنا فى مكتبى أتابع ما حدث البارحة ، واذا بالموظف المنوط به حفظ النظام أمام الباب يدخل على قائلا :

ــ وصلت سيارة الاسعاف وبها سيدة مصابة فى وجهها وذراعها الايمن ، وقد اخبرنى عامل الاسعاف انها أصيبت فى العباسية ، حيث حدثت الغارة البارحة وكان الواجب أن يأخذها الى مستشفى الدمرداش ، ولكنها أصرت على المجىء الى هنا وذكرت اسم سعادتكم

ونزلت مسرعا واذا بى أمام « ست فيفى » . مدام شوقى طريحة على محفة الاسعاف ووجهها الجميل تحجبه الاربطة البيضاء ، وهى تبتسم قائلة :

ــ لا تخف يا دكتور . المسألة سليمة فهى خدوش بسيطة والغلطة غلطتى . فقد ذهبت أنا وثلاث من رفيقاتى الى مكان الغارة لمواساة المنكوبين وتزويدهم بما يلزم . آه انت مندهش ولكنى من سيدات الهلال الاحمر . ارجو الا تخبر شوقى فقد عارضنى منذ اشهر خوفا على صحتى فى الانضمام اليهن . ولكنى انتهزت فرصة وجودى بالعزبة أخيرا ، فكنت أجىء كل يوم تقريبا للتمرين فى شارع الملكة نازلى . وحينما ذهبت اليوم حدث ونحن خارجات من أحد المنازل ، والطريق تكاد تغمره مياه المجارى ، أنى أردت أن اتفادى سيارة مقبلة ، فصدمتنى وكانت النتيجة ما ترى . انى كنت استطيع المجىء الى هنا على قدمى ولكن عمال الاسعاف ــ وقد كانوا هناك ــ ماذا أصنع تجاه أوامرهم

وحملتها الى غرفتى وفحصتها مرة ثانية . وسألتنى عن سر ابتسامتى وضحكتى أكثر من مرة فقلت لها :

– تريدين ان تعرف يا مدام شوقى لماذا ابتسم . هذا سر لا استطيع ان أبوح لك به لانى أخاف ان تبتسمى انت أيضا ، وهذا ما لا يمكنك عمله لان جروح وجهك وهذه الاربطة لا تسمح لك به . وأخذت شارة الهلال الاحمر العالقة على صدرها من غير أن تشعر وقلت : « سأرسل لك شوقى . ولا كلمة . سأعرف كيف أخبره وكيف أرسله اليك »

وسألت عنه فقيل لى : فى صالة العمليات . ودخلت فاذا به يباشر عمله هادئا ساكنا . وتركته حتى انتهى وخرجنا معا

ووضعت ذراعى فى ذراعه ونظرت اليه وهو يعجب أيضا من ابتسامتى التى احتارت فى معرفة سرها ست فيفى . وأخرجت من جيبى شارة الهلال الاحمر وسألته :

– اتعرف ما هذه . وماذا تعنى ؟ . .

وابتسم العملاق وهو يقول كأنه طالب يهزأ من سؤال الممتحن البسيط :

– ايه ، شارة الهلال الاحمر

– لا يا غبى انها شارة التضحية والواجب . شارة الامانة المقدسة . شارة الحب الدائم . انها شارة امرأتك . . اذهب واعطها لها فانها فى غرفتى تنتظرك وهى . .

وخطف الشارة من يدى . ولم يستمع لبقية حديثى فقد اندفع كالمجنون وبالطو العمليات الابيض يطير وراءه . وتبعته بقدر ما تسمح به سنى وساقاى . وشاهدته وهو يدفع الممرضات وموظفى المستشفى يمنه ويسارا . ووصلت الى باب غرفتى فسمعت صوته الرنان يقول لها وهى بين ذراعيه طبعا : « فيفى يا زوجتى . يا ست الستات »

سليمان نجيب



بلاد الأخذ بالثأر !

بقلم الأستاذ يوسف وهبي بك

كانت ليلة حالكة السواد شتاؤها قارس ، فى قرية جهينة بمركز طهطا بأقاصى الصعيد ، بينما خيم السكون على أهلها ، ولجأ سكانها الى دورهم يحتمون من برد قارس وعاصفة هوجاء . كان هنالك شبح ملثم ، قد اختبأ بين أعواد القصب الطويلة المتشابكة ، لم ترهبه العاصفة ولم يثنه عن عزمه البرد القارس ووحشة المكان. جلس القرفصاء لا يبدى حراكا خشية أن تنم عليه مشيته ، وكان يسمع من حين لآخر عواء الذئاب ، ونباح الكلاب الذى كان يحمله ريح العاصفة

وضع أصبعه على زناد بندقيته متربصا مرهفا سمعه منفذا بصره وسط الظلام الحالك حيث ينتظر الفريسة

لبث فى جلسته هذه كاتما أنفاسه ساعات ، حتى لاح له عن بعد شبح فارس على صهوة جواده يسير الهوينا على جسر الترعة وكأنه لم ترعه رهبة تلك الليلة . سار الفارس قابضا بيسراه على لجام جواده ، وبيمناه غدارته

وما أن وصل الى قنطرة الهويس ، حتى دوى طلق نارى وسقط الفارس من على ظهر جواده ، ثم تدحرج جسده الى قرار الترعة . وما أن أقبل الصباح حتى دوت فى القرية صيحات العويل والبكاء وسرى الخبر بسرعة البرق أن عميد عائلة النواصر احمد بك ناصر قد اغتيل ووجدت جثته أمام الهويس

وبلغ الخبر رجال الأمن ، فسارعوا الى مكان الحادثة ، وبذلوا الجهود الجبارة لاكتشاف الجانى الأثيم ، فاذا هم أمام جناية غامضة لا أثر لفاعل ينم عليه ، ولا شهود ولا اتهامات . وسئلت زوجة القتيل اذا كان لفقيدها أعداء ، فأجابت بالنفى ، ومرت الشهور ولم تعثر العدالة على أى دليل ، وحفظت الجناية ضد مجهول

كانت نفيسة هانم زوجة القتيل ، قد اتشحت بالسواد ، تنظر الى ولدها الذى لم يتجاوز السبع سنوات ، وقد تحجرت الدموع فى مآقيها ، متمتمة بين اسنانها « لن ينتقم لابيك أحد سواك .. متى يشتد ساعدك؟ وينصلب عودك ؟» ثم ترفع بصرها الى غدارة القتيل ، ومازالت محشوة بالبارود صائحة « ستعرف القاتل يا ولدى اذا ما حانت الساعة »

مرت السنون ودخل الطفل حسن مدرسة طهطا الابتدائية ، وكان ذكيا نجيبا يبشر بمستقبل باهر ، ونسيت قرية جهينة الحادث ، وأسدل عليه ستار الزمن

انتقل حسن الى مدرسة سوهاج الثانوية ، وأصبح فتى يافعا رياضيا قوى الشكيمة شديد المراس ، لكن فى عطف ورفق وأدب جم . وما أن أتم دراسته الثانوية ، حتى رغبت أمه فى عودته ليترأس أسرة النواصر خلفا لابيه ، لكن حسن كان شديد الطموح ، فأقنع أمه بضرورة اتمام ثقافته العالية ، ودخل الجامعة المصرية ، واحتوته القاهرة ، واتخذ من بعض زملائه الطلبة أصدقاء أعزاء

كانت هنية احدى طالبات الحقوق ، وكان شقيقها ابراهيم يزاملها فى الدراسة ، وقد اصطفاه حسن خدنا له من بين كل الزملاء . وكانوا فى أيام العطلة يخرج الثلاثة معا الى الحدائق ، ودور اللهو والمسارح والسينما . فاكتشف حسن فى هنية صفات ممتازة قربتها الى قلبه ، وحببتها الى نفسه ، وكان لا يدع فرصة تمر دون الاجتماع بالاخ وأخته

اتخذ الثلاثة شقة صغيرة بالجيزة مسكنا لهم ، وكانت فى بعض الاحيان تنتهز هنية فرصة الفراغ ، فتطهى لاخيها ولحسن ألوانا من طعام الصعيد المحبب اليهم

ومما زاد الرابطة بين الثلاثة أن كان ابراهيم وأخته ، من قرية الروافع وهى قرية يفصلها عن جهينة نهر النيل . وكانوا اذا ما خيم الليل يذكرون طرائف ذكريات صباهم فى قراهم ، وينتظرون اللحظة السعيدة التى يعودون فيها الى مسقط رؤوسهم ، حيث يكرسون علمهم لنفع أهليهم ومواطنيهم . وكانت هنية أشد الثلاثة حماسة ، وقد أعدت مشاريع عديدة لاصلاح قريتها وجلب الخير لسكانها . ولطالما صاحت بهم « سأجعل من قريتى « الروافع » قطعة من أوربا ، وسأجعلها كنموذج لما يستطيع الفلاح المصرى أن يأتيه من ضروب التقدم اذا ما وجد الوسائل والرأس المفكرة »

كان حسن يستمع الى آراء هنية وحماستها فى نشوة واعجاب وسعادة ، وفى النهاية صمم على أمر فى نفسه كتمه على ابراهيم وهنية ، ولكنه اعتزم ان يكاشف أمه عند ما ينال الليسانس . ولم يكن اعجاب هنية بحسن أقل من اعجابه بها ، ولطالما انتهزت فرصة الليل والتجأت الى فراشها فأطلقت عنان فكرها ، وسبحت فى بحر من الآمال ، وتمنت لو جاء اليوم الذى ترتبط فيه بحسن رباطا أبديا . فقد وضعت فى شخصه كل آمالها ، وكل اعجابها . وكان حبها له طاهرا شريفا ، فلم تفكر فى يوم من الايام ان تجعل حسن يلحظ فى نبرة من نبراتها أو حركة من حركاتها ، أى دليل على غرامها الذى كتمته بين جوانحها . أما حسن فلم يطق صبرا على كتمان حبه ، فما أن وافت السنة النهائية واقترب موعد امتحان الليسانس ، حتى اختلى بابراهيم وكاشفه برغبته الصادقة فى الزواج من أخته ، وربط اسرتيهما برباط المصاهرة . وسأله أن يكاشف عمه رئيس عائلة المريسى رأيه ، كى يعقد العقد بعد الامتحان مباشرة فى قرية « جهينة »

ابتسم ابراهيم واغرورقت عيناه بالدموع ، واحتضن حسن صائحا : « هذا يوم المنى يا حسن ، وأؤكد لك من الآن أن عمى سيسعد بالنبأ وما كان ليطمع فى نسب أعلى من هذا ولا فى زوج لهنية أشرف منك »

اجتاز الثلاثة امتحان الليسانس بنجاح باهر ، وسافر الثلاثة الى طهطا ، حيث افترق عنهما حسن ، فذهب هو الى قريته « جهينة » وقصد الشقيقان الى « الروافع »

ذهل حسن من الاستقبال الرائع الذى أعدته له أمه عند وصوله ، فما أن شارف القرية حتى دوت الطبول ، وأطلقت الاعيرة النارية فى الهواء ، وعلت الزغاريد ووجد أربعة من العبيد ، وقد أمسكوا بجواد أبيه الابيض . فانزلوا حسن من السيارة وأركبوه الجواد، حسب رغبة أمه فى أن يظهر زعيم عائلة النواصر ، لاول مرة فى بلدته ، وقد امتطى مطية أبيه ، واحاطه العبيد واستقبلته الزغاريد والاهازيج

دخل الولد على أمه الحزينة ، فاذا به يراها لاول مرة قد خلعت السواد ، وارتدت ثوبا أبيض ، وضمته الى صدرها متمتمة : « هذه هى الساعة التى كنت انتظرها » وتوالت الدعوات والعزائم ، وصفت موائد الطعام لحسن فى كل بيت ، ولبست القرية حلة العيد واستبشر أهلوها بالخير

مضى اسبوعان وقد انشغل حسن فى حفلات الترحيب ، كما انشغل ابراهيم واخته هنية فى ملاقاة الاسرة ، واستقبال المرحبين والمهنئين

***

وفى ليلة مقمرة جميلة ، وقد هب النسيم العليل على شرفة المنزل ، حيث جلس حسن وأمه يتناولان طعام العشاء ، باح لها بحبه وعزمه على الزواج ممن يحب . ولكنه لم يشأ أن يخبر أمه باسم من اختارها شريكة لحياته ، امعانا فى المداعبة . واشترط أن يقدم لها الفتاة دون أن يخبرها بأصلها ، فاذا ما نالت حظوة القبول ، ووافقت عليها كزوجة لولدها، كاشفها بنبأ يزيد فى غبطتها ويضاعف سرورها . وقد أكد للام أن خطيبته تجمع كل الصفات التى تقربها من قلبها ، فابتسمت الام وأجابت « أنا واثقة من حسن اختيارك »

وما أن أقبل الصباح ، حتى سارع حسن الى قرية « الروافع » فالتقى بابراهيم وهنية ودعاهما الى الحضور لتمضية بضعة أيام فى منزله « بجهينة » فلبيا الدعوة وجاء الركب الى « جهينة » حيث استقبلتهم الام بالترحيب . ولقد طلب حسن منهما أن يخفيا اسم الاسرة على والدته لغرض فى نفسه ، فتضاحكا ووافقا على ذلك . مكثت هنية وابراهيم زهاء الاسبوع فى منزل حسن ، وقد أحاطهما بكل ضروب كرم أهل الصعيد ، وكانوا يقضون النهار بين صيد وقنص ولعب ومرح ، وقد ظلت الام ترقب الفتاة الجميلة وقد تزايد اعجابها بها ، وفرحت بحسن اختيار ولدها فرحا بالغا . وفى نهاية الاسبوع سافر ابراهيم وهنية ، مشيعين كما جاءا بالحب والاجلال . ونادت الأم ولدها فرحة جذلة ، وقد افتر ثغرها عن ابتسامة لم يسعد بمثلها الولد منذ أن شب

أخذ حسن أمه العزيزة بين ذراعيه ، وسألها عن رأيها الاخير فأجابت فى غبطة .. ما كنت يا ولدى لاطمع فى زوجة لولدى أحسن من هذه ، فبالله عليك خبرنى من أى

أسرة هى .. فانها على ما فهمت من الصعيد ، وقريتها لا تبعد كثيرا عن قريتنا .. فأجاب حسن ما دمت يا أماه ، قد باركت هذا الزواج برضائك الكريم ، فهأنذا أبوح لك بالسر الذى سيضاعف ابتهاجك .. هنية هى ابنة المرحوم صالح بك المرسى زعيم عائلة المرسى « بالروافع » ..

صرخت الام صرخة مدوية ، وتجهم وجهها ، وجحظت عيناها ، وانتصبت قامتها ، ونظرت الى ولدها نظرة سرت منها الرعدة الى جسده ، وصاحت : أتتزوج من ابنة قاتل أبيك ..

فصعق الفتى من هول هذه الصدمة ، فنظر الى أمه نظرة المتسائل القلق .. فباحت الأم بما اخفته بين ضلوعها سبعة عشر عاما ..

وبدأت الحقيقة المروعة تتجلى لحسن .. فقد قتل أبوه ولم ينتقم له .. وكانت والدته تعرف القاتل ، وتدرك العداوة الهائلة التى كانت بين زوجها وقاتله . فتحملت هذه السنين على ألم ومضض ، فى انتظار اليوم الذى يقوى فيه ساعد الولد فيأخذ بثأر أبيه ..

واقتربت من ولدها وهزته هزا عنيفا .. ونطقت بالحكم بالموت على عم الفتاة ، ثم اقبلت على خزانة ففتحتها وأخرجت منها غدارة زوجها ، وما زالت كما هى محشوة بالبارود ، وصاحت فى حسن : غدا هو نفس اليوم الذى اغتيل فيه أبوك فماذا عساك فاعل ..

حاول حسن أن يجيب ، ولكن بم يجيب ، وقد رأى من أمه هذا الاصرار الغريب .. وأدرك من قصتها ما قاسته من عذاب رهيب .. تلك الام التى تغلغلت فى نفسها وسرت فى دمائها تلك العادة الخالدة ــ عادة الاخذ بالثأر ــ دون الالتجاء الى العدالة . فهى من المؤمنين بعقيدة اجدادها وقانون عشيرتها : عين بعين .. وسن بسن ..

هب حسن واقفا وأجاب فى تؤدة واتزان : ولكن يا أماه تلك عادات عصر بائد .. عصر كانت الوحشية فيه هى القانون السائد .. أما اليوم فنحن فى عصر المدنية ، عصر النور ، عصر الحق والعدل .. فكيف تريدين ان تأخذى البرىء بجريرة المسىء ، وما دام القاتل قد مات ..

أجابت الام بصوت أجش : ولكن هناك اخوة ..

فنظر اليها حسن نظرة المستغرب وسألها : ما ذنب الاخ ؟ صرخت الام : « حسن .. أرجل أنت أم امرأة ؟ » وعبثا حاول حسن تغيير عقيدة الام .. فذهب الى فراشه يائسا ، وقد هاله الموقف

رباه .. أتراه بعد أن تثقف هذه الثقافة العالية ، ودرس القانون ، وأوشك أن يتخذ من الدفاع عن الحق مهنة ، يصبح فى اليوم التالى قاتلا سفاكا خارجا على القانون ؟ واذا لم ينفذ ارادة أمه القاسية .. فهذا معناه الضربة القاضية عليها وعلى حبها له .. سوف تكرهه .. سوف تلعنه .. سوف يعيش شقيا أبد الدهر

لم يذق حسن طعم النوم فى تلك الليلة ، وخرج فى الفجر هائما على وجهه ، فى الحقول

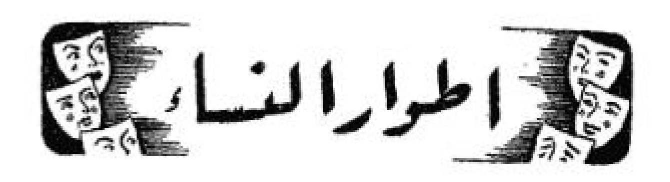
والمزارع ، يريد أن يقرر أمرا ، فلم يسعفه عقله . فجرى كالمجنون وامتطى صهوة جواده وراح ينهب الارض به ، ثم عبر النهر ، ووصل الى بلدة « الروافع » واندفع الى منزل خطيبته ، وارتمى لاهثا بين ابراهيم وهنية ، وقص عليهما القصة كاملة .. فساد الصمت لحظة ثم هبت هنية صارخة « كيف يستسيغ عقلك الناضج مثل هذا السخف .. وكيف عجزت عن اقناع أمك بضرورة الاقلاع عن هذه العادة البغيضة التى تنفر منها المدنية وتشمئز منها الانسانية ، فلم يحر حسن جوابا ولكنه أبى فى قرارة نفسه أن تصيبه لعنة الام ، فأعلن هنية ــ والدموع فى مقلتيه ــ أنه كان ينوى الزواج منها ، وكان يأمل فى حياة رغدة ، ومستقبل باسم . وها هى الحياة تفرق بينهما ، وخرج بعد ان ودع أحب الناس اليه الوداع الاخير . وصل حسن الى شاطىء النهر منتظرا « المعدية » وما أن وصلت حتى رأى ضمن الجمع الراكب فتاة ، وقد أمسك بتلابيبها ، اثنان من الجنود وكانت تصيح : « لقد انتقمت لاخى .. قتلت قاتل أخى ، وارتويت من دمه ، وما عدت أخشى سطوة القانون ، وقد قمت بواجبى وارضيت ضميرى .. ويل لمن ينسى الثأر ، ولا ينتقم للدم بالدم » وكان الركب يشيعها بالتهليل والاكبار

لكم صغرت نفس حسن فى نظره .. أتراه يكون جبانا ، وقد اختفى تحت ستار المدنية ، ليخفى نذالة نفسه ؟ هذه فتاة صغيرة أبت نفسها أن تترك الثأر للرجال .. وها هو أبوك يا حسن قد مات غيلة ، وطلبت أمك الاخذ بثأره من أخى القاتل وما زلت تتردد ! وهنا طغت العقيدة وتغلبت العادة على حسن ، فنسى ثقافته وتجاهل القانون ، وعمى عن المدنية ، ودخل على أمه صائحا : « أماه . اعطنى الغدارة » . وجاء الليل ووقف حسن كما وقف قاتل أبيه ، متربصا فى الظلام ، مرهفا أذنيه ، منتظرا فريسته ، وطال انتظاره وأقبل الفجر ، ولم تأت الفريسة . وعندما عاد الى منزله كاسف البال ، اذا به يسمع الزغاريد واستقبلته أمه بالعناق « لقد قتل أخو القاتل » وظنت الام ان حسن هو الفاعل ، فأكبرت فيه الشهامة . لم يستطع حسن ان يلفظ بحرف وادرك ان هناك عدوا للقتيل ، لا يمت للعائلة بصلة ، ساعدت العناية الالهية ان تسخره للانتقام ، دون أن يلوث حسن يده بالدماء . وقيدت الجناية مرة ثانية ضد مجهول ، ومرت ستة شهور اشتدت العلة فيها على الام ، وجلس حسن بجوارها يسمع وداعها الاخير

قالت : « حسن اقترب منى .. لك ان تتزوج من هنية اذا شئت .. لقد انتهى الثأر وأسدل عليه الستار »

مضى اسبوع على وفاة الام واذا ببلاغ من مجهول ينم عن حقيقة قاتل عم هنية ، وقبض عليه واعترف بجريمته . اذ ذاك سارع حسن الى هنية وضمها الى صدره صائحا : « متى يعرف أهلونا ان العدالة أحق بالانتقام ، وان هذه العادة ، عادة الاخذ بالثأر ، وفناء العائلات عادة وحشية ترجع بنا الى عصور الجهل والهمجية »

يوسف وهبي



بقلم الأستاذ ابراهيم المصرى

بعد ان توفيت « الست منيرة » بثلاث سنوات ، رزح « فهيم افندى » تحت وطأة العزلة ، وضاق صدره بحياة العزوبة ، فاقترن بالفتاة الوديعة الرقيقة « انصاف » ، وخيل اليه انها المرأة المنشودة التى يمكن أن تصبح اما لولده اليتيم « فتحى »

وكانت انصاف مثال الطيبة والحنان . فاجبها فهيم لصفاء نفسها ، ونبل طباعها ، وكرم اخلاقها ، وذلك الشعور العميق بالرحمة المنبعث من عينيها الفاترتين ، والشائع فى كيانها الساحر الرقيق . ولكنه لم يكد يتزوجها ، ولم يكد يتصل بهـا عن كثب ، ولم يكد يلحظها ويرقبها ويستشف بعينه الثاقبة جوهر نفسها ، حتى ارتعدت فرائصه ، وتحطم حلمه ، وادرك ان حياته الجديدة ستكون سلسلة متصلة من شقاء

أحس ان زوجته امرأة غريبة الاطوار ، شاذة الميول والنزعات ، تخفى تحت مظاهر رقتها وحنانها ، اهواء حادة عنيفة تنحدر من مخيلة مريضة ، وتتمثل فى ضرب من الغيرة القاسية المروعة العمياء

أحس ان انصاف لا تغار عليه من امرأة معينة ، أو من أية فتاة أو سيدة جميلة تدب فيها الحياة ، بل تغار عليه من زوجته الاولى ، من شبح الست منيرة ، من ذكرى تلك المرأة الوفية التى عاشت معه أكثر من عشر سنين وكانت اما رؤوما لابنه العزيز الوحيد

والحق ان انصاف كانت لا تستطيع ان تتصور ان زوجها كان فى يوم من الايام لامرأة أخرى . كانت لا تنفك تحدثه عن الست منيرة ، ساخرة بجمالها ، هازئة بفضائلها ، باذلة قصاراها فى تشويه الصورة الرائعة التى كان يحملها منها

والعجيب انها كانت تتحدث عنها كما لو كانت حية ، وتذكرها فى حنق وسخط كما لو كانت بالفعل عشيقة لزوجها ، وما تزال تعرض بها فى خبث ولؤم كأنها تخشاها ، وكأنها تود ان تمحو كل أثر عميق يمكن أن يكون قد تخلف منها فى قلب قرينها

ولقد ذهبت بها الغيرة الطائشة المخبولة الى حد انها كانت تمزق أثواب الفقيدة ، وتحرق صورها ، وتتلف أدوات زينتها ، وتحرم على ابنها ذكر اسمها ، وتسخط وتغضب كلما دافع فهيم عنها ، أو فكر قبيل المواسم والاعياد ان يزور قبرها ويترحم عليها . .

والاغرب من كل هذا ان انصاف كانت تفخر بجمال زوجها ، وتبتهج وتفرح متى وقعت ابصار النساء عليه ، وتتيه عجبا وكبرا اذا غازلته امرأة أو فتاة . ولكنها كانت لا

تمرد ، ولا تنتفض ، ولا تثور ، الا عند ما كان يذكر أمامها اتفاقا بعض صور أو بعض الوان حفرها الماضى البعيد فى اطواء نفسه واضفى عليها بالرغم عنه حلة شائقة من فتنة الحنين وحلاوة التذكرى . فالخيال كان فى نظر انصاف اشد سطوة من الواقع ، والميت ارهب واخطر من الحى ، والماضى اصلب واقوى من الحاضر ، والحب القديم اعمق وارسخ من أى حب ناضر جديد يختلج حرارة وحماسة وحياة . .

ومع ذلك ففهيم لم يتبرم اول الامر بزوجته . احتمل اطوارها الغريبة . غض الطرف عن ميولها الشاذة ، اعتبر غيرتها الطائشة دليل حب . ولكنه ثار هو الآخر وتمرد عند ما استفحلت هذه الغيرة ، وتحولت وتطورت ، وأصابت ابنه الوحيد فى الصميم !..

والواقع ان انصاف بعد ان تهالكت على شبح منيرة ، ويئست من تبديد خيالها ، وعجزت كل العجز عن قتل وافناء ذكراها ، تلفتت حولها شبه مذهولة ، فابصرت الماضى البغيض ممثلا فى الصبى البرىء ، فتحى ، فانهالت عليه تعذيبا وتنكيلا دون ما وازع من خلق أو ضمير

وكانت كلما انتهرت الصبى اثلج الفرح صدرها ، وكلما كادت له ازدادت شعورا بسلطانها ، وكلما اضطهدته استمرأت لذة شماتتها ، وكلما عذبته وابكته أحست كأنها تثأر من غريمتها ، وتستأصل ذكراها شيئا فشيئا من قلب زوجها . .

وكان الصبى يرتعد فرقا أمامها ، ولا يجسر على رفع صوته بالشكوى منها ، ولا يفكر فى ايغار صدر والده حقدا عليها ، خشية ان تخير زوجها بين ولده وبينها ، فيضطر الرجل تحت تأثيرها الى طرد ابنه من البيت ، واجباره على الحياة وحيدا شريدا فى منزل عمته ..

وكان فتحى يحب والده الى حد العبادة ، ويشفق على نفسه من تصور البعد عنه ويؤثر ان يضطهد ويعذب على ان يحرم منه ، فانطوى على نفسه ، وكتم همه ، واحتمل ذله ، وانكب على الدرس والمذاكرة يود ان ينجح فى امتحان النقل ، عساه أن يستميل زوجة أبيه ، ويصيب منها شيئا من التقدير ، يمكن ان يتحول فى يوم من الايام الى حنان وعطف . .

وهكذا كانت الحياة فى بيت فهيم افندى خانقة زافرة مظلمة ، تنعقد فيها السحب . فالمرأة شبه مجنونة ، تنهشها غيرة حمقاء ويحتل ذهنها طيف خيال . والولد شبه روح حائر تعذبه الوحدة ويضنيه فقد الحنان . وهو .. هو نفسه .. فهيم .. يتخبط بين المرأة والولد ، مسلوب الحول ، طائر اللب ، يائسا ، شقيا ، محطما

ولقد حاول ان يوفق بين الزوجة والولد فخاب ، وحاول ان يوفق بين المرأة وعقلها ففشل ، وحاول ان يقتلع جرثومة الغيرة من قلب انصاف فلم تزدد الا تعلقا بالماضى ، وتشبثا بالطيف ، وتهالكا على سحق غريمتها التى احتواها الزمن واصبحت فى جوفه الغائر كوما من عظام !..

عندئذ تجهمت الدنيا فى نظر فهيم . نفد صبره ، وكره بيته ، وتاق الى الحياة .. أراد

ان ينطلق ، ان يعيش ، ان يجد متنفسا لصدره ، ومنصرفا لهمه ، فاعرض عن زوجته ، وطفق يبحث بالرغم منه عن امرأة أخرى ..

ووقع اختياره فى هذه المرة على أرملة تدعى « انعام »

تعرف اليها فى بيت شقيقته ، فراعه منها اتزان تفكيرها ، ورجاحة عقلها ، وجلال محضرها ، وخبرتها العميقة بشؤون الحياة ، تسرى فى أحاديثها ، وتتجلى فى مختلف آرائها ، وتوحى الثقة ، وتبعث على السكينة والاطمئنان

وكانت « انعام » فى نحو الاربعين من عمرها ، سوداء العينين ، مكتنزة الخدين ، مليئة البدن . ذات حسن تقترن فيه الرخاوة بالدلال ، والحركة بالجمود ، والتوثب بالفتور ، والكهولة بالشباب

وكانت ابية فى غير صلف ، مثقفة فى غير ادعاء ، متحفظة فى غير كبر ، فاولع بها فهيم ، وتودد اليها ، وشرع يغافل شقيقته العجوز ويطارحها الهوى

وعلم انها اعقبت طفلة من زوجها المتوفى ، فسر وابتهج ، وازداد اتصالا بها ، وايقن انها لو تزوجته فلن تعيره يوما بابنه كما لن يعيرها يوما بابنتها

وطفق يتردد على بيت شقيقته ليراها . وكان كلما ابصرها ، وجلس اليها ، واستمع لحديثها ، احس راحة غريبة تملأ قلبه ، وثقة عجيبة تغمر نفسه ، ورغبة عميقة تذهب بلبه ، وتشدد عزمه ، وتدفعه الى المغامرة والكلام ..

وتشجع أخيرا وتكلم .. وفى لهفة التوق الى السعادة عرض عليها الزواج !..

ولم يكد يكشف عن نيته ، ويسرب فى صراحة عن رغبته ، ويذعن لسلطان المرأة مقيدا نفسه بحبه وشرفه وكلمته ، حتى تجهمت انعام ، وزايلها صفاؤها ، وتمنعت وترفعت ، وتبدلت فجأة امام عينيه ..

وخشى أن يكون قد اساء التعبير عن عواطفه ، فراح يقسم ويؤكد ، ويلتمس ويتوسل ، ويسترحم ويستعطف ، كطفل وعدوه بلعبة ثمينة ثم منعوها عنه

ولما اغرق فى الذل والصغار ، أقبلت عليه انعام ، واماطت اللثام عن وجهها ، وشرعت تتكلم ..

قالت والزهو والخيلاء يدويان فى صوتها ، انها امرأة نادرة ، امرأة ممتازة ، وانها ولاريب اجمل بكثير من زوجته الاولى ، واعقل بكثير من زوجته الثانية ، وافضل بكثير من جميع من صادف من نساء ، والا لما ميزها عليهن ، واختارها من دونهن ، وهرع اليها وحدها بعد شقائه الطويل ..

وطفقت تتغنى بمحاسنها ، وتتشدق بذكائها ، وتحمل على الزوجتين ، الحية والميتة ، ناسبة اليهما شقاء فهيم ، مؤكدة له انه لو كان قد عرفها فى مستهل حياته ، اذن لكان قد عرف السعادة معها ونسى النساء جميعا بين احضانها ..

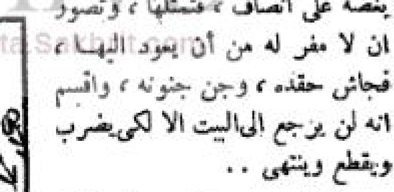
وبعد ان استمرأت لذة فوزها ، وتشفت طويلا من غريمتيها ، عادت فاقبلت على فهيم وعرضت عليه شروطها . .

طلبت اليه مهرا عظيما جديرا بها . أصرت على ان من واجبه ان يطلق زوجته من أجلها . أرادت أن تستولى على مرتبه كاملا . رغبت اليه فى ان يستأجر لها مسكنا جديدا فى حى من أحياء الذوات ، على الا يحمل الى هذا المسكن أى اثاث قديم يمكن ان يعكر صفوها ، ويذكرها ولو لحظة واحدة بزوجتيه منيرة وانصاف . . .

وعند ما استفسرها عن المصير الذى قدرته لولده ، أجابته وعيناها تلمعان ، انه اذا كان حقا يحبها كما تحبه ، فيجب أن يقتدى بها ، ويجب أن يرسل بابنه الى بيت شقيقته أو الى مدرسة داخلية كما تنوى هى ان تفعل بابنتها ، وهكذا ينبسط أمامهما طريق الزواج ، ويحس كلاهما أن الآخر يحبه بدون شريك . .

وصمتت انعام وهى تلهث . وتأملها فهيم وهو مذهول . أدرك وهو لا يكاد يصدق سمعه وبصره ، ان هذه المرأة العاقلة ، هذه المرأة المتزنة ، أغلظ قلبا ، وأعمق وحشية ، وأقسى أنانية ، وأغرب أطوارا من انصاف . أدرك انها لا تغار من الماضى فقط ، بل من الحاضر والمستقبل أيضا . أدرك انه لو اقترن بها ، فلا بد ان تعذبه وتضحيه ، ما دامت قد تأهبت لتضحية ابنتها فى جرأة وقسوة وعدم اكتراث

وتطلع اليها ثانية وارتعدت فرائصه وتبدد حلمه ، فلحظت عليه انه مضطرب ، ولكنها مع ذلك انصرفت عنه ، وتركته ليفكر ، واستأذنت شقيقته ، وخرجت مرفوعة الرأس شامخة ، بعد ان حيته مكرهة ، وتفضلت عليه بابتسامة . .



ولم تكد تختفى حتى مزقت الحسرة قلب فهيم ، وزادته شعورا بوحدته ، واثارت كمين بغضه على انصاف ، فتمثلها ، وتصور ان لا مفر له من أن يعود اليها ، فجاش حقده ، وجن جنونه ، واقسم انه لن يرجع الى البيت الا لكى يضرب ويقطع وينتهى . .



وانطلق صوب داره وملء نفسه العزم . ولكنه ما ان أشرف عليها ، وما ان هم بدخولها حتى لمح الخادمة ، خادمة بيته ، وقد رأته ، تسرع اليه مشرقة الوجه ضاحكة وتصيح :

— سيدى الصغير نجح ! . . نجح فى الامتحان ! . . لازم احليلو بقه ! . .

أنا رايحه اشتريلو نص رطل بسبوسة !..

فخفق قلب الوالد ، وحن فجأة الى ولده ، والى بيته ، والى زوجته ، فاستدار ، وكر راجعا ، وهبط المدينة ، واشترى لابنه ساعة يد ، ولامرأته حقيبة جميلة ، ثم عرج على الحلوانى وابتاع « طرطه » شائقة ، ثم عاد أدراجه ، وقد تبدل رأيه ، وانحل عزمه ، وأراد ان ينتهز الفرصة للمرة الاخيرة ويجرب ايضا ويحاول ..

ودخل البيت جذلان منتبطا ، وقدم الحقيبة لامرأته ، والساعة للصبى ، ثم هنأ ولده ، وضمه الى صدره وقبله ، والتفت الى امرأته وقال لها متوسلا وهو يتمنى من صميم نفسه لو تطيعه فيبقى عليها ويجمع فى قلبه المطعون بينها وبين ولده الى الابد :

ـ انصاف .. فتحى نجح !.. انت بالطبع مبسوطه !.. وأنا كما مبسوط !.. مش يستاهل منك بوسه ؟.. ياللا قومى .. قومى بوسيه !..

فرفعت زوجة الاب رأسها متباطئة ، ورشقت الصبى بنظرة ، وقالت مقطبة الجبين وهى تراجع :

ـ ابوسه ؟.. وعلى ايه ابوسه ؟.. علشان نجح فى امتحان النقل ؟.. انا حابقا ابوسه صحيح لما ينجح فى امتحان البكالوريا ..

وندت عنها ضحكة هادرة صفراء ، فوجم الزوج ، وجمد الدم فى عروقه ، وتطلع اليها طويلا ، وايقن ان كل شىء قد انتهى !

***

وفى صباح اليوم التالى حزم فهيم أمره ، وطلق زوجته انصاف ، واستقر رأيه على ان يعيش لتربية ولده ، ناعم البال ، سعيدا ، بدون نساء ..

ابراهيم المصرى



من الأدب الأمريكي



للقصصي الامريكي ادوارد هال

الى من يستخف بفكرة الوطن ويهزأ بشعور الوطنية ، مفترضا لنفسه وجودا فرديا، قائما بذاته ، مستقلا عن وجود الوطن ٠٠ والى من يرجح مطامعه ومطامحه على حقوق الوطن وأمانيه ٠٠ والى من تستهويه الشهرة ، أو تفتنه السلطة ، أو يصبيه المال ، فيسعى اليه موليا ظهره الى وطنه متجاهلا أو متعصبا حتى بنيه ٠٠ الى كل أولئك يهدى الاديب الامريكي « ادوارد ايفرت هال » قصته التاريخية عن الرجل الذى كره وطنه ، فقضى طريدا شقيا

كانت ساعة من الساعات العصيبة فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ، من الساعات التى ترى فيها الاوطان بعض بنيها الذين لم تضن عليهم بشىء من برها وخيرها ، يردون صنيعها نكرانا ويقضون حقها غدرا .

وكان جو المحاكمة التى انعقدت فى مدينة ريتشموند بوادى المسيسبى فى سنة ١٨٠٧ جوا مخيفا مرهوبا ، اذ كانت التهمة جريمة الخيانة العظمى ، واذ كان المتهمون عصبة من رجال الجيش الامريكي

وجاء دور المتهم « فيليب نولان » فوقف فى قفص الاتهام ، فتى كأجمل ما تكون الفتوة شبابا واشراقا . وكان نولان شابا طموحا مغامرا فأراد ان يختصر الطريق الى الجاه والمال، فقفز قفزة غير مشروعة للجندى الوفى لوطنه المجاهد فى سبيله . واثبت عليه الاتهام أنه كان ناقما على الخدمة العسكرية ، وكان يؤلب رجاله ويبث فيهم نزعة العصيان . فسألته المحكمة :

ـ أتريد يا فيليب نولان أن تقول شيئا ينفى ما يوجه اليك من التهم ويثبت أنك كنت مخلصا للولايات المتحدة ؟

وفى نزوة من الرعونة ، أو فى لوثة من الجنون ، قال المتهم :

ـ ألا لعنة الله على الولايات المتحدة .. ألا تكفوا عن ذكر هذا الاسم الذى سئمته وكرهته ، ووددت ألا أسمعه ما حييت ؟!

وساد المكان صمت مروع وخيم عليه وجوم رهيب . فقد كانت الولايات المتحدة عند كل أولئك الذين سمعوا هذا الكلام الارعن الطائش أعز على النفس من الحياة .. أليست هى الحياة ذاتها ؟ هى الماضى الحافل بالآثار والذكريات ، وهى الحاضر الحاشد بالجهود والآمال ، وهى المستقبل المرجو بالحياة الطيبة الكريمة المجيدة .. فبدت الوجوه مغبرة مكفهرة ، وترددت الانفاس لاهثة واجفة ، واتجهت الانظار الى المتهم تحمل عليه اثقالا من السخط والبغض

ثم خلت المحكمة للتداول ، وعادت ، وقد بدا على رجالها ان وجوههم أشد شحوبا ، واصواتهم اكثر ارتجافا ، ورئيسها يقول :

ـ أيها المتهم : استمع الى قرار المحكمة . لقد رأت أن تجيبك الى ما تمنيت ، وهو ألا تسمع اسم الولايات المتحدة ما حييت

وانفجرت من نولان ضحكة ساخرة هازئة ، ولكنه تلفت الى الناس فوجدهم قد سمعوا الحكم راضين مقتنعين ، وكأنهم يرون فيه شرا عظيما ..

ورفع الحكم الى الرئيس « جيفرسون » فوافق عليه

***

نقل نولان الى عرض البحر فى سفينة من سفن الاسطول . وصدرت الاوامر الى رجاله أن يعاملوه فى رفق ، فلا يضنون عليه بطلب ، ولا يسيئون اليه بكلمة . ولكن عليهم ألا يسمحوا له مطلقا أن يطأ أرض امريكا ، أو يسمع عنها شيئا ، أو يقرأ أية كلمة تتصل بها واتفق ركاب السفينة على أن يسموه « الرجل الذى لا وطن له » . وبدت له العقوبة أول الامر تافهة مضحكة ، وأخذ ينظر اليها كرواية هزلية مسلية . فما ضره اذا لم يسمع اسم الولايات المتحدة وفى وسعه أن يسمع اسماء مئات من البلاد غيرها ؟ وما ضره اذ لم يرها وهو سيرى فى طوافه فى سفينته هذه حول العالم أقطارا وارجاء أخرى ؟ ثم ان له من شبابه وفتوته ، ومن أمله وطموحه ، ما يغنيه عن التفكير فى ذلك البلد وينزع من نفسه ذكرياته الماضية !

وبدا خلى النفس فارغ القلب لا يكربه هم من تلك الهموم التى توقعوها له . وأنس الى من فى السفينة من المسافرين والبحارة ، وأخذوا هم يتكلفون الائتناس به . وراح يتحدث اليهم وأخذوا هم يتحدثون اليه ، مبتعدين عن ذكر الوطن حتى ولو صار الحديث مشوها مبتورا .. وكان يطلق ضحكاته الطروبة العالية ، فتعلق النظرات بوجه هذا الرجل الذى لفظه وطنه وما زال يضحك !

ومرت الايام لا تنال من بهجته ولا تحد من حيويته ، ولكن بدأ الندم يساوره ، وشرع الهم يداوره ، فكان يستعين عليهما بابتسامة أو ضحكة متكلفة ، أو كان يهرب من نفسه الى زملائه فيشارك فى سمرهم وحديثهم ، وان كان سمرا مشوبا وحديثا مبتورا ، اذ يبعدون عن كل ما من شأنه أن يتصل بالولايات المتحدة ـ وما أكثر ما يتصل بها ! ـ من قريب أو بعيد

وجاء اليوم الذى نضب فيه معين العناد والمكابرة .. كان ذلك يوم اجتمع بعض الرفاق فى حلقة للقراءة ، وكان الكتاب خلوا من أى شىء يتصل بامريكا ، اذ كان كتابا قديما كتب قبل أن تكتشف امريكا بمئات السنين . وتناوب الفتيان القراءة حتى جاء دور نولان ، فأخذ يقرأ فى صوت عذب جلى .. كانت أبياتا من الشعر تمتزج فيها موسيقى الوزن بروعة المعنى ، وكانت تتحدث عن أولئك الذين خوت قلوبهم فلم يعد للوطن فيها مكان !.. عن أولئك الذين لا يستطيعون أن يقولوا عن بلد من البلاد ، هذا وطنى !.. عن أولئك الذين لا يجدون بلدا يتلهفون اليه اذ يتغربون عنه ، ويلقون فيه الرحال اذا انتهوا من غربتهم وطوافهم !

***

مضى نولان يقرأ .. ولكن صوته الرائق الجلى أخذت تغشيه غشاوة من الخشونة والاضطراب ، ووجهه المشرق الصبوح أخذت ترتسم عليه سمات من الكآبة والوجوم . وأراد زملاؤه أن يحولوا بينه وبين الاستطراد فى القراءة ، وهو يأبى عليهم ذلك ، ويأبى الا أن يقرأ ويقرأ ، وكأنه يسير الى قضاء محتوم .. ثم توقف بغتة ، فقد احتجز صوته الاجوف فى حلقه ، وقد اغرورقت عيناه فلم تعد تتبين الكلمات ، وقام ، وألقى بالكتاب فى البحر ، واندفع الى غرفته مهرولا ..

وظل رهين محبسه شهرين طويلين ، لا يلقى أحدا ولا يكلم أحدا

ثم غادر غرفته وعاد الى زملائه مرة أخرى ، ولكنه كان عندئذ رجلا آخر . فقد اختفى ذلك الرجل المرح الطروب ، وظهر مكانه رجل ألم به الهم واشتد به الكرب ، وبدت على أساريره علائم النادم على اثم خطير جناه . وأخذ على نفسه أن يتجنب زملاءه كثيرا ، اذ أدرك أن وجوده معهم يقطع عليهم أحاديثهم المحببة عن وطنهم ، وبيوتهم ، وأهليهم ، وكل ما فى هذا الوطن من عزيز عليهم . وراح ينكفىء على القراءة فى حجرته التى اكتنفها الغموض والابهام . كان يقرأ المجلات والجرائد الاجنبية بعد أن يقتطع منها كل ما يتصل بأمريكا ، حتى ولو كان اعلانا تجاريا .. أما الكتب فما كان يسمح له منها الا بالقديم الذى وضع قبل كشف أمريكا ، حتى بلغ بهم الامر أن حرموه من قراءة قصة «العاصفة» لشكسبير اذ كان فيها ذكر لجزيرة « برمودا » الامريكية !

***

وحانت عودة السفينة الى الوطن، وتطلعت أعين الفتيان مشرئبة متشوقة تريد أن تتجاوز الافق لترى قطعة من أرض الوطن ، وتطلعت قلوبهم متلهفة واجفة تريد أن تعرف أنباء الزوج والولد والاهل والصحاب . وحسب الفتى أن له أن يتطلع مثلما يتطلعون ، وأن يرقب الافق مثلما يرقبون ، فقيل له : لا ، فهذا هو الوطن الذى حرمت عليك رؤيته ، فهيا الى حجرتك فانزو بين اركانها ، حتى تنقل الى سفينة تنأى بك عن هذه الارض مرة أخرى . .

وعاد الى غرفته ، ولا يعلم الا الله كيف أمضى أيامه ولياليه فيها ، حليف الهم والكمد ، صريع الألم والأسى ، لا يتمنى شيئا الا أن تدركه رحمة الله فتنجيه من هذا العذاب

ونقل الى سفينة أخرى معصوب العينين حتى لا يرى شيئا من أمريكا ، ورست السفينة يوما فى نابلى ، وأقيمت حفلة راقصة على ظهرها ، فقابل احدى صديقاته الامريكيات ، فدعاها أن تراقصه على انغام الموسيقى ، ولبت الدعوة ، ورقصا ، وتحدثا ، وحلا الحديث بينهما ، فتناول باريس ، وفينا ، ولندن ، واثينا . . تناول كل شىء الا ما كان يريد هو أن يجرى حديثه حوله ، الا هذا الوطن الذى اشتد به الحنين اليه واللهفة الى معرفة شؤونه وأنبائه . وأخيرا تجرأ وتشجع وسألها فى صوت مرتجف : « وما هى أخبار الوطن يا مس جراف ؟ » . . وهنا صعقت الفتاة ، وتراجعت الى الخلف فى كبرياء ، وهى تقول له : « الوطن ! الوطن يا مستر نولان ! ألست انت الرجل الذى لا يريد أن يسمع اسم الوطن ؟! »

***

وتركت الرجل وسط حلقة الرقص ، تنتهبه الاعين والابصار ، وهو فى غمرة من الخجل لا يعدلها الا ما به من الهم والأسى

وألحت عليه ذكريات الوطن ، فكان يعيش بها وهى دفينة فى حناياه ، اذ كان شديد الحرص على أن يخفى حنينه هذا تحت وجه جامد لا تعبير فيه ، وفى صوت أجوف لامعنى له ، وخلال عينين ساهمتين زائغتين كاد أن يخبو ضوؤهما وبريقهما . ثم تمر به لحظات تفيض فيها مشاعره وعواطفه فلا يملك لنفسه عليهـا سبيلا . فقد طاردت يوما سفينته الامريكية سفينة برتغالية تحمل الرقيق ، واستولت عليها ، وتحير قائد السفينة الامريكية فهو لا يفهم لغة العبيد ولا لغة البرتغال ، وكان يريد أن يسكن ثائرة العبيد اذ كانوا هائجين صاخبين ، يتصايحون ويتصارخون ، فاستعان بفيليب نولان الذى كان يجيد البرتغالية ، فقام بدور الوسيط بينه وبين البرتغاليين ، وكان هؤلاء بدورهم يترجمون للعبيد . ووعدهم الربان الامريكى بالحرية فهللوا وكبروا ، وهتفوا وصفقوا ، واقبلوا على قدميه يقبلونها . . ثم قال لهم : ولكنه لن يعيدهم الى بلدهم بل سينقلهم الى بلد آخر أحسن مناخا وأخصب أرضا ، فعادوا كما كانوا هائجين صاخبين ، يصرخون صراخا كالعويل العميق . وتساءل الربان عما بهم ، فأخذ نولان يترجم له ووجهه يفيض ألما وأسى ، انهم يقولون : « لا . لا .

أعدنا الى وطننا ، الى بيوتنا ، الى نسائنا وأولادنا » . وتهدج صوته ، وطفرت دموعه ، واغبر وجهه بغبرة الاسى ، حتى ان الزنوج انفسهم بهتوا مما رأوا

***

وراح نولان بعدها يحدث نفسه ويناجي ربه هاتفا : يا رب ! لم أضللتني عن سواء السبيل ، فزينت الى كره الوطن والازدراء بالوطنية ؟ يا رب ! لقد كفرت عن اثمى ، وتطهرت من ذنبى ، فاتح لى فرصة أثبت فيها حبى لوطنى وبنى وطنى !

وجاءت الفرصة أخيرا، اذ اشتبكت سفينته الامريكية بسفينة انجليزية، وسلط الانجليز مدافعهم فسقط قائد أعدائهم ، ودبت بينهم الفوضى واستولى عليهم الرعب وكاد الانجليز أن يظهروا عليهم لولا أن تصدى لهم نولان ، فأقام نفسه قائدا على اتباعه يصدر اليهم الاوامر ، ويبث فيهم الثقة ، ويناشدهم الجلد والثبات ، فأخذوا يصلون العدو النار اللاهبة، وهو فى طليعتهم مستهدفا لنار العدو ولا يبالى .. وانجلت المعركة عن فرار السفينة الانجليزية مهشمة مدحورة . فجاء ربان السفينة الى نولان يشكره ويقول له : لن ننسى هذا اليوم ولن تنساه أنت أبدا . لقد كتبت اليوم لوطنك نصرا ، ولنفسك مجدا ، وانت اليوم منا ونحن منك » . ثم قلده سيفا . فبكى كما يبكى الطفل ، وحق له أن يبكى، فقد كان يغسل بدموعه ماجنت يده وجنى لسانه، وكان يتوسل اليهم بها أن يغفروا ويصفحوا.
ووعده الربان خيرا ، وأرسل الى وزارة الحربية الامريكية يصف لها كيف أبلى الرجل خير بلاء ، وكيف ندم وكفر عما مضى ، ولكن الوزارة تجاهلت الامر ، وعاد الربان يبعث بالرسالة تلو الرسالة ، وأخذ أصدقاء نولان يسعون له ويكدون ، ولكن بلا جدوى ، فليس لاسم نولان وجود فى سجلات الحكومة ، وهى لا تعرف أن من أبناء أمريكا من يحمل هذا الاسم ..

***

وهكذا ذهب الرجل نسيا منسيا ، ومرت به خمسون عاما شريدا منفيا ، حتى وافاه الاجل واشرف الرجل على الموت ولم تكتحل عيناه بمرأى الوطن ، ولم تستمتع أذناه بسماع كلمة عن الوطن ، فارسل يستدعى أحد أصدقائه ليكون شاهده ساعة الموت

وجاء الرجل ودخل حجرة نولان التى طالما اكتنفها الغموض وأحاطت بها الاسرار ، وتلفت الرجل حواليه فرأى نولان قد أحال غرفته محرابا يتعبد فيه .. يتعبد فيه للوطن ! ففى واجهة الحجرة صورة كبيرة لواشنطون محرر أمريكا ، يحف بها رسم هائل للعلم الامريكى ، ثم رأى رسما للنسر الامريكى عيناه من الحجر الكريم . وعند فراشه وتحت مستوى نظره حين يستلقى خريطة للولايات المتحدة .. واذ يلاحظ نولان دهشة صديقه مما يرى ، يقول له : « ألا ترى أن لى من غرفتى هذه وطنا ؟ ان المرء لا يطيق الحياة بغير وطن أبدا .. وها أنذا احتضر وليس فى هذه السفينة ولا فى أمريكا بأجمعها من هو

أمكن مني حبا لوطني .. ليس ثمة من يحب العلم الامريكي كما أحبه ، ولا من يصلي له مثلما أصلي ، ولا من يرجو له قدر ما أرجو .. لقد تألمت خمسين عاما ، فدعنا في هذه اللحظة الاخيرة مما مضى ، ولكن حدثني قبل أن أموت عن وطني .. »

وتمتم الرجل : سأخبرك يا مستر نولان عن كل ما تريد . فارتسمت ابتسامة منشرحة على وجه المريض المحتضر ، وهو يسمع صاحبه يقص عليه في ساعة أو بعض ساعة قصة خمسين عاما حافلة بالاحداث والجلائل ، ونولان يسأله ويستزيده ، والرجل يجيب ويروى حتى أحس نولان أن ساعته الاخيرة قد ازفت ، فطلب كتابا للصلاة ، وأشار الى فقرة فيه، وراح يرددها مع صديقه في صوت خافت عميق : نشكرك يا رب على ما وهبتنا .. وهبت لنا أوطانا نعيش فيها ، ووهبت لنا بيوتا نأوى اليها ، ووهبت لنا أهلا نسكن اليهم آمين »

ثم قال : لقد قرأت هذه الصلاة مئات ، بل آلاف المرات ، وسأنام الآن نومتي الابدية، فاذا ما همد جسمي فانظر في الانجيل حيث أشرت بورقة بيضاء ، فاقرأ على رأسي ما فيه

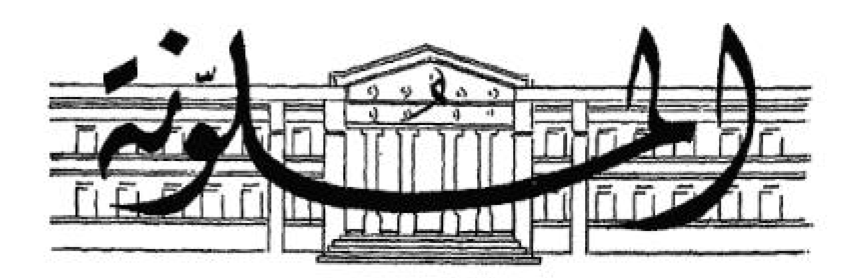
وقرأ الرجل : « كانوا يرتجون وطنا ولو في السماء .. فأعد لهم فيه وطنا ومأوى »

ووجدوه قد كتب وصية بأن يلقوا جسده في البحر ، ففيه عاش وفيه مات ، وبأن يقيموا له نصبا في أرض أمريكا ويكتبوا عليه :

« ذكرى فيليب نولان .. الضابط في جيش الولايات المتحدة .. الذي أحب وطنه أكثر مما أحبه أي انسان »



« كل ما فى هذه القصة واقع قد كان ! وقعت حوادثها منذ اعوام ثمانية ، وأبطالها ، والذين حدثوا بها ، ما يزالون — فى الشرق والغرب — أحياء يرزقون . ولعل فيهم من تقع اليه فلا يخطىء من ملامحها ! » بنت الشاطىء



بقلم السيدة بنت الشاطىء

لم أشعر برغبة فى لقائها على كثرة ما سمعت عنها ، ولعلى لو سئلت يومئذ عن سبب زهدى فى الاتصال بها لما عرفت بم أجيب . أكان ذلك لاشتغالى بالدرس عن كل ما سواه؟ أم كان ضجرا بظهورها فى ميدان حرصت أنا على الظهور فيه ؟ أم لعل مرجعه ذلك التنافر الغريب بين طبيعتينا ، والاختلاف الواضح بين شخصية كل منا ؟

كنت فى ذلك الحين أطلب العلم فى كلية الآداب ، فى ظروف شاقة أليمة اضطررت فيها الى الجمع بين دراستى الجامعية ، وعملى فى كلية البنات . ولم يدع لى هذا الجمع فرصة للمشاركة فى النشاط الجامعى خارج قاعات الدرس ، اذ كان عملى — هنا وهناك — يأكل وقتى كله ، ويسلمنى الى مخدعى فى ساعة متأخرة من الليل ، مكدودة متعبة ، أدبر لغدى وأوزع ساعاته المحدودة على أعمالى الكثار

وكان اسمها يتردد على مسمعى عفوا فى اللحظات القصار التى كنا نمضيها فى اللغو بين المحاضرات ، حتى ضجرت بها على غير معرفة أو لقاء . .

***

وفدت على مصر من أحد الاقطار الشقيقة ، وكانت قد أمضت بضع سنوات بعيدة عن وطنها فى بعثة علمية الى انجلترا . فلما أتمت الدراسة هناك ، جاءت الى مصر قبل أن تعود الى وطنها . واختلف الطلبة والطالبات فى أمرها ، فمن قائل انها جاءت تستزيد من العلم ، ومن قائل انها فارة من وطنها ، اثر حادث رهيب وقع لها هناك . .

على أن هذا الغموض لم يغرني بالاهتمام بها ، فقد كنت أجدها ـ على البعد ـ ذات لون براق ، وان تك غير ذات طعم !



كنت ألقاها فى فترات متباعدة : متجهة الى القاعة الكبرى للمحاضرات ، لسماع محاضرة عامة ، أو واقفة على باب مكتبة الجامعة ، تتحدث الى نفر من الطلاب أو ساعية الى الملعب وفى يدها مضرب الكرة تلوح به فى اعلان مكشوف . ولم تكن العين تخطئها أبدا ، فقد كانت ترتدى فى كل حين ملابس «فاقعة» وتتزين زينة ملونة صارخة ، حتى طاب لمستر «ب» أحد أساتذتنا الانجليز ، أن يسميها "Miss Colours" ويدعوها بهذا الاسم حاضرة وغائبة . .

ولعل هذا البريق كان مسئولا ـ الى حد ما ـ عن عدم مبالاتي بها ، بل لعلي أحسست نحوها شيئا من الاحتقار ، ثم أعفيتها منه لانى رأيت فيه لونا من الاكتراث هى عندى غير جديرة به

ودعينا ذات يوم الى حفلة شاى أقامتها الكلية لفريق من المستشرقين . وكان على كل من طلبة الامتياز أن يصحب واحدا من الضيوف أثناء الحفلة ، يحدثه عما يهمه من أمرنا ، ويجيبه عما يسأل عنه ، ويؤدى له واجب المجاملة . وكان ضيفى وقتئذ مستر «د» المستشرق الانجليزى المعروف

وخطر لى أننا سوف نمضى الوقت فى الحديث عن كتاب الأوراق للصولى وكان قد نشره قبيل ذلك الوقت ، وعن مدرسة اللغات الشرقية التى كان متصلا بها فى لندن ، وعن رحلاته المتواصلة فى الشرق العربى ، وعن اسلامه الذى قال فيه المرجفون ما قالوا ، وعن زواجه بواحدة بعد أخرى من فتياتنا المصريات المسلمات

لكنه لم يتحدث عن شيء من ذلك كله ، وانما أصر فى الحاح لطيف على أن نتحدث عن « ر » تلك الفتاة التى ضجرت بها !

سألنى ـ أول ما لقينى ـ ان كنت أعرفها فاستحييت أن أجيب بلا ، وهى معى فى كلية واحدة ! ولم أكن أشفق من اتهامه اياى بالغفلة اذا عرف أنى أجهل شؤون الزميلات ، لكنى كنت حريصة على حسن رأيه فى جامعتنا ، فزعمت له أنى أعرفها ، ولم أقل انها معرفة سطحية لا تتجاوز النظرة الجافة العابرة ، والتحية التقليدية الفاترة

ومضى هو يسألنى ان كانت الفتاة قد برئت من جراحها ؟ قلت أكذب ان زعمت أننى أدرى . .

فحدق فى قدح الشاى برهة ثم قال : لا بأس عليها فيما أرى ! انها تصر على أن تعيش بعد الذى بلت من هموم العيش

قلت له فى ايجاز : كذلك نفعل جميعا . فهز رأسه واستدرك مسرعا : ولكن الاقلين منا هم الذين عانوا ما عانت . ولن تزعمى أن من الهين على فتاة فى مثل سنها ، وتشبثها بالحياة ، أن تنبذ فى الشهور الاولى من عرسها ، فتسعى وراء زوجها فى الحاح وهو يفر ويفر ، حتى يضرب بينهما بسور له باب رهيب ، يفصل عالمنا عن دنيا الجنون والخبال !

وبدت لى قصتها شائقة ، لكنى لم أستزد . وطوى مستر « د » حديثه القصير عنها ، ثم راحت الايام تنسج ستارا من التشاغل والنسيان ، على اليسير الذى سمعت من قصتها

***

ورأيتها مع الايام ، تعيش معى فى مكان واحد .. وكنت قد سمعت عرضا زميلاتى يتحدثن عن قرب التحاقها بالبيت الذى نقيم فيه ، بعد أن ضاقت بغلاء العيش فى « البنسيونات » . لكنى لم أعر الأمر اهتماما حتى رأيتها فجأة ذات مساء ، تلج باب غرفتى فى صحبة سيدة أجنبية كهلة تشرف على شؤوننا فى الدار . وقد انسحبت هذه بعد تقديم كل منا الى صاحبتها ، وتركتنى مع « الملونة » وجها الى وجه !



حاولت جهدى أن أقبل عليها وأحسن استقبالها لكن (ألوانها) وقفت دون هذه الرغبة الطيبة ، فقد بدت لى فى ثيابها الحمر ، وزينتها الصارخة ، وجبهتها العريضة البارزة ، وشعرها الاسود الاثيث اللامع ، وتسريحتها التى تقف هذا الشعر ، وأظافرها الطويلة المدببة المصبوغة بحمرة كالدم ، بدت لى فى هذه المجموعة من الالوان والشيات ، كأنها طيف من الجن أو صورة لاحدى الساحرات اللائى هومن على مضاجعنا فى الطفولة الباكرة . وقد مضت على لحظات غير قصار قبل أن أثوب الى نفسى وألقى عن الفتاة هذا الجو الغريب الذى تمثلت لى فيه ، ومددت يدى أدير المذياع لانقاذ الموقف ، فكانت الصدفة الغريبة أنه راح ينقل الينا صورة لمشهد الساحرات فى مأساة « ماكبث » ، ويصف لنا ثيابهن

الحمر ، وأعينهن النارية ، وشعورهن السبطة السوداء ، وأذرعهن الطويلة المنتهية بأظافر حادة دامية . ثم أسمعنا المذيع صيحاتهن المروعة ، وهن يحطن بماكبث ، ويلقين اليه نبوءتهن الرهيبة عما يحمله اليه غده من مجد ودم !

كذبت أذنى أول الامر ، وزعمت أنها صور الوهم وتهاويل الخيال ، لكن المذيع مضى يقول : « ينتهى هنا ـ سيداتى وسادتى ـ مشهد الساحرات من مأساة ماكبث لشكسبير ، قدمته لكم جماعة خريجى قسم اللغة الانجليزية فى كلية الآداب . الجزء التالى من البرنامج يأتى بعد قليل .. »

ولاحظت « ر » اضطرابى ، فاستأذنت منصرفة وأنا أشيعها بابتسامة باهتة متعبة

***

وأصبحت ألقاها مصبحة ممسية : فى غرفة الطعام ، وفى أبهاء المنزل ، وممماشى الحديقة ، والى جانب المذياع ، وفى شرفات الدار . على أن ما بيننا ظل بعيدا .. بعيدا . وعبثا حاولت أن أقرب المسافة التى بيننا ، فلا أكاد ألمحها فى ألوانها حتى أشيح بوجهى عنها بعد أن ألقى اليها التحية التقليدية فى ضجر وفتور

على أنها لم تكن تقيم معنا فى المنزل طويلا ، اذ كانت لا تصبر على الاستقرار يوما واحدا .. انها (زبونة) مستديمة للريحانى وبديعة ودور السينما ، لا يعرض ثم فلم ولا رواية ولا عرض ، من غير أن تشهده فى يومه الاول . وهى الى هذا ، مشتركة دائمة فى كل الرحلات الجامعية ، لا تفوتها منها رحلة ولا يعوقها عن السفر عائق . ففى السنوات المعدودات التى أمضتها بيننا ، سافرت الى سيوه والبحر الاحمر ، وشرق الاردن ، والسودان والحجاز ، واشتركت فى الرحلات المحلية جميعا ، وقامت برحلات أخرى خاصة . الى الصعيد الاعلى ، والاسكندرية ، ورأس البر

وكنا نأخذ عليها هذا الاسراف فى الرحلة والتنقل ، وننكره لها هذا الاقبال النهم على الملاهى ، لكن الغريب من أمرها ، انها كانت تمضى الى الملهى ، أو تذهب فى الرحلة ، كما تسير الى غرفة الطعام ، أو قاعة الدرس ، وكأن هذا جزء من برنامجها اليومى ، لا غرابة فيه ، ولا وجه للاعتراض عليه

***

وبدأ فضول الفتيات يقتحم السور الذى أقامته « ر » حول نفسها ، والذى خيل اليهن أنها طلته بالبهرج الخداع ، والالوان البراقة ، كى تشغل الاعين فلا ترى ما وراءه

وكثر تهامسهن حولها وحديثهن عنها ، فى لحظات الفراغ وأويقات السمر . وبدأت ذوات الحس فيهن يشعرن بشىء غير معتاد ، فى حركاتها ، وصوتها ، وطريقة ارتدائها

ملابسها وأسلوب زينتها ، وان لم يميزن بالضبط هذا الفارق الذى يخرج بها عنا . قالت احداهن انها أكبر منا سنا ، وقالت أخرى انها أوفر نضوجا وأكثر تجربة . على أنهن لم يستكملن لحياتها صورة واضحة ، وظلت تعيش بيننا شيئا غريبا مبهما ..

ولم أكن أخوض فى أمرها مع الخائضات ، فاذا حدثت بشىء عنها لقيته بابتسامة غير مكترثة ، فلعلى كنت الوحيدة فيهن ، التى تعرف انها سيدة تزوجت ، وليست آنسة عذراء كما تدعى

***

ومضى عام وبعض عام ..

ثم أذن لطلبة البعثات فى السفر بعد أن أمسكتهم ظروف الحرب طويلا . وقد أقمنا ليلة الرحيل حفلة سمر لوداع الزميلات المقيمات معنا فى الدار ، وأعددنا لهن هدايا تذكارية، فكانت المفاجأة الكبرى ، أن أعلنت « ر » عزمها على البقاء فى مصر .. فاذا بواحدة من مواطناتها تنهض فجأة من بيننا : شاحبة الوجه مضطربة الخطوات ، وقد انسحبت تستريح فى غرفتى ، معتذرة بصداع قاس أليم

وانفض السامر ، فسعيت اليها أعينها على أمرها ، فلم أكد أسألها عما بها حتى انفجرت باكية فى انفعال ثائر ، ثم غيضت من عبراتها وقالت لى :

ـ لو علمت أنى ألتقى فى مصر بهذه المخلوقة ويجمعنى واياها سقف واحد ، لما جئت فيمن جاء من طلاب البعثة

سألتها : ولم يضيرك أن تجيئا فتكون كل منكما وطنا للأخرى فى دار الغربة ؟

فأجابت : لانها يا أختى بطلة مأساة كان ضحيتها فتى ولا كالفتيان من أبناء خؤولتى ، وأخت كريمة من أخواتها لابيها

قلت : ولكنك لم تكونى بادية الضجر بها ، وقد أقمتما معنا سنوات فما شعرنا بشىء بينكما

قالت : بل كظمت الغيظ ، وكتمت السر ، واعتصمت بالصبر والمداراة ، حتى اذا سمعتها اليوم تعلن عن بقائها هنا ، نفد صبرى وغلب احتمالى

فهونت من الامر قائلة : وما شأنك بها ؟ فلتقم حيث شاءت ، ولتمض أنت فى رحلتك على بركة الله ، وما أحسبك حريصة على صحبتها فى السفر

قالت : بل يعز على أن أراها تنسى الذى حطمته من ورائها ، وتلقى شباكها على فتى غر من مواطنينا يعمل هنا . وقد تعرفت اليه ثم تطورت المعرفة الى صحبة فملازمة ، ضجرنا بها جميعا لكنا لم نر فيها أكثر من أنس الغريب الى الغريب . ولم يكن أسوؤنا رأيا فيها ،

ينتظر أن تصل بها الجرأة والطيش والقسوة ، الى حد استهواء هذا الفتى الغر ، وما تزال ضحاياها هناك ، واحدة تتلوى فى ألم ، وآخر يصيح فى جنون ..



أطرقت محدثتى صامتة ، ثم أرسلت عينيها الى بعيد . ولبثت كذلك برهة خلت أنها غابت فيها عن المكان . فلما عادت الى كان وجهها شاحبا متعبا ، فأشفقت عليها من حدة انفعالها وسألتها أن تترفق بنفسها وتمسك عن الكلام ، غير انها لم تصغ الى ، وراحت تقص على القصص ، وكان الذى سمعت عجبا ..

قالت :

لم أكن عرفتها قبل أن أدعى لشهود حفلة خطبة أختها من أبيها ، لفتى كريم من ذوى قرابتى . وكانت هى غائبة فى أوربا ، وقد أعلنوا يومئذ أن حفلة القران سوف تؤجل حتى تعود « ر » وان ضاقت العروس بهذا التأجيل ..

كانت تعيش مع زوج أبيها عيشة متعبة لا تعرف طعم الطمأنينة والسلام . وقد ألقيت عليها أعباء الخدمة المنزلية ، ورعاية أخواتها لابيها ، فاحتملت ذلك كله فى صبر نادر ، حتى عوض الله صبرها خيرا وأرسل اليها من ينقذها

كان فتى نبيلا ظاهرا فى قومه ، أتم الدراسة العليا للقانون ، واشتغل بالمحاماة فنبغ فيها نشأ يتيم الابوين ، توفى أبوه وتركه صبيا فى رعاية صديقه والد « ر » ، وقد تعهده هذا وأحسن القيام بأمره حتى شب ونما ، وكان الفتى رقيق الحس ، قد هذبه اليتم وصقله الحرمان ، فرأى - اعترافا بجميل الشيخ وبرا به أن يصهر اليه . وقد أحس أنسا بالفتاة الكبرى ، يتيمة الام ، ورأى فيها من الدعة واللطف والتواضع ، ما يؤنس وحدته النفسية ، فاختارها له زوجا ، وأعلنت الخطبة ثم كان عليهما أن ينتظرا عودة « ر »

وعادت بعد حين ، فتغير سير الحوادث ، ومجرى الزمان ..

تصدت للفتى وهى فى كامل زينتها فخلبت لبه وأضلت هواه !

رأى فيها ذلك الطراز الجديد للمرأة الحديثة ، المرأة الجريئة السافرة الجسور ، التى جربت وعرفت وذاقت من ألوان الحياة ما لم تذقه أمها وجدتها ، ولم يكن قد رأى ذلك الطراز من قبل ، فأقبل عليها مفغور الفم متفتح الحواس : يملأ أذنيه من حديثها الشائق ،

ويملأ أنفه من عطر الغرب الذى تضمخت به ، ويملأ عينيه من البريق الخلاب الذى تلونت به ، حتى دار رأسه وزاغت عيناه

وكان ما لا بد أن يكون !

شغل بها عن أختها ، وقد أحس لذلك شيئا من التردد والخجل ، لكن يد (الام) كانت من ورائه تدفعه ، وتلقى اليه أن التردد عجز ، والخجل ليس من شيم الرجال . فجمع أمره وتخلى عن صاحبته ، وتزوج من أختها . ولم يجد فى الامر مشقة أو عسرا اذ كانت (الام) قد هيأت للامر وذللت الطريق ، فأذابت بحيلتها صلابة الزوج الذى عز عليه أن تمتحن فتاته الكبرى بتلك الكارثة من أختها . ووضعت أصابعها فى أذنيه ، فلم تصل اليه صيحات الضحية التعسة

أما حساب الفتى مع نفسه ، فلم يكن أوانه قد آن . وأين للمفتون المسحر أن يتنبه الى حساب النفس وهو فى غمرة الفتنة وسكرة النشوة !

على أن الستار لم يسدل على القصة . فلم يمض غير قليل حتى لاحت على الافق ، نذر عاصفة مروعة مدمرة

زالت غمرة اللقاء الاول ، وراحت سكرته ، ومضى الهواء بالعطر الغريب ، ومحلت الألوان ، وانطفأ البريق ، فصحا الفتى من نومته وكشف عنه غطاؤه . فبدت له فتاته (المثالية الشائقة) مخلوقة عادية غلفاء القلب ، جامدة الحس ، مغلقة النفس ، مظلمة الروح

كان يلتمس عندها الزميلة المثقفة المتعلمة التى تقدر جهاده العلمى ، وتبارك خطاه نحو المجد الادبى الذى يسعى اليه كشاعر فنان

وكان ينشد فيها تلك المخلوقة المتمدينة التى تشبعت بروح العصر ، فغدت قادرة على فهم الدنيا ومسايرة الحياة

لكنه ألفاها ـ فى يقظته الأليمة ـ صورة زائفة ، خدعها الخادعون ولونوها بألوان (فاقعة) زيفت شخصيتها وأطفأت نور الجوهر الاصيل فى طبيعتها ، فانطلقت فى الآفاق مجموعة من الالوان (قوس قزح) خادعة مخدوعة ، ضالة مضللة ، تخطف الابصار وتعشى الأعين وليست على شىء !

وعاد ينظر من ورائه الى الفتاة الاخرى التى خلفها من ورائه حطاما منهارا ، ثم راح يقارن بينها وبين الاخرى فاذا الفرق بينهما بعيد

لقد كانت احداهما على بساطتها وسذاجتها ، لطيفة رقيقة وديعة ، قد هذبها الألم مثله ، وهيأتها طبيعتها وظروفها لتكون رفيقة مؤنسة فى العش ، وربة صالحة للبيت ، على حين كانت الاخرى مغرورة طائشة ، ملونة ، قد هيأتها طبيعتها وظروفها لتظهر على المسرح ، أو تتنقل بين (الصالونات)

وأطال النظر الى وراء ، وبنفسه أن يدير عجلة الزمن ليرجع الى تلك التى خلفها للحزن واليأس وهى جديرة منه بالمحبة والاعزاز

واستيقظت نفسه تحاسبه وتسأله عن هذه الانثى الكريمة الوديعة التى ألقى بها فى ظلمات اليأس والحرمان وهو الشاعر الذى يتغنى بالمثل العليا ، ويبشر بالانسانية الرحيمة النبيلة ؟!

هنالك هم بالتكفير عن خطيئته فسدت عليه السبل : وقفت (الام) كالنمرة المتوحشة تذوده عن فتاته ، وتغرى الاب بالحيلولة دون (عبث هذا الشاب الطائش المجنون) وتنذره بالمصير المرعب الذى ينتظر ابنته الثانية وهى العزيزة المدللة التى تأبى أن تسام الخسف الذى سيمته أخت لها من قبل فاحتملته وصبرت عليه

ولم يشأ الاب أن يفجع فى « ر » بعد أن فجع فى أختها ، فأعلن الحرب على الفتى الذى تبناه طويلا ، على حين مضت « ر » تسىء اليه وتنتقم ـ بامساكه اليها ـ لكبريائها التى أهينت ، وعزتها التى مست

اعتصم بالعزلة ، لكن الزوجة راحت تلاحقه وتطارده ففزع الى (الشعر) يحاول أن يتنفس فيه آلامه وبثه همومه وأحزانه ، لكن الشعر زاد فى حدة مزاجه ورقة شعوره ، وخلع على (فتاته الاولى) رداء ساحرا فتانا ، فتمثلت له صورة رائعة للألم الصامت وتمثالا فريدا للحزن الوديع ، واليأس الهادىء ، فاذا به يجد لها عاطفة قوية غلابة من الحنين المستعر والهوى المشبوب

هكذا أثمرت به ظروفه ، وباعدت الشاعرية بينه وبين الواقع ، فهام على وجهه فى غير دنيا الناس ، ومضى يعيش فى ماضيه ويرتوى من ذلك الحنان التى كانت فتاته تسبغه عليه فتملأ نفسه أمنا وسكينة وسلاما ، وصار يجد من الانس لذلك الماضى ما يفسد عليه حاضره ، ويحول بينه وبين الاستقرار فى حياته الجديدة . .

ووقعت الواقعة ، فانقطع كل ما بينه وبين زوجه ويومه وغده ، وعاد يهذى بذكر ماضيه وكأنه يعيش حقا فيه ، وكلما حاولوا أن يردوه الى وعيه ويصرفوه عن أمسه ، ازداد تشبثا به ، وحرصا عليه

وأشفقوا عليه من الجنون ، فحملوه بعيدا عن مسرح ماضيه ، فثار هائجا يناضل دونه ويحميه ممن يأتمرون به . .

واختلط عليه الامر ، وتشابهت الاسماء فلم يعد يذكر غير فتاته ، وخيل اليه الوهم أنها معه فهو يناديها ويتغنى لها ، ويحدثها عن ذلك (الكابوس) المرعب الذى جثم على صدره فى الحلم فباعد بينه وبينها ، ووضع فى مكانها من بيته ، مخلوقة أخرى غريبة ، لا يعرفها ولا يريد أن يعرفها

وكان اذا تنفس الصبح ، مضى يرتاد الحدائق والبساتين ، فيجمع أجمل الزهور وأحلى

الفاكهة ، ثم يعود بها جذلان فرحا ، فيلقى بها بين يدى تمثاله الموهوم . فاذا جن عليه الليل أعد مائدة العشاء ولبث ساهرا ينتظر فتاته وما يشك فى أنها آتية . .

وكان فى ساعات النوم يهذى باسمها ، ويشكو لها ما لقيه فى بعدها من وحشة وعذاب ، ويتوسل اليها ألا تمضى عنه لينجو من الحلم المرعب الذى يعاوده كلما غابت

وبلغ به الامر مداه فحملوه الى المستشفى ، حيث ما يزال هناك متشبثا بفتاته ملتفتا الى ماضيه

ولقد روعنا بهذا المصير المؤلم للشاب الكريم ونظر بعضنا الى الزوجة فما لبثنا أن رأيناها تنفض يديها من الماضى وتطلب الاذن بالطلاق ، ثم تفر من الجو المسمم بحديث (المجنون !) ، وهذه هى أخيرا تلقى شباكها على صيد جديد

***

وصمتت الراوية ، فاذا الليل يتنفس فى ثقل واعياء كأنه كان يصغى معى الى حديث الملونة ثم نبحت كلاب الحى ، وهبت الريح فجأة تصرخ وتعول . . كأننا فى صميم الشتاء !

***

وأصبح الصباح فاذا (الراوية) قد مضى بها القطار الى بعيد ، وجلسنا الى المائدة نتناول طعام الافطار فى سكون نبهنا منه فجأة صوت مديرة البيت وهى تدخل القاعة وفى يدها بطاقة وردية اللون ، ذات رسوم زاهية لامعة . .

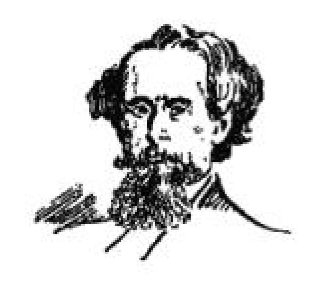
لقد كانت تلك دعوة لتناول الشاى فى جروبى الجديد ، مع « الآنسة ر » وخطيبها الجديد . .

وها قد مضت الاعوام ، وما تزال البطاقة بين أوراقى ، رأيتها فأعادت الى ما سمعت ، وذكرتنى بأن أرسل فى الناس قصة هذه « الملونة »

شوشاى — بنت الشاطىء



كاتب الابروشية



لتشـــارلز ديكنز

فى بلدة صغيرة فى الريف ، وعلى مسافة بعيدة من لندن كان يعيش رجل صغير الجسم يدعى « ناثانيل بيكين » ، وكان يعمل كاتبا فى الابروشية فى تلك البلدة الصغيرة ، وكان يقطن منزلا صغيرا فى هاى ستريت الصغير ، على مسيرة عشر دقائق من الكنيسة الصغيرة . وكان يشاهد من التاسعة صباحا حتى الرابعة مساء يعلم الاولاد قليلا من العلم ، وكان لا يضر ولا يؤذى ، طيب القلب ، معقوف الانف الى أعلى ، ساقاه معوجتان ، فى عينه حول ، وفى مشيته عرج ، يقسم وقته مناصفة بين البيعة والمدرسة

وقد حدث مرة أن رفع عينيه عن لوح الاردواز وكان يحل ما أعضل من مسألة حسابية فى الاضافة المركبة لصبى خبيث ، فوقع بصره بغتة على محيا « ماريا لوبز » المشرق النضر ، وهى الابنة الوحيدة للوبز العجوز الفارس الذى لا يشق له غبار فى طول الاقطاعية وعرضها ، وشاهد مستر بكن حسن ماريا كثيرا قبل ذلك فى الكنيسة وفى غيرها من الاماكن ، ولكن السحر فى عينيها لم يكن خلابا كهذه المرة التى كادت وجناتها تتفجر بحمرة الدم فيها ، فلا غرابة اذا وجد ناثانيل نظراته أسيرة حسنها ، فلم يتحول بنظره عنها ، ورأت ماريا لوبز شابا يحملق فى وجهها فلا غرابة أن تراجعت وألقت برأسها الصغير الى خلف النافذة التى كانت منها تطل ، وأوصدتها وأرخت ستائرها ، ولا غرابة بعد هذا فى أن ينهال ناثانيل بكن لتوه على الولد الشرير الذى طالما أغاظه يوسعه لطما وركلا ، ودفع به الى الخارج يروى غليل ثائره ، ويطفىء جيشان صدره ، وهذا كله طبعى خلو مما يدعو الى العجب أو يبعث على الدهشة

وانما موضع الدهشة والعجب ان يصبو رجل مثل ناثانيل بكن منطويا على نفسه عصبى المزاج ، ضئيل الدخل ، فتطمح نفسه ويعمل منذ ذلك اليوم على طلب يد ماريا من أبيها لوبز العجوز الحاد الطبع ، والفارس المغوار ، الطائل الثراء لدرجة تمكنه من أن يبتاع كل ضياع القرية بكلمة واحدة يخطها قلمه ، دون ان تضيق يده بذلك ، ودون ان يشعر بوطأة ما انفق . ولكن الحب أعمى وعين ناثانيل بها حول ، وربما كان هذان السببان مجتمعين هما اللذان حالا وناثانيل من أن يرى الامور فى وضعها الطبيعى

ولو كان يدور بخلد لوبز ، والحالة هذه ، أدنى فكرة أو طيف فكرة عما يستولى على ناثانيل من عواطف لاتى على حجرة الدراسة من أساسها واستأصل معلمها من الحياة ،



ولثار ثائره واقترف جرما يتفق ووحشيته وفظاظته ، فقد كان عجوزا مروعا ، عند ما يؤذى فى كرامته ، ويصعد الدم الى رأسه ، تسمع الايمان المغلظة تتدفق من فيه صاخبة جارفة ، مدوية كالسيل العرم ، وهذه اللعنات تسمعها منه على قارعة الطريق وهو يصبها على رأس الصبى الاعجف ذى السيقان الدقيقة ، ناعيا عليه تبلده وخموله ، فكانت فرائص ناثانيل ترتعد فرقا عند سماعه هذا العباب من السباب والشتائم ، وتصطك اسنانه وتتخلخل ركبتاه رعبا ، ويقف شعر التلاميذ فى منابته هلعا

يوم يمضى اثر يوم ، وينقضى اليوم المدرسى ، وينصرف التلاميذ ، فيخلو الجو لناثانيل ويأخذ مكانه أمام النافذة الامامية ، وفى يده كتاب يتصنع القراءة فيه ، وهو يلقى بنظرات مختلسة بحثا عن عينى ماريا ذات البريق . لم يكن يجلس فى مكانه هذا من أيام ، وقبل ان تشرق عينا ماريا لوبز ببريقهما فى نافذة علوية وقد جلست منصرفة بكليتها الى قراءة كتاب تجمله . وكلما ارتفعت عيناها عن كتابها وتسددت سهام لحاظها تجاهه غمره سرور فياض وملأه اعجاب لا يحد . وفى نهاية المطاف علم ناثانيل بتغيب لوبز العجوز عن منزله ذات يوم ، فتجرأ على لثم يده لماريا لوبز، فقبلت ماريا يدها وابتسمت بدلا من أن تغلق النافذة وترخى ستائرها ، فقر عزمه على ان يعلن هواه ، وما يعانى من جوى دون توان ، مهما تكن العاقبة

لم تخط على أديم الارض قدم أجمل من قدم ماريا لوبز ، ولم يخفق تحت النجم قلب أكثر مرحا من قلبها ، ولم يشرق وجه تجمله نونات خلابة كما أشرق محياها ، ولم ينثن قوام فى رقة ودل كما كان يميس قوامها . وكانت تسرح فى عينيها المتلألئتين نظرات لعوب تخترق حبات القلوب وتنفذ فى صميمها ، وتسبى نفوس أشد الرجال قسوة ، بله قلب ناثانيل . وكان فى ضحكها الطروب ابتهاج وسرور ، يبسم لسماعه أشد الناس كراهية لبنى البشر ، حتى ان لوبز العجوز مع عنفه وقسوته لم يستطع أن يغضى عن الاعجاب بفتنة ابنته الجميلة ودلها ، وكانت هى وابنة عمها « كيت » ـ وهى فتاة مكيرة جريئة مقدامة ، قصيرة القامة ، ساحرة القسمات ـ تلعبان عليه ألاعيبهما ، وتمكران به معا ، فلم يكن يستطيع أن يرد لهما مطلبا ، حتى ولو كان كنزا من كنوزه التى حبسها فى الخزانة الحديدية لا ترى ضوء الشمس

نبض قلب ناثانيل عاليا مبرحا بين جوانحه حينما رأى الفتاتين الصغيرتين الفاتنتين على ضوء ونالته بارقة منه فى أمسية من أمسيات الصيف ، وفى الحقل الذى اعتاد ان يتمشى فيه

كثيرا ، وهو ينعم النظر الى وجه ماريا ويتملى جمالها حتى يكتحل النهار بالاثمد ، وترتدى الحياة غلالتها السوداء . ورغم طول تفكيره فى مدى شجاعته ونشاطه اذا سنحت له فرصة لقائها حتى يأخذ أهبته لهذا اللقاء فيكشف لها عن عواطفه ، رغم هذا الاستعداد أحس الدم يصعد حارا دافقا الى وجهه ، فكانت خسارة فادحة لقدميه ، فحرمتا نصيبهما المعتاد فضعفتا ضعفا واضحا ، فاصطكت ركبتاه . وكان ناثانيل يتبعهما كظلهما ، يقف اذا وقفتا يقطفان زهرة ، أو تصغيان الى تغريد طائر ، وكان يفكر أحيانا ماذا عساه أن يفعل اذا غيرتا اتجاههما وأصبح مهما وجها لوجه . ورغم خشيته ورهبته من ذلك اللقاء ، لم يطق صبرا على غيابهما عن ناظريه ، فلما أسرعتا الخطى أسرع هو خطاه ، وسار الهوينا اذا سارتا هونا ، وتوقف عن المسير اذا توقفتا

وكاد الحال يستمر على هذا المنوال حتى يحول الظلام دونه ودونهما ، ولكن « كيت » نظرت خلفها فى خبث وأشارت الى ناثانيل مشجعة اياه على التقدم ، وكان فى حركاتها وسكناتها ما لم يستطع مقاومته . فنزل على حكم الدعوة ، فبعد ان خضبت الحمرة وجهه خجلا ، وبعد ان ضحكت ابنة العم الخبيثة ملء شدقيها، خر ناثانيل بكن على ركبتيه راكعا فوق عشب مندى وأعلن عزمه على البقاء راكعا فى مكانه لا يريم ولا يتحرك الى الابد ، حتى يلقى حبه من قلب ماريا مكانا . فرن ضحك ماريا الطروب عاليا عند ما سمعت هذا القول يجلجل فى الفضاء ، وضحكت ابنة العم ملء فيها وافرطت فى الضحك ما شاء لها الافراط على غير سابق عهدها . وتخضب وجه ناثانيل بحمرة داكنة امتازت على سابقتها ، وأخيرا ــ وليس آخرا ــ لما اثقل ذلك الواله المدله على ماريا بالسؤال وابهظ كاهلها بالالحاح والالحاف أدارت رأسها الصغير وهمست فى أذن ابنة عمها بضع كلمات تقولها بجرأتها لناثانيل ، وسواء أكانت الكلمات قد ألقت بها ماريا فى أذن « كيت » أم لا ، فكيت هى التى فاهت بها عن لسان ماريا بأنه قد شرفها بتلك اللفتة الكريمة منه ، وان قلبها ويدها رهن تصرف أبيها ، الذى هو ــ كغيره من الآباء ــ لا يمكنه ان يغضى عن مزايا مستر بكن وسجاياه. ولما كان هذا كله قد قيل بلهجة الجد والرصانة، ولما كان ناثانيل قد رافق ماريا حتى عتبة الدار ، وصارع جهد الجبابرة ليفوز بقبلة عند الفراق ، فقد عاد الى فراشه سعيدا وظل يحلم طول الليل كيف يذلل العقبات فى طريقه ويخضد من شوكة لوبز العجوز ، ويقتحم ذلك القلب الحصين ويتزوج من ماريا

وفى اليوم التالى شاهد ناثانيل بكن لوبز العجوز قد امتطى صهوة جواده الرمادى منطلقا فى رحلة . وبعد ان لوحت ابنة العم الصغيرة الماكرة بيدها كثيرا واشارت طويلا ، لم يفت المغزى الذى رمت اليه حصافة ناثانيل . فقد جاءه الصبى الاعجف ليفضى اليه بغياب سيده عن مقره آناء الليل ، وان الفتيات فى انتظار قدوم مستر بكن ليتناول واياهن الشاى فى تمام الساعة السادسة . أما كيف جرت دروس التلاميذ فى ذلك اليوم ، فعلمه عند الله . . فلا ناثانيل ولا طلابه يعلمون عنه أكثر مما أنت تعلم ، ولكن على أية حال قد

مر اليوم . وبعد انصراف التلاميذ قضى ناثانيل الوقت حتى الموعد المضروب فى ارتداء ملابسه حتى يبدو فى صورة يرضى عنها ويرتضيها . على ان انتقاء الجلباب لم يكلفه طويلا، اذ لم يكن عنده من الحلل ما يفاضل بينها ، ثم يفضل احداها على الاخرى . ولكن كان فى وضع الجلباب على قامته ليبدو فى أجمل منظر ما شغله طوال ذلك الزمن ، وكان من قبل أمرا تافها لا يأبه له

ذهب ناثانيل الى الحفل وقد كان حفلا صغيرا متناسقا ، ضم ماريا وابنة عمها كيت وثلاث فتيات أو أربعا كن مرحات متوردات الوجنات ، وأتيحت الفرصة لناثانيل ان يرى بعينى رأسه الحقيقة السافرة ، وتحقق بنفسه من ان ما يقال عن كنوز لويز العجوز لم يكن مجرد اشاعات ، فقد كان الوعاء الفضى للشاى ، بجانب طبق القشدة وآنية السكر على النضد وملاعق فضة نقية لتقليب الشاى وفناجين خزفية لارتشافه وصحاف لحمل الكعك والحلوى والخبز المحمر . وكانت القرحة التى تدمى لها عين ناثانيل فى طول المكان وعرضه هى ابن عم لماريا لويز وشقيق كيت ، وكانت ماريا تناديه بهنرى ، وكان يستأثر بها لنفسه دون بقية الجمع فى الطرف القصى من المائدة . ان من بواعث السرور والرضى حقا ان ترى التعاطف والتواد يشيعان فى الاسرات بين الاقارب والاهل ، ولكنه يبلغ أحيانا حد الشطط . فلا عجب أن صار ناثانيل نهبا لافكار شتى ، وقد أخذ كابوس الغيرة يربض على نفسه ، اذ لا بد أن تكون ماريا تحب ذوى قرباها حبا وافرا اذا كان لهم من المكانة فى قلبها ما لشخص ابن عمها هنرى . وبعد ان شربوا الشاى اقترحت كيت الصغيرة الخبيثة



أن يلعبوا لعبة الاعمى المعصوب العينين، فحدث لناثانيل ـ وكان دائما عميا ـ انه كلما وضع يده على ابن العم هنرى يثق أن ماريا ستكون على كثب منه ورغم قرصات كيت الخبيثة ، والفتيات الاخريات له ، وشدهن لشعره ، والقاء المقاعد فى طريقه ، وما شاكل هذا من ألاعيب ، لم تقع يده مرة على ماريا . على انه فوق ذلك يستطيع أن يقسم بأن صوت قبلة قرع أذنه ، ورن فى أرجاء البهو

وفجأة سمعوا قرعات قوية مدوية على الباب الخارجى ، ولم يكن الطارق سوى لويز

العجوز بعينه ، عاد دون توقع . وكانت ضرباته تنهال على الباب كضربات النجار على صناديق الموتى . كان يتلوى جوعا ، ويسعى وراء عشائه ، ولم تكن السرعة التى نقل بها الصبى الاعجف ذو الارجل الدقيقة الخبر أقل من تلك التى صعدت بهما الفتيات السلم قفزا الى حجرة نوم ماريا فدفعت بكل من ابن عمها وناثانيل فى صيوان ملابس فى غرفة الاستقبال الخلو المكان من موضع أكثر ملاءمة للتخفى . ولما أمنت ماريا وكيت الخبيئة الى ما فعلتا اصلحتا من شأن الاثاث فى الحجرات ، وفتح الباب الخارجى لاستقبال لويز العجوز الذى لم يكف عن القرع مذ بدأ

ولسوء الحظ كان لويز العجوز خاوى المعدة يقرصه الجوع ويلدغه الطوى ، فغدا وحشا ضاريا كاسرا لا يقف فى طريقه أحد . وكان زئيره يقرع أذنى ناثانيل كزئير كلب الحراسة ، أصابته فى حلقه قرحة . وكلما وطأ الصبى المنكود الاعجف أرض الحجرة بأرجله الدقيقة الملتوية ، صب عليه لويز العجوز عبابا من شتائمه وسبابه وهو ثائر ساخط، لا لسبب أو غاية سوى الهدوء يبتغيه لنفسه الثائرة عن طريق التفوه بلعنات تصدر عن فمه لا عن قلبه. وأخيرا أحضر جزء من العشاء كان على الموقد وطرح على المائدة ، وراح لويز يملأ فمه بالطعام ويلتهمه مسرعا حتى أتى عليه فى لمح البصر ، وقبل ابنته وطلب غليونه

خلق ناثانيل متقارب الركبتين الى حد التلاصق، ولكنه عند ما سمع لويز العجوز يرسل فى طلب غليونه ، اصطكت ركبتاه بعضهما ببعض بشدة تكاد تسحقهما . فقد كان يتدلى من خطافين فى الصيوان الذى فيه يقف ، غليون فضى ضخم ذو مبسم رمادى اللون وهو الغليون الذى طالما رآه فى فم لويز العجوز فى كل عصر وفى كل مساء باتنظام طيلة السنوات الخمس المنصرمة

هبطت الفتاتان الى الطابق السفلى لاحضار الغليون ثم صعدتا الى الطابق العلوى وذهبتا الى كل مكان يظن أن الغليون موجود فيه ، الا ذلك الصيوان حيث كان يقف ناثانيل والغليون فوق رأسه . كل هذا ولويز العجوز يرغى ويزبد ويجأر مهددا متوعدا فى حالة غريبة ناشزة ، وفى النهاية اتجه فكره الى الصيوان فقصده ، ولم يكن ثمة أمل عند رجل ضئيل نحيل مثل ناثانيل أن يتمكن من أن يجذب الباب اليه أمام رجل جبار قوى العضلات مفتول الاذرع مثل لويز العجوز ، وما هى الا دفعة واحدة منـه حتى انفتح الباب على مصراعيه . ولكن عن أى شىء انفتح ، انفتح عن ناثانيل قابعا فى مكانه يرتعش فرقا من قمة رأسه الى أخمص قدمه . رحماك يا الهى : يا لها من نظرة تلك التى حدجه بها لويز ، وقد أخذ بخناقه يجره الى الخارج وهو على قيد ذراع منه

أى شيطان جاء بك الى هذا المكان وماذا تبغى . سأل لويز العجوز فى صوت جارف كالسيل هائل كالليل ، ولم يحر ناثانيل جوابا ، فراح لويز العجوز يدفعه الى الخلف تارة والى الامام أخرى ، عسى ان ترتب افكاره وتنظم فى رأسه



ماذا تريد فى هذا المكان ، ثم أردف لوبز متسائلا وهو يزأر : أظن انك جئت تسعى وراء ماريا ابنتى . قال لوبز ذلك متهكما اذ لم يدر بخلده ان فكرة قاتلة قد جرفت ناثانيل وألقت به بعيدا عن جادة الصواب . وكم كان هياج لوبز وسخطه عند ما سمع جواب ذلك المسكين ، نعم لقـد جئت من أجلها وسعيا وراءها يا مستر لوبز فانى أهيم بها حبا

ماذا أيها الوغد يا صاحب الوجه المجعد أيها النذل الاحمق . ماذا تعنى بقولك هذا ، أعده وانت تواجهنى ، ألا فاخسأ فانى قاتلك خنقا

كان من المحتمل ان يتبع لوبز التهديد بالتنفيذ فى ثورة غضبه، لولا ان حال دون ذراعه وما أراد شبح لم يكن قط فى الحسبان ، فقد قفز ابن العم من داخل الصيوان ، واتجه نحو لوبز العجوز وقال : انى لا أسمح يا سيدى ان يتحمل هذا المسكين ـ الذى لم ينل أحدا بضر أو أذى والذى جاء به الى هنا عبث بعض الفتيات ـ تبعة خطأ وقع اذا كان فى الامر خطأ، وانى لعلى استعداد أن أصرح بحبى لابنتك يا سيدى ، ذلك الحب الذى جاء بى الى هنا بقصد الزواج منها . فتح لوبز عينيه واسبعتين لهذا القول ، ولكن كانت عينا ناثانيل أكثر اتساعا

أأنت تفعل هذا ؟ سأل لوبز وقد اسعفه التنفس فاستطاع الكلام . نعم قد فعلت هذا . أجاب هنرى

ولكنى قد حظرت عليك المجىء الى هذا البيت منذ أمد طويل . .

ان تصرفك هذا هو الذى دفعنى الى المجىء متخفيا هذه الليلة

وأكبر الظن انه كان على وشك ان يلطم هنرى على وجهه لولا أن تعلقت الابنة الجميلة بذراعه ، وقد غرقت عيناها فى دموعهما اللؤلؤية

لا تحولى بينه وبين ما يريد بى يا ماريا . قال الشاب ، فاذا كان له من الارادة والقوة ما يمكنه من عزمه فليفعل فانى لن أمس شعرة من رأسه الاشيب بأذى ولو عاد على ذلك بخزائن قارون وايوان كسرى

أسبل الرجل العجوز أهدابه ازاء هذا التأنيب فالتقت عيناه بعينى ابنته وقد ألمعت فيما سبق انهما براقتان بريقا يأخـذ بمجامع القلوب ، ورغم فيضانهما بالدموع لم تكونا أقل اثرا أو تأثيرا عن ذى قبل ، فأشاح لوبز العجوز بوجهـه كى يتجنب اغراءهما . ولكن كما أراد القدر التقتا بعينى كيت الخبيثة ، وكانت موزعة اللب بين الخوف على أخيها

والضحك المكبوت من ناثانيل ، وقد اصطبغ وجهها بحمرة الخجل فبدا ساحرا . أحس لويز حاجة ملحة فى نفسه بالنظر اليهما شأن الرجال جميعا ، الشباب والشيب ، فدفعت بذراعيها فى دل تحت ذراعيه ، وطوقت خصره ، وهمست بضع كلمات فى أذنه فرضخ للأمر ولم يتمالك ابتسامة حائرة أفلتت من بين شفتيه ، بينما انحدرت دمعة خلسة على عارضه

خمس دقائق مضت على هذا المشهد ، وجاءت الفتيات من مخدعهن الى الطابق السفلى يمشين على استحياء ، ويرن ضحك مكبوت حولهن وبينما يحاول الجميع ، فتيانا وفتيات ، ان يسعدوا أكمل سعادة أخرج لويز العجوز غليونه من فمه ونفخ دخانه فى الفضاء وكانت الظروف التى أحاطت بدخانه تدعو الى هذا العجب ، فقد لطفت من حدته وهدأت من ثورته ، وكانت أعذبها طعما ومذاقا فى فمه

رأى ناثانيل ان من الخير ان يدفن سره فى قرارة نفسه ، فارتفع لهذا فى نظر لويز وأكبره ونال الحظوة عنده وعرف متى يدخن ، فاعتادا فيما بعد ان يجلسا معا فى الحديقة فى الأمسيات الجميلة يسمران ويحرقان التبغ ويحتسيان الشراب فى ود وحب ، فسرعان ما شفى ناثانيل من دائه القديم ، وفك الأغلال التى صفدته طويلا ، فتجد اسمه فى سجل الزواج بالابروشية شاهد عيان على قران ماريا لويز بابن عمها هنرى ، ويظهر اسمه مرة ثانية فى وثائق أخرى . فقد نزل بسجن القرية ضيفا ليلة الزفاف لارتكابه — وهو مغرق فى الشراب — حوادث عدة فى الطرقات ، وكان الصبى الاعجف ذو السيقان الدقيقة يدفعه ويساعده على ارتكابها

(تلخيص وترجمة : الاستاذ سليم الاسيوطى)



قصة مصرية واقعية



البعث!

للدكتور محمد أبو طائلة

كنت بعد عصر أمس أقطع شارع محمد على بمصر الجديدة قاصدا الى المتنزه البديع الذى يكاد يحيط بهذه الضاحية الجميلة وكأنه ذراع أم رؤوم تحيط بطفلها

واذا بى أرى الدكتور خليل عبد العزيز عند باب ڤيللا جميلة بذلك الشارع ومعه زوجته الحسناء وهما يكلمان أطفالهما العديدين الذين يلعبون بحديقة الفيللا ، ويردعان أصغرهم الذى بكى وأبى الا الخروج مع والديه . ولما انتهيا من هذه المهمة خرجا معا يتأبط أحدهما ذراع الآخر ، وهما أهنأ زوجين وأسعد أبوين ، ولعلهما كانا قاصدين الى احدى دور السينما التى تكثر فى هذه الضاحية ، أو ذاهبين لزيارة أسرة صديق من أصدقائهما أو زميل من زملاء الدكتور من أساتذة الجامعة

جهدت فى أن لا يرياني فأسرعت الخطى قبل ان يلتفتا الى . وما أبيت لقاءهما أمس وقبل أمس ، منذ زمن بعيد ، الا رحمة بهما ، كيلا أذكرهما بماض أليم لعلهما الآن يجهدان فى نسيانه أو تناسيه

ترى أيتصور أحد وهو يرى هذين الزوجين السعيدين ، وأطفالهما الخمسة الذين هم زينة الأطفال ، والفيللا البديعة التى يسكنونها ترفرف عليها السعادة والهناءة ، أيتصور أحد ان فى ماضى هذه الاسرة مأساة اية مأساة ، وان هذه العيشة الهنية الرغدة الخالية من الهموم ، قد سبقها شقاء ليس كمثله شقاء ؟

ولكن لأقص قصتهما من البداية ، عسى ان تكون فيها عظة لمن يتعظ ، وان تبعث سلوى وعزاء فى نفوس الكثيرين ممن نكبهم الدهر

***

كان ذلك يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٤ ، أى فى مثل هذا اليوم تماما قبل احدى وعشرين سنة . وقد اقتربت الباخرة (حلوان) من ميناء الاسكندرية قادمة من تريستا ، وبدأ البحر يهدأ بعد طول ما هاج واضطرب فى الايام الاربعة الماضية

ووقف الدكتور خليل عبد العزيز وحده متكئا على حاجز السفينة وهو يفكر فى ماضيه وحاضره : لقد استطاع بشق النفس ان يكمل دراسته بجامعات ألمانيا بعد طول كفاح مع الفقر ونضال مع الدهر . كان أبوه رحمه الله ميسور الحال اذ كان يشغل وظيفة وكيل لاحدى الدوائر المتوسطة فاستطاع ان يبعثه الى ألمانيا وينفق عليه ثلاث سنوات متوالية . ولا شك ان رخص العملة الالمانية (المارك) بالنسبة الى العملة المصرية وقتئذ قد مكن أباه من أن يوالى ارسال العشرة الجنيهات اليه كل شهر . ولكن ذلك الوالد الرحيم مالبث ان أصابه (الفالج) ولم يكن له مورد غير مرتبه . فلما انقطع أخذ ينفق كل ما ادخره على مرضه وعلى بيته حتى اذا انتهى صارت زوجته تبيع أثاث البيت وسجاده

ولم يكن ولده فى ألمانيا يعلم ان حالة أبويه سامت الى هذا الحد . فقد ظن ان أخاه الاكبر الموظف بأحد الدواوين بالاسكندرية قد تولى الانفاق على والديه . ولم يدر ان أخاه هذا قد ظهرت أنانيته وبدا لؤمه وخسته أشنع ما يكونان فى وقت الحاجة اليه . فقد ضن على والديه بكل معونة وسارع الى الزواج وعاش مع زوجته عيشة راضية بينما كان أبوه المريض وأمه العجوز يكادان يتضوران من الجوع !

انقطع المدد عن خليل وهو فى غربته ولكنه لم ييأس وهو الذى أوتى نفسا وثابة وأملا طموحا فأخذ يمارس مختلف الاعمال فى برلين ويراسل بعض الصحف المصرية لقاء أجر زهيد ويكتب فى شؤون مصر والشرق فى بعض الصحف الالمانية ويقوم بأعمال الوساطة التجارية بين بعض صغار التجار فى مصر وبعض مصانع ألمانيا . ولم يوافه الرزق مع ذلك سهلا ميسورا فاقترض مرارا من بعض أصدقائه المصريين هنالك . وكلما أتم سنة من سنى الدراسة تدرع بالعزم والصبر لاتمام السنة التالية وهو فى كل ذلك يبدى نبوغا رفع اسم مصر فى تلك الجامعة ، وهكذا حتى نال الدبلوم فى (علوم الدولة) بتفوق كبير ، وما لبث ان نال الدكتوراه بدرجة مجموع المدح Summa cum laude التى لم ينلها أحد من طلبة تلك الجامعة ، ألمان وأجانب ، منذ عشرات السنين . وكان قد قدم رسالة فى القانون الدولى العام عن (الحماية الدولية) أثبت فيها — بعد طول بحث واستنتاج — ان الحماية البريطانية التى فرضت على مصر سنة ١٩١٤ وقعت باطلة ، وان مصر مستقلة استقلالا تاما — فى نظر القانون الدولى — منذ ذلك التاريخ

وكان فى ألمانيا يسير سيرة جد واستقامة . ومع هذا طرق الحب قلبه العذرى فى صيف سنة ١٩٢١ وهو يصطاف فى جبال الهارتز ، فلقد التقى بالفندق الذى نزل فيه بفتاة شقراء تدعى (ارنا) استهوت قلبه وملكت لبه ، حتى كاد يقول فيها الشعر بالالمانية .. وكانت هى أيضا تحبه ، ولكنه حب غربى بارد .. قوامه الرغبة الملحة فى السفر الى بلاد الشرق التى طالما قرأت عن سحرها ، والشغف بزيارة الاهرام وأبى الهول التى كثيرا ما شهدت صورها فى الكتب أو على طوابع البريد ..

واستمرت العلاقة بين خليل وارنا ، وأهلها يمنون ابنتهم بالسعادة المقبلة ، فى ظل هذا المصرى ، وقد أدركوا ـ دون ان يسألوه ـ انه لا بد أن يكون من أسرة غنية والا لما بعثه للدراسة فى الخارج ولما عاش تلك العيشة الرغدة ولما قدم لابنتهم تلك الهدايا الغالية. ولم يدروا ان السر كله فى المارك ورخصه حتى صار كالتراب . .

على انه لما صارحهم أخيرا بحالة أسرته المالية ، ولم يخف عنهم نبأ النكبة التى حلت بوالده ، وانه فقد كل معين بمرضه ، وانه صار يكسب رزقه بجهده وهو طالب ، عند ذلك انقشعت الغشاوة وتبددت الاحلام ، ومنع ارنا أهلها أن تلقى صاحبها أو تكاتبه ، ولعلها كانت ممتنعة عن ذلك من تلقاء نفسها منذ اطلعت على فقره . .



استعرض الدكتور خليل كل ذلك وهو متكىء على حاجز الباخرة . وآلمه انه لا يزال مغرما بارنا رغم كل ما كان منها ومن أهلها . ولكنه ما لبث ان عزى نفسه بالعمل والجد الذى انهمك فيه منذ قطع علاقته بارنا فكان فيه خير العزاء . ولكن أى عمل ينتظره فى مصر ؟

لقد لاحت له مبانى الاسكندرية عن بعد ، تلك المدينة الجميلة التى ولد فيها ونشأ بين عطف أب شفيق وحنان أم رؤوم . ولكنه الآن على فرحه بالعودة اليها بعد غياب خمس سنوات ، يشعر بما يشبه الخوف منها ويتملكه وجوم لا يدرى مصدره . أجل ، لقد قالت له زوجة الدكتور بروت Brodt ـ حين دعته الى الحفلة لتكريمه عقب نجاحه الباهر ، ودعت معه كثيرا من الاسر الالمانية التى عرفها ـ قالت له وهى ترى (بختيه) فى ورق اللعب : انه سيصادف شقاء كثيرا . . ولكنه سوف ينتهى الى خير . . ترى هل تتحقق هذه النبوءة ؟ انه يخشى ان يتم شطرها الاول دون الثانى . .

ولم يكن له بيت بالاسكندرية يلجأ اليه ، فقد أغلق بيت أبويه أو زال منذ مات أبوه وتلته أمه قبل أشهر معدودة من عودته . وكان قد علم من خطاب لابن خالته ما كان من أخيه الاكبر نحو أبيه فهو بالبداهة لن يقصد الى بيت هذا الاخ العاق . ولكنه تذكر الحاج سيد ابن خالته هذا الذى ظل يكاتبه طول مكثه فى ألمانيا وقد نشأ يجله ويبجله وكأنه والده أو أخوه الاكبر . فارسل اليه برقية بعنوان متجره فى شارع السكة الجديدة بالاسكندرية ينبئه فيها بموعد وصول الباخرة

وما ان ألقت (حلوان) مرساها وسمح لركابها بالنزول بعد التفتيش الصحى وما أشبه

حتى وجد الدكتور خليل ابن خالته الحاج سيد ينتظره على رصيف الميناء وقد تلقاه بالقبلات وضمه الى صدره وكأنه أب يلاقي ابنه بعد طول غياب

ولم يكن يدرى ان الحاج سيد قد راجت تجارته وتضاعفت ثروته مرات فى تلك السنوات الخمس ، أجل لقد أدرك من بعض خطاباته انه ساعد أبويه — أبوى خليل — فى عوزهما حين قصر ابنهما الاكبر فى كل واجب نحوهما ، ولكنه كان يعلم انه ميسور الحال فحسب . أما الآن فها هو ذا يركبه عربته الخاصة يجرها جواد أصيل ، ثم ها هو ذا يدخله بيتا جميلا بناه فى الابراهيمية فتستقبله فيه كل مظاهر الثروة والجاه

على انه لم يعن بذلك كله قدر عنايته برؤية (نعمات) ابنة الحاج سيد — أو سيد بك كما سمع الجميع ينادونه الآن . انه لم يكن يدرى ان تلك الطفلة الصغيرة التى تركها تلعب مع الاطفال فى الشارع منذ خمس سنوات قد كبرت بهذه السرعة حتى صارت آنسة كعوبا فاتنة قد تركز فيها كل جمال المصريات وسحر الاسكندريات !.. هنالك فهم لماذا كان الحاج سيد فى خطاباته يذكر نعمات ولا يفوته ان يبلغه تحياتها ، وأدرك ان هناك غرضا خفيا وراء ما يبديه من العناية به . أجل ان نعمات لم تبلغ الرابعة عشرة بعد من عمرها فهى أصغر منه بثلاث عشرة سنة . ولكن من يراها يحسبها قد بلغت العشرين اذ اكتمل نموها وبان نهداها وامتلأ جسمها فصارت متعة للناظرين . وهى بعد وحيدة أبويها فلا عجب ان يفكر الحاج سيد فى مستقبلها وان يضع لذلك الخطط ويحكم المناورات

***

نزل الدكتور خليل ضيفا على ابن خالته فأكرم هذا وفادته . وكفلت له زوجته والدة نعمات كل راحة . ولم يلبث الغرض الخفى أن بان على لسان الحاج سيد اذ صار يسأله كل ليلة عن مستقبله وعن المرتب الكبير الذى سوف يعين به وعن الوظيفة الراقية التى لا شك تنتظره . والدكتور خليل يجيب عن ذلك كله بان الامر بيد القدر وانه أدنى الى التشاؤم لانه لا يعرف لنفسه (واسطة) من الكبراء وليس قريب وزير أو وكيل وزارة فيضحك الحاج سيد ويقول له : « ولكن شهاداتك العالية ؟ والدرجة التى نلت بها الدكتوراه ولم ينلها أحد قبلك ؟ أمثلك يخشى المستقبل وليس لك مثيل فى مصر ؟ »

ثم بان الغرض الخفى أجلى بيان حين صارحه أحد اقربائه — بايعاز من الحاج سيد ولا ريب — بأنه يجدر به ان يعقد قرانه على نعمات ، فقد صدر وقتئذ قانون يحرم زواج الفتيات قبل سن السادسة عشرة ، ولما كان هذا القانون قد حدد شهر لبدء سريانه ، فيجدر به أن ينتهز الفرصة ويعقد على نعمات التى هى دون تلك السن

وعندئذ قال له الدكتور خليل :

— انى فى الواقع أكون سعيدا بزواج نعمات ، ولكنها من جهة لا تزال صغيرة وأنا من جهة أخرى لا يصح لى أن أتزوج قبل ان أضمن لى مركزا ومستقبلا

فقال له ذلك القريب من أقربائه :

– اما عن صغرها فالمهم ان تعقد قرانك عليها الآن قبل سريان ذلك القانون ثم تنتظر سنة أو سنتين . واما عن مركزك ومستقبلك فهذا شيء مضمون كل الضمان ، ألم تحز أعلى الشهادات بأعلى الدرجات ؟

وكان الدكتور خليل قد فكر في الامر مليا وقد أعجبته نعمات منذ النظرة الاولى وأعجبه منها حياؤها وخفرها وتمنى لو تقدر هذه الفتاة المصرية السمراء الفاتنة ان تنسيه « ارنا » التي لم تكن أهلا لحبه

وعلى ذلك عقد قرانه بنعمات وقد أعفاه حموه وحماته من كل مهر وكل هدية وتكفلا بكل نفقات الحفلة . على انهما صارحاه ان دخوله بها لا يكون الا بعد سنة أو أكثر وفي خلال تلك المهلة تكون قد كبرت ويكون هو قد وظف واستقر في وظيفته



وأخذ الدكتور خليل منذ عاد يبحث عن وظيفة له مناسبة في أحد دواوين الحكومة . وكان يظن ان الامر سهل ، فما عليه الا أن يكتب طلبا ويذكر فيه الشهادات التي حازها والدرجة العالية التي نالها بها ، فاذا هو استاذ في مدرسة الحقوق أو مدرسة التجارة العليا على الاقل (وكان ذلك قبل انشاء جامعة فؤاد الاول وضمها للمدارس العليا) . ولكنه سرعان ما أدرك ان (الواسطة) توازي الشهادات العليا ان لم تفقها أثرا ونفعا . . فتكفل الحاج سيد بذلك وصار يبحث عن (واسطة) لزوج ابنته . وأصبح الدكتور خليل يريق ماء وجهه كل يوم لمقابلة أحد الباشوات كي يكلم له وزيرا ويسعى له في منصب . وصار كل اسبوع تقريبا يسافر الى القاهرة لهذا الغرض . ولما جاءت الوزارة الى الاسكندرية في فصل الصيف صار الدكتور خليل يرى كل يوم في مكاتب السكرتيرين بوكلي وهو يحمل بطاقة توصية لهذا الوزير أو ذاك

ومع ذلك لم يحز المسكين سوى وعود اثر وعود . فآنا يعده وزير أو وكيل وزارة بأن يعينه في منصب استاذ بمدرسة الحقوق . وآنا يعده كبير بتعيينه في وزارة الخارجية . وطورا في وزارة المالية . وهو على أثر كل وعد يتلقى التهاني من حميه وحماته وخطيبته وكأنه قد عين بالفعل ، واذا بالوعود كاذبة واذا بالشهور تنقضي وهو متعطل عن العمل ، عاجز عن الكسب . وضعف أمله في الوظيفة شيئا فشيئا ، وفقد ثقته بنفسه وبما حصله من

علم ، فصار كل حين يهبط بمطلبه ، فمن استاذ بالحقوق الى مدرس بالتجارة المتوسطة ، الى مترجم فى احدى الوزارات .. ولكنه لم يحظ حتى بذلك

وثارت كرامته وحز الالم فى نفسه اذ يجد نفسه عالة على ابن خالته والشهور تنقضى دون أن يوفق الى وظيفة . وقد زاد من ألمه أن حماه وحماته ـ بل وخطيبته كذلك ـ بدأوا ييأسون من مستقبله مثل يأسه ، وصار لا يجد منهم الحفاوة التى اعتادها فى الايام الاولى من مصاهرته لهم

وعند ذلك لم يبق له سوى أمل واحد جد بسيط : وهو أن يجد لنفسه أى عمل بأى مرتب يمكنه أن يعيش منه ولو عيشة الكفاف . لقد كان يخرج من بيت حميه صباح كل يوم ليسعى من جديد وراء احدى الوظائف أو أحد الاعمال ، فيرى الناس جميعا ذاهبين الى أعمالهم فى جد ونشاط وأمل . حتى النساء والفتيات ، كثير منهن يذهبن الى أعمالهن ويكسبن رزقهن . أما هو فانه رغم اللغات الاربع التى يجيدها ، ورغم الشهادات العالية التى حازها ، فانه عاجز عن الكسب ، فقد احترام أقرب الناس اليه ، وفقد احترام نفسه لنفسه . وهكذا كان المسكين يحسد أفقر عامل وأبأس خادم ، لان كلا منهما أقدر منه على كسب عيشه !

وفى ذلك الوقت كانت جريدة « وادى النيل » تصدر بالاسكندرية فقرأ فيها ذات يوم اعلانا عن حاجتها الى مترجم من الانجليزية بستة جنيهات . فنسى الدكتوراه التى حازها والعلوم العالية التى تعلمها ، ولم يذكر الا انه لا يزال يجيد اللغة الانجليزية . وذهب الى صاحب تلك الجريدة يقدم نفسه اليها . فاذا به لا تشفع له شهاداته ولا علومه لانه لم يسبق له العمل فى الصحافة ، ولذا خرج ذميما مدحورا يكظم الغيظ بل يخفى الدمع الذى ترقرق فى عينيه

ثم انحط عن ذلك ورضى ان يشتغل لدى مراسل لاحدى الصحف كان يشتغل أيضا بالوساطة فى نشر الاعلانات ، وقبل أن يكون مرتبه عنده أربعة جنيهات فى الشهر ، ولكن لم تمض أيام ثلاثة حتى فصله لانه وجده (خجولا) بينما العمل يستدعى الجرأة وما هو أكثر من الجرأة !

***

انقضت على هذه الحال عشرة شهور ونصف . وفى نهايتها كان قد تبدد فى نفس الدكتور خليل كل أمل فى وظيفة كبيرة أو صغيرة بل فى أى عمل من الاعمال ، على ان حماه الحاج سيد كان أشد منه يأسا وقنوطا ، حتى لقد فقد كل ثقة بزوج ابنته وأيقن انه لا يصلح لشىء مطلقا ، وأصبح فى أحاديثه مع اصحابه يندد بالشهادات وأرباب الشهادات ..

وأخيرا لم يبق فى قوس الصبر منزع فجاء يوما الى الدكتور خليل يصارحه بضرورة تطليق نعمات حتى لا يقف حائلا دون مستقبلها . وكان خليل قد بدأ يتعلق بها وينسى

حبه الاول بحبها ، فتردد فى اجابة ذلك الطلب وقال انه اهانة بالغة . ولكنه لما رأى حماته أيضا تنضم الى زوجها ، وهى التى يبجلها أشد تبجيل ، لم يجد سوى الخضوع . وودع خطيبته وداعا أليما جرى فيه دمعه ودمها ، وامتزجت فيه القبلات البريئة . ثم وقع الطلاق أمام المأذون وخرج لا يلوى على شيء

وكان طلاق نعمات أشد سهم أصابه ، وقد أفقده كل بقية من الثقة فى نفسه . وسافر الى القاهرة لا يهدف الى غاية معينة ولكنه أراد الابتعاد عن الاسكندرية بعد الذى قاساه فيها ، ولم يقدر أن يمكث بها وهو عاجز عن لقاء خطيبته التى أحبها أصدق الحب

وفى القاهرة ساءت حاله عن ذى قبل . ولم يعد الدكتور الذى يحمل أعلى الشهادات بل صار رث الثياب ينام فى أحد المقاهى على دكة خشبية ويزاول أى عمل ، فآنا هو كاتب



فى محل قصاب ، وآنا مساعد لاحد الكتبة العموميين بجوار المحافظة . وطورا هو صبى سمسار تأمين على الحياة . وآخر يبيع ساندويتش الطعمية لعمال الترام عند مخزن شبرا وهكذا . . وأدمن الشراب فصار يؤثره على الطعام ، وينفق القروش المعدودة التى يكسبها على كؤوس من الخمر المغشوشة فى حانات شارع محمد على ، حيث حثالة السكارى وحيث تقوم المشاجرات كل لحظة لغير سبب

وقد طلق لقب (دكتور) منذ طلق الامل فى وظيفة لائقة . ونسى كل ما تعلمه من نظريات علمية أو تناساه . وباع كتبه العلمية كتابا بعد آخر بما تزنه من ورق ، حتى نسخ رسالة الدكتوراه الباقية عنده ، والتى تحوى كشفا جديدا فى القانون الدولى العام ، وبحثا وطنيا يفيد بلاده أجل فائدة ـ باعها أيضا بالاقة ليشرب بثمنها بضع كؤوس من الزبيب !

فاذا أفاق من سكره لحظة ، وحن الى القراءة ، فانه لا يقرأ الا مجلة «الروايات المصورة» التى كانت تصدر وقتئذ . . . واذا حن الى السينما ـ وهو الذى اعتاد أرقى الدور السينمائية بل أرقى دور الاوبرا فى برلين ـ ذهب الى دار سينما شعبية فى شارع عابدين ليرى رواية لرعاة البقر أو مثل ذلك . وهكذا انحط ذوقه تبعا لانحطاط نفسيته وهبوط مستواه ! . .

***

فى يوم أول يناير سنة ١٩٢٧ كنت أسير بشارع الميدان بالاسكندرية فاذا بالحاج سيد يجرى ورائى مهرولا ويناديني باسمي فالتفت اليه وما راعنى الا ان أرى ثيابه تدل على

الفقر بعد ما كنت أعرف من غناه . ووقفت أحييه فأدخلني دكانا هناك لتجارة البقالة بالجملة وسرعان ما أخبرني انه يشتغل مستخدما هناك بعد ان أفلست تجارته وضاعت ثروته . ثم قال لي :

ـ ألا تعرف أين يوجد صديقك الدكتور خليل عبد العزيز ؟ لقد بحثت عنه في هذه الايام الثلاثة دون جدوى

فتذكرت ما كنت أعرفه من موقفه نحو الدكتور خليل وارغامه اياه على تطليق زوجته . وقلت له بشيء من الجفاء :

ـ وماذا تريد من الدكتور خليل ؟

ـ لقد جاء خطاب من وزارة المعارف باسمه على بيتنا القديم .. لقد بعناه ونسكن الآن شقة صغيرة .. ولكن البواب رجل طيب فأحضر الخطاب الى هنا

وتناولت الخطاب فرأيت فيه دعوة عاجلة من وزير المعارف الى الدكتور خليل عبدالعزيز يطلب اليه فيها ان يوافيه بديوان الوزارة بالقاهرة في أقرب وقت ممكن

اهتممت بالأمر فقد لاحت لي فيه بارقة أمل بانتشال صديقي من وهدته . وكنت قد صادفته في شارع محمد على بالقاهرة منذ أيام وهو مخمور . فما ان عدت الى القاهرة في صباح اليوم التالي حتى قصدت توا الى مكتب وزير المعارف ولي فيه صديق من الموظفين . فلما استجليته الامر قال لي ان جامعة برلين كانت قد ارسلت رسالة الدكتوراه التي وضعها خليل عبد العزيز الى الجامعات الالمانية الاخرى ـ على عادتها من تبادل الرسائل بينها ـ واذا باساتذة جامعة فريبورج يعجبون بتلك الرسالة ويعدونها فتحا جديدا في القانون الدولي العام لدرجة ان مجلس الجامعة قرر ترشيح الدكتور خليل عبد العزيز لوظيفة مساعد استاذ بها . وكتبت تلك الجامعة الى وزارة الخارجية الالمانية فكتبت هذه الى المفوضية الملكية المصرية تطلب اليها السماح بتعيين ذلك العالم المصري في تلك الوظيفة . وكان ذلك في عهد ألمانيا (الديموقراطية) وقبل ان تسودها الفكرة النازية وما جاءت به من تعصب أعمى وازدراء سخيف لكل شعب غير الشعب الالماني .. وقال لي سكرتير وزير المعارف: ان المفوضية المصرية حين كتبت بذلك الى وزارة الخارجية في مصر لم تنس ان تذكر نبذة عن نبوغ الدكتور خليل وكونه قد شرف اسم مصر والمصريين وانه قد نال الدكتوراه بتلك الدرجة التي لم يحصل عليها ألماني ولا أجنبي منذ عشرات السنين

ولما اطلع وزير المعارف بالقاهرة على ذلك عجب كيف لم يعين مثل هذا العالم النابغة في وظيفة استاذ بكلية الحقوق . وأمر في الحال بدعوته لمقابلته تمهيدا لتعيينه

ولما علمت ذلك كدت أطير من الفرح فقد أدركت ان صديقي خليل سيبعث من موته الادبي وسيحتل مكانته اللائقة به بين اساتذة الجامعة . فأسرعت أبحث عنه في كل حانة حتى وجدته أخيرا بعد طول البحث يشرب الكأس العاشرة في حانة بالفوالة وراء مصلحة

البريد . فأخذت أهزه هزا وأصب الماء البارد فوق رأسه حتى أفاق وأمكنه ان يفهم ماجئت من أجله

وفى صباح اليوم التالى كان قد ارتدى بذلة محترمة جئته بها وحلق لحيته وعاد مظهره الى ما كان عليه منذ سنتين ، وسامة وجه ، وثقة بالنفس ، واطمئنانا الى الحياة والناس

وخرج من مقابلة وزير المعارف بوظيفة استاذ فى كلية الحقوق



ولم يكد الحاج سيد يعلم بذلك منى حتى عهد الى أن أعرض على الدكتور خليل العودة الى الزواج بنعمات . وقال لى انها رفضت ان تتزوج بأى أحد تقدم اليها بعده ، بل هددت باحراق نفسها اذا هم أجبروها على الزواج

ولما قمت بتلك الوساطة وعرضت على الدكتور خليل ان يتزوج نعمات بان عليه الالم والغضب معا وقال :

ـ أنا ؟! أنا أصاهر الحاج سيد بعد تلك الاهانة البالغة ؟!

وكنت أعرف أين مغمزه فقلت له :

ـ أتأبى ان تصاهره الآن بعد ان افتقر ؟

ـ افتقر ؟! الحاج سيد افتقر ؟ وأين ذهبت ثروته ؟

ـ لقد أفلس . . وهو الآن مستخدم فى محل تجارى بالميدان

ـ ونعمات ؟! نعمات ؟! أتعيش الآن عيشة فقر واحتياج ؟!

ـ طبعا . الى أن تنتشلها أنت فتعيش معك عيشة رغد وهناء

وقد كان ! !

محمد ابو طائلة



صحوة ميت

بقلم الأستاذ عباس حافظ

فى كوخ منعزل بقرية صغيرة على حاشية الريف ، جلست امرأة فى موهن من الليل ، أمام بقية من طعام ، لا تزيد عن جبن وخبز وخضر و « فحل » بصل ، تنظر بين لحظة وأخرى ، نظرة قلق وفزع ، الى بدن مسجى فوق فراش قذر ، على أرض الغرفة ، ملفف فى غطاء غامر ، وسط سكون رهيب ، لا يبدده شىء بين الفينة والفينة غير زفيف ريح مزمجرة ، ورذاذ مطر متقطع ، وبرق لماح يخطف بالبصر

وما لبثت المرأة أن سمعت دقا بالباب ، فبادرت الى كومة من النقود فدستها فى جيب ثوبها ، وتقدمت لترى من الطارق واذا به فقير من الجوالين فى القرى يلتمس قوتا ومأوى

قال : لقد أدركنى الليل ، وفاجأنى المطر ، وبى حاجة الى كسرة من خبز ، وركن آوى اليه ، وعاصم الى الصبح ، فهلا كفلت لى حاجتى ، انى أراك من المحسنين

قالت : أدخل يا عم . كان الله فى عونك

وفتحت له الباب ، فتقدم ، ولكنه ما كاد يتوسط الحجرة حتى لمح البدن الممدد فوق الفراش ، فارتد مجفلا

قال : ما هذا .. أجثة ميت ؟

فهزت المرأة رأسها أسفا وقالت : نعم ، ولكن لا ترع يا عم .. هذا زوجى « بعيد عنك » : الله يسامحه بقى . حضره الموت فى هذه الليلة ، ولم يترك لى غير اغنام ترعى نهارا فوق الربى المجاورة

ومشى الغريب الطارق فدلف نحو الميت ، فألقى نظرة عليه ، ثم انثنى يقول : ما باله يبدو غريب الصورة فى موته كأنه ليس فى الموتى

فابتسمت المرأة ابتسامة كاسفة خافتة وقالت : لقد كان غريبا فى حياته ، فلا عجب ان يكون كذلك فى ميته

قال : وما بالك تركته هكذا فى مرقده ، فلم « تلثميه » ، ولم تغمضى جفنيه وتستعدى لغسله ؟

فدنت المرأة من المضجع وهى تقول : لقد كنت خائفة يا عم ، فقد حلف فى صباح اليوم

أن لا أمسه ولا اقترب منه اذا أدركه الموت بغتة ، ووصى بأن لا يقوم على غسله وتجهيزه ودفنه غير أخته ، وهى تقيم فى قرية بعيدة على مسيرة عدة أميال منا

فجعل الرجل يطيل النظر اليها فى عجب ، ويهز رأسه فى رفق ، وهو يقول : عجبى لزوج يأبى أن تلمسه امرأته وهو يموت فى فراشه

قالت : لا تعجب ، فقد كان شيخا كبيرا ، وله أطوار غريبة

ومدت يدها فأزاحت الملاءة قليلا عنه ، وانثنت تقول : ضع يدك عليه لتجسه . أحسبه الآن بارد الاطراف

ولكن الرجل تراجع قائلا : أتريدين أن تحق على لعنته ، ما دام قد وصى بأن لا يمسه غير أخته . لا . لا . مالى ولهذا يا سيدتى . اعملى معروف . اعفينى من هذه المهمة

فوقفت تحدج البصر فى الميت مليا ، وهى تقول ان البرودة ليست عنده من علامات الموت ، لانه كان أبدا باردا منذ تزوجت به وابرد ما يكون بدنا اذا جاء الليل

ومدت كفها فغطت وجهه واسترسلت قائلة : ولكنى أظنه قد مات فعلا ، فقد كان يشكو علة القلب من عهد بعيد . وفى هذا الصباح انتابته نوبة فجائية ، وهو يهم بالخروج الى الغيط ، فرقد فى موضعه هذا وهو يقول انه سيلفظ الليلة أنفاسه الاخيرة ، وما كادت الشمس تأوى الى خدرها ، ويغمر الكون ظلام ، حتى اطلق صرخة فجائية ، وتخشبت أطرافه ، وغشيته الغاشية

فهز الغريب رأسه قائلا : رحمة الله عليه

فأشارت المرأة الى الطعام تدعوه اليه

قالت : أجلس لتأكل ما دمت جائعا

قال وهو يجلس : بارك الله فيك يا سيدتى . انى حقا جائع فقد قطعت فى يومى هذا مسافة طويلة ، ولقيت فى نهارى تعبا وجهدا



وأقبل على الطعام يتبلغ به ، وكأنما استروح الى الحديث عن نفسه ، فانشأ يقول : عشت طيلة حياتى جوابة فى البلاد ، متنقلا فى سواد الريف ، اسعى على اللقمة ، والتمس الطعام عند المحسنين ، ولكنى لم أجد يوما ما وجدته الليلة هنا من مناظر ومشاهد ، ميتا مسجى فى فراشه ، وامرأة وحيدة لا تصنع له شيئا

قالت : ألم انبئك انه مات والليل مدركى ، فكيف كنت تريد أن أذهب الى القرية فى

مثل هذه الساعة، والليلة قرة، والمطر منهمر، والجيران بعداء، وليس معي أحد أوفده رسولا

قال : لم أرد اغضابا ، وفي الحق لقد خفت ان تذودينى عن بابك حين طرقته خيفة وفرقا

قالت مخافتة بصوتها : لعل غيرى من النساء كن سيخفن اذا جئتهن فى فحمة الليل طارقا ، ولكنى لست من الآدميين أخاف

ونظرت الى الكوة المشرفة على الفضاء ، فى ذلك السكون المرهوب ، واستطردت قائلة: ان هناك اشياء أخرى فى الليل تبعث الخوف وتملأ النفس رعبا

فدار الرجل بعينيه فيما حوله وبدت منه انتفاضة رفيقة وقال : نعم .. ان فى الليل الساكن ما يثير الخوف ، ويبعث الهلع

فأطالت المرأة البصر اليه فى دهشة ، قالت : أمثلك يخشى الليل ؟!..

فأجاب بأسف قائلا : لقد ألفت السير فى الليالى المظلمة ، ووسط السكينة الرهيبة ، حتى لتبدو الشجرة الصغيرة كالشبح المريد ، ويلوح الارنب فى حجم الحصان ولو كان مثلى يخاف الليل ورهبته لكنت اليوم فى عداد المجانين ، كما جن فتى فى هذه النواحى من كثرة سيره فى فحمة الليل ، وخرج عاريا من الثياب ، ذات ليلة ، وطفق يعدو فى الحقول صارخا ووجده الناس فى الصباح ميتا هامد الانفاس بجانب ساقية

فهزت المرأة رأسها هزة الحزين الذاكر وقالت : ان هذا الشاب الذى تحكى عنه كان أحيانا يمر بكوخنا ويحيينى تحية جميلة ، وكنت استشعر الوحشة كلما ذهب منطلقا فى وجهه

ووقفت عن الكلام وارسلت بصرها الى الفراش وعادت تخافت بصوتها قائلة ، ولكنى لم ألبث أن اعتدت الوحشة من طول العهد بها ، عقب اختفاء ذلك الشاب العجيب

وتمهلت لحظة ، ثم نهضت قائلة : ألم تر على الطريق عند مجيئك الى هنا أحدا من الناس؟

قال : بلى . رأيت رجلا فى مقتبل العمر منذ ساعتين يسوق قطيعا من الاغنام عائدا بها من المراعى البعيدة

فابتسمت وهى تقول : هلا بقيت هنا ريثما أغيب عنك لحظة ، اذا لم تكن خائفا من الجلوس وحدك ، بجانب المرحوم سامحه الله

قال : لا بأس مطلقا . ان الموتى لا يقدرون على أذى

فمشت الى الباب قائلة : اننى ذاهبة لابحث عن هذا الراعى الشاب الذى لقيته على طريقك ، وهو فتى يرعى الغنم لنا ، حتى اكلفه الذهاب فى مطالع الضياء الى أهل زوجى لينعاه اليهم

فنظر الغريب الى الميت الملفف فى الملاءة وقال : دعينى أذهب أنا عنك ، ولا تخرجى فى المطر لئلا تبردى أو يبلل قدمك رذاذه

فهزت رأسها متأبية وقالت : كلا . لقد تضل الطريق فلا تعثر عليه . لان هناك دروبا متناوحة ومسالك كثيرة لا يعرفها الا الذى ألفها

وتناولت «شالا» فألقته على كتفيها ورأسها وهى تقول: خليك مستريح ، فلن يطول غيابى

قال وهو فى قلق : ليكن ما تشائين . ولكن هل لديك ابرة وخيط أقضى الوقت فى رتق ثوبى بهما ريثما تعودين

فأخرجت له ابرة من صدارها وخيطا وقالت : ها هى الابرة وها هو ذا الخيط . وما أحسبك مستوحشا من البقاء الى أن أعود اليك مسرعة

***

وما كادت المرأة تخرج من الكوخ ، حتى بدأ الرجل يرتق ثوبه وهو غارق فى تأملات طويلة ، ذاهل عن الفراش القريب منه ، ولو انه دار فى تلك اللحظة بعينه اليه ، لابصر بذلك البدن الخامد قد تحرك ، وشهد الغطاء قد انحسر عنه

ولكنه لم يلبث ان بهت وتولته رجفة بالغة ، حين سمع صوتا متهدجا راعشا يخاطبه من خلفه قائلا : لا بأس ان الموتى لا يقدرون على أذى . .

واستدار ليرى من المتكلم ، فاذا به حيال الميت وقد ارتد واقفا حياله كالعفريت ، فاضطرب ومادت به الارض ، وطفق يغمغم راعشا : بسم الله الرحمن الرحيم . ألطف بنا يا رب . . ولكنى لم أكن أقصد سوءا والله العظيم وما أنا الا غريب طارىء جاء يلتمس طعاما ومأوى فى ليلة ممطرة

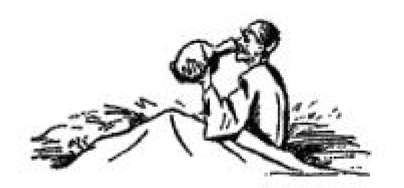
وسمع الرجلان فى الخارج صوت صفير تردد أصداؤه فى ذلك السكون الرهيب ، فأنشأ الميت المنشور يقول لعنة الله على الفاجرة . اسمعت صفيرها المارق وسط سكون الليل

ونظر الى الطعام والجرة القريبة منه ، فقال اننى أكاد أموت ظمأ . . فهلا سقيتنى قبل أن تعود الفاجرة

ولكن الغريب ظل ينظر اليه مستريبا متشككا

قال : أتريد حقا شربة ماء . . ألست اذن ميتا ؟! . .

فاحتد الميت وقال : كيف أكون ميتا وأنت ترانى ظمآن أكاد أموت عطشا



فمد الغريب يده الى الجرة وهو يقول : لا بد من أن يكون لتظاهرك بالموت على هذا النحو سر تخفيه

فتناول الرجل الجرة وراح يشرب منها بلهفة حارة قائلا : لن يطول تظاهرى به ، فانى أحس قشعريرته فى ظهرى ومفاصلى ، ولقد كدت أعطس عند ما دخلت بعوضة فى أنفى وأنت تتحدث معها عن الليل ورهبته والشاب المجنون وفتنته

وما كاد يشفى من الجرة غلته حتى أشار بأصبعه الى ركن هناك واستطرد يقول : أترى هذه الهراوة المركونة هناك . هاتها . فانى لا استطيع من الضعف حراكا

فمشى الطارىء الى الركن الذى أشار الميت اليه فجاء بالعصا ودفع بها اليه

وقال الزوج وهو يهزها فى يمينه : لقد حفظت هذه العصا فى البيت من عهد بعيد ، لتأديب هذه الولية الفاجرة

فعجب الغريب قائلا : كيف تدعوها كذلك وقد بدا لى من حديثها انها امرأة طيبة

فهز الزوج رأسه وهو يقول : لا تنخدع بالظواهر . انها بئست الزوجة لرجل شيخ، لقد طالما خدعتنى وغررت بى . ومشت على هواها ، ولم ترع للزواج حرمته . ولكن صبرا ، فستشهد بعد قليل منظرا يسرك . والويل لها حين تعود . .

وأمسك عن القول ، مرهفا سمعه ، اذ ترامت الى أذنه أصوات فى الخارج

قال : اسمع حركة وكلاما . فهلا دسست لى هذه العصا تحت الغطاء وسويته على بدنى كما كان

وتمدد الشيخ على فراشه مصطنعا الموت ، وانثنى الى الغريب يقول : والآن فلتتظاهر أنت بالنوم ، ولا تبين لها انك عرفت شيئا ، والا خطفت روحك من بين جنبيك ، ولولا ما كان بى من ظمأ لما تركتك تعلم خافية أمرى

فتقدم الغريب الى الغطاء فسواه من فوقه وحجب به رأسه وانثنى يقول : كن مطمئنا يا سيدى فلن انبس بكلمة ولن أتدخل فى الامر

ومشى الى الموضع الذى كان جالسا فيه فلزمه موليا ظهره الى الفراش ، وطفق يرتق الثوب المنشور بين يديه

وعندئذ انبرى الميت من تحت الغطاء يناديه قائلا : أيها الغريب ، لا تفتح فمك بشىء

فصاح هذا به قائلا : صه ، انها قادمة . .

***

وما لبثت المرأة ان اقبلت تمشى بجانب شاب فارع القد مقبول التقاطيع ، وسيم المعارف وتقدمت تقول : لا اظننى تأخرت كثيرا ، فقد لقيته غير بعيد . ولكن ألم يظهر عليه شىء

قال : لا شىء مطلقا

فدارت بعينها الى الشاب قائلة : تقدم فاحسر الغطاء عن وجهه لترى بنفسك انتى قلت حقا اذا كنت لا تزال فى ريب

فتردد الشاب وهو يرعش من خيفة

قال : لا استطيع ان أدنو منه فانى أخاف رؤية الموتى

وجاء فجلس قبالة الغريب ، وتولت المرأة اليه فقالت : هلا دخلت القاعة الاخرى وتمددت قليلا لتستريح من طول المسير فانى أراك متعبا أحوج ما تكون الى النوم

قال : شكرا لك ، ولكنى أريد أن أتم رتق الثوب فان هذه فرصة طيبة لاصلاحه ، بعد أن وجدت الابرة والخيط

فظل الشاب يحدج الغريب ببصره ساخرا واشا يقول : ان الثوب لا يصلح لرتق ، وأراك لا تحسن السراجة ولست راتقا بارعا

وشعر الرجل بلذعة السخرية من الفتى فقال متشفيا بدوره : وأنت لا تحسن للانعام رعيا ، فقد رأيتك على الطريق حين دخلت العتمة حائرا تهش على الغنم من هاهنا وهاهنا وهي تفر منك وتنتشر عليك ، كأنها لا تحس لك عليها سلطانا ، ولا تعبأ بك

فهمست المرأة فى أذن الشاب ، حتى لا ينشغل بالحوار مع الغريب ، تقول : لا تحفل به ، ودعه لا تحاوره ، حتى يتولاه النعاس وشيكا

قال : الحق ما قاله فقد اتعبتنى الاغنام اليوم واجهدت قواى ، وجعلت تدخل غيطان الناس ، وتتفشى فى الحقول ، وأنا أعدو وراءها صارخا ، فلا يزيدها صراخى الا فزعا ووثبا فى كل ناحية

قالت : يا عجبا . أيجهدك رعى الغنم ، وكان عندنا فى القرية منذ عهد غير بعيد فتى بارع يخرج ببضع مئات من الانعام فلا تضل منه نعجة ، ولا تتمرد عليه شاة ، وهو الحفيظ عليها ، اذا هش بعصاه استقامت على الطريق ، واستكانت لهشته ، ولكنه ويا للاسف قضى فى ربع الشباب



قال مضطربا : اتعنين ذلك الفتى الذى جن فى العام الماضى ووجدت جثته ذات صبح بجانب الساقية

قالت بحزن : نعم . هو

وفى هذه اللحظة تولى الغريب اليه فقال بحماسة : لقد كان « جدعا » ليس فى الجدعان مثله ، فقد كان يعرف كل نعجة فى القطيع ، ولا يخفى عليه كبش فيه ، ويخرج بالغنم الى المرعى فيسوسها ويحرص عليها اعجب الحرص . فين الشبان اللى زى ده الأيام دى ، يا خسارة على الجدعان

واشتد حزن المرأة لهذه الكلمات وهاجت عاطفتها ، وازدحمت أشجانها ، فانثنت تقول: حقا لقد كان شابا قويا مفتول الساعد ، ولكن طيب الله ذكراه ، وان كان قد مات مجنونا مذهوب اللب

فقال الغريب مؤمنا على قولها : رحمة الله عليه . ان الانسان لا يأخذ من هذه الدنيا غير الذكرى الطيبة

وراح يشبك الابرة فى صداره ، ويعاود التهويم ، ليتولاه السبات ، بينما أخذت المرأة تحفز فى مجلسها لتلصق بالشاب وتضع رأسها على كتفه ، وهما متوليان بظهريهما عن الفراش لا ينظران اليه

وانشأ الفتى يتحدث حديث القلب والعاطفة .. قال وهو ينظر اليها نظرات غريبة : لم يكن كذبا اذن ما كنت اسمعه عن علاقتك بذلك الفتى المجنون . لقد قيل انه لم يكن يمر بهذا الكوخ فى روحاته وغدواته الا اجتمع بك وتلاقيتما سرا للنجوى والغرام

قالت وهى تخافت بصوتها ، متدللة ، باسمة : نعم . لقد كنت التقى به كلما مرّ بنا

قال : انت اذن امرأة تلتمس الشبان الاقوياء ، وكل همك ان تستمتعى بالقوة والحب والحياة

قالت وهى ترنو اليه بطرفها : ماذا كنت ترتقب منى غير هذا وأنا وحيدة فى هـذا الكوخ ، لا أجد بجانبى غير شيخ فان محطم ، وقد نشأت من حداثتى فتاة تتطلع الى الحب ، وتريد أن تنعم بلذات الحياة

فألقى الشاب نظرة على الغريب ليستوثق من انه قد أخذه النوم ، وراح يشير صوب الميت المسجى فى مرقده ثم انثنى يقول : وما الذى أوقعك فى شيخ كهذا أدبرت به الاعوام

قالت بحزن بالغ : لقد أردت أن أقع على رجل يكفل لى العيش ، بما أوتى من انعام وحقل وزرع ، ولولا ذلك لهلكت من الجوع والفاقة

ففكر الشاب مليا ثم أنشأ يقول : لك حق . وأحسبك قد أصبت منه ميراثا طيبا

فأخرجت المرأة من طيات ثوبها المال الذى صرته وهى تقول : هذا هو كل المال الذى « نابنى » منه ، ولكن ما قيمة المال ، وشأن الانعام ، وقدر الغيط والزرع ، اذا أنا عشت دهرى فى هذا الكوخ المنعزل ، لا أرى أحدا من حولى ، ولا اسمع صوتا غير زفيف الرياح ، ورذاذ المطر ، وخرير الجدول البعيد

فنظر اليها فى دهشة وقال : ما بالك تتحدثين الليلة بهذه اللهجة الغريبة

قالت متململة : انها ليلة رهيبة ، ليلة يرف الموت فيها علينا بجناحيه ، فتهيج فى نفسى ذكريات عيش مرير ، لم يكن فيه غير العجن والخبز والغسل وطهى الطعام للشيخ المريض الضعيف

وأخذت فى حركة عصبية تصف النقود أمامها صفوفا متراصة

ثم استأنفت تقول : لقد طال جلوسى ومقامى فى هذا البيت شتاء وصيفا ، بينما البنات يكبرن ويجدن أزواجا شبابا ، والنساء يخلفن أولادا وأفراخا صغارا ، ويلدن بطنا بعد بطن ، واذا اللاتى تزوجن بعدى يرزقن ثلاثة وأربعة ، أو لا يزلن حوامل للمرة الرابعة

وكان الشاب خلال ذلك يعد النقود التى صفت أمامها فلما سكتت لحظة عن الكلام ، كان

قد انتهى من عد صف واحد منها فقال : دول تلاته جنيه بالضبط

ولكنها لم تعبأ بقوله بل استرسلت تقول : وكثيرا ما كنت أحدث النفس قائلة وأنا أرى جارة كانت قبل زواجها أبرع من تحلب الضرع ، وتصنع بالنشاب الفطير المشلتت فلم تلبث من متاعب الزواج والكد فى البيت ان انهد حيلها ، وضعفت قواها ، وسقطت اسنانها ، ووخط الشيب مفرقها وتقوس ظهرها على مر السنين

وكان الشاب فى تلك اللحظة قد انتهى من عد صفوف النقود كلها فقال : عشرة جنيهات وستون قرشا ، هذا هو كل المبلغ ، وهو قدر لا بأس به اذا تذكرنا الغيط والغنم ، فمالك هكذا ثائرة النفس ساخطة على الحياة ، فغدا يرقد صاحبنا هذا فى قبره ، ثم تمضى العدة ، فنتزوج ، ونرعى الغنم معا ، ونعيش فى هناءة ورغد

ولكنها لم تدعه يستفيض ، فقد عاجلته بنظرة عابسة وانثنت تقول : ومن قال انى سأتزوج بك ، لقد سئمت الزواج ، وكفانى ما عانيت منه ، وانت على مر الاعوام ستكبر وتشيخ ، وتستوى جالسا فى فراشك كما كان يصنع الشيخ راعشا متخاذل الساقين ، ترمت أسنانه واشتعل منه الرأس شيبا . .

وفى تلك اللحظة تحرك الشيخ « الميت » فى مضجعه وحسر الغطاء عنه ، فبدا رأسه أشيب كالجليد ووجهه شاحبا ذابلا كالموتى

ولكن أحدا منهم لم يتنبه الى حركته ، وراحت المرأة تقول : حقا ما أفظع الشيخوخة وأقبح صورتها . واغرب مشهد الشيوخ وهم جلوس فوق مضاجعهم وقد خلت اشداقهم من الاضراس والاسنان ، وسامت نفوسهم من الملل والسآمة ، فلا يتكلمون الا برعشة ، ولا يلفظون الا كلاما قارسا ، ولا يؤدون عملا ، هذه عيشة لا تطاق ، وحياة خير منها الموت . .



وأراد الشاب أن يمنعها من الاسترسال فى هذا الخيال الاليم فقال: حقا لقد كان عيشك مريرا مع هذا الشيخ ولكن حياتنا معا ستكون مليئة بالفرح والسعادة وقوة الحياة

ومد ذراعه فطوقها ، وهم بأن يطبع قبلة على خدها ، ولكنه فى الحال أمسك ، فقد سمع سعلة رهيبة من خلفه ، ورأى الشيخ مستويا فى فراشه ، برأسه الاشيب ، ووجهه الشاحب وعينيه المخيفتين

فجمد لحظة خاطفة فى مكانه ، وانعقد من الرعب لسانه ، ولكنه فى اللحظة التالية هم بأن يعدو الى الباب ، ولكن الشيخ نهض من فراشه يجرر الملاءة البيضاء من خلفه كالاكفان

وهو يلوح بالهراوة فى كفه ، فبلغ الباب قبله ليحول بينه وبين الخروج

وصرخ الشاب صرخة مدوية من فرط الفزع قائلا : يا لطيف يا رب .. لقد صحا الميت من ميتته .. يا ساتر استر ! وتراجع مذعورا لا يدرى الى أين

أما المرأة فلبثت فى مكانها جامدة لا تستطيع حراكا ، مشدوهة تنظر راجفة

ورفع الغريب رأسه ، ولم ينبس بقول

ودنا الشيخ من الفتى وانثنى يقول : ستتزوج بها وتعيش معها فى رغد وفرح ، حين أوسد فى قبرى .. أليس هذا ما قلت منذ لحظة ؟.. ولكن هذا لن يكون وسأريك الآن وبال أمرك ، واقطع ظهرك من الضرب أيها الولد الفاجر القبيح

وأخذ الفتى يتراجع صوب المرأة ، وهو يستنجد بها قائلا : خلصينى ناشدتك الله ، فقد كان أبدا يطيع ما تأمرين به

ونظرت المرأة الى الرجل الغريب فى عجب وذهول قائلة : أميت هذا أم لا يزال حيا ؟!

فدار الشيخ نحوها ثائرا يرعش من الغضب ، قال : ماذا يهمك انت ان أكون ميتا أم حيا يا فاجرة وانت تشتهين الشباب ، وتكرهين الشيخوخة والشيوخ

ومشى وئيدا ففتح باب الكوخ وانطلق يقول : هلمى .. اخرجى من بيتى ايتها الساقطة ولا تطئى هذه الدار بعد اليوم بقدميك . اغربى من وجهى ، واذهبى على وجهك هائمة لتنعمى بالشباب الاقوياء الذين تشتهين

وعند ذلك نهض الرجل الغريب فمشى اليه بخطى ثابتة وهو يقول : هذا كلام ليس فى محله يا سيدنا .. وفكر قليلا فى الامر .. ماذا يكون مآل هذه المسكينة اذا طردتها على هذا النحو من بيتك ؟!.

فلم يحفل الشيخ بقوله ، وانثنى يقول محتدا : دعها تنطلق تسأل الناس طعاما ، وتتنقل فى القرى مستجدية ، فمن يدرى لعلها ستصبح غازية ترقص فى الموالد ، أو تغنى فى المشارب ، أو تبيع جسدها لطلابه من الشباب والاقوياء

واستدار اليها ومضى يقول : هلمى .. وريني عرض اكتافك ، واعلمى انك لن تلبثى على الايام ان تذبلى ويدركك المشيب الذى كنت الساعة منه تسخرين ، وتسقط اسنانك فينصرف الناس عنك كارهين ، لقد كنت خائنة تأكلين من زادى وتسخرين من عرضى ، تبا لك من امرأة غادرة اذهبى لا أراك الله يوما طيبا ..

ووقفت المرأة مبهوتة حائرة ، وتلفتت الى الشاب بعين متسائلة ، فقال هذا وهو متهيب خائف : ان الله الذى خلقك لن ينساك

فصاح الشيخ به غاضبا : ان الله سيريها المر من بعدى ويذيقها العذاب ألوانا، وسيجدون يوما جثتها فى الطريق كما وجدوا جثة الفتى المجنون الذى كانت تحبه وتستعيد من لحظة ذكرياته

وتشجعت المرأة واستعادت نفسها الحائرة ، فانثنت تقول فى غضب : وأين ستكون انت

يومئذ . ستكون ترابا أو عظاما نخرة لانك هالك لا محالة . واذا لم تكن مت حين ظننتك قد خدت منك الانفاس ، فان الموت غدا مدركك ، فما شأنك بى ان عشت أم ذهب الموت بحياتى

ونظرت اليه بقسوة بالغة وكمد شديد ، ولكنها لم تلبث ان مضت تقول فى رثاء له وحنان عليه : عد الى فراشك لئلا تموت فى هذه المرة حقا والريح قرة والمطر متساقط وانت عار ليس عليك ثوب كثيف

فاستضحك ساخرا وقال : أحنانا تصطنعين الآن . ومنذ لحظة كنت راضية عن مماتى . يا للمرأة المنافقة الى اللحظة الاخيرة . ولكن لا فائدة من ذلك كله . ولن الدغ من جحرك مرتين

وأشار بأصبعه الى الباب . ومضى يهيب بها : قلت لك اخرجى من بيتى ولا تعودى أبدا اليه ، ان عضك الجوع أو عز عليك المأوى . فلن تأخذنى بك رحمة ولن تجدى لشكواك عندى أذنا صاغية

وأراد الغريب مرة أخرى أن يتدخل فقال مشيرا الى الشاب : لعله سيأخذها معه ويكفل العيش لها

ولكن المرأة بادرته غضبى متأبية بقولها : ماذا يصنع مثله بى الآن ، لن أذهب معه

قال : لن يشق عليه ان يهبك فراشا تنامين عليه ، ويؤتيك طعاما تقتاتين به

فصاح الشيخ به قائلا : أهو مجنون أو مغفل مثلك يا هذا . . ألم يأخذ درسا ، ويرعبرة ، ويدرك أى امرأة هى . ومالك انت تدخل فى أمر لا يعنيك . دعها تخرج ، وانت معها من غير مطرود . ولا تحفلا المطر المنهمر ، فان لديكما حديثا طويلا ينسيكما انهماره

فأخذت الغريب النخوة ، وتقدم الى المرأة ، وهو يقول : هيا بنا ولا تحزنى ولا تخافى . ان المطر لن يؤذيك لان الله رحيم بعباده ودنياه واسعة ، والرزق لديه مكفول ، فلن تعرى فيها ولن تجوعى . هيا بنا فان الارزاق بيد الله .

قالت جازعة : ولكن الى أين المساق

قال فى رفق : الى حيث يريد الله ، وانى بالقرى لخبير ، وبطرقها ومسالكها عليم ، ولن تجوعى معى يوما من الايام ، وستطلع الشمس علينا مع الصبح فتشهدى على عينيك عالما جديدا مهما يكن من قسوة العيش فيه والكد فى سبيل الظفر بالقوت منه ، فهو خير مقاما من هذا العيش الرتيب الممل فى هذا الكوخ الصغير

ولم يكد الشيخ يسمع هذا الحوار بين المرأة والغريب حتى استشاط غضبا ، وتقدم اليهما محتدا ، وهو يقول : اخرجا من هنا قلت لكما ، واجعلا حديثكما عن العالم الجديد خارج بيتى . هيا انطلقا فى الحال

فهرولت المرأة لتجمع شيئا من ثيابها فى صرة صغيرة وتلفعت بشالها ، بينما مشى الغريب الى الباب ثم نظر مليا الى الشيخ وعاد يقول : ما بيتك هذا وما قيمته . ان الدنيا بخير ،

فتعالى يا وليه معى ولا ترددى . ان الله كفيل بك . وغدا ستنفتح لك الدنيا . وتغرد لك الاطيار ، وتمدك يظلها الاشجار ، وتحنو عليك السماء ليل نهار ، وتشهدين الاشرار والأخيار ، وتمشين فى مناكب الارض وتأكلين من رزقها حلالا طيبا

وسمعت المرأة قوله فسكن جزعها ، وكأنما اقتنعت به فمشت الى الباب

ولكنها وقفت لديه لحظة ، ثم انثنت تقول للشيخ : أتحسبك أتيت فعلة بارعة حين تصنعت الموت لتخدعنى وأنت ميت غدا ولن تطول بك الحياة . ويعلم الله اننى كنت معذورة بالعيش معك ، وهل تطيق امرأة ما أطقته ، وتتحمل ما تحملته . ولكن الله سينتقم منك ولو طال بك الاجل أياما أخرى لذقت المر من بعدى . لانك ستعيش بعد الآن وحيدا ، لا أحد يرعاك ، ولا امرأة تحنو عليك . الانثى انك عائد قريبا الى مضجعك هذا تحت الغطاء ، وستموت فى هذه المرة ميتة الحق

وانطلقت منصرفة لا تلوى على شىء ، فى اثر الغريب ليحتويهما الليل والمطر والفضاء

***

وهم الشاب أن يخرج فى أثرهما ، ولكن الشيخ أمسك به ، وقال : اجلس ولنشترك فى هذه الفضلة من الطعام فانى أكاد أهلك جوعا

فأذعن الشاب وهو ينتفض من الرعب . ولكنه لم يمدد الى الطعام يدا

فقال الشيخ فى عجب : لم لا تأكل

ولكن الشاب ازداد رجفة ، وقال فين النفس التى تشتهى الاكل .. لقد قطعت ولدى من الخوف بهذه الصحوة الفجائية التى صحوتها

فاستضحك الشيخ وربت على كتفه مهدئا خاطره واننى يقول : لا عليك . لقد هممت علم الله بأن أضربك بالهراوة حتى تموت . ولكنى أراك شابا غريرا ، وقد كدت تقع فى شرك تلك الفاجرة ، فالحمد لله على انك نجوت من سحرها بجلدك .. هلم الى طعامك . وليكن عيشا وملحا بيننا ، وقد انقذنا الله من كيد النساء ان كيدهن عظيم ..

عباس حافظ



أتستطيع أن تشفيني يا دكتور .. ؟

للروائي السويدي هيلمار برجمان

من الناس الموفقون فى كل شيء ، هذا ما يقال ، ولكن من يدرى ؟ هنــاك مؤلفون وصحفيون لا يخطون سطرا واحدا لا فائدة منه ، وهناك سياسيون وسماسرة بورصة لا يدخلون الا فى الصفقات الرابحة، وهناك ممثلون ورماة بارعون لا يخطئون الهدف، وهناك علماء وسع علمهم كل شيء وهو شرف يقتسمونه مع الكثيرات من النساء ، وهناك ضباط ناشئون ينجحون فى غزواتهم النسائية ، وهناك شابات ينجحن كذلك فى غزو قلوب الضباط .. هناك قوم موفقون فى كل شيء .. هذا ما يقال ولكن من يدرى ؟

ولنقصر الحديث فى هذه الآونة على الاطباء

اريك فان لو اسم ذائع ملء الاسماع ، وهو استاذ فى الطب الباطنى متمكن خبير بشتى نواحيه ومشبع أرجائه ، له عين حادة نافذة وعقل واضح منظم وحكم صائب ، وهو على صغر سنه غزير التجارب موفق فى مزاولة المهنة وتشخيص الامراض . يضاف الى ذلك أنه رجل قريب الى قلوب الناس لا يفارق ثغره الابتسام ، وهو فخم المحيا وسيم واضح القسمات حسن القوام براق العينين ، صوته جلى يجمع بين العمق والرخامة ، وهو من الرجال الذين يغلب على الالسن الاعتقاد بأنهم يوفقون فى كل شيء ، اذا كان حقا ما يقال عن الناس الموفقين

ومع ذلك فان هذا الطبيب الذائع الصيت واجهته حالة حار فيها طبه ويئس من علاجها وحينئذ ؟ حينئذ ماذا ؟ حتى ابرع البارعين قد تصادفه أمثال هذه الحالات ، بطبيعة الحال

ولكن الشيء الذى كان يستدعى الملاحظة فى هذه الحالة هو ان الطبيب والمريض لقيا نفس المصير ، فقد دخل غرفة الاستشارة المريض ، ولما غادرها بقى فيها رجل مريض

جاء المريض الذى نتحدث عنه الى غرفة استشارة الاستاذ فان لو الخاصة ، وكان رجلا فى العقد الثالث من عمره ، وكان شاحب الوجه يشكو ــ على ما يبدو ــ الارق ، وكانت يداه ورأسه يرتجفان قليلا ، وكان فمه الناعم الحساس الذى يشبه فم الفتيات لا تنى تعلوه ابتسامة سارة ، ولكن حركتها كانت تثير القلق ، ولما سألته الممرضة فى غرفة الانتظار عن اسمه اكتفى بان قال لها : « قولى للدكتور انى مريض »

فأجابت الممرضة باسمة : « ما احسبني فى حاجة الى هذا القول ، فكل من يحضر هنا مريض الى حد ما ، ولكن يلزم أن أعرف اسمك وأدونه »

فأجابها وهو يبتسم طوال الوقت ، كما كانت تبسم الممرضة : « أليس الاستاذ دكتورا ؟ أى انه يغيث الملهوف ويأخذ بيد العانى واسمى ليس شيئا يذكر ، ولكن اخبريه أنى موجود »

فكفت الممرضة عن الابتسام ، ورأت انه مهما يكن المرض الذى يشكوه المريض فانه قد أثر فى حالته العقلية ، ودخلت الى غرفة الاستشارة لتتلقى التعليمات ، فابتسم الاستاذ ابتسامة خفيفة قائلا :

« لا تتشددى أيتها الاخت فى الاستمساك بالرسميات ، واذا كان هذا الرجل الطيب يريد اخفاء اسمه فليكن ما أراد ، واذا كان يتصرف تصرفا معقولا فى غير هذا فاطلبى اليه الجلوس لينتظر دوره ، وأظن أنى سأستطيع أن استخرج كل المعلومات اللازمة منه »

ولما قال ذلك ابتسم ابتسامة الواثق من نفسه ، وابتسمت الممرضة ابتسامة اعجاب ، وكان كلاهما قد وجد سببا يثير الابتسام ، لان اريك فان لو كان من هؤلاء الموفقين فى كل شىء

وكانت عيادة الاستاذ البارز كبيرة ، واضطر المريض الى أن ينتظر قراب ثلاث ساعات ، وضعفاء الاعصاب قد يشق عليهم احتمال الانتظار الطويل ، ولكن الممرضة لم تلحظ اثرا للقلق فى هذا المريض ، فقد جلس على مقعده بلا حراك الى جانب نافذة صغيرة وهو يحملق لا الى الشارع فى الخارج وانما الى الحائط ويبتسم . ووجدت الممرضة أنه غريب الاطوار ، ولما انقضت ساعة والمريض الباسم لم يكد يتحرك ولم ينطق بكلمة ، ولم يتناول جريدة لتزجية الوقت ، ذهبت الى الطبيب ثانية وهمست فى أذنه : « يا أستاذ انه يبدو غريبا »

فسألها الاستاذ — وكان قد نسيه — : « من ؟ »

فأجابت الممرضة وقد كاد يستولى عليها الغضب : « من ؟ الرجل الذى لم يرد ان يذكر اسمه ، انى أظنه ملتاث العقل ، انى خائفة »

فأجاب الطبيب فى شىء من الحدة وكان مشغولا بتشخيص علة أحد المرضى : « ما هذا الهراء أيتها الاخت ؟ اسمحى لى أن أمضى فى التشخيص ، ودعى الرجل الطيب فى حاله ما دام لا يحاول ازعاج أحد ، وهذه قاعدة نافعة يجمل بالانسان أيتها الاخت أن يسير وفقها فى الحياة بوجه عام »

فعادت أدراجها الى غرفة الانتظار ، وأذناها ساختتان من جراء توبيخ الاستاذ الرفيق ، وظل المريض جالسا بغير حراك ، وهو لا يكف عن الابتسام ، وكانت الممرضة تلحظه عن عرض من الحين الى الحين وتختلس النظر اليه ، وكانت تتطلع الى مجىء دوره ، وأخيرا جاء دوره ، ولم تستطع ان تدعوه بالاسم وانما وضعت يدها بحذر واحتياط على كتفه وقالت : « انه دورك . . »

فنهض مسرعا وانحنى وقال : « حقيقة دورى ! »

فطلب اليه الطبيب ان يجلس وبدأ بقوله : « أخبرتني الاخت انك لم ترغب في ذكر اسمك ، ولا بأس في التجاوز عن هذا الامر التافه الآن ، ولكنني أريد أن اعرف سنك ومهنتك »

ونظر الدكتور الى المريض بانتباه ، ونظر المريض كذلك الى الطبيب بانتباه لا يقل شدة عن انتباهه ، وبعد دقائق قليلة أجاب :

« ليس للسن والمهنة أثر في المرض ، وأى انسان قد يصيبه المرض الذى أصابني وانما المسألة هي هل تستطيع ان تشفيني يا دكتور ؟ »

فاحني فان لو رأسه ، وابتسم ابتسامة هادئة رقيقة وقال : « سأنظر وأرجو التوفيق ، ما هي أعراض المرض ؟ »

فأجاب المريض في بطء ولين : « ليس لمرضي أعراض »

فهز الدكتور رأسه ثانية هزة تنم على التسامح وسعة الصدر وتوحي الطمأنينة وقال : « حسن ، حسن ، ولكن كيف تنتظر انني استطيع ان أفعل شيئا اذن ؟ »

فأجاب المريض بلهجة جدية ولكنها مشبعة بالسخرية : « يجب عليك ان تعرف مرضي أحسن مما أعرفه ، ألست دكتورا ؟ أليس واجبك ان تخفف الآلام وتشفي العلل ؟ ان الطبيب هو صديق الانسانية ، أليس الامر كذلك ؟ فهو لا يسعى وراء جمع النقود فحسب ، وانما يرغب كذلك في الاخذ بيد الناس ، أليس الامر كذلك ؟

« فساعدني يا دكتور اذا استطعت .. »

ففكر الطبيب برهة وجيزة ، ثم سأل المريض ان يتقدم الى غرفة الكشف ويخلع ملابسه ، وفحصه وجس نبضه وقام بالاجراءات والمراسيم المتبعة . ونستطيع أن نسميها الاجراءات والمراسيم المألوفة ، لأن غرضه الرئيسي كان كسب الوقت وليتمكن من استدراج هذا المريض العجيب الشأن الى الكلام .



ولم يظفر منه برد الا بعد أن وجه اليه هذا السؤال : « هل أنت متزوج ؟ »

فغمغم المريض قليلا ثم قال : « كنت متزوجا »

وشفع الطبيب سؤاله بقوله : « طلقت زوجتك ؟ »

المريض : « لا أنا أيم »

الطبيب : « كم من الزمن مضى على تأيمك ؟ »

فترك المريض الغريب المنضدة وقصد الى ملابسه وأخرج ساعته ونظر فيها وأجاب : « منذ سبع ساعات وعشرين دقيقة »

وألقى هذا الجواب ضوءا كاشفا على سلوك هذا الرجل العجيب ، ولكن برغم ذلك

بقى الكثير غامضا . وقد شغلت الابتسامة التى كانت لا تفارق المريض بال الدكتور ، كما شغلت بال الممرضة من قبله ، فهى لم تكن من قبيل تحريك الوجه تحريكا مضحكا لمداراة الألم وستره ، وانما كانت فيما يبدو توحى اطمئنان الواثق من الانتصار . ومهما يكن من الامر فانه لم يوقف على هذه الابتسامة العجيبة سوى بضع ثوان من وقته ، وربت على كتفى المريض فى عطف واشفاق وتمتم قائلا : « حسن .. حسن .. يا صاحبى العزيز .. انى أعرف شعورك معرفة جيدة »

فنظر اليه المريض متعجبا وقال : « آه حقيقة ؟»

وبينما كان المريض يلبس ملابسه القى عليه اسئلة أخرى ، أجاب عنها فى سرعة بغير توقف .. وعلم ان المرأة التى توفيت لم تتجاوز العشرين ، وانه فى السادسة والعشرين من عمره ، واستوضح سبب وفاتها ، فقال له : « التسمم من الغاز »

فسأله فى تردد : « حادثة عرضية »

فأجاب : « انتحار »

ورأى الطبيب أنه ليس فى وسعه وليس من حقه ان يتعمق فى معرفة القصة المحزنة أكثر من ذلك ، فقد كان طبيبا ليشفى ويسعد ، ولم يكن قاضيا ليبحث المسألة ، ولقد وجد سببا كافيا لاحداث هذه الصدمة العقلية ، وبقى ان يعرف مدى الضرر الذى نجم عنها . فطلب الى المريض ان يجلس ثانية ، وأخذ ينظر اليه فى صمت مدة ثوان ، وظل مستغربا أمر هذه الابتسامة التى تعبر عن الثقة بالفوز ، واضطر الى ان يكبح نفسه خشية ان تصير فريسة لتفكيرات غير مثمرة ، وأخيرا قال : « نعم يا سيدى العزيز ، لقد كان الفحص العضوى لا لزوم له ، ومهما يكن فانى لم أجد شيئا غير سليم ، ولكن حالتك العقلية بطبيعة الحال ليست على ما يرام ، وسأعطيك جرعة ملطفة للاعصاب ومنومة ، وأفضل أن تذهب الى مصحة لان .. »

وأمسك عن الكلام وهو ينظر الى الأيم فى عطف وبنظرات نافذة مدة دقائق قلائل ، ثم واصل تفكيره وأضاف قائلا : « لا أخفى عنك انه يبدو لى انك فى حالة تبعث على اليأس أليس لك أحد ليحضر ويعنى بك فى أثناء هذه الايام الاولى القاسية ؟ »

فغض المريض طرفه ، ثم رفعه ثانية وواجه بنظرته عينى الاستاذ وسأله : « لماذا لا تعنى بى أنت نفسك ؟ فانت فى مركز يمكنك من ان تكون أقدر من غيرك على القيام بهذا العمل ، الا ترى ذلك ؟ فانت طبيب ، وهى مهنة شريفة ، وانت ممن يهبون حياتهم لخدمة الغير ، ويشعر الانسان بأنك أهل للاعتماد عليك ، ويعرف الانسان انك لا تضر أحدا .. وانك لا تفعل الا الخير »

فلم يقاطعه الاستاذ ، وجال فى فكره ان هذا الشاب المسكين ربما كان وحيدا وفى حاجة الى من يجاذبه الحديث ، والله يعلم لماذا وقع اختياره على . ولا ريب انه فى حاجة الى جرعة منومة وسأعطيها له ، ولا بد له من النوم ، وربما كان الاحسن ان ادخله مستشفى أو مصحة

للاعصاب ، ولكن هذا ليس سهلا ولا ميسورا ، فما الذى أستطيع أن أعمله من أجله ؟
وفكر فى الامر ، وبالرغم من تردد داخلى خاص قال له أخيرا : « ربما يسرى عنك ويلطف ما بك أن تحيطنى علما بظروف المأساة وأسبابها ؟ . . اننى غريب عنك . . ولكننى أعطف عليك ، وفضلا عن ذلك فنحن الاطباء تقوم الآن الى حد ما بدور الأب الذى يتلقى الاعتراف »
ولم يكد يتم هذه الكلمات حتى اعتراه الاسف لانه قالها ، فهو لم يكن طبيبا نفسيا ، وفى تشجيعه للشاب على الاعتراف قد تجاوز حدوده وعدا طوره . وربما كان الاعتراف مؤلما للشاب ومثيرا لاعصابه ، ولكنه قد قدم الاقتراح ولم يعد يملك سحبه . وقد أحدث تأثيرا عجيبا ، فقد اختفت الابتسامة الثابتة بغتة ، وأدرك فان لو ان كلماته قد راخت التوتر ولطفت الحدة ، وانتظر هو الجواب فى قلق ولهفة ، واستغرق الانتظار قليلا من الوقت ، وأخيرا أجاب :
« نعم بطبيعة الحال أخبرك ، ولو اننى اشعر بالخجل ، والحادث فى ذاته لا يستحق الخجل من ناحيتى ولا من ناحيتها ، وانما أشعر بالخجل لانى أرى المسألة عادية جدا ، وسترى أنك سمعت أمثالها مئات المرات قبل ذلك ، وحينما انصرف ستهز كتفيك وتراها محزنة فاجعة ولكنها برغم ذلك عادية ، ألا ترى ذلك ؟ »
فقطب فان لو جبينه على غير قصد منه ، وأثار اشمئزازه اهتمام المريض بتأكيد انالقصة عادية جدا . وفجأة أخذ الرجل يترك فى نفس الدكتور أثرا سيئا ، وبدا له أنه من بعض الوجوه ختال مخادع مثل بعض المدخولى العقل . وانه كان الاجدر به أن يتخلص منه ، وقد اكتفى بأن قال له فى لهجة أقرب الى الخشونة والشدة : « لست معنيا بالقصص العجيبة وقد طلبت اليك أن تروى قصتك لعل ذلك يخفف مما بك بوجه من الوجوه »
فظل المريض بضع دقائق صامتا مفكرا ، ثم هدأ جأشه وحنى رأسه وقال : « نعمحقيقة انها ستريحه عن نفسى الى حد ما ، لقد تزوجتها من ثلاث سنوات ، واستطيع أن أقول اننا كنا سعداء ، فلم أكن أفكر فى شىء غيرها . ولا أعتقد أنها كانت فى بادىء الامر تفكر فى أحد غيرى . . نعم كنا سعداء ، ولكن فى السنة الماضية اضطررت الى تركها مدة طويلة منفردة . . فتعرفت الى رجل لا أعرفه وأحبته ، أتظن أنها كانت تستطيع غير ذلك ؟ أتظن أن الانسان يوجه اليها اللوم ؟ »
فأجاب الاستاذ فى تردد : « بطبيعة الحال لا يمكن أن تلام على هذا الشعور ، فهو شعور ينشأ من نفسه دون أن يستدعى ، والمسألة هى كيف يسيطر عليه الانسان »
فأحنى المريض رأسه وأخذ يقول : « تفكيرك مثل تفكيرى ، ومهما يكن من الامر فانها لم تسيطر على أعصابها ولكن استمع لى ! هناك ظروف مخففة . . فهو رجل بارز له مكانة وله جاه عظيم ، اذا قيس بشخصى الذى لا شأن له . وفضلا عن ذلك فهو رجل قسيم وسيم وأنا كما ترى لا أدعى شيئا من هذا القبيل ، وفوق ذلك كله هو رجل لا يتورع

عن شيء ليصل الى غرضه ولا يدخر جهدا ولا حيلة أو خدعة . وهو بارع فى هذه الناحية براعته فى كل شيء آخر ، ولم يكن يضمر لها حبا صادقا ـ وقد تركها تفهم هذا فيما بعد ـ ولكنها كانت جميلة فائقة الجمال .. اتحب أن ترى صورتها ؟ »

فرفض الاستاذ باشارة خفيفة ، ولكن الشاب كان قد أخرج الصورة ودفع بها الى يد الاستاذ . فنظر اليها واستبقاها ، وسكت المتكلم دقائق قليلة ثم استرسل يقول :

« حقيقة .. أليس كذلك .. انها بارعة الجمال ، فليس غريبا ان يكون قد أحبها ، ولكن لماذا لم يتركها فى سلام ؟ عنده كثيرات غيرها .. ولكن اتعرف قصة شاة الرجل الفقير ؟ انها قصتى

ورفع حاجبيه وبان فى وجهه الالم الساخر ، وقال مستفهما :

« لماذا يا دكتور لا تقدم لى كوبا من الماء ؟ فأنت بوصفك رجلا طيبا وصديقا للانسانية يفهم طبيعتها لا بد تدرك أننى مضطرب قلق ، هل أثرت فيك قصتى الى حد بعيد ؟ اصغ اذن الى بقية القصة ! ولست فى حاجة الى أن أذكر لك ان الرجل الذى أتحدث عنه ماعتم ان ترك فريسته . وكان هذا منتظرا ، فقد كانت مجرد وهم جميل قد مر بخاطره وحلية صغيرة فى الحياة العاطفية لهذا الرجل العظيم . أما هى فكانت ترى الامر على خلاف ذلك . اتعرف كيف كشفت الموضوع ؟ انى لم اكتشفه ، فقد جاءتنى وأخبرتنى بالقصة جميعها ، وكان هذا عملا أمينا .. وان لم يكن أمينا الامانة كلها ، فقد تملكها حبها للرجل وحطم ارادتها وقضى على احتياطها ومحا عطفها على .. اجتاح كل شيء ، فلم تستطع ان تحتفظ به لنفسها ، وكانت فى حاجة الى من تثق به .. ولم يكن هناك غيرى »

وأفرغ ما فى الكوب واستمر فى نفس اللهجة المعجلة المرتجلة : « اما وقع هذه المسألة بنفسى فى بادىء الامر فمما لا يكاد يستحق العناية ، ومسألة شاة الرجل الفقير التى ذكرتها تعين على الفهم ، ولكن ما وراء ذلك ؟ كانت تشتاق وتتلهف وتتألم وتحلم وتحب وتمعن فى الحب .. ولم أكن أنا المحبوب ، وكتبت اليه ولم تلق ردا ، وذهبت لتراه ولكنه لم يلقها . وقد اشركتنى فى خيبة أملها وعثرات حظها هذه البائسة المسكينة ، وربما كانت قاسية على فى ذلك بعض القسوة ، فهل كانت غلطتها ؟ لا يمكن اعتبارها مسئولة عن عملها ، ولم يكن لها غيرى ، فغلطة من اذن ؟ وأنت بمعرفتك للطبيعة البشرية وحبك للانسانية تستطيع ان تحدد المسئولية وتعرف على من تقع ، هل كانت الغلطة غلطتى ؟ أكان يجب على أن أفعل شيئا ؟ أكان على ان اطلب طلاقها وأرد اليها حريتها ؟ ولكن يا دكتور ماذا كان يصير من أمرها حينذاك ؟ لم يكن لها غيرى ، اتظن ان الرجل العظيم كان يتزوجها . وهو الذى عنده كثيرات غيرها ! وهو الذى كان قد ضاق بها وكان لا يريد أن يحمل نفسه أدنى مشقة من أجلها حتى حينما كان يستطيع ان يقوم بدور العاشق الخفى ؟ اتظن انه كان يتزوجها ؟ من المؤكد انك لست سخيفا الى هذا الحد يا عزيزى الدكتور ؟

« فماذا كان على أن أعمل اذن ؟ أؤكد لك انى فكرت فى الامر كثيرا واطلت التفكير ،

وأخيرا رأيت ان أذهب بنفسي الى الرجل لعلي أجد طريقة لتسوية الامر فيما بيننا وتيسيره وتذليله جهد الطاقة ، فهو رجل مكتمل الرجولة وشخصية بارزة كذلك ! ومن المؤكد انه يمكن اعتباره مسئولا عن أعماله ؟ فهو لا يستطيع ان يفسد حياتي ثم ينطلق هاربا كالطفل الصغير الذي سرق الفاكهة ، أذهب اليه ! صممت على ذلك وربما أكون قد استشعرت النبل حينما عقدت النية على ذلك ، ولكن شخصا لا خطر له ولا شأن مثلي يندر ان يكون نبيلا ، تنقصه القوة على ذلك ، يلزم أن يكون الانسان رجلا عظيما ..

« وقد ارتكبت خطأ جسيما في أول الامر ، لقد أفضيت اليها بما انوى عمله ، فأرادت أن تمنعني ، أرادت ؟ لم ترد المسكينة على الاطلاق ! وانما ادعت وتظاهرت ولكن الامل كان يهز نفسها هزا ، وترى يا دكتور أنها بالرغم من انها أصبحت لا تنطوى على شيء من الحب لي ، كنت أنا الشخص الوحيد الذي تستطيع ان تعتمد عليه وتثق به .. وشاهدت سرورها ، واعترف أنه أمض نفسي وبلغ مني مبلغا وأثارني .. ولكني ملكت نفسي ، ثم ارتكبت خطأ آخر غير مغتفر فقد قلت لها : « اما اني سأحمله على المجيء اليك واما اني لا أعود اليك ، فان حياتنا في الايام الاخيرة أصبحت مما لا يمكن أن يستمر »

ونهض المريض فجأة وانحنى على المكتب وأخذ الصورة من يد الاستاذ وأدناها من فمه وقبلها ووضعها في جيبه . ثم قعد ثانية منبعثا قلقا ، واسترسل في الحديث ولكن صوته لم يعد رقيقا خاليا من الكلفة ، وانما اصبح ينم على الاعياء والقلق ، قال :

« لا ، لم أقدر على ذلك ولم استطعه ، ولقد بالغت في تقدير قوتي وشجاعتي وتركت المنزل في اليوم السابق للامس ، وطفت بالناحية التي يقيم بها اليوم جميعه .. ولم اذهب اليه ، ولم استطع ذلك .. ومن ناحية أخرى لم استطع العودة الى المنزل ولم أقو على احتمال رؤيتها أو حتى سماع صوتها . وذهبت الى احد الفنادق ، وكنت أعرف انها شديدة اللهفة وتعاني آلاما مبرحة .. ولكني رأيت ارجاء الامر الى اليوم التالي ، وقلت في نفسي « غدا سيكون يوم سعادتك العظيم فاحتمل الالم اليوم » .. فهل كنت مستمتعا بفكرة أنها تعاني الألم وتكابد الغصص ؟ نعم يا دكتور .. بطبيعة الحال كنت استمتع بذلك .. »

وأخرج الصورة ثانية وألقى عليها نظرة سريعة وردها واسترسل بلهجة أسرع وبصوت أقوى : « حسن يا دكتور .. أمس تكررت نفس القصة ، ولم استطع ! أخذت أطوف وأطوف حول المنزل حتى اصابني دوار وأخذ العرق يتصبب مني ، وطلبته في التليفون حتى استطيع أن أسمع صوته وأكون فكرة عن شخصيته .. فردت على الخادم ولكن لما حضر هو نفسه وضعت السماعة وخرجت من صندوق التليفون . ولم اجترىء حتى على سماع صوته .. نعم انت تقدر يا دكتور ، فهو في هذه الحالة منافسي الناجح .. هذا الرجل العظيم ! وأخيرا حشدت قوتي العقلية والعضوية وعملت على دخول المنزل وجشأت نفسي وأنا أصعد درج المنزل واضطررت الى العودة .

وكان اليوم التالي مثل اليوم الاول فعجزت ولم أستطع ونكل عزمي وانثنيت ، وكنت

اسبح فى الفضاء بينهما .. بينه وبينها ، وفى صباح اليوم وخزنى ضميرى فلم استطع ان اتركها فى شك من أمرها وفى انتظار معلق ، كان على ان أفاتحها وأكاشفها وأناقشها وأبين لها العلل والاسباب .. ولكنك تعلم الآن أنى ذهبت متأخرا .. ومن هذه الناحية لا يمكن عمل شيء ، فلست تستطيع شفاءها ولا تخفيف ألمها .. لقد قامت بذلك هى نفسها .. أما من ناحيتى فعندى مشكلة لا أفكر فيها ، وهى لغز يشغل ساعات فراغى وليالى الساهدة الساهرة ، فمن فى الواقع المسئول عن موتها ؟ وهل هى غلطته أو غلطتى .. وقد يقال ان كلينا مخطىء أو اننا نحن الثلاثة مخطئون .. فهى ليست خالية من اللوم هذه الصغيرة المسكينة ، ولكن من القاتل الحقيقى ؟ اتستطيع ان تجيب عن ذلك وانت العالم بالطبيعة البشرية وأنت أنت صديق الانسانية العظيم ؟ »

ووقف المريض

« يلزم ان انصرف الآن .. لقد استنفدت صبرك وقد اطلت واسهبت وقد تعمدت ذلك لانى أردت ان أعطيك فكرة واضحة عن شعورى ، واذا قام الطبيب بفرائض مهنته السامية فلا يمكن أن يعد ذلك منه اسرافا فى يقظة الضمير والشعور بالواجب .. والآن أعيد عليك هذا السؤال وهو هل تستطيع أن تشفينى .. يا دكتور ؟ »

وساد الصمت ، وتقدم الرجل المريض من الاستاذ بضع خطوات ، ونظر اليه مدة ثوان بعينين هادئتين متثبتين ، وقال :

« يا دكتور .. أيمكن ان أفضى اليك بشيء .. يبدو لى انك فى حالة عجز ، أنا كذلك فى حالة عجز ، ولكنى اليوم لم أطف بالحى ، واليوم لم أعد أدراجى بعد تسلقى السلالم ، اليوم أوتيت الشجاعة ، اليوم اجترأت على أن أنظر الى عينيك أنت أيها العظيم والرجل الكبير »

وغادر الغرفة مريض وبقى فيها مريض متراكم الاوصال على مقعد ضخم

تلخيص وترجمة : الاستاذ على أدهم



قصة صينية



بقلم الأستاذ عباس علام

حدثت وقائعهـا عام ١٨٩٥
في الحرب اليابانية الصينية

— ١ —

ـ زهرة الشاى !.. أنت هنا ؟.. بنفسك

ـ ألم تكن تتوقع هذا ؟..

ـ لا ..

ـ لقد وصلتنى رسالتك ..

ـ هل ثبت لك الآن أنه ..

ـ أجل . وكنت أعلم هذا قبل أن تنقله الى .. كنت أعلم أنه يحب غيرى ، وأنه يخوننى .. ولكنى لم أكن أصدق أنه ، فى سبيل حبه الاثيم ، يقدم على ما وصفت فى رسالتك .. هنغ تى !. أنقذنى مما أنا فيه ! قل ! قل ان غيرتك من زوجى وحقدك عليه ، هما اللذان جعلاك تصوره لى بهذه الصورة البشعة .. هنغ تى ، انى أتعذب .. منذ استلمت رسالتك ، وفيها صورة معشوقته ورسائلها اليه .. منذ تلك اللحظة لم يغمض لى جفن .. كيف يكون لى فوتنغ سافلا الى هذا الحد ؟ كيف يرضى بتسليم بلاده إلى العدو من أجل امرأة ؟.. وولدى !.. ولدى منه !.. كيف يكون لى ولد ، هذا حال أبيه ؟.. هنغ تى .. قل انك تعمدت الكذب فيما أسندت اليه ، وان هذه الرسائل التى بعثت بها الى مزورة عليه .. قل هذا ، أصفح عنك ويزدد حبى لك !.. قله ، فانك تزيح عن قلبى الهم وتبعد عن نفسى اليأس القاتل .. أليس كذلك ؟.. أليس أنك ..

ـ آه يا زهرة الشاى .. ليتنى كاذب ومزور .. اذن لبقيت البلاد بلادا !.. ولكن والأسفاه فان زوجك ، منذ تولى القيادة العامة للجيش ، لم يعمل عملا واحدا يشرف الجيش .. كانت خطته التراجع أمام اليابانيين والتقهقر المتوالى .. وكنا معشر الضباط

تندهش .. وكان أركان حربه يراجعونه فلا يأبه لملاحظاتهم .. وكان اذا التحم مع اليابانيين فى موقعة من المواقع ، خسر الموقعة وخسر معها الالوف من الانفس .. ولست ألومه على ما بدا منه فى المواقع السابقة ، فاللوم على من ولوه القيادة وهم يعلمون أنه لا يحسنها .. ولكن انظرى ماذا فعل بعد أن عزل من القيادة العامة .. أنت تعلمين أنه عزل من القيادة العامة ؟..

ــ علمت من رسائلك ..

ــ لقد عزل .. ونزعت منه ريشة الطاووس التى كان يزين بها رأسه ، ووضعت على رأس الجنرال هاى كى لنغ .. وعينوه هو قائدا لهذه القلعة .. هذه القلعة التى جعلتها الطبيعة أمنع من عقاب الجو .. فكان من سوء حظه وسوء حظ البلاد ، أن الاميرال اليابانى الذى يهاجم القلعة بأسطوله هو والد الفتاة التى يحبها

ــ ها !..

ــ فتوالت رسائلها اليه ، وكلها حض له على تسليم القلعة

ــ وأنا ما جئت الى هنا الا لأمنع وقوع هذه النكبة

ــ وهل تملكين ؟..

ــ سأقابله و..

ــ انظرى الى الراية البيضاء .. لقد تم التسليم !..

ــ تم التسليم ؟..

ــ أجل .. وقد وقعت الشروط على ظهر بارجة الاميرال . لم يشترط زوجك غير شرط واحد ، هو أن يمنحوه الجنسية اليابانية !..

ــ الجنسية اليابانية ؟!..

ــ أجل ، وبعد دقائق يجىء الاميرال اليابانى ليضع يده نهائيا على منغ بور

ــ ولكنى سأقاوم ، سأمنع وقوع النكبة ..

ــ وأسفاه !..

ــ سألجأ اليكم . سألجأ اليكم أنتم الضباط . سأطلب اليكم أن تدافعوا ، وأن لا تمكنوا اليابانيين من تثبيت أقدامهم هنا ..

ــ عبثا تحاولين ، فلا تتعبى نفسك !..

ــ كأنك أنت الآخر تود خيانة بلادك والغدر بامبراطورك ؟!

ــ أنا ؟..

ــ أجل ، ومن أجل امرأة ! من أجلى أنا !.. ان زوجى يخون بلاده ليحظى باليابانية . وأنت تريد أن يمضى فى خيانته وأن تضيع البلاد ، لكى تحظى بى !.. اذن فأنتما من معدن واحد ، واذن فأنا أحتقرك كما أحتقره ..

ــ زهرة الشاى !.. أنت قاسية فى الحكم على

ـ ابتعد عنى . .

ـ ها ؟ . . الاميرال . . أميرال الاسطول اليابانى . . اخرجى من هنا فانه سيدخل هذه القاعة

ـ لن أخرج . وسأقابله . .

ـ ٢ ـ

ـ وأين هو حضرة القائد ؟ . .

ـ انه فى مكتبه يا حضرة الاميرال . وقد أمرنا باستقبالكم واخطاره عن تشريفكم . . هل يتفضل سيدى بالجلوس ؟ . .

ـ شكرا . . أرجو أن تخطروه بوصولى . .

ـ فى برهة واحدة يا سيدى

ـ مهلا يا حضرة الضابط ، فانى هنا . . ومتى كنت هنا ، لزمنى أن أستقبل ضيوف زوجى ، وأن أتولى بنفسى اخطاره عن تشريفهم . . سيدى الاميرال : الواقفة بين يديكم هى زوجة الجنرال لى فوتنغ .

ـ . . لى الشرف يا سيدتى

ـ بعد دقائق معدودة سيكون زوجى فى خدمتكم بنفسه

ـ شكرا يا سيدتى .

ـ وريثما يحضر ، أرجو أن يسمح لى سيدى بمحادثته على انفراد

ـ معى أنا يا سيدتى ؟ . .

ـ أجل يا سيدى ، وفى أمر ستقدرون خطورته متى بسطته لكم . . فلو سمحتم وطلبتم الى حضرات ضباطكم أن ينتظروا خارج هذه القاعة . .

ـ . . أمرك يا سيدتى . . أرجو أن تتركونا قليلا

ـ وأنتم يا حضرات الضباط ، أرجوكم ! . .

ـ زهرة الشاى . . ماذا تريدين أن تفعلى ؟ . .

ـ اذكر يا سيدى أنك تخاطب زوجة قائدك الاعلى ، لا « زهرة الشاى » ! . . أيها السادة ، خروجا ! . .

ـ ٣ ـ

ـ سيدى الاميرال : أرجو أن تغفر لى ما سأعرض عليك ، وأن تغض النظر عما ترى علىّ من ارتباك ، . فانى لا أعرف ماذا أقول ولا كيف أتكلم . . انى امرأة . وامرأة صينية ، ليس لها أن تتدخل فى شىء ، أو أن تشارك الرجال فى شىء . . ليس لها الا أن تلزم بيتها ، بل مقصورتها فى البيت ، تنتظر اللقمة يوافيها بها رجلها . . وهى فى هذا محرم عليها أن تعمل حتى لنفسها ، وأن تفكر حتى فى نفسها ! . . ومع ذلك ، فها قد رأيتنى مع هؤلاء الجند ، وها أنت ترانى بين يديك . . وقد تركت خدرى وخرجت من خبائى

وتعرضت للعنة الابدية ، لعنة بوذا الذى قضى على المرأة ألا تتحرك وألا تسفر عن وجهها !.. أفعل ذلك يا سيدى من أجل زوجى ، ومن أجل شرف الاسرة الذى يربط معا ، بل ومن أجل ولدى الذى هو ولده ، والذى سيلحق به عاره !.. سيدى الاميرال: قيل لى ان هذه القلعة قد رفعت لكم الراية البيضاء ، وانكم ستضعون يدكم على ما فيها من زاد وسلاح وعتاد ، وانكم ستأخذون جندها وضباطها وقائدهم زوجى بصفتهم أسرى حرب فترسلونهم الى حيث لا أدرى ..

ـ الى طوكيو يا سيدتى !..

ـ وان ذلك كله سيتم اليوم ؟..

ـ هذه الساعة يا سيدتى !..

ـ سألتك يا سيدى ، بحق من تعبد ، ألا تفعل

ـ ماذا تقول هذه السيدة ؟!.. آه ، انها لا تريد أن تصحب زوجها .. سيدتى . أعترف لك أن شخصك لم يدخل لنا فى حساب .. ذلك لاننا لم نكن نتوقع وجودك فى هذه القلعة ، ولم يخبرنا أحد .. اذا شئت ان ترافقى زوجك يا سيدتى ، فستكونين موضع كل تكريم واحترام . والا بذلت جهدى لتوصيلك الى أى بلد تختارين ، وفى حراسة الله

ـ انى لا أفكر فى شخصى يا سيدى ، ولو فكرت لما جئت هنا .. وأنا ما وصلت هنغ بور الا منذ ربع ساعة فقط ، وقد جئتها بعد أن سبق الى علمى أن القلعة ستسلم لكم .. ان أمرى هين يا سيدى الاميرال ، فانى لن أسلم نفسى لاسركم ولا أرضى أن أكون من السبايا .. كلا ، فطعنة خنجر من يدى الى قلبى تمنع عنى هذا العار !.. ولكنى أتكلم عن هؤلاء المساكين من ضباط وجنود ، وأتكلم عن زوجى على الاخص .. زوجى الذى ستجردونه من شرفه العسكرى ، وستقضون عليه بالموت الادبى وهو على قيد الحياة !..

ـ هونى عليك يا سيدتى ، فليس فى الامر شىء مما تخالين !.. الموت الادبى ، والتجريد من الشرف العسكرى !.. لماذا يا سيدتى ؟.. ان الحرب سجال ، وليس من واجب القائد أن ينتصر ، وانما من واجبه أن يحارب .. وهذا رجل قد حارب .. ثم .. ثم ..

ـ .. ثم ماذا يا سيدى ؟..

ـ ثم .. سلم !..

ـ فكر يا سيدى انك لا تكلم مجرد امرأة . انما تكلم امرأة قائد ، وابنة قائد .. وانك اذ تتكلم ، تتكلم باعتبار انك قائد !..

ـ طبعا يا سيدتى

ـ فهل ترى يا سيدى أن زوجى قد حارب ؟.. هل ترى أنه أدى كل ما يجب عليه بصفته حارسا لشرف امبراطوره ، موكلا بالدفاع عن حوزة بلاده ؟..

ـ هذا ما لا يجوز لى أن أفكر فيه . انه أدرى منى بالظروف التى تحيط به ..

ـ ضع نفسك فى مكانه يا سيدى .. أاذا كان لك هذا الجيش الذى لا يحصى عدده ،

وكانت لديك هذه الاسلحة الغزيرة والأقوات الوفيرة ، وكنت حاميا لهذه القلعة التي هي بطبيعة مركزها أمنع من جبهة الاسد .. أكنت تسلم لخصمك ؟..

ـ أعترف لك يا سيدتي ..

ـ بماذا تعترف يا سيدي ؟..

ـ لا يا سيدتي ، لا !.. ما كنت أسلم وفي عرق ينبض !..

ـ أرأيت يا سيدي ؟.. أرأيت ؟.. ها أنت تحكم على زوجي بتجريده من شرفه العسكري ، وها أنت تقضي عليه بالموت الادبي !.. سيدي : أسألك ، مترامية على قدميك، أن تدفع عن زوجي ، وعني ، وعن ولدي ، هذه الكارثة

ـ سيدتي . انك تحرجينني أيما احراج وتسببين لي أشد الآلام اذ أراك راكعة لدى قدمي ، وأنا لا أملك ما أكفكف به دموعك ..

ـ انها كلمة واحدة منك يا سيدي ، حركة ، اشارة بسيطة .. ترد علينا شرفنا ، وتعيد الى الرجاء المفقود ...

ـ اذن قومي يا سيدتي أولا ، فانه يشق على أن أراك في مثل هذه الحال .. ثم أوضحي لي ما تريدين .. وأقسم لك أني أنفذه لو كان في وسعي تنفيذه ، وحتى لو كلفني الحياة .. مري يا سيدتي

ـ كل الذي ألتمسه يا سيدي ، هو أن تترك هذه القلعة لحراسها ، وان تترك لزوجي شرفه

ـ آه .. أهذا هو الذي تريدين ؟!.. كأنك يا سيدتي ، من أجل زوجك ، تريدين أن أكون أنا !.. آه !.. انك تتكلمين عن الشرف العسكري . الشرف الذي أقدره ويقدره كل جندي . الشرف الذي نعيش من أجله ونموت فداءه .. ولكن يا سيدتي .. ها أنت ، اذ ترين زوجك وقد فعل ما فعل من تسليم لنا ، تشعرين أنه .. قصر نحو بلاده . وخان مليكه . وجرد من شرفه .. فماذا يكون الحكم على أنا ؟ حكم الناس . وحكم التاريخ . وحكمك أنت .. لو أنني فعلت ما تطلبين وتركت هنغ بور بعد أن أصبحت في قبضة يدي ؟!..

ـ انك يا سيدي تكون رجلا كريما !..

ـ كريما !.. كريما اذ أتبرع بمصالح بلادي !.. كريما اذ تسلم لي هذه القلعة ، وهي العقبة الكأداء دون تمام النصر لنا ، فأعيدها اليكم !.. كريما اذ تحين لي الفرصة لحقن الدماء ، دماء جيوشي وجيوشكم ، فأترك الفرصة تفر من يدي !.. ان كرمي يا سيدتي ، في مثل هذه الحالة ، يكون من نوع كرم زوجك علينا !.. اني أكون مثله ، مجرما نحو بلادي خائنا لمليكي !.. معذرة سيدتي اذا كانت أقوالي قد آلمتك . وما كنت لاكلمك بهذه الصراحة لولا أني رأيت ما رأيت من حبك لبلادك وتقديسك لمعنى الشرف !.. لو كنت

تطلبين مني شيئا آخر . لو كنت تطلبين حياتي ما ضننت بها عليك .. سيدتي . ان في وسعي أن أدع زوجك حرا . في وسعي أن لا آخذه أسيرا اذا أقسم لي بيمين الشرف بأن لا يعود لمحاربتنا .. هل يكفيك هذا يا سيدتي ؟.. هل يكفيك أن أترك لك زوجك ترحلين به الى حيث تريدان ؟..

ـ أرحل به !.. أرحل بجثة لا روح فيها !.. أرحل بكتلة من اللحم والدم بعد أن تكون قد جردت من ميزة الحياة ، وهي الشرف !.. لا يا سيدي . لست أرضى بنصيب الكلب !.. لو كنت كلبا لرضيت بالجثة مهما بلغ من عفونتها . أما وأنا انسان ، فلايرضيني غير ما يرضى الانسان ، وهو الروح .. الشرف !.. هل تدين بدين بوذا يا سيدي ؟.

ـ لا يا سيدتي فاني مسيحي

ـ لو كنت بوذيا لقدرت ما أنا فيه الآن .. في شريعتنا يا سيدي ، المرأة أمة للرجل .. الزوج في مقام المعبود عند الزوجة .. والواحدة منا راضية عن هذا ، مغتبطة به .. على على أن يبقى لسيدها ، الرجل ، ما جعله سيدا عليها .. وهو الشرف والكرامة !.. أترضى يا سيدي أن يكون الهك مجردا من شرفه فاقدا كل كرامة واعتبار ؟

ـ اني أرثي لحالك يا سيدتي

ـ من أجل هذا يا سيدي أعيد الكرة فأترامى على قدميك ملتمسة أن تبقى لمعبودي شرفه ، وأن تحتفظ عليه كرامته .. خذ الجثة يا سيدي واترك لي الروح !.. خذ كتلة اللحم والدم ، ودع لي ما فيها من حياة !..

ـ سيدتي . سيدتي .. يا سيدتي .. أرجو أن تنادي زوجك حالا .. يجب أن أنتهي من شهود هذه المأساة !..



ـ ستترك لنا القلعة يا سيدي ؟..

ـ آه ، لا !.. انك تطلبين المستحيل يا سيدتي ..

ـ ودموعي وتوسلاتي ؟.. وركوعي لدى قدميك ؟..

ـ كل هذا يا سيدتي ، على ما فيه من ايلام لنفسي، لا يقوم شفيعا لدى أي انسان في اقتراف الجرم الذي تطلبين الى أن أقترفه !.. لا !.. ليتك يا سيدتي طلبت شيئا آخر ..

ـ فأنت مصمم يا سيدي ؟..

ـ كل التصميم يا سيدتي !..

ـ وستضع يدك على هذه القلعة ؟..

ـ نعم . ولا شك

ـ فتضيف نصرا جديدا الى انتصاراتك ؟..

ـ ليس هذا وحده هو الذى يجعلنى أتشبث بأخذ القلعة . ولكن هى الرغبة فى انهاء القتال ، وفى حقن دماء الشعبين

ـ ولكنه انتصار !..

ـ بلا ريب !..

ـ تسميه أنت انتصارا ؟!..

ـ سيسميه الناس كذلك

ـ وأنت يا سيدى .. ماذا تسميه ؟..

ـ كما يسميه الناس يا سيدتى !..

ـ انتصارا ؟!..

ـ انتصارا

ـ ويسجل لك فى صحف التاريخ !..

ـ أرى أن لهجتك معى يا سيدتى قد تبدلت ، وأشعر أن فيها غير قليل من السخرية والتهكم .. أجل . ان وضع يدى على هذه القلعة ، هو انتصار .. انتصار هائل .. وسيسجل لى فى صحف التاريخ .. سيكون أنصع صفحة من صحائف حياتى .. لقد انتصرت جيوشنا على جيوشكم فى البر والبحر ، ولكنا لم نستطع أن نخضد شوكتكم بسبب وقوف هنغ بور فى وجهنا واستعصائها علينا .. ولكن غدا ، بل اليوم .. عند ما تطاير الاخبار بوقوعها فى قبضتنا .. ستتقدم الينا حكومتكم طالبة الصلح وهى صاغرة ، وسنملى عليها شروطنا

ـ ويكون سيدى الأميرال هو بطل هنغ بور !.. ألا تطمع فى هذا اللقب يا سيدى ؟..

ـ ماذا تريدين أن تقولى يا سيدتى ؟..

ـ أريد أن أقول يا سيدى ، ان القلعة التى تستعصى عليكم وتقف فى وجهكم هذا الوقوف ، ثم تسلم لكم فجأة وعلى غير انتظار .. سيكون أمرها حديث الخاص والعام .. وسيتساءل الناس : كيف سلمت ؟ وبأى خدعة نالتها اليابان بعد أن عجزت عن أخذها بقوة الاساطيل ؟!..

ـ خدعة ؟!.. أنا لم أنل هنغ بور بالخدعة يا سيدتى

ـ وسيقولون ، ما هو « الثمن » الذى دفعه أميرال الاساطيل اليابانية فى هذه القلعة

ـ الثمن !.. الثمن الذى دفعته ، هو الثبات ، واحكام الحصار ، ومداومة اطلاق النار

ـ وتتوهم يا سيدى أن هذا كله ينيلك مجدا فوق ما أنت فيه من المجد ؟!.. هل لسيدى الأميرال ابنة فى سنى ، أو أصغر منى قليلا ؟

ـ لى ابنة لم تجاوز العشرين من عمرها
ـ لم تجاوز العشرين ؟ .. حسبتها أكبر من ذلك .. ولكن لعل وجودها فى الوسط البارسى أكسبها مظهرا آخر وأخرجها عما عرف عنا نحن الشرقيات ! ..
ـ .. لماذا تتكلمين عن ابنتى يا سيدتى ، وبهذه اللهجة ؟
ـ أليست ابنتك تقيم فى باريس يا سيدى ؟ ..
ـ انها تتعلم هنالك
ـ تتعلم ؟! .. لقد رأيت صورتها يا سيدى ..
ـ صورتها ؟ .. ومن أوصل صورتها اليك ؟
ـ وهى عندى .. محفوظة عندى .. ـ صورة ابنتى .. عندك ؟! ..
ـ هذا خير لها من أن تكون عند رجل ! .. لقد أنقذتها يا سيدى .. أنقذت الصورة ، لا صاحبة الصورة .. وها أنا أحاول انقاذك أنت الآخر ، وانقاذ شرفك ! ..
ـ أيتها السيدة ! ..
ـ مهلا يا سيدى ولا تندفع مع الغضب فانى فى حاجة الى هدوئك وسكينتك ، وأنت فى حاجة الى رباطة الجأش وضبط النفس .. لقد نلت هنغ بور بالثبات كما تقول ، فقليلا من هذا الثبات معى أرجوك ! .. لقد كنت واهما يا سيدى فيما أملت من مجد تناله بوضع قبضتك على هنغ بور وأخذك زوجى أسيرا .. وسيختلف الناس فى أيكما أكبر جرما ، وأيكما الذى دنس شرفه العسكرى .. هو أم أنت ! .. المخذول أم المنتصر ! .. القائد الذى سلم القلعة ، أم الاميرال الذى استلمها ! ..
ـ .. أتقدرين يا سيدتى معنى ما تقولين ؟ ..
ـ أجل ، فلست مجنونة ألقى الناس بالاحجار وأخبطهم خبط عشواء .. انما أذكر يا سيدى أنى ، قبل أن أفوه بما فهت به ، قد تذللت اليك ، وبللت الارض بدموعى ، وعفرت وجهى عندقدميك ! ..
ـ فأنت تنتقمين لنفسك بما توجهين الى من اهانة ؟! .. لو كنت رجلا ، لخضبت الارض بدمك ! .. ولكنك امرأة ، ونحن نحترم النساء ونأخذهن بالرفق ! .. أرجو أن تنادى زوجك يا سيدتى ..
ـ وددت يا سيدى لو أنك سألتنى شرحا لما وجهت اليك من أقوال ، أعترف انها اهانة . واهانة عظمى ! ..
ـ كفى أيتها السيدة كفى ، فان للصبر حدا
ـ ولكنى يا سيدى ما قصدت اهانتك لمحض الاهانة ، أو لانتقم لنفسى كما تقول .. بل لافتح عينيك وأريك عمق الهوة التى ستبتلع مجدك ومفاخرك ، وسيدفن فيها شرفك ! .. أريد أن أتمم واجبى حتى النهاية .. واجبى نحوك ، وواجبى نحو زوجى .. انظر يا سيدى ، أليست هذه صورة ابنتك ؟ ..

ـ ها ! . .

ـ . . ثم انظر أيضا يا سيدى ، أليس هذا خط ابنتك ؟

ـ ها . . خطها ! . .

ـ . . اقرأ يا سيدى . . اقرأ لتعلم سبب الكارثة التى حلت بك ، وبزوجى ، وبابنتك، وبى ! . . انها تعرض عليه الخيانة . . تشترط أن يخون بلاده ومليكه . . والثمن الذى يتقاضاه على خيانته هو . .

ـ كفى يا سيدتى ، كفى . . تكرمى ونادى زوجك

ـ ماذا تريد منه يا سيدى ؟ . .

ـ أريد الحساب ! . . .

ـ الحساب يا سيدى لا يكون الا فى حومة الوغى ! . . واسمح لى ببضع كلمات ، فأنت الآن فى سورة غضبك وقد تكون فى حاجة الى من يهدئك . . نحن حليفان يا سيدى الاميرال ، أنا وأنت ! . بهذا قضت الظروف . . ان نتحالف معا وان يجمعنا غرض واحد، هو الشرف ! . . انت تريد الاحتفاظ بشرفك ، وأنا أريد ان يبقى لى شرفى . . وآسف ان أسمعك هذه الكلمة : شرف زوجى ! . . وشرفنا معا ، شرفك وشرفى ، معلق على ان تدخل هذه القلعة غازيا لا أن تأخذها سلما

ـ ها ، ويتم لك ما تريدين ! . . وتنالين بالقسر ما لم تناليه باللين ! . . لا يا سيدتى ، لا . ان هذه القلعة أصبحت يابانية ، فقد رفعت الراية البيضاء ، وسلمت لى ، وأصبح قائدها أسيرى ! . .

ـ اذن فهو ضيفك ، ولا تستطيع ان تمسه بأذى ؟ . . واذن فهو خائن لبلاده . . واذن فأنت يا سيدى لم تنتصر على خصمك بأساليب الحرب . . ولكن بشىء آخر ، هو تضحية شرفك وبيع عرضك ! . .

ـ آه يا سيدتى ! . .

ـ هذا هو الذى سيقوله الناس وسيرويه التاريخ !

ـ . . حسنا . . كونى رسولى الى زوجك يا سيدتى . . انى عائد الى أسطولى ، وأرجو ان تنزلوا الراية البيضاء عن قلعتكم . . انى لا أستطيع معاودة الضرب ، ما لم تختف الراية البيضاء . . هل تضمنين لى انزالها يا سيدتى ؟

ـ أضمن لك ذلك يا سيدى . . سأنزلها بنفسى ، وسأمزقها . . من هذه اللحظة لن يكون لدينا راية بيضاء . . بل سيكون شعارنا الفناء ! . .

ـ أجل الفناء ! . . سأفنى كل من فى هذه القلعة ، من انسان وحيوان ! . . سيدتى ، هل تودين ان أوصلك الى مكان أمين ؟

ـ شكرا يا سيدى . . ان مكانى هنا !

ـ ولكنى سأهدم هذه القلعة على رؤوس من فيها . . سأحولها الى شعلة من النيران ! . .

ـ هذا واجبك يا سيدى .. أما واجبى أنا ، فهو ان أبقى هنا فى أرض الوطن .. وأن أكون وقودا لنارك مع أبناء جلدتى .. أو أدفن تحت الانقاض !..

ـ .. سيدتى!..أحيى فيك كل الصفات الكريمة..شرف القلب والنفس .. التضحية والاخلاص للزوجية .. التفانى فى حب الوطن!..وددت لو كنت يابانية..وكنت ابنتى !

— ٤ —

ـ والآن الى الراية البيضاء !.. تعالى أيتها الراية .. يا دليل الخنوع والاستسلام .. يا شعار الخسة والجبن .. انى أمزقك قطعا ، وأطرحك فى البحر !.. ارحلى عنا .. سيرى مع الامواج .. واسبقى الاميرال الى أسطوله ، واستقرى هناك !..

— ٥ —

ـ لماذا تأخر الاميرال هكذا ؟.. وأين ذهب الضباط ؟.. عجبا ، من هذه ؟.. زهرة الشاى !.. أنت هنا ؟!.. متى جئت ؟

ـ منذ نصف ساعة

ـ لماذا جئت ؟..

ـ لأراك

ـ لترينى !!.. ولكنى ما أذنتك !.. لماذا لم ترسلى فى استئذانى ؟..

ـ كنت من أمرى على عجل .. وأملت فى صفحك ..

ـ ولكن .. القلعة قد سلمت لليابانيين ، وسيؤخذ كل من فيها أسرى ..

ـ وأنا ما جئت الا لذلك ..

ـ اذن فقد وافاكم خبر التسليم ؟.. هل يعلمون فى بكين أن القلعة سلمت ؟..

ـ لم يعلم أحد سواى

ـ اذن ، عودى حالا .. عودى كما جئت .. وقد أرسلت لك كتابا فيه كل شىء .. اقرئيه ، ونفذى ما فيه

ـ لا حاجة بى الى قراءته ما دمنا قد تلاقينا .. ماذا يحوى كتابك ؟..

ـ الوقت ضيق ، ويجب أن تغادرى القلعة حالا ..

ـ لن أغادرها الا معك

ـ أنا أسير .. أسير اليابانيين ..

ـ فلأكن أسيرتهم أنا الاخرى !..

ـ آه .. ما عهدت فيك هذا العناد !.. زهرة الشاى : فى كلمة واحدة أقول لك ، عودى الى قصرك .. وعودى فى الحال !..

ـ وفى كلمة واحدة أقول لك ، لن أعود .. وسأبقى هنا !..

ـ كأنك تعصين ؟!..

ـ أعصى !..

ـ أتعرفين فحوى كتابى اليك ؟.. لم أستبق لنفسى غير الذهب الذى فى البنوك .. حولته الى طوكيو

ـ عاصمة اليابان !.. كأنك أزمعت الاقامة هناك طول العمر ؟!.. وأنا ؟.. دعك منى .. وولدك ؟!..

ـ لقد تركت لكما قصورى ومزارعى

ـ قصورك ومزارعك !.. ستصادرها الحكومة

ـ تصادرها الحكومة ؟..

ـ ألم تفكر فى هذا ؟.. ألم تفكر فى أنك بهذا التسليم الشائن .. بهذا الفرار من الميدان .. ستحاكم ، وستصادر أموالك ؟!

ـ لا. لا.. لا تخشى شيئا من هذا .. انهم سيعطفون عليك عند ما يعلمون أن المصادرة ستصيبك أنت .. ولك فى الحكومة كثيرون من زملاء أبيك يستشفعون لك ..

ـ وهؤلاء الانصار سينقلبون أعداء لى ولذكرى والدى ، عند ما يتضح لهم أن هذا الوالد كان أخرق الرأى أعمى البصيرة باختياره اياك زوجا لى !

ـ آه ، زهرة الشاى !.. كيف تسمحين لنفسك ..

ـ وبعد ، فليست قصورك ومزارعك هى التى تهمنى .. انما الذى يهمنى هو ولدى ..

ـ لقد تركته لك..

ـ تركته لى بلا اسم ولا شرف !.. ماذا أسميه ؟.. ماذا أقول له عن أبيه ؟..

ـ كفى ، زهرة الشاى !..

ـ لى فوتنغ !.. لقد كنت معك مثال الزوجة المطيعة الخاضعة .. البوذية !.. نظرت اليك نظرتى الى سيدى ومولاى ومعبودى !.. افعل هذا ، أفعل .. امتنعى عن هذا ، أمتنع .. اغمضى عينيك ، أغمض عينى .. صمى اذنيك ، أصم أذنى .. وهبتك جسمى ونفسى وروحى وعقلى وارادتى.. كنت فى يدك آلة صماء ، تديرنى على ما تريد وتوجهنى حيث تريد !.. علمت بما بينك وبين اليابانية التى عرفتها فى باريس .. وشعرت أن ماكنت أخدع نفسى به فأسميه حبا لى ، قد تلاشى من قلبك .. فلم أفتح فمى بكلمة واحدة !.. قلبك ملك لك ، تصرف فيه على ما تهوى .. أما الشىء الذى أشاركك فيه : الشرف ، والكرامة ، والاعتبار .. الشىء الذى يرثه ولدى عنك وعنى .. التاج الذى نزين به رأسه .. لست أسمح لك أن تمسه بأذى !.. لى فوتنغ : ماذا فعلت فى شرفك ؟!

ـ شرفى ، شرفى .. كأننى قد فقدت شرفى !..

ـ وليتك فقدته من أجل شىء يساويه !.. ليتك فقدته قسرا عنك .. اذن كانت المصيبة أهون .. ولكنك بعته بيعا ، وبعت معه بلادك وأهلك ووطنك .. وخنت امبراطورك الذى ائتمنك .. وكل هذا من أجل امرأة !.. فيالك من شقى تعس !..

ـ زهرة الشاى !..

ـ أجل .. يا لك من شقى تعس ، ستكون وصمة عار لكل من ينتمى اليك .. ستكون لعنة على آبائك وأجدادك ، وأولادك وأحفادك !..

ـ لا أدرى لماذا لا أقتلك !..

ـ لانك لا تجسر .. لانك جبان .. لانك عبد .. والعبد لا يملك أن يقتل ، انما هو يجلد بالسياط ويرفس بالاقدام !.. لقد كنت سيدا على وعلى الصين بأجمعها .. أما وقد اخترت لنفسك ذل الاسر ، وفضلت العبودية ، فأنا احتقرك !.. لى فوتنغ !.. يا حبيبى القديم . يا صنمى المعبود . عد الى ما كنت فيه !.. استرجع سلطتك على !.. كنت أهابك وأخشاك ، فكنت أحبك !.. كنت أخالك أسدا ، فكنت أعبدك !.. ولكنها امرأة ، حولتك ومسختك هذا المسخ !.. المرأة مثلها كثير .. لم أعد جميلة فى نظرك ، وان كان الناس قد أجمعوا على أنى أجمل فتيات الصين .. لا بأس ، دعك منى .. بعد ان تنتهى الحرب.. بعد أن تعود منها مكللا بأكاليل الظفر والمجد .. أطلب من تشاء من النساء ، يترامين على أقدامك .. اطلب يد بنت الامبراطور ، لا يضن بها عليك !..

ـ زهرة الشاى .. زهرة الشاى ..

ـ أما الآن فلا تفكر فى غير المجد والشرف ، وبلادك !.. فكر فى أهل وطنك ، وقد جعلوا يرقبون ما يبدو منك وهم يعلمون أن مصيرهم فى يدك !.. فكر فى عودتك لبكين ظافرا ، وقد خرج الناس جميعا لاستقبالك والهتاف باسمك .. فكر فى اللقب الذى سيطلق عليك وهو « منقذ الامة وحامى الوطن » !

ـ منقذ الامة وحامى الوطن !.. لا .. لن أنقذ الامة ، ولن أحمى الوطن !.. الامة والناس وبلادى !.. ليس لى من عدو غير الامة والناس وبلادى !.. لقد أنكرنى الجميع فأنا أنكرهم !.. لقد غدروا بى ، فأنا أغدر بهم !..

ـ لى فوتنغ !..

ـ كنت قائدا عاما للجيش .. ما الذى فعلت حتى نزعوا عنى ريشة القيادة العامة وانزلونى الى مرتبة جنرال بسيط ؟.. انها الدسائس .. الدسائس !.. وقد قابلت دسيستهم بما هو أمر منها وأنكى !.. بعتهم جميعا !..

ـ لى فوتنغ !..

ـ لا أهل لى ، ولا بلاد ، ولا وطن !

ـ لى فوتنغ !..

ـ خائن !.. سمونى خائنا ، واحتقرونى !.. أنا خائن .. أنا خائن ! لن أدافع .. سأسلم القلعة !..

ـ لى فوتنغ !..

ـ ولقد سلمتها .. رفعت الراية البيضاء ، وانتهى الامر !..

ـ الراية البيضاء !.. وأين هى رايتك البيضاء !؟.. نعم ، أين هى ؟!

ـ الراية البيضاء !.. من ذا الذى نزعها من مكانها ، وأنا الذى أمرت برفعها ؟!.. أنا الآمر الناهى هنا .. من ذا الذى خالف أوامرى وأبطل تصرفاتى ؟!.. أيها الضباط

ـ مكانك ، لا تناد أحدا فهم لا يعرفون شيئا .. وسلنى أنا !..

ـ أنت ؟.. أنت التى أمرت بنزعها ؟!

ـ بل أنا التى نزعتها بيدى ، ومزقتها شر ممزق ، وطرحتها فى البحر !..

ـ أنت ؟!..

ـ أنا !.. والآن فانك ستحارب رغما عنك !.. لقد حاولت ، من طريق الاهانة واللكز ، أن أبعث شهامتك .. ولكنها كانت رمة بالية لا تحيا .. وحاولت ، من طريق التملق ، أن أوقظ غرورك .. ولكن استغراقك فى حب هذه المرأة سد على كل سبيل.. اذن فليس الا أن تقف أمام الامر الواقع .. لقد نزعت الراية البيضاء ، واتفقت مع الاميرال على ذلك ..

ـ الاميرال ؟!.. أى أميرال ؟!..

ـ أميرال الاسطول اليابانى .. والد عشيقتك !..

ـ من أوصلك اليه ؟..

ـ كان هنا منذ برهة ، وقابلته نيابة عنك . واتفقنا على نقض الهدنة والعودة الى الحرب . وكانت العلامة بيننا أن تنزع الراية البيضاء ، فنزعتها .. والآن فانك ستجاهد رغما عنك ! ستدافع عن بلادك وشرفك مكرها ، ما دمت قد أبيت الدفاع عنهما راضيا !

ـ .. بينى وبينك حساب فيما بعد .. أما الآن ..

ـ أما الآن ، فالحرب !.. الدفاع !.. وبعد أن تنتهى من الدفاع ، افعل بى ما تريد

ـ لا . لا .. لن أدافع !.. كلمة قلتها ، وسأنفذها !

ـ أنظر .. ان الاسطول اليابانى يتحرك .. وها هو يأخذ عدته للقتال ، ويصوب مدافعه الينا .. ناد ضباطك وجنودك أن يستعدوا لاطلاق النار ..

ـ أبدا !.. لن أفعل !.. ما كنت لاتحرك بارادة امرأة !.. أنا ، لى فوتنغ .. أفعل ما أريد !.. لن أدافع !..

ـ اذن نموت كالدجاجة ، ويموت كل من هنا ..

ـ لن نموت .. سأرفع الراية البيضاء

ـ لن تفعل !..

ـ سأفعل .. الراية البيضاء .. راية بيضاء ..

ـ .. مكانك !..

ـ أيها الجند .. راية بيضاء .. على ..

(ولكنه لم يتم عبارته لانها أطلقت عليه النار من مسدسها فخر صريعا)

— ٦ —

ـ .. لى فوتنغ !.. لى فوتنغ !.. يا حبيبى !.. اشهدى يا سماء أنى ما قتلته ، الا لانى كنت أحبه !.. (وقد تقدمت نحو الباب مهدودة القوى) أيها الضباط .. أيها الجند.. ادخلوا .. لقد مات قائدكم ..

— ٧ —

ـ .. مات ؟!.. كيف مات ؟!

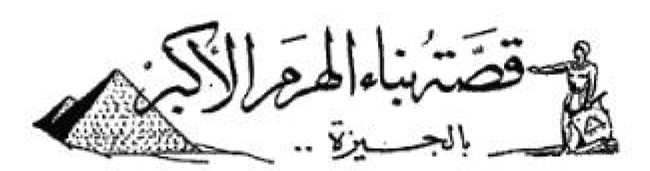
ـ مات منتحرا ، اذ رأى أن لا سبيل له غير الانتحار !.. عاد الى نفسه ، وفكر طويلا ، فرأى أن ماضيه الشريف .. ومجده الخالد .. وواجبه نحو وطنه ، ونحو امبراطورنا ابن السماء .. كل هذا لا يسمح له بتسليم القلعة !.. وقد تكلم مع اميرال اليابانيين ، واتفقا على نقض الهدنة .. ومزق الراية البيضاء .. مزقها بيده ، وطرحها فى البحر بيده ثم انتحر بعد ذلك تاركا لكم أنتم أن تقرروا بأنفسكم مصير بلادكم !.. أيها الساده .. لقد عاش لى فوتنغ شريفا ، ومات شريفا .. فصلوا عليه ، واستمطروا على جدثه الرحمات !...أيها الساده. الى السلاح !..ان الاسطول يطلق قنابله علينا !.. (واندفعت نحو أحد المدافع فأطلقت منه قنبلة) الى المجد !.. الى الدفاع عن البلاد !.. ولكن أنا أول من يضحى بنفسه فداء الوطن !..

(وفى الواقع كانت زهرة الشاى أول من ضحى بنفسه فلقد أصابتها قذيفة من الاسطول مزقتها شذر مذر)

عباس علام



قصة خيالية تتضمن عرضا يعتمد فى كثير من اجزائه
على المعروف من النصوص والحقائق التاريخية



بقلم الاستاذ محرم كمال

الأمين بالمتحف المصرى

الفصل الأول

منف ــ قصر الملك خوفو ــ حفلة ساهرة ــ موسيقى ــ رقص وغناء
ــ أقاصيص السحرة يرويها للملك أبناؤه ــ عام ٢٩٠٠ ق. م

منف العظيمة ذات الجدران البيضاء ، عاصمة ملك كبير ودولة واسعة الثروة ، عظيمة الجاه والسطوة ، تتلألأ منازلها وتتألق حين تنعكس اشعة الشمس القوية على جدرانها البيضاء الناصعة . وقد خططت أحسن تخطيط ، تفترق طرقاتها الفسيحة ثم تلتقى فى ميادين رحبة تقوم على جوانبها المنازل الفخمة . فى اكبر ميدان فسيح يقوم بناء فخم عظيم الشأن هو قصر الملك خوفو . الوقت مساء .. والاستعدادات تجرى على قدم وساق لاكبر حفلة ساهرة أعدت لها العدة، حتى تجىء مظهرا من مظاهر الابهة والبذخ والعظمة . موظفو القصر منهمكون فى أعمالهم ، يهرولون فى أرجاء القصر ، يرتبون كل ما يقع تحت أنظارهم ثم ينتقلون الى القاعة الكبرى

القاعة ملكية فسيحة مترامية الأطراف يحمل سقفها خمسون عمودا رتبت صفين وقد تلألأت جدرانها بالرسوم الزاهية الالوان . وأخذت تغص على سعتها بعظماء الدولة وكبارها ورجال الحاشية والامراء وفدوا جميعا على قصر الملك مرتدين ملابسهم الزاهية الالوان . ها هو الجمع قد احتشد فى هذه القاعة الملكية الفاخرة ، التى صارت أشبه بلوحة جميلة أخرجها فنان اتقن مزج ألوانه ، وتخير أجملها لتكون صورته البديعة . هذه القاعة الفسيحة لا تضم الا كل عظيم ثرى ممتاز من رجال الدولة وطد العزم على الا يألو جهدا فى أن يضيف الى هذه الحفلة كل ما هى خليقة به من رواء وبهجة . الكل محافظ على النظام والهدوء وقد شخصت أبصارهم الى حيث نصبت منصة عالية يقوم عليها كرسى الملك

يحيط به أفراد الاسرة المالكة ، وقد ارتدوا ملابسهم الملكية التى تحليها الجواهر الثمينة – الفيروز والعقيق والملاخيت والاماتيست ، تتألق كلها وتخطف الابصار كلما اهتزت أو أتى لابسوها بحركة – الحفلة جميعها أشبه بحلم طويل جميل أو بمشهد فخم جذاب على مسرح تام المعدات يغمره نور قوى ساطع

الملك خوفو يدخل القاعة فيخر الكل لمرآه ساجدين ، ويقبلون الارض أمامه ، ثم يقومون رافعين أيديهم بالعبادة .. خوفو يجلس على عرشه يحيط به أبناؤه الامراء خفرع وبفرع وددفرع ورجال الحاشية ، الملك يأذن بافتتاح الحفلة

موسيقى تشتد وتقوى ثم تتئد حتى تمهد الطريق لاغنية عذبة أعدت خصيصا لهذه الحفلة ثم تبدأ أنشودة الحب – على شكل محاورة بين فتى وفتاة

الفتى – سأرقد على سريرى وقد اعترانى المرض وسيعودنى جيرانى ولكن اذا حضرت حبيبتى فستهزأ بأطبائى لانها تعرف سر مرضى

(يقطع الشاب غناءه وينظر فى شوق ولهفة الى الحديقة التى تقع أمامه)

ما أجمل بيت حبيبتى تحيط به البساتين والبحيرات .. ها هو بابه أراه مفتوحا ، وهاهى حبيبتى تخرج غاضبة . ليتنى كنت عبدا لها ، أقوم على حراسة بابها ، وأتلقى أوامرها وأنعم برقيق صوتها ولو كانت غاضبة . انه ليطيب لى أن أكون كالطفل اهتز أمامها من الخوف وارتعد

(تظهر فتاة ترتدى غلالة رقيقة هفهافة وفى قدميها الصغيرين نعلان ، أما شعرها فاسود فاحم يزينه زهر اللوتس – تتقدم الفتاة وفى يدها القيثارة)

الفتاة – ها أنا معك .. هات قلبك يا حبيبى ، انك اذا دعت ساقى فلن امنعك ، واذا كنت فى حاجة الى الطعام فسوف أهبك زادا كثيرا ومتاعا وفيرا ، واذا جئت الى ظمآن الى الحب فسوف ارضعك أفاويق الغرام

(تتأخر الفتاة ثم تعود لتطبع قبلاتها على فم حبيبها)

ان حبك يمتزج بشغاف قلبى كما يمتزج النبيذ بالماء ، وكما تسرى العطور فى الدهان ، وكما يمتزج اللبن بالعسل . لقد أتيت مسرعا لترى حبيبتك كما يحوم الطائر حول اليفه

(يقترب الفتى منها ويدنو)

الفتى – لكم تمتزج آلامى بالاناشيد

ولكنك انت يا جسد حبيبتى حقل ملىء بازاهير اللوتس

ولانت يا صدر حبيبتى الناهد ، أحقاق ملئت بالروائح والعطور

ولانت يا نهود حبيبتى ، فاكهة تثير أشجان الغرام

ولانت يا محيا حبيبتى حلو يفوح شذاه

(يستغرق الحبيبان فى غفوة من غفوات الحب الحالم)

الفتاة – سوف لا تأخذنى شفقة فى حبك ، وسأسقيك من خمر حبى حتى تنتشى ، وسأصفى

خمره واقطره عند بدء الفيضان ، وسيسير ذكر حبى فى البلاد مع اغصان شجر السرو ، وفى المرتفعات مع اشجار الاثل ، وفى السهول مع سيقان البردى . وسوف لا القى بالا الى نصائح أولئك الذين يأمروننى بالا أطيع رغبات قلبى

الفتى ــ سأهبط الى النهر وقد زينت اكتافى بالرياحين حتى أصل الى مكانها ، وسوف أدعو الاله العادل متوسلا اليه ان يجعل حبيبتى فى الليل كينبوع تفيض منه الحياة ، أو كريحانة تقدم الى الاله بتاح أو كأقحوانة جميلة تنير الارض بجمالها

الفتاة ــ (تغنى وهى تستعد للانصراف يتبعها خدمها) سأهبط الى النهر بقاربى ، وسأسرع فى المسير ، وسأتوسل الى الاله رع ان يعجل بقرب حبيبى ، وسأقبلك وسأقف معك طويلا عند ملتقى النهر وسيرفرف عليك قلبى عند ما تتوارى عن النظر وسأنتظرك على الشرفة العالية وصدرى ملآن بزهور الربيع ، وشعرى مضمخ بالعطور ، وسأكون فاتنة مشتهاه

(وفى خلال هذه الاغنية وبعدها يدور رقص توقيعى بديع)

خوفو ــ كفى ، كفانا لهوا وقصفا وموسيقى واناشيد ، لشد ما ترغب نفسى فى أن استمع الى قصص السحرة ، فهل تعرفون رجلا يستطيع ان يقص على قصصا عن أعمال السحرة

حرددف ــ لقد استمعت بالامس يا مولاى لاقاصيص حدثت فى أيام أسلافك ، لا يدرى أحد مبلغ ما فيها من صحة وصواب ، ولكنى سأرى جلالتك رجلا يعيش فى نفس عصرك

خوفو ــ (فى لهفة) ومن عساه يكون يا حرددف

حرددف ــ هو رجل يدعى ددى يقطن فى مدينة ددسنفرو وقد بلغ من العمر عتيا ، وتخطى الآن العشرة بعد المائة . وهو يأكل يوميا خمسمائة رغيف من الخبز وفخذ عجل ، ويعب مائة اناء من الجعة فى اليوم ، ولقد أوتى مقدرة عجيبة ، فهو يستطيع أن يعيد الرأس الذى فصل الى موضعه ، وان يجعل الاسد يتبعه طيعا مختارا ، وهو محيط علما بجميع الرسوم الخاصة بهيكل الاله تحوتى ، وانى لاعلم ان جلالة ملك القطرين القبلى والبحرى ، خوفو ، شديد الرغبة فى البحث عن رسوم هيكل الاله تحوتى ، حتى يستطيع أن يسير على هديها ، ويعمل مثلها فى تخطيط هرمه ، وتصميم غرفه ودهاليزه

خوفو ــ كم هو شائق ما اسمعه . ان مثل هذا الرجل يجب أن يضمه بلاطنا ، وأن يكون من أقرب المقربين الى ، وعليك انت يا حرددف ان تحضره الى

حرددف ــ ولكنه رجل قد طعن فى السن يا مولاى ، فهل تظنه يستطيع الحضور

خوفو ــ يجب أن تحضره على أى حال ، وعليك انت يا بنى ان تغريه على الاسراع فى الحضور . قل له اننا سنهبه قصرا فاخرا ، وطعاما جيدا ، وثيابا جميلة ، واننا سنعطيه ذهبا كثيرا ومتاعا وفيرا . عده ما تشاء واحضره الى ، وعجل بذلك يا بنى فان حديثك عنه قد أثار شجونى وزاد فى لهفتى الى رؤيته

حرددف ــ سأفعل ما تريد يا مولاى وسأعد السفن وأسير بها الى هذه المدينة

الفصل الثانى

مدينة دد سنفرو ــ سفن الامير تصل وتلقى مراسيها ــ الامير ينزل من سفينته ويجلس فى محفة من الابنوس صنعت أذرعها من خشب الارز المغطى بالذهب ــ موكب الامير يسير حتى يصل الى منزل ددى الساحر ــ واجهة المنزل على شكل بوائك تستند على أعمدة من الخشب ــ ددى يرقد على سرير من جذوع النخل أمام داره مستلقيا تحت هذه البوائك مستمتعا بوافر ظلالها ــ يدلك أحد الخدم رأسه وآخر يدلك قدميه ــ موكب الامير يصل مسبوقا بالخدم وهم يصيحون ويلوحون فى الهواء بعصيهم الغليظة

الخدم ــ أوسعوا الطريق .. اوسعوا الطريق للامير حرددف

خادم ــ (مخاطبا فتاة لقيها فى الطريق) يا فتاة أليس هذا هو منزل ددى

الفتاة ــ نعم يا سيدى وها هو ددى يستلقى على سريره

(ينزل الامير من محفته ويتقدم الى المنزل)

الخدم ــ هل نعلن ددى بحضورك يا مولاى

حرددف ــ وعلام كل هذا الاهتمام سأذهب أنا بنفسى اليه (يتجه الى الشاعر فيحاول ددى الوقوف احتراما لكن الامير يرجوه الا يقف اجلالا لكبر سنه) مرحى مرحى انى أراك رجلا قد زاده العمر المديد وقارا وهيبة ، وماحياتنا الا رحلة طويلة طولها هو طول الاجل ونهايتها تؤدى بنا الى عالم آخر عالم التحنيط وعالم الدفن ، ولكنه عالم الخلود والبقاء والابدية . ولكن ها أنا أجدك يا ددى مستلقيا تستمتع بدفء الشمس اللذيذ ، صحيح الجسم معافى وها أنا أقدم التحية للسن الوقور

ددى ــ سلاما ثم سلاما يا حرددف يا ابن الملك يا من يحبه أبوه ، فلتكن مباركا عند أبيك خوفو ، ولتكن مقدما بين الشيوخ ، ولتفز روحك ضد أعدائك ، ولتستبن روحك الطريق السوى ، الى الباب الذى يكسو العريان ويطعم الجوعان . هذه هى تحيتى ودعواتى للابن الملكى

حرددف ــ لقد أتيت من بعيد لكى أستدعيك ، وقد زودنى أبى خوفو برسالة اليك ، وأمرنى بأن أذهب بنفسى لارافقك

ددى ــ ولكن ألست ترى للسن حقا على يقتضينى الا اجشم نفسى مشقة الرحيل

حرددف ــ حقا وكم تبلغ من السن اذن

ددى ــ لقد تخطيت العشرة بعد المائة

حرددف ــ مرحى مرحى كم هى عظيمة اذن حكمتك

ددى ــ أجل يا مولاى وكم هى كبيرة أيضا شهيتى

حرددف ــ حقا حقا وماذا تأكل ايها الرجل المسن

ددى ــ لا ازال التهم الخمسمائة رغيف وفخذ الثور واعب مائة اناء من الجعة

حرددف ــ حقا هذا شىء عظيم .. ولكن والدى سيعطيك ألف رغيف ومائتى اناء

من الجمة وثورا بأكمله ، وسوف تبقى لديه فى عيش رغيد وحياة ناعمة ، حتى يقضى القدر أمرا كان مفعولا ، وعندئذ تلتحق بآبائك واسلافك فى عالم الموتى

ددى ــ اذن سوف اذهب معك

حرددف ــ حسنا حسنا ولكن خبرنى يا ددى هل هو صحيح ما يشاع عنك من انك تستطيع أن تعيد الرأس المقطوع الى مكانه الذى قطع منه

ددى ــ أجل يا سيدى

حرددف ــ وهل تستطيع ان تجعل الاسد يتبعك طيعا مختارا كحيوان أليف

ددى ــ أجل يا سيدى

حرددف ــ وهل أنت محيط علما بجميع الرسوم الخاصة بهيكل الاله تحوتى ، وهل تعرف موضعها الذى خبئت فيه

ددى ــ أجل يا سيدى

حرددف ــ حسنا فان أبى لشديد الرغبة فى أن يرى هذه العجائب ، وسوف يطلب اليك ان تأتى العجيبتين الاوليتين أمام طائفة من كهنة الاله رع . اما عن الكتب فهو فى حاجة اليها لتنفيذ مشروع كبير يصبو اليه يتعلق ببناء مقبرة عظيمة له

ددى ــ وسيتم كل شىء على خير ما يود ويهوى . اما أنت أيها الامير فانى أرى أمامك شهرة واسعة وحكمة كبيرة ومستقبلا زاهرا ، وسيشتهر اسمك وتتناقله الافواه من جيل الى جيل

حرددف ــ شكرا شكرا على نبوءتك أيها العراف الكبير ، ولكن أبى فى الانتظار وسيجتمع بك فى صحراء منف بين طائفة من مستشاريه ومنهم كهنة رع ، فلا تدعهم ينتظرون طويلا هناك هيا بنا اليهم وسأقدمك بنفسى الى والدى (يمد الامير يده الى ددى ويعينه على القيام ويسير معه الى الشاطىء وقد اتكأ ددى على ذراع الامير)

ددى ــ هل يسمح لى الامير بسفينة خاصة احضر فيها أولادى وكتبى

حرددف ــ يا خدم أعدوا له سفينتين ، وزودوهما بالبحارة ، وبكل ما هو حسن جميل ، ولينزل ددى الى سفينتى حتى استمتع برفقته ، واستفيد من علمه وحكمته

(تسير السفن متجهة الى منف)

الفصل الثالث

هضبة الجيزة المترامية الاطراف ــ صخرة عظيمة تقوم وسط الرمال هى التى سينحت منها فى مستقبل الايام تمثال أبى الهول العظيم . بجوارها يقف فريق من الموظفين يتكون من : رع حب رئيس كهنة الاله رع بهليوبوليس ، وأمير الجيوش ومعه زوجته نفرت ، ومر ايب أمير البحر ورئيس كهنة رع أيضا ، والسيدة رددت كاهنة الاله رع

مر ايب ــ ترى ماذا دعا جلالة الملك الى أن يأمرنا بالانتظار فى هذه الصحراء يا رع حتب

رع حتب ـ ومن أين لى علم ذلك وجلالة الملك له فى كل يوم رأى جديد

نفرت ـ لقد تعود جلالته ذلك . . ولكن لا شك فى انه لم يدعنا الى هذا المكان الا لسبب خطير

مر ايب ـ ألم تسمعى شيئا من نساء القصر يا نفرت عما اعتزمه جلالته ؟

نفرت ـ لا شىء يا مر ايب فانت تعلم كم يتحفظ الملك فى شؤونه وتصرفاته ، فهو يرسم خططه فى سكون واناة ، وينفذها دفعة واحدة حين يخطر له ذلك . وارحمة عليك يا أيام سنفرو المبارك

مر ايب ـ سعيدة هى تلك الايام فقد كان السلام فيها مستتبا وكان لكهنة رع سلطتهم العظيمة ونفوذهم الكبير

رع حتب ـ ولكن تلك الايام قد مضت وانقضت ، ومع ذلك لا تنس أن الامور كانت قد بدأت تتغير فى أواخر هذا العصر

مر ايب ـ لقد كانت اياما ذهبية بالنسبة لكهنة رع

رع حتب ـ دعك من هذا فان البلاد كانت تسير الى الفساد ، وبدأ الظلم يأخذ بتلابيب العباد

مر ايب ـ أنا لا انكر أن حكم خوفو قد أصلح الامور ، ولكن الملك قد بالغ وافرط فى كل شىء . دعه يصلح من شؤون الادارة ، ولكن ليحذر من اغضاب كهنة رع حتى لا يكرهه الاله

نفرت ـ ليت خوفو يتجه وجهة الاعتدال

مر ايب ـ وكيف . . وكرهه للكهنة شديد

رع حتب ـ ومع ذلك فلنحاول ان توجه اهتمامه الى شىء آخر يصرفه عن التفكير فى أمر الكهنة ، لنعرض عليه مثلا ان يرسل الى الصحراء آلاف الرجال الذين أصبحوا متعطلين بعد ان غمر الفيضان الحقول حتى يؤدبوا قبائل البدو الذين اعتادوا الثورة على حكم فرعون

نفرت ـ ولكن هذه الفكرة لا تبدو لى سديدة ، فان أهالى الصحراء قد استكانوا وأهل بلاد كوش قد ضعفوا ، وجلالة الملك لا يرسل جيشا ليؤدب قوما مسالمين

مر ايب ـ ولكن لنعرض الفكرة على أى حال ، فقد يتشبه الملك بسلفه سنفرو فيأتى لنا بالغنائم وثمين الاشياء من الجنوب ، وقد يأتى بالذهب والفضة والابنوس والعاج والاخشاب الثمينة والبخور ، ويقدمها لمعابد الاله رع

نفرت ـ لا اظن ان اقتراحك سيروق فى عينى الملك ، فهذه كلها أشياء يمكن استحضارها فى بعثة تجارية

مر ايب ـ على أى حال فلدى سر لا اشك فى انه سيستثير اهتمامه

نفرت ـ سر أم نبوءة ؟

مر ايب ــ كيفما شئت . . فقد أعلن الاله رع ان احدى كاهناته السيدة رددت التى هى معنا الآن ، ستلد ثلاثة ملوك والدهم هو رع نفسه ، وانهم سيحكمون البلاد فهل تظنين ان خوفو سيغضب علينا من أجل نبوءة

نفرت ــ وماذا عساك تظن ، الا تعلم كم يحب الملك ابنه خفرع . هذا الامير الرقيق الحاشية

مر ايب ــ نعم أعلم ذلك ولكنى لا أقصد أن أثير عداوة خفرع لى ، فأنا احبه لرقته ودماثة خلقه ، ولكن النبوءة تقول ان خفرع سيحكم ومن بعده ابنه ، ثم بعد ذلك أحد هؤلاء الابناء

نفرت ــ كفى فانى اسمع أصواتا تقترب

(يظهر خوفو وهو يسير محاطا بالامير خفرع والوزير كاجنى والرئيس كاعبر يتبعهم رجال الحاشية وطائفة من الخدم . رع حتب ومر ايب ونفرت وردد ت يخرون ساجدين ويقبلون الارض ثم يقومون رافعين أيديهم بالعبادة)

خوفو ــ ماذا أعددتم لى من تقارير عن أحوال البلاد أيها العظماء ؟

رع حتب ــ أعددنا كل شيء يا مولاي وجمعنا كل المعلومات التى يهمكم الاطلاع عليها وانت تعلم يا مولاى ان « حبى » العظيم قد أغرق الارض بفيضانه ، فتعطل الناس وأخذوا ينصرفون الى ما لا نفع فيه ولا غناء ، فهم يلعبون ويلهون ويشربون وانت تعلم يا مولاى أن جلالة الملك سنفرو المبارك ، كان يبعث فى مثل هذه الاوقات التى يتعطل فيها الناس آلافا منهم فى حملات كبيرة يؤدبون فيها العصاة من أهل الشمال والجنوب ، فيعودون اليه مثقلين بالغنائم والاسلاب ، التى تزيد فى مجد مصر وثروة معابد آلهتها . الا فلتجعل هذا التقليد متبعا حتى يعم الرخاء ربوع البلاد فى عهدكم الزاهر

خوفو ــ (بحدة) ليس لى أعداء فى هذا العالم يا رع حتب ، وليس هناك من يثور على . فلماذا أرسل الحملات تعمل فى رقاب رعاياى الاجانب قتلا وفى ثرواتهم نهبا وسلبا ؟ اما ثروة معابد الاله رع فقد زادت وتضخمت حتى كادت لا تترك لافراد شعبى الا الجوع والفقر

رع حتب ــ (فى تصميم بالغ وصوت ثابت) ان الطيوب والبخور والابنوس والعاج والذهب والفضة وجلود الحيوانات الثمينة والاحجار الكريمة وكل ما يأتى من البلاد الاجنبية لهى أشياء تروق فى عينى رع

خوفو ــ (فى سخرية لاذعة) بل قل يا رع حتب انها تروق فى عينى كهنته

رع حتب ــ (مستأنفا كلامه) ولقد كان الملك سنفرو المبارك عند ما يغرق الفيضان الاراضى ، يستخدم الرجال فى بناء المعابد الفخمة والابهاء الفسيحة التى تزيد فى عظمة الاله رع . فكان رع يكافئه برضاه عنه ، ويهبه حياة مديدة وسعادة سابغة وصحة نضيرة

خوفو ــ (بشدة) ومع ذلك فانه ليس فى نيتى أن أرهق شعبى ، ولا أن احمله من المتاعب ما هو فوق طاقته

خفرع ــ أجل فكل معبد أو جزء منه كان يقيمه سنفرو تعظيما للاله رع ، كان يزيد من عدد الكهنة الذين يثرون على حساب هذا الشعب المسكين . فمن أين اذن يعم الرخاء البلاد . . ان هذا لا يرضى رع نفسه لان الاله يريد شعبا حرا يسبح بحمده ، لا مجموعة من العبيد الارقاء

رع حتب ــ وهل يرضى رع ان يرى الرجال فى موسم الفيضان متعطلين ، وقد انصرفوا الى اللهو والمجون والسكر

مر ايب ــ ونحن على أى حال لا نريد ان يغضب رع على شعبه، فقد وصلت الى اسماعنا نبوءة غريبة ، نخشى أن يكون فيها دليل على غضب الالهة

(يقطب خوفو جبينه ثم يظهر عدم الاهتمام)

خفرع ــ نبوءة ! اذن فقلها ولا تخش شيئا

مر ايب ــ لقد أعلن الاله ان كاهنته « رددت » ستلد ثلاثة أطفال من صلب رع نفسه ، وسيتولى كل منهم عرش البلاد وسيصبح أكبرهم كاهنا أعظم فى هليوبوليس ، وسيسبحون بحمد رع ويمجدونه ، هذه هى النبوءة

(تستولى الدهشة على الحاضرين وتسمع أصوات من بعيد ــ يصل الامير حرددف ومعه ددى وحاشيته وخدمه ويحيون الملك ومن معه)

خوفو ــ ها أنذا أراك قد وصلت يا حرددف

حرددف ــ أجل يا مولاى وقد أحضرت ددى معى ، وهو ينتظر المثول بين يديك

خوفو ــ فلتستدعه على عجل

(يدخل ددى مستندا على ذراع بعض الخدم ويؤدى التحية للملك)

خوفو ــ كيف انى يا ددى لم أرك حتى الآن

ددى ــ ان من يرسل فى طلبه يحضر ، لقد استدعانى مولاى وها قد حضرت

خوفو ــ وهل صحيح ما يشاع عنك من انك تستطيع أن تعيد الرأس المقطوع الى مكانه الذى قطع منه

ددى ــ أجل يا مولاى

خوفو ــ وهل صحيح ما يشاع عنك من انك تعلم عدد الرسوم الخاصة بهيكل تحوتى

ددى ــ استميحك المعذرة يا مولاى فانى لا اعرف عددها ولكنى اعرف مكانها

خوفو ــ اذن خبرنى أين هى

ددى ــ هناك صندوق من الحجر فى غرفة تدعى غرفة الرسوم فى مدينة هليوبوليس ، فهذه الرسوم التى تسأل عنها هى فى هذا الصندوق يا مولاى (لحظة صمت قصيرة) ولكنى لست أنا يا مولاى من سيحضرها لك

خوفو ـ اذن من سيحضرها الى

ددى ـ هو أكبر الأطفال الثلاثة الذين ما زالوا فى بطن رددت ، انه هو يا مولاى الذى سيحضرها اليك

خوفو ـ ولكنى أريد أن أعلم من هى « رددت » هذه

ددى ـ هى زوجة كاهن الاله رع وقد حملت منـه بثلاثة أولاد اخبرها الاله بانهم سيتولون حكم البلاد وان أكبرهم سيصبح كاهنا أعظم فى هليوبوليس . وها هى تقف بنفسها أمام عينيك (يشير اليها)

(يحول الملك نظره اليها فى حدة فتعترى رددت رعدة تهز كيانها هزا عنيفا)

ددى ـ ماذا أرى يا مولاى أمن أجل الاطفال الثلاثة تحزن . اذن فانى أقول لك ان ابنك سيحكم بعدك وسيحكم من بعده ابنه ، وبعد هذا سيكون أول هؤلاء الثلاثة

خوفو ـ (وهو ينظر الى الكاهنة فى حدة ظاهرة) ولكن خبرنى متى تلد رددت ؟

ددى ـ انها ستلد فى اليوم الخامس عشر من الشهر الاول من فصل الشتاء

خوفو ـ (وهو يحدق بشدة فى هؤلاء الكهنة العصاة) هذه الرسوم التى ابحث عنها سأحصل عليها على أى حال ، وسأذهب بنفسى الى معبد الاله رع بهليوبوليس عند ما ترتفع مياه قناة السمكتين وتسمح للسفن بالمرور ، ثم ماذا تقول غير هذا يا ددى ، سمعت أنك تستطيع أن تسيطر على الاسد (ثم ينظر الى أعدائه الذين يقفون أمامه) فتجعله يسير بين جماعة من الناس كالذين يقفون أمامى الآن دون أن يحدث ضررا (تسرى الرعدة فى أبدان الكهنة ويظهرون ارتياعهم ، على حين ينحنى ددى علامة على التصديق على كلام الملك) كما تقول انك تستطيع ان تعيد الرأس المقطوع الى المكان الذى قطع منه ، هذا حسن وجميل يا ددى وكم يسرنى أن أرى هذه العجيبة تمثل أمام ناظرى (ثم يستدير الملك وينظر الى أعدائه) ماذا تقول فى هذا يا رع حتب وانت يا مر ايب ، الا يسركما ان تريا هذه العجيبة

(رع حتب ومر ايب وقد اصفرت وجوههما وكاد ينحبس الكلام فى حلقهما)

رع حتب ومر ايب ـ ما يسر قلب جلالة الملك يسر أيضا قلوب كهنته

خوفو ـ (فى لهجة مروعة) ولست أشك أنا أيضا فى ان هذا سيسر قلب الكاهنة رددت التى ستلد أطفالا ثلاثة يتولون عرش البلاد

رددت ـ (وهى ترتعد) سيكون فيما يسر جلالة الملك مصدر سرور لى أنا أيضا

خوفو ـ (فى لهجة بطيئة ولكنها قاتلة) حقا سيكون فى هذا ملهاة لنا جميعا ، ثم انها ملهاة بريئة لا ضرر فيها ولا اضرار . فلتحضر سكينا كبيرا يا كاعبر (يتقدم كاعبر ويقترب من الملك وفى يده مدية كبيرة) هل النصل حاد يا رئيس العمال . . لانى لا أطيق أن يتألم أحد منا (ثم ينظر الى أعدائه نظرة شديدة) فى مثل هذه التجربة العديمة الضرر

كاعبر ـ لقد شحذت النصل شحذا عظيما يا مولاى فهو قاطع بتار

خوفو ـ (فى لهجة قوية تشوبها السخرية) اذن فالى التجربة ـ من منكم يا مستشارى الاعزاء يتفضل بتقديم نفسه لهذه التجربة ، انى لا أريد ابنا ملكيا ولكنى أراك يا رع حتب ومر ايب ، وانت يا رددت مستحقين جميعا لهذا التكريم ، فكلكم تخلصون لى ، وكلكم محبوب لدى ، وسأشرفكم جميعا بهذا الاختيار (يقف الجميع مرتاعين وقد تسمروا فى أماكنهم وانحبس الكلام فى حلوقهم) هذه التجربة ستكون قصة ممتعة تروونها لابنائكم. يا ددى هيا ولتبدأ عملك

ددى ـ لست أريد رجلا يا مولاى بل يكفى أن نجرى التجربة على حيوان

رع حتب ومر ايب ورددت ـ (فى ذل واستكانة واستعطاف) هل يسمح مولاى بتأجيل هذا الشرف الى يوم آخر ، علنا نستطيع احضار رسوم هيكل تحوتى من هليوبوليس ، فنقدمها الى جلالة الملك هدية منا له ، وعربونا على اخلاصنا ووفائنا

خوفو ـ فلتؤجل هذه التجربة اذن الى يوم آخر ، ولتعد القاعة الكبرى فى القصر الملكى ، لتجرى هذه التجربة على أوزة ثم على ثور ، لتشهد آيات حكمتك يا ددى وستسكن يا ددى مع ولدى الامير حرددف فى بيته ، وستعطى كل يوم ألف رغيف ومائة كأس من الجعة وثورا ومائة حزمة من البصل

ددى ـ شكرا يا مولاى

(ينصرف ددى الى محفته ويستلقى فيها ثم يحمل بعيدا وعلى وجهه امارات الغبطة والسرور ـ الكهنة يستفيقون من رعبهم الشديد ، وقد انهد كيانهم ويقفون متخاذلين مستكينين ـ خوفو وقد ألقى الرعب فى قلوب أعدائه بضربته اللبقة ، يقف منشغل الخاطر وهو ينظر الى الصحراء التى تنفسح أمامه مستغرقا فى تفكير عميق)

خوفو ـ (يلتفت فجأة الى الجماعة التى تحيط به) يا كهنة رع ويا رجال الحاشية استمعوا الى قرارى

أنا لا يرضينى أن يبقى أفراد شعبى متعطلين يقضون أوقاتهم فى اللهو واللعب والمجون، بينما تغمر أراضيهم مياه الفيضان . وأنا لا يرضينى ان يجمعوا كقطيع من الاغنام يرسلون فى الحروب ليعملوا فى البلاد قتلا وتخريبا كما كان يفعل الملوك من قبل . وأنا لا يرضينى أن ترهق كواهلهم بناء المعابد ، لكى تتضاعف ثروة كهنتها الذين يثرون على حساب هذا الشعب المسكين . انى مصمم على ان يرفع أفراد شعبى رؤوسهم شاعرين بالحرية فى عهدى . الحرية من ربقة الاستعباد ـ استعبادهم فى الحروب أو فيما يعود على الكهنة بالثروة والجاه . انى أعلم ان الكهنة سيغضبون وانهم سيلطخون اسمى وذكراى بكل نقيصة يمليها عليهم حقدهم وكرههم . سيقولون عنى انى أغلقت الهياكل ، ومنعت العبادة ولكن ماذا يهمنى من كل هذا ما دمت قد حررت الشعب من ربقة الاستعباد (يصمت خوفو لحظة يعترى الجمع فيها مس من الغضب ، ولكنهم لا يجرأون على الكلام) أما شعبى الذى يتعطل الآن ويجوع ، فانى سوف لا اتركه أو أتخلى عنه ، سأجمعه أفواجا أحضرها الى

هنا ، واطعمها واكسوها من وفير ما يحتويه بيت المال . وسيجدون عملا يغنيهم عن التعطل والبطالة .. سيعملون فى اقامة بناء عظيم يخلد ذكرى هذا العصر باكمله ، ويكون عجيبة من عجائب الزمن على مدى الاجيال وتعاقب القرون . أجل سيكون أثرا خالدا لم ير العالم بناء أكبر منه . وسأدفن فيه ، ويكون مستقرا لجثمانى وروحى . وهنا وفى هذا المكان سيقوم أكبر شاهد على المهارة والدقة واحكام البناء ، سيكون برهانا وعنوانا على المقدرة والعلم والصبر والعظمة التى يتميز بها أفراد شعبى فى هذا العهد

هذا هو قرارى الذى اعتمد فيه على شعبى وانظر فيه الى خيره ونفعه

(ثم يستدير خوفو ويسير فى خطوات متئدة متزنة يتبعه الكهنة ورجال الحاشية راجعين الى القصر الملكي)

« وهكذا قام هذا البناء العظيم فى تلك البقعة الخالدة يحيط به سحر عميق يغمر هذه الدنيا البائدة المملوءة بالحياة القديمة وذلك العالم الذى يرتفع الى أعلى قمم الانسانية ، ولا تزال عروق حياته تنبض من خلال الكتابات والنقوش »

محرم كمال



خسرو .. وشيرين

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

... واستيقظ خسرو من نومه وهو يحاول أن يستعيد فى ذهنه ذلك الحلم الجميل ، الذى بشره فيه جده العظيم كسرى انوشروان ، بأنه سيتزوج من فتاة اسمها « شيرين » ذات قد رشيق ، وفم دقيق ، وشفتين رقيقتين ، وعينين ساحرتين . وبينما كان يستحث خياله على رسم تلك الصورة الجميلة ، اذ دخل عليه صديقه الحميم « شابور » الذى عاد من رحلة طويلة ـ وكان شغوفا بالرحلات ـ وأخذ يقص عليه أخبارها ، ويصف له ما شاهده أثناء تجواله فى البلاد المختلفة ، ولا سيما ارمنيا التى رأى فيها شيرين ابنة أخى ملكة تلك البلاد ، واسهب فى وصف جمالها ، وأقبل عليه خسرو يستعيد كلماته ، ويستذكر كلمات جده ، ولشد ما دهش عند ما أدرك ذلك التطابق الغريب بين ما حدثه به جده فى المنام وبين ما سمعه من صديقه فى اليقظة

وتأججت بين ضلوعه نيران الحب ، والتمس من صديقه بل توسل اليه ان يعود أدراجه الى ارمنيا ، وان يحتال على ايجاد الصلة بينه وبين شيرين الموعودة

وأشفق شابور على صديقه فشد رحاله الى ارمنيا ، وتحرى عن شيرين حتى علم بأنها تخرج فى سرب من صواحبها الى مكان معين للترفيه عن النفس ، وبكر شابور فى الذهاب الى ذلك المكان ، وهداه تفكيره الى ان يستخدم موهبته ـ وقد كان مصورا بارعا ـ فى ايجاد الصلة بين شيرين وصديقه ، فرسم له صورة علقها فى موضع ظاهر ثم اختبأ ليرى ما يكون ، وسرعان ما حضرت شيرين وسط صواحبها كأنها البدر وسط النجوم ، ووقعت عينها على صورة خسرو وأخذتها من احدى وصيفاتها وتأملت فيها ، واعجبت بها واحست كأن سهاماً قد نفذت منها الى شغاف قلبها ، وانعقد غرامها دموعا تحدرت على وجنتيها ، وهمت تطفىء بتقبيلها بعض لواعجها ، ولكن صواحبها أسرعن اليها ، وخطفن الصورة منها ، ومزقنها خفية عنها ، وجذبنها معهن يلعبن ويمرحن وسط الخضرة النضرة

وأعاد شابور الكرة ، فاختطفت شيرين الصورة ، وانتحت من صواحبها مكانا قصيا ، وأخذت تتأمل فيها ، وانتهز شابور الفرصة فبرز لها من مكمنه ، وأخبرها أنه مصور الصورة ، وانها لصديقه خسرو الذى يهيم بها حبا ، وكشفت له شيرين عن سرها وباحت له بمكنون صدرها وتوسلت اليه أن يرشدها الى حيث يقيم حبيبها ففعل ثم اعطاها خاتما يعرفونها به اذا ما وصلت ايران

وبيتت شيرين النية على الهرب الى ايران ، واستأذنت عمتها فى الخروج الى صيد الغزال

فأذنت لها ، ولكنها اطلقت لجوادها العنان ، وعاد من كان معها بعد ان يئسوا من رجوعها ، وظلت هي سبعة أيام متوالية تواصل السفر ، حتى اذا اجهدها السير اسلمت نفسها للكرى فترة من الزمن . ولكن سرعان ما أيقظها صهيل جوادها ، فاذا بها ترى أسدا مقبلا عليها يريد افتراسها ، فسددت اليه سهما أصابه فى مقتل فأرداه ، وكان بالقرب من المكان بركة ماء ، فخلعت ملابسها ونزلت تبترد بعد ذلك المجهود المضنى ، ومر بها شاب ايرانى فتن بجمالها ، وكاد يجن بدقة تكوينها ، ولكنه آثر ان يواصل سيره الى حبيبته شيرين

ووصلت شيرين الى المدائن ، وابرزت الخاتم الذى تحمله ، فاستقبلت أحسن استقبال ، ولما علمت بغياب خسرو رغبت فى السكنى بعيدا عن القصر فبنى لها قصر عظيم لا تزال بقاياه قائمة الى اليوم تحمل اسم شيرين

ووصل خسرو الى أرمنيا ، ونزل ضيفا على عمة شيرين ، وحضر شابور وأخبره بكل ما وقع ، فطلب اليه خسرو الاسراع الى ايران ، والعودة بشيرين فى الحال . وعادت شيرين الى بلادها ولكن خسرو كان قد غادرها الى بلاده لما علم بقيام ثورة فيها ويئس خسرو من الانتصار على خصمه الذى استأثر بالعرش دونه ، وعاد الى أرمنيا ليتحين الفرصة لاسترداد عرشه . وتقابلت معه شيرين لاول مرة وعرف كل منهما الآخر ، وفرحا بهذا اللقاء ونعما به ، وكانا يخرجان معا للصيد وللرياضة . وفى ذات يوم خرج عليهما أسد جائع فتصدى له خسرو وقتله لساعته . واشتد الهوى على خسرو ذات يوم ، فهم بشيرين وهمت به ، لولا انها تذكرت نصيحة عمتها بالمحافظة على عفافها فقالت فى سخرية لاذعة : « وفر عليك قوتك التى تحاول استخدامها الآن فى غواية امرأة ضعيفة مثلى ، كى تستخدمها فى استرداد ملك اجدادك الذى عجزت عن الاحتفاظ به »

ولم يجب خسرو على ذلك بكلمة ، ولكنه تركها وخرج هائما على وجهه ، تتقطع نياط قلبه من الغم . وظل سائرا على غير هدى حتى صادفه فى الطريق عراف تنبأ له بأنه سيتزوج من « مريم » احدى بنات قيصر الروم ، وانه سيسترد عرش اجداده بعد سنة .

وتحققت النبوءة واسترد خسرو عرشه ، وبنى بابنة قيصر الروم ، وانجب منها غلاما هو « شيرويه » . وعلمت شيرين بالامر ، فضاقت الدنيا فى عينيها ، وركبها الحزن والهم ، وماتت عمتها ، وأصبحت هى ملكة أرمنيا . ولكن أبهة الملك وجلاله لم تنسها الحب وجماله ، فآثرت أن تعيش على قرب من حبيبها دون ان يعلم ، وان تتخذ من قصر شيرين محرابا تقضى فيه بقية حياتها ، تنعم فيه بذكرى الايام الخالية ، فشدت الرحال اليه مع رهط من اصحابها ، من بينهم شابور الذى لازمها بأمر من خسرو لكى يسهر عليها ويرعاها

وكان قصر شيرين بعيدا عن المراعى ، ولم يكن من الميسور حصول شيرين على اللبن طازجا ، وهى تحب هذا الطعام ، ولا غنى لها عنه ، فشكت الامر الى شابور الذى طلب الى صديقه الحفار « فرهاد » استنباط وسيلة تحقق رغبة شيرين

وحضر فرهاد الى القصر وما ان وقعت عينه على شيرين حتى جن بها حبا ، وأخذت

تحدثه فى مشروعه ، ولكنه لم يفهم منها حرفا ، بل ظل مشدوها حتى انصرف من بين يديها ، وواصل الليل بالنهار فى العمل ، حتى نجح أخيرا فى حفر قناة فى الصخر ، يجرى فيها اللبن من المراعى الى قصر شيرين

وعلم خسرو بوجود شيرين فى ايران ، وعلم بغرام فرهاد بها فدبت فى نفسه عقارب الغيرة ، وكان لا يزال يحمل فى أعماق قلبه حبا دفينا لها ، وأراد أن يستغل حب فرهاد لها فوعده بأن يزوجه منها ، ان استطاع ان يشق طريقا ممهدا فى الصحراء . وانصرف فرهاد ليقوم بهذه المهمة وبدأ عمله بنحت صورة لخسرو وصورة لشيرين لكى يراها فى كل لحظة ، ولكى ترى هى أيضا مدى ما يبذله من الجهد فى سبيل الحصول عليها ، ولكى يبثها لواعج غرامه فى أوقات فراغه ، وعلمت شيرين بالامر فحضرت اليه ذات يوم لكى تسرى عنه ، ولكنه ما كاد يعلم بوجودها الى جانبه حتى فقد صوابه ، فاقبلت عليه تفيقه واعطته جرعة من شراب كان معها ، فاستعاد شعوره وبثها غرامه ، وعادت شيرين الى قصرها ، ولكن كبا بها الجواد فى طريقها ، فاسرع اليها فرهاد وحملها هى وجوادها الى مكان أمين . وبلغت مسامع خسرو هذه الحوادث فاشتدت هواجسه ، واشفق من عطف شيرين على فرهاد الذى أوشك ان يتم عمله العظيم ، ويستنجزه ما وعد . فدس عليه من يقول له كذبا ان شيرين قد ماتت وصدق المسكين ذلك ، والقى بنفسه من صخرة عالية ، وذهب ضحية حبه . وحزنت شيرين عليه حزنا شديدا ، وأمرت ببناء قبة فوق المكان الذى وقع فيه ليكون رمزا قائما للحب الطاهر

وماتت مريم زوجة خسرو ، وتحرك فى قلب خسرو غرامه القديم ، فبعث الى شيرين يخطب ودها ، ويذكرها بالايام الخالية ، ولكنها أصمت أذنها عنه ، وحاول شابور ان يجمعهما من جديد فلم يفلح ، فقد كان حنق شيرين على خسرو شديدا لزواجه من مريم ولقسوته على فرهاد . ولكن خسرو لم يستطع على صدها صبرا ، فذهب اليها بنفسه وتلاقيا وتعاتبا ثم تصافيا وتزوجا ، وعم الفرح والسرور قلوب الجميع ، وتوج شابور على عرش أرمنيا مكافأة له على اخلاصه ، وأصبحت شيرين ملكة على ايران ، ونعم الحبيبان معا بالحب والهناء .

ولكن « شيرويه » ابن خسرو كان قد شب عن الطوق ، وكان بطبعه مفطورا على الشر وقد رأى شيرين فاشتهاها ، ووسوس له الشيطان ان يقتل اباه ليفوز بها وبالعرش معا ففعل ، واستيقظت شيرين فاذا خسرو قد مات مقتولا ، فتمالكت نفسها وجهزت زوجها لموكبه الاخير ، وما كادت تفرغ من ذلك حتى حضر لها رسول من قبل شيرويه يصف لها غرام سيده بها ، فتظاهرت بالقبول ولبست أبهى حللها وازينت ، وابتهج شيرويه وظن انها قد رضيت به . ووصل الموكب الى القبر ، ثم انصرف المشيعون ولم يبق الا شيرين التى رفعت غطاء النعش ، واخرجت من بين ثيابها خنجرا طعنت به نفسها ، وهى فوق صدر حبيبها وذهبت ضحية الوفاء



بقلم الأستاذ نقولا الحداد

كانت سعاد فى الخامسة عشرة وردة ناضرة ، ولم تزل فى المدرسة تصارع الكتب وهى تطمح أن تكون يوما ما عالمة ثم فيلسوفة . على ان نبضات فؤادها كانت تقول لها اتئدى ففى الوجود عواطف واشواق ولهفات تعترض الخوض فى بحر المعرفة الذى لا قرار له

كان أبوها على نصر الله تاجر خشب صغير ، يكسب رزق أسرته بعناء قليل لان تجارته منظمة تنظيما قانونيا ، وأخلاقه تؤيد النظام بالصدق والامانة وحسن المعاملة والمجاملة للبائعين والشارين ، وكان كاسبا مع الرزق ثقة المتعاملين من الجانبين

وكانت أسرته مؤلفة من سعاد وأخيها فؤاد وزوجته نعمات . ونعمات بنت نعماء مثقفة طيبة الاعراق والاخلاق . وكان على نصر الله على شيء من الثقافة يعرف قيمة زوجته فلذلك ترك لها أمر تثقيف ولديهما كما تشاء وكما تربت فى بيت أهلها

وكان على ذا رأس مال صغير لا يقدره على المتاجرة بالجملة . فكان يكافح فى السوق بتجارة التفاريق . ولذلك كان يشترى أخشابه من تاجر كبير يستورد الخشب من مصادره مقادير كبيرة مشحونة بمركب خاص باسمه

هذا التاجر الكبير هو حسن الخشاب . فكان على أحد عملائه المشمولين برعايته وكان يميز عليا بالمعاملة . فيبيعه بالنسيئة ويتساهل معه فى استيفاء الدين بلا قيد بالمواعيد لثقته العظمى بامانته . وبسبب هذه المعاملة التجارية والتقارب فى الذوق توثقت الصداقة بين على وحسن . فكانا يجتمعان كثيرا فى سهرات ، تارة فى مقهى وتارة فى منزل احدهما

وامتدت الرابطة الى ما بين العقيلتين نعمات زوجة على ونجلاء زوجة حسن ، وكان لحسن ابنان وابنة من سن سعاد اسمها لمياء . وكان ابنه الاكبر يوسف متزوجا ومشتركا معه فى ادارة متجره . واما ابنه الثانى عدلى فكان لا يزال فى المدرسة يستعد لدراسة الحقوق

بسقت سعاد فى حديقة الجمال غصنا تداعب فيه نسمات الهوى فتميله تارة يمنة وأخرى

يسرة . وقد طلع فى أعلى هذا الغصن قمر وضاء الطلعة وسيم المحيا ، تطل منه مقلتان كأنهما الذكاء تجسم ، وتحملهما وردتا وجنتين كأنهما الحياء استحال الى رواء ملون . وبينهما ثغر اذا انفرج قليلا ، ومض منـه شعاع اللطف والعطف ، وانطلقت من بين ثناياه أنغام الكلام المطربة ــ سبحان من سوى

وكانت سعاد فتنة آل الخشاب واحيانا نغمة حديثهم وما تورعوا أن عرضوا بجمالها لابويها حتى فى حضرتها . فكان هؤلاء يتوردون خجلا واستحياء

فى ذات مساء والجو صاف رائق والنسيم عليل كان على وعقيلته فى متنزه على ضفة النيل والحديث بينهما سلسبيل . قال لها : أرى يا نعمات ان آل الخشاب ولا سيما حسن يرمقون سعاد رمقات وداد يتجاوز حد المعتاد كأن فى ضمائرهم نية طيبة . وأحيانا يرمى حسن بكلمات تحتها اشارات الى مستقبلها . الا تلاحظين هكذا يا نعمات ؟

فابتسمت نعمات وقالت : ألست ألاحظ ؟ واترجم وأفسر وأفهم ؟ اتظنهم يرومون أن يأخذوها لعدلى

ــ وماذا فى كنانتهم غير هذا السهم ؟ فماذا تقولين لو صرحوا ؟

ــ ماذا تقول أنت ؟

ــ أقول هل تتوقع شريكا لسعاد فى الحياة أفضل من عدلى . فهو أخ لاخت وأخ وابن لاب تاجر كبير ذى ثروة لا يستهان بها

ــ بكم تقدر ثروة حسن الخشاب ؟

لا أدرى . ان ثراءه حديث العهد . ليس له عقار ولا اطيان . ليس له سوى متجره. واظنه يتجاوز الستين أو السبعين ألفا وربما ناهز المائة ألف . وله مستقبل كبير . والمستقبل لاولاده طبعا واذا أسعف الحظ وصارت بنته ليلى زوجة لابننا فؤاد كان معظم الثروة من ناحيتنا .

فامعنت نعمات بالابتسام وقالت : يا عزيزى . حين خطبتنى لم تكن ثريا وحتى الآن لم تصر ثريا كبيرا . وكان فى الامكان أن أتزوج من هو أثرى منك . ولكنى لا اشعر الآن انى أكون أسعد حالا لو كان زوجى حسن الخشاب أو من هو اغنى من حسن الخشاب بل أظننى الآن أسعد حـالا مما لو كان زوجى حسن الجوهرى أو حسن السماوى . ولا أظنك تجهل ان المال لا يضمن السعادة . بل الشخصية تضمنها . فما ظنك بشخصية عدلى . هل تضمن سعادة سعاد ؟

فتبرم على هنيهة ثم نظر فى نعمات وقال : ان الفتى لا يكبر سعاد أكثر من اربع أو خمس سنين . وقد شرع يدرس المحاماة . قد لا يشتغل فى المحاماة بل يشترك مع أخيه فى ادارة المتجر وتكون المحاماة ملاذا لهما فى الازمات التجارية . واذا كنت ترين منه فى بعض الاحيان مثل طيش أو نزق أو خفة فللشباب حقه من هذه . ومتى بلغ أشده يعتدل والعمل يقوم عوجه

فقهقهت نعمات وقالت : وما أدراك ان طيشه يفسد العمل ؟ ألا ترى انه لعوب فضلا عن انه قليل الذكاء . فعلى الرغم من انكبابه على الدرس رغم أنفه خوفا من غضب أبيه سقط فى امتحانين فى هذا العام . هذه فواتح مستقبل هذا الفتى فى العمل . فيخشى ان يقع فريسة لاخيه فى المستقبل لان أخاه أدهى منه . لا. لا. يا عزيزى ليس عدلى فارس سعاد ولا سعاد فارسة عدلى . فهى تربى الآن على استقلال النفس وحرية الضمير واستقامة الارادة فاذا جمح عدلى فى بيداء غوايته ولم تستطع سعاد ان تكبح جماحه تركت حبله على غاربه وانصرفت الى حيث تضمن لها الشريعة طمأنينة . انى أربى سعاد تربية تليق لبنى الملوك . فاذا لم تتوفق الى نصيب ترضى به نفسى أولا ، فلتبق ناسكة فى عصمة نفسها ، ولها من متانة خلقها وأدبها حماية لها بعون الله . الحق أقول لك يا عزيزى ان ظواهر آل الخشاب جميعا لا تسرنى ولا تعجبنى كثيرا . وما أنا مسايرة لهم الا لاجلك لان علاقتك التجارية مع حسن وارتباطك معه بديون يقضيان علينا بموالاتهم ومحاسنتهم . وما فى المجاملة والمحاسنة غش ولا رثاء

وعادا الى منزلهما مغتبطين بالنتيجة التى انتهى اليها حديثهما . واشتد اغتباطهما حين قبلا ولديهما المنتظرين لهما على العشاء

***

فى ذات مساء أجاب على نداء التلفون واذا المتكلم صديقه حسن وفى صوته رنة بهجة وحبور : عزيزى على . اليوم وفقت الى صفقة رابحة وأنا مغتبط الآن فهل لك ان توافينى الى المتنزه . . نقضيها ساعة بين شرب وطرب وحديث ؟

فى ذلك المساء كان الصديقان يتحادثان ، وعلى وجهيهما امارات الانفعال كثيرا أو قليلا حسب مقتضى النقاش والجدال

قال حسن : لا بد يا عزيزى على انك ترى سعاد قد أصبحت كاعبا . وكل يوم تزداد بهجة واشراقا

فحملق فيه على مبتسما وهو يتهيأ للمرافعة فى محكمة الصداقة وقال : نعم انها فى السن التى تفتح فيها الزهرة وتشق كمها عن نورها



وكان حسن يزدرد ريقه تهيؤا للكلام أو تهيبا للصدام . وقال : لا اظنك تبخل بها اذا طلبناها

فأجاب على توا متذكرا اباء زوجته نعمات : أظن يا عزيزى ان الثمرة لم تنضج بعد . وهذا الحديث سابق لاوانه

ـ كيف ؟ أليست سعاد فى السادسة عشرة الآن وهى سن الزواج القانونية

ـ ولكنها لا تزال فى المدرسة تتم دروسها

ـ وما لزوم الدرس الزائد للفتاة يا عزيزى ، الفتاة معدة للمنزل فلا تحتاج الى العلم الكثير

ـ يلوح لى يا عزيزى انك تريد المرأة خادمة فى البيت لا زوجة ولا أما مربية للبنين ولا عشيرة انيسة لشريكها فى الحياة . ان عصرنا يا عزيزى عصر المرأة ، عصر الحياة الزوجية السعيدة ، عصر العلم والمعرفة والحرية

فتبرم حسن وقال : ولكن العلم الكثير للمرأة يمردها على الرجل . ومتى تمردت المرأة خرب البيت . لا . لا يا عزيزى . لا موجب لتعليم سعاد أكثر مما تعلمت

ـ ولكن زوجتى نعمات تقول ان زيادة المعرفة زيادة بالقيمة للشخص رجلا كان أو امرأة

فقهقه حسن وقال : دع هذه الفلسفة الفاسدة . هل تقتنع أنت بفلسفة المرأة فى هذا الزمان ؟ امرأة هذا الزمان تريد أن تمتطى الرجل بحجة « حقوق المرأة » . ولا أفهم ماهى حقوق المرأة غير الاكل الدسم ، والشرب الطيب ، واللبس الانيق ، وماذا بعد ؟ اذا كنا ننفذ كل رأى ترتئيه المرأة فى البيت ، أصبح البيت دكانا وملهى وهيكلا للعبادة وأخيرا دار مجانين . سعاد صارت فى السن القانونية فلا داعى ان تبقى فى المدرسة ولها طالب

فتململ على وقال : ولكن عدلى لا يزال يدرس الآن ، فمتى انتهى من دراسته ، وأخذ شهادة الحقوق تكلم فى الموضوع

فحملق فيه حسن قائلا : عجبا ! لماذا اتجه فكرك الى عدلى

ـ لان أخاه يوسف قد تزوج ورزق . فلمن يتجه الفكر اذن ؟

فلوى حسن عنقه وادار رأسه دورات رحوية وهو يضحك ثم قال : «ليه» . الا اعجبك أنا ؟

فبغت على وكاد يترنح من الدهشة وقال بنفسه ، ان التخلص من ورطة الأب اسهل من ورطة الابن . ثم قال : انت يا سيد حسن ؟

ـ نعم أنا . وماذا فى الامر وأنا لا أزال فى شرخ الشباب لا يتجاوز عمرى الخامسة والاربعين ، وكثيرون من أقرانى لا يزالون عزابا ، وصحتى والحمد لله أقوى من صحة أسد ، واشغالى معدن ، فماذا يمنع ؟

فلما صحا على نصر الله من نشوة الدهشة قال : اتجد يا حسن أم تمزح ؟

ـ وهل الزواج يعقد على قاعدة المزاح ؟

فارتبك على وتحير ، فبماذا يجيب لانه رأى ان حسنا يجد أكثر من الجد الى أن قال : ولكن لك يا عزيزى زوجة جميلة الخلق والخلق تحسد عليها

ـ أجل والشريعة تجيز الثانية والثالثة والرابعة

ـ ولكننا يا عزيزى لسنا من طبقة ذوى المثنى والثلاث والرباع

ـ يالله ! اذا عملنا حسب الشريعة فهل ننحط من طبقتنا ؟ وبماذا تمتاز طبقتنا عن غيرها ؟ أبالتقوى والصوم والصلاة والزكاة حتى تحرم على نفسها ما أجازه الشرع . أتريد ان أذكر لك خمسين رجلا من طبقة الاعيان والاغنياء تزوجوا غير واحدة

ـ الشرع أجاز ولكنه لم يوجب . يمكنك ان تذكر خمسماية لا خمسين ولكنهم ليسوا من الطبقة التى أعنيها . هم فئة الانانيين الذين يضحون بهناءة الاسرة على مذبح شهواتهم

ـ أين التضحية . . لست أؤذى أحدا اذا تزوجت اثنتين

ـ بل تؤذى الاثنتين معا فضلا عن البنين ، لان أم أولادك مهما كانت طيبة القلب لاتطيق ضرة فتنكد عيشك وعيش ابنتى

ـ أطلقها

فاستشاط على وقال : وهذا هو جل الاذى ، تفرق بينها وبين أولادها أكبادها ، لاجل شهوتك وهذه آلم نكبة للام . وتكون ابنتى الخنجر الذى تطعن به السيدة نجلاء أم أولادك . خف الله يا هذا . . سعاد ليست لك وبينك وبينها ثلاثون سنة ، وسنها ثلث سنك . استهجن جدا أن تطمح الى زواج مستهجن كهذا ، وبنتى لا تزال فى دور الطفولة

ـ وماذا فى الامر ؟ كانت زوجتى نجلاء فى الثانية عشرة حين تزوجتها . واعرف شخصا كان مؤاليا على نفسه ألا يتزوج فتاة فوق الثانية عشرة حتى اذا ناهزت الثامنة عشرة طلقها وتزوج أخرى حتى صار الى الآن متزوجا ثمانى

فسخط على قائلا : هذا بهيم وحش حيوان ، أتتمثل بالحيوانات

ـ أما نحن فى الاصل حيوانات كما يقول علماء اليوم . فكيف تريد ان تجرد الانسان من أصله ويبقى انسانا

ـ لا . بل أريد ان أجرد الانسان من حيوانيته لكى يبقى انسانا . الانسان صار انسانا بنفسانيته وأدبيته وأخلاقه وروحه حتى بجسمانيته . فللانسان جهاز عصبى كما للحيوان . ولكن شتان ما بين الدماغين . . دماغ الانسان سيد بدنه وبدن الحيوان سيد دماغه . فهل تريد أن تكون عبد حيوانيتك ، عبد وحشيتك ، عبد شهوتك ؟

فتغيظ حسن وقال : ويحك ! أتريد أن تجرد الانسان من الحب الذى يمتاز به على الحيوان ؟ ان اسمى ما فى الانسان قلبه . قلبه سيد دماغه ودماغه عبد حبه ، وبحبه يحيا الانسان . ولولا هذا الحب لكان بهيما . انى أحب سعاد . اعبد روحها ، أعبد جمالها ، أعبد طيفها . أصبحت سعاد الملاك الذى يتجلى لى فى يقظتى ومنامى . بربك رفقا بى يا على

فأشاح على بوجهه وأغمض عينيه ، لكيلا يرى الوحش فاغرا فاه لابتلاع فريسته . وعاد حسن يتصابى قائلا : بربك يا على يا أخى . هل يهون عليك أن يذوب أخوك حسن

أسى ولوعة ؟ فى حب سعاد حياتى وفى منعها عنى موتى

فنظر فيه على نظرة احتقار وازدراء وقال : وهل تتوقع منها ان تقبل

فقال : ليس للبنت ارادة بوجود أبويها

فسخط به على قائلا : ويحك هل تستطيع أن تكره ابنتك لمياء على أن تتزوجنى ؟

فقال حسن مستبشرا : والله لازوجنك اياها . هل تريد أن نكتب الكتاب الليلة ؟

فوقف على وصاح به : صه يا وحش .. صمتا يا بهيم . اخرس يا حيوان . ما أنا بالحيوان الذى يثب على أية حيوانة من جنسه . تبا لك ولسفالة نفسك . ما لاح لى أن تكون فحلا بين معاز وأغنام وابقار

وفيما كان على يولى قال له حسن : فكر فى المسألة يا عزيزى على لعلك تجد فيها خيرا

فقال : أبعد هذا النقاش تنتظر خيرا يا غبى .. لله منك بهيما وحشا ..

***

وراح على يتعثر فى طريقه كالنشوان لا يدرى أين يمضى الى أن عرج على قهوة حقيرة وانزوى فيها يرتشف فنجان قهوة ، وهو يفكر فى نتيجة هذه المعركة التى خرج فيها الشرف منتصرا ، وكرامة النفس نقية ، والحكمة فائزة ، والصواب مكللا بأكليل الغار ولكن النفس الحرة خرجت منكسرة

ما خطر لعلى قط أن يكون صاحبه حسن بهمى الطبع خسيس النفس شهوانى الجسد الى هذا الحد .

يطمع بفتاة هى الغصن النضير فى أول ابراقه ، وهى الزهرة الانيقة فى بدء تفتحها ، وهى الثمرة فى أول تكونها ولما تنضج .

وهو العلج فى أول كهولته يريد أن يجتنيها . وهو الذئب الجائع يريد أن يفترسها

الا تبا لهذه الطبيعة البهمية التى تظهر بصورة البشرية فتخدع الانسانية وتغدر بروحانية الملاك .

افترق على عن حسن وهو يعتقد انهما صارا عدوين لا سلام بينهما . وسبب العداوة هو الانانية كعادة كل خصومة فى العالم وكل حرب بين الامم ــ الطمع ــ تبا لهذه الانانية البشرية التى تثير الفتن فى العالم ، ثورة بعد ثورة وحربا بعد حرب والعالم صغيرا أو كبيرا يدمر نفسه بقنابل انانيته

عاد على الى المنزل وزوجته لا يمكن أن تأوى الى مخدعها وهو متأخر . فلما دخل توسمت فى وجهه بشاشة لم يخف عليها تصنعها ، ورأت بين شفتيه ابتسامة لم يغب عليها زيفها . ونظرت فى عينيه ازمهرارا كأنه قدح شرر على الرغم من تناعسهما

فقبضت نعمات على معصمه وقادته الى حجرتهما وهى تقرأ فى عينيه آيات الغضب وفى

وجهه اشعار الاسى . ومن غير نعمات تقرأ ما لم يكتب وتفهم ما لا يقال ؟ اذن فما وظيفة ذلك الذكاء ؟

واجلسته على المقعد وهى الى جنبه : ايه ، قل لى هل كنت متأخرا مع حسن الخشاب ؟

ــ أجل . وماذا فى الامر ؟ صديق وقد كان اليوم موفقا فى سوق الخشب فدعانى لكأس مدامة نحتسيها معا . فلبيت

فقالت وعيناها تقدحان شرر الذكاء : أجل ليس بين الصديق والصديق أمر منكر . لا أشم رائحة الخمر فى فمك . ولكنى أرى ازمهرار النشوة فى مقلتيك . فأية مدامه ترشفتما ؟

فضحك على . ولماذا لا يضحك مبتهجا باعجوبة الذكاء تتساقط دررها من ثغر حبيبته نعمات . وقال : لله درك من مشعوذة تحتالين على لكى تستخرجى من صدرى سرا

ــ ليس فيه أسرار . وانما فيه أخبار

ــ لا أسرار تكتم عنك . فكيف تكتم عنك الاخبار

ــ اذن . مجمل الحديث أو زبدته أو نواته

فربت على كتفها وقال ضاحكا : انك لجديرة ان تفهمى الثمرة من نواتها . ولكنه كان حديثا مر النواة

ــ لا ريب انه كان حديثا عن سعاد . فما دعاك لتشرب كأس الا لكى يأخذ بدلها اناء مفعما اكسيرا . أليس كذلك

فقهقه على وكأن نعمات تجلو الغم عن صدره . وقال انك لساحرة حقا تقرأين ما فى الصدور

ــ وكيف تخلصت منه من غير ان تقلل من قيمة ابنه عدلى فى عينيه ؟

فضحك على ملء شدقيه وقال : ليس عدلى غريما يا عزيزتى كما كنا نظن

فأجفلت نعمات وقالت : اذن فمن ؟

ــ احزرى

ففكرت نعمات هنيهة وقالت : لست أرى حول حسن من يستحق إهتمام حسن . فلا احزر

ــ أجل . لا غرابة فى أن يرتد ذكاؤك عيا عن هذا الحزر لانه لا يخطر على بال

ــ اذن قل من ؟

ــ لا تصدقين اذا قلت

ففتحت فاها استعدادا للدهشة ثم قالت : لا أصدق ان حسنا يطلب لنفسه

فخبط على كتفها خبطة دهشة قائلا : لله منك قارئة أفكار . كيف خطر لك ان حسنا يطلب سعاد

ـ لانه كان يمتدحها كثيرا . أحقيق هذا ؟

ـ هذا كان هدف المعركة فى هذا المساء

فوثبت نعمات من مكانها وهى تقول ساخطة : ماذا ظن هذا الجلف نفسه ؟ وماذا ظن فينا نحن ؟ وبماذا كان يتوسل للصعود الى عالم الملائكة لكى ينال قبلة من قدم ملاك . أحقيق ما تقول يا على أم تهزل

ـ أنا لا أهزل وهو أكد لى انه ليس فى الزواج مزاح

ـ لا أصدق ان علجا فى الخمسين يقتنص زهرة لا تزال فى برعمتها وهى تطل من الجو الروحانى الى العالم الترابى

ـ كذا أراد هذا العلج

ـ وماذا قلت له ؟

ـ ماذا تنتظرين أن أقول

ـ انى واثقة ان ما قلته له أنا أؤمن عليه

ـ تسألين ماذا قلت ؟ سلى ماذا سخطت

ـ اذن انتهت المعاملة السلمية مع هذا الجلف . وأنا أفهم انك تغتم لهذه النهاية . لا تهتم فالله المدبر ، وأنا راضية فى كل حال . سيضغط عليك بالدين الذى له . على كل حال نحن دافعوه عاجلا كما كنا ندفعه آجلا ، سندبر الأمر . . لا تهتم

نقبلها على وفى عينيه دمعتان سقطتا على خديها

وبعد بضعة أيام ، أعاد حسن الكرة على على فى طلب سعاد . فأجابه على بأجف من قبل . قال : ألم تفهم يا صاحبى من الحديث السابق انك فى واد ونحن فى واد وان ماتطلبه دونه خرط القتاد . أما فهمت بعد ان ما تبتغيه يستهجنه جميع الناس . فهل تريد أن تكون سخرية الناس . خير لك ان تعود عن غرورك يا هذا حفظا لكرامتك

فأجاب حسن : ستندم يا على ندامة الكسعى ولات ساعة مندم

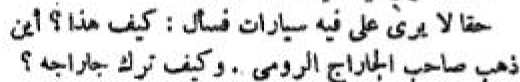
* * *

وكان من حسن ما توقعه على . فمنع حسن معاملته الا بالنقد ، وجعل يلحف باستيفاء الدين العاجل منه . حاول على ان يتعامل مع التجار الآخرين فلم يجد التساهل الذى كان يجده مع حسن . وظهر له أن حسنا اذاع بين تجار الخشب الآخرين ان معاملة على أصبحت سيئة وان له عليه ديونا لا يدرى كيف يستوفيها ، وانه بات على شفا الافلاس . فأبى هؤلاء التجار ان يبيعوه الا بالنقد . فكان على على أن يبيع أكثر مما يشترى لكى يستطيع ان يسدد الدين فضعفت تجارته وتضاءل رأس ماله وقلت مكاسبه وخاف تدهور متجره

لم يبق لعلى الا المجالدة والصبر والحكمة وتوسع الحيلة . ولكن هذه لم تعد تنفع لان

حسنا جعل يتخذ كل حيلة لمكايدته ويصنع كل سلاح لمقاتلته . ففي ذات يوم رأى على فوق باب « الجاراج » المقابل لمخزنه فى الشارع اعلانا عريضا « سيفتتح هنا قريبا فرع لتجارة حسن الخشاب بأسعار متهاودة » فشده على وأسقط بيده وشعر ان هذه الضربة التى سددها حسن قاضية على تجارته لا محالة

ورأى الكاتب الذى عند حسن يدخل الى ذلك الجاراج فوافاه وسأله : ما هذا الاعلان الذى فوق الباب

ـ أليس مفهوما هذا يا سيد على

ـ اعلان خشب على باب جاراج

ـ هل ترى فيه سيارات الآن ؟

حقا لا يرى على فيه سيارات فسأل : كيف هذا ؟ أين ذهب صاحب الجاراج الرومى . وكيف ترك جاراجه ؟

ـ كان على وشك الافلاس فسر جدا اذ دفع له حسن بك مئتى جنيه « خلو رجل » وسيرد الخشب اليه منذ اليوم توا من وسقة جاءتنا بالأمس

فتبرم على ولم يستطع كبت غيظه وقال : ألا يكفى حسنا انى فى هذه المنطقة أصرف له بضاعته

ـ انت تصرف وهو يصرف . وزيادة الخير خير

فبتر على الحديث الذى لا طائل دونه مع كاتب مستخدم ليس فى يده أمر ولا نهى

بعد قليل جاء حسن الخشاب لكى يفحص فرع محله الجديد ويرى كيف يرتب فيه أخشابه : واستقبل عليا ورحب به قائلا : يسرنى ان نكون جارين متحابين يا على وموفقين ان شاء الله

فقال على ضابطا نفسه : اما انا متحابان فهذا أمر يتوقف على البقية من الجيرة . واما أن نكون موفقين فالتوفيق واحد لا يزيد وستقاسمنه ولك منه القسمة الكبرى . أليس كذلك؟

ـ الرزق بيد الله . ولكل امرىء رزقه الذى قسمه له الله

ـ نعم والمزاحمة على الرزق ليست من شأن عباد الله اذا كانوا فى عبادتهم صادقين . كفاك مخزنك الطويل العريض الذى يقصد اليه التجار الصغار أمثالى ؟

ـ وردت لى أخشاب كثيرة أريد أن أبيعها عاجلا لكى أوفى أثمانها عاجلا

ـ هاتها وأنا وأمثالى نصرفها حسب لجاجة الطلب . وأما ان تعرضها هنا وهناك فالعرض لا يزيد عدد الطلاب ومقدار الطلب

ـ ولكنك تعلم أن فى السوق تجارا آخرين مثلى وأكبر منى يبيعون لك ولغيرك . فهؤلاء أزاحم

ـ أما وجدت محلا غير هذا المحل تزاحمهم فيه ؟

ـ اخترت هذا المحل دون غيره لان الارجل سالكة اليه فى هذه المنطقة

ـ يا لله تعنى أنك تنازعنى هذا الطريق الذى أنا مهدته للارجل السالكة اليه فى طلب الخشب . أنا أمهد السوق وأنت تعرض البضاعة اليس كذلك

ـ أليست التجارة حرة يا عزيزى

ـ بلى . . وصيد العصافير حر ، ويمكنك وانت تصطاد ان تصيبنى ثم تقول أصيب قضاء وقدرا

ـ يا أخى لماذا هذا النقاش . ارفع قضيتك الى المحكمة فان حكمت لك أقفل المحل . هل خالفت واحدا من قوانين الدولة

ـ خالفت قانونا أهم وأقدس من قوانين الدولة

ـ أى قانون هذا . . لا أعرف قانونا أقدس من قوانين الدولة

ـ بلى . ان قانون الله أقدس من قوانين الدولة

فسخط حسن قائلا : قتلتنى يا صاح . كأننا لا نعرف وصايا الله كما تعرفها انت . ما هو قانون الله الذى تعرفه ونجهله ؟

ـ هو ضميرك . هل تريد ان فلانا التاجر الكبير الذى هو أعظم منك يفتح مخزنا تجاه مخزنك

ـ فليفتح . . ولكل رزقه

فتململ علي وقال : طبعا يستطيع ان يفتح وليس فى القانون ما يمنعه . ولكنك ستحس بطعنة نجلاء فى صدرك كلما راحت من يدك صفقة رابحة اليه

ـ هو ينازعنى على كل حال سواء كان تجاهى أو بعيدا عنى . لان الشارى يطوف على المخازن صغيرة وكبيرة فحيثما وجد الثمن أرخص اشترى

فهز علي رأسه وقال : هذه هى الطعنة النجلاء التى سأتوقعها من يدك يا حسن . بأى الاسعار تبيع خشبك لزبائنى

ـ بالثمن الذى استطيع أن أحصل عليه

ـ يعنى لو ساومك الشارى وحط الثمن الى الثمن الذى تأخذه منى اتبيعه

ـ لا أكون خاسرا اذا بعته حتى بأقل منه

ـ اذن الى جنبك لا يمكننى ان أبيع صفقة واحدة قط . واذن انك لقاتلى . وفى وصايا الله « لا تقتل » أرأيت انك لا تعرف وصايا الله التى هى أقدس من قوانين الدولة

فصاح حسن به : لقد قلقتنى يا هذا بفقهك هذا . كيف أكون قاتلك اذا كانت القوانين والشرائع جميعا تبيح لكل انسان ان يفتح محلا تجاريا فى أى مكان وان يبيع بضاعته بأى ثمن يريده

ـ أجل . انك لقاتلي لان هذه الحرية المطلقة التي تخولها لنفسك تفضي بك الى مزاحمتي في دائرة تجارتي التي رسمتها لنفسي . فما كنت أكسبه سيتحول اليك عني . انت تعظم وتنتفخ وأنا أموت وأفنى . في غير هذا البلد يحافظ التجار الكبار على عملائهم الصغار وينشطونهم لانهم عن يدهم يصرفون بضائعهم . واما هنا فيقتلونهم لكي يستقلوا هم بالسوق

ـ يا أخي هذا هو قانون تنازع البقاء

ـ وهل ترى هذا حقا . أنا أموت وأنت تحيا بموتي . أحق هذا ؟

ـ أجل هذا هو الحق

ـ هل تعرف ما هو الحق ؟

ـ أعرفه ولكن يظهر انك أنت لا تعرفه

ـ قل لي ما هو الحق

ـ عجبا . ألا تعرف أن الحق للقوة . حيثما وجدت القوة وجد الحق . يلوح لي انك على الرغم من فيقهتك لا تزال تجهل هذه الحقيقة الناصعة أو انك لا تعتقد بها

ـ اذن الشريعة التي تعتمد عليها ليست شريعة الخالق بل شريعة المخلوق . لان الخالق الذي هو أقوى ما في الكون لا يسحق الحق بل يؤيده بقوته . وقد صاغ لنا قاعدة للحق لا تنقض وهي أن لا نفعل بالناس ما لا نريد أن يفعلوه بنا . ولكن المخلوق يدوس الحق برجليه . ويقول لك ان قوتي هي الحق . وقاعدته أن افعل بالناس كل ما يمكنك ان تفعله ما دمت قادرا على فعله ولك منه نفع . فانت من هذا الطراز من الناس

ـ الحمد لله . انك عرفت هذه الحقيقة

ـ اذن أنت تنتقم

ـ أي نعم . واني لمعذور يا صاحبي . والانتقام على قدر الضيم . فالبؤس الذي يتوقعك من جراء نقمتي لا يساوي مثقال ذرة من سهمك الذي اصمى فؤادي واعمى بصيرتي

فهز على رأسه دائخا من هذا النقاش الذي كان فيه في جانب الصواب ، وحسن في جانب الضلال . وكان ذاك في جانب الحكمة وهذا في جانب الجنون . وذاك في جانب الروحانية المتسامية وهذا في جانب الحيوانيـة المتسفلة . وقال : اذن عبثا يا صاحبي ان تتفاهم وانت تقصد الانتقام . غير خائف من عقاب الله . اسأل الله ان يرأف بك . هل تشتري مخزني فتستوفي منه دينك وتترك لي ما يبقى بعده . وأنا أترك لك هذه المنطقة لكي تستغلها على مدى يديك

ـ اعرض مخزنك للمزايدة . وأنا اشتري بالثمن الاخير . واعلم انك حيثما ذهبت لتؤسس مخزنا تجد لي مخزنا مقابلا لك

فقال على متنهدا : وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

***

قبل ان ينقضى العام آل مخزن على نصر الله الى حسن الخشاب بالثمن البخس ولم يبق منه بعد استيفاء حسن دينه الا القدر الزهيد من المال

وكانت مقاطعة أبدية بين هذين الصديقين الحميمين . وكانت الصداقة قائمة على المصلحة المتبادلة بينهما . واذا لم تقم الصداقة على منفعة فعلى ماذا تقوم . واذا كان الغرام يقوم على منفعة نفسانية فأحر بالصداقة ان تقوم على أية منفعة

جاءت الغاية النفسانية من قبل حسن شعلة عشقية فاندلع لهيبها على الصداقة فأحرقها وفاض سيل الغرام وطغى على المودة الاخوية فاغرقها فى لجة شهوانية وهوى بها الى القرار

وكان تاه بين هذين الخصمين لا يعلم كم فرسخا كان مداه . على توارى فى عالم الغيب ولم يعد حسن يعلم مقره ولا مصيره . وحسن غاص فى خضم التجارة وهو لا يبلغ الى القرار . تحول ذلك العشق البهمى الى هوس مالى . صار هم حسن ان يدخر المال . واندفع فى هذا الهوس ابنه يوسف أيضا اندفاع مجنون ، فلم يقنع بكسب تجارة الخشب ولا سيما لانها لم تعد وافرة بسبب تعدد المزاحمين وكساد السوق . فجنح الى المضاربة فى سوق الاوراق المالية (البورصة) ولحق به أبوه فى هذا الطريق . وصادفا بعض التوفيق فتماديا فى المغامرة . وأما عدلى الابن الثانى فما انتهى من دراسة الحقوق الا بعد السقوط والنهوض حينا بعد آخر لان البطر طغى على التعقل فسحقه . فكان هم عدلى التأنق فى الملبس ، والتطرف فى البذخ ، والتوغل فى اللهو . فكانت نفقاته الشخصية نصف نفقات الاسرة كلها . ولم يكن أبواه وأخوه ليردعاه عن غيه لان صاحب السعادة الاستاذ عدلى فخر البيت وزينة الاسرة والمال موفور والحمد لله . واعد عدلى مكتبا فاخر الرياش للمحاماة ، ولكنه كان ابرع باجتذاب الحسان منه باجتذاب الموكلين

كانت حركة المضاربة فى البورصة قوية فى ذلك الحين . وكسب كثيرون وعملوا ثروات طائلة ، وكادت هذه الحركة فى مكتب يوسف الخشاب وأبيه تشل حركة تجارة الخشب. وقد رزقهما الله سمسارا يسمى صموئيل البراق شعلة ذكاء ، فياض اللسان فى الدهاء ، ساحر المنطق فى الاقناع ، أبلغ من شيشرون الخطيب فى التأثير على الالباب

كان صموئيل هذا يذهب بآل الخشاب ويؤوب بهم فى السوق المالية ، كأنه الريح العاصفة تلعب بالغصون . فتارة يرى آل الخشاب انهم أصبحوا فوق الريح ، والمال يتدفق بين أيديهم كأنه السيل العرم يهبط من السماء ، وطورا ينضب المسيل ويطل رأس شبح الافلاس من فوقهم متوعدا . ولكنهم ألفوا هذا التعالى وهذا التسفل فى لجج المضاربات المتلاطمة ، فلم يعودوا يجزعون لهبوط الموجة لانهم تعودوا ارتفاعها بعد الهبوط

وظهرت فى ذلك الزمان فى سوق الاوراق المالية أسهم شركة جديدة كانت تسمى « شركة المبانى المصرية » وظيفتها شراء أراضى البناء ثم بناء المنازل فيها وبيعها . ولعبت هذه الشركة دورا مثيرا للطباع والنفوس والامزجة . وكانت اسهمها تتواثب كالغزلان بين ايدى المضاربين . وغنم كثيرون منهم ارباحا طائلة . وهنا كان دور البطل لصموئيل البراق فجرى كفرس السباق بين المتراهنين

وهجم صموئيل على آل الخشاب يحثهم على شراء اسهم شركة المبانى ممنيهم بالارباح العظيمة واشترى لهم عدد كبيرا منها . فما لبثت ان صعدت فاشترى أيضا حتى كاد ما اشتروه يغمر كل متجرهم . وكلما صعد السعر أمعنوا فى الشراء . ولكن كل صعود يليه هبوط . فعادت هذه الاسهم تتذبذب صعودا ونزولا ، ثم صارت تهبط وصموئيل يشجع آل الخشاب بان النزول وقتى ولا بد من الصعود ، لان للشركة سمعة حسنة جدا وكان حسن الخشاب قد سأل الخبراء عنها فطمأنوه



تدهور السعر الى حد ان حسن الخشاب لم يعد فى امكانه ان « يغطى » وخاف سوء المغبة لانه لم يعد يستطيع ان يستدين « للتغطية » . فانذره الدائن المسترهن اسهمه والمحتفظ بها بانه يصفى حسابه فى ٢٤ ساعة اذا لم يزد . وهذا الدائن يملك معظم الاسهم

ومضت الاربع والعشرون ساعة وتمت التصفية وذهب مال حسن الخشاب كالعاصفة تذريها الريح . وابلغه مكتب عبد القادر بك المعانى قرار التصفية النهائى وبيان الحساب . فجن جنون حسن واسرع الى صموئيل البراق يؤنبه لانه ورطه ولم يشر عليه بالتصفية منذ شرعت الاسهم تهبط

ولما اطلع صموئيل على خطاب التصفية الذى ورد لحسن استشاط وقال : لماذا لم تبلغنى خبر الانذار حين ورد اليك ! فكنت أشرت عليك بتغطية أخرى

ـ ويحك ! أتريد ان تطرحنى فى جب الاسود بان أرمى آخر فلس معى . أما كفانى ما خسرت بسبب نصائحك يا هذا

ـ لو غطيت التغطية الاخيرة لفزت لان الاسهم شرعت تصعد . فقد ارتفعت فى هذا الصباح اربعة بنوط . والآن ورد لى تلغراف انها ارتفعت اربعة أخرى . وغدا ستترتفع

أيضا وبعد بضعة أيام تعود الى سابق عهدها وتكون ارباحك وافرة . فانت الذى طرحت نفسك فى جب الاسود . آه لو صبرت يوما واحدا فقط

ـ أكان على أنا أن أصبر أم ذاك الشيطان عبد القادر بك الذى لم يمهل

كان يجب ان تذهب اليه وتستمهله حين انذرك لا أن تغفل انذاره بلا مبالاة . ما ضرك لو ابلغتنى الانذار فكنت ذهبت اليه ورجوته المهلة

ـ بربك لماذا لا تذهب اليه الآن وترجوه الرأفة ؟

ـ الآن وقد سبق السيف العذل وتصفى حسابك نهائيا؟ لوكانت المراجعات فىحسابات البورصة جائزة لاقفلت البورصة فى الحال . ان احكام المعاملات البورصية لا تقبل الاستئناء ولا النقض والابرام . انى آسف جدا يا سيد حسن فقد أضعت مالك بجهلك واهمالك

وانصرف صموئيل عنه بجفاء بعد ان كان يتقبل تأنيبه بمرارة ، ولكن الطبع البشرى لا يرتمى فى هاوية اليأس فى الحال . فعاد يترجى صموئيل ان يذهب معه الى عبد القادر بك . فسخط به صموئيل قائلا : أتريد ان يطردنى عبد القادر بك من مكتبه مهانا محتقرا مرذولا لاجل خاطرك . لا . اذهب أنت بنفسك وحدك وجرب حظك ..ان عبد القادر بك رجل صالح طيب القلب فلعله يرق لك

فخرج حسن الخشاب من عند صموئيل البراق يلطم خديه ويندب ثروته الضائعة . وقصد توا الى مكتب عبد القادر بك والتمس مقابلته . فاذن له ودخل عليه وهو يقول : أهكذا يا عبد القادر بك تغدر بى؟

فتجهم عبد القادر بك وسأله : من حضرتك ؟

ـ أنا حسن الخشاب الذى اهرقت دمه ، وضعضعت ماله وقتلت مستقبل أولاده

ـ تشرفنا . هلم معى

ونهض عبد القادر بك وامسك بيده وقاده الى غرفة أخرى فيها فتى فى شرخ الشباب وسيم الطلعة وقال : هذا سكرتيرى ينظر فى قضيتك خيرا منى . انظر يا استاذ نصرى مسألة حسن بك الخشاب لعلك تستطيع ان تخدمه خدمة خير

فبش الاستاذ نصرى للسيد حسن وقال : تفضل اجلس يا حسن بك . ما هى مسألتك؟

ـ كانك لا تدرى ما هى مسألتى . أما ارسلت لى بلاغ تصفية حسابى فى شركة المبانى المصرية بخط يدك ؟

ـ بلى . اما وصل اليك خطاب انذار مسجل قبل ذلك أخبرك فيه ان الاسهم التى تحت يدنا لك أصبحت لا تساوى الدين الذى عليك لنا . فان لم « تغط » وقع الغبن علينا . فما غطيت ولا جاوبت فاضطررنا للتصفية . فماذا تنتظر منا ؟

ـ يا لله . اما كان يمكنكم ان تصبروا على يوما واحدا . .

ــ انتظرنا ٢٤ ساعة . أليست الاربع وعشرون ساعة تساوى يوما كاملا . أتريد أن ننتظر ونتحمل الخسارة

ــ أما ارتفعت الاسعار اليوم ؟ فلو صبرتم لما اضطررت الى التغطية فيحفظ مالى الى ان يعود الثمن كما اشتريت فاسترد مالى كله . أكذا تغدرون بى

ــ وهل كنا نتنبأ عن الصعود أو النزول

ــ ويحك اليس الصعود والنزول فى يدكم ؟ كنتم تبيعون كل يوم والسوق تنزل فلما صرتم تشترون صارت تصعد

ــ ماذا منعك أن تفعل مثلنا

ــ ليس عندى ستون بالمئة من اسهم الشركة كما عندكم لكى يتسنى لى ان ألعب بالسوق كما اشاء

ــ ماذا كان يمنعك ان يكون عندك ٦١ بالمئة من الاسهم فتلعب بها كما تشاء

ــ لست غنيا الى هذا الحد . واذا كنتم أغنياء تستطيعون ان تحتكروا اسهم الشركة فهل من الذمة ان تلعبوا بالاسعار لتخربوا بيوت الناس

فاستشاط السكرتير نصرى وقال : اسحب كلامك يا هذا ، السوق مباحة لكل انسان وكل انسان يستطيع أن يبيع ويشترى . وانت كنت حرا ان تشترى أكثر من طاقتك طمعا بالربح الكبير . فهل تنكر علينا هذه الحرية ؟

ــ بل انتم أكثر طمعا بالربح الذى لا حد له . أما جمعتم القسم الاوفر من أموال المضاربين باسهم هذه الشركة التى انشأتموها لابتلاع الاموال . تعرضون الاسهم حين تكون الاسعار مرتفعة فتهبط . ثم تشترون متى هبطت فتتحول أموال المساكين أمثالى الى خزينتكم بلا تعب ولا نصب فهل هذا حق ؟

فنظر فيه السكرتير نظرة ازدراء وقال : تقول « حق » ؟ هل تعرف الحق ؟

ــ كيف لا أعرف الحق

ــ متى كنت تعرفه وتستغيث به ؟ فقل لى ما هو الحق الذى تعرفه ؟

ــ الحق الذى لا يسمح لكم أن تبتزوا أموال الناس وتخربوا بيوت الناس

ــ يظهر ان ذاكرتك خانتك يا سيد حسن . والا لما كنت تنسى تعريفك للحق انه « القوة » يوم كنت تغتصب أموال غيرك . أما قلتها مرارا : ان الحق هو القوة والقوة هى الحق !

فتجهم حسن الخشاب وحلق فيه قائلا : الا تكون انت ابن على نصر الله وقد تغيرت على بعد خمس عشرة سنة !

ــ بلى . أنا هو ابن الذى اغتصبت متجره وخربت بيته

ــ اذن لماذا سماك عبد القادر بك الاستاذ نصرى

ـ لاننا صححنا اسمنا يوم خربت بيتنا وسوأت سمعتنا . صححناه لكى نستطيع أن نظهر فى الناس أناسا كما نحن طاهرى الذيل . فهل ضر أحدا تصحيح اسمنا

وكان حسن يفكر متجهما ويكاد الدم يجمد فى عروقه والحقد يحز فى نفسه . فقال اذن فكنتم تهيئون لى مشنقة النقمة يا فؤاد . هل كان صموئيل البراق صنيعتكم

فظهر على نصرى (نصر الله سابقا) أبو فؤاد فى الباب وقال مقاطعا : أما كان يجب عليك يا ذكى ان تعرف أن صموئيل صنيعتنا من أول يوم شرعت تنقاد اليه . ولكن يلوح لى ان غرامك بالثروة وتحصيلها بالمغامرة البورصية أعمى بصيرتك

ثم ظهرت نعمات عقيلة على مقاطعة زوجها وقالت : أما كنت تستحل الكسب من حيث يخسر غيرك ، فلماذا تنكره على غيرك الآن ؟

فقال : وانت أيضا من المؤنبين ؟

فانبرت سعاد أمام أمها وقالت : اتنكر عليها هذا التأنيب . . وقد كنت سبب خراب بيتها

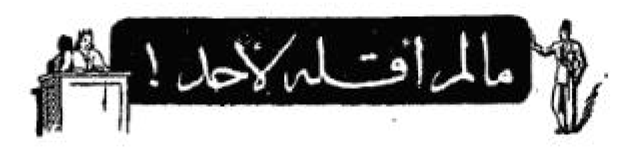
فقال حسن : آه . لقد كان وجودك سبب كل شيء . ولكنك لم تكونى ذات وزر . كان الملوم قلبى وحده . وقد كفر عن ذنبه بعذابه قبل ان تنقموا منه . ان صيرورتك زوجة عبد القادر بك لاعظم نقمة منكم لى وأشد ايلاما لنفسى من ضياع ثروتى

ثم ظهر عبد القادر بك وقال : أقصرى الحديث يا عزيزتى سعاد لئلا تنكأ الذكريات الماضية جرحك وجرح أهلك . هلموا بنا الى المنزل فقد حان وقت الغداء . السلام عليك يا سيد حسن وسلام لنفسك الحزينة

وختمت سعاد الحديث بالقول : « والظلم مرتعه وخيم »

نقولا الحداد





بقلم الأستاذ طاهر لاشين

سأقوله آخر الامر ! سأقول ذلك الذى واريته فى الاعماق من عقلى وقلبى سنوات وسنوات .. وكان جديرا به أن يضغط فيموت تحت ما توالى عليه من حوادث جسام..

وأقسم أنا - عبد الفتاح مندور مدير مدارس نهضة مصر للبنين والبنات - أقسم أنى أقول الحق وكل الحق ولا شيء غير الحق .. لا مبالغة ولا تبرير ولا عوج ..

وبعد .. فلا بد لى من ان أردد مع الصبية ومدرسيهم قول الشاعر « ومعظم النار من مستصغر الشرر » !.. زر .. زر من ازرار جاكتة من جاكتاتى .. اذكرها تماما .. سنجابية اللون ذات مربعات من خطوط حمراء .. وقد رأت لى زوجى أن أفتتح بها موسم الشتاء .. وكنا فى أوائل نوفمبر .. وقد طلع اليوم مكفهر الوجه ، سنجابى السماء كذلك

وقد تبينت زوجى ، وتبينت معها ، أن سترتى قد ضاقت على .. فاسرعت فاقتطعت زرها الاعلى فاثبته فى مكان يزيد من سعتها قدر المستطاع .. على ان هذا القدر المستطاع عجز عن أن يصل الى القدر المطلوب .. وأحسست انى محشو فى السترة حشوا .. ولم تكن العلاقة بينى وبين ملابسى على هذا النحو من التوتر فى مثل هذا الوقت من العام الماضى

- ان كرشك هذا يليق بمقامك فى المدرسة !

قالت زوجى دعابتها هذه ، وأردفتها بابتسامة حلوة رجاء أن تعيد أسارير وجهى الى اشكالها المألوفة ، فى اماكنها المعروفة .. وأنا أمام المرآة أجمع بين طرفى السترة وبأبيان..

فلما احتوانى مقعدى من مكتبى فى مدرسة البنات ، شعرت بوجود كرشى أمامى كأنه حقيقة بنت ساعتها .. فضاقت نفسى ، وغمغمت بين شفتى :

- ترهل الكبر .. سن الاربعين !

وكان الجو على كثافته .. والرذاذ يتساقط ، فجعلت أتسلى بنشاط الخدم أو تكاسلهم فى ذهابهم وايابهم ، وباحتساء القهوة عند النافذة .. ومع ذلك فقد عاودنى خاطر الترهل وسن الاربعين .. واذا بذكريات الشباب تتوافد على مخيلتى .. الشباب الضحوك اللعوب. الجريء المغامر الوثاب .. وله الاسماء الحسنى ..

أين الملاحظات الدقيقة للخياط ، والطلبات الاسطيقية من الحلاق .. والتحرج والاناة فى انتقاء أربطة الرقبة ومناديل الجيب وطراز الحذاء ..

والامانى العذاب .. تتعجل لها المستقبل الوئيد ، وتتخطفها من الايام السراع ..

لقد استقر الفلك الدوار .. عن زوج وطفلين .. وكرش يناسب المقام ..

ثم أشرق الجو ، وانتشرت شمس الضحى ساطعة دافئة .. ودخلت « سميرة » سكرتيرة المدرسة . فعدت الى مكتبى لأرى ما جاءت من أجله . وما كادت تمد يمناها بما فيها من أوراق ، حتى تلألأ الضوء على « شيء » فى أصبعها الوسطى .. فابتدرتها بقولى:

ـ اش .. مبروك !

فقالت بصوت خافت فيه اضطراب .. وفيه اعتراف : علام ؟

فرفعت اليها وجهى باسما ، وقلت : هذا الخاتم ؟

فاحمر وجهها خجلا وهى تقول : الله يبارك فيك ..

ـ ومتى حدث ذلك ؟

ـ البارحة فقط .

وكانت الفتاة جديرة بهذه المجاملة منى .. فهى وان كانت لم تلتحق بخدمة المدرسة الا منذ أسابيع ، الا انها أظهرت نشاطا ودماثة خلق ورغبة فى العمل ـ ما لها منه وما ليس لها ـ حببتها جميعا الى جميع من اتصلت بهم ، أو اتصلت بهن .. وهى قد تجاوزت العشرين خمرية اللون ، غلامية القد .. تفتر شفتاها الممتلئتان عن ابتسامة وادعة دائمة

وشرعت أراجع ما جاءت به من كشوف واحصاءات .. ولكننى لم استطع تركيز ذهنى واستشعرت رغبة تلح فى معرفة تفاصيل تلك الخطبة .. فاعتدلت فى جلستى حتى واجهتها تماما ، وقلت : والآن خبرينى .. كيف كان ذلك ؟

وكأنما راعها هذا التدخل من « حضرة البك المدير » فى أمرها . بل لعلها أوجست منه خيفة ، فقالت على عجل : لا شيء .. طلبنى من أمى فقبلت ..

ـ اما انتما فكنتما على اتفاق من قبل .. أليس كذلك ؟

فشاع فى وجهها لون الخجل ، وقالت : طبعا !

ـ وما اسمه ؟ وكم عمره ؟ شاب بطبيعة الحال ؟ حذار ألا يكون كذلك

ـ اسمه رشاد .. وهو فى الخامسة والعشرين ..

نعم الاختيار ! ومتى يكون ..؟

وتمهلت .. ففطنت الى ما أعنى ، فقالت وفى نظرتها معنى التفكير :

ـ لا أظن أن شيئا آخر سيتم فى القريب .. فوالده مريض بالشلل ، ويجب أن تتريث

واستطردت بعد لحظة فقالت : ثم انى لا أريد أن يرهق أو أن يستدين

ـ هذا عين الرشاد . ثم .. ان .. أريد أن أقول .. ان طول المدة .. هو من .. من صالحنا .. والمدرسة لا شك ستفقد واحدة من ..

والتقت نظرتى اليها مقالى . فرنت الى رنوة فيها شكر وفيها شيء آخر .. شيء استقر فى قلبينا فجأة .. وقارب بينهما على غير انتظار .. حتى تحرج الموقف بيننا .. وتشاغل كل منا عن صاحبه .. وساد الصمت ، صمت لم يدر أحدنا كيف يدرأه .. وتمنيت فى

نفسى لو انها تذهب عنى . ولا شك أن تفكيرها كان يعمل فى نفس الاتجاه ، وبنفس السرعة ، فقد فطنت الى ما هجست به .. فأخذت سمتها الى الباب فى خطوات عصبية سراع

وعدت الى ما أمامى من أوراق أبتغى فيها جمع شتات أفكارى .. وأمعنت فى ذلك ، ولكننى لم استطع ، لم استطع ! وأبى تفكيرى الا أن يلاحق خطيب الفتاة .. ما شكله ؟ وما قوامه .. طويل رشيق قوى العضلات ، يمشط شعره اللامع ويرسله الى الوراء .. رقيق الشعور .. لبق الحديث ، حلو الدعابة .. هذا هو الشاب الجدير بهذه الدمية !

ثم عدت الى رشدى .. فاستصغرت هذه الهواجس منى .. وخلت أن قد تندى جبينى لها من خجل .. على اننى استطعت أن أقنع نفسى بأن ما مر بخاطرى ، ليس سوى محض اهتمام رجل فى سنى ومركزى بأمر موظفة من أكفأ موظفيه فى أهنأ فترة من فترات حياتها .. ثم تحاملت على ساقى وأخذت طريقى الى مدرسة البنين لاجد ما يشغل بالى

وتتابعت الايام ، وما من يوم الا كنت اجاذب سميرة فيه الحديث عن خطبتها . وكنت أخشى بعض الاحيان أنى أثقل عليها .. فلقد سألتها ذات صباح عما اذا كانت برشاد مغرمة ؟! فحدجت الى بنظرة مستطيلة وقالت بلهجة فيها فتور : طبعا يا سعادة البك !

وغادرتنى فورا .. فقضيت بقية يومى فى كرب عظيم . وعزمت على أن اتخير الكلام معها .. وأمسكت نفسى فى مشقة عن ان أذهب اليها فى مكتبها ، فأقدم لها أسفى واعتذارى. على أن الالفة امتدت بيننا رويدا رويدا ، حتى تبينت يقينا انها غدت تأنس بى ، وتجد فى شخصى رائدها العليم ودليلها الخبير بمزالق ومنحنيات الطريق التى اصبح عليها أن تسلكه. فحدثتنى عن نفسها وعن أسرتها .. وعن المتاعب التى سببتها والدتها لابيها نتيجة اسرافها وحبها لمجاراة من هم أيسر منه حالا ، وأوفر مالا .. حتى مات من نكد وحسرة

وبادلتها ثقة بثقة ، وأفضيت اليها من شؤونى مثل الذى أفضت الى من شؤونها . فحدثتها عن جهودى فى حياتى .. وأمانى ، ما حققته منها وما لا زلت أطمح فى تحقيقه ، وعن زوجى وطبعها الهادىء الذى يسير على وتيرة واحدة ، طوال السنوات الست التى مرت على زواجنا .. وعن طفلى « ماجد » و « كوثر » وما أرجو لهما من مستقبل وما أعد لهما من عدة .. وسميرة تصغى الى فى قبول وشغف .. حتى لقد هتفت بى مرة تقول :

ــ انى بك معجبة .. رجل يصنع كل هذا فى مثل سنك ؟!

ــ فى مثل سنى ؟ ــ هل ساءك ذلك منى ؟

ــ حقا لقد أدركنى الكبر .. وبات طموحى بلا مخالب !

وكأنما قلت هذه الجملة الاخيرة لنفسى .. أو ان نفسى قالتها لى .. وبدا على وجهى رد الفعل ، وتبينته سميرة ، فحملقت فيما يشبه ذعر الاطفال وقالت :

ــ انى آسفة .. وانى لم اذهب الى ما تقول .. وانت خير من يعرف أنك فى الرجولة الناضجة التى كثيرا ما انجبت النبوة والعبقرية ..

وانصرفت .. بيد ان تلك اللباقة منها لم تنطل على .. انها مؤاساة وتضميد جرح ..

وهل يمكن أن تؤمن هي نفسها بما قالت حين تكون ـ بعد ساعات ـ فى احضان خطيبها ابن الخامسة والعشرين .. ومهما يكن من أمر .. فليتوثب الشباب ، ولتقنع الكهولة ..

وتوالت الايام

وكان لزاما على أن ألحظ ما لحظه الجميع .. ذلك الذى يتراآى فى حال سميرة من تحول .. تخفيه فيبدو .. وتقاومه والغلبة سجال بينهما .. شيء ما قد حدث ! انها دائمة الوجوم .. وغدت بطيئة الحركة واضحة الزهد فى العمل .. تحاول أن تبتسم ، وتحاول أن تصغى ، ولكن الابتسامة تتلاشى على شفتيها .. واذا هى تستعيد ما قيل .. وهذه العيون المشرقة لم تعد تشرق .. وهذه الروح الطائرة قد هيض جناحاها ..

وسميرة تجالد وتكابر ! شيء ما .. شيء جسيم قد حدث .. أو هو فى سبيل الحدوث. اتراه منى ؟ وماذا يمكن أن يكون ؟ اتراه من رشاد ؟ وماذا يمكن أن يكون ؟ انها منطوية على نفسها ، وليس لى من سبيل الى أن اقتحم سرها الدفين .. وراح يحز فؤادى أن أرى هذه الصغيرة تتألم .. ويستحيل هناؤها شقاء ، واشراقها أفولا ، وايناعها ذبولا ..

لم يكن لى حيالها الا الصبر .. وما كان أمض مرارته .. ولم يكن لغير الايام أن تجيء بالخبر اليقين .. وما كان أبطأ تلك الايام وأغباها .. وأجـدرها بأن تمحى من الوجود ! وكان يخيل الى فى لحظات انها على وشك ان تفضى الى اغلاق قلبها .. فينفتح قلبى ، وينشط ذهنى ، وتتنبه كل جارحة من جوارحى .. ويتهيأ فى خاطرى الكلام العذب والعزاء الجميل .. ولكنها لا تفعل ، وتعود أدراجها .. وأعود بخيبة الأمل !

فلما ضقت بها وبنفسى ذرعا ، أهبت بها مرة فى جفوة لم استطع تلافيها : ماذا بك ؟!

فردت جفوة بجفوة وقالت : لا شيء ..

فترفقت فقلت :

ـ هل الأمر من العسر بحيث لا تستطيعين أن تبوحى لى به ؟

ولم تتحرك عيناها حين قابلت عينى ، وقالت : دعنى اذا تفضلت .. فهذا الشأن لى وحدى! وأذعنت ، ومضى يومان .. ودخلت على فى صبيحة اليوم الثالث مصفرة الوجه كأنها فى جهد جهيد .. بيد انها تقدمت فى خطوات حازمة ، وقدمت ما كان معها من أوراق..

وسطعت الشمس على يدها اليمنى .. ولكن على لا شيء فى أصبعها الوسطى .. فلم أتمالك أن قلت بصوت جهير : والخاتم

فنكست رأسها وقالت : انتهى الأمر ..

ـ كيف كان ذلك ؟ لا بد من أن توضحى كل شيء ! قولى .. كيف حدث ما حدث..

فهزت رأسها مليا كأنما تستجمع عزمها ثم قالت :

ـ ليس فى الامر شيء كثير .. ان والدته أظهرت من جانبها الرضى على خطبتنا .. ولكنها قامت فى وجه اعلان تلك الخطبة الى والده .. ووالده ـ كما تعلم ـ يعانى من الشلل البرحاء .. وأصرت من أجل ذلك على فسخ الخطبة .. وطال فى ذلك الاخذ والرد .

وهي عند رأيها لا تتحلحل .. بل لقد حملت ابنها ذنب والده اذا هو علم ، فأودى ذلك بحياته .. فهى تعلم ان للوالد فى زواج ابنه رأيا معلوما . وجاءتنى ليلة الامس ، فكان رأيها الرأى ، وكلمتها فصل الخطاب .. ولم تزل بى حتى لم أجد بدا من .. ان .. أرد اليها الخاتم ..

وأجهشت بالبكاء ..

فنهضت اليها ، وكان طبيعيا أن أكون الى جانبها أواسيها وأسرى عنها .. فاذا هى بين ذراعى .. وحاولت جهدى أن أكون الاب الحنون .. وكان وجهها الحزين فى وجهى .. فلم أدر الا وقد انهلت عليه تقبيلا فى لهفة وجنون ..

لم أصدق ما حدث .. ولكنه حدث ! فبردت أطرافى ، وأمعن الخوف بى .. وتلفت حولى فلم أجد أحدا ، فتسللت من المدرسة كما يتسلل الجانى الاثيم .. وانتابنى شعور دافق باننى لن أعود اليها أبدا ، وان قنبلة كبرى على وشك أن تنسفها نسفا ! ولم اذهب الى مدرسة البنين ، ولا الى البيت ، بل طفقت أهيم على وجهى فى الشوارع .. ومخى يتطاير ذرات فى الفضاء ، ثم يستدق فاذا هو ذرة واحدة ! وكثيرا ما ذهلت عن صلصلة جرس ترام ، أو صوت نفير سيارة ، حتى أوشكت على التهلكة ..

***

ونال منى التعب .. أو أن حالتى النفسية قد استحالت اعياء مرهقا ، فتواريت فى مقهى صغير ، واستسلمت لهواجس راحت تقتحم رأسى وتتزاحم ، وتختلط وتثور .. وتتبع نباح الكلاب ، وتنعق نعيق البوم . تنعق فى المدرسة بالفضيحة الكبرى ، وتنعق فى البيت بسوء المصير . وهكذا مرت الساعات ترى ، وأنا متخاذل متراخى الاوصال .. ولكن !

كما دهمنى الضعف والخوف ، كذلك فاجأتنى القوة والعزيمة .. خاطر هتف – على حين فجأة – فقمع الثورة الجائحة ، ملك ناصية الموقف : « سميرة أعقل من أن تركب رأسها ، وانبل من أن تقدم على سوء » .. كان هذا الخاطر جديرا بأن أنهض قائما وان أعود أدراجى الى مدرسة البنات وفى يدى زمام أعصابى ..

– سميرة ! هبينى أخطأت فى حقك ..

قلتها من أعماق قلبى ، وحملتها صدق اعتذارى . ولكن سميرة لبثت جامدة تجاهى ، منكسة الرأس .. ولم تنبس . فاستطردت أقول :

– أعلم يقينا أنك تستطيعين أن تفعلى الشىء الكثير .. وأعلم يقينا انك لن تفعلى..و..

فقاطعتنى، وقد رفعت رأسها فى حدة وحدجت الى بالنظر الحديد: هذا ما اغراك باهاتتى؟!

– بل هو ما اغرانى بطلب الصفح منك والمغفرة ..

فقالت فى كبرياء سافرة : سيدى .. لقد مرت على الساعات الماضية بالعذاب الأليم..

– كذلك مرت على ..

ـ وذهبت افكار السوء بى كل مذهب !
ـ وفعلت ذلك بى أيضا ..
فانتفضت مغضبة وصاحت : هل تسخر منى ؟..
ـ ان الموقف أدق من السخرية .. وانت فى موقفك أجل من كل جليل ..
ـ مهما يكن من أمر ، فقد أجمت أمرى
ومدت يدها بورقة مطوية فيها عبارة موجزة ..
ـ تستقيلين ؟!
ودعوتها الى الجلوس فلم تجب .. أما أنا فجلست الى مكتبى ، وساد صمت كثيف ، ثم قلت فى لهجة التأنيب : لقد عرفت كيف تعاقبين وتسرفين !
ـ وماذا يمكن أن يكون غير ذلك ؟
ـ تبقين
ـ لانقلب من سكرتيرة الى ...
فضربت المكتب مغضبا لاسكتها وصحت أقول : أمسكى عن هذا القول ..
فهزت كتفيها تهكما وقالت : انت هنا سيد العمل . ولكنى سيدة نفسى
قلت فى حزم واناة : بل ستبقين .. وأنا واثق وثوق الرجل الشريف ، من اننى ساكون لك الوالد البار .. وسوف تكونين لى خير معين .. هيا .. عفا الله عما سلف
فسهمت طويلا .. ثم استدارت فخرجت وأنا أشيعها بالاجلال العميق .. ثم مزقت استقالتها ، وألقيت بها فى سلة المهملات ..
وتتابعت الايام والاسابيع .. وكانت كفيلة بأن تعيد الى سميرة نشاطها .. وثقتها بى .. وعاد الحديث بينى وبينها يتصل بحياتها الخاصة .. وحياتى أنا أيضا .: ولكن حياتها غدت فارغة بعد أن فسخت خطوبتها . أما حياتى
الحق الحق أقول .. انها باتت مفعمة ! لا بشؤون المدرستين ، ولا بمقتضيات البيت .. بل بسميرة وحبها وحبها وحبها ! فهى شغلى وتفكيرى ونبض قلبى ومستقر عينى .. كان ظاهرى فيه لها الوالد البر الحكيم .. وباطنى فيه نار تلظى ..
وأمعن بى الحب وبرح واستبد ، حتى لم أجد بدا من التفكير فى الزواج منها .. ولم استهول الفكرة ، ورأيتها من اليسر بحيث أريد .. فالشريعة تسمح ، والعرف يقبل ، وما أنا بالاول ولا بالاخير .. واجتمعت عزيمتى فى رأسى ، وتنفس لها قلبى ، وانتشت بها جوارحى ، وتعلقت بها آمالى .. وصارت حديثى الخلو مع نفسى ، أناجيها به وأمنيها. فتناجينى به وتمنينى .. ولم يبق الا أن اصارح سميرة !
كان يوم خميس ، وكان علينا ـ أنا والناظرة وسميرة ـ ان نبقى فى المدرسة بعد انصرافها لنعد دفاتر وسجلات وبيانات ، استعدادا لتقديمها لاحد حضرات المفتشين يوم السبت . ولبثنا فى ذلك طويلا . فلما انتهى العمل فى ذاته ، انصرفت الناظرة . وكان لا بأس من

أن انصرف فى نفس الوقت ، وتترك سميرة تجمع الاوراق وتنظمها وتضعها فى أماكنها ــ وما الى ذلك .. ولكنى تلكأت فبقيت .. ولما خلا بنا المكان ثار دمى كأن قد انتابتنى حمى .. فلا أجلس حتى أقوم ، ولا اغادر الغرفة حتى أعود . .وسميرة عنى بعملها لاهية . وانتبهت الى بعد فراغها فقالت :

ــ انت متعب مكدود .. كان يجب أن نضطلع بالعمل وحدنا فلا نؤودك

قلت وقد تمالكت بعض نفسى : بل أنا بخير ..

قالت فرحانة جذلة : لقد أتممنا كل شىء ..

ــ بل هناك شىء يجب اتمامه ..

وخلت انى قلت هذه العبارة فى سرى .. لذلك كانت مباغتة بالغة الدهشة لى ، حين سمعت سميرة تقول : وما هو ؟!

وتمالكت كل قواى وكل شجاعتى وانطلق لسانى يقول :

ــ سميرة ! هل تقبلين أن تكونى لى زوجا ؟!

فبغتت ، وبهتت ، واتسعت أحداقها ، وصار صدرها يعلو ويهبط من فرط اللهث وتمتمت بين شفتيها تقول بالصوت الخفيض :

ــ أنا ؟! ــ نعم أنت ! ..

ــ أنت ؟! .. ــ نعم أنا .. أنا وانت يجب أن نكون زوجين ..

وانكشفت دهمة المفاجأة .. فاذا بنا قد جلسنا ، أو تهالكنا ، على أريكة ، واندفعت أقول : تقبلين .. نعم . نعم . تقبلين .. ما فى ذلك من بد

والححت ، وتوسلت ، وزينت الجو ، ودحضت الاعتراضات ، وهونت كل عسير .. فلانت آخر الامر واذعنت . وتعاهدنا على أن يظل الامر سرا بيننا ، حتى نمهد له السبيل ، وننتهز له الفرصة

وسار كل شىء طبيعيا فى المدرسة ، لم يثر ريبة ولم يقم شكوكا .. فى حين أن الشكوك قد قامت ، والريبة قد ثارت فى البيت ! ذلك من اختلاف مواعيدى ، وميلى الطارىء الى التزين والتأنق .. فقد أجرى الخياط فى ملابسى القديمة عمليات واسعة النطاق ، كما قام بتفصيل أخرى جديدة بمهارة أخفت كرشى فتبديت الرشيق الوجيه

وأخفت زوجى شكوكها حينا ثم صارحتنى بها ، وطلبت الى جلية ما هنالك .. بيد انها لم تخرج عن سليقتها ، فكانت رزينة رزانتها ، هادئة هدوءها .. تستفسر فى رفق وتمد الى الود الهين اللين اللطيف .. وأنا اتجاهل واتغابى ، وأوارب وأداجى ، وألفق المعاذير .. كل ذلك لاكسب الوقت

وقد كسبت الوقت .. ولكنى خسرت النهاية ! ..

وجدت أن ارسلت سميرة تطلب اجازة اسبوع .. « لعذر طارىء » ــ ولم أكن على علم بذلك من قبل ، ولم يكن لى بفراق سميرة عهد ، ولم تغب عن عينى يوما منذ عرفتها ..

اسبوع .. اسبوع قضيته فى صفر .. كل يوم منه كان مقداره ألف سنة .. ذقت فيه اللواعج ، وجرعت فيه الاسى ، وعرفت فيه مضض السهاد ! كانت أيام ضيق ظاهر ، وتبرم واضح بكل شىء .. أثار حولى الغمز والهمس .. وأخرج زوجى عن طورها ، فاذا بيننا حرب ضروس .. واذا بى لاتفه سبب .. ولغير ما سبب ، أرغى وأزبد كالبحر ، وأثور ثورة البركان ، وأزأر زئير الاسد الجريح .. وكاد يفلت من فمى يمين الطلاق مرة ، لولا صرخات طفلى ماجد وكوثر ، وارتياعهما ، وتشبثهما بى ..

ومضى الاسبوع ..

ستعود سميرة اليوم .. وسألقاها .. ولن يكون فراق أبدا .. وهدأ البحر ، وسكن البركان ، وأمسك الاسد عن زئيره .. وذهبت الى مدرسة البنات ، وكلى نشاط وتفاؤل وسرور .. واصطك بصرى بخطاب على مكتبى ، فاختطفته فى ذعر ، وفضضته فى لهفة ! وأجلت فيه عينى ، فكذبت عينى ، وامعنت فيه ادراكى ، فشككت فى ادراكى .. واعيد تلاوته ، فاذا به يتحدانى فيقول :

سيدى

أهديك تحية أطول من الدهر ، وسلاما أعطر من الزهر — وبعد فان فكرة زواجنا كانت آخذة مجراها .. ولكن لم يكن يعلم الا الله أيان مرساها .. وهذا هو سبحانه قد أجرى ما ارتضاه فارضى .. لقد مات والد رشاد ، ونقلوه الى مدفن الاسرة هنا فى الزقازيق . وكان لزاما على أن أرافق والدتى فى سفرها لتأدية واجب العزاء

« وقد شاءت الارادة الالهية ، أن تكون هذه المناسبة التى لم تكن فى الحسبان ، الى ارجاع أمر زواجى من رشاد الى ما كان .. وانى أعلم علم اليقين انك ستتألم لذلك أشد الألم ، لمنزلتى عندك ، ومكانتى فى قلبك ، لكنك — ولا شك — ستجد بحكمتك ، وثاقب بصيرتك ، سبيل الرشاد .. أما بخصوص ما أوليتنيه من عطف نبيل ، وأبوة غالية :

فلاشكرنك ما حييت وان أمت   فلتشكرنك فى التراب عظامى

« وختاما ، تفضل يا سيدى بقبول فائق تقديرى ، وعظيم احترامى

المخلصة — سميرة »

ملحوظة : مرفق مع هذا استقالتى وأرجو قبولها هذه المرة وشكرا

فنظرت الى الاستقالة ما شاء لى اليأس .. ثم غمست قلمى فدونت عليها عبارة الموافقة

وما من شك فى أن كل من وقع بصره عليها ، حسب أن قطرة ماء تصادف أن وقعت فطمست تاريخها .. المشئوم !.. ولكن أحدا لم يفطن الى انها.. دمعة من عين رجل جاوز الاربعين

طاهر لاشين

مسرحية انتقادية لاذعة :

الحادثة !

للكاتب الفرنسى هنرى دوفيرنوا

اشخاص الرواية :

بول وعمره ٣٥ سنة .. مارسيل وعمره ٣٠ سنة .. جيرمين وعمرها ٢٧ سنة

نحن فى مخدع يؤدى الى بهو كبير تألقت فيه الانوار وحفل برجال وسيدات فى ملابس السهرة

(بول صاحب المنزل واقف بباب المخدع وهو يوجه كلامه الى نفر من المدعوين)

المشهد الأول

بول ـ لا. لا. لم أعد أقوى على الرقص . انى أتركم .. يمكنكم اعفائى برهة من الوقت . أوه يا لكم من عتاة لا ترحمون ! التفتوا وراءكم .. ها قد أقبل نفر جديد من المدعوين . أكرر القول أن ليس بى هوى لاحتساء الشمبانيا .. سأستريح مهلة دور فى لعبة (البريدج) .. هذا يتفق وسنى من غير شك ! أوه ، لا يا ليزى .. هل لك أن تخلى عنى ؟ استأذنك فى برهة من الوقت ريثما أعاود التنفس فى راحة ..

(يلوح بمنديله فى الهواء وهو يتكلف الضحك ، ثم يدخل المخدع ويغلق الباب وراءه . واذ يستدير يخبو وجهه وقد روعه الحزن والألم . يمر بمنديله على جبينه ، ثم يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا ، وكأنه ينوء بنضال عنيف فى أعماق نفسه ، وأخيرا يرتمى على أحد المقاعد واضعا رأسه بين يديه)

المشهد الثانى

مارسيل ـ (داخلا من الباب المؤدى الى البهو) بول ..

بول ـ آه .. هذا انت يا مارسيل ..

مارسيل ـ ماذا فى الامر يا صديقى ؟

بول ـ لا شىء

مارسيل ـ كيف لا يكون فى الامر شىء ؟

بول ـ لا شيء وأؤكد لك .. انه انحراف بسيط فى المزاج ، ان هؤلاء الناس ..
مارسيل ـ من تعنى ؟
بول ـ اصدقاؤنا ، ضيوف فى هذه الحفلة . انهم برقصهم السخيف ، وبقصفهم الذى لا يعرف الحدود ، ثم بما هم عليه من صحة وعافية .. أظنك لاحظت كل هذا ؟.. هذه الصحة التى تزهى وتتيه صارخة حتى لكأنى بها اسمعها تتطاول علينا بألفاظ السباب ..
مارسيل ـ ما بك ؟ أتلومهم لانهم على صحة موفورة !
بول ـ ألومهم على كل شيء .. انهم يبعثون الحنق فى نفسى
مارسيل ـ ليس لى أن ألح فى معرفة ..
بول ـ أنت تدرى تماما اننى لا أعنيك بكلامى هذا
مارسيل ـ ان ما تبدو عليه يشغل بالى. ولو رأتك زوجتك لانتابها القلق والاضطراب. من الخير انها مشغولة الآن بضيافة ثلاثين مدعوا ، اذ لو وقع نظرها عليك .. قل لى أولاء أنت ، بعادتك ، حريص على أن تحافظ على المواعيد ، وقد وصلت البيت متأخرا ، فى الساعة التاسعة ؟ وكنت تبدو كأنك شارد الذهن غائب الحس ، حتى اننى نبهتك الى أن الجميع فى انتظارك ، ثم دفعت بك الى ارتداء لباس السهرة. ولكننى لاحظت بعد ذلك ..
بول ـ وماذا لاحظت بعد ذلك قل لى ؟ لقد قمت بما تقتضيه واجبات اللياقة ..
مارسيل ـ لا شك فى هذا ، ولكن منذ برهة قصيرة حينما دعتك « ليزى » الى الرقص خيل لى انك ستضربها
بول ـ فى الواقع لقد حسبت اننى سأضربها
مارسيل ـ ولكن ما بك هذه الليلة ؟ أراك متزمتا متحرجا على غير عادتك
بول ـ قد يكون هذا .. اننى الليلة أرى كل شيء فى وضوح
مارسيل ـ من خلال دموعك ..
بول ـ أنا لا أبكى ..
مارسيل ـ كنت تبكى ساعة أن دخلت عليك
بول ـ ماذا تحكى ؟
مارسيل ـ لماذا تتظاهر أمامى بغير ما فى نفسك ؟
بول ـ (مترددا) ماذا ! (فى عزم) اليك اذن ما دام هذا يروقك .. نعم كنت أبكى
مارسيل ـ لن أزيد كلمة عما قلته لك ، ما دام عطفى عليك لا ينزل من نفسك منزل القبول . اذا كنت فيما تكابده الآن محتاجا الى مساعدتى فى أى أمر من الامور فلا تتردد
بول ـ (مترددا) فى وسعك أن تسدى الى جميلا ..
مارسيل ـ تكلم
بول ـ فى أى ساعة نحن الآن من هذه الليلة ؟
مارسيل ـ فى الثانية عشرة

بول ـ ما أطولها ليلة ! اصغ الى يا صديقى . اذهب الى زوجتى فى البهو وانفرد بها ، وبعد أن تهدىء روعها قل لها اننى مريض بعض الشىء ، واننى التمس مجيئها فى الحال . .

مارسيل ـ هذا حسن . . وماذا أقول للآخرين ؟

بول ـ أوه . لقد نسيت أمرهم . قل لهم اننى متوعك المزاج ، واننى اعتذر اليهم . . قل لهم ما تشاء ، ولكن اعمل كل ما فى وسعك على أن ينصرفوا فى الحال

مارسيل ـ وبعد ؟

بول ـ وعند مبارحتك البيت اطلب الى سائق سيارتى أن ينتظرنى

مارسيل ـ سأفعل . . ولنبدأ أولا بجيرمين

بول ـ نعم زوجتى جيرمين . . أسائل نفسى أى امرأة سأقف أمامها ؟

مارسيل ـ ماذا تقول ؟

(يعانق بول الذى ما أن يحس بصدر صديقه حتى تنحدر من عينيه دموع غزار)

بول ـ اننى اعتمد عليك

(يخرج بول)

(يعنى مارسيل جيئة وذهابا . يجلس على مقعد ، ويخرج فى حذر صورة من محفظته يتأملها لينهال عليها بعد ذلك بقبلاته ثم يعيدها الى مكانها)

المشهد الثالث

مارسيل ـ (عائدا وهو يقول لبول) ها قد أقبلت جيرمين (يلتفت فيرى جيرمين على عتبة الباب فيشير بيده الى بول) ها هو

جيرمين ـ (وهى على عتبة الباب) وبعد فماذا فى الامر ؟ (لمارسيل) لك أن تزهو بأنك أثرت مخاوفى . . ألم تتحسن حالته ؟

مارسيل ـ لا

جيرمين ـ (تتقدم وتتفحص وجه بول وتقول لمارسيل) تأمل وجهه . . هذه هى نتيجة الادمان فى التدخين (لبول) أتريد أن يذهب مارسيل ليدعو الطبيب

بول ـ لا فائدة من هذا

مارسيل ـ منزله لا يبعد خطوتين من هنا

بول ـ لا . لا أريد

جيرمين ـ عنيد . . طيب اجلس على الأقل . أجهز لك فنجانا دافئا من الزيزفون

بول ـ لا . .

جيرمين ـ انه يتدلل كالاطفال !

مارسيل ـ أتركما . كل شىء سيتحسن فى الغد

جيرمين ـ (وهى تقوده الى الباب) وهذا رجائى ..
مارسيل ـ الى اللقاء يا صديقى ، الى اللقاء يا جيرمين (يخرج)

المشهد الرابع

(بعد صمت)

جيرمين ـ والآن .. لقد أصبحنا منفردين
بول ـ انظرى اذا كان المدعوون قد ذهبوا
جيرمين ـ برهة (تتجه نحو الباب لترى ثم تعود) نعم لم يبق واحد منهم. أتحس ألما؟
بول ـ كبيرا
جيرمين ـ مم ؟
بول ـ آه .. سأقول لك .. مم ؟
جيرمين ـ وأخيرا ألا تقول لى هل انت مريض أم غير مريض ؟
بول ـ لا أقول
جيرمين ـ اذن يجب ان انتزع الكلام منك . ماذا .. هل نزلت بك نوبة عناد وصمت؟
بول ـ اذا راقك هذا
جيرمين ـ الامر أدهى اذن ؟
بول ـ نعم أدهى
جيرمين ـ هل ضاع كل ما غلك من مال وعقار ؟ ان كان هذا فلا تجزع ، لاننى بدورى لا أبالى بهذا الضياع ، هناك والدى ، وسأبيع ما لدى من حلى وجواهر
بول ـ ليس لضياع المال شأن فيما نحن فيه
جيرمين ـ اذن ؟
بول ـ يجب أن أرحل
جيرمين ـ يجب أن ترحل ؟
بول ـ نعم يجب .. ولا حيلة فى الرحيل
جيرمين ـ الى أين ؟
بول ـ واذا لم أجب عن هذا السؤال ؟
جيرمين ـ توجه الى اهانة لا تحتمل . لسنا من العشاق ، ولا من الشركاء ، ولسنا زوجين ممن يحدد روابطهما الزواج فى معناه العادى ، ان ما بيننا يفوق هذا كله ، اننى أوفى أصدقائك .. صديقتك الوحيدة . لا بد ان يكون هناك دافع قوى محرج يدعوك الى تركى ، هكذا ، وفى منتصف الليل ؟ ان حقى عليك يوجب أن أعرف الحقيقة
بول ـ وأنا بدورى أحس رغبة قوية فى أن أفضى بها اليك

جيرمين ــ وما الذى تخشاه ؟
بول ــ ان أسلمك الى آلام مريرة ، انت التى لم تعرف الا السعادة فى حياتنا حتى الآن
جيرمين ــ لا بأس فهذه السعادة ليست الا حالة قد يخرج عنها الانسان فى برهة قصيرة من الزمن ، وقد يعود اليها فى نفس هذا الوقت . تكلم فانى مستعدة لسماع كل شىء
بول ــ ان الاحداث التى تحيطنا تلفنا بين طياتها كدوامة الماء ، فلا نستطيع ان نستجلى ما فى الاعماق ، ان ننفذ الى أغوار روحينا (يأخذ يديها بين يديه ويحدق فى وجهها)
جيرمين ــ (محاولة ان تخفف عنه بالمداعبة) هيا لنفعل كما كنا اطفالا ، ليحدق كل منا فى وجه صاحبه . المخطىء والملوم هو من يسبل جفنيه قبل الآخر
بول ــ انا من يسدل جفنيه
جيرمين ــ اذن فانت المخطىء
بول ــ نعم ، أنا المجرم ، وقبل أن أطلعك على كل شىء أتقدم اليك صاغرا طالبا العفو
جيرمين ــ يلوح لى انك تخافنى .. آه هذا متعة جديدة لم أتذوقها قبل الآن
بول ــ أخاف مما سأقوله لك
جيرمين ــ اذن هو اعتراف ما ستقوله
بول ــ نعم
جيرمين ــ هيا ، اننى أصغى اليك . ما كنت أظن اننى سأتحول فجأة الى ذلك الكائن الانسانى المخيف الذى يتلقى اعترافات الخاطئين !
بول ــ نعم انت مخيفة .. لانك لم تكذبينى أبدا
جيرمين ــ وانت كذبتنى ؟
بول ــ نعم كذبتك ، لا مناص لى من الكشف عن كل شىء ، نعم أكذبك منذ عام
جيرمين ــ (محدقة فى وجهه) هل خنتنى ؟
بول ــ نعم
جيرمين ــ آه
بول ــ أرأيت ، ها انت تبتعدين عنى
جيرمين ــ فلاتمالك نفسى ، نعم أنها صدمة عنيفة ، ولكن .. أنت ! أنت تخوننى !
بول ــ يا عزيزتى ، تمالكى نفسك . أتذكرين ماذا قلته لك يوم عقد قراننا ؟
جيرمين ــ أذكره جيدا . قلت انه لن تكون فى حياتى غير الازهار ، واننى سأسير دائما فوق بساط وثير ناعم فلا تحس قدماى أحجار الطريق
بول ــ كنت مخلصا فى كل ما قلت
جيرمين ــ وماذا حدث بعد هذا ؟
بول ــ ثقى اننى لا أنتحل لنفسى عذرا فيما فعلت .. كانت لحياتنا السعيدة لمعة تبهر أنظار من نعرف ، حتى أن سعادتهم لتبدو باهتة كابية اللون . لقد منحتنى سنوات من

العيش الرغيد ، أنت ولا شك تذكرين .. كنا نأسف على الساعات التى تكون فيها بكرهنا للنوم ، ولا يكون كل منا لصاحبه . ثم ..

جيرمين ـ أكمل .. أريد أن أعرف كل ما تحتوى عليه كلمة « ثم » هذه ..

بول ـ ثم وقع لنا ما يقع للناس ..

جيرمين ـ الملل ؟ لا . لقد تحول شغف كل منا بصاحبه الى حب . وهذا أوثق رباطاء وأصفى متعة . الشغف ، الحب ، الحنان .. كل هذه عواطف جياشة قوية ، فى مشاغلها وانفعالاتها ، ما يملأ فراغ الحياة

بول ـ هذا حق ولكننى انسان دون المستوى العادى من الرجال ، بى لهو لا ينقطع وفراغ لا يمتلىء .. سألت نفسى هل ما برح فى استطاعتى أن أكون محبوبا من امرأة أخرى نعم هكذا فكرت وتأملت وصبوت ، فكنت فى هذا كما تكون المرأة التى تحس حاجة الى هذا الحب لتزداد ثقة بنفسها ، ثم لا تنسى أن ما بيننا ، وان كان ممتعا وشهيا ، فقد تحول.

جيرمين ـ لقد حزرت الباقى .. هى احدى صديقاتى .. أليس كذلك ؟ امرأة متزوجة ؟ واليوم علم الزوج حقيقة الامر .. فانت تخشى الفضيحة ؟

بول ـ لا

جيرمين ـ اذن هى شابة لم تتزوج ، وقد تورطت فى ..

بول ـ لا

جيرمين ـ اذن فالامر لا يتجاوز أن يكون مغامرة نسائية عابرة .. ان كان هذا كل ما فى الامر فلماذا قلته لى اليوم ؟ لماذا لم تتركنى أنعم بجهلى هذه الاشياء ؟ لماذا ؟

بول ـ لان عشيقتى ماتت بعد ظهر اليوم

جيرمين ـ آه ..

بول ـ قتلت فى حادثة سيارة ، قتلت .. أتفهمين . رأيتها بعينى منذ قليل ممددة ممزقة الجسم مشوهة الوجه ، وها أنا كما ترين أذوب حزنا وتبكيت ضمير . هذا كل ما فى الامر

جيرمين ـ يا بول المسكين ..

بول ـ أردت فى أول الامر أن أخفى حقيقة حالتى .. وأن استمر فى تظاهرى بغير ما فى نفسى . جئت من هناك متماسكا ، وجالدت ما وسعنى فاستطعت أن أرتدى ملابس السهرة ، وأن أتظاهر بالمرح اثناء تناولى العشاء وفى الرقص . نعم لقد راقصت ، وضاحكت فى حين أن ذلك المنظر المفجع ماثل أمام عينى لم يغب لحظة واحدة كما هو الآن . كانت لى هذه المقدرة ، ولكن لم يعد فى وسعى أن أبقى عليها واحس انها لم تعد تسعفنى . ان حزنى يفيض بى وزفراته تخنقنى .. وكل هذا التظاهر الباطل ، يبدو لى كأنه اهانات أغطى بها جثمان هذه الصغيرة المسكينة التى ماتت بسببى ..

جيرمين ـ بسببك ؟

بول ـ أرادت أن تخرج فى نزهة الى ضاحية فونتنبلو ، فأفهمتها أنه ليس فى وسعى

أن أصاحبها ، كانت لى اعمال لا تحتمل التأجيل فى النادى ، ثم حفلتنا فى المساء. وأخبرتها بأننى سأرسل لها سيارة تقلها الى حيث تريد ، ولكنها رفضت الذهاب فألححت غاضبا فأطاعت .. وها أنت ترين أننى السبب فى قتلها

جيرمين ـ وهل أحببتها ؟

بول ـ عشرون سنة عمرها . لم يتجاوز عمرها العشرين

جيرمين ـ فى الواقع .. هذا أمر مروع للغاية

بول ـ طفلة مسكينة كان يبهرها كل شىء فلم يكن ينقطع لها تغريد ، وما كان لينقطع لو لم أتدخل فى حياتها ، وماذا فعلت ؟ وماذا كانت لى هذه الطفلة المسكينة ؟ لا أكثر من العوبة يلهو بها رجل ثرى فى أوقات فراغه ومتعة يتعاطاها ليشبع رغبته وأنانيته فى أن يرى شابة تهيم به حبا .. ماذا ؟ أما زلت تصغين لى ؟ ألم تقذفى بى بعد الى خارج الباب ؟

جيرمين ـ هيا ودع جانبا هذه الالفاظ الضخمة الجوفاء

بول ـ سكت

جيرمين ـ على العكس .. تكلم لتتعز ، أنفض كل ما فى نفسك

بول ـ آه يا جيرمين . لو تدرين ما كانت عليه هذه الفتاة من مروءة فى الخلق وصفاء فى الروح ، أتعلمين ماذا كانت ترده لى دائما بشأنك ؟ كانت تقول « اياك أن تسبب لها ألما » ولم تكن تجسر على ذكر اسمك ، وكانت ترتعد خوفا فى كل مرة تبارح المنزل ، ولم تبرحه الا ثلاث مرات أو أربعا ، ولم تكن تقصد غير الاحياء البعيدة المستترة خشية أن يقع نظرك عليها ، كانت تحاول دائما أن تنقى نفسها من أدران ما تورطت فيه ، وكأنها تحاول أن تحل نفسها من خطاياها ، شأن من يحس انه لن يعيش طويلا

جيرمين ـ كذا ؟ ولكنك كنت ترى فيها عشيقة وابنة . ان خيانتك لى مزدوجة كما ترى

بول ـ لقد نزل بى ما استحق من عقاب

جيرمين ـ آه .. العقاب

بول ـ أقسم لك اننى أنا لم ..

جيرمين ـ لا تقسم على شىء ، ولا تقسم بعد الآن .. قل لى أين تلقيت نبأ الفاجعة ؟

بول ـ فى النادى ، تلقيته بالتليفون فى الساعة السادسة ، فهرعت الى منزلها ..

جيرمين ـ وهل بجوارها أحد الآن ؟

بول ـ الخادمة .. والبواب

(سكوت تام)

جيرمين ـ اذهب الى هناك

بول ـ عزيزتى !

جيرمين ـ أذهب .. قلت لك

بول ــ كل حياتي ستكون وقفا لك .. وما أظن أن ما بقى لى منها يفى بواجب شكرك

جيرمين ــ خذ هذه الزهرة .. ستضعها على جثمانها رمزا لعفوى عنها وحزنى لمصابها

بول ــ جيرمين !

جيرمين ــ اذهب الآن .. سأخطر الخدم بأنك استدعيت لتكون الى جانب مريض من أقربائك .. سأخفى كل شيء .. تدثر جيدا فى معطفك واحذر البرد ..

بول ــ .. سببت لك آلاما مريرة ؟ اصفحى عنى

جيرمين ــ دعنا من هذا .. ولكنى أقول انك أحسنت فى ان جعلتنى موضع ثقتك

بول ــ ما كنت أعتقد أن سماحة قلبك تمتد الى هذا الحد ! والآن أستطيع أن أفضى اليك بما انت عليه فى نفسى : لقد عهدتك ذكية الفؤاد ، دمثة مثقفة ولك روح تسمو الى اطباق السماء ، ولكننى ما كنت أظن أنك تسمين هذا السمو ، ومن أجل هذا أسألك الصفح لاننى تشككت فى طيبة قلبك ، فى مروءتك ، وفى صداقتك . ها أنا ذا أجثو على ركبتى شاكرا لك كل هذا .. لقد تحولت فى نظرى الى مخلوقة من السماء

جيرمين ــ أراك تبالغ ..

بول ــ أؤكد انك مخلوقة من السماء

جيرمين ــ اذهب . اذهب

(يخرج بول بعد أن يقبلها على عجل . جيرمين تلتفت الى حيث خرج بول ، وتنصت الى صوت الباب وهو يغلق ، ثم الباب الخارجى ، ثم جلبة السيارة وهى تسير وتبتعد . فتهب واقفة وتتحدث فى التليفون)

ألو . ألو .. مارسيل .. نعم هذه أنا . الحكاية باختصار أن له معشوقة .. نعم بول له معشوقة . وتوفيت بعد ظهر اليوم فى حادثة سيارة . بالتأكيد انه حادث مروع .. كان يروى الحادثة .. وانا لا أفكر الا فيك .. يا غرامى ، فيك انت ، وتخيلتك وانت تمشى كعادتك ، ذاهلا بين السيارات التى تخترق الشوارع فارتعدت . أتظن ان هذا الحادث يقع لنا يوما ؟ يا للفظاعة ! فخذ حذرك . سماع صوتك متعة لا تساويها متعة .. يا غرامى . اننى أهيم بهذا الصوت .. نعم رثيت لحاله ، وتظاهرت له باللطف والتأثر ، ولكن انت .. أبتهل اليك أن لا تذهب غدا الى فرساى ، وانت تسوق سيارتك فى هذه السرعة الجنونية التى أعرفها فيك . اننى أمنعك من الذهاب . ولا تنس أننى سأكون غدا حرة طيلة النهار .. سأوافيك فى الساعة الثانية بعد الظهر . طاب ليلك يا كنزى ، يا أعز ما أملك ، يا حياتى .. أقبلك ، أحبك كما لو أننى لم أتذوق الحب يوما .. نم قرير العين

(ستار)

تعريب الأستاذ : زكى طليمات

مدير معهد فن التمثيل العربى